

الموسوعة الشامية في تاريخ الحزب والصليبية

الروايات الأوربية - الاغريقية واللاتينية

(الحملة الرابعة)

١ - الاستيلاء على القسطنطينية - لفيلهاردين

٢ - سقوط القسطنطينية للصليبيين - لروبرت دي
كلاري

٣ - تاريخ المورة

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق

١٩٩٥ - ١٤١٦ هـ

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئه :

يلاحظ المتتبع لتاريخ أوربا وشعوبها طوال عصور التاريخ أن شعوب هذه القارة اتحدت أرابيا وأجمعت على هدف واحد ، مرة واحدة ، هي فترة الحروب الصليبية ، ففي أيامنا هذه ، على الرغم من جميع الجهود الاعلامية المبذولة وسواها لم يتوفر الاجماع الشعبي الأوربي للموافقة على الوحدة الأوربية.

إن ظاهرة التوحد لخوض الحروب الصليبية بحماس منقطع النظير فريدة في بابها ، جديرة بالدرس من قبل الذين يرون أن التاريخ هو تاريخ ما تصنعه الشعوب لا تاريخ السلاطين والملوك.

ومما لا شك فيه أن المحرك الأساسي لقيام هذه الظاهرة هو العاطفة الدينية ، وليس الاقتصاد والمنافع المتبادلة والتأثير السياسي والاجتماعي ، إنما قد يرى المتفحص لتاريخ الحروب الصليبية أنها بدأت شعبية لكن مع الأيام أخذت تتحول الى حروب رسمية ، وهكذا انتهت ، وهنا قد يكمن أحد أسباب الاخفاق النهائي للصليبيين.

هذا من الجانب الأوربي ، أما الجانب العربي فقد بدأ التصدي للغزاة الصليبيين رسميا ، ومع الأيام أخذ هذا التصدي يتحول الى عمل شعبي مجمع عليه ، فعدد المتطوعة يوم حطين فاق عدد الجند المحترفين ، والشعب العربي هو الذي جاهد حقا وبشكل جماعي وطوال قرنين لم تتوقف فيهما الحرب لحظة واحدة ، ونحن نواجه في المصادر العربية من تواريخ وكتب تراجم وجهاد وفضائل مدن وبلدان مواد ثمينة جدا جديرة بالتعمق بالدراسة ، ففي عصر الحروب

الصليبية صنف ابن الجوزي أكثر من كتاب عن فضائل القدس ، وفي هذا العصر صنف ابن عساكر تاريخ دمشق وضمن المجلدة الأولى من هذا الكتاب العملاق مواد هامة عن فضائل الشام ، وابن عساكر نفسه صنف بالجهاد ، وحرص نور الدين وشجعه لتوحيد صفوف المسلمين في سبيل تحرير القدس وطرد الغزاة ، وقد خاطبه بعد توحيد مصر وبلاد الشام بقصيدة منها قوله:

وإن بذلت لفتح القدس محتسبا
للأجر جوزيت أجرا غير محتسب
ولست تعذر في ترك الجهاد وقد
أصبحت تملك من مصر الى حلب
وصاحب الموصل الفيحاء ممثلا
لما تريد فباير فجأة النوب
وطهر المسجد الأقصى وحوزته
من النجاسات والاشراك والصلب

ومن الملاحظ من الجانب الأوربي أنه منذ ما يعرف باسم الحملة الثانية بدأ الحماس الشعبي يضعف بعض الشيء ويزداد مع الأيام في حين ازداد التورط الرسمي للبارونات والملوك والباطرة والمؤسسات التجارية البحرية خاصة الإيطالية منها ، فقد سعت الدويلات الإيطالية الى استثمار الحروب الصليبية وجني الأرباح بأي صورة كانت ، سواء بالتعاون مع الأوربيين أو بالتعامل الخفي أو الظاهري مع المسلمين ثم إن الحماس الديني الذي قاد الى قيام الحروب الصليبية ، وقد ترافق مع التعصب الشديد ، أدى - فيما أدى اليه - الى تعميق الانفصال بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية ، ومن غرائب الأمور أن هدف الحروب الصليبية الأولى كان القضاء على الاسلام والعرب وتحويل بلاد الشام الى وطن لاتيني فيما وراء البحار ، وكذلك كان بين الأهداف توحيد الكنائس المسيحية ، لكن الذي تحقق هو العكس تماما .

- ٤٣٦٦ -

كان جل سكان مدن بلاد الشام قبل الحروب الصليبية مسيحيين ، لكن كان من بين نتائج هذه الحروب انقلاب المعادلة بشكل حاسم بحيث صارت الأكثرية الساحقة مسلمة ، والشئ نفسه حدث عندما استولت الكنيسة اللاتينية على القسطنطينية مقرر الكنيسة الأرثوذكسية ، وتم هذا الاستيلاء في الحملة الرابعة .

ليس بودي الحديث عن أسباب هذه الحملة ووقائعها ونتائجها ففي مقدمات النصوص التالية فضلا عن محتويات هذه النصوص ما يكفي من شرح وبيان ، ونصوصنا وثائقية المعلومات وهي ثلاثة حوت أكثر التفاصيل وأدقها عن هذه الحملة التي طالت ضربات ساحقة للامبراطورية البيزنطية ، مهت - بلا شك - الطريق للقضاء على هذه الامبراطورية فيما بعد لصالح الاسلام والمسلمين ، وتحويل القسطنطينية من مدينة قسطنطين الى « اسلام بول » كرسي الاسلام ، وهنا ايضا واحد من دروس الحروب الصليبية ، خاصة إذا ماشينا الدراسات الحديثة حول أصول الدولة العثمانية الجهادية الشعبية.

والنصوص الأوربية حول الحملة الرابعة هي الأخيرة من نوعها في هذه المرحلة من العمل بموسوعتنا وكلّي أمل أن أتمكن في مستقبل الأيام من استكمال هذا المشروع والله المستعان ومنه جل وعلا أستمد التوفيق فله الحمد دائما وأبدا ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين .

دمشق غره ذي الحجة ١٤١٣

٢٢ / ٥ / ١٩٩٣ .

الاستيلاء على القسطنطينية

فلهاردين

مقدمة

قليل من الاحداث في التاريخ كان أكثر اضطباغا بالخيال الرومانسي من تلك السلسلة من الحملات الى الأرض المقدسة التي تعرف بالحروب الصليبية . إن الرسم بالذات يستحضر صورة فرسان شجعان قد الهموا بالحماس الديني الهدف يتركون بيوتهم وبلادهم ليباشروا حربا شرسة مقدسة ضد أعداء العقيدة المسيحية، والحوالية المعروضة هنا هي من تأليف رجل ممن شارك في إحدى هذه الحملات وهو يقدم صورة صادقة لمغامرة يظهر فيها الجانب الأكثر ظلاما والجانب الأكثر اشراقا للطبيعة البشرية في أعمال الذين حملوا شارة الصليب، وعلى أي حال طالما أن هذه الحولية تتعامل فقط مع إحدى الحملات الصليبية فإنه ربما كان من الجيد في هذه المقدمة أن نضعها في إطارها حيث تصور بعضا من الصراع بين المسيحيين والمسلمين لامتلاك الأرض المقدسة الذي استمر لما يقرب من مائتي سنة .

لقد كانت القدس المدينة المقدسة مركز الحج من أزمنة قديمة جدا . وقد ترك المسيحيون بعد فتحها من قبل الخليفة عمر في سنة ٦٣٨ أحرارا في ممارسة دينهم وبقيت الظروف هكذا حتى ١٠٧٦ عندما انتقلت القدس الى ايدي الاتراك السلاجقة ، الذين روي انهم انتهكوا الاماكن المقدسة وعاملوا نصارى المدينة بقسوة فالتقوا ببعضهم في السجن وذبحوا آخرين وعاد الحجاج الذين تدبروا أمر شق طريقهم الى الأرض المقدسة بقصص مثيرة للشفقة عن أحوال أبناء دينهم في الشرق وخطرت فكرة الحرب المقدسة للثأر لهذه الأخطاء البابا غريغوري السابع وخليفته فيكتور الثالث ولكن شعوب النصرانية الغربية التي كانت مذبذبة بشؤونها الخاصة في الوطن قد ألقت بالا قليلا لمناشدتها، ومع ذلك فإن أعمال تبشير الناسك بولس فعلت الكثير في التأثير على الرأي العام شيئا فشيئا وعندما في مجمع

- ٤٣٧١ -

كثير مونت في تشرين الثاني ١٠٩٥ دعا البابا أوربان الثاني -
الفرنسي المولد - أهل بلاده أن ينضموا إلى حملة دولية لاستعادة
القدس لدى استجابة حماسية . وفي ١٠٩٦ انطلقت حملتان وأخذتا
طريقهما نحو الشرق واحدة بقيادة بطرس الناسك وكانت تتكون من
الدعماء غير المنظمين وقد أبيت تقريباً عن فكرة أبيها من قبل
الأتراك في تشرين الأول من تلك السنة ، وكانت الأخرى مكونة من
قوات منظمة بشكل صحيح تحت بارونات من شمال فرنسا
وفلاندرز وشمال إيطاليا ، وقد وصلت إلى القسطنطينية في كانون
الأول وهنا انضمت إلى قوات الإمبراطور البيزنطي وبمرورها من
آسيا الصغرى عاونت الروم في الاستيلاء على نيقية وهزمت الأتراك
في نور يليوم وفي النهاية دخلت سورية .

وفي أثناء ثورة شعب الأقليم الشمالي من الرها ضد حاكمهم
الأرمني وجهوا الدعوة إلى بلديون دي بوليون ليحل محله في آذار
١٠٩٨ ، وفي حزيران من تلك السنة استولى الصليبيون على
أنطاكية ، وفي تموز ١٠٩٩ أخذوا القدس بعد حصار دام ستة
أسابيع فقط ، ويأسف المرء أن يقول أن هذا النصر قد أعقبه ذبح
بلا رحمة لجميع السكان داخل المدينة بلا تمييز باللون أو الأصل أو
العقيدة ، وكنتيجة لهذه الحملة الأولى انشئت دول مسيحية ثلاث :
في سورية: أمارتا الرها وأنطاكية ومملكة القدس ، وشاعت معرفة
جميع تلك الأراضي المفتوحة باسم « بلاد ما وراء البحار » .

وتدبر بارونات ما وراء البحار لسنوات بالاحتفاظ بحرب
هجومية دفاعية ضد العدو المحيط بهم ، أمر الثبات في الأراضي التي
كسبوها نون طلب معونة كبيرة من الغرب ، وفي ١١٤٤ مع ذلك
عندما استرد المسلمون إقليم الرها ، أرسلت الملكة الوصية على
عرش القدس وقد خشيت بعد رؤيتها لانكشاف الحدود الشمالية
لأنطاكية من سقوط هذه الإمارة مع أقليمها ، أرسلت بسرعة
مناشدة ملحة إلى البابا يوجينيوس الثالث ليبدأ حملة صليبية جديدة
وأحال البابا الأمر إلى الملك لويس السابع ملك فرنسا وهو رجل

- ٤٣٧٢ -

عرف بورعه، وكان قد حمل شارة الصليب ١١٤٦ في اجتماع فيزلي حيث دفعت بلاغة القديس برنارد بكثير من الفرنسيين لحذو حذو ملكهم وبرحيله الى المانيا حيث القديس برنارد الامبراطور كونراد على الانضمام للحملة، وفي ١١٤٧ انطلق جيش بقيادة حاكمي فرنسا و المانيا في الحملة الصليبية الثانية وقد صمما على القيام بأعمال عظيمة.

وفي النهاية مع ذلك قام الصليبيون بدلا من التقدم نحو الرها بمحاولة غير ناجحة للاستيلاء على دمشق، ثم عادوا أدراجهم دون انجاز أي شيء.

وفي هذه الاثناء كان المسلمون في الشرق يزدادون قوة والمسيحيون يزدادون ضعفا ، وكان الحجاج الذين يأتون الى الاراضي المقدسة كثيرا ما يصدمون بالترف وبالحياة الفاسقة في ما وراء البحار ، وببدت الخلافات الداخلية بين بارونات الأرض الطاقة التي يمكن أن تستخدم في الدفاع عنها وترك موت الملك عموي ملك القدس في ١١٧٤ المملكة دون خليفة جدير ، وبعد قليل تولى صلاح الدين السلطة كرئيس لدولة مسلمة موحدة . وفي ١١٨٧ عانى المسيحيون من أعظم كارثة نزلت بهم عندما هزم صلاح الدين جيشهم ودمره عند قرني حطين في ٣ تموز ، ثم استرد طبرية ويافا وعسقلان وغزة وفي النهاية دخل القدس . وكانت معاملة المسلمين الانسانية للسكان المسيحيين في تضاد ملحوظ مع سلوك الصليبيين الذين استولوا على المدينة في ١٠٩٥

ومرة أخرى استثيرت النصرانية الغربية للعمل. وفي ١١٨٩ أعدت حملة صليبية بقيادة ثلاثة ملوك : فريديك بربروسا ملك المانية وفيليب اغسطس ملك فرنسا ورتشارد الأول ملك انكلترا للمضي الى ماروارء البحار ، وغرق بربروسا الذي انطلق أولا في نهر صغير وهو في طريقه عبر آسيا الصغرى في ١٠ حزيران ١١٩٠، وتبدد جيشه وقد ثبطت همته حتى تخلقت عنه فقط فرقة صغيرة ، وفي وقت مبكر

- ٤٣٧٣ -

من السنة التالية أبحر فيليب ورثشارد من مسينا ليمضيا الى مساعدة الملك الاسمي للقدس ، الذي كان مع جيش صغير يرثي له يحاصر قوات صلاح الدين في عكا ، وكان جيشهما شركة غير مستقرة منذ البداية ولاختلاف المزاج - كان رثشارد حاد المزاج متهورا وعنيفا وكان فيليب داهية وباردا - وكانت علاقتهما معقدة أكثر مع ذلك بسبب حقيقة أن الملك الانكليزي كدوق لنورماندي لم يكن تابعا مطيعا جدا ، بينما كان الملك الفرنسي من جانبه يفار من سلطة رثشارد.

ووصل فيليب الى أمام عكا في ٢٠ نيسان ١١٩١ ، أما رثشارد الذي أعاقته عاصفة في البحر ، وصل الى هناك بعد ذلك بسبعة اسابيع ، وعندما استسلمت عكا في ١٢ تموز رجع الملكان أعلاهما على الجدران ووضع ليوبولد ملك النمسا ، وكان الآن يتولى قيادة القوات الألمانية علمه هناك أيضا ، ولكنه فقط ليمزق ويلقي به في الخندق ، وهي إهانة وقع من أجلها انتقام قاس فيما بعد ، ويلقي ذبح رثشارد لأسراه من المسلمين بعد استسلام عكا ظلا أكثر سوادا على اسمه .

وفي آب ١١٩١ عاد الملك الفرنسي بعدما تعب من الحرب الصليبية ، وبسبب قلقه على حالة الأمور في مملكته إلى فرنسا ، وتولى رثشارد القيادة على بقية القوات وتابع الحملة . ومع أنه هزم صلاح الدين في أرسوف في أيلول ١١٩١ واستولى بنجاح على يافا في آب من السنة التالية ، وأصبحت القدس في متناول يده ، أغمض عينيه عن رؤيتها ، ولم يجرؤ على محاولة الاستيلاء عليها ، وكان الانجاز الوحيد لهذه الحملة الصليبية عقد هدنة خمس سنوات مع صلاح الدين الذي منح المسيحيين ملكية المدن الساحلية الرئيسية إلى مسافة في الجنوب تصل إلى يافا ، ومنح للحجاج حق حرية الدخول إلى القدس .

وهكذا نأتي إلى الحملة الصليبية الرابعة ، التي روى قصتها

فيلها ردين في كتابه الاستيلاء على القسطنطينية وهو عمل متميز بين أشياء أخرى لحقيقة أنه أول سجل يعتمد عليه عن هذه الحملات ، يكتب بالفرنسية ، وإنه لصحيح أن الحملات الصليبية الأقدم كان لها مؤرخوها ، ولكن هؤلاء الذين قد نلحظ بينهم بشكل خاص وليم رئيس أساقفة صور قد أعطوا رواياتهم باللاتينية. هذا ولم يكن هناك نقص في سيل شعر معين يتعلق بمآثر الصليبيين في بلاد ماوراء البحار ولكن أيا من هذا لم يكن له أي قيمة تاريخية ، ويعطي غرنيبودي نواي، وكان يكتب في النصف الأول من القرن الثاني عشر رواية مليئة بالحيوية في أنشودة أنطاكية وأنشودة القدس عن أخذ هاتين المدينتين في الحملة الصليبية الأولى ، ولكنه من جانب آخر كان لديه تصور صغير وراء الحملة ، ومعرفة منقوصة جدا حول الأحداث الرئيسة ، وما هو أقل أهلية للاعتماد ذلك التقليد للملاحم الفرنسية القديمة من مثل « غونفري دي بوليون » أو « الفارس المقدس » الذي يأخذ فيه الخيال الجامع مكان الحقيقة ، ويعطي النورمندي جونفلير في تاريخه « تاريخ الحرب المقدسة » سجلا دقيقا للحرب الصليبية الثالثة ، ولكن من موقعه كحاج متواضع بين الصفوف ليس لديه أكثر من نظرة خارجية للأحداث التي يؤرخ لها . وبقي للعامل الرئيس من الحملة الصليبية الرابعة أن يقدم التاريخ الأول الجدير والمستكمل للمعلومات عن مثل هذه الحملة بلفقه الوطنية ونثرا .

ولد مؤلف «الاستيلاء على القسطنطينية» في وقت ما بين ١١٥٠ و ١١٥٤ وكان والده فيلان دي فيلها ردين رجلا نبيلًا من شامبين ولديه ممتلكات في الجزء الجنوبي من الأقليم ، غير بعيد عن مدينة ترويس الرئيسة ، ولم يكن جيوفري أكبر أولاد فيلان ولكن بفضل روابطه بالمولد وفيما بعد بالزواج مع كثير من عائلات شامبين النبيلة والأقاليم المجاورة ، وبلا شك أيضا في قوة شخصيته القيادية وأهليته للأقدام أصبح في ١١٨٥ مارشالا لشامبين . وفي تلك الأيام عندما كان القتال بين البارونات المتحاربين احتمالا كان واجب المارشال أن يعمل على أن يكون كل شيء في وضعه الصحيح للمقاومة

أو الهجوم ، فإذا قامت الحرب كان عليه أن يتخذ كل الترتيبات الضرورية للحملة ، وفي غياب الأمير يتولى القيادة ، وإضافة لذلك كان نائباً للأمير في كل ما يتعلق بالإدارة في الاقليم ، ولم يكن فيلها رنين على حد ما نعرف في الخدمة الفعالة قبل أن يذهب إلى ماوراء البحار ، ولكن هناك دليل على دوره العام الذي شغله كحكم في المنازعات ضمن الاقليم وكمممثل لأميره في المفاوضات مع ملك فرنسا . وفي مجال واجباته أصبح على معرفة مع كثير من تلك الشخصيات البارزة النبيلة التي ورت أسماؤها في حوليته ، ولقى كمارشال للاقليم خبرة هيأته للمهام التي كانت تنتظره في حقل أوسع ، وفي حين أن عمله الذي كان يتبع ترتيباً زمنياً ليس سجلاً للأحداث المعروفة من يوم ليوم ، فإنه كان بالأحرى نوعاً من التاريخ الرسمي للحملة الصليبية الرابعة ، وقد تم تأليفه بعد بضع سنوات من نهاية الحملة المجهضة من قبل امرئ ممن استطاع أن يردف مذكراته هو عنها بالرجوع إلى الوثائق الموجودة - رسائل : معاهدات قوائم الجيش وهكذا - التي أمكنه الوصول إليها كمارشال لرومانيا ، وتكلم فيلها رنين كرجل ذي سنوات ناضجة وخبرة واسعة ومن موقع الثقة في الذين نظموا أو تولوا جزءاً قيادياً في الحملات المختلفة والأحداث الأخرى التي أدخلها وحتى ولو - كما بالنسبة لكل التواريخ التي كتبت قبل زمانه قد وضع الأحداث في منظورها الكامل - أن تفسيره كان أحياناً متحيزاً ، إنه أعطى إجمالاً روايات أمينة وجيدة جداً حول عمل بدأ جيد جداً وانتهى بشكل مفاجئ جداً .

والشيء نفسه لم تنج الدقة والجودة لعرض فيلها رنين لتاريخه من التحدي من نواح معينة فبعض ناقديه مثلاً يؤكد أنه في القاء المسؤولية عن انحراف الحملة الصليبية إلى زارا وفيما بعد إلى القسطنطينية على الرجال الذين أخفقوا في تقديم تقاريرهم إلى البنديقية لم يأخذ بعين الاعتبار بعض المؤامرات التي كانت تصاك خلف الكواليس ، وادعى آخرون أنه بفعله ذلك قد رتب عن عمد قصته هكذا ليحرر بعض قادة الحملة من اللوم ، ومثل هذا النقد

يمكن الاجابة عليه بسهولة ، فلا شك أن أهل البندقية وجدوا بحالة منحتهم فرصة زيادة نفوذهم في حوض البحر المتوسط ، ولاشك في أن فيليب صاحب سوابيا كان متلهفا على جعل صهره اليكسيوس يستعيد سلطته ، وفي حين أن هذا قد يكون كذلك إنه من الصعب تخيل أن الصليبيين الفرنسيين كان يمكن أن يوافقوا على تأييد مقاصد البندقية وألمانيا لو أنهم في ظروفهم الصعبة والمقيدة رأوا أي طريقة أخرى للنجاح في مغامرتهم ، وأما بالنسبة لفكرة أن فيلها ردين عمل كمدافع رسمي فهذا يمكن استبعاده بسرعة نظرا لروايته الأمانة للأعمال عن الدور نفسه لهؤلاء القادة في تاريخ لاحق . وقد اتهم فيلها ردين أيضا بالقسوة المفرطة في حكمه على الرجال الذين أخفقوا في الانضمام إلى الجيش أوفروا منه ، إنه قاس بالتأكيد ولكننا يجب أن نأخذ الظروف في الاعتبار فلقد قيد البارونات أنفسهم في مجلس مكتمل بالالتزام بأي اتفاق يتوصل إليه مبعوثوهم في البندقية ، وبعادة إقطاعية كان كل من رهنوا أنفسهم بالمضي مع الحملة ملتزمين بالدرجة نفسها ، وكرجل شريف هونفسه ، مع مفهوم عال لواجباته العسكرية وجد فيلها ردين أنه لايتصور أن أي رجل يستحق اسم فارس يمكن أن يحث بوعده ، أو يمتنع عن المضي إلى حيث يأمر قائده ، لماذا - هكذا تعجب - تخلف مثل هذا العدد الكبير من الفرسان ؟ وفي سخطه بسبب الضرر الذي سببه هذا الارتداد عن هذه المغامرة ، بدا له أنهم ربما قد اعتقدوا أنه من الأسلم أن يذهبوا إلى سورية حيث كان المسيحيون مايزالون يحتفظون بمدن معينة بدلا من مواجهة مخاطر شن حملات على بلد كان بكامله في أيد مسلمة ، ومع ذلك ومع مراعاة التقلب البشري في رواية مصير الذين ذهبوا إلى سورية أنه لم يكن الشجاعة بل نقص الحكمة هو مآلامه فيلها ردين ، والكلام هنا من منطلق الاشفاق بدلا من الغضب إنه قدم التقدير لذكرى الفرسان الجيدين ويأسف فقط لأنهم وقعوا في خيار سيء وتحملوا العقوبة على حمقهم الأثم .

أما بالنسبة للزعم بأن فيلها ردين في روايته حول الخلافات في الجيش أو الفرار بالتالي منه لم يترك مجالا للشكوك الدينية للنين

احتجوا ضد شن الحرب على المسيحيين ، من الصعب في هذه الفسحة من الزمن تقدير إلى أي حد كانت هذه الاجتجاجات مخصصة وإلى أي مدى قدمت كنزيرة لحل الجيش ، وفي حالة راعي دير فو هناك بعض الأسباب للشك لأن هذا الأكليركي الذي كان نشيطا جدا في إثارة الخلافات في جيش الصليبيين ، والذي تركه في النهاية بنزيرة الشكوك الدينية ، لم يبد مثل هذه الحساسية في ١٢٠٩ عندما شغل نورا قياديا في الحملة الصليبية ضد الألبانيين الذين لم يكونوا أقل نصرانية من الروم .

وفي كل الأمور المدروسة إنه من الصعب الشك بأن فيلها ردين وقد كان مقتنعا بأن الأمل الوحيد في استرداد القدس يكمن في الإبقاء على وحدة الجيش ، كان قليل الصبر مع الذين رغبوا في حله ، وقليل التعاطف مع الذين ربوا على الشكوك الدينية ، أو لم يمنع البابا نفسه - وقد روع في البداية بالهجوم على المدينة المسيحية زارا ، الغفران للصليبيين على أساس أنهم قد تصرفوا تحت الاضطراب والاكراه وحثهم على الإبقاء على وحدة الجيش ؟ علاوة على أنه في الوقت نفسه الذي كان فيه راعي دير فو يثير المتاعب كان قد استه اعتمادا على وعد اليكسيوس قد عمل على جعل الكنيسة اليونانية تحت سلطة روما ، وأخيرا وبعد بعض التردد أعلم الصليبيين أنه لن يعارض في الحملة على القسطنطينية طالما أنها كانت تدار بطريقة تؤدي إلى إعادة توحيد الكنيستين الرومانية والأرثوذكسية .

ولم يكن لهذا الأمل أن يتحقق مطلقا ، ولم يكن لهذا الجيش أن يبلغ مطلقا المدينة المقدسة ومن الوقت الذي قدم فيه الفرنجة إنذارهم إلى الإمبراطور اليكسيوس الرابع في شباط ١٢٠٤ كانت كل الأفكار حول حملة صليبية قد غابت عن الأنظار في سلسلة من النزاعات بين الفرنجة والروم ، والمتاعب الكثيرة التي أعقبت إنشاء الإمبراطورية اللاتينية لزومانيا بقوة السلاح ، وفي هذا القسم الأخير من الحولية أن انحياز فيلها ردين يجب أن يؤخذ في الاعتبار ، وبرواية الأحداث من وجهة النظر الفرنسية إنه يفسرها إلى حد ما يستطيع مع

الاجحاف بالروم الذين اليهم كانت تعزى المحاولة الباسلة لأمة مهزومة لاكتساب استقلالها المفقود ، وكانت في عينيه برهانا على أنهم كانوا بالطبيعة غير مخلصين وخونة ، وبصرف النظر عن هذا الانحياز تعطي حوليته رواية حية عن الصراع الطويل المأساوي بين مسيحي الشرق والغرب ، وهو صراع يمكن أن نستمد منه استنتاجاتنا .

ومن الحقائق التي يضعها فيها ردين أمامنا تبين أنه من أول توليهم للسلطة وقع الغزاة في الخطأ المميت بالاقبال من شأن المقاومة التي قد يجدها ، واثقين من أنه بعد الانهيار المفاجيء للمقاومة في القسطنطينية كان اخضاع بقية الامبراطورية أمرا سهلا ، وعلى ما يبدو إنهم كانوا غير مدركين للكراهية المرة التي ثارت في عرق مثقف بفعل بربر متغطرسين برعونة نهبوا مدينتهم الجميلة وحطموها بعدما كانت واحدة من أجمل المراكز الحضارية في العالم ، ثم أن الفرنجة لم يقوموا بأي محاولة لاسترضاء الروم .

وفي البداية بدا كما لو كانت ثقتهم كان لها ما يسوغها وبصرف النظر عن بعض المدن المعزولة التي كانت مازالت صامدة ضد الغزاة ، كانت الأرض على الجانب الشمالي من المضائق قد استسلمت للحكم الأجنبي ، ومع ذلك فكر البارونات كما يقول فيلها ردين نفسه بدلا من حكم الأراضي الخصبة لهم بحق فقط في أي مكسب يمكن أن يحصلوا عليه لأنفسهم ، وكانت هذه الاثارة الأخيرة كثيرة جدا بالنسبة للروم وبقياهم بالثورة دفعوا بالفرنجة خارج أدرنة وبيموتيكوا واستولوا على هاتين المدينتين الهامتين ، وفي تلهفهم على طرد الغازي بكل الوسائل الممكنة دخلوا في تحالف مع الملك القوي لوالاشيا وبلغاريا ، وثبت في النهاية أن جوهانيتزا كان حتى أكثر بعدا عن الترحيب من الفرنجة .

ولكن إذا كان للروم من سبب للأسف من مجيئه ، كذلك فعل قاهروهم عندما أخذت قوات جوهانيتزا تجتاح الامبراطورية ،

- ٤٣٧٩ -

وتستولي على المدن الجبلية في رومانيا وتدمرها حتى بقي اثنتان منها فقط بجانب القسطنطينية في أيدي الفرنجة .

وفي الوقت نفسه كان على الجانب الآخر من المضائق في آسيا الصغرى ثيودور لاسكاريس زوج ابنة اليكسيوس الثالث يعمل مافي وسعه لمنع الفرنجة من الاستيلاء على الأراضي المخصصة لهم ، وأخيرا كما أخبرنا فيلها رين نجح في تحقيق أهدافه ، وبالاعتراف به منذ البداية من قبل الروم في آسيا الصغرى وأولئك الذين اصطفوا إلى جانبه من العبوة الأخرى كحاكم شرعي لهم : توج امبراطورا في ١٢٠٦ وكان لامبراطورية نيقية أن تبقى كمركز قيادة للملكة الرومية حتى مع سقوط الامبراطورية اللاتينية في ١٢٦١ عاد أحد أبناء سلالة الامبراطور ثيودور لحكم القسطنطينية .

وتنتهي حولية فيلها رين فجأة نوعا ما بموت المركيز دي مونت فرات في ١٢٠٧ وحقيقة أن هنري فخالانسيان في كتاب (تاريخ الامبراطور هنري) قد أكمل حكاية رومانيا من النقطة ذاتها التي انقطعت عندها رواية فيلها رين ، توحى بأن النهاية المفاجئة للاستيلاء على القسطنطينية تعود إلى وفاة المؤلف ، وتاريخ هذا الأمر غير مؤكد ، وهناك أدلة على أن فيلها رين كان ما يزال حيا في ١٢١٢ وكان ما يزال في رومانيا حيث يحتمل أنه بقي بقية حياته ، والوثائق المتعلقة بالتبرعات في ذكراه وذكرى زوجته تقدم الدليل .

على أنه قد توفي في وقت ما قبل حزيران ١٢١٨ وفي كل الأحوال فإنه قد عاش بما يكفي لكي يرى الامبراطور هنري أكثر حكمة وبعد نظر من أخيه سيء المصير ، وقد استرضى الروم باعطائهم حصّة جيدة من التمجيد والمناصب وتحقيق السلام في هذا الجزء من الامبراطورية الذي ما زال باقيا له .

إن الاستيلاء على القسطنطينية هو أحد مصابنا الرئيسة للمعلومات حول مجرى أحداث الحملة الصليبية الرابعة (١) ولكنه

أيضا تذكاري لائق لواحد ممن كانت ممارستهم المستمرة لفضائل الفروسية من الولاء والشجاعة تعطيهم مكانا بين أنبل الشخصيات في أيامه ، رجل ذو مبادئ دينية ثابتة ، وكان واجب فيلهاردين تجاه الرب كما رآه هو أن يخدمه بالاخلاص الذي يخدم به التابع الجيد أميره ، وفوق وبعد كل ذلك الاعتراف بأن كل الأحداث ، سواء كأدلة على رضا الرب أو عدم رضاه هي بمشيئته ، والاخلاص للرب علاوة على ذلك يستتبع الوحدة التامة للسلوك ، وكل خرق للعقيدة ، وكل الأعمال السرية وأفعال الخيانة وكل الاشتهاة والجشع والبحث عن الذات ، ليست فقط مضادة لقوانين الفروسية بل انتهاكات للقانون الالهي ، فإذا كان الرب الذي يخدمه فيلهاردين « هورب المعارك » وإذا كان يقبل دون سؤال تصديق ممثل البابا على الحرب ضد المسيحيين الروم كحرب عادلة ومقدسة ، مع أننا قد نأسف على المكان الصغير الذي يحتله الحب والرحمة في دينه ، إننا لا يمكننا أن نشك في الاخلاص في عقيدته .

وبالقدر نفسه في خدمته للذين يدين لهم بولائه الدنيوي فإن فيلهاردين يفسر واجبه بأنه شيء أكثر من الطاعة العمياء ، رجل ذو أخلاق قوية وحكم راسخ ، إنه لا يخشى أن يظهر عدم موافقته على الخلاف بين الامبراطور بلدوين والمركيز دي مونتفرات ، ولكنه يتدخل بشهامة ليرأب الصدع ، وفي هذا كما في أمثلة أخرى في كل الحولية كان همه أن يعمل من أجل الخير المشترك للجميع .

وكانت الشجاعة تلك الصفة الأساسية الأخرى للفارس كما فهمها هي نشاط منظم ، انها لم تتكون من اغماض المرء عينيه أمام المخاطر ، وهناك الكثير من التلميحات في عمله إلى المخاطر التي تعرض لها هو وزملاؤه الصليبيون ، وهي لا تختلط وتتشوش مع الجفاف ، الذي كما كان في حالة القتال المفجع في أدنة يقود الرجال للمجازفة ليس فقط بحياتهم بل بالمغامرة التي التزموا بها ، انها في الواقع المقدرة على القيام بتقويم هادئ ومتوازن للخطرون الاستسلام للخوف ، ومثل هذه الشجاعة هي شجاعة فيلهاردين ،

ومع ذلك هي ثابتة بشكل طبيعي حتى أنه كان يأخذها على أنها ليست شيئا يتباهى به ، وقد روى كل مغامرة كانت تتعلق به كواحدة كان لرفاقه البواسل حصة كاملة فيها .

وكان رجلا نو حكم واضح متوازن صارم متزمت صموت أو كتوم بطبيعته ، لقد تميز فليها ردين بالبساطة ووضوح الفكر في عمله لا اقحام لشخصيته ولا تحليق في الخيال ولا أوصاف طويلة تصويرية كتلك التي كان يسر معاصره روبرت دي كلاري بها وتدخل لتقطع خط القصة الواضح الذي يفرض اهتمامنا بعرضه البارع للحقائق ، وكرجل بولة في فهمه لتحولات حملة بدأت كحملة صليبية وانتهت كحرب ضد المسيحيين واضح وظاهر باختياره الماهر ومعالجته لمأنته ، والمضمون السياسي لكل تحول في الأحداث لكي يؤدي إلى فعل آخر ، وهذا دون حاجة لتعليق أكثر مما يلزم لجعله واضحا ، لقد كان جنديا كما كان رجل بولة وهذا الشعور بالترتيب والنظام كان جزءا ملازما لرجال مهنته ، وهو يبدو بوضوح وبساطة في روايته الصريحة والدقيقة عن الخلافات ضمن الجيش وأيضا عن الانشغال الكثير في النزاع الطويل بين الفرنجة والروم .

ومع ذلك من أجل الرصانة العامة في شرحه للمجرى غير الثابت للحملة الصليبية الرابعة ، لا ينقص عمله بأي حال الحيوية ، وعندما على سبيل المثال تنتقل قصته من المؤتمرات والأمور الروتينية الأخرى إلى ذكريات الجيش في الحملة إن التضاد بين تصويره الحي الدراماتيكي لأقذارها وعرضه الأكثر هدوءا للأحداث الأخرى في عمله ، يعطي الضوء والظل لحولية لا تختلف مطلقا في بساطتها بل تغير نغمتها وإيقاعها كما تتطلب المناسبة ، وبالنظر إلى هذه الحولية ككل مع تذكر أن فيها ردين كرائد بين المؤرخين الفرنسيين لم يكن لديه دليل آخر فيما عدا نزعته المحلية الأصلية يمكننا فقط أن نعجب من مهارة ذلك الجندي ورجل الدولة الذي ينظم وينشر الوقائع مثلما يفعل القائد الخبير بقواته ليضع هذه القصة ذات الآمال العالية الخائبة بمثل هذه الحيوية أمام أعيننا .

وبعد اخفاق الحملة الصليبية الرابعة في بلوغ هدفها الاول ، انقضى بعض الوقت قبل القيام بمحاولة أخرى لكسر قوة المسلمين ، ثم في ١٢١٨ عبر جين دي بريين الملك الاسمي للقدس والحاكم الفعلي لمملكة عكا الصغيرة البحر إلى مصر ، وبعد حصار طويل استولى على دمياط في تشرين الثاني من السنة التالية ، وبعد ذلك بعامين، وكان قد حقق القليل في ذلك الوقت، أحضر جيشه إلى الخليج حيث غمر سلطان مصر الأراضي المنخفضة في حوض النيل فاضطر إلى الاستسلام واعادة دمياط إلى المسلمين ، ولم يعط أي بابا بركته للحملة الصليبية السادسة ولم تباشر بناء على أي باعث ديني ، وكان قائدها الامبراطور فريديريك امبراطور المانيا الذي كان محكوما عليه بالحرمان الكنسي في ذلك الوقت قد أبصر إلى عكا في أيلول ١٢٢٨ ليطالب بمملكة القدس لنفسه بحق زواجه من ابنة وريثة جين دي بريين . لقد كان جيشه صغيرا ، وقد استقبل استقبالا فاترا من قبل بارونات بلاد ما وراء البحار ، ولكن ما لم يستطع أخذه بقوة السلاح تدبر أمر تأمينه بالدبلوماسية . وفي شباط ١٢٢٩ بعد مفاوضات طويلة نوعا ما مع السلطان وقعت اتفاقية يافا ، التي أعطت فريديريك ملكية كل القدس باستثناء مسجد عمر واستعادة المسيحيين ليافا وبيت لحم والناصره إلى جانب السيادة على تيرون وصيدا .

وهز هذا التسليم الاعتباطي لمذنبهم المسلمين وصدمهم ولم يكن المسيحيون من جانبهم أقل غضبا من الشروط التي مكنت الكفار من الوصول إلى القدس مع تركها غير محصنة ، وبقي العداء بين المسلمين والفرنجة ، وفي ١٢٤٢ سقطت المدينة مرة أخرى في أيدي المسلمين .

وبعد أن بلغت أخبار هذه الكارثة إلى أوروبا بوقت قصير ، سقط الملك لويس التاسع ملك فرنسا مريضا بشكل ميئوس منه وعلى فراش مرضه نذر أنه إذا استرد عافيته بمعونة الرب فسيمضي بنفسه في حملة صليبية لاستعادة القدس . وكانت هناك شؤون ضاغطة

يجب تسويتها في الوطن أولا ، وهكذا انقضت أربع سنوات قبل أن يترك باريس في آب ١٢٤٨ في المرحلة الأولى من رحلته إلى الشرق .

ولم تصل هذه الحملة الصليبية السابعة مثل معظم الحملات التي تقدمتها إلى القدس ، فعلى الرغم من شجاعته الشخصية وقدرته على إلهام شجاعة مماثلة للآخرين ثبت أن مهمة إخضاع المسلمين في مصر كبيرة جدا على رجل كان قديسا أكثر منه عسكريا حقيقيا ، ومرة أخرى غرقت آمال الصليبيين في النيل ، ووصلت حملة الملك التالية إلى الأراضي المقدسة إلى نهاية مفاجئة ، بالتعاقب في مملكته التي حتمت عودته إلى فرنسا ، حتى لو أنه بقي هل كان محتملا أن يتمكن من تحقيق شيء . إن بارونات ما وراء البحار المتعجرفين والمستغلين لم يتقبلوا قط بشكل طبيعي التدخل من الغرب . وبعد أن أفادوا من مساعدة الملك الفرنسي في استعادة بعض مدنها وإعادة تحصينها ، أصبحوا فقط مستعدين جدا ليؤكدوا له بأنهم ليسوا في حاجة لمزيد من مساعدته ، علاوة على أن النبلاء الفرنسيين وقد تعبوا من الحرب التي لم يروا فيها أي نفع مأمول لأنفسهم ، كانوا لزمان طويل يحثون الملك على العودة إلى فرنسا وبعضهم وبينهم أخوة الملك كانوا قد تركوا الشرق من قبل .

وبعد سنوات عديدة جعل استرداد انطاكية ١٢٦٨ الملك لويس يفكر في حملة صليبية جديدة ، وكان أخوه شارل وقد أصبح الآن ملك صقلية ، لديه مطامع في أن يصبح هو نفسه حاكما لامبراطورية متوسطية فحرض الملك الساذج غير النزاع إلى الشك بدرجة كبيرة على أن يبدأ بهجوم على المسلمين من شمال أفريقيا . وكان هذا في الحقيقة أمرا شريرا أن يشجع رجلا في مثل هذه الحالة من الضعف الصحي على القيام بأي حملة .

وفي تموز ١٢٧٠ نزل الملك لويس وهو مريض إلى الشاطئ في قرطاج ولكنه سرعان ما سقط ضحية الطاعون ومات في تونس في ٢٥ آب ، ودفع شارل وعاد إلى صقلية ، وكان الأمير أنوارد

أمير انكلترا (الذي أصبح فيما بعد أدوارد الأول) قد وعد بالانضمام إلى الملك لويس في تونس وقد وصل بالفعل إليها بينما كان الفرنسيون يغادرونها ، وبعد ذلك بقليل أبحر إلى عكا ولكنه وجد حالة الأمور في بلاد ما وراء البحار سيئة جدا بدرجة لا تسمح له بأن يقوم بأي شيء هناك سوى المساعدة على تنظيم هنة منتها عشر سنوات مع المسلمين ، ومن ذلك الوقت وما بعد استمر القتال بين المسلمين والمسيحيين في الشرق ، ولكنه لم يجنب سوى القليل من الاهتمام في الغرب وحدد سقوط عكا في ١٢٩١ نهاية الحكم المسيحي في بلاد ما وراء البحار .

وفي السنوات التي أعقبت موت الملك لويس ظهر أكثر من تقرير حول حكمه الخير وحياته القدسية ، وكتب اثنان من التواريخ من قبل كاهن اعتراف الملك وليم دي بوليو الذي كتب باللاتينية ورواية بالفرنسية تم تأليفها بعد بضع سنوات نقلا عن الروايات الأخرى من قبل واحد اسمه غوليوم دي نانجيس وقد بقيت نصف منسية على رفوف المكتبات العلمية ، وهناك ثلاثة مازالت معروفة على نطاق واسع ومقروءة ، وترجمت من قبل عدة مرات إلى الانكليزية وهي المقدمة هنا في نص جديد بعنوان « حياة القديس لويس » ، وكان مؤلف هذه الحولية مثل فيلهار دين مواطن من شامبين والابن الثاني لسيمون أمير جوفانفيل ، وهو رجل نبيل ذو منزلة رفيعة كوكيل أمير الاقليم ، ولد في حصن امارة والده فوق مدينة جوفانفيل الصغيرة على المارن ولم يكن الأول في أسرته الذي يذهب في حملة صليبية ، فقد كان جده جيوفردى ضمن الجيش الذي حاصر عكا في ١١٨٩ ومات هناك قبل أن يستولي الصليبيون على المدينة . وانضم اثنان من أعمامه جيوفروي وروبرت إلى الحملة الصليبية الرابعة وصحب روبرت وهو الذي التقى به فيلهاردين وهو في طريقه عائدا من البننقية غوتيردي بريين إلى أبوليا ، ويقال إنه مات هناك ، وذهب جيوفري إلى سورية وقتل في ١٢٠٣ في معركة قلعة القرن . ويثنى شعر من تأليف غي دي بروفنس على شجاعته الرائعة . وحافظ الصبي الذي استمع إلى قصص مآثر أقربائه في

حياته التالية على تمجيد ذكراهم . وفي عودته من حملته في بلاد ما وراء البحار أحضر درع عمه جيوفري ليعلقه في كنيسة سانت لوران في جوانفيل ووضع لوحة هناك نقش عليها بكلماته اطراء للأعمال الجيدة للرجال من أسرته في الوطن وفي الحروب الصليبية .

وسيمون والد مؤلفنا الذي خلف أخاه جيوفري أميرا على جوانفيل قد شارك في الحملة الصليبية ضد الألبان وحارب، فيما بعد مع جيش جين دي بريين في مصر ، وكان هناك عندما سقطت دمياط ويذكر ابنه قصص أبيه حول ذلك الحصار الصعب ويقارنه بالاستيلاء السهل على دمياط من قبل الملك لويس ، وبين ذكريات أخرى حول طفولته في ليلة معينة في ١٢٣٠ عندما ترك سيمون الحصن وأسرع لاغاثة ترويس ، وكان الصبي في أوائل العقد الثاني عندما توفي أبوه وكان ابن سيمون الأكبر قد توفي من قبل ، وهكذا أصبح جين أميرا على جوانفيل وأدارت أرملة سيمون التي يبدو أنها كانت امرأة ذات شخصية قوية الأملاك خلال فترة حداثة ولدها ، وأعدته للوقت الذي سيصبح فيه كبيرا بدرجة تكفي لمزاولة واجبات أمير شامبين وهم منصب كان يشغله أمراء جوانفيل لأجيال عديدة . وفي هذا التاريخ بالذات لم تكن مثل هذه الواجبات مرهقة ، ولم يعد يدعى لإدارة العدل ضمن الاقليم أو للتحكم في الترتيبات الداخلية في قصر أميره ، وكانت وظيفة نائب الأمير الرئيسة هي أن يقف على خدمة أميره في مناسبات الاحتفالات الخاصة ، بالإضافة إلى أن يعرف كيف تدار مثل هذه الشؤون مع انتباه متوجب للأمور ذات الأولوية ، وللطرق الصحيحة للسلوك ، والطرز المناسب للباس .

وكان الفتى وهو بعد أصغر من أن يصبح فارسا يقوم بقطع اللحم للكونت دي شامبين في الوليمة في القاعة الكبرى في سومور في ١٢٤٧ ، وكان على معرفة جيدة سنالفة بواجبات منصبه ، وفي السنوات التالية سيظهر تأثير تدريبه المبكر كنائب للأمير في تسجيله لكثير من الأمور الغريبة التي رآها وسمع بها خلال مدة إقامته في الشرق .

وعلى ما يبدو أنه كان في سومور أن حصل جوانفيل على النظرة الأولى الى الرجل الذي كان له أن يحدث مثل هذا الأثر في حياته ، ولكنه حتى الآن الى حد ما اعتقد لم يكن قد أصبح في تماس شخصي وثيق مع الملك لويس حتى أصبحا معا في الحملة الصليبية ، وعندما قرر الانضمام الى الحملة الصليبية ، في ١٢٤٨ كان هناك شك صغير في أن رغبته في اتباع المثل الذي وضعه الأمراء السالفون لجوانفيل كان العامل المحدد في خياره . وفي هذا الوقت كان ما يزال يعتبر نفسه تابعا للكونت دي شامبين . ورفضه الخروج على العادة الاقطاعية بأداء قسم الولاء للحاكم الذي على رأس أميره دلالة واضحة على علاقته مع الملك لويس قبل أن يلتقيا في قبرص . وكان ارتباطه الوثيق بالملك مقدرا له أن يأتي وأن يوحى بكتابة تاريخه .

وتختلف حياة سانت لويس كثيرا في خصائصها وتركيبها ومحتواها عن رواية فيلها ردين المرتبة المتسمة بالحكمة عن الحملة الصليبية الرابعة ، وبصرف النظر عن القسم الذي يتعامل مع الأحداث الأولى في حكم الملك فإن تفاصيل قليلة مثل الأوامر الموجهة لحكومة مملكته وكلماته الأخيرة لابنه ، وحفنة من الحكايات قد استعارها جوانفيل جميعا من الحوليات الأقدم وهي بالأحرى مجموعة من الذكريات والخبرات الشخصية الماضية أكثر منها تاريخا بالمعنى الصحيح للكلمة . وترتيب جوانفيل لعمله علاوة على ذلك في القسم الأول مليء بصور لورع الملك ولادارته العادلة ، ويتبعها تغطية ثانية مفصلة تقريبا ، لقصة حكم الملك لويس ولأجازته الأخيرة كقديس وهي قصة لامفر من أن تؤدي الى تكرار كثير .

وبعض الخلاف بين هاتين الحوليتين يمكن بلا شك أن يعزى الى حقيقة أن الأقدم منهما هي من عمل رجل في ربيع الحياة والأخيرة من عمل رجل يزيد كثيرا عن الثمانين . وباعتراف الجميع كان جوانفيل كثيرا ما يكون ثرثارا كما هم المسنون ويميل كالعجائز الى تكرار نفسه ومع ذلك كما ينظر المحارب المحنك الى الوراء عبر نصف قرن وأكثر الى الأيام حيث حارب وعانى الى جانب ملكه المحبوب

فإن جدة وحيوية سجله للخبرات الماضية يجعلنا ندسى عمره ، انه مايزال في الواقع ذلك الفارس الفتى العنيف المتلهف الذي خرج منذ زمان طويل في رحلة الى ماوراء البحار ، ومايميز عمله بشكل خاص في الواقع عن عمل فيلهاردين هو في الحقيقة خلاف في المزاج ووجهة النظر بين هذين المؤلفين أكثر منه هو قارق بين سنواتهما .

وخلافا للمؤرخ الأقدم ، الذي كان عمله مصمما لبيان الأهمية السياسية للأحداث ، وقد بذل إهتماما فقط للأعمال التي شغلت واجهة المسرح واهتمام جوانفيل الأكثر في تأثير الأحداث على الناس الذين كانوا يشاركون فيها يملأ خلفية تركها فيلهاردين غامضة ، وهكذا في تصوير معركة ، بدلا من أن يعطى كما فعل فيلهاردين نظرة عامة عن تقدمها ، يأخذنا جوانفيل الى قلب الصراع ليبين في سلسلة من الحوادث الصغيرة التي تؤثر على الأفراد أو جماعات الناس ردود الفعل المختلفة للناس الذين قاتلوا في تلك الحملة الشرقية المريعة ، وإذا حدث في إحدى المناسبات أن تحدث عن مؤتمر فانه لايقنع بتسجيل القرار النهائي ، بل يوسع مآخذ يورده فلهاردين في جملة موجزة الى رواية تفيض بالحيوية للتبادل في الرأي بين الناس ذوي العلاقة ، وفي الحقيقة نجده يلج في سائر مواد حوليته على الجانب الانساني في قصته ولكونه المراقب الفضولي من الجنس البشري في أي شكل أو صورة وجد جوانفيل يجد متسعا في عمله لمثل تلك الأشياء كالعادات الغريبة وملابس العدو وعلوم الدين لدى الانسان القديم الجبلي ، وتدريب حرس السلطان أو عادات الدفن البدائية للكومان ، ولم يقتصر اهتمامه على الكائنات البشرية اذا لفت أي شيء انتباهه عرضيا اهتم به وتحدث عنه وليكن ذلك سمكة مستحاث أو منابع النيل الاسطورية أو قوس ونشاب عتيق الطراز ، فقد كان هذا الرجل وهو نصف صليبي ، نصف رحالة باحث .

وللمنهج الوقتي الذي يتبعه في كل حوليته مساوئه ولكن هذا يمكن

أن يعوض بالصورة المليئة بالحيوية التي يعطيها لزمانه ولطرق الحياة في الشرق .

ومن الحوليات التي تختلف في طرق كثيرة جدا فان من المعقول ان يتوقع المرء أن تظهر صورة مختلفة نوعا ما لكل مؤلف . وهذه هي الحالة الى الحد الذي يقدم فيه فيلهاردين الشخصية المثالية لفارس في سلاحه الكامل في حين يكشف جوانفيل عن الرجل الطبيعي في داخله . ان الطريقة الصريحة والبسيطة التي يتكلم بها عن حزنه عند رحيله عن قصره وأطفاله وعن الشكوك والخاوف التي ساورتها في مجرى القتال وتراجعها عن الموت بأيدي المسلمين ، يضع في دائرة الضوء انفعالات شائعة ولكن لايعترف بها الناس بأمانة ، الناس ذوي المشاعر من الذين عانوا من محنة الحرب الصعبة ، وفي روايته المتواضعة عن دورة في مختلف العمليات في الشرق وأطراء الشجاعة التي أبداهها رفاقه برهان على أنه كان بالطبيعة شجاعا وكريما بقدر ماكان حساسا ومخلصا ، واذا أخذنا في الاعتبار أيضا ولاء جوانفيل الذي لم يفتر للملك الذي كان يخدمه ، وقوة الشخصية التي أظهرها في أكثر من مناسبة ، والعناية المفرطة التي تنذر في رجل من طبقته نحو الصليبيين الأكثر تواضعا الذين بقوا في الأسر ، واحساسه بالمسؤولية من أجل رخاء الناس في ممتلكاته الخاصة فيه برهان أن هذا المؤرخ العجوز المختلف جدا عن فيلهاردين في طريقته في معالجة مادته ، كان رجلا متماسكا بكمال ومع أنه انساني أكثر حرارة لم يكن فارسا أقل شهامة .

وتحوي حياة القديس لويس عند النظر اليها ككل ، الكثير مما ليس له ارتباط ، أو كان قليل الارتباط بالموضوع الذي قدمه جوانفيل في تكريس المبدأ ، ومع ذلك ومع كل تلوينه حقق العمل أهدافه في اعطاء الشرف الكامل لذكرى ذلك الملك الصالح ، وفي الحقيقة ان شدة تلهف هذا الصديق والحواري للقديس لويس على اضفاء التقدير الموائم على أميره المتوفى ، والذي يصبه في حوليته صورة بعد صورة عن فضائله الكثيرة - كان نصفها - أكثر من

كاف ، وهذه الزيادة في الحماس أكثر ظهورا في الأجزاء من العمل التي يتعامل مع حياة الملك في الوطن والتي يظهر فيها ورعه الدائم وعبادته الله في السر والعلن ، واحسانه وسخاء يده وحبه لشعبه ، المجال الواسع الذي يمنحه للعدل في مفهومه لواجبات الحاكم ، وقد سجل لها بتطويل أكثر من اللازم ، وفي القسم الذي يتعامل مع الأحداث في بلاد ماوراء البحار تظهر شخصية الملك بشكل أكثر درامية من الأحداث التي تصور ، بين أشياء أخرى ، شجاعته المقدامة في المعركة ، وتحمله الصابر للمرض وثباته في وجه الهزيمة ، ومحاكمات الأسر القاسية وهو هنا في الحقيقة كما يصوره جوانفيل قائد يضع مثاله الشجاعة في القلوب الواهنة ويلهم حبه لرجاله ويبعث فيهم اخلاصا مشابها ، وهو أيضا ملك لا يستند على هيئته بل هو رجل يمكن التحدث معه لابل حتى المزاح كصديق .

هكذا كان الملك الذي أحبه جوانفيل وبجله ولكن ليس بشكل أعمى ، ولكونه دائما الخادم الوفي لسيدته احتفظ بحقه في الحكم على أعمال سيده وهكذا في حين وافق بشكل عام على سمات شخصية ملكه المستقلة كما بدت مثلا في رفضه أن يدع ضميره لحكم الأكليروس ، لم يكن جوانفيل متأكد تماما من أنها كانت حكمة من أميره أن يتجاهل النصيحة من الذين السوا عليه في أن يتبع « العادات الطيبة للأراضي المقدسة » في توزيع الغنائم في دمياط ومع امتلائه بالاعجاب بورع ملكه كما كان ، مع ذلك اعتبر أنه غير لائق به البقاء متعبدا في كنيسته عندما كانت الطيبة والكياسة تتطلب منه أن يذهب للقاء زوجته عند وصولها الى صيدا بعد وقت قصير من وضعها مولودا ، وبالمناسبة فإنه لم يتردد حتما في التحدث بصراحة مع ملكه كما على سبيل المثال عندما وافق على البقاء فترة أطول في خدمته شريطة أن يتحكم الملك من جانبه في مزاجه في تلك الفترة نفسها، وهكذا أيضا عندما أهدى راعي دير كلوني الملك مهرين جميلين ثم جاءه في اليوم التالي ليعرض أمامه قضيته ويسأل جوانفيل أميره عما اذا كان حكمه قد تأثر بتلك الهدية ، وعندما سمع أنه قد تأثر اغتنم جوانفيل فرصته بأن نصح الملك بأن يمنع كل

- ٤٣٩٠ -

من له علاقة بإدارة العدل في مملكته من قبول هدايا من أشخاص ممن يمثلون أمامهم للتقاضي لنألا يتأثروا بالطريقة نفسها .

وفي حين تساعدنا هذه الأمثلة على أن نرى في بطل جوانفيل كائنا بشريا أكثر منه قديسا مهيبا انها ليست موجهة ولا يجب أن تفسر هكذا - للقدح في ذكرى أمير مبجل وصديق ، وتقف قصة جوانفيل حياة القديس لويس كوفاء وتقدير جدير بملك ، وما يجب أن يحمل الفارس نفسه عليه ، وكيف يحكم رجل في السلطة الشعب الموكل اليه ، ولم يكن كل حبه واحترامه لهذا الملك اقل من حزنه على فقد مثل هذا الصديق العزيز الذي يجد تعبيرا ساميا في حلم جوانفيل بالقديس لويس والذي يأتي كخاتمة مناسبة لهذا الكتاب .

ويأخذنا كتابا فيلهاردين وجوانفيل وفق ماقاله السير فرانك مارزيالس الى الورا مسرورين الى وسط أمور قديمة منسية قد مضى زمانها ومع ذلك فلن أمضي بعيدا جدا الى حد التمسك مع ذلك المترجم الأقدم بأن الاهتمام بالنسبة لنا اليوم يكمن كليا تقريبا في اشارته الحية للماضي. ولا أنا اتفق معه في الاعتقاد بأن النص « يتبع الاسلوب الفرنسي بشكل اقرب مايمكن باستعمال اسلوب ادارة الكلام ومجموعة المفردات القديمة أو التي توحى بالقدم » بل هو محسوب بالشكل الأفضل ليعطي القارئ الحديث انطبعا كاملا وحقيقيا عن كتابيهما .

وبالنسبة لفكري انه بصرف النظر عن أهميتهما التاريخية الحقيقية جدا ، لهاتين الحوليتين القديمتين قيمة دائمة كوثائق بشرية ، نجد فيها كم هو قليل التغيير الذي ألم على مر العصور بروح الانسان وطرازه السلوكي في أزمنة الطوارئ ، وصحيح أن لهما سمات معينة تميزهما عن المؤلفات التي تكتب اليوم ، ولكن كم هو في الواقع مقدار هذه الفروق ؟ إنها قليلة بدرجة كافية في أعمال فيلهاردين ، حيث أن طريقته الصريحة الواضحة في الرواية عن الحملات القديمة والطرز العتيقة للحرب وثيقة القرابة مع الطريقة

- ٤٣٩١ -

المتبعة من قبل قائد جيش يكتب مذكراته عن الحرب العالمية الثانية ، حتى أن حاجزا رقيقا فقط يبدو أنه يفصل بين فرسان ذلك القرن البعيد وبين رجال العلمين ، ولم تعد نظرة الاستغراب من حين لآخر لدى جوانفيل في اطلالته على العالم من حوله ، وقبوله الساذج للأفكار شائعة في عصرنا الأكثر تعقيدا والأكثر علمية في تفكيره ، وهي باقرار الجميع اصداء لماضي بعيد ، وبالنسبة لبقية حوليته مع ذلك ان مثل تلك الأضواء الجانبية الهامة كما تسلطها على المواقف الفكرية في القرن الثالث عشر تقع في مكان بشكل تفصيلات الخلفية ، وفي الواجهة لدينا قصة مثل قصة فيلهاردين تضع امامنا الفكرة النموذجية لخدمة الفروسية التي عليها تأسست مفاهيمنا عن الانسان المتحضر ، وايضا في روايته المثيرة عن جيش سيق الى الهزيمة والأسر ، إنها تصور مخاطر الحرب بألوان حية واضحة لم يستطيع مرور الزمان أن يفقدها بريقها .

والكثير بالنسبة لمحتوى هاتين الحوليتين أي صورة هي الأفضل لنقل معناها الى القارئ الحديث ؟

في رأيي إن الرواية التي تحاول تقليد اسلوبها العتيق الذي فيه بين اشياء اخرى مجموعة الألفاظ محبوبة جدا حتى ان الكلمات نفسها تعاد بتواتر رتيب والعبارات كثيرا ما تكون غير محكمة البناء وترتبط ببعضها بما لا يحصى من - و - بعيدة جدا عن ان تعطي انطبعا عن قيمتها الثابتة ، ويمكن فقط ان تؤكد بافراط الفروق العرضية بين عصرهم وعصرنا ، وبالتالي ، وبتشجيع من المثل الذي قدمه المترجم الخبير السيد تويل كوغيل في روايته المعاصرة من قصص كونتربري صنفت على النمط نفسه ترجمتي بلغة اليوم محتفظا فقط ببعض الاصطلاحات العتيقة حيث لا يوجد مكافئ لها في الانكليزية الراهنة ، ومنوعا مجموعة الألفاظ باستعمال حر للمترادفات ، وعندما تدعو الحاجة معطيا للعبارة تحولا أكثر حداثة ، وحاولت مع تغيير طفيف في الصياغة الاصلية بقدر

- ٤٣٩٢ -

الامكان ، ومع انتباه دقيق لحفظ النبذة الصحيحة والمعنى ، تقديم هاتين الحوليتين القديمتين بالاسلوب الدارج في الحياة اليومية .

وأقول دارجة لأن كلا من هذين العاملين قد أملي (١) وبالتالي يحمل سمة لغة التكلم وكان المؤلفان كلاهما رجلا من ذوي النشأة المهذبة ، ولكن كلاهما يختلف في نغمته تبعاً للمزاج والحالة لكل متكلم ، وهكذا نجد في عمل فيلهاردين الطراز الوقور الموزون ، وأحياناً الطراز الرسمي للكلام الذي يناسب رجل له شخصيته الصارمة في المنصب الرفيع ، في حين جوفانفيل المتحرر من هذه الاهتمامات الأمر الذي لم يكن غالباً هو الحال بالنسبة لمارشال رومانيا ، يعطي تعبيراً عن طبيعته الأكثر اعتدالاً في اسلوب سهل أكثر الفة مشابهاً للحديث الودي بين رجال حول مائدة عشاء ، أو قرب المدفأة وإلى أي مدى نجحت في المهمة الدقيقة في التوفيق بين الصور والخلافات في هذه الترجمة ، ان هذا يجب ان يترك للقارئ للحكم عليه .

وفي الختام أحب أن أقول كم أنا مدين للدكتور ي . ف . ريو محقق كلاسيكيات بنغوين الفصيحة الحكيمة ، حول المبادئ العامة والمساعدة الطبية التي قدمها لي في صعوبات خاصة قامت في مسار عملي

م . س . ي . س

الفصل الاول

الاحتشاد للحملة الصليبية الرابعة

١١٩٩ - ١٢٠١

في سنة ١١٩٨ لتجسيد ربنا ، عندما كان انوسنت بابا في روما ، وكان فيليب مازا افرنسا ورتشارد ملكا على انكترا كان يعيش في فرنسا رجل ذو شخصية قديسة يدعى فولك وكان في المراتب المقدسة وكاهنا في ابرشية نويلي وهي مدينة صغيرة تقع بين باريس ولاغني على المارن ، وبدأ فولك هذا نفسه في الوعظ بكلمة الرب في كل انحاء الجزيرة الفرنسية وفي الاقاليم الاخرى المحيطة واخرج الرب معجزات عذبة من اجله .

ان الروايات عن مواعظ ذلك الرجل الطيب كانت متداولة على نطاق واسع ، حتى ان اخبارها وصلت الى البابا انوسنت الذي ارسل بناء عليه رسالة الى فرنسا يامر فيها الكاهن الفاضل ان يدعو الى حملة صليبية باسمه ، وبعد ذلك بقليل ارسل البابا واحدا من كرادلته ، هو المونسنيور بيترو داكابوا الذي كان قد حمل شارة الصليب من قبل ليعلن نيابة عن قداسه تعهدا صنع على الشكل التالي : كل الذين يحملون الصليب ويقيمون في خدمة الرب في الجيش سنة واحدة سوف ينالون الغفران عن اي خطيئة ارتكبوها ، طالما انهم اعترفوا بها ، وقد تآثرت قلوب الناس بدرجة عظيمة بالتعابير الكريمة لهذا الغفران ، واندفع عدد كبير منهم بناء على ذلك للانضمام للحملة ، وفي بداية حلول السنة التي اعقبت تلك السنة التي بلغ فيها فولك الفاضل رسالة الرب نظمت مباراة للفرسان قرب قلعة اكرى في مقاطعة شامبين، وفي تلك المناسبة حدث بفضل الرب ان ثيوت كونت شامبين وبري انضم الى الحملة الصليبية بصحبة

الكونت لويس دي بلوا، وكان الكونت ثيبوت شابا في الثانية والعشرين من عمره ، في حين كان الكونت لويس في السابعة والعشرين تماما ، وكان الكونتان كلاهما احفاد وابناء ملك فرنسا واحفاد ملك انكلترا ايضا ، وقد اتبع مثلهما سيمون دي مونتفرا .

ورينو دي مونت ميرال وهما نبيلان من ارقى طبقة ، وكان الناس من كل انحاء البلاد متأثرين جدا عندما انضم للحملة رجال لهم مثل هذه المنزلة .

وكان الذين من مقاطعات الكونت ثيبوت واتبعوه هم : غارنير اسقف ترويس والكونت غوتير ديبيرين وجيوفري دي جوانفيل ونائب امير شامبين واخوه روبرت وغوتير دي فينوري وغوتيه دي مونتبلان رد ويوستاش دي كونفلاس واخوه غي دي بليزيير وهنري دي ارز بليير واوغير دي سانت شيرون وجيوفري دي فيلها ردين ووليم دي نللى ، وغوتير دي فولفني وايفرارد دي مونتغي ، ومانسيير دي ليل وما كائيردي سانت مينهولد ، ومليون لوهر بانث وغي دي شاب وابن اخيه كليرمبود ، ورينودي دامبير وجين فواستون وكثير من الشجعان الاخرين واصحاب الجدارة الذين لم تسجل اسماءهم هنا .

وكان الذين انضموا للحملة مع الكونت لويس جير فيه دي شاتيل وابنه هيرفيه وجين دي فيرسين واوليفين دي روشفورت ، وهنري دي مونتري ، وبائين دي اورليانز ، وبير دي براسيو ، واخوه هوغز ووليم دي سانز ، وجين دي فرييز ، وغوتير دي غونفيل وهوغ دي كورميري ، واخوه جيوفري ، وهيرفيه دي بوفوار وروبرت دي فروفيل واخوه بيير ، واوري دي ليل ، وروبت دي كارتير وكثيرون اخرون لم يذكرنا هنا بالاسم .

وانضم للحملة في جزيرة فرنسا نيفلون اسقف سواسون بصحبة



مائيودي مونتمورتسي وابن اخيه غي ، وشاتلان دي كوسي ،
وروبرت دي رونسوا ، وفيري دي بيير ، واخوه جين ، وغوتير دي
سانت دينيس ، واخوه هنري وليم دي اونوا ودرية دي كريسيو
نساك ، وبرناردي موريل ، وانفراند دي بوف ، واخوه روبرت ،
وعدد من الناس الطيبين والشجعان الذين لم ترد اسماءهم هنا .

وفي يوم اربعاء الرماد لحظة بداية الصوم الكبير التالي في مدينة
بروغ انضم الكونت بولوين دي فلاندر ، ودي هينوت الى الحملة
مع زوجته الكونتسه ماري وهي اخت الكونت دي شامبين ، واتبع
مثالهم اخو الكونت بلدوين هنري وابن اخيه تييري وابن الكونت
فيليب دي فلاندرز ، وكذلك ايضا وليم ومحامي بيثوم واخوه
كونون ، وجين دي نسلير ، وحاكم بروغ ورنيير دي تريت ، وابنه
رينيه وما تيودي والتكورت ، وجاك دي فيسنس ، وبلوين دي
بوفوار ، وهوغ دي بوميتز وجيرارد دي ما نسيكورت وبوردي هام
وليم دي كومنغيس ، وديزيدي بيوتران وروجيرده مارك ويوستاش
نوسوبرويك وفرانسوا دي كوليمي وغوتيردي بوسي وارنيير دي
مونس وغوتير دي تومب وبرناردي سوبربخيان ، وعدد كبير جدا
من الوجهاء ممن لم يذكروا هنا بالاسم .

وبعد ذلك بقليل انضم للحملة الكونت هوغ دي سانت بول ومعه ابن
اخيه بيير دي اميانس ، ويوستاش دي كانتلو ، ونيكولاس دي
ساميلي ، وانسو دي كايو ، وغي دي هودان وغوتير دي نيل
واخوه بيير وعدد من الرجال الاخرين ممن لاعرف اسماءهم .

وبعد ذلك ايضا انضم للحملة الكونت جيوفري دي برش مع اخيه
اتين ، وروترودي مونترفرا وايف دي لاجايل وايمري دي فيلروا
وجيو فري دي بومونت واخرون عديدون لاعرفهم بالاسم .

وبعد ذلك عقد البارونات مؤتمرا في سواسون ليقرروا متى يشرعون
بالحملة وفي اي اتجاه يسيرون ، وفي ذلك الوقت مع ذلك لم يكونوا

قادرين على الوصول الى قرار لانه لم يكن بدا لهم انه حتى ذلك الحين قد انضم عدد كاف من الناس الى الحملة ، وقبل شهرين من انقضاء تلك السنة نفسها اجتمعوا مرة اخرى في مؤتمر في شامبين ، وكان كل الكونتات والبارونات الذين انضموا للحملة حاضرين في هذا الاجتماع الذي عرضت خلاله عدة وجهات نظر مختلفة ودرست ، وفي النهاية تم الاتفاق على انهم سيرسلون افضل مايمكنهم ايجاده من المبعوثين ليقوموا بكل الترتيبات لهم مع تفويض تام باقرار مايجب فعله ، تماما كما لو كان امراؤهم موجودين باشخاصهم ، وكان من المبعوثين المختارين اثنان عينهما ثيبوت كونت دي شامبين ودي بري ، واثنان عينهما الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينوت واثنان عينهما الكونت لويس دي بلوا ، وكان مبعوثا الكونت بلدوين هما كونون دي بيتون والاردماكير ومبعوثا الكونت لويس هما : جين دي فرييز وغوتير دي غود نفيل .

ووضع البارونات ادارة الامر كله كلية في ايدي هؤلاء المبعوثين الست ، وتأكيذا لذلك اعطوهم صكوكا مرتبة كما ينبغي مع اضافة الاختتام ، ولضمان التزام كل البارونات بدقة بأيما اتفاق قد يدخل فيه مبعوثوهم في اي من الموانئ البحرية او الاماكن الاخرى قد يحدث ان يذهبوا اليه .

وهكذا انطلق المبعوثون الست في مهمتهم ، وبعد مناقشة الامر بين انفسهم وافقوا بالاجماع على انهم سيجنون عددا اكبر من السفن في البندقية مما في اي ميناء اخر ، وعليه امتطوا خيولهم وركبوا يوما بعد يوم حتى بلغوا غايتهم في الاسبوع الاول من الصوم الكبير .

الفصل الثاني

معاهدة مع البنادقة

نيسان ١٢٠١

كان نوح البندقية رجلا قديرا بالغ الحكمة يدعى انتكيو دانبولو وقد منح المبعوثين الفرنسيين شرفا عظيما ورحب هو والناس في مقره بهم ترحيبا قلبيا ، ومع ذلك عندما سلمت الرسائل التي كانت معهم في حينه كان فضول أهل البندقية شديدا لمعرفة ما هو العمل الذي جاء بهؤلاء المبعوثين إلى بلادهم اذ ان الوثائق التي قدموها كانت مجرد كتب اعتماد تذكر فقط ان حاملها يجب ان يعتبروا كما لو كانوا الكونتات بأشخاصهم ، وأن هؤلاء سيقبلون بأي اتفاقات يرى مبعوثوهم الست أنها يصح اتخاذها ، وطبقا لذلك قال الدوج للمبعوثين : أيها السادة لقد قرأت رسائلكم ونحن نعترف تماما بأن أمراءكم هم أعلى طبقات الرجال باستثناء الملوك فقط ، وهم يطلبون منا أن نثق بكل ما تقولونه وأن نعتقد بأنهم سيؤكدون أي ترتيبات تتخذونها معنا . لذا يرجى أن تتحدثوا بحرية وتعلمونا بما تريدون .

أجاب المبعوثون : سيدي اننا بتواضع كبير نرجو أن تدعو مجلسكم حتى نضع رسالة أمراءنا أمامه ولتكن الدعوة غدا اذا ناسبكم ذلك ، وأجاب الدوج بأنه يحتاج إلى أربعة أيام ليفعل ذلك ورجاهم أن ينتظروا تلك الفترة الطويلة حتى يتسنى لمجلسه الاجتماع ، وعندها يمكنهم أن يقولوا ما يشاؤون .

وانتظر المبعوثون حتى اليوم الرابع كما حدد الدوج ، ثم عادوا إلى القصر الذي كان بناء فائق الجمال وفاخر الأثاث ، وهناك

- ٤٣٩٨ -

وجدوا الدوج ومجلسه مجتمعون في قاعة ، وقدموا رسائلهم لهذه الغاية وقالوا : سابتنا لقد جئنا اليكم نيابة عن بارونات فرنسا العظام ، الذين حملوا شارة الصليب للثأر للاعتداء الذي عاناه ربنا واذا أراد الرب لنسترد القدس ، وطالما أن أمراءنا يعرفون أنه ليس هناك شعب يمكن أن يساعدهم بشكل جيد جدا مثل شعبكم فانهم يتوسلون إليكم باسم الرب أن تشفقوا على الأرض التي فيها وراء البحار للعدوان الذي عاناه ربنا وأن تتكرموا ببذل ما في وسعكم لتزويدنا باسطول من السفن الحربية ، ووسائل النقل ، وسأل الدوج: «وكيف يمكن أن يتم ذلك؟» فأجاب المبعوثون «بأي طريقة يمكنكم النصيح بها أو اقتراحها طالما أن أمراءنا يمكنهم أن يقبلوا شروطكم ويتحملوا التكاليف» ، وقال الدوج : «حقا أن أمراءكم يطلبون منا الكثير ، ويبدو لي أن أمامهم مشروع كبير للغاية» وأننا سنعطيك جوابنا خلال أسبوع ، ولا تندعشوا من مثل هذا التأخير الطويل حيث أن مثل هذا الأمر الهام يتطلب دراستنا الكاملة» .

وفي نهاية الزمن المحدد من قبل الدوج عاد المبعوثون مرة أخرى إلى القصر .

ولا أستطيع أن أخبركم هنا بالكثير من الأشياء التي قيلت في تلك المناسبة ، ولكن الحصيلة النهائية للاجتماع كانت كما يلي : قال الدوج : «أيها السادة سنخبركم بما اتفقنا على فعله طالما أننا بالطبع نستطيع أن نحث مجلسنا الكبير وعامة هذه الدولة على أن يعطوا موافقتهم ، وفي هذه الاثناء ، انكم من جانبكم يجب أن تتشاوروا معا لتروا اذا كان بإمكانكم قبول شروطنا وتحمل التكاليف» .

اننا سنبنى وسائل لنقل ٥٠٠ ر٤ حصانا ، و ٩٠٠٠ من حاملي الدروع وسفننا أخرى لايواء ٥٠٠ ر٤ فارسا و ٢٠٠ ر٢٠ من السرجندية المشاة ، وسنضمن عقدنا تمويلا لتسعة شهور من

- ٤٣٩٩ -

المقننات الغذائية لكل هؤلاء الرجال والعلف لكل الخيول ، هذا ما سنفعله لكم ، وليس أقل ، شريطة أن تدفعوا لنا خمس ماركات عن كل حصان وماركين عن كل رجل .

وعلاوة على ذلك سوف نلتزم بشروط الميثاق الذي نضعه الآن أمامكم على مدى سنة واحدة من اليوم الذي نبصر فيه من ميناء البندقية لنعمل في خدمة الرب والنصرانية أينما كان ، والتكاليف الاجمالية لكل ما أجملناه تبلغ ٨٥ ٠٠٠ مارك .

وسنعمل أكثر من هذا سوف نعد محبة للرب وفي سبيله خمسين من الشواني المسلحة شريطة أن يكون لنا طيلة دوام تحالفنا النصف ولكم النصف الآخر من كل ما نكسبه سواء في البحر أو في البر ، والآن يبقى لكم أن تفكروا اذا ما كنتم من جانبكم تستطيعون القبول والوفاء بشروطنا .

واستأذن المبعوثون قائلين أنهم سيتشاورون معا وسيعطون جوابهم في اليوم التالي ، ودرسوا الأمر مطولاً تلك الليلة ، واتفقوا في النهاية على قبول شروط أهل البندقية ، وهكذا مثلوا في الصباح بين يدي الدوج ، وقالوا : سيدي اننا مستعدون لعقد هذه الاتفاقية وبناء على ذلك أخبرهم الدوج بأنه سيستشير شعبه ، وطبقاً لقراره سيدعمهم يعرفون كيف انتهت الأمور :

وفي اليوم التالي أي بعد ثلاثة أيام من إيجاز الدوج لاقتراحاته ، استدعى رجل الدولة الحكيم والقدير مجلسه الاستشاري الكبير الذي كان يتألف من أربعين رجلاً من بين الأحكم والأقدر في دولة البندقية ، وبممارسة حسه الطيب وذكائه الحاذق وهي مؤهلات كان يمتلك أعلى درجة منها جعلهم يوافقون ويتفقون على الميثاق المقترح وفعل هذا تدريجياً ، حيث حث بعضهم أولاً ثم المزيد ثم أكثر من ذلك حتى عبر كل أعضاء مجلسه في النهاية عن موافقتهم ورضاهم ، وبعد ذلك جمع ما ينوف على عشرة آلاف من عامة

- ٤٤٠٠ -

الشعب في كنيسة سان ماركو وهي أجمل كنيسة في العالم - حيث دعاهم للاستماع إلى قداس للروح القدس ، وأن يصلوا للرب من أجل الهداية فيما يتعلق بالطلب الذي تقدم به المبعوثون إليهم ، وفعل كل الناس هذا عن طيب خاطر .

وحالما انتهى القداس استدعى الدوج المبعوثين ، وطلب منهم أن يطلبوا من الناس بكل تواضع موافقتهم على إبرام الاتفاقية ، ودخل المبعوثون الكنيسة فاجتذبوا الحلقة الفضولية لكثير من الناس الذين لم يروهم من قبل ، وبالرغبة والموافقة من رفاقه شرح جيوفري فيلهاردين مهمتهم فقال : أيها السادة ان أنبل وأقوى البارونات في فرنسا قد أرسلونا إليكم ، وهم يناشدونكم بلهفة أن تشفقوا على القدس وهي الآن تحت نير عبودية الترك ، ويلتمسون منكم باسم الرب أن تكونوا من الطيبة بحيث تنضمون إليهم في الثأر للاهانة التي وجهت إلى ربنا .

ولقد اختاروا أن يلجأوا إليكم لأنهم يعرفون أنه مامن شعب آخر لديه مثل هذه القوة التي لديكم على البحر ، ولقد أمرونا على أي حال أن نركع عند أقدامكم وأن لاننهض حتى نوافقوا على أن تشفقوا على الأرض المقدسة فيما وراء البحار ، وعليه ركع المبعوثون الست وهم في فيض من الدموع عند أقدام الناس المحتشدين وانفجر الدوج وكل أهل البندقية الحاضرين أيضا في البكاء وهم يرفعون أيديهم نحو السماء وصرخوا في الموافقة في صوت واحد : نوافق نوافق . وكان هناك مثل الزئير وجلبة يمكن معها أن نظن أن العالم كله قد تقوض إلى قطع ، وما أن سكنت الجلبة العظيمة وموجة الاشفاق وكان هذا أعظم مما أمكن لأي انسان أن يشهده - أخيرا صعد دوج البندقية الرجل الحكيم الفاضل حسبما كان ، صعد درجات المنبر وتحدث إلى الناس وقال : أيها السادة انظروا الشرف الذي أضفاه الله عليكم بأن ألهم أروع أمة في العالم أن يدعوا كل الناس الآخرين وأن يختاروا للانضمام إليهم في ذلك العمل الرفيع وهو تحرير ربنا .

وأستطيع أن أقول لكم هنا كل الكلمات الطيبة والنبيلة التي تفوه بها الدوج في تلك المناسبة ، وكان زبيتها أن أهل البنقية قد وافقوا على أن شروط ومواد الميثاق يجب أن تبرم في اليوم التالي ، وقد تم هذا طبقا لذلك ، وأعدت الوثائق في خطوطها الأولى ، وبعد اختتام هذا العمل ، بقيت حقيقة أن الحملة كانت ذاهبة إلى القاهرة ، لأن هناك يمكن سحق الاتراك بسهولة أكثر من أي جزء آخر من أراضيهم ، سرا محفوظا بدقة ، وبالنسبة للشعب المريض اكتفى بمجرد الاعلان ، اننا ذاهبون إلى ما وراء البحار ، وكنا الآن في الصوم الكبير ، وبحلول يوم القديس يوحنا في السنة التالية - أي في عام ١٢٠٢ - كان على البارونات وبقية الصليبيين أن يجتمعوا في البنقية ، حيث ستكون السفن جاهزة تنتظر استقبالهم عند وصولهم .

وحالما أبرمت الصكوك وقعت وختمت أجضرت إلى الدوج في قصره العظيم ، حيث اجتمع المجلس الكبير والخاص كليهما ، وما ان سلم هذه الوثائق للمبعوثين رجع الدوج على ركبتيه ، وبينما كانت الدموع على وجهه أقسم بالانجيل المقدس أن ينفذوا كل الشروط المدرجة فيها ، وهكذا فعل كل أعضاء المجلس ، وعددهم ست وأربعون ، وأقسم المبعوثون بدورهم بأن يفوا بميثاقهم وأن يحافظوا بكل اخلاص على الايمان الذي أقسموها عن أنفسهم ونيابة عن أمرائهم، وأهرق الكثير من دموع الاشفاق في هذا اللقاء الذي بعده فورا أرسل كل من الطرفين المعنيين رسالا إلى البابا أنوسنت في روما حتى يصابق على الميثاق ، وقد فعل ذلك عن طيب خاطر ورغبة كبيرة جدا .

واقترض المبعوثون ٥٠٠٠ مارك فضي من أهل المدينة وسلموها للدوج حتى يمكن البدء ببناء الاسطول ، وبعد ذلك استأذنوا في العودة الى الوطن ، ثم ركبوا عدة ايام حتى بلغوا بياشنزا في لومبارديا ، وهنا ترك جيوفري مارشال شامبين والارد ماكرو

- ٤٤٠٢ -

الآخرين وذهباً رأساً الى فرنسا ، في حين اخذ رفاقهم طريقهم نحو
جنوا وبيزا ليقفوا على نوع المساعدة التي يمكن ان يقدمها الناس
هناك لهم من اجل الارض فيما وراء البحار .

الفصل الثالث

الجيش يبحث عن قائد

(ايار - ايلول ١٢٠1)

عندما كان غودفري دي فيلهاردين يعبر فوق جبل سينيس ، حدث ان التقى بغوتير دي بريين ، الذي كان في طريقه الى ابوليا ، لاسترداد بعض الاراضي العائدة لزوجته ، ابنة الملك تانكرد التي تزوج منها بعدما حمل الصليب ، وكان معه عددا من الصليبيين ، من بينهم غوتير دي مونتليارد ، يوستاش دي كوندفلازس ، وروبرت دي جوانفيل ، واعدادا أخرى كبيرة من الرجال ذوي المكانة العالية في شامبين

ولدى سماعهم من المارشال اخبار ما قام به الرسل ، اعتدى السرور المسافرين ، وعبروا عن كثير من الامتنان بشأن سير الامور ، وقالوا: نحن الآن ماضون في سبيلنا ، وعندما ستأتون الى البندقية ستجدوننا جاهزين تماما ، ومهما يكن الحال ، فقد سارت الامور وفق مشيئة الرب ، وفي النهاية وجدوا من غير الممكن الالتحاق ، بالجيش ، وهذا محزن جدا ، لانهم جميعا كانوا رجالا جيدين وشجعان.

وهكذا افترقوا ، ونهب كل منهم في سبيله ، فقد سافر فيلهاردين لعدة ايام حتى وصل الى ترويس في شامبين ، حيث وجد مولا الكونت مريضا وفي حالة متردية ، ومع ذلك فقد سر الكونت سرورا عظيما بسبب وصوله ، وحالما اخبره غودفري بما انجزه ، غلبه السرور الى حد انه قال بأنه مستعد للسفر وسيقوم بذلك ، الامر

- ٤٤١٤ -

الذي لم يحم به منذ زمن طويل ، وواأسفاه لكم هو محزن انه باستثناء هذه المناسبة الوحيدة لم يتمكن من امتطاء سهوة حصانه ثانية.

وازداد وضعه سوءا ، واشتد مرضه حتى انه قام بصنع وصيته النهائية مع الاعتراف ، ومن ثم قسم المال الذي كان سنيأخذه معه الى الحج بين اتباعه واصحابه ، وكان له بالواقع العبيد من الإصدقاء الصدوقين بينهم ، الى حد انه ما من واحد من معاصريه امثلك مثلكم امثلكم ، وامر بوصيته ان كل منتفع عليه اثرا يستلامه لخصته من المال ، ان يقسم على الانجيل المقدس ، بأنه سنيلتحق بالجيش في البندقية ، مثلكم وعد هو نفسه ان يفعل ، وعلى كل حال هناك عدد كبير اخفق مؤخرا بالوفاء بوعد ، وتحمل لوما كثيرا لهذا الحدث ، وامر الكونت ايضا بوضع شطر من ماله جانبا لارساله الى الجيش ، حيث يصرف وفق الوجه الذي يرى هو الافضل.

وهكذا مات الكونت ثيبوت ، وقليل هم الرجال في هذا العالم الذي صنعوا نهاية الفضل ، واقد فارق هذه الحياة وحوله حشد كبير من اقربائه ومواليه ، وفيما يتعلق بالنحيب بسبب موته واثاء دفنه ، انني لا أجرو على المغامرة بوصف ذلك ، لانه ما من انسان بجل مثلكم تم تبجيله ، وقد دفن الى جانب والده في كنيسة القديس ايتين في ترويس ، وخلف من بعده زوجته الاميرة بلانشي ، التي كانت سنية جميلة وجيدة ، وهي كانت بالوقت نفسه ابنة ملك نافار ، وقند ولدت له ابنة صغيرة وكانت على وشك ان تحمل له ابنا.

وبعد وفاة الكونت اقبل ماثيو دي مونتيمورنسي ، وسنيمون دي مونتفورت ، وغودفري دي جـوانفيل مقدم شامبين ، وغودفري المارشال ، على الدوق يودس دي بورغونون وقالوا له: يمكنك يا مولانا باسم الرب ، ان تحمل الصليب وتقدم لمساعدة تلك الارض في مكانه ، وسندفع اليك جميع امواله وسندقسم لك على الانجيل المقدس ، ونجعل الآخرين يفعلون الشيء نفسه ، في اننا سنخدمك باخلاص ، مثلكم توجب علينا ان نخدمه.

وعلى كل حال لم يكن الدوق راغبا في قبول عرضهم) وفي رأيي لعله اراد اظهار المزيد من الحكمة) ، وبناء عليه صددت التعليمات الى غودفري دي جوازفيل في ان يقدم عرضا مماثلا الى الكونت دي بارلى دوك ، الذي كان ابن عم للكونت ثيودوت المتوفى ، ورفض هذا ايضا.

وسببت وفاة الكونت ثيودوت انخفاضا في معذويات الحجاج والذين اقساموا على القتال في خدمة الرب ، والتقوا في بداية الشهر في مؤتمر في سواسون لاتخاذ قرار حول ماينبغي عليهم القيام به ، وكان ممن بين الحضور الكونت بلدوين دي فلاندرز وهيدوت ، والكونت لويس بليوس ودي كارترين والكونت غودفري دوبيرش ، والكونت هونغس دي سينت بول ، وعدد كبير آخر من الرجنال ذوي المكانة الرفيعة والاحترام.

وتولى غودفري دي فيلهاردين شرح الموقف ، واخبرهم بالعرض الذي قدم الى كل من دوق دي بورغونون والدوق دي بارلى دوك ، وكيف قام كل واحد منهما بدوره برفضه ، ثم قال: « ايها السادة اصفوا الي واسوف اقترح سبيلا للعمل ، اذا ما وافقتم على الاخذ به ، إن المركيز بونيفيس دي مونتفرات رجل فهيم وقادر ، وهو ممن اعظم الرجال الاحياء مكانة ، واذا منا طلبتم منه القدوم الى هنا وحمل الصليب ، ووضع نفسه في محل كونت دي شامبين المتوفى منع من قبلكم اشراقا تاما على الجيش ، انا متأكد من انه سيقبل عرضكم قورا.

وكان هناك انقسام كبير في المواقف تجاه هذا الاقتراح ، إنمنا في النهاية وافقوا على الاخذ به ، وذلك بعد نقاش طويل شارك فيه الناس من اعلى المراتب الى انناها ، وتمت كتابة الرسالة الضرورية وجرى اختيار السفراء للذهاب وجلب المركيز ، ولقد وصل في اليوم

المحدد عبر طريق شامبين وجزيرة فرنسا ، وقدم له الكثير من الناس ، وخاصة ملك فرنسا ، ابن عمه ، الترحيب الكبير.

وتوجه المركز للمشاركة في مؤتمر عقد في سواسون ، حضره عدد كبير من الكونتات والبارونات والصليبيين ، وما ان سمع الحضور بدخوله حتى خرجوا لاستقباله ، ورحبوا به ترحيبا كبيرا ، وعقد المؤتمر في اليوم التالي في حديقة عائدة الى بيرنوتسردام دي سواسون ، وتداول كل واحد في هذا الاجتماع الى المركز للاستجابة لطلبهم ، ورجوه ، من اجل الرب ان يحمل الصليب ويتولى قيادة الجيش ، حتى يمكنه احتلال مكان كونت ثيبوت دي شامبين المتوفى ، وان يتولى أيضا الاشراف على امواله ورجاله ، وسقطوا على قدميه والدموع تنهمر من اعينهم ، ورع هوبندوره امامهم وقال انه سيفعل ماطلبوه منه بكل سرور.

وهكذا استجاب المركز لتوسلاتهم ، وتولى قيادة الجيش ، واثار ذلك مباشرة قام اسقف سواسون يرافقه واحد من الاتقياء مع اثنين من الرهبان من اقطاعيته بمرافقة المركز الى كنيسة نوتسردام ، حيث ربطوا الصليب على كتفه وبهذا انتهى المؤتمر ، وفي اليوم التالي استأنن البارونات قبل عودته الى اقطاعيته ليتولى حل مشاكله ، ونصح كل منهم بالقيام بتنظيم اموره وترتيب نفسه ، وقال انه سيلتقي بهم في البندقية.

ومضى المركز من سواسون لحضور قداس يعقد في سيتوكس كل عام في يوم الصليب المقدس في شهر ايلول ، ووجد هناك عددا كبيرا من رعاة البيرة والبارونات وانا من اخريين من بدورغندي ، وكان هناك ايضا فولكس اوف دويلي للتبشير بالحروب الصليبية ، وحمل في ذلك المناسبة العديد من الحضور الصليب بمنافيههم يودس دي شامبين دي شامبلت مع اخيه غليوم ، ورتشارد دي دامبري منع اخيه يودس ، وغي دي بسمس منع اخيه ايمون وغي كوندلانوس

وعند من البيرخنديين الآخرين ، من ذوي المكانة العالية ، الذين لم تذكر أسماءهم هنا ، وجاء أثرهم اسقف اوتون ، وكونت غوغنز دوفورز والهوغان صاحبا بيرغي ، الأب والابن ، وهـوغندي كولوني ، وجاء بالوقت نفسه من الجذوب من بروفانس بيير دي برومونت مع آخرين كثير لم اعرف اسماءهم ، فهم ايضا حملوا الصليب.

وهكذا بات الناس في جميع ارجاء البلاد يتجهزون للمضي الى الحج ، واسفاه من سوء الحظ الذي توجب ان يعادوا منه في السنة التالية ، قبل موعد الانطلاق ، فقد وقع الكونت غودفري دوبييرش مريضا وحمل الى فراشه ، تاركا تعليماته في وصية اوجبت على اخيه ايتين القيام باخذ امواله ومن ثم تولي قيادة رجاله في الجيش (ولا شك ان الحجاج كانوا اعظم سرورا بعدم وقوع هذا التغيير ، لو ان الرب لم يقض به) وهكذا وصل الكونت الى نهايته ، وكان هذا في الحقيقة خسارة عظيمة ، ولانه كان نبيلًا ، وله منزلة رفيعة ، ونظر اليه بتقدير كبير بحكم كونه فارسا شجاعا وجيدا ، فقد بكاه الناس في جميع بلاد بحزن وحرقة.

الفصل الرابع

تأخيرات وخيبة الامل

حزيران - ايلول ١٢٠٢

وبعد عيد الفصح ونحو اسبوع العنصرة ، بدأ الصليبيون يتركون اقاليمهم المختلفة ، وسالت دموع كثير كما يمكنك ان تتخيل اسفا على الرحيل عن اراضيهم ، وشعبهم واصدقائهم ، وفي رحلتهم نحو الجنوب ركبوا عبر بيرغندي ، فوق الالب ومونت سئيس ثم تابعوا عبر لومبارديا ، وبدأوا يتجمعون في البندقية حيث اخذوا مراكزهم فوق جزيرة سان نيكولودي ليدو

وفي نحو ذلك الوقت أبحر اسطول من السفن التي كانت تحمل فرقة كبيرة من الرجال المسلحين من فلاندرز لتتور بمحاذاة الساحل وحوله ، وكان الرجال المسؤولين عن هذا الاسطول هم جين دي نسلز ، حاكم برويج وثيري ابن الكونت فيليب دي فلاندرز ونيكولاس دي مايلي . وقد وعدوا جميعا الكونت بلدوين ، والزموا انفسهم بالقسم على الانجيل المقدس بان يبحروا عبر مضائق المغرب ، وان ينضموا الى الكونت والجيش الذي كان يتجمع في حينه في البندقية في اي مكان قد يسمعون انه ذهب اليه ، وعلى هذا الاساس عهد اليهم الكونت بلدوين واخوه هنري ببعض سفنهم المحملة بالثياب ، والطعام ومواد التموين الاخرى .

وكان هذا الاسطول جيد جدا وحسن التجهيز ، وكان الكونت دي فلاندرز وزملاؤه الصليبيون يعتمدون عليه بدرجة عظيمة ، لانه كان يحمل معظم افضل رجالهم من السرجندية . ولكن الرجال المسؤولين وكل الناس الذين معهم حنثوا بالوعد الذي قطعوه لانهم مثل عدد

- ٤٤٠٩ -

كبير آخرين من نوعهم ، كانوا خائفين من مواجهة الاخطار العظيمة للمغامرة التي تعهد بها الجيش في البندقية .

وحدث كثيرا انه بمثل هذه الطريقة قد اخفق اسقف اوتون في الحفاظ على عهده والبقاء معنا ، ومثله فعل الكونت جونييس دي فورز ، وبيير برومونت وعدد كبير آخر ، وقد وجه لوم شديد لهؤلاء على عملهم ، ولم ينجزوا سوى القليل في المكان الذي ذهبوا اليه وكان من بين هؤلاء من الجزيرة الفرنسية ممن خذلنا : برنارد دي موريل ، وهوغ دي شامونت ، وهنري دي ارينز ، وجين دي فيلرز ، وغوتير دي سانت دنس واخوه هوغ ، ومعهم عدد كبير آخر تجنبوا جميعا القدوم الى البندقية بسبب المخاطرة العظيمة التي ينطوي عليها ذلك، وأبحروا بدلا من ذلك من ميناء مرسيليا . وكانوا موضع ازدراء كبير ولوم عظيم بسبب هذا ونتيجة لسلوكهم السيء لقيهم كثير من الحظ السيء فيما بعد .

وسأترك الكلام الآن عن هؤلاء الرجال لأخبركم بشيء حول الحجاج ، الذين كان قسم عظيم منهم قد سلف ووصل الى البندقية ، وكان الكونت بلدوين دي فلاندرز هناك ، وعدد كبير آخر ، وعندما وصلتهم الاخبار بان عددا كبيرا من رفاقهم كانوا يسافرون على طرق مختلفة الى موانئ أخرى ، وقد اقلق هذا البارونات بشكل خطير ، لانه كان يعني انهم لن يستطيعون الوفاء بوعودهم لاهل البندقية ، ولن يدفعوا الاموال المترتبة .

وبعد الاجتماع معا قرروا ارسال مبعوثين يمكن الاعتماد عليهم لمقابلة الكونت لويس دي بلوا والصليبيين الآخرين الذين لم يصلوا بعد من اجل ان يرجوهم ان يستجمعوا شجاعتهم وان يتوسلوا اليهم ان يشفقوا على الارض فيما وراء البحار وان يبينوا في الوقت نفسه انه ليس من طريق آخر سوى طريق البندقية يمكن أن يكون فيه اي نفع لهم .

- ٤٤١٠ -

وكان الرجال الذين اختيروا لهذه المهمة هم الكونت هوغ دي ساند بول ، وجيوفري دي فيلها ردين ، فركبوا نحو الشمال حتى وصلا الى بافيا ، في لومبارديا ، حيث وجد الكونت لويس مع مجموعة عظيمة من الفرسان الاكفاء والرجال الاخرين من ذوي المنزلة الطيبة ، وبفضل التشجيع والتوسل حثوا عددا جيدا من هؤلاء - ممن كانوا بغير ذلك سيتخذون طريقا مختلفا ويذهبون الى انحاء اخرى - ليركبوا الى البندقية .

ومع ذلك ، عند الوصول الى بياسنزا ، انصرف عدد كبير من الرجال الجيدين جانبا ليسافروا بمفردهم الى ابوليا ، وكان بينهم فيلين دي نويلي ، وهو واحد من اوائل الفرسان في العالم ، وهنري دي ارز يليير ، ورينودي دامبيير ، وهنري دي لونغشامب ، وجيل دي تراسينيير ، واخر هؤلاء كان قد اقسم يمين الولاء للكونت بلدوين الذي كان قد اعطاه من جيبه الخاص خمسمائة قطعة من النقود لكي يصحبه في هذه الرحلة ، ومع هؤلاء الرجال ذهبت جمهره كبيرة من الفرسان والمشاة لم تسجل اسمائهم في هذا الكتاب .

وكان معنى هذا كله نقص خطير في عدد الذين كان يجب ان يحضروا للانضمام الى القوات في البندقية ، ونتيجة لذلك ، كان الجيش في مأزق بالغ التعاسة كما ستسمعون قريبا .

واخذ الكونت لويس والبارونات الآخرون معه طريقهم الى البندقية . وهناك استقبلوا بهجة كبيرة وبالولائم بينما كانوا يتخذون مراكزهم على جزيرة سان نيكولو الى جانب الصليبيين الآخرين . لقد كان جيشا عظيما حقا ، مشكل من رجال مدربين شديدي البراعة ، ولم يسبق لاحد مطلقا ان رأى مثل هذه القوات المقاتلة ولا واحدة بهذه الهيبة ايضا ، ونصب اهل البندقية سوقا من اجلهم زود بوفرة بكل ما يمكن ان يرغب فيه المرء من كل شيء يلزم لاستعمال الرجال والخيول ، وكان الاسطول الذي اعدوه ممتازا جدا ، وحسن

- ٤٤١١ -

التجهيز بشكل لم يسلف في كل ارض النصرانية ان شوهد مطلقا واحدا يفوقه ، وكان يتألف من عدد عظيم جدا من السفن الحربية والشواني ووسائط نقل كان يمكنها ان تؤدي بسهولة ثلاثة اضعاف الرجال الذين كانوا في كل الجيش . ولكن اه اي ضرر مما لا يمكن قياسه سببه الذين رحلوا الى موانئ اخرى في حين كان يجب ان يأتوا الى البندقية ! ولو انهم فعلوا ذلك لتعززت النصرانية وتضاءلت اراضي الترك ، وقد وفي اهل البندقية باخلاص بكل تعهداتهم ، فوق واعلى مما هو ضروري ، وحيث انهم كانوا الان مستعدين للبدء فقد دعوا الكونتات والبارونات ليفوا بتعهداتهم بدفع المال المقرب .

ودعي كل رجل في الجيش ليدفع تكاليف رحلته ، وقال عدد كبير جدا بانهم غير قادرين على دفع كامل الحساب ، وهكذا اخذ منهم البارونات ما امكنهم تحصيله . من مال ، وبناء عليه دفعه كل رجل ما امكنه دفعه ، ومع ذلك بعد ان طلب البارونات تكاليف رحلة كل رجل واسهم كل واحد بشيء لم يبلغ المال المجموع الا الي ماديون النصف بكثير من اجمالي المبلغ المطلوب .

واجتمع البارونات لمناقشة الحالة . وقال اهل البندقية بانهم قد التزموا باخلاص بشروط اتفاقيتهم معنا ، وبسخاء ايضا ، ولكن ليس هنا مايكفي منا ليتدبر الامر بدفع تكاليف عبورنا ، والوفاء بعقدنا معهم ، وهذا خطأ الذين ذهبوا الى موانئ اخرى ، ومن اجل الرب عليه لندع كل واحد منا يسهم ببعض من ماله الخاص ، حتى نفي بالوعود الذي قطعناه .

وسيكون في الواقع افضل لنا ان يعطى كل واحد مامعه من ان نتخلف عن الوفاء ونفقد كل ماسلف ان دفعناه فضلا عن اخفاقنا من الوفاء باتفاقاتنا لان حملتنا اذا لم تنفذ ، فان خطتنا لتحرير الارض فيما وراء البحار ستنتهي الى لاشيء .

وقد قوبل هذا الاقتراح برفض مفعم بالحيوية والحماس من قبل

الاجلبية العظمى من البارونات، والحضور الآخرين وقالوا : « لقد دفعنا من اجل رحلتنا ، واذا كان اهل البندقية راغبين في اخذنا فنحن على استعداد للذهاب ، واذا لم يكن الامر كذلك فسنستدير الامر بانفسنا ونذهب بطريقة اخرى ما .» (لقد قالوا هذا كامر واقع ، لانهم كانوا يحبون أن ينحل الجيش ويصبح كل رجل حرا في العودة إلى الوطن) .

ومن جانب اخر اعلنت اقلية قائلة : حري بنا أكثر أن نعطي كل مالدينا ونمضي مع الجيش كالناس الفقراء بدلا من ان نراه محطما وان تكون عملياتنا مخفية . لان الرب بلا شك سيجزيينا ويعوضنا في وقت طيب سيختاره .

وقور انتهاء هذا الاجتماع بدأ كونت دي فلاندرز يدفع كل ماكان لديه او كان قادرا على اقتراضه . وفعل الكونت لويس الشيء نفسه ، وهكذا فعل المركيز دي مونتفرات ، وكذلك فعل ايضا الكونت هوغ دي سانت بول ، واولئك الذين كانوا في حزبه ، وكان مدهشا ان نرى الكثير من ادوات المائدة الذهبية الدقيقة الصنع من الذهب والفضة تحمل الى قصر الدوج لتشكل القيمة المستحقة . ومع ذلك بعد ان ادى كل واحد حصته التي اسهم بها كانت الكمية مازال اقل ب ٣٤٠٠٠ ر مارك من القيمة المطلوبة . وكان الذين امسكوا ممتلكاتهم في غاية الابتهاج ورفضوا ان يضيفوا شيئا مما يخصهم ، حيث كانوا الان على ثقة تامة بان الجيش سيتحطم وان القوات ستتششت ، ولكن الرب الذي يعطي الناس الامل من اعماق اليأس لم يكن يريد لهذا ان يحدث .

وعند هذه النقطة تحدث الدوج الى شعبه قائلا « ايها السادة ان هؤلاء الرجال ليس بإمكانهم ان يدفعوا لنا اي شيء فوق هذا ، وحيث انهم عاجزون عن الوفاء بالاتفاق الذي عقده معنا فانه بإمكاننا ان نحفظ بما دفعوه لنا بالفعل . وان حقنا في ذلك مع هذا

لن يعترف به في كل جزء من العالم ، واذا مارسناه فاننا وبولتنا سنكون موضع لوم كبير ، لذا دعونا نعرض عليهم بعض الشروط .

لقد اخذ منا ملك هنغاريا مدينتنا زارا في سكلافونيا وهي احدى اقوى الاماكن في العالم ولن نتمكن مطلقا من استردادها حتى بكل القوات التي تحت تصرفنا ، الا بمساعدة الفرنسيين ، لذا دعونا نطلب منهم مساعدتنا على اعادة احتلالها وسندسمح لهم بان يؤجلوا دفع الـ ٣٤ ٠٠٠ ، مارك فضى التي يدينون بها لنا حتى ذلك الحين الذي يسمح به الرب فيه لقواتنا المشتركة بان تربح هذا المال بالغزو » وبناء عليه طرح هذا الاقتراح على البارونات فاثار الذين كانوا يريدون للجيش ان يتحمل كثيرا من الاعتراضات ومع ذلك تم التوصل الى الاتفاق وتصديقه في النهاية .

وبعد ذلك بوقت قصير اجتمع حشد كبير من الناس في يوم احد في كنيسة سان ماركو ، وكان كل واحد في بولة البندقية حاضرا ، وهكذا كان معظم البارونات والصليبيين الاخرين ، وقبل البدء بالصلاة الكبرى ارتقى انريكو داندولو دوج البندقية درجات المنبر ووجه خطابا الى جموع المصلين وقال : « ايها السادة انكم تلتقون بافضل واشجع الناس في العالم في اروع مهمة تولاهها اي انسان ، وانا الان رجل مسن ، وضعيف وفي حاجة الى الراحة وصحتي تضعف ، واني ادرك مع ذلك ان احدا لا يستطيع ادارتكم وتوجيهكم افضل من نفسي ، انا اميركم ، فاذا وافقتم على انضمامي للحملة الصليبية حتى اتمكن من حمايتكم وتوجيهكم وسمحتم لابني ان يبقى هنا في مكاني لحراسة هذه الدولة فاني ساذهب لاهيا او اموت معكم ومع الحجاج .

وعند سماع كلمات الدوج صرخ كل اهل البندقية بموافقة واحدة « اننا نرجوك باسم الرب ان تاخذ شارة الصليب وان تذهب معنا » وعند هذه اللحظة كانت قلوب كل الحاضرين من الفرنسيين واهل البندقية على السواء متأثرة بعمق ، وانهمرت دموع كثيرة تعاطفا مع

- ٤٤١٤ -

هذا الرجل الطيب الفاضل الذي كان لديه مثل تلك الاسباب الكثيرة للتخلف والقفود ، ومع كبر سنه جدا ومع ان عينيه كانتا تبدوان لامعتين وصافيتين فانه مع ذلك كان اعمى تماما ، وكان قد فقد بصره بسبب جرح في الراس ، وكان رجلا شهما كبير القلب ، اه كم كانوا صغارا امامه اولئك الذين ذهبوا الى موانئ اخرى للفرار من الخطر !

ونزل الدوج عن المنبر ، واتجه الى المنبح وركع امامه وهو يبكي بمرارة وخاطوا الصليب على مقدمة قبعته الكبيرة القطنية ، لانه اراد ان يراه الجميع وبدا الان اعداد من اهل البندقية يفدون في جموع كبيرة للانضمام للحملة .

وحتى ذلك التاريخ كان القليل منهم قد فعل ذلك ، واما بالنسبة لرجال حملتنا فقد شاهدوا انضمام الدوج الى الحملة بحبور وعاطفة عميقة ، وقد تاثروا بدرجة عظيمة بالحكمة والشجاعة اللتان ظهرتتا من هذا الرجل المسن .

وباسرع ما يمكن بعد ذلك بدا اهل البندقية يسلمون السفن الحربية والشوانى ووسائط النقل للبارونات حتى يمكنهم ان يبدأوا اخذ طريقهم ، ولكن الان كان وقت كبير قد انقضى بالفعل ، وكان قد مضى شطر كبير من ايلول .

وهنا دعوني اخبركم عن واحدة من اروع الاحداث التي سمعتم بها مطلقا ، ففي القسطنطينية قبيل الوقت الذي كنت اتحدث عنه ، كان هناك امبراطور يدعى اسحق ، وكان له اخ يدعى اليكسيوس من ، كان قد افتداه من الاسر لدى الاتراك ، وفيما بعد القى اليكسيوس هذا القبض على اخيه والقاءه في السجن وسمل عينيه ، وبمثل هذه الخيانة جعل من نفسه امبراطورا في مكان اسحق ، وقد ابقى اخاه زمانا طويلا في الحجز الشديد مع ابنه الذي كان ايضا يدعى اليكسيوس ، وفر الامير الشاب من السجن وهرب في سفينة

- ٤٤١٥ -

الى مدينة على الساحل تدعى انكونا ومن هناك انطلق الى المانيا لزيارة الملك فيليب ، الذي كان اخو زوجته ، وفي رحلته عبر ايطاليا توقف في فيرونا ، حيث مكث لبعض الوقت والتقى بعدد من الحجاج والناس الاخرين الذين كانوا في طريقهم للانضمام للجيش .

وكان اولئك الذين ساعدوه على الهرب مايزالون معه وقد قالوا له :

« سيدي : ان هناك جيشا على مقربة منا جدا في البندقية وهو مشكل من اناس من ارفع طبقة ومن اشجع الفرسان في العالم ، وهم على وشك السفر الى بلاد ما وراء البحار ، فلماذا لا نناشدهم ان يشفقوا عليك وعلى ابيك ، الذي طرد ظلما ؟ انه من الممكن جدا ان يتأثروا بحالتك » فاجاب الامير الشاب انه سيفعل بسرور كما قالوا ، طالما ان نصيحتهم جيدة .

وهكذا عين مبعوثين وارسلهم الى كل من الماركيز دي مونتفرات الذي كان يتولى قيادة الجيش ، والى البارونات الاخرين ، وبعد ان قابل الامراء الفرانسيون هؤلاء المبعوثين ملئوا دهشة من قصتهم وقالوا لهم : « اننا نفهم الحالة تماما ، وطالما ان الامير اليكسيوس في طريقه لرؤية الملك فيليب فسنرسل بمبعوثينا معه ، فاذا وافق اميركم الشاب على مساعدتنا على استرداد القدس ، فاننا بدورنا سنساعده على استعادة امبراطوريته ، التي كما نعرف قد اخذت منه ومن والده ظلما » وهكذا جرى ارسال مبعوثين الى المانيا ولكل من امير القسطنطينية ، والملك فيليب .

وقبل الاحداث التي رويتهما لتوى بقليل كان البارونات وكل بقية الجيش كانوا قد حزنوا من اخبار وفاة فوك الطيب الورع ، الذي كان اول من دعا للحملة وبشر بها ، ولكن بعد ان ارسل اليكسيوس مبعوثيه الى البندقية بوقت قصير انتعشت ارواحهم بوصول رفاق من المانيا بينهم رجال عديدون من الطبقة والمنزلة الراقية من مثل

- ۴۴۱۶ -

اسقف هلیبرستاوت و غراف برتولد فون کاتز یلنبوعن و غارینیر فون
بور لاند ، و دیتیش فون لوس ، و هنریش فون آلن ، و روجیر فون
سوستین ، و الکسندر فون فیلرز ، و اوری فون دون .

الفصل الخامس

حصار زارا

تشرين اول - تشرين الثاني ١٢٠٢

والان جاء الوقت كي يعين البارونات السفن الحربية ووسائل النقل لقادتهم المختلفين ، يا الهي ، أي خيول قريبة جميلة وقوية كانت هناك تحت ظهر السفن ، وما ان حملت السفن تماما بالاسلحة والمؤن وصعد الفرسان والمشاة الى ظهر السفن ، حتى علقت الدروع على جوانب السفن وحول المعازل ، في المقدمة والخلف ، في حين ان الاعلام الكثيرة الجميلة قد ارتفعت عاليا .

ويمكن ان اؤكد لكم ان السفن الحربية قد حملت اكثر من ٣٠٠ من المنجنيقات والعرادات اضافة الى مؤونة وافرة من جميع انواع هذه الاجهزة الالية اللازمة للاستيلاء على مدينة ، ولم يكن هناك اسطولا اروع من هذا الاسطول من السفن قد ابهر مطلقا من اي ميناء ، ووقع وقت رحيلهم من البندقية ضمن اليوم الثامن بعد عيد سانت ريميغوس في السنة الميلادية ١٢٠٢ لتجسيد الرب .

ووصل جيشنا الى زارا في سكلافونيا عشية عيد سانت مارتن ، وراى المدينة محاطة باسوار عالية وابراج مرتفعة . وانك لتبحث عبثا عن مكان اكثر جمالا ، او مكان محمي بقوة اكثر من ذلك ، او اكثر رخاء ، وما ان وقعت انظار الحجاج عليها حتى ملأتهم الدهشة وقالوا لبعضهم : كيف يمكن لمثل هذه المدينة ان تؤخذ بالقوة ، الا بمساعدة الرب نفسه ؟

وكانت اول سفينة وصلت الى زارا قد القت مرساتها وانتظرت

الآخريات وفي صباح اليوم التالي بزغ الفجر ساطعا وصافيا ،
ووصلت الشواني ووسائل النقل مع السفن الآخري التي كانت
متخلفة ، واقتحم كامل الاسطول الذي كان يتقدم معا السلسلة
الخليطة جيدة الصنع التي تقع امام الميناء ، وتم اقتحام الميناء
والاستيلاء عليه بالقوة ، ثم نزل الجيش الى البر بطريقة استهدفت
ابقاء الميناء بينه وبين المدينة ، وما اعقب ذلك كان منظرا بالغ
الروعة ، حيث اندفع الفرسان والسرجندية كالاسراب من السفن
الحربية ، واخرج العديد من الخيول الحربية القوية من وسائل
النقل ، وكانت خيام جميلة وسراقات لاحصر لها قد انزلت
واصبحت جاهزة لتنصب ، وهكذا غسكرت قواتنا امام زارا ، التي
بداوا يحاصرونها في يوم القديس مارتن .

(١١ تشرين الثاني)

وحتى الان مع ذلك لم يكن كل البارونات قد وصلوا ، فكان
المركز مونتفرات مثالا غائبا ، حيث تخلف ليشرف على بعض
اعماله ، وترك اتين دي بيرش وماتيو دي مونتمو رنسي مريضين في
البندقية ، وحالما عوفيا عاد الاخير للانضمام الى قوات زارا ، ولم
يكن سلوك دي بيرش جيدا لانه فر من الجيش وذهب ليمضي بعض
الوقت في ابوليا ، ومعه ذهب روترو دي مونتفورت ، وايف دي
لاجايل الى جانب آخرين عددهم كبير ، وقد وجه اليهم لوم كثير من
اجل نلوصهم وابحر هؤلاء الرجال في الربيع التالي يريدون سورية .
وفي الصباح التالي ليوم سانت مارتن خرج عدد معين من اهالي
زارا من المدينة وذهبوا للتحدث مع دوج البندقية في فسطاطة ، وقالوا
له انهم مستعدون لان يضعوا المدينة وكل ممتلكاتهم تحت تصرفه
 طالما حفظت ارواحهم ، واجاب الدوج بانه لا يستطيع ان يوافق على
مثل هذه الشروط وفي الواقع ولاعلى غيرها ، دون مشاورة
البارونات اولا ، وانه سيبحث الامر معهم على الفور .

وبينما كان في طريقه للاجتماع بالبارونات جاءت تلك المجموعة

من الرجال التي ذكرتھا من قبل ، والذين كانوا يريدون ان ينحل الجيش وتكلموا مع موفدي زارا وسالوهم قائلين : « لماذا تريدون تسليم مدينتكم ان الفرديسين على اي حال لن يهاجموكم ، ولا شيء تخشونه منهم ، واذا امكنكم فقط ان تدافعوا عن انفسكم ضد اهل البندقية ، فانه لن يكون لديكم سبب للقلق » °

والتقط بعض صانعي المقاعب واحدا من حزبهم يدعى روبرت دي بوفيسي حيث صعد الى اسوار المدينة وكرر كلماتهم وبناء عليه عاد الموفدون الى زارا وتركوا امر وضع الشروط معلقا ، وفي تلك الاثناء قابل الدوج البارونات وتحدث معهم قائلا : سادتي ان اهل هذه المدينة على استعداد لوضعها تحت تصرفي شريطة الحفاظ على ارواحهم ، ومع ذلك لن اصنع سلاما معهم على هذه الشروط او اي شروط اخرى دون موافقتكم ، واجابه البارونات : سيدنا اننا ننصح ، لابل حتى نرجوك بقبول الشروط التي يعرضونها ، وقال : الدوج انه سيفعل كما اشاروا ، وهكذا عادوا معا الى فسطاط الدوج لانجاز الاتفاق ، لكن فقط ليجدوا ان الموفدين قد ذهبوا بناء على نصيحة الذين ارادوا حل الجيش وعند هذه النقطة نهض راعي بيرفو من رتبة الرهبان البندكتيين ، نهض واقفا على قدميه وقال :

سادتي باسم البابا في روما امنعكم من مهاجمة هذه المدينة لأن الناس فيها مسيحيون وانت تلبسون شارة الصليب ، وتحول الدوج وهو منزعج جدا ومغيظ من هذا الاحتجاج الى الكونتات والبارونات وقال : سادتي لقد اعطيت سلطة لاصنع اي شروط احب مع هذه المدينة ، والان اخذها شعبيكم مني ومع ذلك انكم قد اعطيتموني وعديكم بمساعدتي على الاستيلاء عليها ، وانا الان ادعوكم للمحافظة على كلمتكم ، وبناء عليه انسحب الكونتات والبارونات مع الذين يؤيدونهم للاجتماع معا ، وقالوا : ان الرجال المسؤولين عن تحطيم المفاوضات قد تصرفوا بشكل مشين ، انهم لم يتركوا يوما يمر دون ان يحاولوا تحطيم جيشنا ، والان يمكننا ان نعتبر انفسنا مجللين بالعار ان لم نساعد في الاستيلاء على المدينة ، وبناء

عليه ذهبوا الى الدوج وقالوا : سيدنا اننا سنساعدك على اخذ زارا
رغما عن اولئك الذين حاولوا منعنا من ذلك .

هكذا كان قرارهم ، وفي الصباح التالي عسكرت القوات امام
ابواب المدينة ونصبوا عراداتهم ومنجنيقاتهم والات الحرب الاخرى
التي كان لديهم منها تموين وافر ، وخلال ذلك من الجانب المواجه
للبحر ورفعت السلالم المعدة لتسلق الاسوار من كل السفن التي في
الميناء ، وبدأت المنجنيقات الان في قذف الاسوار والابراج في زارا ،
واستمر هذا الهجوم نحو خمسة ايام ، ثم بدأ المهندسون
العسكريون بالعمل في احد الابراج ، وبدأوا في لغم السور ، وما ان
رأى الناس داخل المدينة ما كان يجري حتى باثروا بعرض
الاستسلام وفق الشروط ذاتها التي رفضوها من قبل وبناء على
نصيحة اولئك الذين ارادوا حل الجيش

وهكذا اصبحت زارا بين يدي الدوج على شرط المحافظة على
حياة كل الاهالي وبعد ذلك اتجه الدوج الى البارونات وقال :
بفضل الرب وبمعونتكم اخذنا هذه المدينة ، وقد حل الشتاء بالفعل
ولا يمكننا ان نتحرك من هنا حتى عيد الفصح ، لانه لن تتوفر لنا
الفُرصة للحصول على المؤن في اي مكان اخر ، في حين ان هذه
المدينة من جانب اخر غنية جدا ، وممونة جدا بكل ما يمكن ان نحتاج
اليه ، وبناء عليه اننا سننقسم الى قسمين ، وسنحتل نصفاً من
المدينة بينما تأخذون انتم النصف الاخر ، ومضى كل شيء حسب
الخطة ، واحتل اهل البندقية نصف المدينة المواجه للميناء ، حيث
كانت ترسو سفنهم ، واخذ الفرنسيون النصف الاخر ، ووزعت
النازل الجميلة في كل نصف من زارا حسب ما كان يبدو مناسباً
ونصب الجيش خيامه واتخذ مراكز له بداخل المدينة . وبعد ثلاثة
ايام ، وعندما اوى كل واحد كما ينبغي ، حدث بصورة غير مباشرة
وقت صلاة العشاء ان واجهت قواتنا متاعب خطيرة حيث اشتبك
بعض الفرنسيين واهل البندقية في مشادة بالايدي ضارية ومميرة ،
وهرع الرجال من كل جزء من المدينة الى السلاح ، وتزايد الشجار

- ٤٤٢١ -

الى حد انه سرعان ما اصبحت شوارع قليلة جدا لم يكن بها صدام
شرس بالسيوف والرماح والسهام والحراش وقتل كثير من الناس او
جرحوا .

وعلى كل حال لم يصمد اهل البندقية للقتال ، وبدأوا يعانون من
خسائر خطيرة ، وعندما بلغت الامور هذا المستوى جاء الرجال
الرئيسيين في الجيش ، الذين لم يكونوا يريدون حدوث اي ضرر ،
جاءوا بكامل سلاحهم الى وسط الشجار ، وبدأوا في الفصل بين
المتعاركين ، ولكنهم كانوا ما ان يوقفوا القتال في مكان حتى ينفجر
في مكان اخر .

واستمر الصراع هكذا شطرا كبيرا من الليل لكن مع ذلك وبعد
جهود كثيرة وقدر كبير من المتاعب توقف أخيرا . ان مثل هذا النزاع
يمكنني ان اقول كان اعظم سوء حظ حدث قط لاي جيش ، وكان
لجيشنا في الواقع منفذ ضيق جدا نجا بوساطته من الفناء الكامل ،
لكن الرب لم يكن يسمح بمثل هذه الكارثة ، وعانى كلا الجانبين من
خسائر ثقيلة ، وكان بين الذين قتلوا جيلزدي لانداس وهو نبيل
فلمنكي من الطبقة الرفيعة وكان قد ضرب في عينيه ومات من جرحه
في مجرى الشجار ، وكانت هناك خسائر اخرى كثيرة ، ولكن هذه
اثارت انتباها قليلا ، وبذل الدوج والبارونات قصارى جهدهم خلال
ما تبقى من الاسبوع لتهدئة المشاعر المريرة التي اثارها القتال
وعملوا بشكل فعال حتى استعيد السلام ، وكل الشكر للرب على
ذلك .

الفصل السادس

نزاع في الجيش

كانون اول ١٢٠٢ - كانون ثاني ١٢٠٣

وبعد اسبوعين وصل المركيز دي مونتفرات ، الذي لم يكن بعد قد عاد للانضمام للجيش الى زارا وصل بصحبة ماثيو دي مونتفورنسي وبيير دي براسيو وعدد كبير من الرجال الطيبين ، وبعد اسبوعين من ارسال المبعوثين من المانيا من قبل الملك فيليب ، وولي عهد القسطنطينية وصلوا بدورهم ، واجتمع البارونات في قصر كان دوج البندقية يسكنه في حينه وهنا سلم المبعوثون رسالتهم وقالوا : سادتنا لقد ارسلنا اليكم من قبل الملك فيليب واخي زوجته نجل امبراطور القسطنطينية ، ويقول جلالته في خطابه اليكم :

سادتي اني مرسل اليكم اخا زوجتي الذي اضعه بين يدي الرب فليحفظه من الموت كما اضعه بين ايديكم ، وحيث انكم على الطريق لخدمة الرب ومن اجل الحق والعدل من واجبكم الى الحد الذي تستطيعونه ان تعيدوا الملكية لمن جردوا منها ظلما ، وسيعرض الامير اليكسيوس عليكم افضل الشروط التي قدمت على الاطلاق لاي شعب ، وسيعطيكم اقوى دعم في فتح بلاد ماوراء البحار :

اولا اذا اراد الرب لكم ان تستردوا ميراثه له فانه سيضع كامل امبراطويته تحت سلطة روما التي اقصيت عنها زمانا طويلا

ثانيا ، طالما انه يعرف انكم قد انفقتم كل اموالكم ، وليس لديكم شيء منها الان انه سيعطيكم ٠٠٠ ٣٠٠ مارك فضي ، ومؤنا لكل رجل في جيشكم من القادة والرجال على السواء ، علاوة على أنه هو نفسه سيذهب في صحبتكم الى مصر ، مع عشرة الاف رجل ، او

- ٤٤٢٣ -

اذا فضلت ان يرسل العدد نفسه من الرجال معكم ، وعلاوة على ذلك فإنه طيلة حياته سيحتفظ على نفقته بخمسمائة من الفرسان للمرابطة في اراضي ماوراء البحار .

ثم استطرد المبعوثون قائلين : سادتنا ان لدينا السلطة العامة لابرار هذه الاتفاقية اذا كنتم من جانبكم تريدون قبول شروطها ، ويمكننا ان نبين ان مثل هذه الشروط المواقية لم تقدم من قبل ل احد ، والانسان الذي يمكنه رفض قبولها تكون رغبته قليلة في الاستيلاء على اي شيء بالمرّة ، واجاب البارونات انهم سيبحثون في الامر ، ورتب لعقد مؤتمر في اليوم التالي ، وحين حضر الناس جميعا للاجتماع طرحت امامهم الشروط ، وكان هناك تشتت كبير في الرأي في الاجتماع ، وكان لدى راعي الدير البندكتي في قوشية ليقوله بشكل مشترك مع الذين كانوا متلففين على حل الجيش ، وأعلن الجميع بانهم لن يعطوا مطلقا موافقتهم ، طالما انها تعنى الزحف ضد المسيحيين ، وأنهم لم يتركوا اوطانهم ليفعلوا مثل هذا الشيء ، وبالنسبة لهم انهم يريدون الذهاب الى سورية. واجاب الطرف الاخر : ايها السادة الطيبون ، لايمكنكم ان تحققوا شيئاً في سورية كما يمكنكم أن تروا بسهولة اذا فكرتم في مصير أولئك الذين تخلوا عنا ليبحروا من موانئ اخرى ، ويجب ان نصر انه فقط عن طريق مصر واليونان يمكننا ان نأمل في استعادة الارض فيما وراء البحار ، اذا حدث هذا قط بالمرّة ، واذا رفضنا هذه الاتفاقية سيكون ذلك عارا ابديا لنا .

وهكذا حدث نزاع في الجيش ، ولايمكننا ان نعجب اذا كان عامة الناس في نزاع ، وعندما كان الرهبان البندكتيون الذين صاحبوا القوات بشكل مساو في خلاف مع بعضهم بعضا ، ووعظ راعي دير لوس الذي كان مقدرا لطيبته وحكمته القوات كما فعل رعاة الدير الاخرون من حزبهم ، واخذوا كلهم يحضونهم بحماس باسم الرب أن يبقوا على اجتماع شمل الجيش مع قبول الاتفاقية المتقدمة لانها - هكذا الحوا - كانت تقدم افضل فرصة لاسترداد الارض

- ٤٤٢٤ -

فيما وراء البحار . ومن جانب اخر خاطب راعي دير فو مع
الاكليوس الذين كانوا يؤيدونه الجيش في مناسبات عديدة معلنين ان
خطط الطرف الاخر لم تكن جيدة بالمرة وانه احرى بهم ان يتجهوا
الى سورية ، وان يفعلوا هناك ما بامكانهم ان يفعلوه .

وعند هذه النقطة تدخل المركيز دي مونتفرات والكونت بلدوين دي
فلاندرودي هينوت ، والكونت لويس دي بلوا ودي كارنان ،
والكونت هوغ دي سانت بول ، الى جانب اخرين ممن وقفوا في
جانبيهم تدخلوا في النزاع ليعلنوا من جانبهم أنهم قد عقدوا العزم
على قبول الاتفاقية ، ذلك انهم يخجلون من رفضها وهكذا ذهبوا
الى قصر الدوج ، وبعد استدعاء المبعوثين تم تأكيد الميثاق على
الشروط نفسها التي سلف ذكرها بعقود تم توقيعها بالشكل المناسب
وختمها .

ويجب ان اخبركم هنا ان اثني عشر شخصا فقط في المجموع قد
اقسموا نيابة عن الفرنسيين ، ولم يكن بالامكان حث المزيد على
اتباعهم ، وكان اول من اقسم هو المركيز دي مونتفرات ، وبعده
الكونت بلدوين دي فلاندرز والكونت لويس دي بلوا ، والكونت دي
سانت بول ثم الثمانية الاخرون من حزبهم ، وهكذا جرى التصديق
على الميثاق وابرمت العقود ، وحدد بعد ذلك يوم لوصول امير
القسطنطينية ، وكان قد قرر لذلك بعد عيد الفصح باسبوعين من
السنة التالية .

وامضى الجيش كامل ذلك الشتاء في زارا مستنفرا ضد ملك
هنغاريا ، ويمكنني ان اؤكد لكم أن قلوب شعبنا لم تكن في سلام ،
لان احد الطرفين كان يعمل باستمرار على حل الجيش ، والاخر على
الابقاء على اجتماع شمله .

وخلال ذلك الوقت فر رجال كثيرون من المراتب الدنيا من الجيش،

وهربوا على سفن تجارية ، ورحل نحو خمسمائة منهم على سفينة واحدة .

ولكنهم جميعا ماتوا غرقا ، وهربت مجموعة اخرى عن طريق البر معتقدين انهم سيسافرون بامان عبر سكلافونيا ، ولكن اهالي تلك البلاد هاجموهم وقتلوا عددا كبيرا منهم ، واما الذين نجوا ففقدوا مسرعين الى الجيش نفسه ، وهكذا كانت قواتنا تتضاءل من يوم الى يوم ، وفي الوقت نفسه احتال غارنيير فون بورلاند الذي جاء الينا من المانيا وشغل مرتبة عالية في جيشنا ليحصل على حق السفر على ظهر سفينة تجارية ، ومن ثم هرب وقد وجهه إليه لوم شديد على هذا السلوك ، وبعد ذلك بوقت غير طويل توسل احد بارونات فرنسا الكبار ويدعى رينود دي مونتيميرال بالحاح شديد حتى امكنه برغم من الكونت لويس ان يرسل في مهمة الى سورية على احدى سفن الاسطول ، وكان هو وكل الفرسان الذين قد اقساموا على الانجيل المقدس على انهم سيهدون للانضمام الى الجيش بعد وصولهم الى سورية وتسليم رسالتهم ، وذلك بما لا يتجاوز اسبوعين وعلى هذا الشرط سمح لرينود بالذهاب فأخذ معه ابن اخيه هرفيه دي شاتيل ووليم موثق العقود وجيوفري دي بومونت ، وجين دي فردفيل ، واخاه بيير وعند كبير اخر ، لكنهم لم يحافظوا على قسمهم ايضا ، لانهم لم يعودوا مطلقا الى الجيش ، وبعد قليل سرت قواتنا كثيرا بسماع انباء بان الاسطول من فلاندرز والذي سلف وتكلمت عنه قد وصل الى مرسيليا ، وبعد جين دي نساس حاكم بروغ الذي كان يتولى قيادة هذا الجيش مع ابن الكونت فيليب دي فلاندرز ابنه تيري ونيكولاس دي ميلين برسالة يخبرون بها اميرهم الكونت بلدوين دي فلاندرز انهم كانوا يشتون في ذلك الميناء ، وطلبوا منه ان يخبرهم بما لديه من اوامر لهم ، مؤككين له في الوقت نفسه بانهم سيفعلون كل ما يأمرهم به أيا كان ، وبعد التشاور مع دوح البندقية والبارونات الفرنسيين طلبوا اليهم ان يبحروا عند اخر اذار وان يأتوا لمقابلتهم في ميناء ميثون في رومانيا ، وللأسف اساءوا التصرف جدا ، لانهم حدثوا بكلامهم وأبحروا بدلا من ذلك الى

سورية ، حيث لابد انهم لم يكونوا قادرين على فعل شيء يستحق الذكر ، ويمكنني ان اؤكد لكم ايها الاساقفة بان الرب لو لم يكن يحب جيشنا ، لما تماسك عندما اراد به كل هؤلاء الناس السوء .

وخلال الشتاء اجتمع البارونات معا وقرروا ارسال نواب عنهم لرؤية البابا ، الذي كان مستاء لدرجة كبيرة بسبب استيلائهم على زارا ، وقد اختاروا المبعوثين فارسين ورجلين من ذوي المراتب المقدسة ممن عرفوا فيهم الصلاحية لمثل هذه المهنة ، وكان احد رجلي الاكليروس نيفلون اسقف سواسون والثاني جين دي نويون مستشار الكونت بلدوين بي فلاندرز ، وكان الفارسان هما جين دي فرييز وروبرت دي بوف ، اقسام هؤلاء الرجال الاربعة على الانجيل المقدس بانهم سينفذون مهمتهم بوفاء واخلاص ، ثم يعودون للانضمام للجيش .

والتمزم ثلاثة منهم بكل دقة بقسمهم ، وبرهن الرابع روبرت دي بوف على انه غير اهل للثقة ، وفي الواقع انه لم يكن لينفذ مهمته بأسوأ مما فعل ، لانه حنث بقوله ومضى الى سورية ، كما فعل اخرون قبله ، وادى الثلاثة الباقون واجبههم بضمير ، وسلموا رسالتهم للبابا ، كما وجه البارونات - قائلين : « يا صاحب القداسة ان امرانا يرجونكم ان تنظروا نظرة رحيمة لاستيلائهم على زارا ، وان تروا انهم قد تصرفوا كناس لم يكن لديهم خيار افضل ، سواء من خلال خطأ النمن ذهبوا الى موانئ اخرى اولانه لم تكن لديهم طريقة اخرى للابقاء على وحدة الجيشين ، وهم بناء على ذلك يطلبون منكم باعتباركم اباهم الطيب ان تعلموهم مايسركم ان تأمروا به ، وسيطيعون بكل سرور ، واخبر البابا المبعوثين بانه كان مدركا تماما بانهم قد اضطروا بالتصرف بهذه الطريقة بسبب خطأ شعبهم ، وانه قد شعر بعطف كبير عليهم ، وهكذا ارسل رسالة جوابية يحيي فيها البارونات والصليبيين الآخرين ويمنحهم بركاته ، ويبلغهم انه قد منحهم الغفران كأبناء له ، ورجاهم وأمرهم ان يحافظوا على وحدة الجيش وتماسكه اذ انه كان يعرف جيدا انه

بدون مثل هذه القوات لن تتحقق خدمة الرب ، وفي الوقت نفسه أعطى سلطة كاملة لاسقف سواسون وجين دي دويون لربط الحجاج وتسريحهم حتى يأتي الوقت الذي يصل فيه كارديناله ليزور الجيش.

وفي ذلك الحين كان قدر كبير من الوقت قد انقضى ، حتى انه قد حل الصوم الكبير بالفعل ، وكان الصليبيون قد بدؤوا بوضع اسطولهم في حالة تاهب للابحار في عيد الفصح ، وفي يوم الاثنين من عيد الفصح بعد ان حملت السفن عسكريت قواتنا بقرب الميناء ، في حين ازال اهل البندقية المدينة ، عن وجه الارض ، ومع كل الاسوار والابراج ، وعند هذه النقطة وقع حدث كان له شأن خطير للجيش هو ان سيمون دي مونتفورت احد البارونات العظام في قيادة الجيش كان قد ابرم اتفاقية سرية خاصة مع عدونا ملك هنغاريا ، فانتقل الان الى صفه ، وتخلي عنا وذهب معه اخوه غي دي مونتفورت وسيمون دي نوفل ، وروبرت موفوازان ، ودرو دي كرسناك ، وراعي اللير البندكتي في فو ، وعدد كبير اخر ، ولم يمض وقت طويل حتى تركنا نبيل آخر من المراتب العالية في الجيش يدعى انغراند دي بوف ، واخذ معه اخاه هورغ واكبر عدد استطاع تعريضه من ولايته على اصطحابهم .

وكان مثل هذا الارتداد خطا سيئا للجيش وعارا عظيما للذين تركوه ، وكانت السفن الحربية ووسائل النقل جاهزة للتحرك ، وقد تمت الموافقة على وجوب لجوئها الى ميناء كورفو ، وهي جزيرة ضمن امبراطورية القسطنطينية حيث تنتظر اول المراكب وصولا المتأخر منها حتى تتجمع عليها ، وحدث هذا حسب الخطة .

وقبل ان ينطلق الدوح والمركيز دي مونتفورات من زارا مع الشواني وصل الى المدينة الكيسوس ابن الامبراطور اسحق امبراطور القسطنطينية الذي ارسله الى هناك الملك فيليب ملك المانيا ، وقد استقبل بحبور عظيم وتشريف ، واعطاه الدوح من الشواني والمراكب الاخرى بقدر ما كان يحتاج ، وهكذا غادروا

ميناء زارا تحملهم ريح مواتييه الى الامام حتى ابحروا بعد زمان طويل الى داخل ميناء دورازو ، وحالما رأى اهل هذا المكان اميرهم الشاب يصل سلموا عن طواعية مدينتهم ووضعوها بين يديه واقسموا بيمين الولاء له .

وبمغادرة دورازو ابحر الامير الكسيوس وجماعته الى كورفو وعند وصولهم وجدوا الجيش مقيما امام المدينة ، وكانت الخيام والبرادقات قد نصبت بالفعل واخرجت الخيول من سفن النقل لتهيئتها ، وفي اللحظة التي سمعت فيها قواتنا ان ابن امبراطور القسطنطينية قد وصل الى الميناء شوهد حشد كبير ، واضفوا عليه تشريفا عظيما وامر الامير بان تنصب خيمته في وسط القوات تماما في حين امر المركيز دي موندفرات ، الذي كان الملك فيليب قد وضع اخا زوجته الشاب في عهده بغييمته فنصبته على مقربة منها ، ومكث الجيش ثلاثة اسابيع في كورفو التي كانت جزيرة خصبة جدا ، ووافرة التموين بالغذاء ، وخلال هذا الوقت وقعت حادثة بالغة القماسة والالام حيث ان عددا كبيرا من الذين كانوا يسمعون لصل الجيش ، والذين عملوا في مناسبات سائلة ضد مصالحه تجمعوا الان معا واعلنوا ان المغامرة التي باشروها بدت لهم غير محتملة الطول والخطورة الشديدة ، وانهم بناء عليه سيهتدون على الجزيرة ويتركون بقية القوات تذهب بدونهم ، ثم انهم حالما يفار الجيش سيعملون بمساعدة اهل كورفو على ان يبعثوا برسالة الى الكونت غوشير دي بريين الذي كان في ذلك الوقت يحتل برنديزي يطلبون منه ان يرسل اليهم سفنا لتعيدهم الى مدينته ، ولايمكثني ان اذكر لكم اسماء الذين كان لهم يد في هذا الامر ، ولكنني ساذكر عددا من الذين شغلوا دورا رئيسا فيه ، وهؤلاء كانوا يودس دي شاميليت ، وجاك دي افنس وبيير دي اميان ، وغي شاتلان دي كوسي ، واوغير دي سانت شيرون ، وغي دي شاب ، وابن اخيه كليرمبود ، ووليم دي اونوا ، وبيير كواسو ، وغي دي برنس ، واخوه ايمون ، وغي دي كونفلانس ، ورشارد دي دامبيير ، واخوه يودس ، وغير هؤلاء ، كان هناك عدد كبير اخر ممن اتفقوا سرا بالانضمام الى

جزبهم ، ولكنهم لم يجرؤوا على الاقرار بذلك علنا ، لانه امر مخجل جدا ، وفي الحقيقة انه لصحيح القول ان اكثر من نصف الرجال في الجيش كانوا بالعقلية نفسها ، وحالنا ابرك المركيزي مونتقرات والكونت بلديين دي فلاندرز والكونت لوييس والكونت دي سانت بول ، والبارونات الذين اتفقوا معه ، الحالة اضطربوا بشكل خطير وقالوا : « سانتنا ، اننا في موقف يائس جدا ، وانا تركها هؤلاء الناس كما فعل عدد كبير جدا من قبل في مناسبات مختلفة ، سيكون الجيش قد هلك ، ولن ننتصر على شيء ، فلماذا لا نذهب ونرجوهم للرب ليظهروا بعض الاهتمام بانفسهم وبنا ، ولايشينوا انفسهم ولايهرمونا من الفرصة لتحرير الارض فيما وراء البحار » .

وقرروا ان يفعلوا ذلك ، ونهبوا جميعا في مجموعة الى واد حيث اجتمع الطرف الآخر في مؤتمر ، واخذوا معهم امير القسطنطينية الشاب وكل الاساقفة الذين كانوا مع القوات ، وحالنا وصلوا الى هناك ترجلوا عن خيولهم ، في حين ترجل الآخرون وقد رأوهم يحضرون عن احصنتهم أيضا ، وجاءوا للقائهم ، وخسر المركيز والذين معه على اتمام الطرف الآخر وهم يبكون بمرارة ، وقالوا انهم لن ينهبوا ثانية حتى يعد اولئك الرجال ان لا ينهبوا ويتركوهم .

وعندما تأثر الذين كانوا يعتزمون الفرار بعمق وتفجرت دموعهم بمراى امرائهم ، واقاربهم واصدقائهم وهم راكعين امامهم ، وهكذا قالوا انهم سيتشاورون معا ، وانسحبوا الى مسافة قصيرة ليتناقشوا في الامر ، وكانت نتيجة دراستهم انهم قرروا البقاء مع الجيش حتى عيد القديس ميكايل كبير الملائكة شريطة ان يؤدي الآخرون القسم في حينه على الانجيل المقدس انه من ذلك الوقت فصاعدا في اي لحظة يطلب منهم سيزودونهم بكل اخلاص وبدون نفاق بالسفن الكافية لينهبوا فيها الى سورية ، وذلك خلال اسبوعين من تقنين مثل هذا الطلب .

- ٤٤٣٠ -

وبالتالي جرى الاتفاق ووثق بالقسم وعم على الفور فرح عظيم في
كل الجيش ، وصعد كل الناس الى ظهور السفن ووضعت الخيول في
داخل سفن النقل .

الفصل السابع

رحلة الى سكوتاري

أيار - حزيران ١٢٠٣

أبحر الجيش من ميناء كورفو عشية عيد الحصاد في سنة ١٢٠٣ لتجسيد ربنا ، وكان كل الاسطول مجتمعاً هناك : الشواني وسفن النقل والسفن الحربية وأيضاً عدد كبير جداً من السفن التجارية التي كانت تصاحب القوات ، وكان اليوم جميلاً ومشمساً ، والرياح لطيفة ومواتية ، وكانت السفن قد نشرت أشرعتها للنسيم .

ويشهد جيوفري دي فيلهارمين ، مارشال شامبين ومؤلف هذا العمل - الذي لم يضع شيئاً قط حسب معرفته بشكل يعارض الحقيقة ، والذي كان علاوة على ذلك حاضراً كل المؤتمرات التي سجلت في صفحاته - هنا أن مثل هذا المنظر الجميل لم يشاهد من قبل ، وبدا حقاً أنه يوجد هنا أسطول يمكن أن يفتح البلدان لأنه على المدى الذي يمكن أن تصل إليه العين لم يكن هناك شيء يرى سوى الأشرطة المنسوجة على كل هذا العدد الكبير من السفن حتى أن قلب كل رجل كان مليئاً بالبهجة لهذا المنظر ، وأبحرت السفن عبر امتداد واسع من الماء ، حتى وصلت إلى رأس ماليا عند الطرف البعيد للمضايق بين امتنايين من عرض البحر ، هنا حدث أن لقيت سفننا سفينتين وهما في طريقهما عائنتين من سورية وهما مليئتان بالفرسان والسرجنية والحجاج الذين كانوا جزءاً من المجموعة التي ذهبت إلى تلك البلاد عن طريق مرسيليا ، وبرؤيتهم لأسطولنا بهذه الروعة وحسن التجهيز غلب على هؤلاء الرجال العار حتى أنهم لم يجرؤوا على اظهار وجوههم ، وأرسل الكونت بلدوين دي فلاندرز فارساً من سفينته ليستعلم عن عملهم وليخبر بمن كانوا ، وانزلق

أحد السرجندية من واحدة تلك السفن على جانبها ، وألقى بنفسه في قارب الكونت ، وصاح في النين تركهم على السطح : بامكانكم أيها الرجال أن تفعلوا ما تحبون بكل شيء تركته خلفي ، فأنا ذاهب مع هؤلاء الناس ، لأنه يبدو لي بالتأكيد أنهم سيربحون بعض الأرض لأنفسهم ، وقد أعطي هذا الرجل ترحيبا جميلا جدا من قبل القوات ، وقد اعتقد الجميع أنه رجل جيد جدا ، وفوق كل شيء وكما كان الناس ينزعون للقول إنه لا يهم كم يخطئ المرء لأنه يستطيع دائما أن يعود الى طريق الصواب في النهاية ، وأبحر الاسطول مكملا برنامجه حتى بلغ الى خليج نغرويونت الذي تطل عليه مدينة جميلة جدا تحمل الاسم نفسه ، وهنا عقد البارونات مؤتمرا ، أبحر بعده الماركيز بونيفيس دي مونتفرات والكونت بلدوين دي فلاندرز متجهين نحو الجنوب مع قسم كبير من الشواني ، وسفن النقل حتى بلغوا جزيرة أندروس حيث رسوا ، وسلح الفرسان أنفسهم واجتاحوا المنطقة حتى ناشد أهل أندروس أخيرا ابن الامبراطور أن يشفق عليهم وأعطوه الكثير من أموالهم وسلعهم حتى تدبروا أمر السلام معه ، ثم عاود الفرسان ضم سفنهم وأبحروا متابعين طريقهم ، ولكن خلال الرحلة عانوا من محنة كبيرة لأن غي أمر قلعة كوني ، وهو رجل نبيل رفيع المنزلة جدا في الجيش مات وألقى به في البحر ودفن فيه .

وفي تلك الاثناء دخلت السفن التي لم تتبع المسار المتجه جنوبا ، دخلت قنال اييدوس حيث تلتقي مضائق سان جورج بعرض البحر ، وأبحروا في المضائق صعدوا حتى اييدوس ، وهي مدينة جميلة جدا حسنة الموقع الى جوار الماء الأقرب لتركيا ، وهنا تركت القوات سفنها في الميناء ونزلت الى البر ، وخرج شعب اييدوس للقاءهم وسلموا المدينة لهم فورا كرجال لا تتدفق اليهم الشجاعة الكافية للدفاع عن أنفسهم ، وعلى أي حال فقد نظم الجيش حراسة جيدة على المدينة حتى أن الناس في المدينة لم يفقدوا ما يساوي اصفر قطعة نقد متداولة بينهم ، وبقيت القوات هناك مدة أسبوع في انتظار تلك السفن الحربية والشواني وسفن النقل التي لم تكن قد وصلت

بعد لتنضم اليهم ، وخلال هذا الوقت استولوا على القمع بينما كان يحصد لأنه كان موسم الحصاد ، وكانوا في حاجة ماسة لمثل هذه المؤن حيث لم يبق ليهم سوى القليل من المخزون ، وبطول نهلية الأسبوع ، وحيث منحهم الرب طقسا جميلا فإن كل المراكب الباقية وبقية البارونات وصلوا الى أبيدوس ، وأبحر كل الأسطول بعد ذلك معا من الميناء ، وفي لحظة الرحيل بدت مضايق (اليوسفور) سانت جورج في اتجاه الشرق مع الحشد الكامل من السفن الحربية والشواني ومراكب النقل كما لو كانت مزهرة ، لقد كانت حقا تجربة رائعة رؤية مثل هذا المنظر الجميل ، وأبحرت السفن متجهة الى أعلى المضايق حتى وصلت عشية يوم القديس يوحنا المعمدان الى حذاء بير القديس ستيفن ، وهو بير كان يقع على بعد أربعة أو خمسة أميال من القسطنطينية ، ومن تلك النقطة كان أمام جميع الذين كانوا على ظهر السفن كامل منظر المدينة ، وهنا دخل الأسطول الميناء ، وألقت السفن مراسيها ، ويمكنني أنؤكد لكم أن كل من لم يسلف له أن رأى القسطنطينية مطلقا من قبل كان يحملق بتركيز الى المدينة ، وهم لا يتخيلون مطلقا أنه يمكن أن يكون هناك مثل هذا المكان الجميل في كل الدنيا ، ولاحظوا الأسوار العالية والأبراج الباققة التي تحيط بها ، وقصورها الفخمة ، وكنائسها الشاهقة التي كان يوجد فيها كثير جدا ، حتى أن أحدا كان لا يمكنه أن يصدق أن هذا حقيقي لو لم يره بأعينيه ، ويرى طول المدينة وعرضها التي يحكم بسمو فوق كل المدن الأخرى ، وفي الحقيقة لم يكن هناك رجل مهما بلغت به الشجاعة والجرأة لم يرتجف جسده رعبا من هذا المنظر ، ولا كان هذا مما يثير العجب لأنه لم يسلف مطلقا أن نفذ مثل هذا العمل الكبير من قبل أي شعب منذ خلق الدنيا ، وبعد أن نزل البارونات ودوح البندقية الى الشاطئ عقدوا مؤتمرا في بير القديس ستيفن ، ظهرت خلاله كثير من الخلافات في الرأي ، ولا أقترح أن أخبركم هنا بكل الخطب التي أقيت في تلك المناسبة ، ولكن أعتقد أنه من المناسب أن أروي كيف أنه في حوالي انتهاء المفاوضات نهض الدوح على قدميه ، وخاطب الاجتماع قائلا : « سادتي إنني أعرف عن الأحوال في هذه الأجزاء أكثر مما

تعرفون ، حيث اني كنت هنا من قبل ، إنكم الآن مذبذبون بأعظم وأخطر مغامرة تولوها أي شعب آخر حتى يومنا هذا على الإطلاق ، وبناء عليه إنه من الأهمية البالغة لنا أن نتصرف بحكمة وحذر ، ودعوني أبين أنه اذا ذهبنا بطريق البر فإن هناك اصقاعا هائلة من الريف علينا قطعها ، في حين أن جماعتنا في عجز مالي وليس لديهم سوى القليل للأكل ، وبالتالي إنهم سيتبعثرون في كل الاتجاهات بحثا عن الغذاء ، والآن إن كل هذه المنطقة كثيفة السكان وليس بإمكاننا أن نضع رقابة صارمة على رجالنا حتى لا نلحق بعضهم على الطريق وهذا ما لا نقدر عليه ، لأنه ليس لدينا سوى القليل جدا من الرجال لهذا المشروع الذي بين أيدينا .

إن هناك جزرا قريبة - ويمكنكم رؤيتها من هنا - يسكنها اناس تنتج مزارعهم القمح واللحم وسلع أخرى من مثل ذلك ، وأقترح أن ندخل سفننا الى الميناء هناك لنجمع ما يمكن أن تمدنا به تلك الجزر من القمح والخبز الأخرى ، وعندما نكون مخزوننا كافيا من الطعام نتخذ موقفا تجاه المدينة ونبلي ما قدر الرب لنا من بلاء ، لأن الرجل الذي يجد شيئا يأكله يقاتل بحرص أكبر للفوز من ذلك الذي لا شيء في معدته ، ووافق البارونات على فعل ما أشار به الدوج ، ثم تفرق الجمع للعودة الى سفنهم .

واستراح الجيش تلك الليلة ، وفي الصباح الذي كان يوم يوحنا المعمدان رفعت الاعلام والرايات البحرية على صواري السفن ، ونزعت الاغطية عن الدروع وعلقت حول كل جوانب السفن ، واهتم كل رجل بأن يتأكد من أن كل الاسلحة والتجهيزات التي سيستعملها في حالة صالحة ، لأن كل منهم كان يدرك جيدا بأنها ستكون لازمة له قبل مضي وقت طويل .

ورفع البحارة المراسي ونشروا قلوبهم في وجه الريح ، وأعطاهم الرب نسيمًا طيبًا فيما بعد كما كانوا يحتاجون ، ومر الأسطول أمام الأسطىنية قريبا جدا من أسوارها وأبراجها حتى أنه كان بإمكان

الرجال أن يقصفوا الكثير من السفن الرومية ، واحتشد كثير من الناس على شرفات الاسوار حتى بدا كما لو أنه لم يعد هنا المزيد في بقية العالم من يمكن جمعهم معا ، وهكذا حدث بمشيئة الرب أن تخطى البارونات مضطرين عن الخطوة المتفق عليها في اليوم السالف في الابحار في اتجاه الجزر ، حتى أنه بتأثير ذلك بدا الأمر كما لو أن انبعاث في الواقع لم يسمع مطلقا بذكر مثل هذا المشروع ، وكانوا الآن يتجهون نحو الأرض الرئيسة بأقصى ما يمكن أن تسمح به سفنهم من حركة باتجاه مستقيم ، وأمر الأسطول بالرسو تجاه قصر كان يعود للامبراطور الكسيوس في مكان يدعي تشالاسيدون ، كان يقع مباشرة مقابل القسطنطينية على جانب المضيق الأقرب الى تركيا ، وكان هذا القصر واحدا من أجمل ما يمكن أن تراه العين وأكثره سحرا على الإطلاق ، وفيه من المباهج كل ما يمكن أن يتمناه الانسان ، أو ما يجب أن يكون في بيت أمير .

وبعد النزول الى البر أخذ البارونات مراكزهم في القصر ، أو في المدينة حوله ، ونصب القسم الأكبر منهم سرايهم ، وعندما أصبح الجميع مستعدين أخرجت الخيول من مراكب النقل ، في حين نزل الفرسان والمشاة بجهيزاتهم الكاملة من الأسلحة ، حتى لم يبق أحد في السفن سوى البحارة ، وكان الريف حول تشالاسيدون جميلا وخصباً وزاخراً بوفرة ، وبمؤن جيدة من كل الأنواع والأصناف ، وكان القمع الذي جرى جنيه للتو مكوماً ومخزناً في الحقول في العراء ، حتى أن كل من كان في حاجة ماسة اليه يمكنه أن يأخذ كل ما يحتاجه .

وأما البارونات اليوم التالي في تخوم القصر ، وبعد يومين وعندما أرسل الرب لهم ريحا مواتييه رفع البحارة المراسي ، ونشروا القلوع لتتلقى الذسيم وعبروا المضيق حتى أكثر من بضعة فراسخ فوق القسطنطينية الى حيث كان يوجد قصر آخر كان يعود الى الامبراطور اليكسيوس في مكان كان يدعى سكوتاري ، وهنا ألفت جميع السفن بما فيها الشوانى ومراكب النقل مراسيها ، وفي الوقت

- ٤٤٣٦ -

نفسه كان الفرسان جميعا قد تمركزوا في القصر وحوله وشدةوا طريقهم سيرا على طول الشاطئ ، وهكذا عسكر الجيش الفرنسي على مضائق سانت جورج في كل مكان من سكوتاري وعلى مسافة أبعد على الشاطئ ، وما ان علم الامبراطور اليكسيوس بتحركاته حتى أحضر جيشه الى خارج القسطنطينية ، واتخذ موقعه على الجانب الآخر من المضيق في مواجهة معسكر الجيش الفرنسي مباشرة ، وهناك نصب خيامه كي يكون مستعدا لمقاومة أي محاولة من جانبنا ، للنزول العاصف الى البر ، وبقيت القوات الفرنسية حيث كانت للأيام التسع التالية ، وحصل كل من كان في حاجة للمؤن عليها بأنفسهم ، وكان هنا يعني كل رجل في الجيش °

الفصل الثامن

الاستعداد للهجوم

٢٦ حزيران - ٤ تموز ١٢.٣

وبينما كانت القوات في سكوتاري خرجت مجموعة من الرجال الجيدين الموثوقين الذين كان واجبهم البقاء خارج المعسكر لحراسة الجيش ضد أي هجوم مفاجيء ، وحماية الكشافة الذين خرجوا في يوم ما لاستكشاف الريف حولهم ، وكان بين هذه المجموعة يودس دي شامبلت وأخوه وليم وأوغيير دي سانت خيرون ومانسبير دي أيل . والكونت جيرارد ، وهو نبيل من لومبارديا كان تابعا للمركيز دي مونتفرات ، وكان معهم حوالي ثمانين من الفرسان الجيدين الشجعان .

وخلال فترة استطلاعهم لحوا بعض السراقات المنصوبة عند سطح جبل على بعد بضعة فراسخ من المعسكر ، وكانت هذه تعود الى أمير البحر التابع لامبراطور القسطنطينية ، الذي كان معه حوالي خمسمائة فارس رومي ، وحالما لح أصحابنا هذا المعسكر وزعوا رجالهم الى أربع مجموعات بقصد مهاجمته ، وعندها سحب الروم بنورهم قواتهم ، واتخذوا تشكيلا قتاليا ووزعوه أمام السراق في انتظار الهجوم ، وتقدم رجالنا وهاجموهم بقوة .

وبعون الرب لم تدم هذه المعركة طويلا ، لأن الروم بعد فترة قصيرة أداروا ظهورهم وهربوا ، لقد هزموا من أول مواجهة ، ولاحقهم رجالنا لما يزيد عن فرسخ وفي هذه المصادفة كسب المنتصرون عددا جيدا من الخيول الحربية ، والخيول القوية ، والخيول الصغيرة والبغال وغنائم أخرى مما هو معتاد في

- ٤٤٣٨ -

مثل هذه الأمور ، وبعد ذلك عادوا الى المعسكر وجرى لهم ترحيب حار من قبل رفاقهم الذين اقتسموا معهم غنائمهم بطريقة موائمة وصحيحة ، وفي اليوم التالي ارسل الامبراطور رجلا موثوقا هـو نيكولاس رو ، وكان من اهل لومبارديا ، ارسله كمبعوث لمعسكرنا مع خطاب موجه للكونتات والبارونات ، فوجدهم في مؤتمر في قصر سكوتاري الجميل ، وبعد ان حياهم نيابة عن الامبراطور الكسيوس إمبراطور القسطنطينية ، سلم رسالته الى المركيز دي مونتفرات ، فأخذها المركيز وقرأها بصوت مرتفع في حضور كل البارونات ، وكانت تحوي كثيرا من الأشياء المختلفة لن يرووها هذا الكتاب ، ملاحظا فقط بأنها كانت متبوعة بتصريح يشهد بإمكانية الاعتماد على الحامل نيكولاس رو ، مع طلب إعطاء الثقة والاعتماد لما يقوله. وخاطبه المركيز قائلا :

سيدي الطيب لقد لاحظنا محتويات رسالتك ، وهي تطلب منا أن نعطي المصادقية لما تقول ، وأن نعتمده وهذا ماسنقله بالتأكيد ، لهذا تكلم بحرية ودعنا نعرف مالذي في فكرك .

وأجاب المبعوث الواقف أمام البارونات هكذا : سادتي لقد أرسلني الامبراطور الكسيوس لأقول أنه مدرك تماما أنكم بعد الملوك ، انتم انبل الرجال الأحياء ، وأنكم أنتم من أفضل بلاد العالم ، وهو بناء عليه يتعجب بشكل جدي لماذا ولأي سبب دخلتم هذه البلاد التي يحكمها ، لأنكم مسيحيون تماما مثله ، وهو يعرف جيد جدا أنكم تركتم بلادكم لتحرير الأرض المقدسة ، فيما وراء البحار ، وصليب الصلبوت المقدس ، والضريح المقدس ، فاذا كنتم فقراء وفي حاجة الى المؤن فانه سيعطيكم حصة من مؤنه وأمواله طالما أنكم ستدسحبون من أرضه ، واذا رفضتم المغادرة فانه سيكون مكرها لايقاع الأذى بكم ، ذلك أنه بإمكانه أن يفعل ذلك لأنكم لو كنتم عشرين ضعف ما أنتم عليه ، فإنكم لن – بفرض أنه اختار ايذاءكم – تستطيعوا ترك هذه البلاد دون فقد الكثير من رجالكم الى جانب معاناة الهزيمة .

- ٤٤٣٩ -

وبإرادة وموافقة البارونات الآخرين ، ودوج البندقية ، نهض فارس حكيم فاضل ومتحدث بليغ لأجابة المبعوث ، فقال : « سيدي الطبيب لقد أخبرتنا أن أميركم يتعجب كثيرا من أن أمراءنا وباروناتنا قد دخلوا ولايته ، وجوابنا هو أننا لم نكن لندخل ولاياته لولا أنه قد تملك ظلما هذه الأرض ، ودفاعا عن الرب ، والحق والعدل ، أنها تعود لابن أخيه الذي يجلس هنا على عرش بيننا - أنه ابن أخيه - الامبراطور اسحق ، وعلى أي حال إذا وافق أميركم على أن يضع نفسه تحت رحمة ابن أخيه ، وأن يعيد إليه تاجه وامبراطوريته ، فإننا سننرجو الأمير أن يمنحه مالا كافيا ليعيش بأسلوب ثري ، ولكن مالم تعودوا لأعطائنا مثل هذه الرسالة المطلوبة ، أَدْعُوا الرب ألا تغامروا بالمجيء الى هنا مرة أخرى » ، وهكذا غادر المبعوث ، وعاد الى القسطنطينية ليرى الامبراطور اليكسيوس .

وفي اليوم التالي اجتمع البارونات معا واتفقوا على أن يظهر الكسيوس الشاب الامبراطور صاحب الحق في القسطنطينية لشعب المدينة ، ولهذا أصدروا الأوامر لكل الشواني بالتسليح ، وصعد دوج البندقية ، والمركيز دي مونتفرات الى ظهر احداها ، وأخذوا معهم الأمير الكسيوس ، بينما دخل أكبر عدد ممن رغب من الفرسان والبارونات في مصاحبتهم الى السفن الأخرى .

ومروا على طول محاذاة أسوار القسطنطينية وعلى مقربة منها ، وأظهروا الأمير الشاب للروم ، وقالوا : هذا هو أميركم الطبيعي ، ونطلب منكم أن تصدقوا أننا لم نحضر لايزائكم ، بل على العكس لحمايةكم والدفاع عنكم ، طالما تتصرفون كما يجب ، ان الذي تطيعونه الآن كملك يحكم بينكم بون حق عادل مشروع ، ليكون امبراطورا لكم يدافع عن الرب والحق ، وأنتم تعرفون جيدا كيف تصرف بشكل خياني تجاه الرجل الذي هو أميره وأخوه ، وسمل عينيه ، وبشكل فظيع وظالم أخذ منه الامبراطورية ، هذا هو أميركم الحقيقي وسيدكم ، فإذا وقفتم في

- ٤٤٤٠ -

جانبه فانكم تفعلون مايجب فعله لكن اذا أحجمتم اننا سنفعل أسوأ مايمكننا فعله ، ومع ذلك فمن مطلق الخوف والرعب من الامبراطور الكسيوس لم يجرؤ رجل واحد من تلك الأرض أو في المدينة أن يظهر أنه في جانب الأمير الشاب ، وهكذا عاد البارونات الى المعسكر ، وذهب كل رجل الى موقعه .

وفي اليوم التالي بعد حضور القديس اجتمعوا في مجلس استشاري معاً ، وكان الجميع على ظهور الخيل في العراء في الحقول ، كانت تشاهد هناك أعداد كبيرة من الخيول الحربية القوية والعديد من الفرسان الجيدين فوق ظهورها وكان هدف الاجتماع ترتيب وتنظيم الفرق وإعداد تشكيلاتها وكانت هناك مناقشات كثيرة في أمور مختلفة بالتفصيل ، ولكن في النهاية تمت التسوية على أنه طالما أن الكونت بلدوين دي مونتفترات لديه وتحت إمرته العدد الأكبر من الرجال ذوي الخبرة ورماة السهام وحملة القوس والنشاب من أي أمير آخر في الجيش فانه يجب أن يولى على المقدمة .

وبعد ذلك تم ترتيب أن يشكل أخو الكونت هنري مع ماثيو دي والنكورت ، وبلاوين دي بوثوار ، وكثير من الفرسان الجيدين الذين جاءوا معهم من ولايتهم الفرقة الثانية ووضعت الثالثة بإمرة الكونت هوغ دي سانت بول الذي كان معه ابن أخيه بيير دي أميان ويوستاش دي كانتلون وأنسو دي كايو وكثير من الفرسان الجديرين من الاقليم نفسه .

وجعل الكونت لويس دي بلوا مسؤولاً عن الفرقة الرابعة ، وهذه كانت فرقة كبيرة جداً وقوية ومهيبه لأنها كانت تضم عدداً كبيراً جداً من الفرسان الشجعان ومن رجال آخرين ذوي كفاءة قتالية جيدة .

وشكل رجال شامبين تحت قيادة ماثيو دي مونتمورنسي الفرقة الخامسة ، وكان جيوفري مارشال شامبين في هذه الفرقة مع أوغيير دي سانت خيرون ، وماندسيير دي آيل ، وميلون لي

- ٤٤٤١ -

برابارنت . وماكير دي سانت مينوهولد . وجين فواستون وغي دي شاب ، وابن أخيه كليز مبود ، وروبرت دي رنسوا ، وقد ضمت كما يمكن القول عددا كبيرا من الفرسان الجيدين ، وكون البيرغنديون الفرقة السادسة وبينهم كان يودس دي شامبلت ، وأخوه وليم ورتشارد دي دامبيير ، وأخوه يودس وغي دي بزم وأخوه ايمون وأوتو دي لاروش ، وغي دي كونفلانز الى جانب رجال من الاقليم نفسه ومن مقاطعاتهم العديدة ، والفرقة السابعة وكانت كبيرة جدا وكان يقودها المركيز دي مونتفرات ، وكان فيها اللومباريين والتوسكانيين والألمان والرجال من كل الأراضي الممتدة من مونت سنيس الى ليون على الرون ، وقد رتب أن تكون هذه الفرقة في الساقة .

وقد حدد الآن اليوم الذي تحمل فيه القوات على سفنها وتمضي لاختذ الأرض بالقوة وتعيش أو تموت ، وكانت هذه ويمكنني أؤكد لكم ، إحدى أكثر المغامرات التي تم توليها من قبل هؤلاء على الاطلاق ، وخاطب الاساقفة ورجال الاكليروس الآخرين مبينين الحاجة الى أن يقوم كل رجل بالاعتراف وكتابة وصيته بما أن مامن أحد يمكنه أن يعرف هدف الرب المختص به ، وقد نفذت هذه التعليمات طواعية وبورع من قبل كل رجل في الجيش .

الفصل التاسع

الحصار الأول للقسطنطينية

٥ - ١٧ تموز ١٢٠٣

وحل اليوم المحدد وكان جميع الفرسان وخيولهم الحربية على ظهر الناقلات ، وكان كل رجل كامل التسليح وخبونته مربوطة ، وفرسه مسرجة بالشكل المناسب ، وسرجه مكسو بغطاء مزركش ، وكان الناس من المراتب الأدنى كرجال من النسق التالي في المعركة متمركزين فوق السفن الحربية ، وكانت كل واحدة من الشواني مسلحة ومتأهبة .

وكان الصباح الباكر فور شروق الشمس جميلا صافيا ، وعلى الجانب الآخر من المضيق وقف الامبراطور الكسيوس ينتظر الهجوم ، وقد وزع جيشه الى فرق عديدة ومزودة بكل التجهيزات اللازمة للمعركة ، وصدحت الأبواق ، وكانت كل سفينة نقل مربوطة بحبل جر الى شيني حتى تصل الى الجانب الآخر بسهولة أكثر ، ولم يسأل أحد أي سفينة تذهب أو لابل أي سفينة يمكنها أن تقلع أسرع ، وتصل الى البر قبل البقية .

ونزل الفرسان من سفن النقل وقفزوا في البحر وخاضوه حتى خصورهم ، وهم بكامل سلاحهم وخبونهم مشدودة ورماحهم في أيديهم ، وبطريقة مشابهة نزل رماة سهامنا والسير جندي وحاملي القوس والنشاب كل في جماعته نزلوا الى البر حالما لمست سفينتهم الأرض .

وبدا الروم وهم مستعدون ليقوموا بعرض جيد للمقاومة ، ولكن

- ٤٤٤٣ -

ما أن خفض الفرسان رماحهم حتى استداروا جميعا وفروا وتخلوا عن الشاطئ لرجالنا ، ويمكنني أن أقول أن أي ميناء لم يؤخذ بأكثر من هذا الفخار ، وبدأ البحارة الآن يفتحون الأبواب في جوانب سفن النقل ، ويقودون الخيول الى خارجها وامتطأها الفرسان بسرعة ، بينما بدأت الفرق في التقدم وفق النظام المعين .

وتقدم الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينو الذي كان يقود المقدمة على رأس قواته بينما تبعتهم الفرق الأخرى حسب النظام المعين لها ، حتى وصلت جميعا الى المكان الذي كان يعسكر فيه الامبراطور الكسيوس ، وكان على أي حال قد تراجع باتجاه القسطنطينية تاركا خيامه وسراقاته منصوبة ، وحصل رجالنا على كمية كبيرة من الأسلاب هناك .

وقرر باروناتنا أن يعسكروا على طول الميناء تجاه برج غلاطية الذي كان عند أحد طرقي السلسلة التي كانت تمتد من القسطنطينية عبر مدخل الميناء ، والآن أصبحت كل سفينة تريد دخول الميناء يمكنها أن تفعل ذلك فقط باجتياز هذه السلسلة .

وأدرك باروناتنا بوضوح أنهم إن لم يأخذوا ذلك البرج ويحطموا تلك السلسلة فإنهم سيكونون في وضع رهيب ، وكأنهم أموات ، لذلك أمضوا تلك الليلة أمام البرج في حي يدعى استانور ، وكان في الواقع مدينة صغيرة وجميلة وغنية .

وبقي الجيش متيقظا جدا تلك الليلة ، وفي الصباح في حوالي الساعة التاسعة شن الروم في برج غلاطية بدعم من آخرين ممن جاءوا في مراكب من القسطنطينية هجوما علينا ، وهزلت قواتنا الى أسلحتها ، وكان جاك دي أفندس ورجاله وكلهم من المشاة أول من اشتبك مع العدو ، ولقي كما يمكنني القول مقاومة ضارية وجرح في وجهه بطعنة رمح ، وكان في وضع خطير قريب من القتل المباشر ، عندما قفز أحد فرسانه ويدعى نيكولاس دي جنليان الى

- ٤٤٤٤ -

ظهر حصان ونجح في انقاذ اميره من الخطر ، وقد أبلى هذا الفارس نفسه بلاء حسنا في المواجهة حتى أنه كسب مديحا عظيما من أجل سلوكه المقدام .

وأطلقت الدعوة الى السلاح في المعسكر واصطف رجالنا على كل الجوانب ودفعوا بالعدو الى الوراء بقوة ، حتى أن العديد منه قتل أو أخذ أسيرا ، وركض عدد من الروم بدلا من التراجع نحو البرج ، ونزلوا الى المراكب التي جاءوا بها وغرق كثير منهم ، ولكن بعضهم تمكن من النجاة بنفسه ، أما بالنسبة للذين عادوا باتجاه البرج مضت قواتنا في أعقابهم بسرعة حتى أنهم لم يتمكنوا من اغلاق الباب ، وجرى مزيد من القتال العنيف عند المدخل ، بيد أن رجالنا سيطروا على الموقف بالقوة وجعلوا من الذين كانوا بداخل البرج سجناء ، وقتل كثير من الروم أو أخذوا أسرى في مجرى هذه الأحداث .

وهكذا تم الاستيلاء على حصن غلاطية ، وتم كسب المدخل الى ميناء القسطنطينية بقوة السلاح ، وابتهجت قواتنا بدرجة كبيرة بهذا النجاح ، وشكروا الرب بقلوب ممتنة ، وكان أهل المدينة من جانب آخر في غاية الكآبة ، وفي اليوم التالي أحضر كامل اسطولنا من السفن الحربية والشواني ومراكب النقل الى الميناء ، وعند هذه النقطة اجتمع قادة الجيش في مؤتمر لدراسة أي خطة للعمل يجب أن يتبعوها فيما اذا كانوا سيهاجمون من البحر أو من البر ، وكان أهل البندقية متمسكين بقوة بالرأي القائل بأن سلالم تسلق الأسوار يجب أن تمتد فوق السفن ، وأن يتم الهجوم من البحر ، واحتج الفرنسيون من جانبهم بأنه لايمكنهم أن يعتمدوا على البحر كما يفعل أهل البندقية ، ولكنهم ماأن وصلوا الى الأرض مع خيولهم وتجهيزاتهم المناسبة بإمكانهم أن يقدموا خدمات أفضل ، وهكذا تقرر في النهاية أن يشن أهل البندقية هجومهم من البحر في حين يقاتل البارونات وجيشهم العدو في البر .

وبقيت القوات في المعسكر للأيام الأربعة التالية ، وفي اليوم الخامس استعد كل الجيش وتقدمت الفرق على ظهور الخيل كل في ترتيبها المعين على طول الجانب الشمالي الشرقي من الميناء حتى أصبحوا أمام قصر بلاشيرين ، وفي الوقت نفسه أبحرت السفن في الميناء الى أقصى طرف بالضبط في مقابل المكان حيث تمركزت القوات الفرنسية وهنا يصب نهر في البحر ويمكن عبوره فقط بجسر حجري ، وقد حطم الروم هذا الجسر ، وعليه أمر البارونات الجيش بالعمل كل ذلك اليوم والليلة التالية في اصلاحه .

وفي صباح اليوم التالي وحالما أصبح الجسر في حالة صالحة ، سلحت الفرق وركبت وفق النظام المحدد الواحدة خلف الأخرى لتأخذ مواقعها أمام المدينة .

ولم تخرج نفس واحدة لمهاجمتها ، وكان هذا مدهشا حقا ، حيث أنه مقابل كل رجل كان لدينا في الجيش كان هناك على الأقل مائتين في القسطنطينية .

وقرر البارونات أن يعسكروا بين قصر بلاشيرين وقلعة بوهوموند التي كانت في الواقع بيرا محاطا بأسوار عالية ، وهنا نصبوا خيامهم وسراقاتهم ، لقد كان منظرا يملأ القلب بالفخر والرهبة ، لأن مدينة القسطنطينية كان لها واجهة تمتد في الأرض نحو ستة أو سبعة أميال ونيف ، وكان جيشنا كله كبيرا فقط بما يكفي لمحاصرة إحدى بواباتها ، وكان في الوقت نفسه أهل البندقية وهم في سفنهم على الماء ، قد رفعوا سلالهم ونصبوا عراداتهم ومنجنيقاتهم ، ووضعوا كل شيء في نظام رائع للهجوم ، وأعد البارونات من جانبهم عراداتهم ومنجنيقاتهم واستعدوا للهجوم من البر .

وخلال كل هذا الوقت ربما أقول ، إن جيشنا لم يكن بأي حال متروكا في هدوء وسلام ، ولم يكن هناك في الواقع ساعة واحدة من

- ٤٤٤٦ -

النهار والليل لم يكن فيها على واحدة من فرقنا أن تقف وهي كاملة التسليح أمام بوابة بلاشرين ، لتقوم بالحراسة على الآلات وترد غارات المحاصرين من داخل المدينة ، وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات ، لم يتفادى الروم عن القيام بهجمات متكررة من المدينة ، من هذه البوابة أو البوابات الأخرى ، وأعطوا قواتنا القليل جدا من الراحة حتى أن كامل المعسكر كان يدعى للأسلحة هـوالي ست أو سبع مرات في اليوم ، ولم يكن أحد فضلا عن ذلك قادرا على الحركة للبحث عن الطعام لمسافة أبعد من أربع غلوات سهم عن المعسكر وكنا في عجز شديد في المؤن ، سوى بالنسبة للدقيق ولحم الخنزير وكان هذان في الواقع قليلين جدا .

ولم يكن لدى القوات لحم طازج بالمرة ، سوى ما كانوا يحصلون عليه من الخيول التي تقتل وكان هناك في الواقع في كل معسكر طعام كاف فقط للأسابيع الثلاثة التالية ، وهكذا كان جيشنا في حالة بائسة للغاية حيث أنه لم يحدث مطلقا في أي مدينة أن حوصرت مثل هذه الكتلة بهذه القلة .

وعند هذه النقطة وضع البارونات خطة رائعة للدفاع ، فحصنوا المعسكر بأحاطته بسيج قوي من الألواح الخشبية الجيدة السمكية مع أعمدة متعارضة وبذلك جعلوا أنفسهم أقوى بكثير ، وأمن من قبل ، واستمر الروم مع ذلك في القيام بمثل تلك الهجمات المتكررة حتى أنهم لم يعطوا القوات أي راحة ، وكان رجالنا في المعسكر يصدونهم بقوة ، وفي كل مناسبة كان الروم يعانون خسائر فاحشة .

وفي أحد الأيام بينما كان البيروغنديون في الحراسة قامت مجموعة من أفضل القوات في الجيش الرومي ، باغارة مفاجئة من داخل المدينة وانقضت عليهم ، وطار رجالنا بدورهم تجاه العدو وهاجموهم بضراوة شديدة حتى صدوهم الى الوراء ، وفي ملاحقتهم للروم تبعوهم حتى قرب البوابة حتى أن الرجال فوق الأسوار ألجأوا أحجارا ثقيلة وكبيرة فوقهم ، وفي هذا الأمر أسر أحد رجال الروم في

المدينة ، وكان يدعى كوندستنتين لاسكارس وهو ما يزال فوق حصانه على يد غوتبير دي ذويلي ، وانشاء القتال كسر ذراع وليم دي شامبليت بحجر ، وكان هذا مما يدعو للأسف الشديد ، لأنه كان فارسا شهما وجيدا ، وأنا لا اقترح أن أخبركم بكل الضربات التي وجهت ووقعت في هذه المواجهة ، ولا بعد القتلى والجرحى ، وسأذكر على كل حال أنه قبل أن ينتهي القتال ، جاء فارس كان في خدمة هنري أخي الكونت بلدوين للانضمام الى القتال ، ولم يكن لديه ما يقيه سوى سترة مبطنة ، وخوذة من الصلب ، ودرع معلق في العنق ، ومع ذلك فقد أبلى بلاء حسنا حتى أنه كسب شرفا عظيما .

وكان هناك من الايام القليل مما لم ترو عن وقائعه الحكايات ، ولكني لا أستطيع أن أسجلها ويكفي القول بأن الروم استمروا في الضغط بقوة على رجالنا حتى أنهم لم يستطيعوا النوم أو الأكل أو الراحة ، سوى وهم مسلحون بالكامل ، وربما يمكنني أن أذكر اغارة واحدة من احدى البوابات التي على طول الجدران التي خسر فيها العدو مرة أخرى بشكل فادح ، وقتل أحد فرساننا ويدعى وليم دي جي في هذه المواجهة ، وفي المناسبة نفسها تميز ماثيودي والنكورت ولكنه فقد حصانه ، الذي قتل فوق الجسر المتحرك أمام البوابة . وقد أبلى فرسان آخرون عبيدون أيضا بلاء حسنا . وعلى البوابة من الجانب الآخر قصر بلاشرين التي اغار الروم منها كثير جدا ، كسب بييردي براسيو لنفسه شرفا أكبر من أي واحد آخر وبشكل رئيسي لأن مراكزه كانت الأقرب منها حتى أنه أمكن له أكثر أن يساهم في القتال .

وقد تعرض جيشنا لهذه المخاطر ولمن اختبار القوة لنحو عشرة أيام ، حتى يوم خميس عندما بات كل شيء مع سلالم تسلق الاسوار معدا للهجوم الرئيسي ، ففي هذه الاثناء كان اهل البندقية قد اتموا استعدادهم فوق الماء ونظم أمر الهجوم بحيث يترك ثلاث فرق للحراسة خارج المعسكر ، في حين تتقدم أربع فرق أخرى للهجوم على المدينة ، وبقيت قوات المركيز دي مونتفرات الأخرى للحراسة في

المخيم في الجانب المواجه للريف الواسع ، قدعها الفرقة البير غنية
ورجال شامبين بقيادة ماثيودي ونيتمورنسي ، وقاد الكونت بلدوين
دي فلاندرز ودي هينوت فرقة في الهجوم برفقة الذين كانوا تحت
قيادة أخيه هنري ، والكونت لويس دي بلوا ودي كارتران والكونت
هوغ دي سانت - بول .

ونصب الفرنسيون سلمين على شرفات جدار الحصن الأمامي
المتاخم للبحر ، وكان الجدار في هذا الجانب يتحكم فيه بقوة الانكليز
والدانمركيون ، وكان الصراع الذي أعقب ذلك شديدا وقاسيا
وضاريا وبعد بذل المزيد من الجهود العنيفة والقوية تدبر فارسان
واثنان من السرجندية صعود السلالم وسيطروا على الجدار وصعد
ماينوف على خمسة عشر رجلا الى أعلى ، وسرعان ما اشتبكوا في
عراك بالسيوف والبلط ، واستجمع الروم في داخل الحصن
شجاعتهم ودافعوا بضراوة حتى دفعوا برجالنا الى الخارج بينما
احتجزوا اثنين كأسرى ، واقتيد هؤلاء الى الامبراطور اليكسيوس
الذي كان مفرد السرور برؤيتهم ، وهكذا كانت حصيلة الهجوم فيما
يتعلق بالفرنسيين وجرح العديد وترك العديد بأطراف مكسورة ، وقد
انزعج البارونات بدرجة كبيرة بسبب هذا الوضع والوقائع ، وفي
هذه الاثناء لم يتوقف دوج البندقية عن أداء دوره ذلك أنه شكل جميع
سفنه في وضع القتال في خط يمتد بطول ثلاث رميات سهام ، وبعد
ذلك بدأ أهل البندقية في الاقتراب من الشاطئ من القسم الذي كان
يقع تحت الأسوار والأبراج ، وبعدها كان بإمكانك أن ترى
منجنقاتهم تقذف بالأحجار من فوق ظهور المراكب الحربية ومراكب
النقل مع رشقات السهام من أقواسهم وهي تطير عبر الماء ، وكان
رماة السهام يرسلون رشقة بعد رشقة من السهام ، وكان الروم من
جانبهم يدافعون بضراوة عن المدينة من أعلى شرفات الأسوار مع
اقتراب سلالم التسلق التي على ظهور السفن حتى أنه في بعض
الاماكن كانت السيوف والرماح تتصادم الواحد مع الآخر .

وكانت الجلبة هائلة حتى بدا كما لو أن كلا من البر والبحر كان

يتفتتان قطعا ، وكانت الشواني على أي حال لا تجرؤ على الاقتراب من الشاطيء .

ودعني أخبرك هنا بعمل رائع من أعمال البسالة : وقف دوج البندقية مع أنه كان رجلا مسنا وأعمى بالمرّة تحت قوس سفينته ، وعلم القديس مارك (مرقص) مذشور أمامه وصاح في رجاله لينزلوه الى الشاطيء والا فإنه سيتعامل معهم كما يستحقون واطاعوه على الفور حيث مست السفينة الأرض وقفز الرجال منها الى الشاطيء وهم يحملون علم القديس مارك الى الشاطيء ، أمام الدوج وحالما رأى أهل البندقية الآخرون العلم فوق البر وأن سفينة أميرهم تمس الأرض أمامهم شعر كل رجل منهم بالخزي ونزل الجميع الى الشاطيء، وقفز الرجال من مراكب النقل وخاضوا في الماء ، في حين نزل النين كانوا في سفن أكبر الى القوارب وكان كل واحد منهم يتنافس مع الآخر مسرعين للوصول الى البر ، ثم بدأ هجوم رائع كبير على المدينة ، ويؤكد جيوفري دي فيلهالين مؤلف هذا التاريخ ، هنا أن أكثر من أربعين شخصا قد أكدوا له بشكل لا ريب فيه أنهم قد رأوا علم القديس مارك يخفق فوق أحد الأبراج ، ولكن أحدا منهم لم يعرف من غرسه هناك ، والآن دعوني أخبركم بحدث رائع جدا حتى أنه يمكن أن يسمى معجزة ، لقد هرب الناس الموجودون في المدينة وتخلوا عن الأسوار لأهل البندقية ، واندفع هؤلاء جميعا من خلال البوابات وكل واحد منهم يحاول أن يسبق الآخرين واستولوا على خمس وعشرين برجاً كانت مشحونة برجالهم ، وطلب الدوج احضار قارب لارسال رسل بأسرع ما يمكن ليخبروا البارونات بأنه قد تم الاستيلاء على خمس وعشرين برجاً وليؤكدوا لهم أنه لا يمكن استعادتها مطلقا ، وكان البارونات من جانبهم في بهجة مفرطة حتى أنهم لم يستطيعوا التصديق أن الأخبار كانت صحيحة ، وفي هذه الأثناء بدأ أهل البندقية بارسال القوارب الى المعسكر الفرنسي محملة ببعض الخيول والدواب التي أخذوها كغنائم في القسطنطينية .

وعندما رأى الامبراطور اليكسيوس أن أهل البندقية قد تمكنوا من دخول المدينة ، بدأ يرسل القوات ضدهم بأعداد كبيرة حتى وجدوا أنه من المستحيل أن يصمدوا أمام العدو ، وبناء عليه أشعلوا النار في الأبنية التي بينهم وبين الروم ، وحيث أن الريح في ذلك الوقت كانت تهب من الجانب البندقي أصبحت النار تدرجيا كبيرة حتى أن الروم لم يعودوا يستطيعون رؤية خصومهم ، وهكذا أصبح هؤلاء قادرين على الانسحاب بسلام الى الأبراج التي استولوا عليها وغزوها من قبل .

وعند هذه النقطة أخرج الامبراطور اليكسيوس كل قواته الموجودة خارج المدينة عن طريق بوابات على بعد فرسخ من معسكرنا ، وجاء عند هائل جدا منهم يتدفقون حتى ليخيل اليك أن العالم كله قد احتشد هناك ، وبعد أن نظم فرقه فوق السهل ، ركب الامبراطور وزحف معهم نحو المعسكر الفرنسي ، وفي ذلك اليوم كان هنري أخو الكونت بلدوين دي فلاندرز واقفا في نوبة حراسة على الآليات ، برفقة ماثيودي والذكورت وبلدوين دي بسوفوار والرجال الذين في فرقته ، ووضع الامبراطور اليكسيوس في مقابلهم فرقة كبيرة من قواته ومعهما أوامر بأن يخرج رجالها من خلال ثلاث بوابات ويشنوا هجوما على المعسكر من جانب آخر .

وزحفت فرقنا الست الأخرى الآن خارجة من المعسكر حسب الخطة واصطفيت في صفوف أمام الطوق ، وكان السرجنية وحملة الدروع على أقدامهم ووقفت خلفهم خيولهم مباشرة ، بينما كان حملة الأقواس ورماة السهام في الأمام ، وكان يرافقهم أيضا جماعة من الفرسان على أقدامهم ، لأن مائتين منهم على الأقل قد فقدوا خيولهم ، ووقف الجميع في هدوء أمام الطوق وبحكمة أيضا لأنهم لو تقدموا لمهاجمة العدو في السهل لاغرقةهم الروم في وسطهم ، ذلك أنهم كانوا أعدادا كبيرة جدا ، وبدا كما لو أن السهل كله كان مغطى بالقوات التي كانت تتقدم ببطء وبنظام جيد ، وكان يبدو أننا في حالة يائسة جدا حيث أنه لم يكن لدينا أكثر من ست فرق ، في حين .

كان لدى الروم ما يقرب من ستين فرقة ، وكانت كل واحدة أكثر من فرقنا ، ومع ذلك كانت قواتنا موزعة بطريقة تجعل من غير الممكن مهاجمتها إلا من الأمام ، وأخرج الامبراطور أليكسيوس الآن رجاله متقدما بحيث يمكن لكل جانب أن يرمي في اتجاه الجانب الآخر ، وبسماع هذا بعث دوج البندقية بأوامر الى رجاله قضت بأن ينزلوا من الأبراج التي استولوا عليها ، وأعلن أنه سيحيا أو يموت في صحبة الحجاج ، وهكذا جاء مبحرا نحو المعسكر بأكبر عدد من الرجال أمكنه أن يحضرهم معه ، وكان أول من وضع قدمه على الشاطئ ، ولفترة طويلة نوعا ما وقفت جيوش الصليبيين والروم تواجه بعضها بعضا ، لأن الروم لم يجرؤوا على الاندفاع نحو صفوفنا ، ولم يكن رجالنا يبتعدون عن طوقهم ، وعندما أدرك الامبراطور الحالة بدأ بسحب قواته ، وحالما جمعهم أدارهم باتجاه المدينة ، واذ رأى ذلك جيش الصليبيين أخذ يزحف ببطء نحوهم وأخذ الروم يبتعدون ، وفي النهاية تراجعوا الى قصر فيلوباتريون .

ويمكنني أن أؤكد أن الرب لم ينقذ قط شعبا من خطر عظيم كان حقا أعظم من الخطر الذي أنقذ منه شعبا ذلك اليوم ، ولم يكن هنالك أي رجل في الجيش مهما كان مقداما أو شجاعا لم يمتلئ قلبه بالسرور وهكذا توقفت المعركة ذلك اليوم وبمشيئة الرب لم يحدث شيء آخر ، لقد عاد الامبراطور أليكسيوس الى المدينة وعاد رجالنا الى المعسكر مرهقين ومنهكين كليا ، حيث خلعوا دروعهم ووضعوا سلاحهم وأكلوا وشربوا قليلا بسبب العجز الشديد في القموين .

ودعوني الآن أطلب منكم التأمل في معجزات ربنا وكم هي رائعة عندما يسره أن يقوم بها ، وفي تلك الليلة بالذات جمع الامبراطور أليكسيوس من الأموال والأشياء الثمينة ما أمكنه أن يحمله معه ، وأخذ معه من الناس من رغب في الذهاب معه وهرب تاركا المدينة ، وكان أهل القسطنطينية مذهولين تماما ، وذهبوا الى السجن حيث كان الامبراطور اسحق الذي كانت عيناه مسمولتين محتجزا ،

والجسوه ثيابه الامبراطورية ، وحملوه الى القصر الكبير في بلاشرين
حيث اجلسوه على عرش مرتفع وادوا له قسم الولاء كأمر لهم ، ثم
بموافقة الامبراطور اسحق ارسل الرسل ليخبروا الأمير اليكسيوس
والبارونات بأن مفتصب العرش قد هرب ، وأن شعب القسطنطينية
قد أعاد تنصيب أخيه بمثابة امبراطور شرعي لهم .

وحالما سمع الأمير الشاب الأخبار ارسل للمركيز دي مونتفرات
الذي استدعى على الفور البارونات جميعاً من كل المعسكر ، وحالما
اجتمعوا جميعاً في فسطاط ابن الامبراطور اسحق ، وأخبرهم
الأمير بالأنباء كان سرورهم بسماعها بالغاً لدرجة لا يمكن وصفها ،
لا بل إن سرورا أعظم من ذلك لم يشعر بمثله أحد قط في هذا العالم ،
وانضمت الجماعة كلها في أداء شكر جليل وفاسع للرب لتحريرهم في
هذا الوقت القصير جداً ، ورفعهم الى هذه الدرجة من ذلك الوضع
المتنني ، وبناء عليه يمكن للمرء أن يقول بحق : « من أراد الرب
مساعده لا يمكن لأي رجل آخر الحاق الأذى به » .

الفصل العاشر

ميثاق الامبراطور

تموز - تشرين الثاني ١٢٠٣

ومع اقتراب فجر ذلك اليوم بدأ رجالنا في ارشاء دروعهم وتحضير اسلحتهم وكان كل واحد في المعسكر يفعل ذلك ، لأن احدا لم يكن يثق في الروم ، وبدأت الرسل تخرج من المدينة وكلهم مع القصة نفسها التي تحكى . وقرر البارونات بالاشتراك مع دوج البندقية أن يرسلوا مبعوثيهم الخاصين الى القسطنطينية ليروا كيف كانت الامور حقيقة ، فإذا كان ما قيل لهم صحيحا فإنها سيطلبون من الابن تصديق الميثاق الذي أبرمه ابنه ، وإلا فإنهم لن يسمحوا للإبن بدخول المدينة ، وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة هم ماثيودي مونتورنسي ، وجيوفري دي فيلهارين مع اثنين من أهل البندقية عينهما الدوج .

واقترح هؤلاء الرجال الأربعة الى قصر بلاشيرين وحالما فتحت البوابة نزلوا عن خيولهم ، وكان الروم قد وضعوا حراسا من الرجال الانكليز والدانمركيين مزويين بالفؤوس الحديدية (البلط) عند البوابة وعلى طول الطريق حتى الباب الرئيسي للقصر ، وعند دخولهم المبنى وجدوا الامبراطور اسحق مكتسيا بأربية غالية ، حتى لكان المرء يبحث عبثا ليجد رجلا في أي مكان يلبس بمثل هذا الفنى ، وإلى جانبه جالست الامبراطورة زوجته ، وهي امرأة جميلة جدا ، وكانت أخت ملك هنغاريا ، وكان هناك أيضا الكثير جدا من اللوردات والسيدات العظام حتى لقد كان هناك بالكاد مكان للتلفت ، وكانت السيدات بشكل خاص مكتسيات ومتزينات بثراء حتى أنه لم يكن يمكن أن يكون هناك من هن أجمل ، وكل الذين

كانوا في اليوم السالف ضد الامبراطور كانوا الآن شديدي الرغبة أن يضعوا أنفسهم تحت تصرفه ، وجاء المبعوثون ووقفوا بين يدي الامبراطور في حين أضفى هو وبقية الحاشية عليهم شرفا كبيرا ، وقالوا للامبراطور إنهم يرغبون في التحدث معه بشكل خاص نيابة عن ابنه وبارونات الجيش ، فنهض ومضى الى غرفة اخرى ولم يأخذ معه أحد سوى الامبراطورة ومستشاره ومترجمه والمبعوثين الأربعة ، وبموافقة مشتركة من رفاقه عمل جيوفري فيلهاردن مارشال شامبين بمثابة ناطق باسمهم فخطبه : «يا صاحب الجلالة الامبراطورية إنك تعرف أي خدمات قدمنا لباك ، وتذكر أننا قد التزمنا بشروط اتفاقنا معه ، وأننا مع ذلك لا يمكننا أن نسمع له بالمجيء الى هنا ما لم يعطنا ضمانا للاتفاق الذي أبرمه معنا وهو بناء على ذلك كابن لك يطلب منكم أن تصدقوا على هذا الميثاق كما فعل هو نفسه ، وسأل الامبراطور : ما هي شروط هذا الميثاق ؟ فأجاب المبعوث : سأخبركم إن الشروط كما يلي : « أول كل شيء أن تضعوا كامل هذه الامبراطورية تحت سلطة روما التي انفصلت عنها منذ زمان طويل ، ثانيا أن تعطوا ٠٠٠ ر ٢٠٠ مارك فضي للجيش مع تموين لمدة سنة من المؤن للرجال من كل المراتب ، وأن تنقلوا ٠٠٠ ر ١٠ رجل في سفنه الى مصر ، وأن تبقيهم هناك تحت تصرفه لمدة عام ، وأن تحتفظوا طيلة حياته وتحت تصرفه بمجموعة من ٥٠٠ فارس في أراضي ما وراء البحار لحراستها ، إن هذا هو الميثاق الذي أبرمه ابذكم معنا ، وقد تم تأكيده بالقسم وبالعقود مختومة ، وضمن علاوة على ذلك ومن قبل صهركم الملك فيليب ملك المانيا ، ونرغب الآن أن تؤكدوه أنتم

ورد عليه الامبراطور كما يلي : إن هذه شروط قاسية جدا ولا أرى حقا كيف يمكننا أن نضعها موضع التنفيذ وفي الوقت نفسه إنكم قدتمم لابني ولي تلك الخدمات الرائعة ، وحتى لو أننا قدمنا لكم كل امبراطوريتنا فلن تكون أكثر مما تستحقون ، وتم ابداء آراء مختلفة من كلا الجانبين خلال المقابلة ، ولكن في النهاية صدق الامبراطور على الاتفاق بدقة كما أبرمه ابنه وأكده بالقسم وبالعقود مع الاختتام

الذهبية المضافة ، وأعطيت إحدى تلك الوثائق للمبعوثين ، الذين بعد أن استأنذوا من الامبراطور اسحق عادوا الى المعسكر ليخبروا البارونات بأنهم قد أنجزوا المهمة.

وبناء عليه امتطى البارونات خيولهم ، وأعادوا الشباب بابتهاج عظيم الى والده في القسطنطينية ، وعند وصوله فتح الروم له أبواب المدينة ، واحتفلوا بعبودته بابتهاج عظيم ، وكثير من الولاثم ، وكان السرور المشترك للأب والابن عظيما لأنهما لم يريا بعضهما منذ زمن طويل ، ولأنهما يعون الرب ، وبدعم الصليبيين قد انقذا من تلك الحالة من الفقر والبؤس ، ورفعنا الى ذلك المستوى من القوة ، وهكذا كان هناك سرور في القسطنطينية ، ولم يكن السرور أقل في معسكر الصليبيين في الخارج ، بسبب الشرف والنصر الذي منحه الرب لقواتهم .

وفي اليوم التالي رجا الامبراطور وابنه البارونات باسم الرب أن ينهبوا ويعسكروا في الطرف الأبعد في اتجاه استانور ، حيث أنهم إذا أخذوا مراكزهم في القسطنطينية هناك مخاطرة بتفجر منازعات ستقوم بينهم وبين الروم ، ربما تدمر المدينة بسببها ، وأجاب البارونات بأنهم قد خدموا الأمير ووالده من قبل بطرق مختلفة جدا ، وهم اليوم لن يرفضوا أي طلب يمكن أن يطلبه ، وبناء عليه نصبوا خيامهم على الجانب الآخر من الميناء حيث عاشوا في هدوء وسلام مع تموين جيد ووفرة من الطعام .

ويمكنني أن أقول أن كثيرا من رجالنا ذهبوا لزيارة القسطنطينية لمشاهدة الكثير من القصور الفضة والكهائن الشاهقة ، وليروا كل الثراء الرائع للمدينة ، التي كانت أضخم من أي مدينة أخرى منذ بداية الزمان ، أما بالنسبة للأثار فإن منه كانت تفوق كل وصف ، لأنه كان هناك في ذلك الوقت من الكثرة في القسطنطينية بقدر ما كان في بقية العالم منها ، وهكذا أصبح الروم والفرنسيون

على وفاق مع بعضهم بعضا في كل النواحي بما في ذلك التجارة والأمر الأخرى .

وبموافقة مشتركة من الفرانسيين والبنادقة والروم تقرر أن يتوج الامبراطور الجديد في يوم القديس بطرس في بداية شهر آب ، هكذا تقرر وهكذا كان ، وتم الاحتفال بتتويج ابن الامبراطور اسحق بالجلال نفسه والتشريف كما كانت عادة أباطرة الروم في تلك الأيام ، وبعد ذلك بوقت قصير بدأ الامبراطور يدفع بعض المال المترتب ووزع هذا بين القوات بطريقة خصص فيها لكل رجل المبلغ الذي دفعه لرحلته من البندقية

وكثيرا ما كان الامبراطور الجديد يأتي لزيارة البارونات في معسكرهم ، ويضفي عليهم شرفا عظيما بقدر ما كان يستطيع حقا ، وكان هذا بالطبع موافقا فقط بالنظر للخدمة العظيمة التي قدموها له وجاء يوما الى المعسكر ليجري مقابلة خاصة مع البارونات في مقر الكونت بلدوين دي فلاندرز ، ودعي دوج البندقية والبارونات الكبار سرا لهذا الاجتماع حيث قدم الامبراطور اقتراحا عرضه بقوله : « سادتي إنني امبراطور بفضل الرب وفضلكم ، وقد قدمت لي أعظم خدمه قدمها أي شعب آخر على الإطلاق لأي رجل مسيحي ، وأحب أن تعرفوا أن عددا من شعبي لا يحبني مع أنهم يتظاهرون جيا بذلك ، والروم ككل مليئون بالاستياء لأنه بمساعدتكم استعنت امبراطوريتي

إن تحالفكم مع أهل البندقية سيستمر فقط حتى عيد القديس ميكايل ، وأنتم على وشك الرحيل قريبا ، ولا يمكنني أن أمل في تنفيذ كل ما وعدت بعمله من أجلكم في خلال هذه الفترة القصيرة ، ويجب أن أخبركم بأن الروم يكرهونني بسببكم وإذا تركتموني سأفقد امبراطوريتي وسيقتلونني ، ولهذا أطلب منكم هذا : إذا بقيتم هنا حتى آذار ، سأبقي أسطولكم في خدمتي لسنة أخرى ، تبدأ من عيد القديس ميكايل ، ولن أتحمل فقط تكاليف

ابقاء اهل البندقية هنا ، بل سأعطيكم أيضا مثل تلك الاشياء التي تكونون في حاجة إليها حتى عيد الفصح ، وبحلول هذا الوقت اكون قد وصلت الأمور في امبراطوريتي بحيث لا أفقدها مرة أخرى ، وهكذا اكون قادرا على المحافظة على معاهدتي معكم ، لأنني سأكون قد تلقيت الاموال التي ستورد الي من كل اراضي ، وسأتزود أيضا بالسفن حتى أتمكن من أن أذهب معكم بنفسني ، أو أرسلها مع جيشكم تماما كما وعدت .

وهكذا يكون لبيكم كامل الصيف الذي يمكنكم فيه شن الحرب ضد العرب المسلمين وأجاب البارونات أنهم يحبون أن يتباحثوا في الأمر بشكل منفرد ، وكانوا يعرفون بوضوح تام بأن الامبراطور قد اعطاهم صورة حقيقية للحالة ، وكانوا مدركين تماما بأن مثل هذا النهاج كما اقترحه كان أفضل سواء بالنسبة له أو لهم ، وقالوا له إنهم مع ذلك لا يمكنهم أن يوافقوا عليه إلا بالموافقة العامة للجيش ، وهم بناء عليه سيتحرون رأي الجيش في هذا الأمر ، وسيحيطونه علما بما يحدث ، وهكذا ذهب الامبراطور وعاد الى القسطنطينية ، وبقي البارونات في المعسكر وعقدوا في اليوم التالي مؤتمرا دعوا إليه الأمراء الكبار وقادة الجيش إلى جانب معظم الفرسان ، ونقل إليهم هنا طلب الامبراطور بالضبط كما طرحه .

وأدى هذا الاقتراح إلى الكثير من الخلاف في الاجتماع ، بالكثرة نفسها التي حدثت في مناسبات كثيرة أخرى أثارها الذين كانوا يريدون حل الجيش ، حيث أن الأمر كله بدا لهم أنه قد استمر طويلا ، وذكر الطرف الذي أثار الخلاف في كورفو الآخرين الآن بقسمهم ، وقالوا : « أعطونا السفن كما أقسمتم ان تفعلوا لأننا نريد أن نذهب الى سورية » .

ورجاهم آخرون أن يصبروا وقالوا : « سادتنا لأجل الرب لا تدعو الشرف الذي منحنا إياه يصبح بلا جدوى ، فإذا ذهبنا الى

سورية الآن فإننا سنصل الى هناك في بداية الشتاء حيث يكون من المتعذر شن الحرب ، وهكذا فإن عمل الرب سيبقى دون تنفيذ ، ولكن إذا انتظرنا الى أذار فسنترك هذا الامبراطور راسخا بسلام ، ونمضي ونحن مزويين جيذا بالمال والمؤن ، وعندئذ يمكننا أن نذهب الى سورية ، وممن هناك نمضي في حملتنا على مصر ، وسيبقى اسطولنا على أي حال هنا معنا حتى عيد القديس ميكايل وفي الواقع من عيد القديس ميكايل ، الى عيد الفصح حيث أن البنادقة لا يمكنهم تركنا طالما كان الشتاء مستمرا ، وهذه هي الطريقة التي يمكننا بها الاستيلاء على أراضي ما وراء البحار ، ولم يبال الذين يريدون حل الجيش بأني شيء سواء أكانت هناك أسباب جيدة أو سيئة لفعل ذلك طالما أنه سيحدث ، ولكن الذين كانوا يريدون الإبقاء على وحدة الجيش عملوا بفعالية كبيرة حتى أنه في النهاية يعون الرب عقد البنادقة اتفاقا جيدا وثق بالقسم ليبقى الاسطول في خدمتنا سنة أخرى ، مقدرة من عيد القديس ميكايل ، ويجب أن اضيف أن الامبراطور أليكسيوس قد دفع لهم ما يكفي ويستحق عناءهم ، وأقسم الصليبيون من جانبهم قسما مغلظا أن يبقوا في تحالف مع البنادقة كما كانوا من قبل وللوقت نفسه ، وهكذا ترسخ السلام والوفاق في الجيش.

وبعد ذلك بوقت قصير عانينا من الحظ السيء ، فقد وقع ماثيو دي مونتوردنسي ، وهو أحد أفضل الفرسان في كل المملكة الفرنسية وواحدا من الذين كانوا يتمتعون بالحب والاحترام العميق فريسة المرض ، وتوفي وكان هناك حداث كبير على وفاته ، لأنها كانت خسارة كبيرة للجيش ، وكانت من أعظم الكوارث التي عانى منها حتى الآن بسبب موت أي رجل ، ودفن في كنيسة القديس يوحنا صاحب مشفى القدس .

وبعد ذلك بقليل وبناء على نصيحة الروم والفرنسيين غادر الامبراطور أليكسيوس مع حاشية كبيرة القسطنطينية بهدف توطيد السلام في كل أنحاء امبراطوريته ، وجعلها تحت سلطته ، وكان عدد

كثير من البارونات معه ، في حين تخلف الباقون لحراسة
المعسكر ، وكان بين من هجروا الامبراطور المركيز دي
مونتفرات ، والكونت دي سانت بول ، واخو الكونت بلدين ، هنري
دي فلاندرز ، وجاك دي افسس ووليم دي شامبلت وهوغ دي
كولني ، وعدد جيد من الآخرين الذين لم يذكروا هنا بالاسم ، وبقي
الكونت بلدين دي فلاندرز وبني هينوت في المعسكر مع الكونت لويس
دي بلوا وبني شاتران والقسم الاعظم من الصليبيين .

وفي اثناء رحلة الامبراطور في مقاطعاته جاء كل الروم على كلا
جانبي المضيق ليضعوا انفسهم تحت سلطته ويقسموا قسم الولاء
له ، وان يؤدوا له البيعة كسيد وامير عليهم ، ولقد فعل الجميع هذا
باستثناء جوهانيتزا ملك الاشيا وهنغاريا

وكان هذا الملك من اهل الاشيا ، وثار ضد ابيه وعمه وحار بهما
عشرين عاما ، وفي النهاية كسب الكثير من اراضيها منهما ، حتى
اصبح ملكا قويا جدا ، وقد غزا في الواقع كثيرا من الاراضي على
الجانب الشمالي والغربي من المضيق الذي كان يملك الان نصفه
تقريبا ، ولم يحضر جوهانيتزا الى حيث كان الامبراطور ليضع
نفسه تحت تصرفه ، ولم يعترف بسلطته .

وبينما كان الامبراطور الكسيوس غائبا في رحلته وقعت حادثة
كانت لها نتائج مفعمة جدا في الاسطنطينية ، فقد تورط الروم
واللاتين الذين كانوا يعيشون في المدينة - وكان هناك الكثير جدا من
الآخرين - في نزاع واشتبكوا في شجار ، وقام اشخاص معينون
لا يمكنني ان اقول من كانوا - باشعال النار في المدينة حقا وتعصبا
للأذى ، وامتدت النار واصبحت مريعة جدا لدرجة ان احدا لم يتمكن
من إطفائها او التحكم فيها . وعندما رأى البارونات من معسكرهم
على الجانب البعيد من الميناء المدينة وهي تلتهب ، غلبهم الاسى
والاشفاق وهم يرقبون الكنائس الكبيرة والقصور الاميرية تتفوض
وتتحول الى خرائب ، والشوارع الواسعة حيث كانت حوانيت

التجار والذهب يبتلعها ، ولكن لم يكن هناك ما يمكن عمله أمام هذا وتقدمت النار فوق الميناء وهي تقتحم الأجزاء المكتظة بالسكان من المدينة ، وتمتد نحو البحر على الجانب الآخر على مقربة كبيرة من كنيسة سانت صوفيا القديمة ، واستمرت في هياجها اسبوعا كاملا ولم يتمكن أحد من إطفائها ، وبرؤيتها من الامام وهي تتلحرج متقدمة بلهب كان عرضها يتجاوز فرسخا ، وأي أضرار وقعت أو أي ثروات وممتلكات دمرت في اللهب كان يفوق قدرة الانسان على الحساب ، وكان لا يمكن للمرء أن يذكر عبد الرجال والنساء والأطفال الذين هلكوا في ذلك الوقت لأن المسيحيين احترقوا حتى الموت .

وبعد الكارثة لم يتجرا أحد من اللاتين المقيمين في القسطنطينية بصرف النظر عن البلد الذي جاء منه على البقاء في المدينة بعد ذلك ، بل حاولوا مع زوجاتهم وأطفالهم وبعض ممتلكاتهم النجاة من النار فاتجهوا الى الميناء للاتجاه الى معسكر الصليبيين ، ولم يكن عندهم صغيرا بأي حال ، فلقد كان هناك في الواقع نحو خمسة عشرة الفا ، منهم من كل مراتب الحياة ، وفيما بعد ثبت أن وصولهم كان له مزية كبيرة لنا ، وفي ذلك الوقت على أي حال قد أوجد شرخا بين الروم والفرنجة الذين لم يعودوا مطلقا مرة أخرى الى مثل علاقاتهم الودية التي كانت من قبل ، ولم يعرف أي جانب منهما من يلوم على هذا البرود ، وقد كان ذلك عبئا ثقيلا على عقول كلا الطرفين .

وهول هذا الوقت كان البارونات وبقية الجيش في شدة الأسى بسبب حادث حزين هو موت راعي بير لويس ، وهو راهب حكيم قدسي من مرتبة الرهبان البندكتيين الذين كانت لهم دائما اهتمامات قلبية بالجيش .

الفصل الحادي عشر

الدعوة للإصلاح

تشرين الثاني ١٢.٣ - شباط ١٢.٤

وغاب الامبراطور الكسيوس زمانا طويلا في رحلته في أنحاء الامبراطورية ، ولم يعد في الواقع الى القسطنطينية حتى عيد سانت مارتن ، وكان هناك سرور عظيم لدى وصوله ، وركب أمراء الروم وسيداتهم منطلقين من المدينة في مواكب طويلة لتحية أصدقائهم ، وجاءت جماعتنا أيضا للقاء رفاقهم الصليبيين ورحبوا بهم بحب-ور عظيم ، وبعد دخول القسطنطينية ، عاد الامبراطور الى قصر بلاشرين وعاد المركيز دي مونتفرات والبارونات الآخرون الى المعسكر .

وسريعا جدا شعر الامبراطور الشاب الذي تدبر أموره بشكل جيد جدا بالذقة في أنه قد كسب الآن اليد العليا مما ملأه عجباً ، واتخذ موقفا متعجرفا مع البارونات والذين قدموا له تلك الخدمة العظيمة ، ولم يعد يأتي لزيارتهم في المعسكر كما كان يفعل من قبل . وكانوا يرسلون اليه باستمرار يرجونه أن يدفع لهم باقي المال المستحق ، واستمر من جانبه في تسويقهم ومن أن لآخر كان يرسل اليهم مبالغ تافهة معددة ، ولكنه في النهاية انقطع عن دفع أي شيء لهم بالمرّة .

ونهب المركيز دي مونتفرات الذي فعل الكثير من أجل الامبراطور وكان على علاقات ودية به أفضل من بقية البارونات الآخرين مرارا لرؤيته ، وكثيرا ملامه في تلك المناسبات على الخطأ الذي كان يقع فيه تجاههم ، ولم يتوقف مطلقا عن بيان أنهم قدموا له من

الخدمات أعظم مما قدم لأي رجل آخر، ولكن الامبراطور كان دائما يطلب مهلة جديدة، ولم يحافظ مطلقا على أي من وعوده ، حتى أن البارونات اضطروا في النهاية الى الادراك بأنه أيا كانت مقاصده تجاههم فإنها كانت أي شيء آخر الا أن تكون طيبة .

وعند هذه النقطة عقدوا اجتماعا مع دوج البندقية ، قالوا فيه إنهم قد توصلوا الآن الى ادراك أن الامبراطور ليس في نيته الوفاء بأي اتفاق أبرمه معهم ، وأنه لم يخبرهم بالحقيقة ، وبناء عليه قرروا أن يرسلوا مبعوثين موثوقين ، لمواجهة وتذكرته بالخدمات التي قدموها له وطالبوه بالوفاء بعهده فاذا عرض أن يفعل مايطالبونه فان مبعوثيهم سيقبلون ذلك ، وان لم يفعل فانهم سيضطرون لتحديه وسيدعونه يعرف أن البارونات سيفعلون كل ما في مقدرتهم لاسترداد المال المستحق .

وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة بموافقة عامة هم راهب دي بيثون وجيوفري دي فيلهارين ، ومارشال دي شامبين ، وميلون لوبرانت دي بروفان الى جانب ثلاثة من مستشاري دوج البندقية الرئيسيين الذين عينهم للذهاب مع المجموعة وركبوا جميعهم خيولهم معا والسيوف على جنوبهم الى قصر بلاشرين ، ولأحاجة للأقول بالنسبة للطبيعة الخيانية للروم . فقد وجدوهم قد شرعوا في تنفيذ مهمة صعبة وخطرة .

وترجلوا عند البوابة ودخلوا القصر حيث وجدوا الامبراطور الكسيوس ووالده الامبراطور اسحق يجلسان على عرشين جنباً الى جنب ، وعلى مقربة منهما تجلس الامبراطورة زوجة الأب وخالة الامبراطور الابن ، وهي سيدة طيبة وجميلة وكانت أخت ملك هنغاريا ، وكان عدد كبير من المرتبة الراقية حاضرين معطية الاجتماع كل السمات الموحية ببلاط قوي .

وبموافقة مشتركة من المبعوثين الآخرين عمل راهب دي بيثون ، وهو رجل عالي الذكاء زلق اللسان ، كناطق رسمي لهم ، وشرع

يقول : يا صاحب الجلالة الامبراطورية لقد جئناكم نيابة عن بارونات الجيش ودوج البندقية ، وهم يريدون منا أن نذكركم بالخدمات التي قدموها لكم وهي معروفة للجميع ، ومعترف بها من الجميع وقد ائسمتم انتم ووالدكم على الوفاء بميثاقكم معهم ولبيهم عقودكم التي تثبت ذلك ، وانكم مع ذلك ، لم تنفذوا هذا الاتفاق كما توجب عليكم ان تفعلوا .

وقد دعاكم يامولانا أمراؤنا مرات عديدة كي تفعلوا ذلك ، ونحن الآن ندعوكم باسمهم ويحضور كل نبلائكم أن تنفذوا العقد المبرم بيننا وبينكم فإذا فعلتم ذلك سيكونون في غاية السرور ، وان لم تفعلوا فانهم لن يعودوا يعتبرونكم اميرا وصديقا لهم بل سيستخدمون كل وسيلة في وسعهم للحصول على استحقاقهم ، وقد طلبوا منا أن نخبركم انهم لن يفعلوا شيئا يصيبكم أو يضر بأي شخص آخر بدون إنذار مشرور بذواياهم في بدء الخصومة ، لأنهم لم يتصرفوا مطلقا بشكل خياني ، فهذه ليست العادة في بلادهم ، لقد سمعتم الآن ما علينا أن نقوله والامر لكم لتقرير اي إجراء تريدون اتخاذه .

وكان الروم في غاية الدهشة وصدموهم بعمق بهذه الرسالة الصريحة في تحذيرها ، واصلوا انه مامن احد حتى الان بلفت به الجراة حد القيام بمثل هذا لامبراطور في القسطنطينية في قاعته وعبس الامبراطور الكسيوس نفسه الذي كثيرا جدا ما حياهم في الماضي بوجه باسم ، لقد قطب الان وحدق بضراوة في المبعوثين وكذلك فعل كل الروم الآخرين .

وملا ضجيج الاصوات الفاضية القاعة - وتحول المبعوثون للانصراف ، وأخذوا طريقهم نحو البوابة وامتطوا خيولهم ولم يكن احد بينهم الا بالغ السرور إذ وجد نفسه في الخارج ولم يكن هذا مدهشا بالمرّة اذ انهم بالكاد قد نجوا من خطر كبير جدا سواء بالقتل او السجن ، وفي عودتهم الى المعسكر اخبروا البارونات كيف نفذوا مهمتهم .

و هكذا بدأت الحرب وبذل كل جانب قصارى جهده لايذاء الآخر سواء في البر أو البحر ، وحارب الجيشان ضد بعضهما بعضا في أماكن عديدة مختلفة ولكن - والله الحمد - إنهم لم يلتقوا مطلقا في معركة بدون خسائر اكبر من الجانب الرومي منها من الجانب الفردي ، واستمرت الحرب زمانا طويلا جدا ، في وسط الشتاء بالضبط .

وأخيرا فكر الروم في وضع خطة مدروسة جدا لموضع التنفيذ ، فأخذوا سبع عشرة سفينة عظيمة وملاوها تماما بكتل الخشب والذخيرة والقار وخيوط الكتان والبراميل الخشبية ، ثم انتظروا حتى أخذت الرياح تهب من جانب الماء الذي هم فيه ، وفي الساعة الثانية عشرة من إحدى الليالي أشعلوا النار في السفن وتركوها تنساب وجميع أشرعتها منشورة للرياح ، وارتفع اللهب منها عاليا جدا حتى بدا كما لو أن البنا كلها كانت مشتعلة .

واتجهت السفن مبحرة في اتجاه اسطول الصليبيين ، وصيحت أبواق الانذار وقفز الرجال من كل مكان في المعسكر الى السلاح ، وأسرع البنادقة والآخرين الذين كانت لديهم سفن الى ظهورها ، وكافحوا بكل قوتهم البنية لخراجها من مجال الخطر . ويؤكد جيوفري دي فيلهاردين الذي صنف هذا التاريخ ، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة ، أنه لم يدافع أي رجال عن أنفسهم مطلقا في البحر بشهامة أكثر مما فعل البنادقة في تلك الليلة ، لقد وثبوا الى الشواني وإلى المراكب الطويلة وفي وجه العدو ، أمسكوا بسفن النار وكلها متأججة باللهب بكلايات حديدية وأخذوا يجرونها بقوة الى خارج الميناء في التيار الرئيس للمضيق ، وتركوها لتنجرف محترقة الى البحر .

وجاء كثير من الروم الى حافة الماء حتى بدا أنهم بلا نهاية ، وكانت الجلبة التي صدرت عنهم عظيمة حتى لتظن أن كلا من الأرض والبحر ابتلعا ، وتسألوا أي قارب أمكتهم أن

- ٤٤٦٥ -

يجدوه ، وأخذوا يطلقون سلاحهم نحو رجالنا كما لو كانوا يحاربون
اللهب ، حتى أن كثيرا منهم قد جرح .

وحالما سمعوا الدعوة الى حمل السلاح ، تاهب كل الفرسان في
المعسكر وانتظمت كتائبنا الآن في نظام عشوائي نوعا ما ، تبعا
للمسافة التي كانت تفصلهم عن مراكزهم ، وكانوا يخشون أن
يتقدم الروم من ذلك الاتجاه لمهاجمتهم .

وتحمل رجالنا كل هذا الكدح والكرب حتى ظهر الضوء ، ولكننا
بعون الرب لم نهلك شيئا سوى سفينة تجارية محملة ببضائع من
بيزا اشتعلت فيها النيران وغرقت ، لقد كنا جميعا في خطر محقق
تلك الليلة ، لأنه لو احترق اسطولنا لضاع كل شيء منا ولما تمكنا من
النجاة سواء بطريق البحر أو البر ، وهكذا كان الجزاء الذي اراده
الامبراطور الكسيوس لنا عن الخدمات التي قدمناها له .

والآن وقد أبدى الروم مثل هذا الموقف العدائي للفرنجة أدرك
بعضهم أنه لا أمل هناك في السلام ، لهذا تأمروا معا سرا على خيانة
أميرهم ، وكان بينهم واحد كان موضع اعتبار الامبراطور ، وكان
قد فعل الكثير ليقوع بينه وبين الفرنجة أكثر من أي واحد
آخر ، وكان اسم ذلك الرجل مرزوفلوس .

وبالعمل بنصيحة وموافقة الآخرين ، وفي إحدى الليالي وفي نحو
الساعة الثانية عشرة ، وبينما كان الامبراطور الكسيوس نائما في
غرفته انتزع مرزوفلوس وآخرون ممن كان يفترض أنهم يحرسونه ،
انتزعوا الامبراطور من فراشه واقتادوه الى السجن والقوا به في
برج محصن ، ثم بمساعلة وموافقة الروم الآخرين ارتدى
مرزوفلوس الاحذية القرمزية ، وجعل من نفسه امبراطورا ، وتوج
فيما بعد في سانت صوفيا ، وهل سمعت أبدا بشعب ارتكب مثل
هذه الخيانة الشنيعة !

وعند سماع أن ابنه قد أخذ سجيناً وأن مرزوفلوس قد توج بدلا

عنه ، غلب على الامبراطور اسحق الخوف حتى وقع في المرض وتوفي في برهة قصيرة من الزمن ، أما بالنسبة لابن اسحق الذي وضعه مرزو فلوس في السجن ، فانه قد أمر باعطائه السم مرتين أو ثلاثة ولكن لم تكن مشيئة الرب أن يموت بهذه الطريقة ، وفيما بعد ذهب مرزو فلوس الى الشاب وخذه ، ثم اطلقت بالتالي رواية في كل مكان بأن وفاته كانت لأسباب طبيعية ، وأمر مرزو فلوس بدفنه باحتفال وأبهة كما يليق بامبراطور وأقام عرضا عظيما من الحداد على وفاته ولكن القتل لا يمكن اخفاؤه ، وسرعان ما علم كل من الروم والفرنسيين بأن مثل هذه الجريمة قد ارتكبت ، وبالطريقة التي ذكرت ، وعقد بارونات الجيش ودوج البندقية مؤتمرا حضره أيضا الاساقفة والاكليروس .

واتفق كل الاكليروس ولا سيما النين كان لديهم تفويض خاص من البابا على أن يبينوا للبارونات والصليبيين الآخرين أن كل من حمل إثم مثل هذا القتل لاحق له في امتلاك الأراضي ، في حين أن النين وافقوا على مثل هذا الشيء كأدوا شركاء في هذه الجريمة ، وفوق كل شيء إن الروم كشعب قد انسحب من كنيسة روما ، ونحن بناء على ذلك نخبركم ، هكذا قال رجال الاكليروس ، بأن هذه الحرب عادلة ومشروعة ، وإذا حاربتهم بالاستيلاء على هذه الأرض بالنية السلمية لوضعها تحت سلطة روما ، فإن كل من يموت مذموم بعد الاعتراف سيفيد من الغفران الذي منحه البابا ، وقد ارتاح البارونات وكل الصليبيين الآخرين وتشجعوا كثيرا بهذا التأكيد .

واحتدمت الحرب بخرافة بين الفرنجة والروم واستمرت بلا هوادة وهي تزيد عنفا ، حتى أنه كان لا يمضي يوم دون اشتباك سواء في البر أو البحر ، وعند إحدى المراحل ركب أخو كونت فلاندرز هنري في عملية استطلاع ، وأخذ معه قسما كبيرا من أفضل الرجال في المعسكر وكان بينهم هاك دي أفنسس وبلدوين دي بولوا ويودس دي شامبليت وأخيه غوليوم ، وآخرين من قسّمهم نفسه من البلد ، وغادروا المعسكر حوالي الساعة السادسة من إحدى الأمسيات ،

وركبوا طول الليل ، وفي وقت متأخر من صباح اليوم التالي ، وصلوا الى مدينة فيليا الجميلة ، التي استولوا عليها .

وغنموا هناك كثيرا من الاسلاب في صورة ماشية وملابس اضافة الى عدد كبير من الاسرى ، ووضعوا هؤلاء في قوارب وارسلوهم عبر المضيق الى المعسكر ، لان تلك المدينة كانت تقع على شاطئ بحر يوكسين ، وأمضوا يومين في فيليا ، يتمتعون بالوفير من طلب الغذاء ، لان المدينة كانت ويرة الامداد بالطعام ، وفي اليوم الثالث غادروها مع الماشية والغنائم الاخرى وبدأوا عائدين الى المعسكر ، وكان الامبراطور مرزو فلوس قد سمع تلك الاثناء انباء تحركاتهم ، وهكذا غادر القسطنطينية ليلا مع جيش كبير من القوات ، ونصبوا كمينا على الطريق الذي كان على رجالنا ان يسيروا فيه في رحلة عودتهم ، وراقبهم وركبهم يمر مع حيواناتهم واسلابهم ، جماعة بعد اخرى حتى وصلت المؤخرة التي كانت تحت قيادة هنري دي فلاندرز ، وكانت مشكلة من شعبه ممن جاء الى مسرح الاحداث ، ثم اندفع مرزوفلوس من الكمين ليهاجمهم بينما كانوا يدخلون في غابة ، واستدار الفرنديون لمواجهةهم ووقعت معركة شرسة ، وبمعرفة الرب هزم مرزوفلوس وتمكن بصعوبة بالغة من النجاة من الاسر ، وفقد علمه الامبراطوري وايقونة كان يحملها دائما امامه ، وكانت ايقونة وضع فيها هوياء الروم الاخرون ثقة كبيرة لانها كانت تحمل صورة سيدتنا العذراء ، والى جانب هذا قتل نحو عشرين من فرسانه .

ومع أن مرزوفلوس عانى من الهزيمة استمرت الحرب بين قواته والفرنجة في الاندلاع بضرواة ، وفي هذا الوقت كان قد مضى قسم كبير من الشتاء ، وكان الوقت الان قريبا من عيد تطهير مريم العذراء وكان الصوم الكبير وشيكا .

الفصل الثاني عشر

الحصار الثاني للعسطنطينية

شباط نيسان ١٢٠٤

ولهذه اللحظة سأتحول من الجيش المخيم أمام العسطنطينية ،
لأتحدث عن الرجال الذين نهبوا الى موانئ أخرى ، وأولئك الذين
كانوا في الاسطول الفلمنكي الذي أمضى الشتاء في مرسيليا ، فقد
أبحر كل هؤلاء الى سورية حاملين طاقس أدفا ، وقد فاق عددهم
عدد الذين اشتبكوا في القتال مع الروم ، ودعني أقول وأأسفاه إنهم
لم يأتوا للانضمام الى جيشنا ولو أنهم فقط فعلوا ذلك لكسبت قضية
المسيحية منافع دائمة ، ولكن بسبب أثامهم لم يسمح الرب بها ،
وأثبت مناخ سورية أنه مهلك لبعضهم وعاد آخرون الى بلادهم ، ولم
يفعل واحد منهم شيئا مفيدا أو ذا قيمة في الأرض التي نهبوا إليها .

وانطلقت مجموعة واحدة منهم وكلها من الرجال الجيدين جدا
الى أنطاكية ، للانضمام الى بوهمند أمير أنطاكية وكونت طراباس
الذي كان في حرب مع الملك ليون ملك أرمينيا ، وقد أرادوا أن
يخدموا الأمير كجنود مرتزقة ، وما أن سمع أترك ذلك البلاد
بمجيئهم حتى نصبوا كمينا عند النقطة التي سيمرون بها ، وحالما
جاءوا إليها هاجمهم وكان نصيب الفرنسيين هو الأسوأ في هذا
القتال ، حتى أنه لم ينج منهم أحد ، وجميعهم إما قتل أو أسر .

وكان بين القتلى في تلك المواجهة فيلين دي نالي ، وكان واحدا من
أفضل الفرسان في العالم ، وأجليز دي تراسيفني وعدد كبير آخر ،
وكان بين الأسرى والسجناء برنارد دي موريل ، وريزود دي
دامبير ، وجين دي فيلير ، وغوليوم دي نيللي أحد الذفوس الحية
والأكثر براعة ، وفي الحقيقة إنه من بين الثمانين فارسا الذين كونوا

هذه المجموعة لم ينج أحد كما قلت ، ويعطي هذا الكتاب في الواقع براهين وفيرة على أنه من بين أولئك الذين تَوادوا عن الانضمام للجيش في البندقية لم يكن هناك واحد لم يعان ضررا أو جلب لنفسه العار ، وهذا هو السبب في أن المرء يمكن أن يقول إن الرجل حكيما عندما يختار اتباع المسار الأفضل ويلتزم به .

وسأترك هذا الموضوع الآن وأعود الى القوات التي كانت أمام القسطنطينية ، لقد وضع هؤلاء كل الاتهم في وضع العمل ونصبوا عرابتهم ومنجنقاتهم وكل جهاز آخر ذا فائدة للاستيلاء على المدينة ، وكل سفنهم الحربية وسفن النقل ، ورفعوا سلاسل تسلق الأسوار عالية على عوارض السفن ذات الأشرطة مثلثة الشكل ، حتى لقد كان المنظر مثيرا للعجب .

أما الروم من جانبهم وقد رأوا هذه الاستعدادات الجارية ، فقد بدأوا في تقوية دفاعات المدينة التي كانت بالفعل جيدة التحصين خلف الأسوار العالية والأبراج ، ومع ذلك لم يكن هناك برج عال جدا لم يضيفوا اليه طابقين خشبيين أو ثلاثة اليه لتعظيمه أكثر ، وفي الواقع ما من مدينة حصنت قط بشكل جيد مثلها ، وبهذه الطريقة استنفدت كل من الروم والفرنجة وقتهم وهم يعملون باستمرار أثناء القسم الأعظم من الصوم الكبير .

وعقد البارونات الآن مؤتمرا لمناقشة أي خطة عمل يمكن تبنيها ، وقدمت اقتراحات مختلفة عديدة ، ولكن في النهاية اتخذت القرارات التالية : إذا تمكنوا بفضل الرب من شق طريقهم بالقوة الى داخل المدينة فانهم سيجمعون الغنائم في مكان واحد ، ويةسمونها بشكل صحيح وعادل بين القوات ، وإذا أحرزوا بالاضافة الى ذلك سيطرة تامة على المدينة فانهم سيختارون ستة رجال من الجيش الفرنسي وستة من بين البنادقة ، وسيطلب من كل منهم أن يقسم على الانجيل المقدس بأنهم سينتخبون كامبراطور لهم الرجل الذي يهدونه أكثر صلاحا للحكم لأفضل مصالح الدولة ، وأي كان من سينتخب

هكذا امبراطورا ستكون حصته ربع الغنائم سواء مع المدينة أو بدونها ، وسيملك أيضا قصر بوكليون وبلاشرين ، أما الأرباع الثلاثة الباقية من الفنيمة فستقسم إلى قسمين متساويين يخصص أحدهما للبنادقة والثاني للفرنسيين ، وبعد ذلك سينتخبون اثني عشر من أحكم وأقدر الرجال في الجيش الفرنسي ، واثنى عشر بالقدر نفسه والمكانة والأهلية من البنادقة ، ليكونوا مسؤولين عن تخصيص الاقطاعات والمناصب ، وتحديد أي خدمات يجب أن تقدم للامبراطور من أجل هذه الامتيازات والتشريعات ، وقد تأكد هذا الاتفاق بالقسم من جانب الفرنسيين والبنادقة على السواء ، مع اشتراط أنه عند نهاية أذار من السنة التالية إن كل من يريد أن يترك يكون حرا في أن يذهب إلى حيث يحب ، وسيصبح النين يبقون تحت سلطة الامبراطور ليؤدوا له من الخدمات ما يتطلب ،

ولانتهاء الميثاق أضيفت عبارة ختامية تنص على أن أي شخص يخفق في الالتزام بشروطه يقع تحت طائلة الحرمان من الكنيسة .

وكان الاسطول الآن حسن التجهيز والتسلح ، وتم تحميل كل المؤن التي قد يحتاج إليها الصليبيون ، وفي يوم الخميس الذي تلا أحد منتصف الصوم الكبير هضعت جميع القوات إلى السفن الحربية ، ووضعت الخيول في سفن النقل ، وكان لكل فرقة سفنها الخاصة ، وقد هضفت الواحدة بجانب الأخرى ، وكانت السفن الحربية تتناوب مع الشواني وسفن النقل ، وأؤكد لكم لقد كان منظرا رائعا :

أن نرى الاسطول وقد وضع في تشكيل القتال في خط ممتد إلى ما يزيد عن فرسخ فرنسي بكثير ، وفي صباح الجمعة اقتربت السفن الحربية والشواني والمراكب الأخرى من المدينة في النظام المصد وبدأت بشن هجوم ضار مصمم ، ونزل الصليبيون في أماكن عديدة إلى البر وتقدموا رأسا نحو الأسوار وفي مواضع كثيرة أخرى أهبحت سلاالم التسلق التي كانت على السفن قريبة جدا من شرافات الأسوار ، حتى أن النين كانوا على الأسوار والأبراج

تشابكت حرا بهم يدا بيد مع مهاجمتهم ، واستمر الهجوم سريعا وضاريا وقويا في أكثر من مائة مكان حتي نحو الساعة الثالثة بعد الظهر ، ولكن بسبب ندوبنا صددت قواتنا في هذا الهجوم ، وتم ارغام أولئك الذين نزلوا من الشواني وسفن النقل على التراجع الى ظهور السفن ويجب أن أقر أنه في ذلك اليوم فقد جيشنا من الرجال أكثر مما فقد الروم ، وأن الآخرين كانوا مبتهجين جدا وانسحب بعض رجالنا من الهجوم وخرجوا بسفنهم من المعركة وترك آخرون سفنهم رأسية بمراسيها قريبا جدا من أسوار المدينة حتى أن كل جانب كان بإمكانه أن يقذف بالأحجار من عراداته ومنجنيقاته الطرف الآخر .

وذلك المساء في نحو الساعة السادسة اجتمع البارونات ودوج البندقية في مؤتمر في كنيسة في الطرف الاقصى في الميناء ، قريب من حيث كانوا يعسكرون ، وتم تبادل الكثير من وجهات النظر المختلفة وفي ذلك الاجتماع كان الفرنسيون بشكل خاص مكتئين جدا بسبب التراجع الذي عانوا معه ذلك اليوم ، ونصح عدد كبير من الحاضرين بالقيام بهجوم على المدينة من جانب آخر ، من مكان تكون فيه الدفاعات أضعف ، وبين البنادقة الذين كانت لديهم خبرة أكثر بالبحر انهم إذا نهبوا الى ذلك الجانب فإن التيار سيجرهم في المضيق وسيعجزون عن ايقاف سفنهم ، وكان هناك كما يجب أن أقول أناس معينون في الجماعة كان يمكن أن يكونوا مسرورين جدا فقط لو أن التيار جرفهم في المضيق ، أو أن الريح فعلت ذلك ، لأنهم لم يكونوا يبالون أين ينهبون ، طالما أنهم سيتركون تلك الأرض وراءهم ، ويمضون في سبيلهم ، ولم يكن هذا مثار للعجب لأننا كنا في خطر شديد في ذلك الوقت .

وبعد كثير من النقاش ، تم اتخاذ القرار بتمضية اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، كله في اصلاح الأضرار التي لحقت بالسفن والتجهيزات ، وتجديد الهجوم يوم الاثنين . وفي هذه المرة كانوا سيربطون السفن التي تحمل سلالم التساق كل اثنتين معا ، حتى

إن كل زوج يمكنه أن يقوم بهجوم مشترك على برج واحد . وثم تبني هذه الخطة ، لأنهم في اشتباك ذلك اليوم لاحظوا أنه عندما تهاجم سفينة واحدة فقط كل برج ، كان عدد الرجال على البرج أكبر من عدد الرجال على السلم ، وهذا ما كان يجعل تلك المهمة أثقل من أن تتولاها سفينة وحدها ، وبناء على ذلك كان من المعقول الافتراض بأن سفينتين معا ستكونان أقدر على أحداث ضرر أكثر مما تحدثه واحدة ، ونفذت هذه الخطة لربط السفن في أزواج بينما كانت القوات تتأهب يومي السبت والأحد .

وفي هذه الأثناء جاء الامبراطور مرزوفلوس ليعسكر بكل قواته في العراق في مواجهة خطوطنا مباشرة ، ونصب خيامه القرمزية هناك ، وهكذا بقيت الأمور حتى صباح الاثنين ، حيث أعد كل الرجال على مختلف السفن أسلحتهم ومعداتهم ، وكان أهالي القسطنطينية الآن أقل خوفا بكثير من قواتنا منهم في وقت هجومنا الأول ، وكانوا في الواقع في مزاج ينطوي على الثقة حتى أنه على طول الأسوار والأبراج لم يكن يرى سوى الناس ، ثم بدأ الهجوم ، هجوم ضار عظيم ، بينما كانت كل سفينة توجه في مسار مستقيم نحو الامام ، وقد أوجدت الصيحات المذبذبة من المعركة ضجيجا بدا معه كما لو أن الأرض جميعها قد تقوضت الى قطع .

وقد استمر الهجوم زمانا طويلا حتى هيا الرب لنا ريحا تدعى البورياس دفعت بالسفن الى مسافة أبعد نحو الشاطئ واقتربت سفينتان من السفن المربوطة معا واحدة تدعى الحج والثانية الفردوس الى درجة كبيرة من أحد الأبراج واحدة ، من جانب والثانية من الجانب الآخر ، وبينما كان الرب والريح يدفعان بهما الى الامام اتصل سلم الحج بالبرج ، وعلى الفور شق أحد البنادق طريقه برفقة أحد الفرسان الفرنسيين ويدعى اندريه ديربواز نحو الداخل وبدأ الرجال الآخرون يتبعونهما ، وفي النهاية تمت هزيمة المدافعين واخراجهم وفي اللحظة التي رأى فيها الفرسان النين كانوا

- ٤٤٧٣ -

على ظهر سفن النقل هذا يحدث نزولوا ، ويرفع سلالهم على الجدار
صعدوا الى القمة واخذوا برجين آخرين ثم بدأت بقية القوات تتفنز
من السفن الحربية والشواني وسفن النقل باندهاع كل بأسرع ما
يستطيع ، وحطموا نحو ثلاثة من الابواب وبخلوا المدينة ، ثم
اخرجت الخيول من سفن النقل وركب الفرسان وساروا مباشرة
نحو المكان حيث كان معسكر الامبراطور مرزوفلوس ، وكان قد
صف كتائبه امام الخيام ، ولكنهم ما أن رأوا الرجال يحملون عليهم
على ظهور الخيل حتى تراجعوا في فوضى وهرب الامبراطور نفسه
عبر شوارع المدينة الى قصر بوكليون ، وتبع ذلك مشهد مذبة ونهب
وفي كل مجال كان الروم عاجزين ، واخذت خيولهم وأمهاتهم
وبغالهم وممتلكاتهم الأخرى كغنائم ، وكان عدد القتلى والجرحى
عظيما حتى المرء ليعجز عن احصائهم ، وهرب قسم كبير من النبلاء
الروم باتجاه بوابة بلا شرين ولكن بحلول هذا الوقت كانت الساعة
بعد السادسة مساء وكان رجالنا قد أصبحوا منهكين من القتال
والذبح ، وبدأت القوات تتجمع في ساحة كبيرة بداخل
القسطنطينية ، ثم اقتناعا بأنه يلزمهم على الأقل شهر لاختضاع كل
المدينة بكل كنائسها الكبيرة وقصورها والناس بداخلها ، قرروا أن
يستقروا قرب الاسوار التي استولوا عليها من قبل .

وتم كل شيء حسب الخطة ، وعسكر القسم الرئيسي من الجيش
على مقربة من السفن خارج شرافات الاسوار ، وأقام الكونت
بلدوين دي فلاندرز في الخيام القرمزية التي تركها الامبراطور
مرزوفلوس منصوبة ، وتمركز أخوه هنري أمام قصر بلا شرين ، في
حين بقي المركيز دي مونتفرات ورجاله قرب الأجزاء الأكثر ازحاما
بالسكان في المدينة . وهكذا تمركز كامل الجيش داخل وحول
القسطنطينية التي أخذتها قواتنا يوم الاثنين قبل أحد سبعة
النخيل ، ويجب أن أضيف أن الكونت لويس دي بلوا كان يعاني كل
الشتاء من حمى الربيع (الملاريا أو البرداء) ولم يكن معافى بدرجة
كافية ليتسلح كالباقين ، وكان هذا سوء حظ كبير للجيش ، حيث

أنه كان فارسا جيد جدا وباسلا ، وقد لزم الفراش في إحدى سفن النقل .

واستراحت قواتنا المجهدة بل المنهكة تماما في هدوء تلك الليلة ، ولكن الامبراطور مرزوفلوس لم يسترح ، وبدلا من ذلك جمع قواته وقال إنه سيهاجم الفرنجة ، ولكنه على أي حال لم يفعل ذلك كما أعلن ، ولكنه ركب على طول شوارع معنية أبعد ما يمكن من تلك التي كان جيشنا يحتلها حتى وصل إلى باب يدعى الباب الذهبي حيث هرب عبره ، وهكذا غادر المدينة ، وتبعه في هروبه كل الروم الذين أمكنهم تدبر ذلك ، ولكن جيشنا لم يعلم شيئا مطلقا عن كل هذا .

وخلال تلك الليلة ، وقرب المكان الذي عسكر فيه المركيز دي مونتفرات أشعل بعض الناس المجهولين ، وقد خدشوا من أن يداهم العدو النار في الأبنية ، الواقعة بينهم وبين الروم .

وبدأت النار تمسك بالمدينة ، التي سرعان ما أصبحت تلتهب بضراوة وراحت تحترق كل تلك الليلة وطيلة اليوم التالي حتى المساء وكان هذا هو الحريق الثالث للقسطنطينية منذ أن وصل الفرنسيون والبنادقة إلى الأرض ، وقد احترق من البيوت في تلك المدينة أكثر من عدد البيوت الموجودة في أي ثلاثة من أكبر المدن في مملكة فرنسا ومضت تلك الليلة وجاء اليوم التالي ، وكان يوم خميس وفي الصباح الباكر من هذا اليوم تسلمت كل القوات من فرسان ومشاة على السواء ومضى كل رجل للانضمام إلى فرقته ، وتركوا مراكزهم وهم يعتقدون بأنهم سيلقون مقاومة أقوى من تلك التي واجهوها في اليوم السابق ، إذ أنهم لم يعلموا أن الامبراطور قد هرب خلال الليل ، ولكنهم لم يجدوا أحدا يقاومهم .

وركب المركيز دي مونتفرات مباشرة على طول الشاطئ إلى قصر بوكوليون ، وحالما وصل إلى هناك سلم له المكان ، شريطة



الابقاء على حياة الناس الموجودين فيه ، وبين هؤلاء كانت أعداد كبيرة جدا من السيدات من أعلى المراتب الذين التجأوا هناك ، وبينهم الامبراطورة أغنيس أخت ملك فرنسا ، والامبراطورة ماري أخت ملك هنغاريا ، وعدد من السيدات النبيلات الأخريات ، وتعودني الكلمات عندما أتى الى وصف الكنوز التي وجدت في ذلك القصر ، لأنه كان هناك مخزون من الأشياء الثمينة لا يمكن للمرء أن يحصيه ، وفي الطريقة نفسها التي سلم فيها قصر بوكليون للمركز مونتفرات سلم قصر بلاشرين لهنري أخي الكونت دي فلاندرز ووفق الشروط نفسها ، وهناك أيضا وجد مخزون كبير من الكنوز لا يقل عما كان في قصر بوكوليون وقد وضع كل من المركز دي مونتفرات وهنري دي فلاندرز حاميه في القصر الذي استسلم له ووضع حرسا على الكنوز .

وانتشرت بقية الجيش في انحاء المدينة وغنموا الكثير حقا من الاسلاب ، حتى أن احدا لم يتمكن من تفسير مقدارها أو قيمتها وشملت الذهب والفضة وأدوات المائدة والاحجار الثمينة والحديد والساتين ، وعباءات فراء السنجاب والفاقم والفراء الأبيض أو المذقط بالبياض وكل شيء منقش يمكن أن يوجد على هذه الأرض ، ويعلن جيوفري دي فيلهاردين هنا أنه حسب علمه لم تجمع مطلقا غنائم بهذه الكثرة من أي مدينة منذ خلق العالم ، واتخذ كل واحد مركزا حيث يريد ولم يكن هناك أي نقص في المساكن الجميلة في تلك المدينة ، لذا نزلت قوات الصليبيين والبنادقة في مساكن مناسبة وابتهجوا جميعا واتجهوا بالشكر للرب لالشرف والنصر الذي منحه لهم ، حتى أن الذين كانوا فقراء باتوا يعيشون الآن في غنى وترف وهكذا احتفلوا بأحد السعف ويوم الفصح الذي تلاه بقلوب عامرة بالسرور للمنافع التي وهبها ربنا ومخلصنا لهم ، لأنهم يجب أن يمدوه جيذا ، إذ أن جيشهم الذي كان لا يعد أكثر من عشرين ألف رجل قد انتصر على اربعمائة ألف أو أكثر ، وذلك في أعظم وأقوى وأكثر مدينة تحصينا في العالم .

الفصل الثالث عشر

انتخاب الامبراطور

نيسان - أيار - ١٢٠٤

أصدر المركز - ومنتفرات القائد الأعلى للجيش الآن نيابة عن البارونات ودوج البندقية أمرا عاما للقوات أن يجمعوا وأن يحضروا كل الغنائم كما تم الاتفاق المؤكد بالقسم وتحت طائلة الحرمان من الكنيسة ، وخصصت ثلاث كنائس لاستقبال الغنائم وعين بعض أبرز المؤثوقين من الرجال بين الفرنسيين ، والبنادقة في كل منها للعمل كحراس وبدأ كل رجل في احضار الغنائم كما اخذها ، وأدى بعضهم هذا الواجب بضمير وآخرون بدافع الشهرة وهي مصدر الشرف الذي لا يخيب أبدا واثبتوا أنهم أقل أمانة ، ومنذ البداية الأولى بدأ الذين كانوا مبالغين لهذا الاثم في حجب بعض الأشياء وأصبحوا بالتالي أقل ارضاء للرب ، أه أيها الرب كم كانوا مخلصين في تصرفهم حتى الآن ، وحتى الآن في كل ما تعهدوا به أظهر الرب عنايته الكريمة لهم ، ورفعهم فوق كل الشعوب الأخرى ، ولكن كل من يفعلون الصواب عليهم أن يعانون كثيرا بسبب سوء أعمال الخاطئين .

وفي هذه الحالة عندما تجمع مكاسب الجيش من مال وعين ، كان يحدث أن لا تسلم كل الكمية ، وكان هناك الكثير في الواقع ممن كانوا يفلون دون رادع من الحرمان الكنسي من قبل البابا ، وكان كل ما يجلب الى الكنيسة يوضع مع بعضه ، ويقسم الى أجزاء متساوية بين الفرنسيين والبنادقة حسب الاتفاق المدعم بالقسم ، وبعد أن تلقى الصليبيون نصيبهم سلموا أولا ٠٠٠ ر ٥٠ ماركا فضيا للبنادقة ، ثم قسموا ٠٠٠ ر ١٠٠ أخرى بين شعبهم ، وخصصت

الاموال على النحو التالي : تلقى كل واحد من السرجنديين الخيالة ضعف ما أخذ السرجندي من الرجال ، ولكل فارس ضعف السرجندي الخيال ، ولم يعط أي رجل أيا كانت مرتبته أو أهليته الشخصية قدرا كبيرا ، الا بناء على ترتيب خاص - إن لم يكن قد سرقه .

وفي حالات السرقة كان الجزاء الصارم يقع على من ثبت ادانتهم وكان العديد من هؤلاء يشنق وشنق الكونت دي سانت - بول واحدا من فرسانه ودرعه معلق بعنقه بسبب حجب غنائم معينة ، وكان هناك مع ذلك كثير من الرجال من كل المراتب ممن غلوا دون أن يكشف أمرهم ، ومع ذلك فإن القيمة الاجمالية للغنائم كانت عظيمة لانه بصرف النظر عما سرق وعما دفع للبنادقة ، كان ما بقي من أجل التوزيع قد بلغ نحو أربعمئة ألف ماركا فضيا إضافة الى عشرة آلاف حصان من مختلف السلالات وبهذه الطريقة وزعت غنائم القسطنطينية بين المنتصرين ، وبعد انجاز هذه المهمة دعي كل الجيش الى مؤتمر حيث أعلنت كل القوات التي لها رأي واحد انه يجب انتخاب امبراطور ، كما تم الاتفاق عليه من قبل واستمرت المناقشات رجا طويلا حتى ، أن أمر اختيار اثني عشر شخصا يكونون مسؤولين عن انتخاب امبراطور أجل الى يوم آخر ، وطبيعي حيث يتعلق الأمر بمثل هذا المنصب الرفيع فإنه لا يمكن أن يكون هناك قلة من الرجال الذين يطمحون اليه ، أو يطمعون في نيل هذا الشرف ومع ذلك فإن الخلاف الأعظم في الاجتماع كان حول مسألة عما اذا كان الكونت بلدوين دي فلاندرز أو الماركيز دي مونتفرات هو الذي سيفتار لأن كل واحد كان يقول ينبغي اختيار واحد أو الآخر منهما ، وعندما رأى الرجال الكبار في الجيش كيف كان الناس مذسمين حول هذه النقطة ، بعضهم يؤيد الكونت وآخرون يؤيدون الماركيز ، اجتمعوا معا وقالوا : « اذا انتخبنا واحدا من هذين الرجلين العظيمين فإن الآخر سيتترك الجيش ويأخذ جماعته معه » ، وعندما سئف هذه الأرض ، تماما كما فقدت القدس منذ وقت قريب ، بعد الاستيلاء عليها وانتخاب غودفري دي بوليون ملكا ،

ففي هذا الوقت امتلأ الكونت صنجيل بالحدق والحسد حتى أنه عرض البارونات الآخرين وكل من استطاع تحريضه ، على الانسحاب من الجيش ، وثيرك كثير من الناس وبقي القليل جدا ، حتى أنه لو لم يأخذهم الرب تحت حمايته لضاعت أرض القدس ، وعليه يجب أن نحتاط في أن نرى مثل هذا الحظ السيء لن يصيبنا .

والأخرى بنا أن نجد طريقة لكي نبقى كلا من هذين الأميرين في الجيش ، لهذا دعوا أيا منهما ينتخب بمشيئة الرب امبراطورا يفعل كل ما في استطاعته ليكون الآخر راضيا ، ولندعه على سبيل المثال يكسب ولاء الآخر بمنحه كل الأراضي عبر المضيق في اتجاه تركيا ، وأيضا جزيرة اليونان على هذا الجانب ، وبمثل هذه الوسيلة سنبدقيهما معا ، وقبول هذا الاقتراح بالتاكيد من الجميع وأعطى كلا من الرجلين المعنيين موافقته الطوعية عليه .

وحل اليوم المعين للمؤتمر النهائي ، وحضر الكل واختير اثني عشر ناخبا ، ستة منهم فرنسيون والستة الآخرون من البنادقة ، وأقسم هؤلاء جميعا على الكتاب المقدس أن ينتخبوا بضمير وإخلاص الرجل الذي سيخدم بشكل أفضل مصالح الدولة ويحكم الامبراطورية بأكبر جدارة .

وبعد اختيار المنتخبين حدد يوم لانتخاب الامبراطور وفي هذا اليوم اجتمع الاثنا عشر رجلا في قصر جميل جدا ، واحد من أجمل قصور العالم ، حيث كان دوج البندقية ينزل فيه في حينه ، وتجمع حشد مدهش من الناس هناك ، لأن كل انسان كان يريد أن يرى من الذي سينتخب ، واستدعي الناخبون الاثني عشرة وأدخلوا في كنيسة فاخرة التأسيس جدا بداخل القصر ، وأقفل الباب حتى يبقوا وحدهم ، وفي هذه الاثناء كان البارونات والفرسان ينتظرون في قصر عظيم على مسافة صغيرة من الكنيسة ، واستمر المجلس حتى اتفق جميع الناخبين ، ثم بموافقة مشتركة عينوا واحدا من بينهم هو نيفلون أسقف سواسون ليعمل كناطق ، وخرجوا جميعا من الكنيسة

ونهبوا الى حيث كان يجتمع البارونات ودوج البندقية ، وتحول من
العيون بقدر ما تتخيل نحو الاثني عشر ، لأن كل واحد كان مثلهما
اسماع نتيجة الانتخاب ، وبلغ الاسقف رسالته فقال : « سادتي
بفضل الرب اذلقنا على اختيار امبراطور ، وقد أقسمتم جميعا
على أن الرجل الذي سننتخبه سيقبل من قبلكم وأنكم ستقفون الى
جانبه ضد كل من يجرؤ على تحدي انتخابه ، ونحن نسميه الآن في
الساعة نفسها التي ولد فيها ربنا ، إنه الكونت بلدوين دي فلاندرز
ودي هينوت .

وقرنت هتافات البهجة في القصر ، واصطحب الكونت الى خارج
المبنى وحمل الى الكنيسة ، وكان المركيز دي مونتفرات من جانبه
اول ، من بايعه وقدم له كل التقدير والتشريف الذي أمكه ، وهكذا
انتخب الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينوت امبراطورا وهدد يوم
تتويجه بعد ثلاثة أسابيع من عيد الفصح ، وصنع رداء فاخر جدا
يمكن أن أقول خصيصا لهذه المناسبة ، ولم يكن هناك نقص في
الاموال من أجل الانفاق على صنعه .

وقبل اليوم المحدد للتويج تزوج المركيز بـونيفيس دي مونتفرات
السيبة التي كانت زوجة للامبراطور اسحق ، وكانت أخت ملك
هنغاريا . وفي نحو ذلك الوقت سقط يودس دي شامبلت وهو أحد
أنبل البارونات في الجيش مريضا وتوفي ، وأعلن أخوه وليم
وأصدقائه الحداد عليه وبكوه بشدة ومرارة ، ودفن بتشريف كبير في
كنيسة الرسل المقدسين .

وجاء يوم التتويج وتوج الامبراطور بلدوين ببهجة كبيرة ومهابة
عظيمة في كنيسة سانت هوفيا في العام ١٢٠٤ لتجسيد ربنا ، ولا
حاجة بي للحديث عن الابتهاج والولائم التي جرت مع هذا الحدث
سوى القول بأن البارونات والفرسان قد فعلوا كل ما بوسعهم
لتمجيد تلك المناسبة ، وأعطى المركيز بـونيفيس دي مونتفرات
والكونت لويس دي بلوا ودي كارتران البيعة للامبراطور الجديد

كامير لهم بعد تتويجه البهيج ، واصطحب الامبراطور في ابهة عظيمة وفي موكب كبير الى قصر بوكوليون الاميري ، وهو بناء أكثر فخامة من أي بناء سلفت رؤيته على الاطلاق ، وهنا حالما انتهت الولايم جلس ليشر ف على الأعمال .

وزار المركيز دي مونتفرات الآن الامبراطور ليطالبه بالوفاء بالعهد الذي قطعه وأن يعطيه كما التزم بأن يفعل ملكية الأرض الواقعة عبر المضيق في اتجاه تركيا وجزيرة اليونان ، واعترف الامبراطور بالتزامه وقال بأنه سيفي به بكل سرور ، وأما المركيز وقد راه مستعدا وراضيا بالمحافظة على كلامه ، فقد سأله عما اذا كان في مقابل تلك الأراضي يمكن أن يعطيه مملكة سالونيك لأنها تقع على مقربة من أراضي ملك هنغاريا الذي تزوج أخته .

وبعد كثير من المناقشات الجادة ، وبين لعل وعسى ، منع الامبراطور في النهاية أرض سالونيك للمركيز الذي بايعه بناء على ذلك ومقابلها كامير عليه ، وعند ذاك جرى احتفال عظيم في الجيش لأن المركيز كان أحد أعلى الفرسان قدرا في العالم ، وكان واحدا ممن أحبه رفاقه الفرسان جدا ، لأن أحدا لم يكن سخي اليد وكريما أكثر منه ، وهكذا جرى اقناع المركيز على أن يبق في الامبراطورية .

الفصل الرابع عشر

حالة علاقات متوترة

أيار - أيلول ١٢.٤

ولم يكن الامبراطور مرزوفلوس قد مضى بعد الى أبعد من مسيرة أربعة أيام من القسطنطينية . وأخذ معه زوجته وابنة الكسيسيوس أخي الامبراطور أسحق وكانتا قد هربتا من المدينة قبل ذلك بزمان طويل ، وكان الآن يعيش في موزينوبولس مع النين هربوا معه ، ومايزال يحتفظ بقسم كبير من الأرض .

وفي هذا الوقت ترك نبلاء معينين من الروم من أعلى مرتبة القسطنطينية وعبر عدد كبير منهم المضيق الى ذلك الجزء من الامبراطورية الواقع على حدود تركيا . واستولى كل منهم على الأرض بقدر مايجب لاستخدامها لمصلحته الخاصة . وكان الشيء نفسه يحدث في أجزاء مختلفة أخرى من الامبراطورية .

ولم ينتظر الامبراطور مرزوفلوس طويلا قبل أخذ مدينة تكراو التي سلمت من قبل للامبراطور بلدوين وقد أخذها في هجوم مباغت عاصف ونهبها واستولى على كل شيء وجده هناك ، وعندما وصلت أخبار ذلك إلى الامبراطور بلدوين استشار البارونات ودوج البندقية فاتفقوا بالاجماع على نصحه بالسير خارج القسطنطينية بكل القوات التي لديه ، ليخضع الأرض تاركا فقط حامية كافية في المدينة لتأمين سلامتها حيث أنها كانت مأخوذة حديثا وكانت كثيفة السكان من الروم .

وقم تبني هذه الخطة ، وبعد تجمع القوات أعطيت الأوامر للنين كان عليهم حراسة القسطنطينية بالبقاء ، وكان بين النين

تخلفوا الكونت لويس دي بلوا الذي لم يكن حتى ذلك الحين قد أبل من مرضه والدوح المدسن للبندقية، وترك راهب دي بيثوم ليتولى، شؤون قصري بلاشرين ويوكليون ولحراسة المدينة مع جيوفري دي هيلهارين وميلون دي بربانت ومانا سيير دي ليل وكل رجالهم ، واستعد الباقون للذهاب في جيش الامبراطور .

وقبل أن يشرع الامبراطور بلدين بمغادرة القسطنطينية أعطى أخاه هنري أوامر بأن يمضي قدامه مائة من أجود الفرسان ، فركب مع جماعته من مدينة الى مدينة وفي كل مكان جاءه ، الاسم السكان بالولاء للامبراطور ، ومضى حتى وصل الى أدرنة وهي مدينة جميلة جدا وغنية حيث قدم الناس له ترحيبا قلبيا جدا ، وبدورهم اعترفوا بالامبراطور أميرا عليهم ، وبقي في المدينة حتى وصل الامبراطور بلدين ، وبسماع أن الجيش كان يتقدم لم يجرؤ الامبراطور مرزوفلوس على انتظار وصوله بل عمل على أن يبقى دائما على مسيرة يومين أو ثلاثة أمامه ، واستمر على هذه الطريقة حتى أصبح قريبا من موزنيوبولس حيث كان الامبراطور ألكسيوس يقيم ، ثم أرسل الرسل أمامه ليخبروا ألكسيوس بأنه سيساعده وبأنه سيفعل كل ما يطلبه ، وأجاب ألكسيوس بأنه سيرهب بمرزوفلوس كما لو كان ابنا له وأنه سيروجه ابنته ليصبح ابنا له حقا ، وعليه فقد عسكر مرزوفلوس خارج موزنيوبولس بكل خيامه وسراقاته ، في حين بقي ألكسيوس في المدينة ثم تقابلا واجتمعا معا وبعد هذا زوج ألكسيوس ابنته لمرزوفلوس ، وبخلا في تعالف مع بعضهما معلنين انهما سيكونان كواحد .

وبقي الامبراطوران حيث كانا وقتا غير محدود ، واحدا في معسكره والثاني في المدينة حتى دعا ألكسيوس في أحد الايام مرزوفلوس ليأتي للعشاء معه ، ثم يذهب معه بعد ذلك الى الحمامات ، وقبلت الدعوة ووصل مرزوفلوس دون موكب ومع قليل جدا من الحاشية كما طلب منه ، وحالا وصل الى المنزل سحب ألكسيوس الى غرفة خاصة حيث طرح أرضا وأمر بهينة فسملتا من

راسه ، واحكموا بأنفسكم بعد سماع هذه الخيانة انا ماكان الناس الذين يمكنهم أن يعاملوا بعضهم بمثل هذه اللسوة الوحشية يكونون صالحين لامتلاك الاراضي او قلها ؟ وعندما سمعت القوات التابعة للامبراطور مرزوبولوس تفرق معظمهم في كل اتجاه: بعضهم الى هنا وبعضهم الى هناك ، ومضى بعضهم على أي حال الى الامبراطور الكسيوس وبقوا معه واطاعوه كأمير عليهم .

وفي هذه الاثناء كان الامبراطور بلدوين قد ترك الاسطنطينية مع جيشه وركب حتى بلغ ادرنة حيث التقى بأخيه هنري ورفاقه من الفرسان ، وخرج كل الناس من الأماكن التي مربها للقائه ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه والاعتراف بسلطانه ، وبينما كانت القوات في ادرنة سمعوا كيف أن الامبراطور الكسيوس قد سمل عيني الامبراطور الآخر ، وجرى حديث كثير حول الحادثة ، وأعلن الجميع بصراحة بأن كل من يخونون بعضهم بعضا هذه الخيانة لادق لهم في امتلاك الاراضي ، واعتزم الامبراطور بلدوين أن يركب رأسا الى موزينوبولس حيث كان الامبراطور الكسيوس يعيش ، ورجاه الروم في ادرنة كأمير لهم أن يترك حامية في مدينتهم لأن جوهانيتزا ملك الاشيا وبلغاريا قد اخضعهم لهجمات متكررة ، وترك الامبراطور معهم يوستاس دي سوبرويك ، وهو فارس فلمنكي شجاع جدا وجدير ، مع أربعين من أجود الفرسان ومائة من السرجنية الخيالة ، ثم ترك الامبراطور المدينة ، وركب نحو موزينوبولس حيث توقع أن يجدا الامبراطور الكسيوس ، وجاءه كل الناس من المناطق التي عبرها للاعتراف بسلطانه وليضعوا أنفسهم تحت حكمه ، وبسماع ذلك سحب الامبراطور الكسيوس كل قواته من موزينوبولس وهرب ، وركب الامبراطور بلدوين وسار حتى وصل الى المدينة وخرج أهل هذا المكان للقائه وسلموه له كأمير لهم ، وأعلن الامبراطور بلدوين الآن عزمه على البقاء في موزينوبولس في انتظار المركز مونتفرات ، الذي لم يكن قد وصل بعد الى المعسكر ، وكان هذا بسبب أنه كان يحضر زوجته معه ، ولم يكن بناء عليه قادرا على السفر بالمعدل نفسه

للإمبراطور ، ومع ذلك فقد ركب هو وجماعته بصورة مستمرة حتى بلغوا موزينوبولس ، التي تقع على نهر ، ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم بجانب الجدول ، وفي اليوم التالي ذهب المركيز لرؤية الإمبراطور ، والتحدث معه وتذكيره بوعده قائلا : « يا صاحب الجلالة أن لدي أنباء من سالونيك تخبرني أن أهل مملكتي مستعدون وراغبون في استقبالي كأمير لهم ، وكتابع لكم وأني إذا تسلم هذه الأرض منكم أرجوكم الآن لي بالذهاب إلى هناك ، وحالما أضع يدي على أرضي فأني سأعود لكم بكل المؤن التي تحتاجونها ، وأجاء وأنا مستعد للقيام بكل ما ترغبون ، ولكن لا تنهبوا وتخرّبوا مملكتي لي بل إذا ما كان الأمر التالي يلقي موافقتكم ، فسيروا معي ضد جوهانيتزا ملك والأشيا وبلغاريا والذي وضع يده ظلما على جزء من أراضي .

ولأدري بناء على نصيحة من عمل الإمبراطور عندما أجاب بأنه كان مصمما على الرغم من كل شيء على أن يسير إلى سالونيك ثم يلقى بعد ذلك على شؤونه الأخرى ، فقال المركيز : « يا صاحب الجلالة اني أرجوكم بحرارة طالما أني قادر على وضع يدي على أرض دون مساعدتكم أن لا تدخلوها ، فإن فعلتم لن أشعر بأنكم تعملون لخيرتي ، وسأخبركم بوضوح أنني لن أنهب منكم ، بل سأفصل عنكم وعن جيشكم .»

والأسفاه أي نصيحة سيئة لكليهما ، وكم كان الخطأ شديدا من جانب النين سببوا هذا الانشقاق بينهما ؛ ولأنه لولا رحمة الرب بكليهما ، لفقد كل الأراضي التي غنماها ، ولتعرضت النصرانية نهسا للخطر ، وهكذا بسبب فرصة غير معظوظة ومشورة غير حكيمة دفع الإمبراطور والمركيز إلى فك صحبتهما والافتراق .

وركب الإمبراطور بلدوين نحو سالونيك كما خطط مع كل حاشيته وقواته ، في حين عاد المركيز ذي موندفرات في اتجاه آخر ، لهذا معه عبدا كبيرا من الرجال الطيبين ، وكان بين النين مضوا

معه جاك دي أفنس ووليم دي شامبلت ، وهوغ دي كوليني ، وغراف برتولد فون كاتزينلبوغن ، مع القسم الأعظم من الرجال من امبراطورية ألمانيا ، وكانوا جميعا في جانب المركيز ، وركب المركيز حتى بلغ حصن ديموتيكاه وهو بناء جميل جدا وأسر ومحصن بقوة ، وبعد ان سلم احد الروم في المدينة المهاجمة الحصن له بخله ووضع حامية هناك ثم لأن زوجته الامبراطورة السالفة كانت معروفة لهم ، بدأ الروم يقهقون في صفه ويجيئون من كل الريف المحيط على مسيرة يوم أو يومين من ديموتيكاه ليعترفوا به كأمير لهم.

وفي هذه الاثناء بينما كان الامبراطور بلدوين ماضيا نحو سالونيك وصل الى حصن كريستوبولس ، وهو واحد من أقوى القلاع في العالم ، وقد تسلم هذا الحصن وأقسم كل أهالي المدن المتاخمة قسم الولاء له وفيما بعد وصل الى مكان آخر يدعى لابلانز وهي مدينة مزدهرة جيدة التحصين وسلمت هذه ايضا وبإيعاه الناس ، ومن هناك ركب الى سيرس وهي مدينة على الدرجة نفسها من الازدهار وجيدة التحصين ، وهنا أيضا اعترف الناس بسلطته وأقسموا على طاعته كأمير لهم ، ووصل في النهاية الى مدينة سالونيك وبقي ثلاثة ايام معسكرا خارجها ، وسلم أهل المدينة التي كانت في ذلك الوقت واحدة من أجمل وأغنى المدن في كل النصرانية المكان له شريطة أن يحكمهم وفق العادات والأعراف المرعية من قبل كل أباطرة الروم .

حتى ذاك اليوم . وبينما كان الامبراطور بلدوين في جوار سالونيك والناس من كل الناحية يضعون انفسهم في خدمته ويقبلون به كأمير عليهم ، كان المركيز دي مونتفرات مع كل رجاله وعدد كبير من الروم الذين ناهروه يسير الى أدنة حيث نصب خيامه وسراقاته حول المدينة وبدأ في إحكام الحصار حولها ، وبدأ يوستاس دي سوبرويك الذي كان بداخلها مع الرجال الذين تركهم الامبراطور هناك على الفور في توزيع الرجال على الاسوار والأبراج واستعد للدفاع عن المدينة .

وبعد ذلك استدعى رسولين وأرسلهما الى القسطنطينية وهما يركبان ليل نهار لقد ذهبوا لرؤية دوج البندقية والكونت لويس والبارونات الآخرين الذين أمرهم الامبراطور بالبقاء في المدينة ، فأخبروا هؤلاء الأمراء أن يوستاس دي سوبرويك أراد أن يعلمهم بأن الامبراطور والمركيز قد تحاربا ، وأن المركيز قد استولى على ديموتيك التي كانت واحدة من أجمل وأقوى حصون الامبراطورية ، وأنه قد بدأ الآن في محاصرة رجال الامبراطور في أدنة ، وعندما سمع أولئك الذين في القسطنطينية هذا اضطربوا لدرجة معتقدين بشكل مؤكد بأن كل ماكسبوه سيضيع .

وبناء عليه اجتمع دوج البندقية والكونت لويس وبقية البارونات في القسطنطينية في قصر بلاشرين وهم في غاية القلق والاهتياج من الاخبار التي تلقوها ، ونددوا بأشد المراتة بالذين أثاروا المشاعر السيئة بين الامبراطور والمركيز ، وبناء على طلب دوج البندقية والكونت لويس ، نوشد جيوفري دي فيلهارين مارشال شامبين الذي كان على علاقات ودية مع المركيز ، وسيكون له كما اعتقدوا التأثير الأكبر عليه من أي شخص آخر ، أن يمضي الى الحصار المضروب حول أدنة وينهي اذا امكن هذا النزاع ، ومن جانبه قد تأثر بتوسلاتهم وادراكهم للحاجة الملحة الى تسوية للنزاع ، أجاب بأنه كان راغبا جدا في الذهاب ، وأخذ معه ماناسيير دي ليل الذي كان واحدا من أفضل فرسان الجيش وأكثرهم رفعة في المقام .

وانطلقوا من القسطنطينية حيث ركبوا عدة أيام حتى بلغوا المدينة المحاصرة ، وحالما سمع المركيز بأنهم يقتربون خرج من المعسكر ومضى لاقائهم مصحوبا بمستشاريه الرئيسيين . جاك دي الهندس وغوليوم دي شامبلت ، وهوغ دي كولفي وأوثون دي لاروش وعند رؤية المبعوثين حياهم المركيز بلطف شديد وبمائة .

وتحدث المارشال جيوفري كصديق مقرب ذي حظوه مؤنبا المركيز بصراحة كبيرة على الطريقة التي احتل بها أراضي الامبراطور ،

وعلى محاصرة شعبه في أدرنة ، وذلك دون شرح الحالة لأصدقائه في القسطنطينية الذين كانوا سيساعدونه بالتأكيد في الحصول على التحويل إذا كان الامبراطور قد الحق به أي غبن ، وفعل المركيز على أي حال كل ما في وسعه ليبرئ نفسه ، وعلى أنه عمل فقط بهذه الطريقة بسبب الخطأ الذي الحقه الامبراطور به ومع ذلك عمل المارشال جاهدا لاقتناعه أنه بعون الحرب وبمساعدة أولئك البارونات الذين كانوا موضع ثقة أميرهم وأخلصوا له ، فتلقى التأكيدات بأن المركيز سيضع القضية بين يدي دوج البندقية ، والكونت لويس وراهب دي بيثون والمارشال نفسه ، ونتيجة لذلك عقدت هدنة بين الجيش في المعسكر والرجال في المدينة .

وعند رحيلهم وجه شكر حار لجيوفري دي فيلهارين ومانسيير دي ليل من قبل كل من رجال المعسكر ، والذين كانوا يحاصرونهم لأن كلتا الجماعتين كانتا متهافتين في رغبتهما في السلام ، ولكن إذا كان الفرنسيون مبتهجين لأن الروم كانوا بالقدر نفسه محزونين وخائبي الأمل لأنهم كانوا سيبتهجون كثيرا عندما يرون قواتنا في خلاف ويحارب بعضهم بعضا . وهكذا رفع الحصار عن أدرنة وعاد المركيز بكل رجاله إلى حصن ييموتيكا حيث ترك زوجته .

وعاد المبعوثون إلى القسطنطينية ليروا ما فعلوا وكان دوج البندقية . والكونت لويس والآخرين كلهم مبتهجين بسماع أن المركيز قد وكلهم بالتفاوض على السلام ، وهكذا كتبوا رسالة وأرسلوها بواسطة رسول يمكن الاعتماد عليه إلى الامبراطور بلدين ليعلموه بأن المركيز قد أحال المسألة موضوع الخلاف إليهم ، مع التأكيد بأنه سيلتزم بقرارهم ، وأضافوا أنه في رأيهم أن الامبراطور كان حتى أكثر ارتباطا بالالتزام بفعل الشيء نفسه وحيث أنهم من جانبهم لن يقرروا بحرب من هذا النوع تحت أي ذريعة أيا كانت فقد رجوه أن يفعل كما طلبوا ، وأن يعد بقبول تحكيمهم كما فعل المركيز .

وبينما كان هذا كله يجري كان الامبراطور بلدوين يسوي الامور كما يجب في سالونيك ، وغادر المدينة بعد أن وضع حاميته هناك تحت أمره رينيه دي مونز وهو فارس جيد جدا وشجاع ، وبلغته الاخبار بأن المركيز قد أخذ ييموتكا ، وإضافة الى توطيد مركزه هناك غزا قسما عظيما من الاراضي المحيطة بها ، وكان يحاصر شعب الامبراطور نفسه في أدنة ويسماع ذلك .

استشاط الامبراطور غضبا وصمم على الفور ان يذهب لاغاثة أدنة وفك الحصار عنها ، وان يلحق بالمركيز كل مايمكن من اذى ، أه اي ضرر كان يمكن ان ينجم عن هذا الخلاف ولو لم يتدخل الرب لتصحيح الامور لكان هذا يعني خراب النصرانية .

وانطلق الامبراطور بلدوين قاصدا أدنة وهو يركب يوما بعد يوم ، وفي حين كان الجيش معسكرا امام سالونيك ، ومع امر بالغ التعاسة وقد تفشى المرض المفاجيء في الصفوف واضطر العديون التزام الفراش ، وخلال الرحلة بلغ المرض بعدد كبير الى حد لم يسمح لهم بالتقدم ، فتركوا في الحصون على طول طريق الامبراطور ، وحمل اخرون وهم في شدة الالم والتعب في محفات ، وتوفي عدد كبير في سيريس وبينهم مستشار الامبراطور جين دي نويون وكان كاهنا عالما وقديسا وكان وعظه البليغ بكلمة الرب يريح ويعزز قواقتنا وكان كبار رجال الجيش في غايه الاسى لموته ...

ولم يمض وقت طويل قبل ان يعاني الجيش من تعاسة اكبر وفوق كل شيء بوفاة بيير دي أمين وهو نبيل عظيم وقوي وفارس جيد باسل ، وحزن عليه الكونت هوغ دي سانت بول بشدة وكان ابن عم له وكان كل رجل في الجيش صادق الاسى عندما توفي ، وبعد ذلك بوقت قصير جاء موت جيراردي مانسيكو ، وكان هذا حزنا عظيما اخر للقوات اذ انه كان فارسا يحبه الجميع ويقدرونه ، ومات ايضا جيل دي اسو وعدد كبير من الرجال الجيدين خلال تلك الرحلة وفقدنا في الواقع نحو اربعين فارسا في المجموع ، وضعف الجيش

بدرجة كبيرة لموتهم ، وكان الامبراطور بلويين الذي كان يقطع عدة مراحل يومية قد غطى حتى الان مسافة لقي عندها الرسل الذين بعثوا اليه من القسطنطينية وهم قادمون للالاقات ، وكان اهدم فارسا يدعى بيغ دي فرانسور جاء من الاراضي التابعة للكونت لويس دي بلوا ، وكان تابعا له ، وكان رجلا ثاقب الفكر نلق اللسان ، فسلم الرسالة الواردة من سيده والبارونات الاخرين بحيوية كبيرة وشجاعة قائلا :

« يا صاحب الجلالة ان دوج البندقية وسيدى الكونت لويس والبارونات الاخرون الموجودون الان في القسطنطينية يرسلون اليكم بتحياتهم كأمر لهم ، وهم يرغبون ان يشكوا الى الرب واليكم اولئك المسؤولين عن اشارة النزاع بينكم وبين المركيز الذي كاد ان يجلب الخراب للنصرانية ، وقد طلبوا مني ايضا أن اقول انكم تصرفتم دون حكمه جدا باستماعكم لمثل تلك النصيحة ، وهم يريدون منكم الان ان تعرفوا ان : المركيز قد أحال هذا النزاع بينكم وبينه إليهم ، وهم يرجونكم كأمر لهم ان تفعلوا الشيء نفسه بدوركم وان تعدوا بالالتزام بحكمهم ، وهم يريدون منكم ان تفهموا انهم لن يوافقوا مطلقا على مضيكم الى الحرب ضد بعضكما بعضا على اي اساس كان » ، وقال الامبراطور : إنه سيعطي جوابه للمبعوثين قريبا ومضى ليدعو مجلسه الاستشاري وبين هذه الجماعة كان هناك عبيدون ممن ساعدوا على اشارة النزاع ، وقال الذين اعتبروا الان الرسالة من القسطنطينية قطعه مذهلة من الوقاحة : « يا صاحب الجلالة سمعت ما اعلنه هؤلاء الناس : من انهم في الواقع لن يسمحوا لكم بمعاقبة عدو اخطأ معك ، ويبدو انكم اذا رفضتم ان تفعلوا كما قالوا لكم سينقلبون ضدكم » ، وجرى التعبير عن كثير من الاراء المتفطرة في مجرى المؤتمر ولكن في النهاية وحيث ان الامبراطور لم يكن يرغب في فقد صداقة دوج البندقية والكونت لويس والناس المهمين الاخرين في القسطنطينية ، وافق المجلس على اعطاء الجواب التالي للمبعوثين : « اني لا اضمن احالة النزاع الى اولئك الذين ارسلوكم ،

ولكنى سأذهب الى القسطنطينية بدون ان افعل شيئا للاضرار
بالمركيز .»

وهكذا ذهب الامبراطور الى القسطنطينية وخرج البارونات وكل
الناس الاخرين للقائه ورجعوا به بتشريف كبير كأمير لهم .

وخلال اربعة ايام من وصوله توصل الامبراطور لان يفهم
بوضوح بانه قد اسيء نصحه للمنازعة مع المركيز ، وعند هذه النقطة
جاء دوج البندقية والكونت لويس لرؤيته حيث قال : يا صاحب
الجلالة اننا نرجوكم ان تحيلوا هذا الامر الينا كما فعل الماركيز ،
واجاب الامبراطور بانه سيكون مسرورا جدا ان يفعل هذا ، واختير
المبعوثين عنئذ لاهضار الماركيز الى القسطنطينية ، وكان احد
هؤلاء المبعوثون هو جيريدي شاتل ، والثاني رنييردي تري ،
والثالث جيوفريدي فيلها درين وارسل دوج البندقية اثنين من
شعبه معهم ، وركب المبعوثون يوما بعد يوم حتى وصلوا اخيرا الى
ديموتيكاه وهناك وجدوا المركيز مع زوجته وعند كبير من الناس نوي
المنزلة الطيبة ، وبعد ان اخبروه انهم قد جاءوا للعودة به رجاء
جيوفريدي فيلها رين ان يحضر الى القسطنطينية كما وعد ، وان
يسمى نزاعة مع الامبراطور بالطريقة التي يقررها الذين احيل اليهم
هذا النزاع ، وان المبعوثين يضمنون له مواكبته ووصولا آمنا له ،
وكذلك ايضا لكل من قد يذهب معه .

وسأل المركيز بماذا يشيرون ووافق بعضهم على ان يذهب ،
ونصحه بعضهم بعدم الذهاب ، ومع ذلك وبعد بعض النقاش ذهب
الى القسطنطينية مع المبعوثين مصحوبا بنحو مائة من فرسانه ،
وركبوا عدة ايام حتى بلغوا المدينة حيث تم الترحيب بهم بحرارة ،
وخرج الكونت لويس دي بلوا ودوج البندقية للقاء المركيز ومعهما
عدد كبير من الناس الاخرين من المراتب الراقية في الجيش ، والذين
كانوا جميعا من اصدقائه المخلصين .

وبعد ذلك عقد مؤتمر نوقشت فيه الاتفاقية المبرمة من قبل الامبراطور والمركيز . وكنتيجة اعيت مدينة ومملكة سالونيك للمركيز شريطة ان يعيد ييموتيكيا . التي استولى عليها ، الى جيوفري دي فيلها ردين الذي وعد ان يحتفظ بها حتى يسمع سواء من رسول معتمد او برسائل مسجلة ، بان المركيز قد وضع بالفعل يده على مملكته ، وعندها يعيد المارشال ييموتيكيا الى الامبراطور ويضعها تحت سلطته ، وهكذا تحقق السلام بين الامبراطور والمركيز ، وكان هناك ابتهاج عظيم في كل الجيش بهذه التسوية السعيدة ، لان ضررا عظيما ربما كان سينتج عن هذا النزاع .

واستأنن المركيز من اصدقائه وركب بصحبة مبعوثي الامبراطور نحو سالونيك مع زوجته وشعبه . ومع مرورهم من حصن الى حصن كان كل بنوره وبكل مقاطعاته يسلم للمركيز باسم الامبراطور .

وعندما وصل الى مدينة سالونيك سلم له كل الذين كانوا يسيطرون على المكان لصالح الامبراطور بالطريقة نفسها ، وكان حاكم المكان واسمه رينير دي مونزا قد توفي حديثا ، وكان رجلا طيبا جدا وكانت وفاته خسارة حزينة .

وبالتدريج بدا الرجال في كل المملكة خطوة خطوة بوضع اراضيهم وانفسهم تحت سلطة المركيز ، حتى اعترف عدد كبير جدا من الناس في النهاية به كأمير عليهم . وكان الاستثناء الوحيد رومي معين من المرتبة الراقية جدا ، وكان اسمه ليون سفور وكان هذا الرجل وقد كسب ملكية كورنث ونوبليا وهما مدينتان على الساحل وكانتا من بين الاقوى تحت السماء ، قد رفض ان يقسم قسم الولاء للمركيز ، وعلى العكس بدا في شن الحرب ضده ، ووقف عدد كبير جدا من الروم في جانبه ، وكان هناك رومي اخر يدعى ميكا نيلس وكان قد جاء من القسطنطينية مع الماركيز واعتقد الاخير بانه مسبق له ، ولكنه رجل فجأة بون ان يقول كلمة ، الى مدينة ارتقا حيث تزوج ابنة

- ٤٤٩٢ -

رومي ثري حصل على ارضه من الامبراطور ، وبعد ان استولى على هذه الارض لنفسه بدأ بشن الحرب على المركيز .

وفي هذا الوقت كانت كل الارض من القسطنطينية حتى سالونيك في سلام والطريق من المدينة للآخرى سالما ، حتى مع انه كان يلزم اثني عشر يوما كاملة لقطع المسافة بينهما ، كان الناس يستطيعون المجيء والذهاب كما يحلو لهم وقد مضى وقت طويل الان حتى اصبحنا في نهاية ايلول ، وحكم الامبراطور في القسطنطينية ، وكانت الارض هائلة تحت حكمه ولم يحدث شيء ذو أهمية في المدينة سوى وفاة اثنين من اجود الفرسان هما يوستاش كانتلو وايمري دي فيلروا وكان هذا موضع اسى عظيم لاصدقائهما .

الفصل الخامس عشر

حرب ضد الروم

تشرين أول ١٢٠٤ - أذار ١٢٠٥

وبدا الآن تقسيم الاراضي ضمن الامبراطورية ، واخذ البنادقة حصتهم المستحقة ، وتسلم الفرنسيون حصتهم . ولكن ما ان حاز كل رجل على ارضه حتى بدأت الشهوة للتملك التي كانت السبب في كثير من الشرور في العالم ومنعت الناس من ان يعيشوا في سلام ، وبدا الكل بدرجة اكبر او اصغر ، في ادارة مقاطعاتهم بقليل من الاهتمام بحقوق الآخرين ، حتى بدا الروم يكرهونهم ويضمرون الاستياء والسخط ضدهم في قلوبهم ،

واعطى الامبراطور بلدوين للكونت لويس بوقية نيقية التي كانت تقع على جانب المضيق المواجه لتركيا ، وكانت احد اهم اقطاعات الامبراطورية ، ولم تكن الارض على جانب المضيق على اي حال قد وضعت بعد تحت ادارة الامبراطورية بل كانت مناهضة له . وبعد ذلك بوقت قصير اعطى الامبراطور بوقية فيليبو بولس لرنبيزدي تريت

وارسل الكونت لويس نحو مائة وعشرة من فرسانه للاستيلاء على اراضيه له ، مع بيير دي براسيو ومع بابين دي أور ليانز كقائد فتركوا القسطنطينية يوم عيد جميع القديسين وابصروا عبر (البوسفور) مضيق سان جورج الى ابيدوس ثم مضوا الى سبيفا وهي مدينة على الساحل يسكنها اللاتين ومن هناك بدأوا في شن الحرب ضد الروم .

وفي نحو هذا الوقت هرب الامبراطور مرزوفلوس الذي سمات

- ٤٤٩٤ -

عيناه - وهو نفسه الذي قتل ابن الامبراطور اسحق اليكسيوس والذي كان الصليبيون قد احضروه معهم - الى القسطنطينية سرا عبر المضيق مع عدد قليل من البطانة من الرجال ، ولكن بتفريش فون لوييس ، وقد سمع بهروبه من بعض من بلغ عنه ضده ، أمر باعتقاله واعادته الى الامبراطور بلدوين في القسطنطينية ، وسر الامبراطور باعتقاله وسأل شعبه ماذا يفعل برجل قتل اميره بمثل هذه الخيانة .

وتم اقرار ايقاع العقاب التالي : في اتجاه مركز القسطنطينية كان يقوم عمود رخامي من اعلى الاعمدة واجملها ، حيث لم تر عين انسان أجمل على الاطلاق وكان على مرزوفلوس ان يؤخذ الى قمة هذا العمود ويدفع الى القفز منه على مرأى كل الناس ، لان مثل هذا العمل من القصاص الموائم يجب ان يشاهد من قبل كل الناس ، واقتيد مرزوفلوس الى العمود واخذ الى القمة ، في حين تحشد كل الناس في المدينة ليروا هذا المنظر المدهش ، ثم القى به الى الاسفل وسقط من مثل هذا الارتفاع حتى ان كل عظم في جسمه قد تحطم حالما وصل الى الارض .

والان دعوني اخبركم بمصادفة مدهشة فعلى ذلك العمود الذي سقط منه مرزوفلوس كانت هناك رسوم من مختلف الانواع محفورة في الرخام وبينها كان رسم يمثل امبراطور يسقط ناكسا ، فقد كانت هناك نبوءة تحدثت قبل وقت طويل بان امبراطورا سيلقى به من فوق العمود نفسه ، وهكذا تحققت النبوءة التي صورت على الرخام تماما .

وحدث في نحو هذا الوقت ان الماركيز دي مونتفرات فيما كان في جوار سالونيك انقض على الامبراطور اليكسيوس وهو نفسه الذي سمل عيني اخيه ، وسجنه مع زوجة الامبراطور ، وارسل الماركيز الحذاء القرمزي والاردية الامبراطورية الخاصة باليكسيوس الى اميره الامبراطور بلدوين في القسطنطينية ، وهي مجاملة لطيفة

- ٤٤٩٥ -

اكسبته عرفان الامير وامتنانه ، وفيما بعد ارسل الماركيز الامبراطور اليكسيوس الى مونتفرات ليودع السجن هناك ، وبعد ذلك بوقت غير بعيد يوم عيد القديس مارتن ترك هنري أخو الامبراطور القسطنطينية ومعه نحو مائة وعشرين من اجود الفرسان وسار بمحاذاة الضيق الى قناة ابييوس ومن هناك ابهر عبر الماء الى مدينة ابييوس التي وجدها جيدة التموين الوفير من الاشياء الجيدة مثل القمح واللحم وكل شيء اخر يمكن للانسان ان يحتاج اليه ، وبعد أخذ المدينة مركز رجاله هناك ثم بدا هو ايضا في شن الحرب ضد الروم من حوله ، وبدأ الارمن من تلك المناطق ، وكانوا اكثر الناس هناك بالانضواء تحت لوائه لانهم كانوا يمقتون الروم .

وفي نحو هذا الوقت نفسه غادر رنير دي تريت القسطنطينية مع فرقة اخرى من مائة وعشرين فارسا وذهب صوب فيلبو بوليس التي اعطاها له الامبراطور ، فركب لعدة ايام حتى نقطة في مكان ما وراء ادرنة حيث بلغ غايته ، ورحب به اهل فيلبو بوليس كامير لهم وسروا برؤيته وكانوا في ذلك الوقت في أمس الحاجة للمساعدة لان الملك جوها نيتزا ملك والاشيا كان يشن هجمات وحشية عليهم ، وجاء رينيه دي تريت لمساعدتهم بفعالية جعلت منه سيدا على قسم كبير من الارض ، وتحول عند كبير ممن كانوا يقفون من قبل جانب جوها نيتزا اليه ، وفي ذلك القسم من الامبراطورية ايضا كان القتال ضاريا جدا ، وفي هذه الاثناء كان الامبراطور قد ارسل نحو مائة فارس عبر مضيق سان جورج الى القسم من الامبراطورية المقابل للقسطنطينية ، وكان يتولى القيادة ماكير - دي سانت - مينهول يساعده ماثيو - دي النكورت وروبرت دي ردنسوا وبعد نزولهم الى البر ركبوا في اتجاه نيقوميديا التي تقع على شواطئ الخليج وهي على مسيرة يومين بالبحر من القسطنطينية ، وحالما سمع الروم انهم يتقدمون اخلوا نيقوميديا وهربوا وهكذا اخذ رجالنا مراكزهم في المدينة واقاموا حامية فيها ، واصلحوا التحصينات ومن هذه المنطقة بدأوا في شن الحرب على الروم كما كان الآخرون يفعلون

- ٤٤٩٦ -

في كل مكان وكان على الارض الواقعة عبر المضيق رومي يدعى تيودور لاسكارس كامير عليها ، وكان متزوجا من ابنة ذلك الامبراطور اليكسيوس الذي سمل عيني اخاه ، والذي فر من الفرنجة فيما بعد من القسطنطينية ، وترك لاسكارس الارض في عهدة زوجته وتابع الحرب ضد الفرنسيين على الجانب البعيد من المضيق حيثما كانوا .

وبقي الامبراطور بلنوين نفسه في القسطنطينية مع الكونت لويس وفرقة صغيرة كما كان ايضا الكونت هوغ دي سانت بول الذي كان يعاني من هجمة شديدة من النقرس (داء المفاصل) اصابته ركبته وقدميه ، وبوج البندقية الذي كان اعمى تماما ولم يمض وقت طويل على اي حال قبل ان يأتي جيش كبير جدا من الرجال بينهم الذين تركوا الجيش وابصروا من مواني أخرى عبر البندقية بطريق البحر عائدين من سورية وكان بينهم اتين دي برش ورنيو دي مونتميريل .

وكان كلاهما ابنا عم للكونت لويس الذي رحب بهما بلطف كبير وعبر عن سروره بوصولهما ورحب بمجيئهما ايضا الامبراطور بلنوين وبقية الناس في القسطنطينية ، لان كليهما كان من رجال الطبقة الراقية جدا ، ومن نوي النفوذ الكبير ، وكانا قد احضرا معهما اعداد كبيرة جدا من الناس الجيدين الآخرين ، وبين هؤلاء هوغ صاحب طبرية وتيير دي تنبر موند الى جانب عدد كبير من القوات السورية ، فرسان ، وخيالة سريعة ومشاة ، وبعد وصولهم بوقت قصير منح الامبراطور بوقية فيلاد لفيا لايتين دي برش

وسبب موضوع واحد بين الاخبار التي بلغت في ذلك الوقت للامبراطور بلنوين كآبه عظيمة ، ذلك ان زوجته الكونتيسة ماري وكانت عاجزة عن الذهاب معه في الحملة الصليبية لانها كانت حاملا تخلفت في فلاندرز حيث ولدت له ابنة ، وحالما استربت عافيتها من الولادة انطلقت للحاق بزوجها في بلاد ماوراء البحار ، وابصرت من

- ٤٤٩٧ -

ميناء مرسيليا ، وكانت قد نزلت لقوها في عكا عندما جلب لها المرسل من القسطنطينية الخبر بان المدينة قد تم الاستيلاء عليها ، وان اميرها قد انتخب امبراطورا ، مما كان مبعث سرور لكل الناس من المسيحيين ، وبسماع هذه الاخبار قررت السيدة ان تلحق بزوجها على الفور ، ولكنها وقعت فريسة للمرض وتوفيت ، واصيب كل النصرانية بالحزن على وفاتها لانها كانت سيدة طيبة حقا وكانت موضع تقدير كبير من الجميع .

ونقلت انباء هذا الحدث المحزن الى القسطنطينية من قبل الناس الذين وصلوا لقوم بطريق البحر فكانت شجنا عظيما للامبراطور بلويين كما كان لكل البارونات في الامبراطورية لانهم كانوا يتطلعون بشوق لتكون امبراطورة عليهم .

وفي هذه الاثناء حصن الرجال الذين ذهبوا الى سيفيا بامرة ببيردى براسيكو دي اورليانز قلعة بانورموس وتركوا حامية لحراستها ثم ركبوا متجهين للاستيلاء على الارض ، وجمع تيودور لاسكارس من جانبه اكبر قوة ممكنة ، وفي يوم عيد سانت نيكولاس الذي يتقدم عيد حمل العذراء المباركة التقى الجيشان في سهل تحت قلعة بومانوس وبدأت معركة كان رجالنا فيها في وضع سيء غير موات لدرجة كبيرة لانه كان لدى الروم عدد مدهل حقا من الرجال ، في حين انه من جانبنا بصرف النظر عن عدد من السرجندية الخيالة لم يكن لدينا اكثر من مائة واربعين فارسا ، ولكن الله يسير الامور كما يشاء ، وبارادته الطيبة تغلب الفرنسيون على الروم وألحقوا بقواتهم الهزيمة ، ووقعوا بهم خسائر فادحة وخلال الاسبوع سلموا قسما كبيرا من الاراضي لجيشنا ، وسلموا قلعة بومانوس القوية التحصين ، ومدينة لوباديوم التي كانت واحدة من اجمل مدن تلك الارض وابولونيا التي كانت تستقر على شاطئ بحيرة المياه العذبة ، وكانت واحدة من اقوى الحصون واكثرها جانبية مما يمكن ان يوجد في اي مكان ، وباختصار تحول كل شيء لصالح جماعتنا وبمعونة الرب نجحوا في اخضاع الارمن لارادتهم ، وبعد ذلك بوقت

قصير وبناء على نصيحة الارمن خرج هنري اخو الامبرطور بلدوين من ابييوس ، بعد ان ترك حامية في المدينة وركب متجها الى ادراмитيوم ، وهي مدينة على الساحل على مسيرة يومين ، واستسلم له هذا المكان وكذلك الكثير من المنطقة المحيطة ، فمركز قواته في ادراмитيوم لانها كانت جيدة التموين بالقمح واللحم والمؤن الاخرى ، ومن تلك القاعدة شن الحرب على الروم في الريف في تلك الاحواز .

وبعد هزيمته في بومانينوس حشد تيودور لاسكارس من الناس بقدر ما يستطيع حتى جمع جيشا عظيما . ووضعه تحت قيادة اخيه كوندستانتين ، وكان واحدا من اقدر رجال الروم في الامبراطورية ، الذي ركب بعد ذلك راسا في اتجاه ادراмитيوم ، وما ان سمع هنري اخو الامبراطور من الارمن بان قوة عظيمة كانت تسير ضده تاهب لملاقاة العدو ، ونظم قواته في تشكيل قتالي وكان معه بعض الرجال الجيدين جدا منهم على سبيل المثال بلدوين دي بوفوار ونيكولاس دي ميلي وانسودي كايو وبيتر يشفون لوس وتييري دي تيرموند

وفي عشية منتصف الصوم الكبير وصل كوندستانتين لاسكارس وجيشه الكبير الى امام ادراмитيوم ، وحالما سمع هنري انه قد جاء دعا قادة جيشه معا واخبرهم انه لن يسمع بأي حال بان يحاصر في المدينة ، ولكنه سينهب لملاقاة العدو ، وتقدم الروم بكل قوتهم في مجموعات كبيرة من الخيالة والمشاة ، وسار رجالنا نحو خارج المدينة وبدأوا في مهاجمتهم ، وجرى قتال ضار كبير مع مواجهة يدا بيد ولكن بمعونة الرب هزم الفرنسيون الروم وردوهم في فوضى ، وقتل واسر العديد واخذت غنائم كثيرة .

وبعد ذلك عاش الفرنسيون في سلام وراحة مع مؤونة وافرة من الطعام لان اهل الارض انحازوا الى جانبهم ، وبدأوا يجلبون لهم بعض المنتجات من مقاطعاتهم .

- ٤٤٩٩ -

ولندع للحظة الكلام عن الناس من القسطنطينية ولنعهد الى المركيز دي مونتفرات ، لقد ذهب كما تعرفون الى سالونيك ثم سار ضد ليون سفور الذي كان يحتفظ بنوبليا وكورنث وهما من القوي المدن في العالم ، وبدا رجاله في مرضى الحصار على كلا المكانين في الوقت نفسه ، وبقي جاك افالسنس مع كثير اخرين من الرجال امام كورنث ، وعسكر الباقون امام نوبليا وحاصروها .

دعوني اخبركم الان بشيء وقع في تلك المنطقة حوالي الوقت نفسه غادر جيوفري فيلها رين الشاب وهو ابن اخي جيوفري الاخر الذي كان الان مارشال رومانيا وشامبين سورية في صحبة الذين وصلوا حديثا الى القسطنطينية ، وحدث بالصدفة ان حملت الريح سفينته الى ميناء ميثون حيث اصيب باضرار كبيرة حتى انه اضطر الى قضاء الشتاء في تلك الاجزاء ، وما ان سمع رومي معين كان نبيلاً كبيراً في تلك البلاد بوصوله ، حتى جاء لرؤيته وحياء بلطف كبير جدا ، وقال سيدي لقد غزا الفرنجة القسطنطينية وانتخبوا امبراطورا فاذا انضممت الي فاني اعد ان اكون صديقا مخلصا لك وسندتولي على كثير من هذه الاراضي مما ، وهكذا عقبا حلانا وثق بالقسم واستوليا معا على قسم كبير من البلاد ، ووجد جيوفري دي فيلها رين دائما في هذا الرومي حليفا مخلصا جدا .

ولكن الاحداث تتحول حسب مشيئة الرب ، فقد مرض الرومي وتوفي وثار ابنه ضد جيوفري فيلها رين وخرق العهد معه ، وتحولت معظم الحصون التي وضع بها جيوفري حاميات ضده ، ووصلت الانباء الى الشاب بان المركيز دي مونتفرات كان يحاصر نوبليا ، فذهب الي هناك للانضمام اليه باكبر عدد من الرجال امكه جمعه ، وبعد ان ركب عبر الارض ستة ايام في خطر عظيم وصل الى معسكر المركيز ، حيث رحب به ترحيبا حارا وعومل باكبر لطف من قبل المركيز ، وكل من كانوا معه ، وكان هذا صليبا ومناسبا فقط بسبب انه كان فارسا شجاعا وشريفا جدا .

وكان يمكن للمركيز أن يمنحه منحة كريمة من الاراضي والاموال ليبقيه في خدمته ، ولكن لم يكن ليقبل شيئا ، وبدلا من ذلك ذهب الى غوليوم دي شامبلت الذي كان صديقا حميما له وقال له : « لقد جئت لتوي ياسيدي من ارض مزهرة جدا تدعى المورة فاجمع من الرجال بقدر ما تستطيع واترك هذا الجيش وبمعونة الرب سنذهب لغزوها وعندما تستولي عليها سأخذ منك اي جزء يسرك ان تعطيه لي وسأخدمك كتابع لك »

ونهب وليم دي شامبلت الذي كان له ثقة عظيمة في جيوفري وكان معجبا به إلى المركيز ليخبره بما اقترح ، وسمح المركيز لكليهما بالذهاب إلى المورة وهكذا غادر وليم دي شامبلت وصديقه الشاب معسكر المركيز ، واخذا معهما حوالي مائة فارس إضافة إلى عدد جيد من الخيالة ودخلا أرض المورة وركبا متابعين مسيرهما حتى وصلا إلى ميثون ، وسمع ميكاليس بأنهما وصلا إلى المورة مع مجموعة صغيرة من الرجال فقط ، وهكذا جمع عددا مدهشا من شعبه وركب وراءهما معتقدا أنهما قد أصبحا بحكم الأسرى بالفعل وفي يديه .

وعندما سمع رجالنا بأنه قادم أصلحوا الاسوار بسرعة حول ميثون ، وكانت خبرة لزمان طويل مضى ، وتركوا أمتعتهم في المدينة مع الخدم لحراستها ، ثم ركبوا مسيرة يوم عن المدينة ، واتخذوا وضع الاستعداد للمعركة بأكبر قدر من الرجال لديهم ، وبدا كما لو أن الأرجحية كانت ضدهم ، لأنه لم يكن لديهم أكثر من خمسمائة من الخيالة في حين أن خصومهم كان لديهم فوق خمسة آلاف بكثير ، ومع ذلك حيث أن سير الحوادث يجري بأمر الرب ومشيتته ، فإن رجالنا عندما قاتلوا الروم ردهم وهزمهم وقد خسر العدو كثيرا في هذه المواجهة ، في حين أننا من جانبنا ربنا عددا عظيما من الخيول والأسلحة والدروع ، إضافة إلى كمية كبيرة من الغنائم الأخرى . وهكذا عاد شعبنا إلى ميثون وهو مبتهج جدا وراض تماما .

وركبوا فيما بعد إلى كورون وهي مدينة صغيرة على الساحل ،
واحكموا الحصار حولها ، ولم يكونوا قد حاصروها طويلا قبل أن
يستسلم المكان ، وأعطاهم وليم لجيوفري فيلهاردين الذي أصبح
هكذا تابعا له ، ووضع جيوفري حامية فيها . وذهبوا بعد ذلك إلى
حصن كلاماتا وكان جميلا جدا وجيد التحصين وكان أخذه عملا
طويلا شاقا ، ولكنهم مكثوا أمامه حتى استسلم لهم ، وبعد ذلك بدأ
الروم في الدورة يستسلمون بأعداد أكبر مما حدث من قبل مطلقا .

وكان المركيز دي مونتفرات مايزال يحاصر نوبليا ، ولكن دون
أدنى نجاح لأن المكان كان محصنا بقوة جدا ، وفي جهودهم لأخذه
أنهك كثير من رجاله تماما واستمر جاك دي افسنس من جانبه في
محاورة كورنث حيث نزل مع المركيز . ولاحظ سفور الذي بقي في
المدينة وكان رجلا داهية جدا ومخادعا أن لدى جاك جيش صغير
فقط من الرجال ، ولم يكن لديه حراسة جيدة ، وهكذا خرج في فجر
ذات صباح من المدينة بكل قوته ، ومضى بعيدا إلى حيث الخيام وقتل
عددا كبيرا من رجالنا قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى سلاحهم .

وبين أولئك الذين قتلوا كان درو دي استرون وكان فارسا جيد
جدا وباسلا وقد كان الحداد على وفاته عظيما ، وجرح جاك دي
افسنس الذي كان يتولى القيادة جرحا بليغا في الساق ولكن الذين
كانوا معه في تلك المناسبة أكدوا أنهم جميعا مدينون بنجاتهم لسلوكه
الشهم ، لقد كانوا في الواقع قد أصبحوا قرييين جدا من فقد
أرواحهم ، ولكنهم بعون الرب أجبروا العدو على التراجع إلى
القلعة .

والآن كان الذين بطبيعتهم كانوا قادرين مايزالون يضمرون
أفكارا خيانية في قلوبهم وكانوا يعتقدون في ذلك الوقت أن
الفرنسيين كانوا مبعثرين جدا في الأرض ومشغولين بانهماك شديد
عن الاهتمام بأي شيء خارج شؤونهم الخاصة ، واعتقدوا أنه
يمكنهم بسهولة أن يتمكنوا منهم بشكل أفضل بوسائل المكر

والخداع ، لهذا اختاروا سرا مبعوثين من كل المدن الامبراطورية وأرسلوهم إلى الملك جوهانيتزا ، بصرف النظر عن أنه كان لزمان طويل عدوا لهم ، وكان مايزال في حرب معهم ، وأخبر هؤلاء المبعوثون جوهانيتزا أن الروم يقترحون جعله امبراطورا وانهم سيضعون أنفسهم كلية بين يديه ، وسيقتلون كل الفرنسيين والبنادقة في الامبراطورية ، وأقسموا نيابة عن الروم أن يطيعوه كأمير لهم ، طالما أنه من جانبه سيلتزم بالدفاع عنهم وحمايتهم كما يحمي رعاياه ، وصدق هذا الميثاق من قبل كلا الطرفين ، وفي نحو هذا الوقت كان شعبنا في القسطنطينية يعاني من خسارة عظيمة فالكونت هوغ الذي كان مصابا بشدة بالنقرس كان ملتزما للفرار منذ زمان طويل ، وزاد مرضه جدا حتى توفي ، وسبب هذا الحدث المؤسف فراغا عظيما ، وكان في الواقع كارثة شنيعة ، وبكى أصدقاؤه ورجاله بحرارة موته ودفن في كنيسة سانت جورج في مانغانا .

وكان الكونت خلال فترة حياته أميرا على معقل بيموتيكا الجميل جدا ، والجيد التحصين وكان قد وضع كمامية فيه بعضا من فرسانه ومشاته ، بعد وفاته بوقت قصير قام الروم في مواصلة التزامهم بقسمهم لملك والاشيا بهجوم غادر على الرجال في هذا الحصن وقتلوا العديد وأخذوا أعداد كبيرة أسرى ، ونجا القليل ، وهرب النين نجوا بحياتهم إلى أدنة التي كان البنادقة يحتفظون بها في ذلك الوقت .

وبعد ذلك بوقت غير طويل هب الروم في أدنة في ثورة مسلحة ، وفر الرجال النين كانوا متمركزين هناك لحراسة المدينة منها بسبب الحظر العظيم على حياتهم ، وبلغت أنباء ذلك الامبراطور بلدوين الذي كان في القسطنطينية مع الكونت لويس وحفنة صغيرة من ابرجال ، وتركته مضطربين جدا وفرعين ، ومن ذلك الوقت وماتلاه بدأت أخبار بالقدر نفسه من الكراهة تصل يوميا بأن الروم كانوا يثبرون في كل مكان ، وحيثما كانوا يجدون الفرنسيين والبنادقة النين يحتلون الأرض كانوا يقتلونهم .

- ٤٥٠٣ -

ونهب الرجال الذين هربوا من أدنة من كل من البنادقة
والآخرين ممن كانوا معهم إلى تكرلو وهي مدينة كانت مازال في يد
الأمبراطور بلدين وهناك وجدوا وليم دي بلانفيل ، الذي كان
يهرس المكان لأميره ، وبفضل المساعدة والتشجيع اللذين قدمهما
لهم ، ولأنه وافق أيضا على أن يصحبهم مع أكبر عدد من الرجال
أمكنه تأمينة عادوا إلى مدينة كانت تبعد نحو اثني عشر فرسخا
وتدعى أركاديوبولس ، وكانت تابعة للبنادقة ، وإذا وجدوها خالية
بخلوها واحتلوها .

وخلال ثلاثة أيام تجمع روم تلك المنطقة معا . ومن كل مكان
ضمن نطاق مسيرة يوم من أركاديوبولس ، وتحشدوا لحاصرة
المدينة ، ثم بدأوا بهجوم ضار مرعب من كل الجوانب . ودافع
رجالنا عن أنفسهم بشكل رائع ، وفتحوا البوابات واندفعوا
خارجين منها بكل قوة لمهاجمة العدو ، وبمشيئة الرب هزم الروم
وبدأ رجالنا يصرعونهم ويقتلونهم ثم مع هروب العدو ، لاحقوه
مسافة فرسخ كامل وهم يقتلون أعداءنا أيضا ويستولون
على عدد عظيم من الخيول وكثير من الغنائم الأخرى .

وهكذا عادوا والسرور يملأهم إلى أركاديوبولس وأرسلوا أنباء
انتصارهم إلى الأمبراطور بلدين في القسطنطينية الذي ابتهج كثيرا
بسماعها ، ومع ذلك لم يتجرا رجالنا على احتلال المدينة بل تابعوا
مسيرتهم في اليوم التالي وتركوها مهجورة ، وعادوا إلى تكرلو
وهناك بقوا في حالة كبيرة من الخوف ، وهم يخشون من الروم الذين
في المدينة وقد ماكانوا يخشون الذين خارجها ، حيث أن هؤلاء الناس
قد اشتركوا في القسم الذي أدبى لذلك والأشيا ، والتزموا بخيانة كل
الفرنجة ، والواقع أن عددا غير قليل من شعبنا لم يجرؤ على البقاء
في تكرلو ، بل أخذوا طريقهم عائدين إلى القسطنطينية .

وعند هذه النقطة التقى الأمبراطور بلدين والكونت لويس ودوج
البنديقية ، وقد أدركوا أنهم يفقدون تدريجيا كل الإمباطورية لمناقشة

الامور ، وكنتيجة اتفقوا على أن على الامبراطور أن يأمر اخاه هنري الذي كان في حينه في ادرا ميديوم بأن يتخلى عن كل ما استولى عليه ، وأن يأتي لمعاونتهم ، وأرسل الكونت لويس من جانبه رسالة إلى بايين دي أورليانز وبيير دي براسيو ، وكل الرجال الذين كانوا معهم وأخبروهم أن يتخلوا عن كل ما استولوا عليه سوى المدينة الساحلية سبيغا ، وكان عليهم أن يتركوا فيها حامية من أقل عدد ممكن من الرجال في حين يأتي البقية لتعزيز القوات التي على الجانب الآخر من المضيق .

وبعد ذلك أصدر الامبراطور تعليماته إلى ماكجريدي سانت مينهولد وماثيودي والنكورت ، وروبرت دي رونسووا ، الذين كانوا في نيقوميديا مع نحو مائة فارس بأن يتركوا ويحضروا لمساعدتهم .

وبناء على أوامر الامبراطور ترك جيوفري ديفيلها رين مارشال رومانيا وشامبين ترك القسطنطينية مع مانسيير دي آيل ، وأكبر عدد أمكنهما جمعه من الرجال ، وكانوا قلة إذا أخذنا بالاعتبار أن كامل الامبراطورية كانت في طريق الضياع ، وركبوا إلى تكرلو وهي على مسيرة نحو ثلاثة أيام من القسطنطينية ، فوجدوا هناك وليم دي بلانفيل وكل الناس الذين معهم في حالة عظيمة من الخوف ، مع أنهم اطمأنوا كثيرا بوصول المارشال ورفاقه ، وأمضى الزوار أربعة أيام في تكرلو ، وبينما كانوا هناك أرسل الامبراطور بلدوين من التعزيزات بقدر ما يستطيع من القوات التي قدمت الآن إلى القسطنطينية ، حتى أنه بحلول اليوم الرابع كان هناك ثمانين فارسا في المدينة .

ثم انطلق جيوفري فيلهاردين مرة أخرى مع مانسيير دي آيل ورجالهما ، وركبوا حتى وصلوا إلى أركاديوبولس ، حيث توقفوا تلك الليلة ، وأمضوا يوما هناك قبل أن يتحركوا نحو بورغار فيغون ، وكان الروم قد أخذوا هذه المدينة ، وهكذا أمضوا الليلة هناك ، وفي اليوم التالي تابعوا الركوب إلى نيكيتزا ، وهي مدينة

جميلة جدا وجيدة التحصين ومزودة بوفرة بكل مايمكن أن يحتاجه
المرء ، فوجدوا أن كل الروم قد تركوا المكان ونهبوا إلى أدرنة ،
ولكن حيث أن نيكيتزا كانت على بعد تسعة فراسخ فقط من المدينة
التي تجمع فيها عدد عظيم من أفراد العدو ، قرروا الانتظار حيث
كانوا حتى يصل الامبراطور بلدوين .

ودعوني اخبركم الآن بحادثة استثنائية ، إن رينيردي تريت ،
الذي كان في فيليبوبولس على مسيرة تسعة أيام تماما من
القسطنطينية ، مع نحو مائة من الفرسان هجره ابنه رنيرير واخوه
جيلز وابن أخيه جاك دي بونديز وصهره اكارندي فيردون واخذوا
معهم نحو ثلاثين من فرسانه وتركوه كما يمكنك أن تتخيل في خطر
عظيم ، وكان هؤلاء الرجال قد اعتقدوا أنه بإمكانهم أن يصلوا
سالمين إلى القسطنطينية ، ولكنهم وجدوا أهل البلاد في ثورة ضدهم
وهزموا في المعركة واخذهم الروم أسرى وسلموهم فيما بعد الى ملك
والاشيا حيث أمر بقطع رؤوسهم ، وقد شعر شعبنا كما يمكنكني أن
أؤكد لكم بشفقة قليلة على هؤلاء الرجال الذين تفرقوا بمثل هذه
الطريقة المشينة بالنسبة لرجل كانوا ملتزمين بواجب معاملته بطريقة
أخرى تماما .

وعندما رأى بعض فرسان رنيرير الآخرين تخلي الآخرين عنه
هكذا ، وهم الذين كانوا مرتبطين به بروابط أوثق من روابطهم هم
به ، شعروا بخشية أقل من الخجل ، وفر نحو ثمانون منهم جماعة
ومضوا من طريق آخر ، وهكذا ترك رنيرير دي تريت محاصرا من قبل
الروم مع القليل جدا من رجاله ، لأنه لم يكن معه في الواقع أكثر من
خمسة عشر فارسا في المجموع في فيليبوبولس وفي ستيينماكا وهو
حصن قوي جدا كان تحت يده ، حيث بقي محاصرا فيما بعد زمانا
طويلا جدا .

الفصل السادس عشر

حصار أدرنه

أذار - نيسان ١٢٠٥

وستحول الآن من رنيردي تريت لتحدث مرة أخرى عن الامبراطور بلدين الذي تركناه في القسطنطينية مضطربا جدا وقلقا مع فرقته من الرجال القلائل جدا ، وكان هناك ينتظر أخاه هنري وكل القوات من الجانب الآخر من المضيق ، وكان أول القادمين من نيقوميديا : ماكيردي سانت مينهولد وماتيو دي والذكورت ، وروبرت دي رونسوا مع جماعتهم وكانوا يعدون في الاجمال نحو مائة فارس.

وكان الامبراطور بالغ السرور لرؤيتهم وبالتشاور مع الكونت لويس دي بلوا استقر الرأي على أنهم يجب أن يفسدوا القسطنطينية مع أكبر عدد ممكن من الرجال المتوفرين ليتجهوا جيوفري دي فيلها رين ، الذي كان غادر قبل ذلك ببعض الوقت ، والأسفاه أي أمر مؤسف إنهم لم ينتظروا حتى ينضم اليهم كل الرجال الذين جاؤوا من الجانب الآخر من المضيق ، وقد رأوا مدى صغر القوة التي كان عليها أن تتغلب على مخاطر هذه الحملة.

وغادروا القسطنطينية مع نحو مائة وأربعين فارسا ، وركبوا يوما بعد يوم حتى بلغوا حصن نيكيتزا حيث كان المارشال جيوفري قد اتخذ مواقفه ، واجتمعوا تلك الليلة في مؤتمر واجتمعوا على الذهاب وإقامة معسكر لهم في مواجهة أدرنه في اليوم التالي وتطويقها ، وهكذا رتبوا لتشكيل كتائبهم ، وفعلوا ما وسعهم بأولئك الناس الذين كانوا معهم.

وفي صباح اليوم التالي وحالما اكتمل ارتفاع الشمس ركبوا حسب ترتيبهم نحو أدرنه ، وأخذوا مواقعهم أمام المدينة ووجدوها محمية بشكل جيد جدا ، وراوا أعلام جوهانيتزا ملك والأشيا وبلغاريا ترفرف على أسوارها وأبراجها ، وكانت في الحقيقة مدينة قوية مزودة ومكتظة بالناس ، وبدأ رجالنا بشن الهجوم بجيشهم الصغير على اثنتين من بواباتها ، وكان هذا يوم الثلاثاء قبل أحد السعف ، ومكثوا ثلاثة أيام أمام المدينة في قلق عظيم ولي وضع سيء جدا من ناحية نقص الرجال.

وفي هذه الأونة جاء أنريكو دا ندولو دوج البندقية ، الذي لم يمنعه سنه وفقد بصره ، للانضمام اليهم ، وأحضر معه من الرجال بقدر ما كان عنده ، وعسكر البنادقة أمام إحدى البوابات ، وفي اليوم التالي انضم اليهم ، وكانت قواتنا في حالة عجز في المؤن ، لأن الذين كانوا عادة يبيعونهم المؤن لم يكونوا قادرين على المجيء معهم ، ولم يكونوا قادرين على الرعي والتماس المؤن بأنفسهم لوجود عدد كبير جدا من الروم في الريف حولهم ، حتى أن أحدا لم يكن يجروا على ترك المعسكر ، وفي هذه الأثناء كان الملك جوهانيتزا يتقدم لاغاثة أدرنه معه جيش عظيم ، ذلك أنه لم يكن قد أحضر معه الرجال الذين والبلغار فقط بل أيضا نحو أربعة عشر ألفا من الكومان الراكبين الذين لم يعمدوا مطلقا.

وفي النهاية وبسبب العجز الشديد في الغذاء ذهب الكونت لويس للرعي والتماس المؤن في يوم أحد السعف ، وأخذ معه أخا الكونت دي برش آتين ورينارد دي مونتيميراريل الذي كان أخا للكونت هنري دي نيفير وجيرفيه دي شاتيل ، وأكثر من نصف رجال المعسكر ، ونهبوا إلى حصن بوتزا الذي وجدوه محميا تماما من قبل الروم ، وبذلوا جهدا يائسا لأخذه بهجوم مباغت عاصف ، ولكنهم لم يلقوا نجاحا ، وكان عليهم أن يعودوا من حملتهم صفر اليدين ، وخلال الأسبوع المقدس بقيت القوات ساكنة تبني آلات من مختلف الأنواع من ألواح الخشب ، ويقدمون اللغمين الذين

كانوا ليهم للقيام بالحفر تحت الأرض لزعة الاسوار ، واحتفلوا وهم في مثل هذه الظروف بعيد الفصح ، وقد عسكروا أمام أدرنة مع عدد قليل جدا من الرجال للعمل الذي بين أيديهم وأقل مما يكفي لاطعامهم .

ثم جاءت الأخبار بأن الملك جوهانيتزا كان يسير نحوهم لتحرير المدينة ، لهذا قاموا بالاستعدادات الضرورية لمواجهة ، ورتبوا حتى يبقى جيوفري دي فيلهارين وماناسيري أيل لحراسة المعسكر في حين يخرج الامبراطور بلدوين وبقية القوات لمواجهة جوهانيتزا إذا هدد بمهاجمتهم ، وبقي الجيش متيقظا في حذر حتى يوم الاربعاء من اسبوع الفصح ، وبحلول هذا الوقت اقترب جوهانيتزا جدا حتى أن معسكره كان بالكاد على بعد خمسة فراسخ ، ثم أرسل الكومان ليهاجموا معسكرنا ، وصدرت الدعوة الى السلاح ، واندفع رجالنا في اضطراب ، ولاحقوا الكومان فرسحا كاملا أو أكثر وكان هذا عملا أحمقا من جانبهم ، لأنهم عندما أرادوا الاستدارة للعودة أطلق الكومان عاصفة حقيقية من السهام عليهم ، وجرحوا الكثير من خيولهم.

وعندما عادوا أخيرا الى المعسكر دعا الامبراطور بلدوين البارونات الى مركزه ، وناقشوا الحادثة وأقر كل المعنيين بها بأنهم قد تصرفوا بدون حكمه لتابعهم لمثل هذه المسافة جيشا من القوات بهذا التسليح الخفيف ، وفي النهاية تقرر أنه إذا هاجم جوهانيتزا مرة أخرى فإنهم سيخرجون ويصطفون أمام المعسكر في انتظار مجيئه ، ولن يتحركوا من هذا الموقع ، ثم صدرت تعليمات عامة للقوات تمنع أي أحد من أن يتهور بالتغافل عن هذا الأمر أيما كان أمر الدعوة للسلاح ، أو أي صخب من أي نوع قد يسمعه.

ومرت تلك الليلة وفي الصباح ، وكان يوم خميس في اسبوع الفصح حضرت كل القوات القداس ، ثم تناولوا وجبة الغذاء وجاء الكومان مغيرين على خيامهم ، وارتفعت صيحة وهزول كل واحد

الى سلاحه وخرجوا من المعسكر وكل الكتائب في الترتيب الصحيح حسب الخطة.

وخرج الكونت لويس بكتيبته أولا ، وأرسل رسالة للإمبراطور يحث على اتباعه وبدأ على الفور في ملاحقة الكومان وأسفاه كم كان قليلا ما احتفظ به جيشنا من منهج العمل الذي أمر به في الليلة السالفة.

وبدلا من البقاء قرب المعسكر للاحق رجالنا الكومان نهو فرسخين ، وهاجموهم على مقربة من مراكزهم ، واستمروا في المطاردة زمنا طويلا ، وفي النهاية استدار الكومان وهاجموهم وهم يطلقون صيحات نافذه ويرشقونهم بسهامهم.

وكان في جيشنا مجموعات من الرجال دون رتبة الفرسان ، كانت لديهم خبره قليلة في القتال ، فبدأ الآن يملكهم الذعر والانهيال ، وكان الكونت لويس الذي كان البادئ بالهجوم قد جرح جرحا بليغا في مكانين ، وكان الكومان والوالاشيون قد بدأوا في الضغط على قواتنا بشده ، وسقط الكونت لويس عن حصانه ، ولكن أحد فرسانه نزل وعاونه على الاستقرار فوق سرجه. وقال كثير من رجال الكونت له : أميرنا عد الى المعسكر إنك مصاب بجرح بليغ ، ولكنه كان يجيب دائما إن الرب لا يسمح ، إنني سأعير دائما بالهرب من الميدان والتخلي عن امبراطوري.

أما الامبراطور الذي وصل بصعوبة بالغة اليه للوقوف الى جانبه ، فقد جمع رجاله حوله ، وأخبرهم بأنه من جانبه ان يوافق على الهرب وأنه كان عليهم ان يبقوا معه ، وكل الذين كانوا موجودين في حينه يمكنهم ان يشهدوا أن أي فارس لم يدافع عن نفسه ببسالة أكثر منه.

واستمرت هذه المعركة زمنا طويلا جدا ، وصمد بعضهم

يشجاعة في المواجهة ، وعمد بعضهم للفرار ، وفي النهاية طالما أن الرب يسمح بحدوث مثل هذه الكوارث ، فقد هزم الفرنسيون ، وأما الامبراطور بلدوين فلم يكن ليوافق مطلقا على الهرب ، وبقي في الميدان كما فعل الكونت لويس ، وأخذ الواحد حيا وكان الثاني بين الموتى.

وا أسفاه أي خسارة عانىاها في ذلك اليوم ، وكان بين النين سقطوا بيير أسقف بيت لحم ، وايتين دي بيرش ، ورينودي مونتيميرال أخو الكونت دي نهر وماثيو دي والذكورت وروبرت دي رنسوا ، وجين فرييز ، وغونبير دي زويلي ، وتيري دي بيرس ، وأخوه جين ويوستاس دي هيومونت وأخوه جين ، وبلدوين دي نيوفيل ، وعدد كبير آخر لم تسجل أسماءهم هنا ، وأما النين تدبروا أمر الهرب فقد طاروا عائلين إلى المعسكر.

وحالما سمع جيوفري دي فيلهارين الذي كان يقوم بالحراسة عند إحدى بوابات المدينة بهذه الكارثة ترك المعسكر بأسرع ما يمكن مع كل الرجال النين كانوا معه ، وأرسل رسالة إلى ماناسيردي أيل ، الذي كان يقوم بالحراسة عند بوابة أخرى يطلب منه أن يتبعه وركب المارشال بكل سرعته على رأس كتيبة ليواجه الهارين ، الذين تعشّدوا حوله عندما رأوه ، وجاء ماناسيردي أيل بأسرع ما استطاع للانضمام اليهم حيث أنهم شكلا معا جيشا أقوى بكثير ، حيث أن كل النين خرجوا هارين من الميدان والنين تمكنوا من إيقافهم أعيدوا إلى الصفوف.

وفيما بين الساعة الثالثة والسادسة كان الاضطراب قد سكن ، ولكن معظم الهارين كانوا في زعر لدرجة أنهم هربوا مارين بقوات فيلهارين ليجدوا ملاذا بين الخيام والسراقات ، وهكذا كانت نهاية التراجع وتوقف الوالاشيون والروم أمام كتائبنا التي ادهقوها بشكل مستمر بالفارات ، ويعرض مستمر من الرشق بالاقواس والسهم ، وعلى أي حال وقف رجالنا بلا حراك ووجوههم متجهه

نحو العدو ، وبقي الجانبان كذلك حتى سقط الليل حيث بدأ الكومان والوالاشيون في الاستراحة.

وارسل جيوفري دي فيلهاردين مارشال شامبين ورومانيا رسالة الى المعسكر يطلب من الدوج ، الذي رغم سنه وعماه كان حكيمًا جدًا وشجاعًا ومليئًا بالطاقة ، أن يأتي الى السهل حيث كان هو نفسه يتركز مع كتائبته ، وفعل الدوج كما طلب منه وحالما رآه المارشال اخذه جاذبا ليدشاور معه على انفراد.

وقال له : « سيدي انك ترى أي كارثة عانيناها ، لقد فقدنا لامبراطور بلويين والكونت لويس اضافة الى اغلب رجالنا وبعضا من افضلهم أيضا ويجب ان نفكر الآن كيف ننقذ من بقي لأن الرب ان لم يرحمهم فاننا سنكون في حكم المفقودين .. »

وفي النهاية قررا ان يعود الدوج الى المعسكر لانعاش قلوب القوات ، واعطاء كل رجل الاوامر بان يرتدي درعه وان يبقى هادئًا في خيمته أو سرادقه ، وفي هذه الاثناء يبقى المارشال خارج المعسكر مع قواته في نظام القتال حتى يحل الظلام حتى لا يراهم العدو وهم يفقدون ، ثم عندما يكتمل الظلام يتحرك الجيش كله من موقعه امام المدينة ويذهب بوج البندقية أولا ، ويشكل المارشال مع رجاله قوات المؤخرة .

وانتظر الجيش حتى حل الليل حيث غادر بوج البندقية المعسكر كما سبق ترتيبه في حين اخرج جيوفري دي فيلهاردين المؤخرة ، وانطلقوا في خطوة السير مع كل القوات بالنسبة للمشاة وللخيل ، ومعهم الجرحى الى جانب من لم يصب . ولم يترك منهم احدا ، واخذوا طريقهم نحو رود ستو، وهي مدينة على الساحل على مسيرة ثلاثة ايام من ابرنة وهكذا خلفوا تلك المدينة خلفهم ومضوا في طريقهم ، وحدث كل هذا في السنة ١٢٠٥ لتجسيد ربنا .

وخلال الليلة التي غادر فيها الجيش ابرنة حدث ان احدى

الكتائب انفصلت عن البقية ، على أمل الوصول الى القسطنطينية في وقت ابكر بأخذ طريق اكثر استقامة ، ويمكنني القول بان مثل هذا السلوك لقي رفضا عاما وكان في هذه الكتيبة احد كونتات لومبارديا الذي جاء من مقاطعات المريكز دي مونتفترات ، وذهب معه يودس دي هام .الذي كان اميرا لحصن بهذا الاسم في فيرماندواز ونحو خمسة وعشرين فارسا لم تعط اسماؤهم هنا .

ومضوا بسرعة كبيرة بعد هزيمة قواتنا ، التي حدثت مساء الخميس ، حتى أنهم بدلول ليلة السبت التالي وصلوا الى القسطنطينية ، مع انه في الظروف العادية كانت الرحلة تتم في خمسة ايام كاملة واخبروا بانباءهم كاردينال بيترو كابوا الذي كان هناك كموفد رسمي من البابا في روما ، وكذلك راهب دي بيتوم الذي كان يحرس المدينة ، وميلون لوبريانت والرجال القانة الاخرين ، وفزع الجميع فزعا عظيما بسماع انباء الكارثة واعتقدوا يقينا ان كل الآخرين الذين تركهم هؤلاء الرجال امام ادرنة قد فقدوا ، اذ انهم لم يتلقوا اي انباء عنهم

وفي الوقت الراهن لن نتحدث اكثر عن الناس في القسطنطينية الذين كانوا الان في كرب عظيم ، بل نعود الى دوج البندقية والمارشال جيوفري ، فقد ركب هؤلاء خلال الليلة التي غادروا فيها ادرنة حتى فجر اليوم التالي ، حتى وصلوا الى مدينة بامفيل ، والان انصتوا وستسمعون كيف ان الاحداث كلها تترتب بمشيئة الرب ، ففي تلك المدينة بالذات امضى بيير دي براسيو وباين دي اورليانز الليلة مع كل الرجال من مقاطعات الكونت لويس ، وكانوا نحو مائة من الفرسان الجيدين الاقوياء ، ومائة واربعين من السرجندية الخيالة ، وكانوا قد وصلوا من الجانب الاخر من المضيق في طريقهم للانضمام الى الجيش في ادرنة ، وفي اللحظة التي شاهدوا فيها قواتنا تتقدم اسرعوا الى السلاح ، إذ ظنوا أننا من الروم ، وحالما تسلم القادمون الجدد ارسلاوا الكشافين ليعرفوا من نكون ، واكتشف هؤلاء أننا من شعبهم ، واننا نتراجع بعد

الهزيمة ، وهكذا عاد المستطلعون ليخبروا اصدقاءنا بان الامبراطور بلدوين قد فقد وان الكونت لويس الذي جاءوا من اراضيه والذي كان قائدهم قد قتل في المعركة .

ولا يمكن ان تكون قد وصلتهم مطلقا انباء اكثر حزنا وانهمرت دموع كثيرة ، والتوت اياد كثيرة في حزن وكرب ، وركبت كل المجموعة منطلقة وكلها مسلحة حتى وصلوا الى حيث كان المارشال جيوفري يقوم بحراسة المؤخرة ، وكان القلق قد غلبه لان الملك جوهانيتزا قد وصل عند الفجر امام ادرنة مع كل جيشه ، وعندما وجد أننا رحلنا ركب وراينا ، ولحسن الحظ جدا انه لم يكتشف أين كنا ولو انه لحق بنا لما كان هناك مفر من ضياعنا .

وخاطب بيبردي براسيو وباين دي اورليانز المارشال قائلين : سيدي المارشال قل ماذا تريد أن نفعل وسنقوم به ، واجابهما المارشال قائلاً يمكنكما ان تريا في اي حالة نحن ، انكما مرتاحان وكذلك خيولكما ، لذا يمكنكما حراسة المؤخرة ، بينما أمضي لكي ابقى مسيطرا على الرجال ، انهم فزعون وقد فقدوا صوابهم من الخوف ، وهم في حاجة ماسة لكلمة تشجيع ، ووافق الرجلان بسرعة على فعل ماطلب ، وهكذا مضيا الى المؤخرة ، ولكونهما ومن معهما فرسانا جيدين وشرفاء ادوا واجباتهم بكفاءة وضمير عاليين جدا كرجال عرفوا جيدا ان مثل هذه الامور يجب فعلها .

وركب المارشال جيوفري في الامام ، وقاد الجيش الى مدينة تدعى كاريوبولس ، وعندما رأى ان الخيول منهكة بعد السير طول الليل دخل المدينة ووضع الخيول في الاسطبل حتى الظهر ، وعمل الرجال في إطعام خيولهم ، ثم أعدوا وجبة لأنفسهم مما وجدوه من طعام وكان قليلا جداً ومكتوا في كاريوبولس كامل ذلك اليوم حتى حلول الليل ، ثم بما ان جوهانيتزا كان يتبعهم طول النهار على طول الطريق الذي سلكوه ، وكان الان معسكرا على بعد فرسخين منهم ، تسلحت كل القوات وغادروها عندما حل الظلام ، وقاد المارشال

جيوفري طليعة الجيش ، في حين ان اولئك الذي عملوا كحرس للمؤخرة اثناء النهار تشكلوا خلف الجيش ، وركبوا طوال الليل وكامل اليوم التالي ، وقد أزعجهم الخوف وأنهكهم المجهود الذي بذلوه حتى وصلوا في النهاية الى رودوستو ، وهي مدينة مزدهرة قوية التحصين يسكنها الروم ، وعلى اي حال لم يحاول هؤلاء الناس الدفاع عن انفسهم وهكذا دخلت قواتنا واخذت مراكز هناك ، وأخيرا اصبحت في امان وبهروبهم هكذا بعد هزيمتهم في ادرنة اجتمع قادة الجيش في مؤتمر في رودوستو وكان الرأي العام في الاجتماع انه كان لديهم سبب اكبر للخوف على اصدقائهم في القسطنطينية منه على انفسهم ، وعليه فقد اختاروا رسلا يمكن الاعتماد عليهم وارسلوهم بطريق البحر مع اوامر بالسفر ليلا ونهارا دون توقف ليخبروا جماعتهم في المدينة بان لا يقلقوا عليهم إن أنهم هربوا ، وليؤكدوا لهم بأن القوات الموجودة الان في رودوستو ستعود لتنضم اليهم في القسطنطينية باسرع مايمكنهم .

وفي الوقت نفسه الذي وصل فيه هؤلاء الرسل الى القسطنطينية كان هناك خمس سفن جميلة عظيمة من اسطول البندقية في الميناء هناك مع حشد من الحجاج والسرجنديّة على ظهورها ، وكانوا يغادرون تلك الارض للعودة الى بلادهم .

وكان هناك على الاقل سبعة الاف رجل مسلح في هذه السفن وكان غوليوم المحامي عن بيتوم هناك مع بلدوين دي اوبني وجين دي فيرسان الذي جاء من مقاطعات الكونت لويس وكان تابعا له والى جانب هؤلاء كان ماينوف على مائة فارس لن اذكرهم بالاسم .

وذهب نيافة الكاردينال ممثل البابا انوسنت بيترو دي كابوا وراهب دي بيتوم الذي كان يتولى امر القسطنطينية وميلون دي بريبانث مع عدد من الرجال الاخرين من ذوي المنزلة في وفد الى السفن الخمسة وبالدموع في عيونهم توسلوا للرجال على ظهورها ان يشفقوا على رفاقهم المسيحيين وعلى امرائهم ايضا الذين ماتوا في

المعركة وإن يبقوا هناك على حب الرب ، ومع ذلك فقد اعارهم الرجال الذين على ظهور السفن اذاناً صماء لتوسلاتهم ، وغادروا الميناء ونشرت السفن أشرعتها ومضى هؤلاء الرجال في طريقهم ليصلوا كما قرر الرب حيث حملتهم الرياح الى ميناء روبوستو وحدث هذا في اليوم التالي لذلك اليوم الذي وصل فيه الرجال الذين نجوا من هزيمتهم في البرنة الى هذا المكان .

ووجهت التوسلات نفسها التي رافقتها الدموع التي وجهت الى هؤلاء الرجال في القسطنطينية ، وحياتهم الآن في روبوستو المارशल جيوفري ، وتوسل اليهم أولئك الذين كانوا معه ان يشفقوا على الامبراطورية ، وان يبقوا هناك لانهم لن يستطيعوا مطلقاً تقديم المساعدة الى اي ارض تحتاج اليها بالحاح اكثر من ارضنا ، وأجاب الرجال بانهم سيفكرون في الامر وان يعطوا الآخرين جوابهم في اليوم التالي .

وهنا دعوني اخبركم بحادثة جرت في روبوستو خلال الليل ، لقد كان في مجموعتنا فارس من مقاطعات الكونت لويس يدعى بيير دي فروفيل ، الذي حظي بشرف انه رجل جيد الشخصية والسمعة ، ومع ذلك فقد تسلل هرباً في الليل تاركاً امتعته وراءه ، وصعد الى ظهر السفينة التي كان يقودها جين دي فيرسان الذي كان ايضاً تابعاً للكونت لويس ، ونشر أولئك الرجال الذين كانوا على ظهر السفن ، والذين كان يفترض أنهم سيعطون جوابهم لـجيوفري دي فيلهاردين ووجع البندقية في الصباح، اشرعتهم حالماً رأوا ان فجر اليوم بدأ يبرز ، ومضوا دون كلمة لأي انسان ، وقد انتقدوا بشدة لسلوكهم هذا سواء في الارض التي ذهبوا اليها ، او الارض التي غادروها ، واكثر النقد كان لبيير دي فروفيل ، حيث انه كما يقول عقلاء الناس : ان الرجل يأتي بشيء احمق عندما يرتكب من خلال خوفه من الموت عملاً يكون عاراً يلام عليه الى الابد .

الفصل السابع عشر

قيام وصاية على العرش

نيسان - حزيران - ١٢٠٥

عند هذه النقطة سأل حول انتباهي إلى مكان آخر ، وبترك الجيش في رودوستو سأخبركم بشيء أكثر عن هنري أخى الامبراطور بلدوين ، وكان في هذا الوقت قد غادر ادراميتيوم مسرعا نحو أدرنه ليذهب لمعاونة أخيه الامبراطور ، وعبر المضيق مع مجموعة كبيرة من أولئك الأرمن الذين ساعدوه ضد الروم . وكانوا في مجموعهم حوالي عشرين ألفا بما في ذلك زوجاتهم وأطفالهم . الذين لم يجرؤوا على البقاء بعدهم .

وفي طريقه إلى أدرنه علم من بعض الروم الموثوقين ممن هربوا من المعركة التي هزم فيها جيشنا أن أخاه الامبراطور بلدوين مفقود ، وأن الكونت لويس وكثير من البارونات الآخرين قد قتلوا ، وفيما بعد تلقى أخبارا من أولئك الذين هربوا وكانوا في رودوستو ، مع طلب بأن يسرع بالانضمام اليهم بأسرع ما يستطيع ، وحيث أنه كان متلهفا على أن يصل اليهم بأسرع ما يمكن ترك الأرمن والذين كانوا يسافرون على الأقدام مع أمتعتهم وعرباتهم وزوجاتهم وأطفالهم ليتابعوا سيرهم خلفه ، وحيث أنهم لم يستطيعوا مواكبة رجاله ، ولأنه اعتقد أنه يمكن أن يسافروا في أمان ودون خوف من أي خطر ، مضى قبلهم وعسكر في قرية تدعى كورتوكوبولس .

وفي ذلك اليوم نفسه انضم اليه انسودي كورسل أحد أبناء أخى جيوفري دي فيلهاردين الذين استدعاهم المارشال من ذلك الجزء من الامبراطورية الذي تقع فيه ماكري اترجانوبولس ودير بيرا والذي

أعطي لانسوا كممتلكات خاصة ، وجاء معهم عدد من الرجال من فيليببولس ممن تخلوا عن رينييه دي تريت

وضمنت المجموعة حوالي مائة من الفرسان الجيدين وخمسمائة من السرجندية الخيالة ، وكانوا جميعا في طريقهم إلى أدرنه لمساعدة الامبراطور بلدوين ، ولكن الأنباء وقد ، بلغت كما بلغت الآخرين عن هزيمة الامبراطور ، فانهم تحولوا في اتجاه رودوستو ، وهكذا جاءوا ليعسكروا في كورتوكوبولس القرية نفسها حيث نصب هنري أخو الامبراطور خيامه .

وعندما رآهم هنري ورجاله يقتربون هبوا إلى أسلحتهم فلما منهم بأنهم من الروم ، وذلن الآخرون من جانبهم الشيء نفسه فيهم ، وتقدم كلا الطرفين حتى أصبحوا قريبين بدرجة كافية ليعرفوا بعضهم بعضا ، ثم تبادلوا التحيات بسرور وشعر كل منهم بالاطمئنان أكثر ، وعليه فإنهم عسكروا معا في القرية تلك الليلة ، وفي اليوم التالي انطلق الجميع مرة أخرى ، وركبوا مباشرة نحو رودوستو التي وصلوها في ذلك المساء ، وهناك وجدوا دوح البندقية مع المارشال جيوفري ، وكل الآخرين الذين هربوا من الكارثة الأخيرة ، وحيا هؤلاء القادمين الجدد بحرارة كبيرة ، ولكن دموعا كثيرة انهمرت حزنا على موت أصدقائهم ، وأسفاه وأي أسى ، إن عودة اتحاد القوات لم يتم في أدرنه عندما كان الامبراطور بلدوين فيها ، لأنه في تلك الحالة لم يكن ليضيع شيء ، ولكن هذا لم يكن ما يريده الرب .

وامضت المجموعة كلها اليومين التاليين معا في رودوستو ، وخلال هذا الوقت رأوا الحالة ، وقرروا ما يجب عمله ، وبين أشياء أخرى قبلوا بأن يكون هنري أخو الامبراطور بلدوين أميرا عليهم ، وجعلوه وصيا على عرش الامبرطورية ليتابع تسيير الأمور في مكان أخيه ، وفي الوقت نفسه لحقت بالأرمن الذين كانوا يتبعون هنري دي فلاندرز بهم كارثة فقد تجمع الناس في تلك الأجزاء معا وتغلبوا عليهم

حتى أنهم جميعا كانوا إما أسرى أو قتلوا مباشرة ، وفي هذه الأثناء تمكن الملك جوهانيتزا الذي كان في الأرض مع كل قواته من احتلال هذه الأرض بالكامل تقريبا وجاء إليه الناس من كل مكان في الريف والمدن والحصون ، واجتاح رجاله من الكومان كل الأراضي حتى أبواب القسطنطينية واجتمع الوهي على العرش وبوج البندقية والمارشال الذين كانوا ما يزالون في رودوستو التي تقع على مسيرة ثلاثة أيام من العاصمة في مؤتمر .

وكنتيجه أقام بوج البندقية حامية من رجاله في رودوستو ، التي كانت تابعة للبنادقة ، وفي اليوم التالي اجتمعت كل القوات في كتابها وركبوا على مراحل تدريجية إلى القسطنطينية .

وعندما وصلوا إلى سيلمبريا وهي مدينة كانت على مسيرة يومين من العاصمة ، وكانت تابعة للامبراطور بلدوين أقام هنري دي فلاندرز فيها حامية من قواته ، ثم ركب مع بقية الرجال إلى القسطنطينية وهناك تم الترحيب بهم بحرارة لأن الناس في المدينة كان يشلهم الخوف ، ولكن ماثير العجب أننا فقدنا هذا القصر من الامبراطورية حتى أنه خارج القسطنطينية فإن رودوستو وسيلمبريا ، فقط هما اللتان بقيتا تحت أيدينا ، وكانت بقية الأرض في يدي الملك جوهانيتزا ، وعلاوة على ذلك كان عبر المضيق حصن سبيفا فقط هو الذي تحت سيطرتنا ، وبصرف النظر عن هذا فإن كامل الأراضي كانت تحت يد تيودور لاسكاريس ، وقرر البارونات الآن أن يرسلوا في طلب المساعدة من البابا أنوسنت في روما وفي فرنسا وفلاندرز ومن بلاد أخرى ، وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة هم نيفلون وأسقف سواسون خونيكلولاس دي ميلي وجين بليو وبقي الباقون في القسطنطينية في كآبة ذهنية كرجال يخشون أنهم على وشك فقد أراضيهم ، وبقوا في هذه الحالة التعسة حتى أسبوع العنصرة ، وأثناء تلك الفترة كانوا في خسارة عظيمة من خلال موت أنريكو داندولو بسبب المرض ودفن بتشريف كبير في كنيسة سانت صوفيا ، وبحلول عيد العنصرة فعل الملك جوهانيتزا

تقريبا كل ما كان يريد فعله في الأرض ، ولكنه لم يتمكن بعد ذلك من جمع شمل الكومان فقد وجدوا استحالة في متابعة الحرب أثناء الجو الحار ، وعليه فقد عادوا إلى بلادهم ، وسار جوها نيتزا بجيشه المكون من روم وبلغار لمهاجمة المركيز دي مونتفرات في سالونيك ، وكان المركيز الذي سمع في هذا الوقت بهزيمة الامبراطور بلدوين فراوبته فكرة رفع الحصار عن نوبليا وأخذ معه أكبر عدد أمكنه جمعه من الرجال ، وأسرع إلى سالونيك وأدارها بقوته . وسار هنري دي فلاندرز من جانبه بعد أن جمع من القوة بقدر ما استطاع أن يدبر لمهاجمة الروم في تكورلو ، التي كانت على مسيرة ثلاثة أيام من القسطنطينية ، واستسلمت المدينة ، وأقسم الروم قسم الولاء لهنري الوصي على العرش ، ولكن مثل هذا القسم في تلك الأيام كثيرا ما كان يساء الوفاء به ، وسار بعد ذلك إلى أركاديوبولس ، التي وجدها مهجورة ، لأن الروم لم يجرؤوا على انتظار مجيئه ، وأكمل طريقه حتى وصل إلى بيرو ، وهي مدينة قوية كان فيها حامية جيدة ، واستسلم هذا المكان أيضا ، وركب بعد ذلك إلى أبروس ، وكان فيها أيضا حامية مساوية في القوة للدفاع عنها ، وبينما كانت المفاوضات تتقدم حقق رجالنا خرقا إلى داخل المدينة من جانب آخر ، وتم هذا دون علم الوصي على العرش والآخرين المعنويون في المفاوضات ، وجعلهم في غاية الضيق ، وبدأ الفرنسيون يذبحون الروم ويستولون على كل ماله قيمة في المدينة ويخطفون كل ما تصل إليه أيديهم ، وقتل العديد من الروم وأسر العديد ، وهكذا أخذت أبروس ، وبعد ذلك قضى الجيش ثلاثة أيام في المدينة ، وكان الروم اجمالا فرعين من هذه المنبحة التي لحقت بأبناء جلدتهم حتى أنهم هجروا كل المدن والحصون في الأرض وهربوا بحثا عن ملاذ في أدرنه وبيموتيك ، وكل منهما مدينة جميلة جدا ، وقوية التحصين .

وفي نحو هذا الوقت وصل ملك الاشيا وبلغاريا الذي كان يسير لمهاجمة المركيز دي مونتفرات بكل قواته إلى أمام مدينة سيريس ، وكان المركيز قد وضع حامية قوية في تلك المدينة حيث كان هوغ دي كولين ، وهو فارس قدير وشجاع جدا من الطبقة الرفيعة ، يتولى

القيادة هناك يدعمه غوليوم دي أرلر ، ومارشال الماركيز ، وعدد كبير من أفضل رجاله ، وحاصره الملك جوها نيتزا في تلك المدينة ، ولم يمض عليه وقت طويل جدا قبل أن يأخذ المدينة بهجوم عاصف . وخلال الاستيلاء عليها كان المدافعون عنها سيئي الحظ فقدوا هونغ دي كولين الذي لقي مصرعه بسبب جرح في العين .

وعندما قتل هذا الرجل الذي كان أفضلهم جميعا انهارت معنويات باقي الجماعة ، ولجأوا إلى القلعة التي كانت قوية التحصين ، وأعد جوها نيتزا آلاته لمهاجمة هذا الحصن وحاصره هناك ولم يفعل ذلك زمنا طويلا حتى بدأ الرجال بداخله يطلبون الشروط للتسليم ، وهو عمل كان له أن يلقي وصمة عار على سمعتهم فيما بعد ، ووافقوا على تسليم القلعة لجوهانيتزا ، وقام هو من جانبه بجعل خمسة وعشرين رجلا من أعلى طبقة في جيشه يقسمون لهم بأنهم سيعطون مرافقة آمنة مع خيولهم ، وكل معداتهم إلى سالونيك أو القسطنطينية أو هنغاريا - أي من الثلاثة كانوا يفضلون .

وبهذه الشروط سلمت سيريس وأمر جوها نيتزا كل المدافعين عنها بالخروج والعسكرة بجانب الجيش في الحقول ، وفي البداية قدم عرضا من الصداقة تجاههم ، وحتى أرسل لهم الهدايا ولكن بعد معاملتهم بهذه الطريقة مدة ثلاثة أيام تصرف بشكل مخادع وأخل بكل وعوده وأمر باعتقالهم وتجريدتهم من كل ممتلكاتهم واقتادوهم إلى الاشيا عراة حفاة سيرا على الأقدام ، وأما أولئك الذين كانوا فقراء أو من مولد منحط ، وعليه كانوا من غير ذوي الشأن ، فقد أرسلوهم إلى هنغاريا ، أما بالنسبة للبقية فقد أمر بقطع أيديهم ، وهكذا كانت خيانة الملك جوهانيتزا الشائنة التي أمكنه ارتكابها وعانى الجيش في تلك المناسبة واحدة من أعظم الكرب التي حلت به مطلقا ، وأمر جوها نيتزا بهدم كلتا المدينتين والقلعة إلى الأرض ، وبعد هذا مضى في طريقه ليتعامل مع الماركيز .

وركب هنري الوصي على عرش الأمبراطورية مع كل قواته إلى

أدبره وحاصرها ، وبفعل ذلك وضع نفسه وجيشه في خطر عظيم لأن كثيرا جدا من الناس سواء ضمن المدينة أو خارجها طوقوه من كل الجوانب ، حتى أن رجاله كانوا نادرا ما يستطيعون مفادرة المعسكر لشراء المؤن أو يتمكنون من القيام سوى برعي قليل ، أو التزود بقليل من المؤن ، ولكنهم لكي يجعلوا أنفسهم أكثر أمنا أحاطوا بمعسكرهم بسيج وبيابات محصنة بقوة ، وأمروا قسما من رجالهم بالحراسة في الداخل ، في حين خرج الباقون لمهاجمة المدينة وبنوا أيضا آلات من مختلف الأنواع ، وأعدوا سلالم التسلق والأشياء الأخرى التي تفيد في الهجوم ، وباختصار وضعوا أنفسهم في قدر عظيم من المتاعب من أجل الاستيلاء على المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها لأن المكان كان قويا جدا ، ومحما بوفرة بقوات للدفاع عنه ، وعلى العكس كان كل شيء ضدهم وجرح الكثير من رجالهم ، وضرب واحد من أفضل فرسانهم ، وهو بيير دي براسيو على جبهته بحجر من منجنيق ، وكاد يقتل على الفور ، ومع ذلك وبمشيئة الرب أفاق وحمل بعيدا على محفة .

وعندما رأى في النهاية أن كل جهودهم للاستيلاء على المدينة كانت غير مثمرة ، سحب الوصي على العرش قواته وغادرها ، وخلال تراجعهم كانوا يضايقون باستمرار من قبل الروم وأهل الأرض التي كانوا يمرون عبرها ، وركبوا يوما بعد يوم حتى وصلوا إلى بامفيل حيث وجدوا مراكز لهم ومكثوا مدة شهرين ، ومن هناك قاموا بغزوات كثيرة في اتجاه بيموتيك والاماكن المحيطة الأخرى ، وحازوا بهذه الوسيلة على عدد عظيم من الماشية ومخزون جيد من الغنائم الأخرى ومكثوا في هذه الأجزاء حتى بداية الشتاء في حين كانت المؤن ترسل إليهم من ريدوستو والاماكن الأخرى ، عبر الساحل .

الفصل الثامن عشر

الملك جوهانيتزا يخرب الامبراطورية

حزيران ١٢٠٥ - حزيران ١٢٠٦

وسأتحول للحظة من هنري الوصي على عرش الامبراطورية للكلام بشكل أكثر خصوصية عن جوهانيتزا ملك والاشيا وبلغاريا الذي كما تعرفون قد استولى على سيريس ، ونقل بالخيانة أوائك الذين استسلموا له . وسار بعد ذلك إلى سالونيك وأمضى وقتا طويلا في ذلك الجوار مخربا قسما كبيرا من الأرض ، وفي هذه الأثناء بقي المركيز دي مونتفرات في مدينته العاصمة وقد ملأه الأسى بسبب خسارة سيده الامبراطور بلدوين والبارونات الذين ماتوا في أدرنة ، وكان في كآبة مريرة بسبب الاستيلاء على حصنه في سيريس وأسر رجاله .

وعندما رأى جوهانيتزا أنه قد فعل كل ما بإمكانه في سالونيك عاد أدراجه نحو بلاده أخذًا جيشه معه - وسمع الروم في فيلبوبولس التي أعطاها الامبراطور لرنيردي تربت - كيف فقد الامبراطور بلدوين العديد من باروناته وكيف أخذ جوهانيتزا سيريس من المركيز ، وعرفوا أيضا أن أقارب رنيردي تربت بما فيهم ابنه وابن أخيه قد تخلوا عنه وأنه لم يبق له سوى القليل من الناس ، وبالاعتقاد بناء عليه أن الفرنسيين لن تكون لديهم مرة أخرى اليد العليا ، ذهب عدد من الأهالي الذين كانوا ينتمون للطائفة البوليسية إلى جوهانيتزا ليستسلموا له وقالوا : يا صاحب الجلالة • اركب إلى فيلبوبولس أو ابعث جيشك وسنضع كامل المدينة بين يديك » •

وعندما سمع رنير دي تريت ، الذي كان في فيليبوبولس بهذا العرض ، كان خائفا جدا من أن يفعل هؤلاء الرجال كما قالوا ، وعليه ففي ذات صباح عند الفجر غادر منزله ، ومع أكبر عدد من شعبه توفر له ، ذهب إلى ضاحية للمدينة يسكنها البوليسيون الذين استسلموا لجوهانيتزا ، وأشعل فيها النار حتى لقد احترق الكثير من هذا الحي ، ثم غادر فيليبوبولس وذهب إلى حصن ستينيمكا الذي كان على بعد ثلاثة فراسخ عن المدينة ، وكانت فيه حامية من رجاله ، وبقي هو وجماعته هناك زمنا طويلا جدا ، نحو ثلاثة عشر شهرا على وجه الاجمال في التخوم القريبة ، تحت ظروف بائسة وفي كرب نفسي عظيم . وفي عجز شديد في الطعام ، حتى أنه كان عليهم أن يأكلوا خيولهم ، وكان علاوة على ذلك على بعد تسعة فراسخ من القسطنطينية ، حتى أن أي تبادل في الأخبار بين الحصن والمدينة كان خارج الموضوع ، وبينما كان رنير ورجاله في ستينيمكا جاء الملك جوهانيتزا مع جيشه ليحاصر فيليبوبولس ولم يمكث هناك طويلا جدا قبل أن يستسلم الناس في المدينة له ، بعد أن وعد بأن يعفو عن أرواحهم ، ولكن على الرغم من هذا الضمان أعدم رئيس أساقفة المدينة أولا ، ثم أعطى الأوامر بسلخ أناس معينين من ذوي المنزلة وهم أحياء ، وبقطع رأس آخرين واقتيد باقي أهل المدينة بالسلاسل ، وبعد ذلك أمر بهدم كل أسوار وأبراج المدينة إلى الأرض ، وبحرق قصورها العظيمة ومنازلها الجميلة حتى أصبحت رمادا ، وهكذا دمرت مدينة فيليبوبولس النبيلة ، وكانت هي واحدة من أجمل ثلاث مدن في كل إمبراطورية القسطنطينية تماما .

بهذا انتهى قصة فيليبوبولس وإذا أترك بلايري تريت سجيننا في ستينيمكا ، أعود إلى هنري ألبي امبراطور بلدين الذي بقي في بافيل حتى بداية الشتاء وحالما حل الطقس البارد استشار رجاله وباروناته ، الذين نصحوه بأن يضع حامية في مدينة روسيون التي تقع في ناحية خصيبة جدا ، وكانت تشغل موقعا مركزيا في الأرض ، وكان الرجال الذين كلفوا بهذه الحامية ، بيتريش فون لوس الذي عمل كحاكم للمدينة ، وتييري دي تيرموند الذي أعطى قيادة

القوات . واعطاهم الوصي على العرش نحو مائة وأربعين فارسا وكثيرا من الخيالة ، وأمرهم بمتابعة الحرب ضد الروم وأن يقيموا الحراسة على النواحي النائية.

ونهب هو نفسه مع بقية رجاله الى بيرو وترك حامية من نحو مائة وعشرين وحيدا جيدا من الخيالة في تلك المدينة ، مع انسودى كايو في القيامة ، ووضعت حامية أخرى من البنادقة في مدينة أخرى هياركانيو بولس ، وفي الوقت نفسه اعاد الوصي على العرش البروس لتيو دور براناس وهو رومي كان متزوجا من أخت ملك فرنسا وكان في الواقع الوحيد من مواطنيه الذي بقي في جانبنا ، واستمرت القوات في كل هذه المدن في شن الحرب ضد الروم ، وقاموا بفارات عينية في اراضيهم وقام الروم من جانبهم بهجمات مفاجئة عليهم بالكثرة نفسها ، وكان هنري نفسه في هذا الوقت قد عاد الى القسطنطينية مع بقية رجاله.

وفي هذه الاثناء لم يبق المالك جوهانيترا مع انه الآن قوي جدا وسيما على ممتلكات عظيمة كسولا بل اقام جيشا كبيرا من الكومان والوالا شيين وبعد عيد الميلاد بثلاثة اسابيع ارسل هؤلاء الرجال الى امبراطورية القسطنطينية لمساعدة الروم في ادرنة وديموتريكا وبعد وصول هذه التعزيزات ازدادت جرأة اعدائنا وشنوا غارات على قواتنا بدقة اكبر.

وقبل عيد قداس الشموع (في الثاني من شباط) بأربعة ايام خر . تييري دي موند قائد القوات في روسيون في غارة استطلاع ونهب وركب طول الليل وأخذ معه نحو مائة وعشرين فارسا وترك قليلا من الرجال لحراسة المدينة وبهلول الفجر وصلوا الى قرية حيث كانت تمسك فرقة من الكومان والوالا شيين.

واخذوهم تماما بالمفاجأة حتى أن أحدا من القوات التي في المكان لم يكن لديه أي فكرة عن مجيئهم ، وقتل الفرنسيون عددا كبيرا من

رجال جوهانيتزا ، واستولوا على نحو أربعين من خيولهم ، وبعد أن الحقوا بالعدو مثل هذا الضرر تحولوا عائدين إلى روسيون .

وفي الليلة ذاتها التي خرج فيها جماعتنا في تلك الحملة زحف جيش كبير من الكومان والوالاشيين فيه نحو سبعة آلاف فرد خارجا بهدف الحاق بعض الأضرار بنا ، وفي الصباح وصل إلى أمام روسيون ومكث هناك وقتا طويلا ، وأقفلت الفرقة الصغيرة جدا من الرجال التي تركت لحراسة المدينة البوابات واعتلى أفرادها الأسوار ، وعندها استدار الكومان والوالاشيون وبدأوا في الانسحاب إنما لم يبتعدوا أكثر من فرسخ ونصف الفرسخ عن المدينة عندما قابلوا القوات الفرنسية التي بقيادة تيير دي تيرموند ، وحالما رأى هؤلاء فرق العدو تتقدم شكلوا أنفسهم في أربع فرق وقرروا الانسحاب نحو روسيون ولكن بأبطأ خطوة ممكنة مدركين أنه إذا أمكنهم بفضل الرب أن يصلوا إلى المدينة سيكونون في أمان ، وأقبل الكومان والوالاشيون مع الروم من أهل المنطقة نحوهم وهاجموهم بكل قوتهم وانقضوا على قوات المؤخرة وبدأوا هجومهم بوحشية شديدة ، وكانت هذه الفرقة مكونة من رجال يتبعون الحاكم ديريش فون لوس وكان قد عاد إلى القسطنطينية ، لهذا كان أخاه فيلان الآن يتولى القيادة وضغط عليهم العدو بشدة وجرح كثيرا من خيولهم . وانطلقت صيحات عالية وازدادت الجلبة عنفا ، حتى أن قوات المؤخرة في النهاية أنهكت وغلبت على أمرها بالتفوق العددي وأكرهت على الارتداد إلى الفرقة التي كان يقودها أندريه دي يوربواز وجين دي كوازي وهكذا تراجع الفرنسيون وهم يحاولون الحفاظ على مقاومة ثابتة ضد العدو لوقت طويل .

ثم جدد العدو هجومه بضراوة حتى أنهم دفعوا بالفرق التي سلف لها الاشتباك لترتد إلى الفرقة التي يقودها تيير دي تيرموند . ولم يمض وقت طويل أيضا قبل أن يدفعوا بهذه الفرقة حتى إلى مسافة أبعد لترتد إلى الفرقة التي يقودها شارل دي فرين ، أما الفرنسيون الذين كانوا مائز اللون يقاتلون بعناد فإنهم تراجعوا الآن إلى حد أنه

بات بإمكانهم أن يروا أسوار روسيون التي تبعد فقط نصف فرسخ ، وضغط عليهم الأعداء أكثر فأكثر حتى أن الأرجحية كانت بدرجة كبيرة ضدهم ، وجرح العديد من الرجال وكذلك من خيولهم ، وفي النهاية ، حيث أنها كانت مشيئة الرب بأن تحدث مثل هذه الكوارث ، لم يعد بإمكانهم أن يقاوموا أكثر وهزموا ، وبشكل رئيس لأن تسليحهم كان ثقيلًا وتسليح خصومهم خفيفًا ، ثم بدأ العدو بذبحهم

وا أسقاه أي يوم حزين للنصرانية ، فمن المائة وعشرين فارسا في المعركة لم ينسج سوى عشرة من أن يقتلوا أو يؤسروا ، أما القلائل الذين هربوا فقد عابوا مسرعين للانضمام من جديد إلى أصدقائهم في روسيون ، وكان بين القتلى تييري دي تيرموند وذلك الفارس الجيد أوري دي آيل الذي كان كل واحد قدره ، وكذلك أيضا جين دي بومبون ، وأندريه دي أوبيوس وجين دي كويزي ، وغني دي كونفلانس ، وشارل دي فرين ، وفيلان أخو ديتريس فون لوس. حاكم المدينة ، وليس هناك متسع في هذا الكتاب لأعطائكم أسماء كل من قتلوا أو أسروا ، وفي ذلك اليوم البالغ الحزن منينا بأقصى الخسائر وعانينا من إحدى أسوأ الكوارث التي عاناها شعب الإمبراطورية المسيحية على الإطلاق ، وكانت أكثرها جدارة بالثناء أيضا ، أما الكومان والوالاشيون وقد الحقوا مثل هذا الضرر البالغ بأرضنا كما أرابوا أن يفعلوا ، فإنهم قد انسحبوا الآن كل واحد إلى بلده ، وقد حدثت هذه الكارثة لجيشنا في اليوم الذي سلف على ليلة قداس الشموع ، وتسلل الرجال الذين فروا بعد هزيمتهم مع الذين كانوا في روسيون خارجين من المدينة حالما حل الظلام ، وهربوا خلال الليل ليصلوا في صباح اليوم التالي إلى رودستو .

وبلغت الأخبار الحزينة لهذه الهزيمة هنري الوصي على عرش الإمبراطورية وهو خارج في موكب إلى ضريح سيدة بلاشرين في عيد قداس الشموع ، وقد سببت جزعا عظيما في المدينة التي كانت مقتنعة الآن بأن إمبراطورية القسطنطينية قد ضاعت .

ووجد الوهي أن من الحكمة أن يضع حامية في سيلمبريا وهي على مسيرة يومين من القسطنطينية ، لذلك أرسل ماكاثيردي سانت مينهولد مع مجموعة من خمسين فارسا ليقوموا على حراسة المدينة .

وكان الملك جوهانيتزا من جانبه مبتهجا عندما سمع أخبار كيف أن جماعته قد نجحوا ، وأكثر لأنهم قتلوا قسما عظيما جدا من أفضل الرجال في الجيش الفرنسي ، لهذا أرسل الدعوات في كل أرضه تدعو أكبر عدد من الرجال يمكن جمعه معا ، وبعد أن أنشأ جيشا عظيما من الكومان والروم والوالاشيين غزا الامبراطورية ، وانحاز معظم الناس في المدن والحصون إلى صفه ، حتى أنه في النهاية أصبح يملك من القوة بحيث فاق كل اعتقاد .

وعندما سمع البنادقة أنه قادم بقوة كبيرة هجروا أركاديوبولس ، وتقدم جوهانيتزا بكل قواته حتى بلغ ابروس ، التي كانت محمية من قبل الروم واللاتين ، وكانت تابعة لبراناس الذي كما تعرفون قد تزوج أخت ملك فرنسا ، وكان الرجل الرئيس بين اللاتين هوبينغ دي فرانسور وهو فارس من بلاد بوفيزيز .

وشن ملك والاشيا هجوما عاصفا على المدينة واجتاحها ، وكان عدد السكان الذين نجحوا عظيما جدا ، حتى أنه يجلب عن الوصف ، وأحضر بيغ فرانسور أمام جوهانيتزا الذي أمر بقتله على الفور مع كل الروم واللاتين ، الذين كانوا من ذوي المكانة أيا كانت ، أما كل الناس الذين من أصل وضيع وكانوا لاشأن لهم مع كل النساء ، والأطفال فقد أخذوا بناء على أوامره إلى والاشيا ، وبعد ذلك أمر بالمدينة بكاملها - وهي مدينة جميلة جدا ومزدهرة وفي جزء خصب جدا من البلاد - أن تدمر حتى الأرض ، وهكذا تم تنفيذ خراب أبروس .

وعلى بعد إثني عشر فرسخا على الساحل تقع رودستو وهي

مدينة كبيرة جدا وغنية وقوية التحصين ومحمية بشكل جيد من قبل البنادقة ، وإلى جانب كل هذا كان جيشا من السرجندية مؤلفا من نحو ألفي خيال ، قد وصل حديثا للمساعدة في حراسة المدينة ، وعندما سمع هؤلاء الرجال بأن أبروس قد أخذت بالقوة وأن جوهانيتزا قد قتل كل أهل المدينة غلبهم الخوف ، حتى أنهم تخلوا عن القتال قبل أن يبدأ ، وبما أن الرب يسمح بأن تنزل مثل هذه البلية بالرجال اندفع البنادقة شنرا مذرا إلى ظهور سفنهم وكل منهم يحاول أن يسبق الآخرين ، وبفوضى حتى كادوا أن يفرق الواحد منهم الآخر ، وهرب السرجندية الخيالة الذين جاءوا من فرنسا وفلاندرز والبلاد الأخرى بطريق البر .

أي كارثة في الواقع إنها واحدة لم يكن هناك حاجة مطلقا لأن تحدث ، لقد كانت المدينة قوية التحصين ومحاطة تماما بأسوار قوية وأبراج لم يكن لأحد على الإطلاق أن يفامر بمهاجمتها ، ولم يكن جوهانيتزا قد فكر مطلقا في أن يوجه جيشه في هذا الطريق ، ولكن حالما سمع هذا الملك الذي كان في حينه على بعد مسيرة نصف يوم من رودوستو ، أن حاميتها قد هربت تقدم نحو المدينة ، وسلم الروم الذين بقوا هناك : المكان له فأمر بأسرهم على الفور أيا كانت منزلتهم ، واقتادهم الى الاشيا ، إلا القليل الذي هرب ، ثم أمر بتدمير المدينة حتى الأرض ، أه أي مأساة مروعة لأن رودستو كانت واحدة من أجمل المدن وأفضلها عمراننا في الامبراطورية .

وكانت هناك مدينة أخرى ليست بعيدة عن رودستو تدعى بيندور وقد سلمت هذه أيضا لجوهانيتزا ، وقد أمر بتدميرها نهائيا واقتيد سكانها أسرى الى الاشيا مثل مدينة رودستو ومن هناك ركب الى هيركليا وهي مدينة على الساحل كانت تابعة للبنادقة وكان لها ميناء جيد جدا ومع ذلك كان البنادقة قد تركوها مع حامية ضعيفة جدا فقط ، وعلى هذا أخذها جوهانيتزا بالقوة ، وهناك أيضا أعقب مذبحه عامة ، وأخذ النين نجوا بحياتهم الى الاشيا في حين دمرت المدينة كما حدث للأخريات .

ومن هناك سار جوهانيقزا الى داا ونيوم وكانت هذه مدينة جميلة جدا وجيدة التحصين ، ولكن أهلها لم يجرؤوا على الدفاع عنها ، وهكذا دمرت بعد أن استسلمت ، حتى الأرض ، ثم مضى الى تكرلو التي سلمت له من قبل ، وأمر رجاله بتحويل المدينة الى خرائب وأخذ الناس أسرى ، وكان كلما سلمت له حصون أو مدن تعامل معها بالطريقة نفسها ، حتى ولو كان قد وعد أهلها بالامان وأمر بكل واحد من هذه الأمكنة فدمر ، واقتيد كل الرجال والنساء الى الأسر ، وباختصار لم يحافظ على أي ميثاق أبرمه .

وقبل مضي وقت طويل اجتاح الكومان والوالاشيون الأرض حتى أبواب القسطنطينية ، حيث كان الوهي على العرش مع أكبر عدد من الرجال الذين كانوا تحت قيادته يقيمون في حينه ، وكان يشعر بحزن شديد وقلق بالغ لكونه غير قادر على تأمين عدد كاف من الرجال للدفاع عن أرضه ، وبسبب ذلك كان الكومان يستولون على كل الماشية في الريف ، ويأخذون الرجال والنساء والأطفال حيث يجدونهم ، ويدمرون الحصون والمدن التي يمرون بها وهم يصدئون مثل هذا الخراب في كل مكان ، الخراب الذي لم يسمع أن أحدا أخبر بشيء يفوقه .

وفي النهاية وحتى نصف قطر يعادل مسيرة خمسة أيام من القسطنطينية لم يبق شيء لم يدمر ، سوى مسينتي بيزو وسلمبريا التي كانت محمية من قبل الفرنسيين وكان انسو دي كايو في بيزو مع مائة وعشرين فارسا ، وكان ماكاثير دي سانت مينهولد مع خمسين فارسا في سلمبريا ، وكان هنري أخو الامبراطور بلدوين في القسطنطينية مع باقي القوات مع مدينتين فقط خارج القسطنطينية بقيتا في أيديهم ، وأكاد ألا أكون محتاجا لأن أقول لكم بأن حظوظ الفرنسيين كانت في أننى أحوالها .

وفي مناسبة واحدة اجتمعوا أمام أثيرا وهي مدينة تبعد نحو اثني عشر فرسخا عن القسطنطينية ، وكان هنري قد أعطاهم لبايين دي

- ٤٥٣٠ -

أوليائز ، وكان هذا المكان يضم عددا كبيرا جدا من الناس لأن أهل الريف من المناطق المحيطة قد لجأوا إليها ، وهاجمها الكومان وأخذوها بالقوة وهنا كانت المذبحة كبيرة حتى إنه لم يوجد ما يفوقها في المدن التي تقدم حدوثها فيها ، وخلال هذا الوقت كما قلت قبلا دمر كل حصن أو مدينة سلمت لجوهانيتزا بوعد الأمان حتى الأرض واقتيد أهله أسرى إلى الأشياء .

وعندما رأى الروم الذين كانوا في جيش جوهانيتزا - أو كما يقال النين استسلموا له وثاروا ضد الفرنجة - كيف دمر مدنتهم وقتلهم وخرق كل وعد قطعه لهم ، شعروا بأنهم كانوا ضحية الخيانة وأنهم استسلموا للضياع ، وبعد مناقشة الأمور فيما بينهم توصلوا إلى نتيجة أنه حالما يعود جوهانيتزا إلى أدرنة وبيموتيكافانه سيتعامل معهم كما تعامل مع الأماكن الأخرى ، وإذا أزيلت هاتان المدينتان فإن الامبراطورية ستكون بالنسبة لهم قد فقدت إلى الأبد . وهكذا اختاروا رسلا سرا ، وأرسلوهم إلى ابن جلدتهم براناس في القسطنطينية يتوسلون إليه أن يدافع عن قضيتهم عند هنري أخي الامبراطور ، ومع البنادقة حتى يساعدوهم وهم بدورهم سيعيدون أدرنة وبيموتيكافالفرنجة وسيعطون دعمهم الكامل للوهي على العرش حتى يمكن للروم والفرنجة أن يعيشوا معا كأصدقاء .

وبالتالي جرى عقد مؤتمر في القسطنطينية وجرى فيه جدل كثير سواء مع الاقتراح أو ضده ، ولكن في النهاية تمت التسوية على أن أدرنة وبيموتيكافمع كل الأراضي التابعة لهما يجب أن تمنح لبراناس وزوجته ، وأن براناس يجب أن يخدمهم لصالح الامبراطور والامبراطورية ، ووضع مشروع اتفاقية بهذا المعنى وقعها كلا الطرفين وهكذا عاد توطيد السلام بين الروم والفرنجة .

أما الملك جوهانيتزا الذي أمضى وقتا طويلا في الامبراطورية مخربا البلاد خلال كامل فترة الصوم الكبير ، وافترة طويلة بعد عيد

الفصح فقد تحول الآن نحو أدرنة وبيموتيك ، وهو يزوي التعامل مع هاتين المدينتين كما فعل مع المدن الأخرى في البلاد ، وهالما رأى الروم الذين كانوا معه أنه كان يتحرك نحو أدرنة بدأوا يتسلاون هاربين في الليل والنهار في عشرين أو ثلاثين وأربعين أو مائة في كل مرة .

وعندما وصل جوهانيتزا أمام أدرنة دعا الناس ليدعوه يدخل كما فعل في كل مكان آخر ، فأخبروه بأنهم لن يدعوه يفعل ذلك ووجهوا له القول التالي : سيدي عندما وضعنا أنفسنا بين يديك أقسمت أن تحمينا باخلاص وأن تحافظ على سلامتنا ، ومع ذلك لم تفعل هذا بل ضربت امبراطوريتنا ، ونحن نعرف جيدا أنك ستعامل معنا كما فعلت مع أبناء جلدتنا ، وعندما سمع جوهانيتزا هذا مضى فأحكم الحصار على بيموتيك ونصب ست عشرة عمارة كبيرة حول المدينة وبدأ في بناء آلات من كل نوع لاستعمالها في الهجوم ، ثم بدأ في تخريب كل الريف المحيط ، وأرسل أهل أدرنة وبيموتيك رسلا الى القسطنطينية مع تعليمات بالتوسل الالهي على العرش ويراناس باسم الرب ليأتوا لاغاثة بيموتيك التي حوصرت ، وعند استلام هذه الرسالة عقد جماعتنا في القسطنطينية مؤتمرا لتقرير أي عمل يقومون به لاغاثة المدينة ، ولم يجرؤ كثير من الحاضرين على النصيح بإرسال أي قوات خارج القسطنطينية ، وبذلك يعرضون أرواح المسيحيين القلائل الباقين للخطر ، ومهما يكن من أمر تقرر في النهاية أن يسير الجيش الى خارج القسطنطينية ويمضي الي سيلمبريا ، ووعظ الكاردينال الذي عينه البابا كممثل له في القسطنطينية القوات ووعد بفران كامل لكل من يذهب في فترة هذه الحملة ويواجه الموت في المعركة ، وهكذا سار هنري خارج المدينة بكل الرجال الذين تحت تصرفه وركب معهم الى سيلمبريا حيث عسكر خارج المدينة وبقي هناك مدة أسبوع ، وكانت الرسل تأتيه من أدرنة كل يوم تتوسل اليه أن يشفق على شعبها وأن يأتي لاغاقتهم لأنه اذا أخفق في ذلك فانهم ومدينتهم سيضيعون .

وبعد استشارة باروناته قرر هنري بناء على نصيحتهم أن يتحرك الى بيزو التي كانت مدينة جميلة جدا وجيدة التحصين ، ووفق هذه الخطة سار الجيش الى هناك ونصب خيامه خارج الاسوار عشية عيد القديس يوحنا المعمدان في حزيران ، وفي اليوم نفسه الذي عسكروا فيه وصل الرسل من أدنة ليتحدثوا مع الوصي على العرش قائلين : سيدي هكذا لقد جئنا لنخبرك بأنك إن لم تسعف ييموتيكا فإنها لا يمكن أن تصمد أكثر من أسبوع لأن عرادات جوهانيتزا قد خرقت دفاعاتنا في أربعة أماكن ، وقد وصل رجاله مرتين الى الاسوار ، وسأل هنري رجاله ماذا يجب أن يفعل ، وجرى قدر كبير من الجدل حول الموضوع ولكنهم في النهاية قالوا : حيث أننا جئنا الى هذا المدي يا سيدي فإنه سيكون عارا أبديا لنا أن لا نذهب ونغيث ييموتيكا لهذا فاننا نطلب من كل واحد أن يقوم بالاعتراف وأن يأخذ المناولة ، وعند ذلك نضع القوات في ترتيب التعبئة ، وحسبوا أن لنيهم في الاجمال نحو أربعمئة فارس وليس أكثر ، وعليه فقط أرسلوا في طلب الرسل القادمين من أدنة واستعلموا منهم عن عدد الرجال الذين كانوا في جيش جوهانيتزا ، وأجاب الرسل بأن ليه نحو أربعين ألف رجل مسلح دون احصاء المشاة الذين كان عددهم غير معروف ، لقد كانت في الحقيقة معركة خطيرة أن يتولاها مثل هذا العدد القليل ضد مثل هذا العدد الكبير جدا .

وفي صباح عيد القديس يوحنا المعمدان قدم كل واحد اعترافه وتلقى المناولة ، وساروا قدما في اليوم التالي ، وقاد جيوفري دي فيلهاردين مارشال رومانيا وشامبين طليعة الجيش مع مكاثيردي سانت مينهولد وراهب دي بيثوم ، وميلون لوبربانت في قيادة الجيش الثاني ، وكان الثالث تحت قيادة باين دي اورليانزوبيير دي براسيو ، والرابع بقيادة دي كايو ، والخامس تحت قيادة بلدوين دي بوفير والسادس بقيادة هوغ دي بوميتز ، وكان هنري الوصي على عرش الامبراطورية يقود الجيش السابع ، وكان الجيش الثامن يتألف من قوات فلانكية وكان تحت قيادة غوتير دي اسكورناي وكان وكيل الامير بيزيتز فون لوس يتولى قيادة قوات المؤخرة .

- ٤٥٣٣ -

وهكذا ركبوا مئة ثلاثة أيام في نظام الزحف المحدد ، ولم يتقدم جيش مطلقا يسمى الى معركة في ظروف أكثر خطورة ، وكانوا في خطر من ناحيتين أولا لأنهم كانوا على هذه القلة وكان هؤلاء هم الذين كانوا على وشك مهاجمتهم في مثل هذه الكثرة ، وثانيا لأنهم لم يكونوا يصدقون بأن الروم الذين توصلوا مؤخرا جدا الى السلام معهم سيعطونهم دعما من أعماق القلب ، وعلى العكس فانهم كانوا يخشون من أن الجيش اذا تعرض للمصاعب فان الروم سينضمون الى جوهانيتزا ، الذي كان الآن قريبا جدا من الاستيلاء على ييموتيكا .

ومع ذلك عندما سمع جوها نيتزا بأن الفرانسيين قادمون لم يجرؤ على انتظار وصولهم ، بل أشعل النار في الآلة ونقض خيامه وهكذا انسحب من ييموتيكا ، واعتقد الجميع بأنها كانت معجزة عظيمة ، وفي اليوم الرابع بعد خروج الجيش وصل هنري الوصي على عرش الامبراطورية الى أدرنة ، ونصب معسكره بجانب النهر في بعض أجمل المروج في العالم ، وحالما رأى الناس في المدينة الفرانسيين يصلون خرجوا في مواكب يحملون كل صليبانهم ، وأظهروا من السرور ما لم يشاهد من قبل مطلقا وحق لهم أن يبتهجوا ، حيث أنه حتى ذلك الحين كانوا في وضع أبعد ما يكون عن أن يكون مريحا .

الفصل التاسع عشر

هجوم وهجوم مضاد

٢٩ حزيران ١٢٠٦ - ٤ شباط ١٢٠٧

وفي اليوم التالي لتحرير أدرنه سمع الفرنسيون بأن الملك جوهانيتزا قد اتخذ مراكز له في حصن قريب يدعى رودستويك ، وعليه خرجت القوات في الصباح وركبت الى هناك لملاقاته .

وعلى أي حال قوض جوهانيتزا معسكره وبدأ السير عائدا الى بلاده ، وسار الفرنسيون في اعقابه حوالي أيام خمسة ولكنه حرص دائما على أن يبقى متقدما امامهم ، وفي اليوم الخامس عسكروا في بقعة جميلة جدا بجانب حصن يحمل اسم فرايم وأمضوا الايام الثلاث التالية هناك ، وبينما كانوا هناك انفصل عدد من الرجال ممن قدموا خدمة جيدة في الجيش عن البقية بسبب بعض الخلاف بينهم وبين الوصي على العرش ، وكان قائد هذه الجماعة هو بلدوين دي بوثوار وفرقة ، وهوغ - دي بوميتز معه ، وكذلك فعل غوليوم دي كومينيز ودوردي بورين ، وعلى وجه الاجمال فقد غادر نحو خمسين فارسا في هذه المجموعة ، ولم يفكروا مطلقا في أن البقية ستجربو على البقاء في هذا الجزء من البلاد وتحدي العدو .

ومع ذلك فقد استشار هنري البارونات المتبقين معه فنصحوه بأن يمضي قدما ، وعليه فقد ركبوا متقدمين لمدة يومين ، ثم نصبوا معسكراتهم في واد جميل جدا قرب قلعة تدعى مونياك التي استسلمت لهم ، وبعد أن مكثوا هناك نحو خمسة أيام ، قرروا المتابعة واسعاف رنييه دي تربيت ، الذي كان ما

يزال تحت الحصار في ستيئماكا حيث ظل محصورا مدة ثلاثة عشر شهرا ، ومكث الوهي على العرش في المدسكر مع قسم كبير من القوات في حين مضى الباقون إلى ستيئماكا كالنجدة لاندقان رنيية دي تريت .

وبالكاد احتاج الى القول بأن الرجال الذين ذهبوا في هذه الحملة قاموا بذلك في مخاطرة عظيمة بأنفسهم في الواقع ، حيث أنه كان عليهم أن يركبوا أياما ثلاثة كاملة عبر بلاد يعدلها العدو ، وكانت نجاة قليلة الاحتمال ممكن حدوثها في مثل هذه المخاطر ، وكان الذين شاركوا في هذه المهمة راهب دي بيثوم وجيوفري دي فيلهاردين وفليون لوبريبانت وبيير دي براسيو وبائين دي اورليانز وانسو دي كايو وغوليوم دي براسو ، وجيش من البنادقة بقيادة اندريا فاليرا ، وركب الجميع باصرار قداما باتجاه قلعة ستيئماكا ولم يتوانوا في اطلاق العنان حتى اصبحوا على مرمى منها ولح رنييه دي تريت الذي كان على السور الخارجي للقلعة قوات المقدمة التي يقودها المارشال جيوفري والفرق الاخرى قتابع من خلفه في ترتيب جيد جدا ، ولكنه في البداية لم يستطع أن يعرف من يكونون ، وفي الحقيقة حيث أنه لم يكن يدري بأخبارنا منذ زمان طويل فقد كان مدهشا بالكاد انه شعر ببعض الشك حولنا وتساءل فيما لو كنا من الروم نتقدم لحصاره ، واستدعى جيوفري دي فيلهاردين واحدا من فرسان التوركيلي مع رماة القوس والنشاب من الصفوف وارسلهم في المقدمة ليتفقدوا اوضاع الحصن لانه طالما ان الجيش لم يكن لديه معرفة بشاغلية منذ زمان طويل مضى فان احدا من لم يكن يدري ما انا كانوا احياء او اموات ، وفي اللحظة التي وصل فيها هؤلاء الناس الى امام الحصن عرف رنييه ورجاله انهم كانوا رجالنا ويمكنك ان تتخيل جيدا كم كانوا مبتهجين ، لقد اندفعوا خارجين من البوابات واسرعوا للقاء اصدقائهم وتم تبادل تحيات من القلب بين الطرفين وتمركز البارونات في مدينة جميلة تقع اسفل القلعة وكانت تستخدم

كقاعدة لها جمتها ، وفي مجرى المحادثات قالوا انهم سمعوا رواية متواترة بأن الامبراطور بلادوين قد مات في احد سجون جوهانيتزا ولكنهم تخلوا عنها على انها مجرد شائعة واخبرهم رنبيه بان خبر وفاته كان صحيحا وصدقة ، وكان العديد منهم في حزن شديد وتمذوا من كل قلوبهم ان لا تكون هذه الخسارة مما لا يمكن تداركه .

ونامت القوات تلك الليلة في المدينة ، وفي الصباح خرجت المجموعة كلها وتركوا حصن ستيמיيناكا مهجورا ، وركبوا يومين كاملين وفي الثالث وصلوا الى معسكر تحت حصن مونيياك ، والذي يقع على نهر ارتسا حيث كان هنري اخو الامبراطور ينتظرهم ، وابتهج كل الناس في المعسكر عندما علم ان رنبيه دي تريت قد حرر في احتجازه القسري ، وكان الامتنان الذين بمخاطرتهم الكبيرة بأنفسهم اعادوا له الأمن والسلامة ، وقرر البارونات الان الذهاب الى القسطنطينية واتخاذ الترتيبات لتتويج هنري دي فلاندرز كامبراطور ، وفي مكان اخيه ، وتركوا في الوقت نفسه براناس لحراسة الأرض بمساعدة الروم في هذا الجزء من الامبراطورية مع اربعين فارسا يقدمهم الوصي على العرش ، وهكذا غادر هنري الوصي على العرش الامبراطوري مصحوبا بالبارونات الاخرين الى القسطنطينية ، وركبوا عدة ايام حتى بلغوا العاصمة حيث رحب بهم كل الناس بحبور ، وفي آب يوم الجمعة بعد عيد رفع مريم العذراء توج اخو الملك المتوفى امبراطورا بتشريف كبير ووسط بهجة عظيمة في كنيسة سانت صوفيا ، وكان هذا في السنة ١٢٠٦ لتجسيد ربنا .

وعندما سمع الملك جوهانيتزا أن امبراطورا جديدا قد توج في القسطنطينية وبأن براناس قد ترك في هذا الجزء من الامبراطورية حول أدرنه وديموتيا ، جمع أكبر قوة أمكنه جمعها ، ولم يكن براناس قد أعاد بناء أسوار ديموتيا في الأماكن التي تم

اختراقها بواسطة عرادات جوهانيتزا ومنجنيقاته ، كما أنه قد ترك حامية غير مناسبة جدا ، وعليه فقد سار جوهانيتزا نحو ديموتيك ، وأخذها ودمرها وهدم أسوارها الى الأرض ، وبعد ذلك اجتاح كامل المنطقة وأخذ الرجال والنساء والأطفال من بيوتهم والماشية من الحقول ، وباختصار انهمك في تخريب بالجملة حيث نهب ، وعليه فإن أهل أدنة وقد رأوا الطريقة التي خربت فيها ديموتيك توسلوا الى الامبراطور هنري بأن يأتي لانقاذهم •

وبعد أن دعا الامبراطور من الرجال بقدر ما كان تحت تصرفه ، غادر العاصمة وركب باصرار ماضيا في اتجاه أدنة وكل قواته في تعبئة الترتيب القتالي ، وعندما سمع الملك جوهانيتزا الذي كان ما يزال جوار أدنة بأن الامبراطور كان يتقدم استدار عائدا الى بلاده ، وتابع الامبراطور هنري ركوبه حتى بلغ أدنة حيث نصب معسكره في حرج خارج المدينة •

وجاء الروم في تلك الناحية وأخبروه كيف كان جوهانيتزا يأخذ الرجال والنساء والأطفال ، وبأنه قد دمر ديموتيك ، وخرب كل الريف المحيط ، وأضافوا أنه كان ما يزال على مسيرة يوم واحد فقط ، وقرر الامبراطور أن يمضي في أثره وإذا وجده ينتظر فإنه سيشتبك في قتال معه ، وينقذ الرجال والنساء الذين أسره وأخذهم معه ، وعليه فقد ركب في أثر جوهانيتزا الذي تراجع بقدر ما تقدم الامبراطور ، وبعد انقضاء أربعة أيام في ملاحقته وصلت قواتنا الى مدينة تدعى بيرو •

وعندما رأى الناس في تلك المدينة جيش الامبراطور هنري يقترب هربوا جميعا الى الجبال تاركين المكان مهجورا ، وجاء الامبراطور وعسكر مع كل قواته خارج المدينة التي وجدها جيدة التموين بالقمح واللحم وكل المؤن السارة ، ومكثوا هناك مدة يومين حتى أرسل الامبراطور رجاله ليطوفوا بالريف

المحيط ، فتدبروا أمر تأمين عدد كبير من الثيران والابقار والجاموس والماشية الأخرى ، ثم ترك الامبراطور بيرو مع كل الفنائم التي جمعها رجاله ، وركب الى مدينة أخرى تدعى بيلزم التي كانت على مسافة مسيرة يوم واحد فقط ، وتماما كما هجر الروم من أهل بيرو مدينتهم ، هكذا هجر أهل بيلزم مدينتهم وإذا وجد الامبراطور المكان ممونا بشكل جيد بكل شيء يمكن أن يحتاج اليه رجاله عسكر خارجها °

وبينما كانوا هناك جاءتهم الأخبار بأن الرجال والنساء الذين أخذهم جوهانيتزا كانوا جميعا في واد على بعد ثلاثة فراسخ من المعسكر مع ماشيتهم وعرباتهم ، وعليه فقد رتب الامبراطور أن يمضي الروم من أدنة وديموتيكاً مع مجموعتين من الفرسان سيؤمنهم هو نفسه في أثر الأسرى لاعادتهم ، ونفذت هذه الخطة في اليوم التالي ، ونصب أخو الامبراطور يوستاس قائدا لحدى مجموعتي الفرسان ، ودولى ماكثيردي سانت مينهولد قيادة الأخرى °

وخرج الجميع من فرنسيين وروم معا وركبوا حتى وصلوا الى الوادي الذي أخبروا به ، وهناك وجدوا الأسرى واشتدبتكت قوات جوهانيتزا مع قوات الامبراطور ، وتبع ذلك صراع قتل فيه رجال وخيول أو جرحوا من كلا الجانبين ، ولكن بقدرة الرب القوية كسب رجالنا اليد العليا وأنقذوا الناس الذين أخذهم جوهانيتزا ثم استداروا عائدين نحو المعسكر ، وأعادوا الرجال والنساء الذين حرروهم في هدف طويل أمامهم ، وفي تنفيذ هذا الانقاذ يمكنني أن أؤكد أن جماعتنا لم ينجزوا عملا عاديا ، لقد كان الأسرى يعدون بما يفوق على عشرين ألف رجل وامرأة وطفل معا ، وكان هناك الى جاذب ذلك نحو ثلاثة آلاف عربية محملة بالملابس والمقتنيات الأخرى ، ولاتقول شيئا عن العدد الكبير من الماشية ، وبينما كانوا يتنقلون من الوادي للمعسكر كان رتل الناس والعربات والماشية يغطي نحو فرسخين °

وكان الوقت ليلا عندما وصلوا الى المعسكر ، وكان الامبراطور هنري مسرورا برؤيتهم وكذلك كان كل البارونات ، وأعطى هؤلاء الناس مراكز بعيدة عن مراكز القوات ، ووضعت عليهم وعلى امتعتهم حراسة مشددة حتى انهم لم يفقدوا مايساوي بنسا واحدا مما كانوا يملكون ، وفي اليوم التالي مكث الامبراطور في المعسكر في هدوء من أجل الذين حررهم ، وفي اليوم الذي تلاه ترك الناحية وتابع السير عدة أيام حتى وصل اخيرا الى أدرنة •

وعند وصولهم الى هناك أعطى الناس الذين حررهم الانن بالذهاب الى حيث يريدون ، وعليه فقد ذهبوا في طرقهم المتعددة سواء الى المكان الذي ولدوا فيه أو أي مكان آخر ، ووزع مخزون الغنائم الوفيرة بالشكل المناسب كما ينبغي بين القوات ، وبعد تمضية خمسة أيام في أدرنة ركب الامبراطور هنري الى ديموثيكا لرؤية مدى الضرر الحادث وليتبين ما اذا كان بالامكان اصلاح التحصينات ، وعسكر خارج المدينة وأدرك هو وباروناته أن أسوارها كانت في حالة سيئة حتى أنه كان لافائدة من محاولة اعادة تحصينها •

وبينما كان الامبراطور هناك ، وصل احد بارونات المركيز دي مونتفرات ويدعى أوتون دي لاروش ليراه ومعه رسالة من سيده ، لقد جاء ليتحدث عن موضوع زواج كان قيد البحث بين ابنه المركيز والامبراطور هنري ، وجاء بأخبار بأن السيدة قد حضرت من لومبارديا بعد أن أرسل أبوها في طلبها ، وبأنها كانت الان في سالونيك واتفق على أن يوثق الزواج من قبل الطرفين ، وبناء عليه عاد مبعوث المركيز الى سالونيك •

وعاد الامبراطور الذي كان رجاله مشغولون في تخزين الغنائم التي أخذوها في بيرو في مكان امين من المعسكر الان إلى تجميع جيشه ، وغادر أدرنة وبعد السير عدة أيام دخل

مقاطعات جوهانيتزا بقواته ، ووصلوا الى مدينة تدعى ثيرمي واستولوا عليها ودخلوا المكان وجمعوا قدرا كبيرا من الاسلاب ، وامضوا ثلاثة ايام في ثيرمي اجتادوا خلالها الريف المحيط ، وبالإضافة الى الحصول على قدر عظيم من الغنائم دمروا مدينة أخرى تدعى أكيلو .

وبعد ذلك بأربعة ايام تركوا ثيرمي وكانت مدينة جميلة جدا في موقع جيد جدا ، وفيها أجمل الينابيع الحارة التي يمكن أن توجد في العالم ، وبعدما جمع رجاله كميات هائلة من الغنائم في صورة ماشية وأشياء أخرى ذات قيمة يمتلئونها بهم ، وامرهم الامبراطور بطرح النار في المدينة وتدميرها ، ثم غادر الجيش وبعد بضعة ايام من المسير وصل عائدا الى ادرنة وبقيت قواتنا في الناحية حتى عيد جميع القديسين عندما جعل اقتراب الشتاء ومتابعة الحرب مستحيلة وعليه استدار الامبراطور هنري وكل باروناته الذين كانوا متعبين تماما من شن الحملات استداروا عائدين الى العاصمة تاركا واحدا من رجاله ويدعى بيردي رادينغيم وبين الروم في ادرنة ومعه عشرة من الفرسان وكانت هناك في تلك الفترة هدنة بين الامبراطور هنري وتيودور لاسكارس الذي كان يسيطر على الارض الواقعة على الجانب الجنوبي من المضيق ، ولكن هذا الرومي بدلا من أن يرعى شروط الهدنة اخل بوعده وانتهكها ، وعليه ارسل الامبراطور بعد استشارة باروناته فرقة من القوات عبر المضيق الى سبيغا ، وكان قائد الحملة بيردي براسيو الذي عين له جزءا من الارض هناك . وذهب معه باين دي اورليانز وانسودي كايو ويوستاش اخو الامبراطور ، ومعهم قسم كبير من افضل الرجال في جيش الامبراطور حتى بلغوا مائة واربعين فارسا . وبدأ هؤلاء الحرب بجذ صارم ضد تيودور لاسكارس وأوقعوا بارضه ضررا عظيما .

وركبوا الى سيزيكوس وهو مكان محاط بالبحر من كل

الجوانب فيما عدا واحد ، وكان الوصول اليه لزمان طويل مضى محميا بسلسلة من التحصينات تشمل الاسوار والابراج والخنادق المائية ، ولكن هذه قد لحقها البلى تقريبا ، واهتلتها القوات الفرنسية ، وبدأ بييردي براسيو الذي اعطي هذا الجزء من الارض في تجديد الدفاعات وبنى قلعتين لكل منهما بوابة ذات قضبان قوية ، ومن هناك اجتاحت القوات الاراضي التي يسيطر عليها لاسكارس حيث جمعت كثيرا من الاسلاب والعديد من رؤوس الماشية التي جلبوها معهم وهم عائدون الى مأواهم في الجزيرة ، وقام لاسكارس من جانبه بغزوات متكررة على سيزيكس حتى أن الجيشين كثيرا ما التقيا وحارب بعضها بعضا ، وكانت هناك خسائر من الجانب الواحد والآخر وكانت الحرب في تلك الاجزاء ضارية ومليئة بالمخاطر .

وهنا سأترك رجال سيزيكوس لا تكلم لحظة عن نائب الامير ديتريس فون لوس الذي كان يجب أن تتبعه نيقوميديا ، وكانت هذه المدينة على مسافة مسيرة يوم واحد من نيقية المدينة العاصمة لارض ثيودور لاسكارس ، وقام ديتريس بحملة على المكان مع عدد عظيم من رجال الامبراطور ، ووجد أن الحصن قد هدم ، فقام بتسوير وتحصين كنيسة سانت صوفيا التي كانت بناء عاليا جميلا جدا ، واستخدمها كقاعدة لتابعة الحرب في المناطق المجاورة لنيقوميديا .

وفي الوقت نفسه غادر المركيز دي مونتفرات سالونيك الى سيريس التي كان جوهانيتزا قد دمرها ، فأعاد بناء الدفاعات فيها ، ثم ذهب لتحصين قلعة دراما في وادي فيليبي ، وسلمت له كل البلاد المحيطة وقبله الناس كامير لهم .

وفي هذه الاثناء كان قد مضى وقت طويل حتى أن عيد الميلاد قد انقضى ، وجاء الآن رسل من المركيز ، إلى الامبراطور ليخبروه نيابة عن أميرهم بأنه قد أرسل ابنه في شينني كبيرة الى

ايندوس ، وعليه فقد اناب الامبراطور جيوفيري دي فيلهارين وميلون لي برابانت ، ليذهبا لاحضار السيدة ، وركب الاثنان خارجان من المدينة ووصلا خلال بضعة ايام الى ايندوس ، ومن هناك نهبا لرؤية ابنة الماركيز ، وكانت سيدة طيبة جدا وجميلة وحيياها نيابة عن سيدهما الامبراطور هنري ، ثم عادا بها بعد ذلك بتشريف كبير الى القسطنطينية ، وادخل بزواجاها من الامبراطور هنري في ابهة عظيمة وبهجة كبيرة في كنيسة سانت صوفيا ، في يوم الاحد الذي يلي قداس الشموع ، وارتدى كل من العريس والعروس تاجا وتبعت الاحتفال ولائم زواج فاخرة في قصر بوكليون حضرها كل نبلاء تلك الارض ، وبهذه الطريقة احتفلت القسطنطينية بزواج الامبراطور هنري وابنة الماركيز التي اصبحت الان الامبراطورة أغنس .

الفصل العشرون

الحرب على جبهتين

أذار - أيار ١٢٠٧

وفي مجرى حرب تيودور لا سكارس مع الامبراطور هنري أرسل
الاول رسلا الى الملك جوهانيتزا ليخبروه بأن كل رجال الامبراطور
كانوا مشتبهين في قتال الروم في جانب المضيق المواجه لتركيا ، وبأن
الامبراطور نفسه بقي في القسطنطينية مع قليل جدا من الناس ، وفي
مثل هذه الظروف كما قال لا سكارس تكون لدى جوهانيتزا فرصة
جيدة للتأثر ، وأنه هو نفسه ، هكذا اضاف ، سيهاجم الفرنسيين
على جانب واحد من المضيق فإذا هاجمهم جوهانيتزا من الجانب
الأخر لن يكون الامبراطور قادرا على الدفاع عن نفسه ضدهما
معا ، وكما حدث كان الملك جوهانيتزا قد انشغل من قبل في اعداد
جيش عظيم من الكومان كان في طريقه للانضمام اليه وقد جمع الآن
قوة عظيمة من الروالاشيين والبلغار بقدر ما أمكنه ، وكان قد مضى
الآن وقت طويل حتى أننا أصبحنا في بداية الصوم الكبير وكان ما
كاثير دي سانت مينهولد قد بدأ في تحصين قلعة في كاراكي تقع على
شاطئ خليج على بعد نحو ستة فراسخ من نيقوميديا وتواجه
القسطنطينية ، وبدأ غوليوم دي سانز في تحصين قلعة أخرى في
كيبوتوس على الجانب الأبعد من خليج نيقوميديا في اتجاه نيقية
وكان لدى الامبراطور هنري من الأعمال الكثير بقدر ما يمكنه عمله
في الريف المحيط بالقسطنطينية ، وهكذا كان كل البارونات على ذلك
الجانب من المضيق ، ولم يتردد جيوفري دي فيلهارين مارشال
رومانيا وشامبين مؤلف هذا التاريخ في تأكيد أنه لم يكن لأي شعب
في أي لحظة من تاريخه أن يحمل مثل هذا العبء الثقيل من الحرب
بسبب أن قواتهم كانت مبعثرة في أماكن عديدة مختلفة ، وغادر

جوهانيقزا الآن والاشيا بكل هواته ، وبينها الجيش الكبير من الكومان الذي جاء للانضمام اليه وبدأ في غزو الامبراطورية واجتاح الكومان البلاد حتى ابواب القسطنطينية في حين احكم الملك نفسه الحصار على ادرنة ، ونصب ثلاثين من العرادات الكبيرة حول المدينة كانت تقذف اسوارها وابراجها بالحجارة ، وبدأخل ادرنه كان هناك الروم فقط ومعهم بيير دي اينفام الذي بقي هناك بناء على أوامر الامبراطور ومعه عشرة من الفرسان ، وعليه أرسل كل من الروم والفرنسيين معا الى الامبراطور ليخبروه كيف أن جوهانيقزا قد حاصرهم وتوسلوا اليه أن يحضر لنجدهم .

وعندما تلقى رسالتهم كان الامبراطور ذاهلا تماما فجذبه على الجانب الآخر كانوا مشتتين على نطاق واسع ، وكانوا في كل مكان مذنبين بشده حتى أنه لا يمكنهم أن يفعلوا أكثر مما كانوا يفعلونه بالفعل ، في حين أنه هو نفسه كان لديه جيش صغير جدا من القوات في القسطنطينية ، ومع ذلك فقد انطلق زاحفا خارجا من المدينة مع أكبر عدد من الرجال أمكنه جمعه خلال الأربعة عشر يوما التي تلت عيد الفصح ، ومع ما خطط له أرسل الى سيزيكس حيث كان معظم شعبه يخبر الرجال هناك أن يحضروا للانضمام اليه ، وانطلق أخوه يوستاس مع انسو دي كايو والقسم الرئيسي من رجالهما على الفور عبر الماء حتى أن بيير دي براسيو ، وباين دي أوليانز فقط مع القليل من القوات هما اللذان بقيا في سيزيكس .

وعندما سمع تيودور لاسكارس بأن ادرنه محاصره وأن الامبراطور هنري من منطلق الحاجة الملحة ، كان يدعو رجاله وكان علاوة على ذلك مذكلا بشدة الحرب على كل الجوانب حتى أنه لم يكن يعرف في أي طريق يتجه ، دعا هذا الرومي أكبر عدد ، أمكنه جمعه من شعبه لتعزيز جيشه ، ثم جاء ونصب خيامه وسرايقاته أمام بوابات سيزيكس واشتبك الفرنسيون والروم في كثير من المناوشات خارج المدينة ، مع تحقيق مكاسب وخسائر على كلا الجانبين ، وحالما رأى لاسكارس بأن هناك قليل من الرجال

المتبقيين في سيزيكس ، وضع جزءا كبيرا من جيشه في أكبر عدد من المراكب التي توفرت له في البحر ، وأرسلهم إلى قلعة كيوتوس التي كان غوليوم دي سانز يحصنها ، وحاصرت هذه القوات القلعة من البر والبحر في يوم السبت الذي ساف أحد منتصف الصوم الكبير .

وكان بداخل القلعة أربعين فارسا كلهم من أحسن الرجال وعلى رأسهم ماكثير دي سانت مينهولد ، وكان المكان نفسه على أي حال لم يستكمل بعد تحصينه القوي ، وعليه كان بإمكان العدو أن يصل إلى الدفاعات ويهاجمهم بالرمح والسيوف ، وهاجم الروم القلعة بعنف وضراوة شديدين من كل من البحر والبر ، واستمر هذا الهجوم الضاري كامل يوم الأحد ودافع رجالنا عن أنفسهم بشكل رائع ، وفي الواقع إن مؤلف هذا الكتاب قد أكد بأنه ما من فرقة من أربعين فارسا قد قاومت قط هجوما بصورة أكثر بسالة ووقفت في وجه نزاع مماثل ، وأن هذا هو الحال واضح من حقيقة أنه من أربعين فارسا كان هناك خمسة تقريبا فقط جرحوا وقتل واحد ، وكان هذا هو ابن أخ ميلون لوبريبانت وكان اسمه جيلز .

وفي صباح السبت قبل بدء هذا الهجوم جاء رسول بأقصى سرعة إلى القسطنطينية ووجد الامبراطور هنري على العشاء في قصر بلا شرين فخاطبه قائلا : يا صاحب الجلالة إن رجالك في كيوتوس محاصرين من البر والبحر فإذا لم ترسل لهم مساعدة على الفور يؤخذون جميعا ويقتلون .

وكان مع الامبراطور راهب دي بيتوم وجيوفري دي فيلهارين وميلون لوبريبانت وقليل آخرون ، واجتمعوا معا فترة قصيرة ثم نزل الامبراطور إلى الأرض المحانية للرصيف في البناء وصعد إلى ظهر شيني كبيرة في حين أخذ كل من الآخرين أول سفينة أمكنه أن يجدها ، وبعد ذلك أعلن في أنحاء المدينة أن كل رجل هناك عليه أن يتبع الامبراطور في حاجة ملحة وأن يمضي معه لانقاذ رجاله الذين سيفقدون بغير ذلك ، وعلى الفور كانت مدينة القسطنطينية مستعدة

تمنع بالنبادقة والبيازنة ورجال البحر الآخرين من ذوي الخبرة وكلهم يتعثر في الآخر من عجلتهم للوصول إلى سفنهم .

وصعد الفرسان معهم وهم في كامل تسليحهم إلى السفن وكل من أصبح جاهزا أولا كان الأسرع في الخروج من الميناء في أعقاب الامبراطور ، وجذب المجذفون ما وسعهم الجهد كل المساء بقدر ما بقي الضوء ، وتابعوا خلال الليل حتى فجر اليوم التالي وكان الامبراطور هنري نفسه شجعهم على مجهودهم حتى أنهم وصلوا بعد شروق الشمس بقليل إلى مرمى البصر من كيبيوتوس وراوا العدو يطوقها من البر والبحر ، ولم ينم الرجال داخل القلعة تلك الليلة بل داوموا على الحراسة كل الوقت فيما كانوا مرضى أو جرحى بلا أمل كرجال لا يتوقعون شيئا سوى الموت .

ورأى الامبراطور أن الروم قد اقتربوا جدا من الأسوار وكانوا على وشك تجديد هجومهم ، في حين أنه حتى ذلك الحين كان لديه القليل فقط من شعبه معه ، بينهم كان المارشال جيوفري الذي كان في سفينة أخرى وميلون لوبريانت وبعض أهل بيزا وعدد من الفرسان ، وفي الاجمال كان لدينا نحو سبع عشرة سفينة من أحجام مختلفة وبعضها صغير ، في حين كان لدى العدو نحو الستين .

ومع ذلك أدرك رجالنا أنهم إذا انتقلوا البقية حتى يصلوا وتركوا الروم يهاجمون كيبيوتوس فإن اصدقاءهم بالداخل سيقتلون جميعا أو يؤخذون أسرى ، لهذا قرروا أن يشاغلوا العدو في الماء .

وأبحروا نحو سفن الروم وكل سفنهم تسير جنبا إلى جنب وكان كل رجل فوق سطح السفن كامل التسليح والخوذ مربوطة ، وحالما رأنا الروم الذين كانوا عند نقطة الهجوم على القلعة قادمين عرفوا بسرعة بأننا كنا جماعة مذقنة وقادوا سفنهم مبتعدين عن القلعة ليأتوا لملاقاتنا وفي الوقت نفسه تشكل الجيش الكبير من الخيالة والمشاة الذي نظموا على البر في صف على طول الشاطئ . وعندما

رأى النين'كانوا على ظهور سفن الأعداء أن الامبراطور وجماعته كانوا بالتصميم نفسه على مهاجمتهم انسحبوا باتجاه قواتهم التي على البر حتى تعطيهم هذه دعما يساهمها ومنجنيقاتها .

وشغلهم الامبراطور هكذا في الخليج بسفنه السبعة عشر حتى بدأت هجمات القادمين من قسطنطينية تصله ، وقبل سقوط الليل وصل عدد كبير جدا من هذه السفن حتى أن الفرنجة في كل مكان أصبحوا بقوة أعظم من قوة العدو في البحر ، وبعد اللقاء المراسي ، رقد الرجال النين على ظهورها بكامل سلاحهم كل الليل ، وقرروا أنه حالما يحل الضوء سيندفعون الى الشاطئ للاشتباك مع العدو والاستيلاء على سفنه أيضا ، ومع ذلك سحب الروم في منتصف الليل كل سفنهم الى البر وأشعلوا النار فيها وأحرقوها جميعا ثم قوضوا مخيمهم وهربوا .

وكان الامبراطور هنري ورجاله مسرورين جدا لأن الرب قد منحهم هذا النصر ، وسعداء لشعورهم بأنهم قد انقذوا أصدقاءهم ، وعندما طلع الصباح ذهبوا جميعا الى قلعة كيبوتوس ، حيث وجدوا شاغليها في غاية المرض ، والقسم الأعظم جرحى بجروح خطيرة ، وتفحصوا حالة القلعة وراوا أنها كانت من الضعف بحيث لا تستحق الاحتفاظ بها ، وعليه فقد أخذوا كل رجالهم الى ظهور السفن وتركوا المكان مهجورا .

وكان الملك جوهانيتزا في هذه الأثناء يحاصر أدرنه ولا يعطي السكان فيها ولا يعطي نفسه أي راحة ، وكانت عراداته تعمل ليلا ونهارا ، وكان لديه منها الكثير ، كانت مستمرة في إسطار أسوار المدينة وأبراجها بوابل من الحجارة وقد الحقت بها ضرا كبيرا ، وأطلق نفاييه للغم الأسوار وضايقوا المدافعين بهجمات متكررة وقاوم الرجال بداخل أدرنه سواء من الروم أو اللاتين بشجاعة ، ولكنهم كذلك أرسلوا رسائل متكررة للامبراطور هنري يتوسلون اليه أن يأتي لاغاثتهم ، ويحذرونه من أنه إذا لم يفعل ذلك

فإنهم سيخضعون تماما كلهم . وقد أفلقت هذه الرسائل الامبراطور للغاية حيث كلما كان على وشك الذهاب لمساعدة رجاله على أهد جوانب المضيق ، كان تيودور لاسكارس يشغل معظم رجاله بشدة على الجانب الآخر حتى يضطر للتراجع بحكم الضرورة .

وخلال كامل شهر نيسان بقي جوهانيتزا أمام أدرنه ، وكان قريبا جدا من أخذها حتى أنه خرق التحصينات في مكانين وهدمها الى الأرض الى حد أن رجاله كانوا قادرين على القتال بالأيدي بالسيوف والرماح ضد الموجودين بداخل المدينة ، ومرت بعد أخرى كان يخضع أدرنه للهجوم ولكن المدافعين كانوا يصدونهم بشجاعة ، وكانت هناك اصابات كبيرة على كلا الجانبين ، وعلى أي حال طالما أن الاحداث تجري بأمر الرب ومشيتته فقد حدث أن الكومان الذين ارسلهم جوهانيتزا لاجتياح الأرض ، اعلنوا عند عودتهم للمعسكر مع كل اسلحتهم أنهم لم يكونوا يذون البقاء طويلا في الجيش ، بل أنهم سيعودون الى بلادهم ، وعليه فقد انفصلوا عن جوهانيتزا ، وحيث أنه دون مساعدتهم لم يكن يجروء على البقاء أمام أدرنه فقد سحب قواته وغادر ، وان ملكا بهذه القوة يتخلى عن مدينة كانت وشيكة السقوط بدا وكأنه ليس بهيدا عن المعجزة للمحاصرين ، ولكن ما يريده الرب محتم الحدوث ، ومع ذلك فإن أهل أدرنه لم يضيعوا وقتا في التوسل للامبراطور في محبة الرب أن يأتي اليهم حالما يمكنه على الإطلاق ، لأنهم كما بينوا له لو أنه حدث أن جوهانيتزا عاد لقتلوا جميعا أو وقعوا في الأسر .

وكان الامبراطور يستعد للذهاب الى أدرنه باكبر عدد من الرجال توفر له ، عندما تلقى الاخبار المزعجة جدا أن جيون سيطريون ، والذي كان أمير البحر الرئيس في اسطول لاسكارس ، قد دخل الى قناة ابيدوس في مضيق سانت جورج مع سبع عشرة شيني كبيرة ووصل الى أمام سيزيكس التي كان يسيطر عليها بيير دي براسيو وباين دي اورليانز ، وكان الآن يحاصر المكان من البحر في حين كان لاسكارس يهاجمه من البر ، وعلاوة على ذلك ثار أهل تلك المنطقة

ضد بيير دي براسيو كما فعل أهل مرمرة التي كانت أيضا تابعة له ، وقد الحقوا به ضررا كبيرا وقتلوا عدد كبيرا من رجاله .

وعندما وصلت هذه الاخبار الى القسطنطينية سببت الكثير من القزع ، واستشار الامبراطور هنري رجاله الرئيسيين وباروناته والبنادقة ايضا ، واتفق الجميع على انهم ان لم يذهبوا لمساعدة بيير دي براسيو وباين دي اورليانز فان كليهما سيقتل وستضيع الارض التي يسيطران عليها ، وعليه فقد جرى تسليح اربع عشرة شيني كبيرة على الفور ، وصعد الى ظهورها الرجال من ذوي الطبقة العليا من البنادقة ، ومعهم بارونات الامبراطور .

وكان راهب دي بيتوم ورجاله في سفينة واحدة ، وجيوفري دي فيلهارين ورجاله في اخرى ، وما كاثيردي سانت مينهولد ورجاله في ثالثة ، وميلون لوبريبانت في الرابعة ، واندسودي كايو في خامسة ، ونائب الامير ديترس فون لوس في سادسة ، وغوليوم دي بيرشوا في سابعة ، واخو الامبراطور ، يوستاس في ثامنة ، وهكذا دواليك ، وهكذا وزع الامبراطور هنري بين هذه الشواني افضل الرجال الذين كانوا لديه ، وعندما ابعدوا الى خارج ميناء القسطنطينية قال الجميع بانهم لم يروا مطلقا سفنا افضل تسليحا ، او تدار من قبل رجال اكثر مهارة ، وعليه بدا السير الى ادرنة مرة اخرى بمفادرة الميناء .

وأبحرت السفن وجميع الرجال على ظهورها في المضيق ، متجهة الى سيزيكس ، لكن كيف علم ستيريون اميرال سفن لاسكارس بذلك ، لادري ، ولكنه سحب سفنه من امام سيزيكس ، وهرب بها الى مكان ابعد في المضيق ، وتابعت سفننا ليومين وليلتين ، عبر قناة ابيدوس وماوراءها باربين ميلا ، وعندما رأوا انهم لن يتمكنوا من اللحاق به ، استدار رجالنا وذهبوا الى سيزيكس ، حيث وجدوا بيير دي براسيو ، وباين دي اورليانز ، وكان تيو دور لاسكارس قد سحب من قبل قواته من امام المينة وعاد الى اراضيه ، وهكذا

تحررت سيزيكس ، وعاد رجال الامبراطور الى الاسطنطينية في سفنهم واعدوا مرة اخرى للسير الى ادرنة .

وارسل تيودور لاسكارس الان القسم الرئيسي من قواته الى ارض نيقوميديا وارسل رجال بيتريس فون لوس الذين حصنوا كنيسة سانت صوفيا ، وكانوا في تلك اللحظة يحتلونها الى سيدهم الامبراطور يتوسلون اليه ان يساعدهم ، اذ انه اذا لم يات احد لا غائتهم فانهم لن يستطيعوا الصمود ، سيما وانه ليست لديهم مؤن ، ومن منطلق الضرورة المحضة اضطر الامبراطور ورجاله مرة اخرى للتخلي عن خططهم بالتخلي عن ادرنة والصعود الى الجانب الجنوبي من مضيق سانت جورج لاغاة اصدقائهم في نيقوميديا .

وعندما سمعت قوات لاسكاريس ان الامبراطور قادم انسحبت من هذا القسم من البلاد وتراجعت نحو نيقية ، وما ان علم الامبراطور بذلك دعا باروناته معا لاستشارتهم ، فقرر ان يتركوا بيتريس فون لوس في نيقوميديا مع كل فرسانه وخيالته لحراسة المدينة والريف المحيط بها ، في حين يتركز ماكائيردي سانت مينهولد في كاراكس وغليوم دي بيرشوا في ستريكس ليحرس كل منهم الارض في جواره المباشر .

وبعد ذلك عاد الامبراطور هنري وبقية جيشه الى الاسطنطينية للتحضير مرة اخرى للسير الى ادرنة ، وبينما كان كل منهما هكذا ترك بيتريس فون لوس نيقوميديا وذهب مع غوليوم دي بيرشوا وكل رجالهما يوما في حملة للرعي والتماس المؤن ، وانتهز رجال تيودور لاسكارس هذه الفرصة وقاموا بهجوم مباغت وكان الروم الآن كثيرون جدا ، ورجالنا قليلون جدا وبدأت معركة واشتد كلاً الجانبين في قتال بالايدي ، ولكن قبل مضي وقت طويل لم تعد القوة قادرة على الصمود امام الكثرة .

وقاتل بيتريس فون لوس بشجاعة كبيرة وهكذا فعل كل رجاله ،

واسقط مرتين عن جواده وفي كل مرة كان رجاله يجدون صعوبة في اعادته الى ظهره واسقط غوليوم دي بيرس ايضا عن جواده ، ولكنه ايضا ساعد على العودة الى مكانه وانقذ من قبل رجاله ، وفي النهاية اثبت ضغط التفوق العندي انه اقوى من طاقة الفرندسيين وهزموا وجرح نيتريس فون لوس جرحا بليغا في وجهه حتى اقترب من الموت ، واخذ هو واكبر قسم من رجاله اسرى في هذه المواجهة ، وهرب القليل وهرب غوليوم دي بيرشوا وهو مجروح في يده من الميدان على كوب وهو جواد قوي قصير القوائم ، ولجا النين هربوا بعد هزيمتهم الى كنيسة سانت صوفيا ، وسمع مؤلف هذه الحولية لوما على هذه الكارثة يرتبط - سواء بحق او بغير حق لايمكن القول - بفارس معين يدعى اندسودي ريمي الذي مع انه كان واحدا من اتباع دتيرس فون لوس ويتولى قيامة رجاله تخلى عن سيده في القتال ، واما النين تدبروا امر العودة الى كنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا - أي غوليوم دي بيرشوا - واندسودي ريمي فقد ارسلوا رسولا باقضى سرعة الى الامبراطور هنري في القسطنطينية يحمل التفاهيل الكاملة عن المعركة ، واخبروه كيف ان نائب الامير دتيرس فون لوس قد اخذ هو ورجاله وكيف حوصروا هم انفسهم في كنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا ، و اضافوا بانه كان اليهم من الطعام مايكفيهم خمسة ايام ، وبانه اذا لم يات لنجدتهم فانهم سيقتلون جميعا بلا شك او يؤخذون اسرى ، وجوابا لهذه الصيحة المكروبة عبر الامبراطور ورجاله مضيق سانت جورج في عجلة يائسة وكل واحد يحاول ان يصل الى هناك باسرع ما يمكنه لانقاذ الرجال في نيقوميديا ، وهكذا اجلت حملة أدرفنة مرة اخرى .

- وحالما عبر الامبراطور المضيق ، نظم قواته ثم ساروا قدما حتى وصلوا بعد مسيرة عدة ايام الى نيقوميديا ، ولم يكن تيودور لاسكارس واخوته النين كاذوا يديرون الحصار يسمع بوصوله حتى انسحبوا الى الجانب الابعد من الجبل الواقع خارج نيقوميديا في اتجاه نيقية ، وعسكر الامبراطور بجانب المدينة في مرج جميل بجوار نهر ، وبعد ان نصبت خيامه وسرايقاته عند سفح المنحدرات الاقرب

- ٤٥٥٢ -

من الجبل ، ارسل قواته ليطوفوا بالريف المحيط بنيقوميبيا ، لان الناس في تلك المنطقة قد ثاروا ضد الفرنسيين حالما سمعوا ان بيترس فون لوس قد اخذ اسيرا ، وجمع رجال الامبراطور عددا كبيرا من الماشية واخذوا العبيد من الاسرى .

ومكث الامبراطور خمسة ايام في المرج المجاور لنيقوميبيا ، وبينما كان هناك ارسل تيودور لاسكارس مبعوثين لرؤيته مع عرض لهقد هدنة معه لمدة عامين ، على شرط ان يسمح للروم بتدمير سيزيكس وكنيسة سانت صوفيا المحصنة في نيقوميبيا ، ويتعهد لاسكارس من جانبه باعادة الاسرى الذين اخذهم في الهزيمة الاخيرة لرجال الامبراطور ، او في مناسبات اخرى ، وكان لديه عدد عظيم منهم .

واستشار الامبراطور جماعته ، الذين قالوا له انهم لا يستطيعون الاشتغال بالحرب على جبهتين في الوقت نفسه وانه من الافضل قبول فقدان هذين المكانين بدلا من المخاطرة بفقدان ادرنة ، والقسم الرئيس من الامبراطورية ، الى جانب انه بالموافقة على هذه الهدنة فانهم سيمزقون التحالف بين عدويهم كليهما ، الماك جوهانيقزا وتيودور لاسكارس اللذان كانا في تلك اللحظة صديقين يدعم كل منهما الآخر في الحرب .

وهكذا سوي الامر وتأكدت الهدنة ، وبعد هذا استدعى الامبراطور هنري بيير دي براسيو من سيزيكس ، وعند وصوله ، تدبر الامبراطور ، مع ان ذلك لم يكن بدون بعض المتاعب ، ان يحرضه على ان يضع سيزيكس بين يديه ، وكان الامبراطور نفسه قد سلم هذه المدينة ، وكذلك كنيسة سانت صوفيا في نيقوميبيا لتيودور لاسكارس ، ليدمرهما ، وهكذا تاكدت الهدنة ، وهدم الحصنان الى الارض ، وحرر بيتريس فون لوس وكل الاسرى الآخرين .

الفصل الحادي والعشرون رحلات خارج الامبراطورية

تموز - ايلول ١٢٠٧

وبعد ابرام اتفاق الهدنة عاد الامبراطور هنري الى القسطنطينية ، واعلن على الفور مشروعه بالذهاب الى ادرنة مع اكبر قوة كبيرة توفرت له ، وتحت قيادته ، وجمع جيشه في سيلمبريا ، ولكن وقتا طويلا جدا مضى الى حد ان هذا لم يحدث حتى بداية تموز ، بعد اسبوع او نحوه من عيد يوحنا المعمدان ، وانطلق الامبراطور وبعد مسيرة عدة ايام وصلوا الى ادرنة - حيث نصب مخيمه في المروج خارج المدينة .

وخرج اهل ادرنة النين طال شوقهم لمجيئه ، للقاءه في مواكب ، ورحبوا به بحماس عظيم ، وتجمع الروم من كل الريف المحيط ايضا هناك لتحيته .

وبقي الامبراطور يوما واحدا فقط معسكرا خارج ادرنة وهو الوقت الكافي بالضبط ليرى اي ضرر احدثته عرادات جوهانيتزا ونقابوه في اسوار المدينة وابوابها ، وتبين ان هذه كانت بالغة جدا . وخرج مرة اخرى في اليوم التالي وسار نحو بلاد جوهانيتزا ، واستغرقه الطريق اربعة ايام ، وفي اليوم الخامس وصل الى سفح الجبال الالاشية ، حيث كانت توجد مدينة تدعى يولوي ، كان جوهانيتزا قد اعاد إسكانها حديثا . وحالما رأى السكان الجيش الفرنسي قادما هربوا من المدينة ولجأوا الى الجبال .

وعسكر الامبراطور وجيشه امام المدينة ، وانطلقت مجموعات

البحث عن المؤن والعلف تتجول في الارض ، وامضوا عددا كبيرا من الثيران ، والابقار ، والجاموس ، اضافة الى الحيوانات الاخرى ، وكان بعض الناس من ادرنة قد احضروا عرباتهم معهم ، حيث انهم كانوا فقراء وفي حاجة للطعام حملوا هذه المركبات بالقمح والحبوب الاخرى ، ومكث الجيش هناك ثلاثة ايام ، وكانت مجموعات البحث عن المؤن تطوف بالريف للبحث عن الغنائم ، ولكن الارض في ذلك الاجزاء كانت جبلية وعرة جدا ، وكانت هناك شعاب عميقة كثيرة ، حتى ان الجيش فقد عددا من رجال التموين لانهم كانوا مفامرين اكثر مما يجب ولم ينظروا اين يذهبون .

وفي النهاية وضع الامبراطور هنري اخاه يوستاس وابن اخيه تيري دي فلاندرز ، وغوتيير دي اسكورتاي ، وهين بلايود كلا في قيادة مجموعة ، وارسلهم تحت قيادة انسودي كايوليحرسوا رجال التموين ، وفي احد الايام دخلت هذه المجموعات الاربعة خلال تأنيتها لمهمتها ، في منطقة ريفية جبلية وعرة جدا ، وعندما انتهى رجال التموين طوافهم في الارض ، وارادوا العودة الى المخيم وجدوا الشعاب محروسة جيدا بقوة من قبل الوالاشيين في تلك المنطقة ، الذين تجمعوا هناك ، وهاجم هؤلاء الفرنسيين محدثين اضرارا كثيرة سواء في الرجال او الخيل ، وتمكن رجالنا بمشقة من النجاة ومن الهزيمة الى حد انه في الواقع ان الفرسان اضطروا للنزول عن خيولهم ، والقتال على اقدامهم ، ومع ذلك بفضل الرب تدبروا امر العودة الى المعسكر وان لم يكن ذلك بدون معاناة خسائر كبيرة .

وفي اليوم التالي ترك الامبراطور هنري وجيشه يولوي وعادوا بالطريق الذي جاءوا منه ، حتى انه بعد مسير عدة ايام وصلوا الى ادرنة ، حيث خزنوا القمح والمؤن الاخرى التي جلبوها معهم ، وامضى الامبراطور الاسبوعين التاليين في المروج خارج المدينة .

وفي حوالي هذا الوقت شن المركيز دي مونتفرات ، الذي كان في

- ٤٥٥٥ -

سيريس التي اعاد بناءها وتحصينها غارات على كل الريف المحيط حتى ميزونوبولس ، وجعل تدريجيا كل الارض تحت حكمه ، وعندما تم ذلك بعث بالرسل الى الامبراطور هنري ليقول بأنه يرغب في التحدث معه ، وانه سيقابله بجانب النهر الذي يجري تحت ابسالا ، ولم يكن لدى الرجلين فرصة للكلام وجها لوجه ، منذ الغزو الفردي للامبراطورية ، لان كثيرا من الخصوم كاذوا بينهما حتى انه كان من المستحيل عليهما ان يلتقيا ، وعليه عندما سمع الامبراطور ومستشاروه بان المركيز كان في ميزونوبولس ابتهجوا ، وأرسل الامبراطور مع الرسل بأنه سيأتي لمقابلة المركيز في اليوم الذي حدده .

وانطلق الامبراطور هنري في طريقه ، تاركا راهب دي بيتوم مع مائة فارس في ادرنة ليحمي الريف المحيط ، وفي اليوم المحدد وصل هو ورجاله الى مكان الاجتماع الذي كان في مرج قرب مدينة ابسالا ، واقترب الامبراطور من المكان من جانب واحد ، والمركيز من الاخر ، وعبر كلاهما عن اعظم السرور باللقاء . ولم يكن هذا مدهشا ، حيث انهما لم يريا احدهما الاخر طيلة هذا الوقت الطويل .

وسال المركيز عن اخبار ابنته الامبراطورة اغنس ، وسر عندما اخبره الامبراطور بانها تنتظر طفلا ، وعليه اعطى المركيز البيعة للامبراطور (هنري) واصبح رجله وعليه ان يحصل على اراضيه منه ، كما حصل عليها من الامبراطور المتوفى اخيه ، وعرض المركيز بالتالي على جيوفري فيلها ردين مارشال رومانيا وشامبين الخيار بين ميينتين ، موزونوبولس ، مع كل ذوابعها او سيريس ، ايهما يفضل - لتكون ملكا خاصا له ، وهكذا اصبح المارشال تابعا للمركيز ، ولكن بدون اضرار بالولاء الذي كان يدين به لامبراطور القسطنطينية .

وامضى المركيز والامبراطور يومين سعيدين جدا معا في الميدان

الواقع تحت ايسالا ، وقالوا لبعضهما انه كما سمح الرب لهما باللقاء معا ، فقد يواجهان معا اعداءهما ويضايقانهما مرة اخرى ، واتفقا على اللقاء في نهاية الصيف ، في شهر تشرين اول مع كل قواتهما ، في المرج الواقع خارج ادرنة وان يشنا الحرب على ملك والاشيا وهكذا افترقا ، وكلاهما سعيد جدا ، وفي افضل مزاج. وعاد المركيز الى موزونوبولس وعاد الامبراطور هنري الى القسطنطينية .

ولم يمض على المركيز خمسة ايام في مدينته ، قبل ان يركب خارجا منها بناء على نصيحة الروم في تلك الاحواز بالقيام بحملة الى جبل موزونوبولس ، الذي كان على مسيرة يوم واحد ، وبعد ان ركب عبر الاراضي ، وكان يأخذ طريق العودة الى مقره ، تجمع البلغار وبملاحظة ان لديه قوتين صغيرتين فقط ، جاءوا من كل الريف المحيط ، وهاجموا قوات المؤخرة وفي اللحظة التي سمع فيها رجاله يطلقون صيحة التحنير ، قفز على حصانه وكان غير مسلح بالمرّة ومعه فقط رمح في يده ، وعندما وصل الى المكان الذي كان البلغار فيه على بعد قاب قوسين من قوات المؤخرة اندفع رأسا بينهم وردهم مسافة بعيدة .

وبينما كان مندفعاً خلفهم ، جرح المركيز جرحاً مميتاً في سلك الذراع تحت الكتف ، وبدأ ينزف دماً ، وعندما رأى رجاله ما حدث ، بدأت شجاعته تتحسر ، وتدهورت معنوياتهم وبدأوا ينهارون . وامسك القريبون من المركيز به ورفعوه ، وكان قد فقد دماً كثيرة حتى بدأ في الاغماء ، وبأدراك انهم لا يمكن ان يتوقعوا مزيداً من المساعدة من قائدهم ، استسلم رجاله للفرع وبدأوا يتخلون عنه ، وعليه نتيجة لمصادفة منحوسة هزموا واما النين بقوا مع المركيز - وكانوا قليلين جداً - فقتلوا ، وقطع البلغار رأس المركيز وارسلوه الى جوهانيتزا ، وكان هذا واحداً من اعظم المصائب التي استمتع بها ملك والاشيا على الاطلاق .

- ٤٥٥٧ -

وأسفا ، اي كارثة مأساوية للامبراطور هنري ، ولكل الرجال في
الامبراطورية من الفرنسيين والبنادقة على السواء ، يفقد مثل هذا
الرجل في مثل هذه الحادثة المشؤومة ، لقد كان رجلا من انبل
البارونات واكبرهم جميعا قلبا ، وواحدا من اشجع الفرسان في كل
النيا ! وحدثت هذه الواقعة الحزينة في السنة ١٢٠٧ لتجسيد
ربنا .

سقوط القسطنطينية للصليبيين

صنفه بالفرنسية القديمة

روبرت دي كلاري

سقوط القسطنطينية

١- هنا بداية أخبار الذين استولوا على القسطنطينية ،
وسنحدثك فيما يلي عنهم وعن الأسباب التي حدثت لهم للزحف
ضدها ، فقد حدث في الأيام التي كان فيها البابا
انوسنت (الثالث) يشغل الكرسي الرسولي في روما ، ويتولى فيه
الملك فيليب عرش فرنسا ، كان هناك فيليب آخر هو (أمير
سوابيا) امبراطور ألمانيا ، وكانت السنة سنة ألف ومائتين وثلاث
أو أربع (الصحيح ١٢٠٢) لتجسيد يسوع المسيح التي ظهر فيها
راهب اسمه فولك وكان من سكان نيللي ، وهي أسقفية تابعة
لرئاسة أساقفة باريس ، وكان هذا الراهب رجلاً تقياً ورجل دين
مستقيم يتحلّى بالكرم والطيبة ، وقد أخذ يطوف في مختلف البلدان
يدعو الى حمل الصليب ، وقد تبعه أعداد كبيرة من الناس ، ذلك أنه
بلغ من التقوى حدا تجلّى له فيه الرب بآيات باهرة ، وقد جمع هذا
الراهب كميات كبيرة من المال ليأخذها معه الى الأراضي المقدسة
فيما وراء البحار .

وارتدى في هذه الآونة شارة الصليب كل من ثيوت كونت
شامبين ، وبلوين كونت فلاندرز ، وأخوه هنري ، ولويس كونت
بلوا ، وهيو كونت سانت بول ، وسيمون كونت مونتفرات ، وأخوه
غي .

وسأخبرك الآن بأسماء الأساقفة الذين أسهموا في الحملة ، فقد
كان منهم نيفلون أسقف سواسون ، وكان رجلاً ماهراً قادراً على
انجاز أي مهمة تعهد اليه ، يهب الى مساعدة كل من يطلب منه
ذلك ، وكان هناك أيضاً فارنية أسقف تروي ، و (كونراد) أسقف
هالبرشتات في ألمانيا ، ويوحنا دي نويون ، الذي اختير فيما بعد
أسقفاً لمدينة عكا ، وكان هناك أيضاً راعي دير لوس في

فلاندرز ، وهو واحد من أديرة الرهبان الفرنسيين ، وكان هذا
الراعي رجلا مدبرا عظيم الدين والاستقامة والفضل والطيب ، كما
وكان هناك أعداد كبيرة أخرى من رعاة الأديرة ورجالات
الأكليروس ، من الصعب تذكر أسماءهم جميعا ، لهذا اكتفينا بذكر
بعض الأسماء منهم ، وفي الوقت نفسه من غير الممكن بالنسبة لنا
تعداد أسماء جميع البارونات الذين حملوا شارة
الصليب ، وسأكتفي بتسمية بعضهم فقط ، ومن هؤلاء السيد بيتر
الدمياني من أمينوا ، وكان فارسا شجاعا يتمتع باللفظ
والاستقامة ، والسيد أنجردي بوفيز ، وكان أحد أخوة
أربعة (ثانيهم روبرت وثالثهم هيو وكان رابعهم راهبا) واشترك
أيضا بلنوين دي بوفو ، وماثيودي والنكوت المحامي عن دير بيثون
وأخوه كونون ، ويوستاس دي كانتليه ، وأنسودي كايو ، ورينو
دي ترتيت ، وويلزدي فريز ، وهيرالد دي مانشيكورت ، ونقولا دي
ميللي ، وبلنوين كافاروم ، وهيو دي بوفيه ، وعدد كبير آخر من
الفرسان والرجالات الكبار من بين الفلمنكيين والبلدان
والأخرى ، ممن لا يمكنني ذكر أسمائهم جميعا .

وأسمهم في حمل شارة الصليب جيمس دي أفين ، وأوتودي
شامبلت وهو من برغنديا ، وأخوه وليم الذي حوى الجيش عددا
كبيرا من رجاله ، وكان هناك أعداد أخرى من برغنديا ليس
بإمكانني تعداد أسمائهم جميعا ، واشترك أيضا من شامبيين
مارشالها (المؤرخ فلهاردين) وأوجيه دي سسانت
شيرون ، وماكيردي سانت ماينهولد ، وكلامبو دي شاب ، ومينر
البربنتي ، وهؤلاء جميعا قدموا من شامبيين .

وكان هناك أيضا محافظ كوري ، وروبرت دي
رونسوي ، وماثيو دي مونت مورنسي ، وكان رجلا فاضلا
مستقيما ، وراؤول ألنوي ، وابنه وولتر ، وجيل أولنوي ، وبيتر
دي براشو ، وكان فارسا شجاعا بأسلا مستقيما وأخوه
هيو ، وهؤلاء جميعا كانوا من فرنسا ومن بوفيزي . وشارك في

الحملة من شارتران : جرفيه دي شاتل وابنه هرفيه ، وأولفريدي
روشفورت ، وبيتردي الوست ، وبايين الأرياني ، وبيتر
الديمياني ، وكان قارسا قويا شجاعا ، وأظهر كثيرا من المقدرة
والكفاءة ، وأخوه توماس وكان راهبا ، وكاهن
أميين ، ومناسيس من أهل ليل في فلاندرز ، وماثيو دي
مونتورنسي ، ومحافظ كوربي .

ومع هؤلاء وجد عدد كبير من الفرسان من فرنسا وفلاندرز
وشامبين ، وبرغنديا ، ومن بلدان أخرى كثيرة ليس بالامكان ذكر
أسمائهم جميعا ، بيد أنهم كانوا بأجمعهم من الفرسان الشجعان
المهرة ، وكان الذين عدناهم لك من أثرياء الناس وأعلامهم
مكانة ، وكانوا يحملون الرايات بأيديهم ، هذا ولم نذكر جميع الذين
كانوا يحملون الرايات ، وأما الذين قاموا بجليل الانجازات
والبطولات الخارقة من الفقراء والأغنياء فكان منهم ممن نستطيع
ذكرهم : بيتر دي براشو ، وكان من الأثرياء وقد قام بأعظم أعمال
البطولة ، وكذلك أخوه غي ، وأندريه دي ديربواز واللورد بيتر
الديمياني العظيم ، وماثيو دي مونتورنسي ، وماثيو
وارلنكورت ، وبلنوين دي بورفوار ، وهنري أخو كونت
فلاندرز ، وجيمس دي أفين ، وكان هؤلاء من الأثرياء الذين قاموا
بأعظم انجازات القتال .

ونذكر من الفقراء : برنارد دي إير ، وبرنارد دي
سوبرنجان ، ويوستاس دي هيمونت وأخوه ، وجلبرت دي فيسم ،
وويلز دي فريز ، وهيو دي بوقيه ، وروبرت دي رونسوي ، والآرد
ماكرو ، ونقولا دي ميللي ، وغني دي مانشيكورت ، وبلنوين دي
هاملينكورت ، ووليم دي ير فيل ، والليوم دي كلاري ، كاهن
أمينوا ، وكان رجلا فاضلا ، أنجز أعمالا كثيرة من المهارة
والقوة ، والليوم دي سين وويلرام دي فونتين .

ان الذين أتينا على تعداد أسمائهم هم من قام بأعظم أعمال

الشجاعة والمقدرة في القتال ، ومثلهم فعل آخرون كثير كانوا من القوم الصالحين ، من فرسان ورجالة ، إنهم آلاف مؤلفة أعجز عن احصائهم .

٢- وتقاطر للاجتماع كل الذين حملوا شارة الصليب من الأمراء وكبار البارونات ، وبعثوا يطلبون جميع أعيان الناس الذين حملوا شارة الصليب ، حتى اذا التأموا وعقد اجتماعهم أخذوا يتداولون فيما بينهم بحثا عن يقدمونه لرئاستهم وقيادتهم ، وأخيرا عقد اجتماعهم على انتخاب الكونت ثيوت دي شامبين ، فعينه قائدا لهم ، وبعدما فرغوا من تعيينه انفصل كل واحد منهم عن الآخر وكر راجعا الى بلده ، غير أنه مابرح كونت ثيوت أن طالته يد المنية بعد اختياره بأمد وجيز ، وحين مات خلف للصليبيين ولن ستؤول اليه قيادتهم من بعده وتقدماتهم خمسمائة ألف قطعة نقدية (ذهبية) ، وأوصى أن ينفق الصليبيون هذا المبلغ وفق أهوائهم .

٣- كما ومات السيد فولك ، فشكل موته خسارة كبيرة وفاجعة عظيمة نزلت بحملة الصليب ، وبعدما عرف حملة الصليب أن مقدمهم كونت شامبين قد توفي وكذلك السيد فولك شعروا بحزن شديد ، وقلقوا وتشربت قلوبهم الحزن والأسى ، فاجتمعوا في سواسون في يوم اتفقوا عليه ، وتداولوا فيما بينهم حول ما ينبغي عليهم القيام به ، والى من سيسوقون زعامتهم ويقدمونه قائدا عليهم ، وأخيرا قر رأيهم على أن يبعثوا الى لومبارديا يطلبون الماركيز دي مونتفرات ، ومن ثم بادروا فبعثوا اليه بعدد من السفراء المناسبين ، ومضى هؤلاء الى لومبارديا بعدما أكملوا استعداداتهم ، والتقوا هناك بالماركيز وأبلغوه أن بارونات فرنسا يبعثون اليه رسالة ، ويتوسلون اليه باسم الرب ليقدم عليهم في يوم بينوه له للتحديث اليهم ، ولدى سماع الماركيز هذه الرسالة تنولاه العجب واستببت به الدهشة ، وتسائل لماذا اختصة بارونات فرنسا بون سواء فبعثوا اليه برسلكهم ؟ ثم أخبرهم أنه سيفكر بالموضوع

- ٤٥٦٥ -

وسيبخبرهم غدا بما يراه ويقرره ، هذا وأكرم الماركيز الرسل
إكراما عظيما .

٤- وأخبرهم الماركيز في اليوم التالي أنه سيذهب في اليوم المحدد
الى سواسون للتداول معهم ، وبناء عليه ودعه الرسل وانصرفوا
عائدين ، وقد عرض الماركيز تزويدهم ببعض الخيول ومنحهم بعض
المجوهرات ، فشكروه واعتنروا عن أخذ شيء منه .

وبعدما عاد الرسل الى البارونات أعلموهم بالذي فعلوه ، وفي
الوقت نفسه حمل الماركيز سلاحه واجتاز جبل مونت جو ، وتابع
سفره في فرنسا حتى وصل الى سواسون ، وكان قد أرسل أمامه
من يخبر البارونات بمقدمه ، وخف هؤلاء للترحيب به ، وقد أكرموا
وفادته غاية الاكرام .

٥- وبعدما وصل الماركيز الى سواسون سأل البارونات عما
دفعهم الى طلبه ، وفيما اذا كان صدر عن رأي جماعي
منهم ، فأخبروه بالايجاب وقالوا : « لقد بعثنا برسلا اليك
يامولانا ، لأن كونت شامبين قد توفي ، وهو الذي كان قائدا ،
وفعلنا ذلك على أساس أنك أعظم رجل مستقيم نعرفه ، وأنت النبيل
الوحيد الذي يمكنه - بمشيئة الرب - أن يمحضنا الرأي الصائب
فيما يتعلق بخططنا ، ونحن نتوسل اليك جميعا باسم الرب أن تقبل
التقدم علينا وتتراسنا ، وأن تحمل شارة الصليب محبة بالرب » ،
وتفوه البارونات بهذه الكلمات وهم جاثون أمامه ، وأعلموه أن عليه
عدم الاهتمام والخوف من القيام بأعباء هذه المهمة لأنهم سيقدمون
له الشطر الأكبر من المال الذي تركه كونت شامبين للصليبيين .

فأعلمهم الماركيز أنه سيفكر بالأمر ويقلب وجوه الرأي
حوله ، وبعدما فعل ذلك أخبرهم أنه سيجعل شارة الصليب في سبيل
الرب ومحبة به ، ولانتفاذ الاراضي الواقعة فيما وراء البحار ، وهنا
بادر أسقف سواسون الى مباركة الماركيز ومسحه وناول له

الصليب ، وما أن حملة حتى أعطوه خمسة وعشرين ألف مارك من الأموال التي تركها كونت شامبين للصليبيين .

وبعدما تناول الماركيز الصليب توجه بالخطاب الى البارونات قائلا : « أيها السادة الى أي من بلاد ما وراء البحر ستقصدون ، وأي بلد من بلاد المسلمين تستهدفون؟ » فاجابوه بأنه ليس بودهم التوجه الى سورية لأنهم لن يكونوا هناك قادرين على انجاز شيء نافع ، وهم يفكرون بالتوجه الى مصر وقصد الاسكندرية أو القاهرة قلب الأحداث ، وحيث يأملون أن يكونوا قادرين على انجاز أعمال أعظم خطورة ، وأنه لهذه الغاية قد خططوا لاكتراء اسطول يكون بإمكانه نقلهم جميعا الى مقصدهم ، وأثنى الماركيز على خطتهم الحكيمة هذه ، وأعلمهم بموافقته عليها تمام الموافقة ، وأنه بات عليهم ارسال رسل من خيرة فرسانهم الى بيزا ، أو جنوى ، أو البندقية ، فوافق البارونات جميعا على هذا الاقتراح .

٦- واثراً لهذا انتخبوا رسلهم ، ووقع اختيارهم بالاجماع على أن تتكون هذه السفارة من الحامي عن بيثون ومارشال شامبين ، وبعدما تم هذا الاختيار تفرق جمعهم ، فعاد الماركيز الى بلده ، وحذا الآخرون حذوه ، وذلك بعدما كلفوا الرسل بالعمل على استئجار اسطول فيه من السفن مايكفي لنقل أربعة آلاف فارس مع عتادهم وكذلك مائة ألف راجل ، وهياً الرسل أنفسهم ، وانطلقوا بدون تأخير فوصلوا أولاً الى جنوى ، وهناك شرعوا بالتفاوض مع الجنوبية ، وذلك بعدما أعلموهم بما أرسلوا من أجله ، فأجابهم الجنوبية أن ليس بإمكانهم المساهمة في مشروعهم الذي قدموا من أجله ، وبناء عليه توجهوا الى بيزا ، وتباحثوا مع البيازنة حول المسألة ، فاعتذروا اليهم لعدم توفر السفن الكافية لديهم ، ولهذا أعلموهم أن ليس بإمكانهم المساهمة ، وحينذاك قصد الرسل مدينة البندقية ، فأخبروا بوجهها بما جاءوا بسببه ، وأعلموهم أنهم يريدون اكتراء اسطول يمكنه نقل أربعة آلاف فارس مع كامل عتادهم ومائة

ألف من الرجال ، وبعدها أصغى الدوج الى هذا المطلب أعلمهم أنه سيفكر بالمسألة ، لأن ما جاءوا يطلبونه يحتاج الى إيمان وتفكير عميق ، ثم دعا اليه كبار أركان المدينة ورجالاتها ، وتحصت معهم وأطلعهم على مطلب الرسل منه ، وبعدها تداول وأعوانه حول هذا الأمر منفردين ، أرسل وراء الرسل وأخبرهم قائلًا : « أيها السادة نحن مستعدين للاستجابة الى مطلبكم ، وسنعد عمارة بحرية كبيرة اذا رضىتم بدفع مائة ألف قطعة (مارك) نقدية ذهبية لنا ، وليكن معلوما من طرفكم أنني سأمضي معكم برفقة نصف القادرين على حمل السلاح من سكان البندقية ، على أن يكون نصيبنا النصف من جميع الغنائم التي ستقع في أيدينا هناك ، وسنضيف الى هذه العمارة خمسين شينيا نتولى نحن البنادقة الانفاق عليها ، وسننقلكم في مدى عام من اليوم الذي نتفق عليه الى أي بلد شئتم ، سواء أكان هذا البلد الاسكندرية أم القاهرة .

٧- وعندما سمع الرسل هذا أجابوه : إن مبلغ المائة ألف مبلغ كبير جدا ، ثم تداولوا وتساوموا حتى تمت الموافقة على دفع مبلغ سبعة وثمانين ألف مارك ، وإثر ذلك أقسم الدوج ورجال البندقية والرسل على الوفاء بهذا الاتفاق وتنفيذه ، وبناء عليه أعلمهم الدوج أنه يود الحصول على مبلغ خمسة وعشرين ألف مارك كدفعة معجلة ليشرع في أعمال بناء السفن ، فأجاب الرسل بالإيجاب ، وطلبوا منه أن يرسل معهم الى فرنسا من يفوضه لاستلام هذا المبلغ وهو خمسة وعشرين ألف مارك ، ثم استأذن الرسل في العودة فبعث معهم الدوج واحدا من أعيان شخصيات البندقية ليقبض المبلغ المتفق عليه .

ثم أمر الدوج أن يعلن في جميع أطراف البندقية الا يشغل أي بندقى نفسه بشاغل غير التفرغ للأسهام في بناء السفن ، ففعلوا ونفذوا الذي أمروا به ، وأخذوا يعملون بكل جد في بناء الأسطول ، الذي جاء أعظم أسطول يمكن للعين أن تراه ، وما أن وصل الرسل الى فرنسا حتى عمموا خبر عودتهم ، وهكذا وجهت

الدعوة الى كل البارونات الذين حملوا شارة الصليب للقدوم الى كوربي بكل سرعة للاطلاع على ماتم .

٨- وبعدها تكامل قدوم البارونات أخبرهم الرسل بالذي تم الاتفاق عليه ، وسر البارونات لدى سماعهم الخبر سرورا عظيما ، فأقروا الاتفاق وأكرموا رسل دوج البندقية وأعطوهم بعضا من المال الذي خلفه كونت شامبين ، مع بعض ماكان السيد فولك قد جمعه ، زد على هذا دفع كونت فلاندرز بعضا من ماله لاكمال المبلغ المدفوع الى خمسة وعشرين ألف مارك ، وبعدها تسلم دوج البندقية المبلغ زودهم البارونات بتصريح مرور يضمن سلامة الوصول عائدين الى البندقية .

٩- وأرسلت بعد هذا رسائل الى الصليبيين جميعا في كل مكان بوجوب الانطلاق في عيد الفصح نحو البندقية ، على أن يكونوا في البندقية فيما بين عيد العنصره وشهر آب ، والا يتخلف أحد عن القنوم ، فانصاع الجميع للأوامر ، وهكذا لم يمض عيد الفصح حتى تحركوا جميعا ، وخرج العديد من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والزوجات والأطفال وهم ينتحبون على فراق أحبائهم الاعزاء عليهم .

١٠ - وبعدها تقاطرت جموع الحجاج على البندقية ، واجتمعوا هناك ، وشهدوا سفن الاسطول الكبيرة ، وتأملوا منظر الشواني وسفن الحمولة التي أعدت لنقل الخيول ، والبطسات ، سروا كثيرا وعجبوا لما حوته البندقية ودهشوا لثرواتها الهائلة ، وعندما عرفوا أن المدينة لن تستوعبهم جميعا ، اتفقوا فيما بينهم على التحرك للاقامة في جزيرة سانت نقولا التي كان البحر يحيط بها من كل جانب ، وهي واقعة على مسافة فرسخ واحد من البندقية ، وبناء عليه انتقل الحجاج إلى هناك ونصبوا خيامهم ، وأقاموا عل أفضل حال توفر لهم .

١١- وعندما عرف بوج البندقية بوصول جماعات الحجاج جميعا أرسل وراء رجال مدينة البندقية ، وعندما اجتمعوا أمامه أمرهم بأن يستعد نصفهم ويتهيأوا للسفر في رفقة الحجاج في الاسطول ، وعندما سمع البنادقة هذا الأمر سر بعضهم سرورا كبيرا ، غير أن بعضهم الآخر أعلنوا أنه لا يمكنهم السفر ، وتناقشوا بشأن الطريقة التي يمكن فيها اختيار النصف الذي سيرافق الحملة ، وصنعوا أخيرا قرعة على الشكل التالي : وضعوا كرات من الشمع كل اثنتين معا ، وجعلوا في احدهما قطعة من الورق ، ثم ذهبوا الى الشمس وأعطوه الكرات ، فرسم على الأوراق علامة الصليب ، وكان يعطي كل اثنين من البنادقة كرتين لاعلى التعيين ، فمن كان يصيبه الكره التي تحتوي على الورقة المكتوبة توجب عليه الرحيل ومرافقة الاسطول وبهذه الوساطة انشطروا الى قسمين .

١٢- وعندما قرر قرار الحجاج في جزيرة سانت نقولا توجه بوج البندقية وأعيانها اليهم للتداول معهم ، وطالبوهم بسداد بقية ثمن السفن التي اعلنوها لنقلهم ، وأخبرهم الدوج أنهم لم يحسنوا صنعا حين بعثوا رسلهم يطلبون بناء اسطول قدرته نقل أربعة آلاف فارس مع عتادهم ومائة ألف راجل بينما لم يحضر من هؤلاء الآلاف الأربعة أكثر من ألف فقط ، بسبب سفر الآخرين من مراسي أخرى غير مرسى البندقية ، ثم أنه لم يحضر من المائة ألف من الرجال أكثر من خمسين أيضا أو ستين ، وبناء عليه قال الدوج : « أننا نطلب منكم دفع المبلغ المتفق عليه فيما بيننا » ولدى سماع الصليبيين هذا الطلب أخذوا يتشاورون فيما بينهم ، ثم قر رأيهم على ان يدفع كل فارس أربعة ماركات عن نفسه وأربعة أخرى عن حصانة ، وأن يدفع كل واحد من السيرجانتية ماركين ، والا يقل ما يدفعه كل واحد من البقية عن مارك واحد ، وعندما دفعوا الى البنادقة ما جمعوه من المال ، تبين لهم أنهم ما يزالون مدينين للبنادقة بخمسين ألف مارك توجب عليهم سدادها .

وغضب الدوج والبنادقة غضبا عظيما عندما شهدوا أن الحجاج لم يدفعوا لهم سوى هذا المبلغ ، ولهذا السبب قال لهم الدوج : « أيها السادة ، لقد الحقتم بنا الضرر ، لأنه منذ أن غادر رسلكم الذين عقدوا معي هذه الاتفاقية ، أصدرت أوامري الى جميع سكان بلادي أن يتخلى كل حرفي عن حرفته وتجارته وأن ينخرط الجميع في العمل لاعداد سفن الاسطول الراسية أمامكم ، ولقد ظل الجميع يعملون بصورة متواصلة مدة عام ونصف العام ، فكانت خسائرهم كبيرة ، ولهذا أطلبكم أنا وأتباعي بدفع المال الذي مازلتهم مدينين به لنا ، وإذا لم تسددوا هذه المبالغ ليكن بمعلوماتكم أنه لن يكون بإمكانكم مغادرة هذه الجزيرة ، فقبل سداد ما هو متوجب عليكم لن تجدوا أحدا يأتيكم بالمؤن والمياه »

ومع هذا فإن الدوج الذي كان رجلا مستقيما وفاضلا لم يتوقف عن تزويدهم بما يكفيهم من ماء وطعام .

١٣- وعندما سمع البارونات والحجاج ما قاله الدوج عظم أساهم ، وتضاعف حزنهم ، وعادوا مرة أخرى الجمع واستدانوا ما أمكنهم استدانتهم ممن خيل اليهم أن معهم بعضا من مال ، وسددوا ما جمعهوا الى البنادقة ، ومع هذا وجدوا أن ما بقي عليهم سداد مبالغ ستة وثلاثين ألف مارك ، وهنا أخبروا البنادقة أنه قد ضاقت بهم الحال ، وافتقروا وتأزمت أحوال الجيش بسبب ما جمعهوا منه من مال وأعلموهم أنه ماعاد بالامكان جمع المزيد فالذي تبقى يكفي بالكاد لاعالة الجيش .

وعندما أدرك الدوج أنهم بالفعل باتوا عاجزين عن سداد بقية المبلغ ، وأنهم بالواقع بدأوا يعانون من الفقر تكلم الى رجالات قومه وخاطبهم قائلا : « أيها السادة ، اذا تركنا هؤلاء الناس يعوبون الى بلدانهم وضمننا الناس الى أبد الأبد بالخبث والاحتتيال ، وأنه لجدير بنا ومفيد أن نذهب اليهم ونخبرهم أننا موافقون على نقلهم بحرا شريطة القبول بتسديد المبلغ المتبقي وهو ستة وثلاثين ألف

مارك من أول الغنائم التي سيحصلون عليها ، ووافق البنادقة على اقتراح الدوج هذا ورحبوا به وتوجه الدوج وصحبه في اليوم التالي الى حيث أقام الحجاج ، وتوجه اليهم بالخطاب قائلاً : « أيها السادة ، لقد تداولت أنا وشعبي حول مسألة المبلغ المتبقي واتفقنا على أن نتولى نقلكم على ظهر سفننا اذا أديتم الاستعداد لدفع مبلغ ستة وثلاثين ألف مارك المتبقي لنا بمذمتكم من أول غنائم تحصلون عليها في المستقبل ، ووعدتمونا وعداً مؤكداً بذلك » وعندما فهم الصليبيون اقتراح الدوج وخطابه ، انفجرت أساريهم واستبشروا ، وانكبوا أمام قدمية مسرورين ، ووعده وعداً أكيدا لارجعة فيه أنهم سيفعلون كل ماأشار به واقترحه عليهم ، وأمضوا ليلتهم في غبطة تامة ، ولم يبق أي واحد فقير أو غيره الا وأقام اضاءة كبيرة أمام مقره ، ثم حملوا مشاعل عظيمة شدوها الى أطراف رماحهم وركزوها داخل معسكرهم وخارجه ، حتى بات يخيّل للراشي أن المعسكر قد استحال الى شعلة من نار .

١٤- وبعد هذا جاء الدوج وتوجه بالخطاب الى البارونات قائلاً : « أيها السادة ، لقد بتنا الآن على أبواب الشتاء ، ولهذا لايمكننا ركوب البحر ، ولايمكن لأحد أن يلومني على ذلك ، فقد كان بودي نقلكم منذ أمد طويل ، لكن أنتم سببتم التأخير ، والآن أرى أن نستفيد مما نحن فيه ، فعلى مقربة منا مدينة اسمها زارا » لقينا من أهلها الضرر العظيم ، وبودي أنا وشعبي أن نثار منهم ، لو وجدنا الى ذلك سبيلا ، فاذا وثقتم بي توجهنا اليها ، وأمضينا بها الشتاء حتى حلول عيد الفصح ، واثّر ذلك نعد الاسطول ونقلع به الى ماوراء البحار في سبيل خدمة الرب ، واعلموا أن زارا بلدة جميلة جداً ، وحافلة بالخيرات والنخائر .

ووافق البارونات ورجال الصليبيين على اقتراح الدوج ، غير أن الجيش بمجمله لم يعرف شيئاً عما دار ، ولم يقف على خبر هذه الخطة سوى أعلى رجاله مرتبه ، وبناء عليه أعدوا عنتهم وهبأوا

سفنهم وأنزلوها الى الماء واستقل كل واحد من علية القوم مع أتباعه سفينة خاصة ، كما أخذ سفينة حمولة لنقل خيوله ، أما الدوج فكان معه خمسون شينيا كلها أعدها على حسابه الخاص ، وطلبت السفينة التي ركبها باللون الأرجواني ونشرت فوقها قلع من القماش الأرجواني الفاخر ، وكان على ظهرها أربعة أبواق فضية كانت تصدح أمامه وعدة طبول تقرر بأصوات عالية شديدة ، وعندما حان وقت الاقلاع أبدى رجال الحملة جميعا ورجال الاكليروس والعلمانيون - صغيرهم وكبيرهم - سرورا عظيما لم يشاهد مثله قط ، وكان الاسطول فحما لم تر عين مثله قط ، ولم تسمع بمثله أذن ، وطلب الحجاج من الرهبان ورجال الاكليروس الارتقاء الى أعالي مؤخرات السفن وترتيل الأناشيد في مديح روح القدس ، وأجهش الجميع كبارا وصغارا بالبكاء لشدة انفعالهم وسرورهم من الاعماق .

١٥- وعندما أقلع هذا الاسطول من مرسى البندقية ، واندفعت الشواني والسفن العملاقة وسواها من المراكب الكثيرة، كان المنظر ابهى ماراته عين منذ أن أبدع الله الكون ، فقد كان هناك مائة زوج من الأبواق الفضية والنحاسية كلها كانت تصدح وقت الاقلاع ، وكان هناك أيضا عددا كبيرا من الطبول والكوسات وغيرها من الآلات ، مما شكل اعجوبة رائعة ، حتى اذا صاروا في عرض البحر ، ونشرت السفن قلعها ورقعت الرايات على مؤخرة كل سفينة ، وعرضوا رنوكهم خيل للمشاهدين أن البحربات يضطرب بأجمعه متجاوبا مع فرحة القوم ، وأنه استحال الى شعلة براقه بسبب السفن التي كانت تمخر عبابه ، .

وظلوا سائرين تدفعهم ريح طيبة حتى مدينة اسمها بولا ، فتوقفوا عندها لنيل قسط من الراحة وللتزود بالماء وما لزم من مؤن ونخائر ، وبعدما حملوا ما حصلوا عليه ، أبحروا ثانية ، ولئن كان سرورهم في المرة الماضية واجتفالههم عظيما فان اجتفالههم هذه المرة كان مضاعفا ، وسرورهم كان يفوق

الوصف ، حتى أنه استتبت الدهشة بأهل المدينة لما رأوه من فرح ، ولشهد ذلك الاسطول الجبار ومنظره الرائع ، وقالوا محقين : انهم لم يشهدوا قط اسطولا أروع أو أغنى من هذا الاسطول الواقف أمامهم ولم يحدث قط أن تجمع مثله في أي بلد من البلدان

١٦- وتابع الحجاج والبنادقة ابصارهم حتى وصلوا الى مدينة زارا ، ليلة عيد القديس سانت مارتن ، وأصيب سكان المدينة بالهلع لدى رؤيتهم لهذا الاسطول العملاق الذي أخذ يقترب منهم ، فبادروا الى اغلاق أبواب مدينتهم وحملوا سلاحهم للدفاع عن انفسهم بقدر مايمكنهم ، وبعدما عرف الدوج ذلك واقترب الاسطول من المدينة خاطب الدوج بارونات الجيش بقوله : « أيها السادة لقد ألحقت هذه المدينة بي وبشعبي مضار عظيمة وأذى كبيرا ، وأنه لمن دواعي سروري الانتقام منها ، لهذا أرجو مساعدتكم » ، ورحب البارونات ورجالات الجيش بطلبه ووعدوه باسداء العون عن طيب خاطر °

١٧- وبما أن أهل زارا كانوا يعرفون معرفة يقينية درجة كراهية البنادقة لهم ، فقد حصلوا على منشور من روما فيه قرار بحرمان كل من تحدثه نفسه بمهاجمتهم أو الحاق الضرر بهم ، وبناء عليه بعثوا بنسخة من هذا المنشور الى الدوج وإلى الحجاج الذين أرسوا سفنهم أمام المدينة ، وبعدما وصل الرسل الى المعسكر قاموا بتلاوة المنشور أمام الدوج والحجاج ، وبعدما فرغوا من تلاوته واستوعبه الدوج أعلن أنه لن يتراجع عن أخذ ثأره من مدينة زارا ، وأن مامن قوة يمكن أن تثنيه عن عزمه ، حتى وإن تمثلت بقرار الحرمان البابوي ، وعند ذلك انصرف الرسل ، ورجع الدوج الى مخاطبة البارونات فقال لهم : « أيها السادة ، أرجو أن تتيقنوا تماما أنني لن أتخلي مهما كانت الضغوط عن الانتقام من أهل زارا ، حتى مع وجود قرار البابا بالحرمان » ، ثم طلب من البارونات تقديم العون له ، فاستجابوا جميعا لمطلبه ، ووعدوه بالمساعدة بكل طيبة خاطر ، وذلك باستثناء كل من سسيمون

كونت مونتفورت ، والسيد انجيراند دي بوفيز ، حيث أعلننا أنهما لن يقتربا عملا فيه ما يخالف أوامر البابا والكرسي الرسولي ، وأنهما لهذا لن يرضيهما صدور قرار ضدهما بالحرمان ، وما لبثا أن أعدا عدتهما للرحيل ، فتوجها الى بلاد المجر لقضاء فصل الشتاء هناك .

١٨ - وعندما عرف الدوج أن البارونات على استعداد تام للاسهام معه ، أمر بنصب معداته للهجوم على المدينة ، وقاتلها وشدد عليها الخناق حتى أدرك أهلها أنه لم تبق لديهم قدرة على المقاومة ، وهنا التمسوا الرحمة من الصليبيين وسلموا المدينة للغزاة ، فدخلها الحجاج والبنادقة ، واقتسموها فيما بينهم نصف للحجاج والنصف الآخر للبنادقة .

١٩ - وحدث بعد هذا أن نشب قتال عنيف بين البنادقة وجماعة كبيرة من الحجاج ، دام طوال الليل ثم الى منتصف النهار التالي ، وبلغ القتال شدة عظيمة حتى لم يعد بإمكان الفرسان الفصل بين المتحاربين إلا بعد طول معاناة ، وبعدما فصلوا بينهم أبرموا صلحا مشرفا بين الطرفين ، أزال رواسب سوء النوايا من نفوس الفريقين .

وإثر هذا شرع بارونات ورجالات الصليبيين والبنادقة يتداولون بشأن قضية الحرمان البابوي الذي صدر ضدهم ، بسبب مهاجمة مدينة زارا والاستيلاء عليها ، وأخيرا أجمعت الآراء على إرسال وفد الى روما يلتمس صدور قرار بالغفران ، وبالفعل بعثوا الى روما أسقف سواسون والسيد روبرت دي بوفيز ، فحصل هذان المبعوثان من البابا صاحب الكرسي الرسولي على منشور يتضمن الغفران لجميع الحجاج والبنادقة ، وبعد حصولهما على هذا المنشور بادر الأسقف بالعودة بالسرعة الممكنة ، ولم يعد معه السيد روبرت دي بوفيز لأنه توجه من روما الى بلاد ما وراء البحار مباشرة .

٢٠ - وخلال فترة الشتاء التي أمضاها الصليبيون والبنادقة في زارا راجعوا أوضاعهم ، فوجدوا أنهم أنفقوا انفاقا هائلا ، وأن ما بقي معهم من أموال لن يمكنهم من المضي الى القاهرة أو الاسكندرية أو سورية وأن ما لديهم من مؤن وعتاد غير كاف البتة لدى الذهاب الى هذه البلدان ، فهم قد بددوا تقريبا كل ما ملكوه بسبب طول تأخرهم وبسبب ما سدده من مبالغ مرتفعة اجرة للسفن ، وبناء عليه قالوا : إنهم لن يكون بمقدورهم الذهاب الى هناك ولو ذهبوا فلن يكونوا قادرين على انجاز شيء لعدم توفر المال والعتاد والمؤن للجيش والأعلاف للدواب .

٢١ - وبعدما اطلع الدوج على سوء أوضاع الحجاج تحدث اليهم قائلا : « إن في بلاد البيزنطيين أراضي عظيمة الخصب ، تنتج كل ما هو طيب ، وعندي إن أفضل خطة يمكن أن نعتمدها هي أن نبعث عن ذريعة تسوغ زحفنا الى تلك البلاد لنتزود مما بها من مؤن وأعلاف وغير ذلك مما نحتاجه ، وعند ذلك نمتلك القدرة على استئناف السفر الى ما وراء البحار .

وهنا نهض الماركيز قائلا : « أيها السادة ، كنت في عيد الميلاد الفائت في بلاد مولاي الامبراطور في ألمانيا ، وهناك رأيت شابا ، وهو أخو زوجة امبراطور ألمانيا ، وهذا الشاب هو ألكس بن اسحق » امبراطور القسطنطينية ، الذي سلب منه أخوه امبراطورية القسطنطينية غدرا وخيانة ، فمن استطاع الاستحواذ على هذا الشاب يمكنه بيسر الذهاب الى القسطنطينية ، ومن ثم الحصول على المال والعتاد وغير ذلك ، لأنه الوريث الشرعي .

٢٢ - وسنتخلى الآن مؤقتا عن الكلام عن الحجاج والأسطول لنحدثك عن هذا الشاب ثم عن أبيه الامبراطور اسحق وعن ظهورهما :

وجد من قبل في القسطنطينية امبراطور فاضل مستقيم اسمه

مانويل ، وكان يعد في وقته أكثر المسيحيين مالا وأكرمهم قاطبة ، حيث لم يحدث أن سأل أحد قط مما امتلكه إلا ووصله بمائة مارك ، لا سيما إذا كان السائل من اللاتين من أتباع كنيسة روما ، وأتيحت أمامه السبل للحديث معه ، فهذا ما سمعناه يروى عنه .

٢٣ - وأحب هذا الامبراطور الفرنجة حبا جما ووثق بهم ، وقال في أحد الأيام لقومه ، بعدما بالغوا في تشديد نقده - حسبما اعتادوا - لكرمه العظيم تجاه الفرنجة : اثنان يحق لهما العطاء : مولانا الرب وأنا ، وإذا كنتم تبتغون مني القيام بطرد جميع الفرنجة الذين في خدمتي مع من حولي من اللاتين فاني على استعداد لفعل ذلك ، فسر الأغريق سرورا عظيما وقالوا له : اذا فعلت ذلك تكون يا مولانا قد أنجزت انجازا عظيما ، وسنمحضك الاخلاص في خدمتك ، وبناء عليه أصدر الامبراطور تعليماته الى الفرنجة بالرحيل ، وابتهج الفرنجة لهذا أكثر من أي وقت مضى .

٢٤ - غير أن الامبراطور أعلم الفرنجة خفية هم والذين أبعدهم من خدمته بضرورة الاجتماع به ومحادثته على انفراد ، فاستجابوا لما أمرهم به ، حتى اذا مثلوا في حضرته خاطبهم بقوله : « أيها السادة ، إن قومي لم يدعوني في استقرار وهدوء ، فقد ضغطوا علي حتى أتوقف عن اعطائكم أي شيء ، وأن أخرجكم من بلادي ، وأتمنى أن تصفوا إلي الآن وتفعلوا الذي أمركم به : اخرجوا جميعا - الى مكان سماه لهم - وسأقوم أنا وأتباعي من قومي باللاحاق بكم الى المكان المذكور ، وعند ذلك سأرسل اليكم رسلي أمركم بالرحيل عن الديار ، وعندها تردون علي بالرفض ، وأنكم لن تخرجوا لا من أجلي ولا من أجل شعبي كله ، وزيدوا على ذلك بالتظاهر بالزحف ضدي ، ووقتها سأرى كيف سيكون سلوك قومي » فاستجابوا له ونفذوا كل ما أوصاهم به .

٢٥ - وبعدها مضوا من عنده ، أرسل الامبراطور وراء رجاله جميعا ، ثم قادهم حيث ساروا وراء الفرنجة ، حتى اذا باتوا على

مقربة منهم خاطبهم الامبراطور بضرورة الرحيل ومفادرة بلاده
كلية ، فابتهج الذين أشاروا على الملك بنفيهم ابتهاجا عظيما وقالوا
له : « إن لم يغادروا يا مولانا البلاد فأذن لنا بالفتك بهم جميعا »
فأجابهم الامبراطور : « رائع افعلوا ما شئتم » .

ولما وصل رسل الامبراطور الى الفرنجة سلموهم الرسالة بعجرفة
ورعونة كبيرة ، وأنذروهم بضرورة مفادرة البلاد بالحال فرد عليهم
الفرنجة بالرفض وأعلموهم أنهم لن يرحلوا لا من أجل خاطر
الامبراطور ولا من أجل خاطر شعبه ، فانفقت الرسل وعادوا
يحملون رد الفرنجة ، وبناء عليه أمر الامبراطور رجاله بتسليح
أنفسهم للأسهام معه في الهجوم على الفرنجة ، فحملوا أسلحتهم
وزحفوا نحو الفرنجة الذين كانوا قد زحفوا من جانبهم ضده بعدما
رتبوا صفوفهم خير ترتيب ، وعندما رأهم الامبراطور زاحفين ضده
لقتاله قال لجماعته : « أيها السادة ، ينبغي عليكم الآن أن تتدبروا
أموركم بشكل مناسب ، فقد حانت الفرصة أمامكم للانتقام منهم » *

٢٦ - وما أن سمع الأغريق كلام الامبراطور هذا حتى تملكهم
الخوف ورعبوا من اللاتين حين رأوهم زاحفين ضدهم ، وكان
الأغريق يطلقون اسم اللاتين على جميع أتباع كنيسة روما ، وأظهر
اللاتين أفضل الاستعدادات لصد الأغريق ، ولكن عندما شاهد
الأغريق اللاتين وقد انقلبوا ضدهم وزحفوا لقتالهم لاذوا بالفرار ،
وتخلوا عن الامبراطور وتركوه لوحده ، ووقتها قال الامبراطور
للفرنجة : « أيها السادة ارجعوا معي وسيكون حياي لكم أكثر مما
حببتكم من قبل » *

٢٧ - وبعد هذا كر الامبراطور عائدا وبرفقته الفرنجة ، وبعد
عودته دعا رجاله الأغريق اليه ، وخاطبهم بقوله : « أيها السادة لقد
وضح أمامكم بكل جلاء من الذي يمكن لي الاعتماد عليه ، فلقد
فررتم وتخليتم عني ، وتركتموني وحيدا في وقت توجب عليكم فيه
حمايتي ومساعدتي ، ولو أراد اللاتين وقتها قتلي لمزقوني إربا

إربا ، لهذا أوصيكم بالكف والا تبلى القحة والجرأة بأحد منكم حدا يوصله الى السرف الذي وصلت اليه حين وجهتم اللوم لي على كرمي نحو الفرنجة وايتاري لهم ، فهذا الايتار الآن لا ريب فيه ، ثم إن ثقتي بهم الآن أعظم من ذي قبل وكذلك اعتمادي عليهم ، وسأخصهم بالعطايا أكثر من ذي قبل ، ولم يتجرا الاغريق على مفاتحته بهذا الموضوع بعد هذا التاريخ .

٢٨ - ورزق الامبراطور من زوجته ولدا رائعا جدا ، لهذا خطط له في قرارة نفسه أن يزوجه خير زوجة يمكنه اختيارها والحصول عليها ، وأشار عليه الفرنجة حول ذلك برأي ، فأخذ به بأن كتب الى فيليب (أغسطس) ملك فرنسا ورجاه أن يزوجه أخته الى ابنه ، وبعث الامبراطور مانويل بسفارة رفيعة المستوى الى فرنسا ، وضمت السفارة على القوم ، الذين خرجوا في أجمل ذي ، وأروع مركب ، حتى أن العين لم تر قط من هم أكثر غنى منهم ولا أكثر فخامة أو أبهة ، حتى لقد دهش ملك فرنسا وأعوانه وتملكهم العجب لمشهد السفراء الفخم ولروعة موكبهم حين مثلوا في حضرته للأفضاء برسالة الامبراطور ورغبته ، وأخبرهم الملك أنه سيتداول حول الأمر مع باروناته ، ولما تداول معهم حول ذلك الشأن أشاروا عليه بالاستجابة وأن يرسل أخته الى رجل عالي المكانة ، عظيم الثروة كالامبراطور ، وبناء على ذلك أخبر الملك الرسل أنه يرحب بارسال أخته الى الامبراطور .

٢٩ - وإثر هذا جهز الملك أخته بأرفع جهاز ، وبعث بها رفقه الرسل الى القسطنطينية ، وسار في ركابها عدد كبير من رجاله ، وقد ساروا جميعا بلا توقف حتى وصلوا الى القسطنطينية ، وعندما حلوا بها رحب الامبراطور ترحيبا عظيما بمقدم العروس الشابة ، وفرح بها ، وسر بالذين جاءوا معها .

٣٠ - وفي الوقت الذي بعث فيه الامبراطور رسله لطلب العروس ، بعث بواحد من أقربائه الذين كان يؤثرهم بحبه الكبير واسمه

أندرونيكوس ، الى الطرف الآخر من بلاد ما وراء البحار ، الى أخته ثيودورا ملكة مملكة القدس ، يدعوها للقدوم لحضور حفل زواج ابنه وتتويجه ، واستجابت الملكة وركبت إحدى السفن برفقة أندرونيكوس ، وعندما باتت السفينة في عرض البحر ، افتتن بالملكة قرييته وهام بها ، فأغواها ، ثم غصبها نفسها ، وبعدما اقترب ذنبه هذا لم يعد يجرؤ على العودة الى القسطنطينية ، بل أخذ الملكة وتوجه الى قونية ، وهي معه على الرغم من ارادتها ، وهناك عاش بين المسلمين .

٣١ - وعندما عرف الامبراطور مانويل بخيانة أندرونيكوس ، وأنه اختطف أخته الملكة حزن حزنا عظيما ، غير أن حزنه لم يوصله الى حد يمنعه عن اقامة حفل عظيم لتتويج ابنه وعروسه الشابة ، غير أن الأجل لم يكن بعيدا جدا عن الامبراطور مانويل ، حيث لم يلبث طويلا حتى قضى نحبه ، وبعدما بلغ نبأ وفاته الى الخائن أندرونيكوس ، أرسل ابنه الذي حل محله ليلتمس منه باسم الرب أن يعفو عنه ، وخادعه حتى أدخل في روعه ويقينه بطلان التهمة التي اتهم بها ، وما لبث الامبراطور الجديد - وكان ما يزال شابا - أن غفر له وعفا عنه وبعث اليه يستقدمه ، وهكذا عاد أندرونيكوس ، ولازم الامبراطور الشاب الذي اتخذه نائبا له في جميع أراضيه ، فتعالى كثيرا واستبد وتعجرف نتيجة لهذا المنصب الذي تسلمه .

٣٢ - ولم يلبث أندرونيكوس سوى أمد قصير حتى بادر الى مباغته الامبراطور ليلا فاغتاله ومعه أمه أيضا ، وبعدما اقترب ذلك أخذ حجرين كبيرين وربطهما الى رقبتيهما ، ثم رمى بهما في البحر ، ثم بادر فورا فتوج نفسه امبراطورا بالقوة ، وبعدما فعل ذلك أمر بالقضاء القبض على جميع الذين كان يعرف أنهم ينكرون صحة ولايته ، فسمل عيونهم جميعا ثم قتلهم بعدما مثل بهم أقبح تمثيل ، واستولى أيضا على جميع النساء الجميلات اللاتي وجدهن وغصبنهن أنفسهن ، وتزوج أيضا الامبراطورة التي كانت أخت ملك

فرنسا ، واقتترف عددا كبيرا من الآثام والرزائل لم يقتترف مثلها قط خائن أو سفاح .

وبعدما اقتترف هذه الآثام جميعا سأل واحدا من أعوانه المقربين - وكان معينه على اقتراف جميع هذه الموبقات - عما اذا كان يعرف أحدا ما زال على قيد الحياة يعده مفتصبا للعرش الامبراطوري ، فأجابه أنه لا يعرف أحدا سوى ما يحكى عن وجود ثلاثة شبان بالمدينة من أبناء أسرة أسمها « أنجيلوس » هم من علية القوم ، غير أنهم لا مال لديهم بل فقراء معدمون لا حول لهم ولا طول .

٣٣ - وبعدما تيقن الامبراطور من صحة نسب هؤلاء الشبان الثلاثة ، أوعز الى معاونه هذا - وكان لا يقل عنه غدرا وسوءا - أن يمضي اليهم ويلقي القبض عليهم ، ويشنقهم أو يميتهم ميتة أخرى بشعة ، ومضى هذا الرجل لتنفيذ المهمة التي أوكلت اليه ، غير أنه لم يلق القبض إلا على واحد منهم ونجا الآخران ، فسمّل عيني الذي ألقي القبض عليه ، وما لبث هذا أن ترهبين ، أما الأخوان فقد نجيا هربا ، فذهب أحدهما ، واسمه اسحق ، الى اقليم اسمه والاشيا وقصد الآخر انطاكية حيث وقع في أسر المسلمين أثناء احدي غاراتهم على المسيحيين .

٣٤ - وكان الشاب الذي قصد والاشيا ، قد بلغ به العوز حدا عجز فيه عن اعالة نفسه ، فحمله عوزه واملاقه على العودة الى القسطنطينية ، فاستخفى في بيت أرملة في المدينة ، ولم يكن لديه من متاع الدنيا سوى بغل وخادم واحد ، وكان هذا الخادم يكسب قوته من وراء استخدام بغله في تحميله بالشراب وغيره ، وبذلك استطاع هو ومولاه أن يقيما أودهما ، لكن ما لبث خبرهما أن ترامي الى مسامع الامبراطور أندرونيكوس الخائن ، ولدى تيقنه من عودة الشاب الى المدينة ، أوعز مجددا الى معاونه - الذي كان ممقوتا

أشد المقت من قبل الناس جميعا بسبب الآثام التي كان يقتترفها كل يوم - أن يمضي فيلقي القبض على اسحق ويشنقه .

وفي أحد الأيام امتطى هذا الرجل ظهر فرسه ، واصطحب معه عددا كبيرا من الأعوان ، وقصد بيت السيدة الفاضلة حيث كان يقيم اسحق ، ولدى وصوله الى البيت ، طلب من الذين كانوا برفقته المناداة على المرأة الصالحة ، وجاءت هذه السيدة الفاضلة وهي مبدية لدهشتها تتسائل عما يريد ، فأمرها باحضار الشاب المتخفي في دارها ، فأجابته هذه السيدة الفاضلة قائلة : « مولاي ، وحق الرب ورحمته ليس بداخل بيتي أحد مختبئ » فأنذرهما ثانية بضرورة اظهاره وتهدها إن لم تفعل سيلقي القبض عليهما معا .

٣٥ - ولدى سماع هذه السيدة الصالحة لهذا التهديد من هذا الشيطان الآثم الذي اقتترف كثيرا من الآثام ، استبد بها الخوف وعانت نحو الدار ، وجاءت الى الشاب وخاطبته بقولها : « مولاي اسحق المفضل ، أنت ميت لا محالة ، فقد وقف بالباب نائب الامبراطور ، ومعه الكثير من الأعوان الذين قدموا للبحث عنك لالقاء القبض عليك وقتلك » فاشتد خوف هذا الشاب وتولاه اليأس لدى سماعه هذه الأنباء ، ومع هذا برز لهم ، لأنه لم يكن أمامه من سبيل آخر ينجيه من المضي الى لقاء معاون الامبراطور ، ولدى خروجه أخذ معه سيفه وأخفاه تحت سترته ، وخرج من البيت وتوجه نحو النائب وخاطبه بقوله : « ما الذي تبغيه مني ياسيدي » ؟ فبادر الى الرد عليه بفجاجة ورعونة قائلا : « أيها النذل الدنس ، انظر فهؤلاء ماضون لشنقك » .

٣٦ - وهنا أدرك اسحق أنه لا مفر أمامه من المضي معهم شاء أم أبى ، لهذا رغب في أن ينتقم لنفسه من أي واحد منهم ، ولذلك اقترب من نائب الامبراطور حتى التصق به ، ثم علاه بسيفه وضربه على رأسه ففلقه ، ووصلت الضربة حتى أسنانه .

٣٧ - وعندما أبصر أعوان النائب ما حل به حيث فتك به الشاب

اسحق فروا هاربين ، واذ ذاك أخذ الشاب بمقود فرس النائب الذي قتله ، وامتطاه وسيفه ما زال بيده يقطر دما ، وانطلق مبادرا نحو كنيسة آيا صوفيا ، وقام اثناء سوقه نحو الكنيسة بالهتاف بين الناس معلنا ما فعله ، واكتظت الشوارع بالناس ودهشوا للضجة التي تصاعدت أصواتها ، وأخذ الشاب يستنجدهم قائلا : « أيها السادة ، أستحلفكم بحق الرب ورحمته ألا تقتلونني ، فقد قتلت الشيطان الآثم الذي جلل بالعار المشين أهل هذه المدينة وسواهم » وما أن دخل كنيسة آيا صوفيا حتى ارتقى المذبح واحتضن الصليب رغبة منه في صون حياته ، وتعالى الجلبة والضوضاء في المدينة ، وانتشر في أرجائها شرقا وغربا بأن اسحق قد قتل الشيطان الآثم ، ولدى سماع أهل المدينة بذلك ، استديشروا وعلت وجوههم الفرحة وتقاطروا سعيًا من كل مكان نحو كنيسة آيا صوفيا لرؤية الشاب الذي قام بهذا العمل الشجاع ، وبعدما تكامل الحشد في الكنيسة شرع كل واحد يقول للآخر : « ما أروع هذا الشاب الذي أمكنه القيام بهذا الانجاز الهائل ، ونفذ هذا العمل العظيم » وما لبث الأغريق أن أخذوا يتحدثون فيما بينهم ويقولون : « تعالوا بنا نسلك السلوك الأقوم ، فنتوج هذا الشاب امبراطورا » ، وانعقد اجماعهم أخيرا على هذا التتويج ، ومن ثم بعثوا وراء البطريرك ، وكان في قصره ، وطلبوا منه الحضور لتتويج امبراطور جديد اختاروه بأنفسهم .

وعندما سمع البطريرك طلبهم ، بين لهم أنه لن يفعل شيئا من هذا القبيل ، وأخذ يقول لهم : « أيها السادة ، إنكم تقتطفون منكرا عظيما ، الأفضل لكم الاقلاع عنه والسكون ، فأنتم بعملكم هذا تنأون بأنفسكم عن جادة الصواب ، فأنا اذا ما توجته قتلني الامبراطور أندرونيكوس وجعلني أشلاء » ، فأجابه رجال الأغريق أنه لا بد من تتويجه واذا لم يفعل ما أمر به فسيقتلونه ، وانصاع البطريرك ، وغادر قصره رغما عنه ، ومضى الى الكنيسة مذعورا ، وهناك كان اسحق في رداء رث وثياب بالية ، وارتدى البطريرك ثيابه الكهنوتية وتوج اسحق رغبة منه أو رهبة ، لقد توج اسحق هذا الذي

كان الامبراطور أندرونيكوس قد بعث بنائيه وأعوانه في هذا اليوم للقبض عليه وقتله .

وبعدما فرغ البطريرك من تتويج اسحق انتشر الخبر في أرجاء المدينة حتى وصل الى مسامع الامبراطور أندرونيكوس وعلم هذا الامبراطور أيضا بمقتل معاونه ، فأنكر أولا ما حكى له ، فبعث برسل الى المدينة يستجلون له حقيقة الأمر ، وعندما وصل هؤلاء الى المدينة تأكدوا من صحة الخبر ، فعادوا الى الامبراطور وقالوا له : « مولانا إن كل ما قيل لك وحكي صحيح » .

وعندما تيقن الامبراطور أندرونيكوس من حقيقة ما حدث ، انبعث وبادر بالتوجه نحو كنيسة أيا صوفيا ومعه حشد من أعوانه ، ودخل الى الكنيسة من بهليز خاص كان يصل بين الكنيسة وقصره ، وبعدما نخل الى قلبها هبط الى شرفاتها ، فرأى الرجل الذي توجهه ، وما أن راه حتى اشتد غضبه ، فطلب من واحد من رجاله قوسا ونشابا ، وأخذ أندرونيكوس القوس ، ووضع السهم في كبده وفوقه باتجاه اسحق لرميه وقتله ، ولكن وتر القوس انقطع ، فشعر بالاحباط - وتولاه الرعب واليأس فعاد الى قصره حيث أمر رجاله بالمبادرة الى اغلاق الأبواب وتسليح أنفسهم والدفاع عن القصر ففعلوا ما أمروا به .

٣٩- لقد أمر بذلك لكنه قام بالوقت نفسه بالتوجه الى باب سري خلفي ، وهرب من القصر ، واستقل هو وعند من أعوانه مركبا كبيرا ، وتوجه الى عرض البحر ، فقد كان يخشى من الوقوع بأسر أهالي المدينة ، وفي الوقت نفسه اصطحب سكان المدينة الامبراطور الجديد ، وتوجهوا نحو القصر ، فاستولوا عليه بالقوة ، وأنخلوا اليه الامبراطور اسحق ، وأجلسوه على عرش القسطنطينية ، وبعدما جلس أدوا له يعين الولاء باعتباره الامبراطور المقدس .

٤- وسر الامبراطور اسحق سرورا عظيما ، لما حظي به من شرف وظفر بعون من الرب في ذلك اليوم ، وهنا قال للناس : « أيها السادة تأملوا ما أضفاه علي الرب من شرف عظيم ، اذهبا لي السبل لاتزوج امبراطورا في اليوم نفسه الذي كانوا ماضين فيه لقتلي ، ولهذا أنا مقتازل لكم عن جميع الثروات والنفائز الموجودة في هذا القصر اعترافا مني بالجميل والفضل الذي طوقتم به عنقي » وعندما سمع الناس خطاب الامبراطور سروا كثيرا بالمنحة العظيمة التي أعطاهم الامبراطور إياها ، وتوجهوا نحو الخزانة ، فوجدوا فيها كميات عجيبة من الذهب والفضة فتقاسموا ذلك فيما بينهم .

٤١- وحدث في الليلة نفسها التي هرب فيها أندرونيكوس ، أن ثار البحر وماج بفعل عاصفة هوجاء ، وريح عاتية ، وكثر الرعد والبرق حتى ضل أندرونيكوس وأصحابه ولم يعودوا يعرفون إلى أين يتجهون ، وريتهم العاصفة والرياح إلى القسطنطينية ، دون أن يدركوا أنهم قد عادوا إليها ، وعندما رأوا أن مركبهم قد جنح إلى الشاطئ ، وأنه ما عاد بإمكانهم الابحار بأي اتجاه ، وهنا قال أندرونيكوس لرجاله : « أيها السادة بدوني لو تخبروني أين نحن الآن » فنظروا وتمعنوا فيما حولهم فعرفوا لتوهم أنهم قد أبوا إلى القسطنطينية ، فلما سمع أندرونيكوس ما أخبروه به سيطر عليه الأسى والحيرة وبات لايعرف ماذا يفعل ، وقال لرجاله : « أيها السادة استحلّفكم باسم الرب . أن تذهبوا بي إلى مكان قهي ، بعيد عن هنا ، فردوا عليه أنهم غير قادرين على متابعة السفر ولو قطعت أعناقهم .

وبعدما أدركوا عجزهم عن مفاداة ذلك المكان ، أخذوا الامبراطور أندرونيكوس وحملوه معهم إلى نزل كان هناك وأخفوه خلف جدار الخمرة ، ونظر إلى رجاله صاحب الخان ومعه زوجته وحداق بهم ، وبعد طول تمعن أيقنا تماما أنهم رجال الامبراطور أندرونيكوس ، وبعد وقت قصير حدث أن نهبت زوجة صاحب النزل

للتدفق جرار الخمرة ، فرأت أندرونيكوس قابعا وراءها في زينة الامبراطوري ، فعرفته على الفور ، فأسرعت بالعوبة الى زوجها وقالت : « مولاي أن أندرونيكوس الامبراطور قابع هناك » ، وما أن سمع صاحب المنزل خبرها حتى يابر فأرسل رسولا من عنده الى واحد من علية القوم كان يسكن على مقربة منه في قصر كبير ، وكان أندرونيكوس - قد قتل والده ، واغتصب زوجته ، وعندما وصل الرسول الى القصر قال لصاحبه : إن أندرونيكوس موجود في المنزل الاقرب ، وحده له ، وعندما سمع هذا الرجل بوجود أندرونيكوس في المنزل ، اعتلاه البشر وسر سرورا عظيما ، ويابر نحو المنزل ومعه فئة من أعوانه ، فاعتقل أندرونيكوس وحمله الى قصره .

٤٦- وفي صباح اليوم التالي ، حمل الرجل الامبراطور أندرونيكوس الى القصر الامبراطوري ، وقدمه الى الامبراطور اسحق ، الذي يابر الى سؤاله : لماذا غدرت يا أندرونيكوس بمولاي الامبراطور مانويل ، ثم لماذا قتلت زوجته واغتلت ابنه ، وما هو السبب الذي جعلك تقتل في اقتراف الكثير من الآثام في حق الذين رأوا الشر في اغتصابك للعرش الامبراطوري ، وما الذي دفعك الى اعتقالني ؟ فرد عليه أندرونيكوس : « اسكت ، فلن أتنازل للرد عليك ، وعندما سمع الامبراطور اسحق هذا وعرف أن أندرونيكوس يتصرف عن الرد عليه ، أرسل وراءه عند كبير من رجالات المدينة ، وعندما مثلوا أمامه توجه بالخطاب اليهم قائلا : « أيها السادة ، هونا أندرونيكوس الذي اقتصرت عندها كثيرا من الآثام بحقوقكم وحق غيركم ، ويخيل لي أنني أهق العدل فيه وفق رغباتكم جميعا بتسليمه اليكم لتفعلوا به الذي تريدوه .

٤٧- ولدى سماع رجال المدينة ذلك شعروا بالفرح ، واخذوا أندرونيكوس ، فاقترح بعضهم حرقه حيا ، ورأى اخرون رميه في قدر كبير به ماء يfli ليتألم كثيرا ، وفضل بعضهم الآخر سحله في الطرقات ، وهكذا اختلفوا ولم تتحد أفكارهم حول نوعية الموت الذي سينهون به حياة أندرونيكوس ، وأخيرا وقف رجل حكيم بينهم

وقال : « أيها السادة اصعدوا الي فانا سأقترح عليكم افضل وسيلة للانتقام منه ، في داري اثنان من اخس الحيوانات وأبغضها للذئس ، دعونا نأخذ أندرونيكوس ، ونجربه من ثيابه ، ونربطه على ظهر الدابة بالقلوب حيث يمسك بيديه نذبا ، ثم نطوف به في أطراف المدينة قاصيها ودانيها ، ووقتها سيكون بإمكان كل من أذاه أندرونيكوس من الرجال والنساء الانتقام منه أبشع انتقام .

٤٤- ووافق الجميع على هذا الاقتراح ، وأخذوا أندرونيكوس وشدوه وأركبوه وفق اقتراح ذلك الرجل ، وفيما هم يطوفون به في المدينة ، أخذ كل من اقترب بحقه إثمًا من الأثام يقذفونه ويلطفونه ويضربونه : منهم من صدغه ومنهم طعنه بخنجر أو منية ومنهم من تناوله بضربة من سيفه ، وكلهم مابين قاتل له : « لقد شذقت أبي ، ولخر « لقد اغتصبت زوجتي قهرا ، وأما النساء اللواتي اغتصب بناتهن وفجر بهم ، فقد شديتهن من لحيته نذقا وضربا وشتما وتقريعا ، وحتى اذا وصلوا به الى الطرف الآخر من المدينة لم يكن قد بقي منه أثر من آثار الحياة ، وأثر ذلك ألقوا بعظامه بين القاذورات ، وبهذه الوسيلة المحكمة ثأروا لأنفسهم من هذا الفاسق .

٤٥- وبعدها صار اسحق امبراطورا رسم فوق مداخل الكنائس كيف جعلت منه احدى المعجزات امبراطورا ، وقد وفتت سيدتنا العذراء على طرفه ووقف على الطرف الآخر مولانا يسوع المسيح ، وهما يضعان التاج على رأسه وصوروا ايضا ملاكا يقطع وتر القوس الذي استهدف أندرونيكوس رميه به لقتله ، هذا وعرف بيت الامبراطور اسحق باسم « أنجيلوس »

٤٦- وبعد هذا اشتاق الامبراطور اسحق شوقا شديدا الى أخيه الذي كان أسيرا عند المسلمين وأراد رؤيته ، فوقع اختياره على عدد من الرجال بعثهم يبحثون عنه ، وفتشوا عنه وتقصوا حتى عرفوا مكان سجنه ، فذهبوا الى هناك ، وسألوا المسلمين عنه ، وكان قد

تَرامى الى اسماعهم أن سجينهم أخو الامبراطور الجديد في
القسطنطينية ، فاشتطوا في مفاداته ، وطالبوا بمبلغ جسيم فتمت
الاستجابة لمطالبهم بالذهب والفضة ، فحصلوا عليه فحملوه معهم
عائنين الى القسطنطينية .

وسر الامبراطور اسحق كثيرا برؤية أخيه حرا طليقا ، فأكرمه
وحباه ، وبدوره قرع هذا الأخ كثيرا حين عرف أن أخاه قد بات
الامبراطور ، وأنه استحوذ على العرش بقدرته وشجاعته .

٤٧- وكان اسم هذا الشاب الكسيوس ، ولم تمض غير فترة
قصيرة حتى رسمه أخوه الامبراطور نائبا له ، وفوض اليه التصرف
بجميع أراضيه ، فامتلا كبرياء بهذه النيابة ، حتى عمت هيبتة
الامبراطورية بأكملها ، وصار الناس يخافونه لحب الامبراطور له
ولقربته منه .

وحدث بعد بعض الوقت أن توجه الامبراطور في أحد الأيام الى
الصيد في إحدى الغابات ، فما كان من أخيه الكسيوس ، الا أن
قصد هو الآخر الغابة حيث كان أخوه الامبراطور ، وانقض عليه
غذرا فاقتلع عينيه ، وبعد ما فرغ من خيانتة القاه في السجن بطريقة
خفي خبرها على الناس جميعا ، ثم رجع الى القسطنطينية وموه
على الناس أن أخاه الامبراطور قد توفي ، ومن ثم توج نفسه
امبراطورا .

وعندما رأى المكلف بحراسة ابن الامبراطور اسحق ، أن عمه
الكسيوس قد غدر بالامبراطور أبي الطفل وخانه خشي أن يلحق
الطفل بأبيه ، فلم يكن منه الا أن حمله بعيدا ، وبعث به الى أخته في
المانيا ، فقد كانت زوجة امبراطور ألمانيا (فيليب أمير
سوايبا) وكان هذا الطفل هو الوريث الشرعي للعرش
الامبراطوري ولاحق من عمه به .

٤٨- والآن وقد سمعت كيف قام اسحق وصار امبراطورا ، ثم كيف ذهب ابنه الى المانيا ، وهذا الابن هو الذي سيرسل الصليبيون والبنادقة في طلبه استجابة لرأي مقدمهم الماركيز دي مونتفرات .

٤٩- وسأفرغ الآن لأقص عليكم حديث هذا الشاب والصليبيين ، وكيف بعث الصليبيون في طلبه ، ومن ثم كيف قصدوا الاسطنطينية لغزوها ، فبعدها أفهم الماركيز الحجاج والبنادقة أن من يكون هذا الشاب - الذي تحدثنا عنه الآن - لديه فسيحة مايسوغ نهابه الى الاسطنطينية والاستيلاء عليها والحصول على مايبها من نخب ، بعد هذا بعث الصليبيون باثنين من خيرة فرسانهم الى المانيا وذلك بعدما جهزوا خير جهاز ، وكافاهم بجلب الأمير الشاب ، وهدموهما اليه خطابا أخبروه به أنهم سيساعدونه على استرداد حقوقه .

ولما وصل الفارسان الى بلاط امبراطور المانيا ، حيث كان الشاب ، اجتمعا به وأبلغاه بالرسالة التي بعث بها الصليبيون اليه ، وبعدها سمع الشاب نص الرسالة وفهم محتوى العرض المرسل اليه من بارونات الصليبيين ، استبشر وسر سرورا عظيما ، ورحب بالعرض كثيرا ، وأكرم وفادة الفارسين وأخبرهما أنه سيتداول حول الأمر مع زوج أخته الامبراطور ، وأثر هذا قال له الامبراطور - بعدما اطلع على محتوى العرض - هذه فرصة مواتية ، وشجعه وأيد فكرة التحاقه بالصليبيين ، وأوضح له أنه لن يكون بمكنته أبدا استرداد شيء من ميراثه بغير مساعدة الرب ، ومساعدة الصليبيين ، وماأن اقتنع الشاب أن الامبراطور قد محضه النصح حتى جهز نفسه حسب الامكان ، وانطلق برفقة الفارسين .

٥- وقبل عودة الفارسين الى زارا وبرفقتهما الشاب ، كان الاسطول قد قصد جزيرة كورفو ، وذلك بعد انقضاء عيد الفصح ، وخلف في زارا مركبين في انتظار الفارسين والشاب ، وفي

كورفو مكث الحجاج حتى يوم وصول الشباب والفارسين ذلك انه عندما وصل هؤلاء الى زارا وجدوا المركبين اللذين تركهما الصليبيون ، فصعدوا اليهما ، واقلعوا منطلقين حتى جزيرة كورفو حيث كان الاسطول راسيا ، ولدى مشاهدة علية القوم الشباب قادما بادروا الى استقباله بكل دفء وحيوة وبجلوه الى ابعد الحدود ، وعندما رأى الشاب ترحاب علية القوم به ورعايتهم وتبجيلهم له ، وشهد ايضا العمارة البحرية العملاقة تولاها السرور بشكل مفرط ، ثم قصده الماركيز وقاده الى خيمته .

٥١ - وما ان استقر الشباب في سرادق الماركيز حتى توافد عليه كبار البارونات مع دوج البندقية ، وتحدثوا معه حول عدة امور ، واخيرا افضى بهم الحديث الى ان سألوه عما سيقدمه لهم ان هم نصبوه امبراطورا على القسطنطينية ، وتوجوه بها ، فاعلمهم انه سيلبي كل مطلب من مطالبهم ، واثّر ذلك اعلموه بما يريدون وتداولوا معه حتى اتفقوا على انه سيدفع للجيش مائتي الف مارك ، وسيزود الاسطول على حسابه الخاص بما يكفيه من مؤن لمدة عام كامل ، وسيمضي برؤسيتهم على رأس جميع قواته الى بلاد وراء البحار ، وسيودع في بلاد ما وراء البحار عشرة الاف مقاتل ينفق عليهم من ماله الخاص طوال حياته ، كما انه سيتدكفل بتموين جميع من سيفادرون القسطنطينية الى بلاد ما وراء البحار .

٥٢ - واثّر ذلك تم استدعاء بارونات الحملة جميعا مع البنادقة الى اجتماع عام ، وبعدما اكتمل الحضور نهض دوج البندقية وخاطبهم قائلا : « أيها الاسادة لقد توفر لنا افضل مسوغ للتوجه الى القسطنطينية - اذا وافقتم - فوريث عرشها الشرعي معنا » .

ووجدت جماعة لم توافق مطلقا على التوجه الى القسطنطينية وقال افرانها : « عجا ، وماذا سنفعله في القسطنطينية ؟ نحن علينا أداء حجتنا ، وقد وضعنا خططنا للمضي الى الاسكندرية أو

القاهرة ، فضلاً عن هذا لقد اتفقنا أن يبقى الاسطول معنا عام واحد فقط وهاهو ذا قد انقضى من السنة نصفها .

فحاججهم الآخرون بقولهم : وماجدوى سفرنا الى الاسكندرية أو القاهرة ونحن لانملك مايكفيها ويكفي رحلتنا من مال وعتاد وموئن ؟ وإنه لخير لنا وأنفع - قبل السفر الى هناك - أن نبحث عن ذريعة مسوغة توفر لنا العون والمال ، فذلك أجدي لنا وأرفع من أن نمضي الآن الى هناك لندموت جوعاً ، فها نحن قد عثرنا على وسيلة تمكنا من انجاز الكثير ، سيما وأن - الشاب - يعرض علينا مرافقتنا هو وقواته مع تمويل اسطولنا لمدة سنة أخرى ، كل ذلك على نفقته الخاصة .

وكان الماركيز مونتفرات أعظم البارونات حماساً في حمل القوم على قصد القسطنطينية ، فقد أراد الثأر لنفسه لاهانة قد ألحقها به الامبراطور المتربع على العرش الامبراطوري في القسطنطينية .

٥٣- وسندع الآن جانبا الحديث عن الاسطول وسأروي لك حكاية الالهانة التي كان الماركيز حاقدا بسببها على القسطنطينية :

كان الماركيز كونراد أخو الماركيز مونتفرات قد حمل شارة الصليب ، ثم قدم الى القسطنطينية على نية التوجه الى بلاد ماوراء البحار ، وكان يرفقته مركبتين ، وفي القسطنطينية التقى بالامبراطور وتحدث اليه ، ورحب به الامبراطور وحباه ، وحدث أنذاك أن كان هناك واحداً من أعيان عاصمة الامبراطورية قد تمرد على الامبراطور وحاصره في مدينة القسطنطينية ومنعه من مغادرتها ، وعندما تعرف الماركيز كونراد الى هذا الوضع سأل الامبراطور : كيف حدث أن تمكن هذا الرجل من محاصرته ، وكيف لم يتجراً هو ذاته على الخروج من المدينة لحربه ، فأعلمه الامبراطور انه ليس لدى شعبه بأس أو قدرة ، وهذا هو السبب الذي جعله لا يرغب في النهوض الى حربه .

٥٤- وعندما سمع الماركيز هذا البيان أعلمه أنه على استعداد ليد العون له اذا ما رغب بذلك ، فأخبره الامبراطور أنه بحاجة ماسة للعون ، وأنه سيظل دوما شاكرا للماركيز ، وهنا طلب منه الماركيز جمع كل اللاتين في القسطنطينية ، بقية قيادتهم في طليعة جيش يسير به الامبراطور مع رجاله من بعده ، وبناء عليه جمع الامبراطور اللاتين جميعا ، ثم أمرهم بالتجهز وحمل أسلحتهم ، وجهاز الماركيز بالوقت نفسه رجاله ، وعندما اكتمل تسليح اللاتين ، قاد الماركيز هؤلاء مع رجاله في صفوف منتظمة ، وسار الامبراطور ورجالهم من خلفهم وزحفوا جميعا وفق الخطة المرسومة .

٥٥- وما أن أصبح الماركيز ورجالهم خارج أبواب المدينة حتى عرف براناس الذي كان يحاصر الامبراطور بذلك ، وهنا زحف مع أعوانه بهدف صد الماركيز الباسل وقتاله ، وعندما بات على غلوة من جيش الماركيز اندفع مهاجما إياه ، وهنا ماكاد يلمحه مقبلا نحوه حتى بادره فاندفع نحوه وضربه بين عينيه ضربة أرذته قتيلا ، ثم راح هو وأعوانه يعملون الضرب ذات اليمين وذات الشمال في صفوف عدوهم حتى صرعوا عددا كبيرا منهم ، هذا وماكاد رجال براناس يرون مصرع قائدهم ، حتى أداروا ظهرهم ولادوا بالفرار .

٥٦- وعمد الامبراطور إلى خيانة الماركيز ، وأغلق الباب خلفه ، لكنه عندما شاهد الأعداء يلوذون بالفرار ففتح الأبواب ، وانطلق على رأس قواته جميعا لمطاردة الهاربين ، وحصل الماركيز والذين معه على غنائم كبيرة من الخيول وسواها ، وبهذه الصورة انتقم الماركيز من عدو الامبراطور الذي كان يحاصره ، وبعد نيل هذا النصر عاد المنتصرون إلى القسطنطينية ، وبخلوها وعلى رأسهم الامبراطور والماركيز ، وعندما استقروا بها وضعوا أسلحتهم ، وهنا قدم الامبراطور شكره العظيم الصادق للماركيز الذي انتقم له من عدوه وفرج عنه ، وهناك سأل الماركيز الامبراطور

- ٤٥٩٢ -

عن السبب الذي دعاه إلى اغلاق الأبواب خلفه ، فقال له
الامبراطور : أتسأل عن هذا الآن ؟ فأجابه الماركيز : نعم بحق
الرب ! ٠٠٠

٥٧ - ولم يلبث الامبراطور طويل وقت حتى حاك خيانة مؤامرة
كبرى ، أراد من خلالها التخلص من الماركيز بقتله ، وعلم شيخ كبير
بتفاصيل المؤامرة ، فأشفق على الماركيز ، لهذا اتصل به وقال له :
سيدي الماركيز يجب بحق الرب ان ترحل عن هذه المدينة فلو مكثت
فيها ثلاثة أيام أخرى بعد يومنا هذا لأمكن الفتك بك من قبل
الامبراطور ورجاله الخونة ، حيث حاكوا مؤامرة كبيرة للتخلص
منك ، وعندما سمع الماركيز هذا الخبر اعتراه الحزن حزنا
شديدا ، ثم غادر المدينة فورا في تلك الليلة نفسها ، فقد جهز مركبين
للرحيل وأقلع بهما قبل فجر اليوم الجديد ، وتابع سفره حتى
هصور .

٥٨ - وكانت بلاد مملكة القدس قد ضاعت قبل هذه الأحداث ولم
يبق منها غير مدينتي هصور وعسقلان ، وكان قبل ضياع الناحية
كلها قد مات (عموري) ملك القدس ، وكان لهذا الملك ابنتان
تزوجت كبراهما من الفارس غي دي لورنغان دي بواتو ، وهي
التي آلت إليها مملكة القدس ، وتزوجت الثانية من اللورد
همفري ، صاحب شقيف أرنون .

٥٩ - وكان قد حدث في واحد من الأيام الخالية أن اجتمع جميع
بارونات الأرض ومعهم (ريموند الثالث) كونت طرابلس ومقدما
الفرسان الداوية والاسبطارية ، اجتمعوا في الهيكل في القدس
وتداولوا حول ضرورة فصل اللورد غي عن زوجته بسبب صيرورة
تاج المملكة إليها ، واستهدفوا تزويجها من رجل آخر مناسب أكثر
من غي ليتولى الملك معها ، ونجحوا في التفريق بينهما ، غير أنهم
اختلفوا حول الشخص الذي سيزوجوها منه ، واتفقوا أخيرا على
ترك حرية الاختيار لها ، وهكذا ناولوها التاج لتمنحه بدورها للذي

- ٤٥٩٣ -

تريده شريكا لها بالملك ، ثم اجتمع البارونات والفرسان الداوية والاسبطارية ثانية ، وفي يوم آخر ، وحضر الاجتماع (ريموند الثالث) كونت طرابلس ، والذي كان افضل فرسان المملكة ، وكان يخيل اليه أن الملكة سيقع اختيارها عليه ليتزوجها ومن ثم تعطيه التاج ، وكان اللورد غي بين الحضور ايضا ، وهو الذي كان زوج الملكة من قبل .

وبعدما التأم جمعهم تناولت الملكة التاج بين يديها ، ثم أخذت تمر بنظرها على جميع الحضور حتى أبصرت غي الذي كان زوجها ، فخطت نحوه ووضعت التاج على رأسه وبذلك أصبح اللورد غي ملكا ، وعندما رأى كونت طرابلس ما حدث حنق عليها بشدة ، وغادر المكان فورا وتوجه الى امارته في طرابلس وهو يتقد غضبا .

٦٠- وبعد هذا الحادث بأمد قصير تمكن المسلمون من أسر غي في حرب خاضها ضدهم وهزم فيها مع جميع رجاله ، وضاعت الأرض باستثناء هيدا وعسقلان ، وبعدما صارت الأرض كلها بيدني صلاح الدين استدعى اليه ملك القدس المأسور لديه ووعد أنه سيطلق سراحه وسراح مجموعة كبيرة من رجاله اذا تمكن من اقناع القائمين على الدفاع عن عسقلان على تسليمه اياها ، واستجاب الملك وطلب منه أخذه الى عسقلان للعمل على تسليمها له ، وتوجه صلاح الدين وبعدما أوضح لهم أنه راغب بذلك استجاب أهلوها وسلموها له .

٦١- وبعدما آلت المدينة الى صلاح الدين اطلق سراح الملك غي مع جماعة من قومه ، ثم رحله الى الأراضي المسيحية ، وبعد هذا بوقت قصير توجه الملك غي ومن معه الى صور .

وقبل ان يتخلص الملك غي من أسره ويقوم بما قام به ، كان الماركيز قد استولى على مدينة صور ، ووقف الى جانبه الجنوية

وغيرهم من الناس وأدوا له يمين الولاء ، وأقسموا له على الآثار المقدسة أن يدخلوا اليه جميع السلطات مع اعتباره سيدهم مقابل تقديم العون لهم في الدفاع عن المدينة ، ووجد الماركيز أن مدينة صور تعاني من الغلاء الفاحش ، الى درجة أن مكيال القمح قد يبيع بمائة بيزنته ، مع أنه كان لايساوي في أميين أكثر ستيه ونصف .

٦٢- وعندما رحل الملك (غي) الى صور ، نادى جنده على من كان بها قائلين : « افتحوا الابواب ، افتحوها ، وانظروا فيها هو الملك قد جاء » ، فمنعهم من كان بها من الدخول اليها ، فقال الملك مندهشا : كيف هذا أو است ملك هذه البلاد وصاحبها ؟ ورد عليه الماركيز : « لا وحق الرب انت لم تعد ملكها ولاصاحبها ولن تستطيع الدخول اليها لأنك لطخت كل شيء بالعار ، وأضعت الأرض كلها ، زد على هذا إن الغلاء شديد جدا ، ولو دخلت أنت ورجالك مات الناس جميعا جوعا ، وانه لأقل خسارة ان تموت أنت ورجالك ، فهذا لا يهم كثيرا ، لكن المهم الا نهلك نحن الذين في المدينة وتهلك المدينة معنا .

٦٣ - وعنما وجد الملك غي نفسه أنه لن يستطيع الدخول الى صور ، ارتحل ويمم ومن معه شطر مدينة عكا حيث اتخذوا لأنفسهم معسكرا أمامها وحصنوه وظلوا فيه حتى قدم ملكا فرنسا وانكلترا حيث وجداه هناك.

وفي اثناء مرابطة الماركيز في صور وعيشه وسط الغلاء الشديد ، فرح الرب عنه وعن رجاله ، حيث قسم تاجر ومعه مركب مشحون بالقمح ، وقد باعهم المكيال الواحد بعشرة بيزنترات بعدما كان بمائة ، وقد فرح الماركيز كثيرا وشعر بالراحة هو ومن معه بالمدينة ، فقد توفر القمح وبات معروضا بالاسواق للبيع.

٦٤ - وبعد هذا بوقت قصير جاء صلاح الدين وشرع بحصار صور برا وبحرا ، وهكذا لم يعد بإمكان أحد جلب شيء من المؤن أو

غير ذلك الى صور ، وأطال السلطان صلاح الدين أيام الحصار وشده ، لهذا عاد الغلاء الى سالف فداحته.

٦٥ - وبعدما تمعن الماركيز في حالة الغلاء الفادح داخل المدينة ، ورأى أن المسالك البرية والبحرية موصدة وألا أمل بوصول نجدات ، استدعى اليه من كان بالمدينة من الجنوية وسواهم ، وخاطبهم قائلا : أيها السادة ، نحن نعيش الآن في مأزق خطير ، إن لم يتداركنا الرب برحمته ، لقد عم الغلاء واشتد كثيرا في أرجاء المملكة ، وندرت الأقوات ، وانعدمت الحبوب التي يمكن بها أن نقيم أود حياتنا ، وهامي منافذ البر والبحر مسدودة في وجهنا ، ولا أمل بوصول نجدة إلينا ، وإنني أتوسل اليكم باسم الرب في ايجاد خطة تنجينا من هذا المأزق.

وبعد لأي نهض أحد الجنوية وخاطبه قائلا : إذا تجاوزت معي فلدي خطة مناسبة ، وسأله الماركيز : ما هي خطتك؟ فأجابه : اليك تفاصيلها ، تعلم أنه لدينا في المدينة عددا من أنواع السفن ، دعني أجهز أربعة من الشواني وأشحنها بخيرة من هنا من الرجال ، ثم نقلع مبحرين قبل انبلاج الفجر ، ووقتها سيخيل لن يرانا أننا نحاول الهرب ، وما أن يرانا المسلمون حتى سيبادروا الى حمل اسلحتهم والسعي للحاق بنا ، ومطاربتنا ، وطبعنا لعجلتهم لن يسلحوا أنفسهم تماما ويتدبروا شؤون احتياطهم ، وفي الوقت نفسه تكونوا أنتم قد صعدتم الى ظهور بقية الشواني والمراكب بأفضل المقاتلة ، فإذا شاهدتم المسلمين قد ذشروا قلوبهم وبادروا الى مطاربتنا وصاروا بعيدين عن المدينة ، ألقوا بسفنكم وسيروا خلفهم وأنداك سننعطف نحن ونعود نحوهم فنقاتلهم جميعا ، ووقتها سيأتي الفرج من عند الرب ، فأقر الجميع هذه الخطة وساروا وفق مقترحاتها ونفثوه.

٦٦ - وقبل حلول فجر اليوم التالي ، كان هذا الجنوي قد أعد شوانيه الأربع تماما وشحنها وبالمقاتلة ، وفي الوقت نفسه شحنت

بقية السفن والمراكب ، و قبيل اشراق شمس الصباح أقلع هذا الرجل ، وكان مرسى مدينة صور الذي تدخل السفن إليه وتخرج منه واقعا وراء اسوار المدينة ، وهكذا تسلل وخرج بهدوء تام ، حتى إذا ابتعد بعض الشيء عن المرسى رآه المسلمون ، فبادورا سراعا لملاحقته ، لكن بدون اتخاذ الاستعدادات الكاملة ، وقد أقلعوا بسفنهم المائة وشرعوا بمطاربته.

وعندما ابتعدوا عن المدينة ، وصاروا في عرض البحر ، باهر من بها الى الخروج منها ، وأبحروا في آثارهم ، وعند ذلك انعطفت الجنوبية ، واشتبكوا وأهالي صور بالمسلمين الذين لم يكونوا مستعدين تماما ، فقتلوا عددا كبيرا منهم ، والحقوا بهم الهزيمة ، ونجا من مراكب المسلمين مراكبان فقط من بين المائة سفينة ، ولم يقعا بأيدي أهل صور ، وكان صلاح الدين قد وقف يرقب ما حدث ويبكي بمرارة ، ويشد شعره ويمسك بلحيته وهو يتألم لرؤية رجاله في محنتهم وهم يفتك بهم أمام ناظره دون أن يتمكن من نجدهم ، وبعدما فقد أسطوله ، قوض خيمه وأزال معسكره ورفع الحصار عن المدينة وارتحل ، وهكذا نجت صور على يدي الماركيز الذي طبق هذه الخدعة .

وفي هذه الآونة كان الملك غي مقيما في معسكره المحصن قرب عكا ، فهناك وجده ملكا فرنسا وانكلترا عندما قدما قيما بعد.

٦٧ - ولم يلبث الملك غي بعد هذا الحادث حتى ماتت زوجته ، وبذلك آلت المملكة الى أختها زوجة همفري ، صاحب شقيفتيرون ، وبعد ذلك قام الناس وفصلوا زوجة همفري عنه وزوجوها من الماركيز ، فصار بذلك ملكا ، وقد أنجبت له ابنة ، ثم إن هذا الماركيز لاقى حتفه غيلة على أيدي طائفة الحشيشية ، فأخذ القوم أرملته وزوجوها من الكونت هنري دي شامبين ، ثم جدوا بعد هذا في حصار عكا حتى استولوا عليها.

٦٨ - والآن بعدما فرغت من الحديث عن الأثم الذي اقترفه الامبراطور ، ومن أجله أبغض الماركيز مونتقرات هذا الامبراطور ، وبسببه أيضا كان أكثر من غيره حماسا لخطة التوجه الى القسطنطينية ، أعود الى سياق الحديث الذي كنا فيه من قبل .

فبعدما قال بوج البندقية للبارونات أنه قد توفر لهم أفضل مسوغ يمكنهم التذرع به في التوجه الى القسطنطينية ، وأنه يحض بكل حرارة على التوجه الى هناك ، وافق البارونات جميعا على طلبه هذا ، وهنا عرضت القضية على الأساقفة حيث سألوهم عما إذا كان قصد القسطنطينية يعد خطيئة؟ فأجابهم 'الأساقفة أن ذلك لن يكون خطيئة بل عملا جيدا ، فمن المتوجب على البارونات تقديم العون لصديقهم الوريث الشرعي للعرش الذي سلبه ، وتمكينه من استرداد حقوقه ، والانتقام من عدوه .

وطلبوا بعد هذا من الشاب أن يقسم على الأثار المقدسة ويتعهد بالحفاظ على العهود التي أبرمها معهم من قبل .

٦٩ - وأجمع بعد هذا الحجاج والبنادقة على قصد القسطنطينية ، فأعدوا شونهم وسفائنهم ، وأقلعوا وساروا فوق ظهر البحر حتى وصلوا الى ميناء أبيدوس ، وهي مدينة تبعد عن القسطنطينية مسافة مائة فرسخ ، وكان هذا المرسى هو المكان الذي أقام فيها تروي الكبير عند مدخل مضيق البوسفور ، وبعد هذا أقلعوا من هناك ، واتجهوا نحو القسطنطينية ، حتى إذا باتوا على قرابة فرسخ واحد منها توقفوا بقصد تجمع سفن الاسطول كلها ، وبعدما تكامل مجيء سائر السفن على اختلافها ، أعدوا سفائنهم وزينوها ، حتى بان مرآها أبدع ما وقعت عليه العين من المناظر .

وعندما رأى أهالي القسطنطينية هذا الاسطول العملاق ، القوي التجهيز ، شرعوا ينظرون اليه بامعان ودهشة وحيرة ، وقد

استقبلت بهم الدهشة والخشية ، فصعدوا الى أعلى الأسوار وظهر البيوت ينظرون الى هذه الأعجوبة ، وفي الوقت نفسه شرع الذين كانوا على ظهر الاسطول بتفحص المدينة ، التي كانت عظيمة الطول والاتساع ، وقد أعجبوا لها ودهشوا لمراها ، ثم عبروا من أمامها وقصصوا خلقونية في العدة الأخرى من مضيق البوسفور.

٧٠ - وعندما علم الامبراطور (الكسيوس الثالث) بخبر الصليبيين ، أرسل اليهم وفدا من كبار رجالاته ليسألوهم عما يريدون وما الذي جاء بهم ، ويحث اليهم يخبرهم أنه على استعداد لمنحهم عن طيب خاطر كل ما يريدون مما لديه من ذهب وفضة ، إن كانوا جازوا لذلك ، وعندما سمع البارونات هذه الرسالة أعلموا الرسل أنهم لا يريدون شيئا من ذهبه أو فضته ، وكل الذي يريدونه التنحي عن عرش الامبراطورية لأنه لم ينله بالوسائل المشروعة بل بالاعتصاب ، وبعثوا الى الامبراطور برسالة أعلموه فيها بوجود الكسيوس ابن الامبراطور اسحق بينهم ، فهو الوريث الشرعي للعرش ، وأنذاك أجابهم الرسل بأن الامبراطور لن يستجيب لأي من مطالبهم ، ثم ودعوهم عائدين.

٧١ - وإثر هذا خاطب دوج البندقية البارونات قائلا : « أيها السادة ، أرى أن نأخذ عشر شواني ، ونركب على سفينة منها هذا الشاب ومعه بعض الرجال ، وأن تقصد هذه السفن شاطئ القسطنطينية وهي ترفع راية الأمان ، وذلك بهدف سؤال أهل المدينة عما اذا كانوا على استعداد للاعتراف بسيادة هذا الشاب عليهم » .

فرد عليه رجالات الحملة بقولهم : إن هذا رأي وجيه ينبغي الأخذ به ، وبناء عليه جهزوا السفن المطلوبة واعتلى على ظهر احداها الشاب مع عدد كبير من الرجال المسلحين ، وجنقوا حتى وصلوا إلى أسوار المدينة ، ثم أخرجوا هذا الشاب واسمه الكسيوس وعرضوه أمام أهلها ، وسألوهم عما إذا كانوا يعبدونه سيدهم ، فرد عليهم أهل المدينة بكل صراحة قائلين بأنهم لا

يعترفون به سيّدا عليهم ولا يعرفون من أمره شيئاً فبين لهم الرجال الذين كانوا بالسفن أنه ابن اسحق الامبراطور السالف ، فأجابهم اهل المدينة مجدداً قائلين إنهم لا يعرفونه ولا يعرفون عنه شيئاً ، وبناء عليه عادوا جميعاً الى الجيش وأخبروا قائده بخبر القوم وأجوبتهم لهم ، وعند ذلك صدرت الأوامر الى جميع أفراد الجيش صفاراً وكباراً بحمل السلاح والاستعداد للمعركة ، وبعدما حمل الجميع أسلحتهم بدأوا يقدمون اعترافاتهم وتناولوا القربان المقدس ، ذلك أنهم كانوا خائفين ويخشون من الزحف على القسطنطينية ، ورتبوا كتائبهم وأعدوا سفنهم وشوانيتهم ومراكب حملاتهم ، ودخل الفرسان الى مراكب النقل مع جيادهم ، وأقلع الاسطول ، وزعقت الأبواق الفضية والنحاسية وكان منها مائتا زوج ، وقرعت الطبول ودقت الكوسات فقد كان هناك منها الكثير.

وعندما أبصر اهل القسطنطينية هذه العمارة البحرية العملاقة وهذه القوات الهائلة وسمعوا أصوات الأبواق والطبول التي أحدث قرعها ضجة كبيرة ، حملوا أسلحتهم جميعاً ، وصعدوا فوق البيوت في المدينة والأسوار ، وبات المشهد وكأن البحر والبر قد ثاروا فقد غطت السفن وجه الماء ، وفي الوقت نفسه أمر الامبراطور رجاله بحمل أسلحتهم والتوجه الى الساحل للدفاع عنه.

٧٢ - وعند أبصر الصليبيون والبنادقة الاغريق يتقدمون نحو الشاطئ وهم يحملون أسلحتهم ، بهدف صدهم تشاوروا فيما بينهم وتداولوا حتى قال لهم دوج البندقية إنه سيزحف أمام الجميع على رأس جميع قواته وسيستولي على الشاطئ بمعونة الرب ، ثم أخذ شوانية وسفائنه ومراكب حملته ، واتخذ موقعه في المقدمة على رأس الجيش ، ثم أمر برماة السهام ووضعهم أمام المراكب لتطهير الشاطئ من الاغريق ، وبعدما تم توزيعهم حسب هذه الخطة تقدموا نحو الشاطئ ، وما أن رأى الاغريق ، وبعدما تم توزيعهم حسب هذه الخطة تقدموا نحو الشاطئ ، وما أن رأى الاغريق أن

الحجاج مقلوبون وكلهم تصميم ، غير خائفين أو وجلين ، ارتدوا على أعقابهم ، وفقدوا الجراءة على الصمود أمامهم ، وهكذا شق الاسطول الصليبي طريقه ، وما كانت السفن تلامس طرف الساحل حتى وثب الفرسان من مراكب الحمولة وقد امتطوا ظهور خيولهم ، وكان لمراكب الحمولة هذه أبواب يمكن فتحها حيث تمتد بما يشبه الجسر يمكن للفرسان العبور عليه الى اليابسة وهم على ظهور خيولهم.

وعندما رسا الاسطول بمحاذاة الشاطئ ، سيطر الرعب على الاغريق المسيحيين ، خاصة عندما شاهدوا المقاتلين يخرجون ، وكان هؤلاء الاغريق هم الاناس انفسهم الذين قدموا للدفاع عن الشاطئ ، والذين كانوا يتشدقون امام الامبراطور ويتحججون أن اللاتين لن يتمكنوا من الرسو والنزول الى اليابسة ماداموا مرابطين هناك ، لكن عندما نزل الفرسان من مراكب الحمولة شرعوا في طرد هؤلاء الاغريق وتعقبوهم حتى جسر كان على مقربة من رأس المدينة ، عليه باب اجتازه الاغريق في هروبهم الى داخل القسطنطينية.

٧٣ - ولما أب الفرسان من مطاردة الاغريق تدارسوا الوضع الجديد ، فقال لهم البنادقة إن سفنهم لن تكون آمنة على نفسها ، إلا إذا رست داخل الميناء ، ولهذا عقدوا العزم على ارسائها فيه ، وكان مرسى القسطنطينية آمنا كل الأمن لوجود سلسلة معدنية عملاقة ممتدة عند مدخله قد ربط طرفها الأول عند برج غلاطية وشد الطرف الآخر الى المدينة ، وكان برج غلاطية شديد الحصانة منيعا لا يمكن اقتحامه بسهولة لأنه شحن بالمدافع المجهزين أفضل جهاز.

وبناء عليه أخذ القوم بهذا الرأي فحاصروا البرج وشدوا الحصار عليهم حتى تم الاستيلاء عليه عنوة ، وكان هناك عدد كبير من المراكب الاغريقية منتشرة على طول السلسلة ، ودخلت سفن

- ٤٦٠١ -

الاسطول الى المرسى فباتت آمنة فيه ، وتم في تلك الاثناء الاستيلاء على عدد من المراكب الاغريقية التي كانت راسية بالمرسى.

٧٤ - وعندما أصبحت السفن والمراكب آمنة داخل المرسى ، احتشد الحجاج جميعا هناك ومعهم البنادق للتداول حول كيفية الاغارة على المدينة ، وخلصوا الى الاتفاق على أن يقوم الفرنجة بمهاجمة القسطنطينية برا والبنادقة بحرا ، وأعطى دوج البندقية أوامره لاتباعه بنصب ما لديهم من المعدات والأسلالم على ظهر السفن حتى يستطيعوا بوساطتها مهاجمة الأسوار.

وفي الوقت نفسه تجهز الفرسان والحجاج جميعا وحملوا أسلحتهم وقصصوا واحدا من الجسور وقع على قرابة مرحلتين منهم ، وأرادوا الاستيلاء عليه والعبور منه الى داخل القسطنطينية ، لعدم توفر طريق آخر يمكن عبوره وطوله أقل من أربعة فراسخ ، غير هذا الطريق الممتد من الجسر ، وعندما وصلوه بادر الاغريق الى صدهم وللحيلولة بون عبورهم له ، لكنهم أخفقوا وتمكن الحجاج بعد جهد من اجلائهم بقوة السلاح ، وهكذا عبره الحجاج ، وعندما وصلوا الى أطراف المدينة نصب سادة القوم خيمهم أمام قصر بلاشرين الخاص بالامبراطور والقائم عند رأس المدينة.

٧٥ - وكان بحوزة دوج البندقية معدات هائلة على درجة عالية من الدقة ، فقد أخذ صواري مثل التي تحمل قلوب السفن طول كل منها مائة وثمانين قدما أو أكثر ، وشدها الى بعضها شدا محكما ثم ربطها الى صواري السفن بحبال متينة ثم أمر بمد جسور فوقها تكون قوية متوازنة ، جاءت من خشب الصنوبر ، ووضع أعمدة على امتداد الحبال ، وجاءت الجسور واسعة جدا بحيث يمكن لثلاثة من الفرسان السير عليها معا ، وصنع الدوج سواتر واقية لجوانب هذه الجسور غطاها بالجلود المدبوغة واللبد ، وبذلك بات الذين يسيرون عليها لا يخشون الأذى من رميات النشاب وغير ذلك من المقنوفات

- ٤٦٠٢ -

وملت الجسور من أطراف السفن حتى الأرض ، حتى كان ما بين كل جسر والأرض قرابة مائتان وأربعون قدما أو أكثر ، يضاف الى هذا وضع النوج على كل مركب من مراكب الحمولة منجنيقا تبلغ رماياته الأسوار وداخل المدينة أيضا .

وفي الوقت الذي هيا فيه البنادقة اسطولهم للهجوم حسب الشكل الذي اتينا على وصفه ، قام الحجاج من جانبهم بنصب عراداتهم ومجانيقهم ، بشكل تجعل رماياتها تصل الى قصر الامبراطور ، نصبوها على الأرض ، لأن هجومهم كان برياً ، هذا وكان الذين في داخل المدينة يرمون من جهتهم فتبلغ رماياتهم معسكر الحجاج .

٧٦ - وبعد لاستكمال الاستعدادات اتفق الصليبيون والبنادقة على أن يشرعوا في الهجوم العام في اليوم التالي برا وبحرا ، وعندما اطل الصباح ، شرع البنادقة الذين أعدوا أنفسهم تماما ، بالاقتراب من الأسوار بقدر الامكان استعدادا للهجوم ، وكذلك فعل الحجاج الذين تمركزت قواتهم على الجانب الآخر ، وهنا رأوا الكسيوس امبراطور القسطنطينية يخرج من المدينة عبر باب اسمه الباب الروماني ، وخرج معه جميع رجاله وهم شاكوا السلاح ، ونظم الامبراطور قواته خارج الباب وجعلها سبعة عشر فيلقا تعدادهم قرابة المائة الف فارس يمتطون الخيول ، وأرسل الامبراطور جل هذه الفيالق لتطويق معسكر الفرنجة ، وترك بعض الفيالق معه ، وكان قد أجبر جميع القباريين على حمل السلاح من سكان المدينة على الخروج ووزعهم حول الأسوار كلها ، وبهذا وقفوا بينها وبين معسكر الفرنجة ، وعندما رأى الفرنجة ما حدث وأنهم باتوا مطوقين من هذه الفيالق خافوا حتى حد اليأس ، واشتد أساهم ، لكنهم أخذوا يعدون فيالقهم للقتال وكان قد بلغ عددها سبعا فقط ، تكونت من سبعمائة فارس حيث لم يكن لديهم أكثر من هذا العدد ، ولم يكن من هؤلاء السبعمائة سوى خمسين فقط من الرجال.

- ٤٦٠٣ -

وبعدما عبأوا قواتهم حسبما وصفنا ، طلب كونت فلاندرز أن يتولى قيادة الفيلق الأول فأجيب الى طلبه ، وطلب كونت سانت بول ومولاي بيتر الداميانى قيادة الفيلق الثانى وتولى اللورد هنري أخو كونت فلاندرز قيادة بقية القوات من الفرنجة والألمان معا ، ثم اتفقوا على أن يزحف الفرسان أولا وأن يسير خلف كل فيلق من فيالق الفرسان عدد من الرجالة من أبناء جلدة الفرسان.

٧٧ - وبعدما تم انتقاء ثلاثة فيالق لتتولى الهجوم على جيش الامبراطور ، عهد بقيادة أحد الفيالق الأربعة المتبقية لحراسة المعسكر الى الماركيز بونيفيس دي مونتفرات ، وكان هو القائد العام للجيش وقد وقف في الساقة وتولى أمور الدفاع عن المعسكر من الخلف ، وقاد الفيلق الثانى الكونت لويس ، وتكون الفيلق الثالث من أهل شامبين ، والرابع من البرغنديين ، وكان - كما قلنا - الماركيز هو القائد الأعلى لهذه الفيالق بوصفه القائد العام للقوات.

٧٨ - ثم جاءوا الى الفتیان الذين يتولون العناية بالخيول والى الطبّاخين القادرين على حمل السلاح ، وجهزوهم بالاغطية والستر وحلوس الدواب والاولانى النحاسية وايدي المهاريس والعصي ، وكان منظرهم منظرا بشعا لاتألفه النفس ويخشاه القلب ، ولهذا خاف جمهور رجالة الامبراطور الذين وقفوا امام الاسوار منهم خوفا شديدا ، واستبدهم الرعب ساعة رؤيتهم لهم .

وتولت الفيالق الاربعة التي ذكرتها لك حراسة المعسكر بدون تباطؤ ، وذلك خوفا من ان تتقدم فيالق الامبراطور التي تطوقهم فتسمى لاقتحام المعسكر والدخول الى الخيم ، وتلحق بها المضار والاذى ، وتمركز الفتیان الذين يسوسون الخيول مع الطبّاخين في الناحية المواجهة لشطر المدينة حيث وقفت رجالة الامبراطور الذين انتشروا امام الاسوار .

وبعدما رأى رجاله الامبراطور رجال العامة منا وقد تعبوا خيرا تعبئة ، اعتراهم الخوف الشديد ، واستبد بهم الرعب المميت ، فلم يمتلكوا الجرأة على مبارحة اماكنهم والزحف ضدهم ، وهكذا اطمأن معسكرنا من وفود اي خطر عليه من هذا الجانب .

٧٩ - ثم صدرت الاوامر ان يقوم كونت فلاندرز وكونت دي سانت بول واللورد هنري ، وهم الذين كانوا يتولون قيادة الفيالق الثلاثة ، بمهاجمة الامبراطور ، وصدرت الاوامر ايضا الى الفيالق الاربعة الاخرى بألا تتحرك من اماكنها مهما كانت حاجة الاخرين اليها ، اللهم الا اذا رأت ان وقوفها حيث هي سيؤدي الى هلاكها ، وقد صدرت هذه الاوامر اليها خشية من ان يحال بينها وبين العودة ، او ان تهاجمها الفيالق التي احاطت بالمعسكر .

٨٠ - وفي الوقت نفسه عندما كان الفرنجة يتعبون على هذه الصورة لخوض المعركة لم ينس البنائقة نورهم ، وبما انهم كانوا على سطح البحر فقد اقتربوا من اسوار المدينة حتى التصقت مراكبهم بها ، او كانت ، وهكذا بات بإمكانهم الارتقاء اليها بواسطة السلالم والجسور التي اقاموها على سفنهم ، ثم راحوا يرمون ويقذفون القذائف بواسطة المجانيق والعرادات ، وانقضوا على المدينة بهجوم عنيف عاصف حتى انهم توصلوا في النهاية الى طرح النار في المدينة واتى الحريق على شطر كبير منها يعادل في حجمه مدينة اراس ، غير انهم لم يمتلكوا الجرأة على التجول بالمدينة والزحف بداخلها ، لانهم كانوا حفنة من الرجال لا يمكنهم المقاومة ، ولهذا انسحبوا وعادوا الى سفنهم .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر تمت تعبئة الرجال الذين توجب عليهم القتال إلى جانب الامبراطور ، بحيث حددت أماكن تركز ومهام كل واحد من الفيالق ، وجرى اختيار اثنين من أكثر الرجال حنكة وبربة وعهد إليهما بالقيادة والزموا الجنود بطاعتها تماما فإذا قالا لهم: اذحفوا، زحفوا وإذا قالا: اركضوا، ركضوا .

٨١ - ووقف كونت فلاندرز على رأس مقدمة القوات ، أي في الطليعة ، وهكذا ركب مسرعا وانقض بكل عنف على الامبراطور ، الذي كان على بعد ربع فرسخ منه ، والذي أصدر أوامره لقواته بالزحف للتصدي لهجوم كونت فلاندرز .

وزحف كونت دي سانت بول واللورد بيتر الداميانى اللذان قادا الفيلقين الآخرين بعد كونت فلاندرز مباشرة ، وزحف بهما مباشرة هنري دي هينولت واللمان النين كانوا قوام الفيلق الثالث ، والبست الخيول الدروع الواقية ثم غطيت هذه الدروع بأقمشة حريرية زاهية ، وسار وراء كل فيلق من الفيلق مباشرة ثلاث أو أربع أو خمس فرق من السير جانتيه والرجالة ، وقد زحفوا على شكل أرتال طويلة في صفوف جاور كل مقاتل آخر ولم يتجاوزوه أو يتجرا بالتقدم عليه .

وزحف الامبراطور ومعه فيالقه التسعة كلها للتصدي إلينا ، وكان في كل فيلق مالا يقل عن ثلاثة آلاف فارس ، لابل تألف بعضها من أربعة آلاف ، وبعضها الآخر من خمسة آلاف .

٨٢ - وبعدها بات كونت فلاندرز على بعد قرابة غلوتين من معسكره نبهه مستشاراه إلى ضرورة التمهّل وقال له : لا يحسن بك أن تبعد كثيرا عن معسكرك لقتال الامبراطور ، إذ لن يكون بمقدور القائمين على حماية المعسكر المباشرة إلى نجدتك ، إذا كنت بعيدا جدا عنهم ، واحتجت إلى مساعدتهم ، ونرى أن تصفي لنصيهتنا وتعود إلى مواقفك ، وتلبث هناك في انتظار الامبراطور وأنت مطمئن إلى أوضاعك إذا أراد قتالك .

وأصغى كونت فلاندرز إلى هذا الرأي وأخذ به فعاد إلى مواقفه ، وكذلك فعل فيلق مولاي هنري ، وأما كونت سانت بول ومعه بيتر الداميانى فقد رفضا النكوص ، ومع هذا فقد وقفوا مع قواتهما في وسط ميدان المعركة .

٨٢ - وعندما رأى كونت سانت بول وبيتر الداميانى نكوص كونت فلاندرز قال بعضهم لبعض : لقد اقترف كونت فلاندرز إثما كبيرا بنكوصه وجلله العار ، لأنه هو الذى تعهد بقيادة المقدمة وأن يكون على رأس الطلائع ، ثم قالوا : أيها السادة إن كونت فلاندرز قد انتكس وهو بعمله هذا قد تخلى لكم عن مقدمة الجيش ، فلنأخذ مكانه باسم الرب ، وهكذا اتفق هؤلاء البارونات على أن يقولوا قيادة المقدمة والوقوف بالطليعة .

٨٤ - ولما رأى كونت فلاندرز رفض كونت سانت بول والكونت الداميانى التقهقر بعث إليهما برسالة مع واحد من رجاله ، وحثهما على التقهقر ، فرد عليه مولاي بيتر الداميانى بالرفض وقال إنه لن يتراجع ، ومجددا بعث إليه كونت فلاندرز برسولين للفرض ذاته والتمس منه باسم الرب التراجع والا يجللهم العار ، فقد عاد هنو نزولا على النصائح التى أسديت إليه ، وعليه أن يكون مثله ، فرد الداميانى مجددا ومعه كونت سانت بول بالرفض ، وتشبثا بموقفهما .

٨٥ - ثم التفت مولاي بيتر الداميانى ومولاي يوستاس دي كانتلو نحو قوات فيلقهما وقالوا : أيها السادة اركبوا الآن ، وتقدموا باسم الرب ، ولنسرع جميعا ، وشرعا بالتقدم بكل سرعة ، وعند ذلك أخذ الذين بقيوا من الجيش وقفا بالصياح والصراخ : انظروا ، انظروا ، ها هو كونت سانت بول وبيتر الداميانى متوجهان لهجمة الأمبراطور ، ولهذا شرعوا فى البكاء والانتحاب والصراخ قائلين : « مولانا الرب احفظهما اليوم ومن معهما جميعا . انظروا لقد توليا الطليعة التى كانت قيادتها إلى كونت فلاندرز ، فرد الجميع يامولانا سالمين » .

٨٦ - ومن داخل القصر الأمبراطورى وقفت سيدات القصر وفتياته أمام النوافذ يرقبن المعركة التى تصور رحاها أمامهن ، وكذلك اعتلت نساء وفتيات أهل المدينة الأسوار وفعلن الشيء نفسه ، وبينما راين الأمبراطور من جانب المدينة ، أبدين إعجابهن برجالنا

وكن يقلن بعضهن لبعض : هؤلاء الرجال يشبهون الملائكة ، لهم جمال وبهاء وأسلحة بديعة وجياد مجهزة خير جهاز .

٨٧ - وحين رأى فرسان فيلق كونت فلاندرز إصرار كونت سانت بول وبيتر الداميانى على عدم العودة وتشبثهما بموقفهما مهما كانت العواقب توجهوا نحو مقدمهم كونت فلاندرز وخاطبوه قائلين : يامولانا لقد اقتربت نخبنا عظيما بعدم تقدمك ، وإننا نعلمك أننا لم نعد أنفسنا نرتبط بك ، وسنهجرك إن لم تبار إلى الهجوم الآن .

ولدى سماع الكونت لهذا التهديد لوى عنق فرسه وتحرك مسرعا ، وقلده الباقون وزحفوا مسرعين حتى أدرکوا قوات كونت سانت بول وبيتر الداميانى ، وعندما وصلوا إليهم اتحدوا وساروا جبهة واحدة ، وسار وراءهم اللورد هنري ومعه قواته .

وما لبثت قوات الأمبراطور وقواتنا أن باتت قريبة بعضها من بعض حتى برجة التلاحم ، إلى حد أن رماة السهام في جيش الأمبراطور كانوا يرمون وهم في وسط رجالنا وكذلك فعل رماتنا حيث كانوا يرمون وهم قيام وسط رجال الأمبراطور .

٨٨ - وكان هناك تل هفیر فصل بين قوات الأمبراطور وقواتنا ، وعندما شرعت قوات الأمبراطور في ارتقاء هذا التل من الجهة التي واجهتهم ، صعدت قواتنا بدورها الجهة المقابلة لهم ، وعندما رآهم الأمبراطور توقف هو وجميع رجاله ، فقد ضربهم الهلع وسيطر عليهم الغم وشعروا بالاحباط لرؤيتهم قواتنا زاحفة من أعلى التل نحوهم ، وحاروا ولم يعودوا يعرفون ما يفعلون ، وفيما هم لحيرتهم وخوفهم ، قامت بقية قوات الأمبراطور التي كانت قد أرسلت لتطويق المعسكر بالانسحاب من مواقعها لتتضم إلى قوات الأمبراطور التي وقفت عند سفح التل .

٨٩ - ولدى مشاهدة الفرنجة لتجمع قوات الأمبراطور

واحتشادها في مكان واحد ، تريضوا عند القمة وهم يتسارعون عما سيفعله الأمبراطور ، وتراسل قادة الفيالق الثلاثة ومقدموا التشكيلات وتشاوروا حول ما ينبغي عليهم القيام به : هل يتقدمون لمقاتلة جيش الأمبراطور أم يمتنعون عن ذلك ؟ واتفقوا أخيرا على عدم التقدم لأنهم باتوا بعيدين جدا عن معسكرهم ، وإذا ما هاجموا الأمبراطور حيث هو لم يعد بمقدور المتولون لحراسة المعسكر رؤيتهم وإنجادهم إذا اقتضى الحال ذلك ، زد على هذا قام بينهم وبين الأمبراطور مجرى ماء كان عبارة عن قناة كبيرة جرى فيها الماء الذي كان يفذي القسطنطينية ، وقد وجدوا أنفسهم أنهم إذا ما غامروا بعبور هذه القناة فسيتكبدون خسائر كبيرة في قواتهم ، ولهذا كله عزموا على عدم متابعة الزحف .

وفيما كان الفرنجة يتداولون فيما بينهم حول هذه الشؤون ، إذا بهم يرون الأمبراطور وقد انسحب وقواته عائدا إلى القسطنطينية حيث تلقته نساء المدينة وفتياتها بأقذع السباب والشتائم ، وسخر منه الجميع ووجهوا إليه اللوم لتقاعسه عن الالتحام بجيش الفرنجة الصغير لاسيما وتحت تصرفه هذا الجيش العملاق .

٩٠ - وبما أنكفا الأمبراطور وتراجع على هذه الصورة ، عاد الحجاج نحو معسكرهم ، ووضعوا أسلحتهم جانبا ، وعند ذلك وصل إليهم البنادقة في سفنهم ومراكبهم ليستقوضوا منهم جليلة الحال وقالوا لهم : في الحقيقة سمعنا أنكم كنتم تقاتلون الأغريق ، وكنا نحن في خوف شديد عليكم ، لهذا جئنا لتقديم العون إليكم .

فأجابهم الفرنجة : لقد قمنا بما توجب علينا ، ونحمد الرب أن وفقنا بالنهوض لحرب الأمبراطور ، غير أنه تقاعس وجبن عن الالتحام معنا ، ثم سألهم الفرنجة بدورهم عن آخر أخبارهم فأعلموهم قائلين : في الحقيقة شننا هجوما عنيفا جدا على المدينة واقتحمناها من فوق أسوارها وأضرمت النيران فيها ، وقد أكلت النيران شطرا كبيرا منها .

وفيما كان الفرنجة والبنادقة يتبادلون أحاديثهم هذه إذا بهم يسمعون أصوات ضجة هائلة صدرت من داخل المدينة ، ومرد ذلك أن سكان المدينة طالبوا الامبراطور ببذل جهده بدون تقاعس لتخليصهم من الفرنجة الذين شددوا عليهم الخناق ، وتهديده - إن هو أحجم أو تقاعس عن قتالهم - بأن يرسلوا وراء الشباب الذي جاء به الفرنجة ويتوجوه إمبراطورا عليهم ويوكلون إليه شؤون حكمهم .

وبعدما أصفى الامبراطور إلى مطالبهم ، تعهد لهم بأنه سوف يقاتل الفرنجة في الغد ، لكن الذي حدث هو أنه عندما أوشك الليل على الانتصاف هرب من المدينة واضطرب معه من قدر على اصطحابه من حاشيته .

٩١ - ومع حلول صباح اليوم التالي ، عرف أهل المدينة بأن الامبراطور قد هرب ، وهنا لم يجدوا أمامهم من مخرج سوى التوجه إلى أبوابها وفتحها ، ثم قصدوا معسكر الفرنجة بحثا عن الكسيوس بن اسحق للاجتماع به ، فعرفوا من أهل المعسكر أنه موجود في سراق الماركيز ، ولدى وصولهم إليه وجدوه هناك ، فسلموا عليه ورحبوا به غاية الترحيب وأبدوا سرورهم بوجوده وقدموا الشكر للبارونات ، وعبروا لهم عن امتنانهم تجاه ما قاموا به وما تجشموه من مشاق ، وبيّنوا لهم أنهم أنجزوا عملا جليلا جديرا بالثناء والتشريف ، ثم أعلموهم بقرار الامبراطور ، وأن بإمكان الصليبيين الدخول إلى المدينة والقصور والتصرف بها كما لو كانت ملكا لهم .

٩٢ - وبناء عليه احتشد بارونات الجيش وقائمه ، وحملوا الكسيوس بن اسحق وتوجهوا به إلى القصر وسط موكب رائع وسرور هائل ، وبعد الوصول إلى القصر أخرجوا والده اسحق من السجن وأخرجوا أيضا زوجته ، واسحق هذا هو الامبراطور الذي اعتقله أخوه وصار إمبراطورا مكانه .

وبعدها أخرج اسحق من السجن فرح كثيرا بابنه ، وشعر
بالغبطة والسعادة ، وراح يقبله ويعانقه ، وأشاد بجهود البارونات
وشكرهم عظيم الشكر ، وخص بذلك الذين كانوا حضورا آنذاك ،
وقال إن الفضل في إطلاق سراحه يعود إلى الرب أولا ثم إليهم
ثانيا ، ثم تم إحضار عرشين مذهبين جلس اسحق على واحد منهما
وجلس ابنه الكسيوس إلى جواره على الثاني ، وقد احتل اسحق
العرش الاساس .

وبعدها عاد إلى عرشه الامبراطور قيل لاسحق : يوجد بالسجن
هنا رجل كبير اسمه مرزوفلوس ، هو في هذا السجن منذ سبع
سنوات كاملة ، وإذا تفضلت فمكنت عليه بإطلاق سراحه ،
واستجاب الامبراطور اسحق ، وأمر بإخراج مرزوفلوس من
السجن واصطنعه لنفسه بجعله كبير نوابه ، غير أن الامبراطور
اسحق لقي منه أسوأ الجزاء ، وبأمره بالشر لقاء كرمه نحوه كما
سنحكى ونروي لك فيما يلي .

٩٣ - بعدما فرغ الفرنجة من هذه الأعمال وأنجزوا ما أنجزوه
سمع سلطان قونية بما صنعه الفرنجة ، ولهذا قدم إلى محابثهم ،
وهم مايزالون في معسكرهم خارج القسطنطينية وقال لهم : أيها
السادة ، لقد أنجزتم في الحقيقة إنجازا رائعا ، وقمتم بالفعل بعمل
من أعمال البطولة الباهرة ، حين تمكنتم من الاستيلاء على
القسطنطينية ، وهي مدينة منيعة جدا لاترام ، ثم هي حاضرة
الدنيا ، وأيضا حين أرجعتم العرش إلى صاحبه الشرعي ، وتوجتم
وريث القسطنطينية امبراطورا ، هذا واعتاد الناس هناك على القول
أن القسطنطينية هي حاضرة الدنيا .

ثم استطرد سلطان قونية يقول : « أيها السادة ، إن لدي قضية
أريد طرحها عليكم ، وخلاصة الامر أن أخا لي صغير تسلم بالخيانة
وغدر بي فانتزع مني بلادي وأمارتي في قونية التي كنت أحكمها
وكنت صاحبها الشرعي ، فإذا قدمت لي العون على استردادها ،

وتمكنت من العودة الى سلطاني وامارتي بمساعدتكم وهبتكم الكثير من الثروات ، وعمدت نفسي مسيحيا ، وكذلك الذين حولي جميعا .

واجابه البارونات انهم سيتداولون الامر فيما بينهم ، ثم استدعوا دوج البندقية والماركيز وسائر كبار البارونات ، وعقدوا اجتماعا موسعا ، وبعد مداولات توصلوا اخيرا الى الاتفاق باجماع على عدم تلبية طلب السلطان ، وهكذا اعلموه بعد خروجهم من الاجتماع انهم غير قادرين على تلبية طلبه والذهاب معه ، فهم مازالوا ينتظرون تسلم المكافاة من الامبراطور ، ثم من غير الحكمة مغادرة القسطنطينية الان ، لان الامور فيها لم تستقر بعد ، ومادامت الحالة على هذا النوال لن يتحركوا من مكانهم ولن يغادروا القسطنطينية ، وانزعج السلطان لدى سماعه هذا الجواب وغضب منهم غضبا شديدا ثم غادر معسكرهم .

٩٤ - وكان عندما حمل البارونات الكسيوس الى القصر ، سألوا عما اذا كانت اخت ملك فرنسا ، التي كانت زوجة الامبراطور الفرنسية ، ماتزال على قيد الحياة ، وجاءهم الجواب بالايجاب ، وانها تزوجت من رجل من كبار اعيان المدينة اسمه براناس ، وتعيش في قصر يقع على مقربة منهم ، فتوجه البارونات نحوها للاجتماع بها وتقديم التحيات والولاء ، غير انها لاقتهم بفتور شديد ، وكانت حانقة عليهم حنقا شديدا ، لانهم قاموا بتتويج هذا المدعو الكسيوس ، وابنت عدم رغبة بالحديث اليهم ، وكلمتهم من وراء حجاب بواسطة رجل كان ينقل كلامها اليهم ، وقال المتحدث عنها انها لاتعرف احدا من الفرنسيين على الاطلاق ، ولكن ابن عمها الكونت لويس عرفها بنفسه .

٩٥ - وفي احد الايام قصد البارونات القصر الامبراطوري للتسلية ورؤية اسحق وابنه الامبراطور ، وفيما هم جلوس في القصر جاء احد الملوك ، وكان اسود البشرة قد وشم جبينه بشارة الصليب بواسطة الحديد المحمي ، وكان هذا الملك يعيش في دير داخل المدينة

- ٤٦١٢ -

كان عظيم الثراء ، كان الامبراطور السالف الكيسوس قد اسكنه فيه ، وخوله التصرف بهذا الدير وبتملكه مادام يمتلك الرغبة بالاقامة به ، وعندما سمع الامبراطور انه مقبل نحوه ، بادر لتلقيه والترحيب به بكل حرارة ، ثم التفت الامبراطور نحو البارونات وسالهم : هل تعرفون هذا الرجل ؟ فاجابوه بالنفي كلا لانعرفه يامولانا ، فقال الامبراطور : انه ملك النوبة ، وقد قدم الى هذه المدينة للحج .

ثم جيء ب مترجم ليترجم بينهم وبينه ، فسأله عن موقع بلاده ، فاجابهم بانها تبعد عن مدينة القدس مسيرة مائة يوم ، وانه غادر بلاده متوجها نحو القدس بقصد الحج ، وبين انه كان برفقته وقت مقاديرته لبلاده ستونا من ابناء قومه ، لم يبق منهم على قيد الحياة إلا اثنان فقط ، واعلمهم ان بنيته السفر الى روما بقصد الحج وانه سيذهب منها الى مزار القديس جيمس ، ومن ثم سيعود - ان ظل حيا - الى القدس ليقم هناك حتى توافيه المنية .

٩٦ - وتحدث هذا الملك ايضا ان سائر سكان بلده نصارى ، وان من عاداتهم اذا ولد لاحدهم هائل ، ياتون بعد تعميده بكى من الحديد المحمي بالنار ويرسمون على جبهته شارة الصليب كالتي يرونها على جبهته ، وخذق البارونات بهذا الملك وقد عرثهم الدهشة واستولى عليهم العجب .

٩٧ - وكان البارونات بعدما قاموا بتتويج الكيسوس امبراطورا - حسبا اوضحت من قبل - اتفقوا على ان يقيم معه بالقصر بيتر دي براشو مع رجاله ، واتفق البارونات ايضا على عدم الاقامة في المدينة خوفا من غدر الاغريق ووقع اختيارهم على جعل معسكرهم عبر الميناء وراء برج غلاطية ، وقد وجدوا في تلك الناحية ما يكفيهم من مساكن في بيوت خاصة ، ووضعوا سفنهم على الشاطئ امامهم ، وكانوا يذهبون الى المدينة في الوقت الذي يريدون ، اما بحرا بواسطة القوارب ، او برا على ظهور الخيل عبر الجسر .

- ٤٦١٣ -

٩٨ - بعدما شعر الفرنجة بالاستقرار ، قرروا فيما بينهم هدم ثلاثمائة قدم من اسوار القسطنطينية خوفا من انقلاب سكانها ضدهم .

٩٩ - ثم عقد البارونات اجتماعا بالقصر الامبراطوري ، وبعد ذلك طالبوا الامبراطور بدفع اجورهم ، فاجابهم انه سيفعل ذلك ، لكنه يريد اولا ان يتوج بشكل رسمي ، ولذلك تم تحديد يوم التتويج ، وجرى التتويج في اليوم المحدد وسط احتفال رسمي عظيم ، ونصبوه امبراطورا ، وكان ذلك بموافقة ابيه ورضاه التام ، وبعد الفراغ من عملية التتويج عاد البارونات اليه للمطالبة باجورهم ، فاجابهم انه على استعداد لدفع كل ما هو متوفر له ، وبالفعل اعطاهم مائة الف مارك ، اخذ البنادقة نصفها وذلك جريا على قاعدة الاتفاق بشأن اقتسام الغنائم ، ثم اقتطعوا من الخمسين الف الاخرى مبلغ ستة وثلاثين الف دفعها لهم الصليبيون لانهم كانوا مدانين بهذا المبلغ لقاء نقلهم بحرا ، وقام الحجاج بعد ذلك بسداد ما عليهم من ديون فردية للذين اسلفوهم لدفع اجور النقل ، وذلك من مبلغ الاربعة عشر الف مارك التي بقيت لهم .

١٠٠ - ثم طلب الامبراطور من البارونات الاجتماع به واعلمهم انه لا يملك بالفعل غير القسطنطينية ، ومربود هذه المدينة ليس بالكبير ، وهي ليست هامة جدا بالنسبة له .

لان عمه كان مسيطرا على جميع المدن الاخرى والقلاع التي من المتوقع ان تكون في يده هو بالذات ، وبناء عليه طلب منهم مساعدته في الاستيلاء على بعض المناطق القريبة ، واعلمهم انه سيفع لهم من الثروات اكثر مما هو مقرر لهم ، ورحبوا بهذا العرض ترحيبا كبيرا ، واعلنوا وسط الجيش من اراد الربح فليستعد للزحف ، وبالفعل زحف مع الكسيوس اكثر من نصف الجيش ، ومكث البقية بالقسطنطينية لاستلام الاجور ، وبقي اسحق بالقصر ليدفع للبارونات اجورهم المستحقة .

وخرج الكسيوس وبرفاقته جيشه كله ، فاستطاع الاستيلاء على عشرين بلدة وأكثر من أربعين قلعة ، وفر عمه الكسيوس الامبراطور الآخر من أمامه ، واستغرقت هذه الأعمال ثلاثة أشهر ظلت قوات الفرنجة خلالها مع الامبراطور الكسيوس .

وفي أثناء هذه الفترة ، وبينما الكسيوس خارج القسطنطينية أعاد أهل المدينة بناء ما هدمه الفرنجة من سورها وزادوه حتى مناعة وارتفاعا ، وكنا قد ذكرنا أن الفرنجة قد هدموا ثلاثمائة قدم من سور المدينة حتى الأرض خوفا من غدر الأغريق بهم .

١٠١ - وعندما رأى البارونات الذين مكثوا بالمدينة لتسلم الأهور ، أن اسحق يرفض أن يدفع اليهم شيئا من استحقاقاتهم ، بعثوا الى بقية البارونات الذين صحبوا الكسيوس يطلبون منهم العودة لأن اسحق لم يدفع لهم شيئا من الأجور ، وأوصوهم أن يجعلوا عودتهم قبل عيد جميع القديسين ، وعندما سمع البارونات بهذه الأخبار أعلموا الامبراطور أنهم آيئون الى القسطنطينية ، وعندما اطلع على ذلك منهم ، أعلمهم أنه سيعود معهم إن عاينوا ، لأنه لا يستطيع الوثوق برجاله الأغريق ، وهكذا عاد الجميع الى القسطنطينية ، فتوجه الامبراطور الى قصره ، وقصد الحجاج مقر سكنهم حيث معسكرهم عبر الميناء .

وبعد هذا اجتمع البارونات وكبار القادة والبوج مع الامبراطور ، وطالبه الفرنجة بأجورهم فأجابهم بأنه أنفق كثيرا من الأموال أثناء استرداد مدينه وعلى رجاله ، وأنه بات لا يمتلك شيئا حتى يدفعه لهم ، غير أنهم إن أمهلوه بعض الوقت فسوف يتدبر الأمور ويجد الوسائل التي تمكنه من دفع ما خصصهم من أموال ، فاستجابوا لمطلبه ، ومع هذا مر الوقت دون أن يدفع شيئا فطالبه البارونات مجددا بأجورهم ، فرجاهم أمهاله مجددا ففعلوا وأمهلوه من جديد .

١٠٢ - وجاءه في تلك الاثناء رجال حاشيته وأعوانه بما فيهم

مرزوفلوس - الذي كان قد أخرجه من السجن ، وقالوا له : يا مولانا لقد دفعت لهم حتى الآن مبالغ كبيرة من الأموال ، وأن الألوان للامساك ، فضخامة ما دفعته قد حملتك على رهن كل شيء ، ونرجو أن تأمرهم الآن بالرحيل والخروج من أرضك ، وأخذ ألكسيوس بهذه المشورة وبات غير راغب بدفع المزيد من المال الذي سبق ودفعه لهم .

وكان الفرنجة قد أعطوه مهلة نهائية للدفع ، وعندما رأوه لا يريد أن يدفع لهم المزيد من المال ، تداعى البارونات وكبار القادة للاجتماع والتداول ، وإثر هذا ذهبوا الى الامبراطور في قصره وطالبوه مجددا بدفع أجورهم ، فأجابهم بالرفض وبين أن ليس بإمكانه أن يدفع لهم شيئا ، كما أنه ليس بنيته دفع المزيد ، فتهدده البارونات أنه اذا استمر في سياسته هذه بعدم الدفع ولم يقض دينه نحوهم فسيستولون على قسم من ممتلكاته مقابل الوفاء بأجورهم .

١٠٤ - وبعدما وجه البارونات هذا الانذار الى الامبراطور غادروا القصر وعادوا الى معسكرهم ، وإثر ذلك تدارسوا تفاصيل خطة رأوا اتخاذها ، لكنهم أشروا توجيه انذار أخير الى الامبراطور ، فأرسلوا له فارسين ليطلباه مجددا بدفع أجورهم ، فكان جواب الامبراطور أنه لن يدفع لهم شيئا أبدا ، وعليهم الرحيل فورا ومفادرة بلده بدون تقاعس ، واذا لم يفعلوا ذلك فسيرغمهم على فعله .

١٠٥ - وعاد الفارسان الرسولان الى المعسكر وأطلعوا البارونات والقادة على جواب الامبراطور ، ومن جديد شرعوا بعد سماع هذا الجواب بالتداول حول الخطوة التالية ، وهنا انبعث دوج البندقية وأعلمهم أنه سيذهب للحديث معه ، وبناء عليه بعث الى الامبراطور رسالة وطلب منه الحضور الى قرب الميناء والتحدث اليه ، وجاء الامبراطور ممتطيا صهوة جواده ، وكان الدوج قد هيا أربعة مراكب شحنها بالرجال ، ركب هو في واحد منها وكلف الثلاثة

بحراسته ثم تقدم نحو الساحل لمخاطبة ألكسيوس ، وقد ناداه وقال له : يا ألكسيوس ما الذي قصده بكلامك ، هلا تذكرت كيف نشلناك من الشقاء المقيم ، وكيف جعلناك سيذا وحاكما ، وتزوجناك امبراطورا ، فهلا تمسكت بوعودك ووفيت بعهودك وتايعت تنفيذ المتبقي عليك ؟

فأجابه الامبراطور ، ما فعلته فيه الكفاية ولن أقفل المزيد ولن أدفع شيئا .

فرد عليه الدوج : وتقول أنت هذا أيها الفتى الفرير التعس ، تقول لنا نحن الذين انتشلناك من هاوية التعاسة ، تأكد أننا سنردك اليها ثانية ، وانني متحدثك ومذكرك بالوقت نفسه ، واعلم علم اليقين أنني سألحق بك من هذه الساعة فصاعدا كل ما بإمكانني من الأذى .

١٠٦ - وبعدما فرغ الدوج من مخاطبته هكذا ، تركه وعاد الى حيث اجتمع مع البارونات وكبار قادة الجيش ورجالات البنادق للتداول فيما بينهم والاتفاق حول ما سيقومون به ، وتبين للبنادقة أن برودة الطقس تحول بينهم وبين نصب سلالهم وجسورهم ومجانيقهم فوق السفن ، فقد كان الموسم ما بين عيد جميع القديسين وعيد الميلاد .

وفيما هم في أزمتهم الخائفة هذه قام الامبراطور ورجاله الغدارون بحبك عمل خياني كبير ، حيث سحبوا عددا من المراكب الى المدينة أثناء الليل ، ثم شحنوها بالأخشاب الجافة تماما وصبوا عليها الزيوت ثم أنزلوها الى الماء وأوقدوا فيها النيران ، ومع منتصف الليل - وكانت هناك ريح عاصفة - سرح الأغريق السفن الملتهبة ودفعوها باتجاه الأسطول الفرنجي ، وبالفعل ساقطت الريح هذه المراكب بشدة نحو هذا الأسطول .

ولاحظ البنادقة ما يجري بالوقت المناسب ، فبادروا فورا الى

- ٤٦١٧ -

تحريك سفنهم جميعا ، وابتعدوا بها فكان أن حققوا بذلك نجاحا باهرا ، ونجا الاسطول الفرنجي ، وبرحمة من الرب لم يصب بأذى أذى .

١٠٧ - وعاود الأغريق عملهم هذا بعد اسبوعين ، ومجددا ما أن شاهدتهم البنادقة حتى بادروا للدفاع عن أسطولهم ، وحالوا دون امتداد النيران اليه ، وبرحمة من الرب لم يصب البنادقة بخسارة تعتبر سوى أن النيران أصابت سفينة تجارية كانت راسية هناك فأحرقتها تماما .

١٠٨ - وتفشى في هذا الوقت الغلاء وانتشر في المعسكر حتى بات سعر زجاجة الخمر الواحدة اثنتي عشرة سوسية ، وبيعت البيضة ببدينين والدجاجة بعشرين سوسية ، ومع هذا لم يكن هناك شح بالخبز ، بل توفر بما كفى حاجة الجيش لفترة من الزمن .

١٠٩ - وفي أثناء ذلك الشتاء قام أهل القسطنطينية بتقوية دفاعات المدينة وبذلوا كل امكانياتهم في هذا السبيل ، فزادوا من ارتفاع أسوارهم وأبراجهم عما كانت عليه ، وشيدوا أبراجا من الخشب أقاموها فوق هذه الأبراج الحجرية ، وغطوها بألواح متينة وباللبد والجلود المدبوغة ، وبذلك لم يعودوا يخشون من سلالم سفن البنادقة ، فقد بات ارتفاع الأسوار ستين قدما ، وتجاوز ارتفاع الأبراج المائة ، ونشروا على الأسوار الفصيلة داخل البلد أربعين عرادة ومنجنيق ، وأقاموها في النقاط التي توقعوا أن تتعرض للهجوم ، وليس مدهشا انجازهم لهذا كله فقد امتلكوا ما يكفي من الوقت للقيام به .

١١٠ - وفيما هذه الاجراءات والاستعدادات تجري بدون تلكؤ ، اجتمع مرزوفلوس - وهو الذي كان الامبراطور قد حرره من السجن - بجماعات الأغريق الذين كانوا يبغضون الامبراطور ، وراحوا يحيكون مؤامرة للإطاحة به والتخلص منه وإقامة امبراطور

جديد مكانه يخلصهم من الفرنجة الذين جاء بهم ، ورأى هؤلاء أن الامبراطور الكسيوس هو سبب البلاء وأنه ليس بقادر على دفعه ، وقال لهم مرزوفلوس : لو عهدتم بالأمر الي ونصبتُموني امبراطورا فليسوف أخلصكم من الفرنجة ومن هذا الامبراطور وأنهى معاناتكم ، فأجابوه بأنهم سوف يتوجوه امبراطورا بعدما يخلصهم من الفرنجة والامبراطور ، وبناء عليه تعهد لهم مرزوفلوس أنه سوف يخرج بهم من هذه الضائقة خلال اسبوع واحد ، وبناء عليه تعهدوا بتتويجه امبراطورا .

١١١- ولم يضع مرزوفلوس الوقت ، بل قاد مجموعة من الجنود ، واقتحم بهم ليلا جناح الامبراطور ، مولاه الامبراطور الذي حرره من السجن ، فاعتقله وأمر بوضع حبل حول عنقه وعنق ابيه اسحق وشنقهما معا ، وبعدما مافرغ من عمله هذا ذهب الى شركائه بالمؤامرة فأخبرهم بما أنجز ، فقاموا معه وتوجوه امبراطورا عليهم .

١١٢- وما أن توج مرزوفلوس امبراطورا حتى دوت هرخة عالية في المدينة : « انظروا ماذا حدث ، اغتال مرزوفلوس مولاه ، وتوج نفسه امبراطورا .. ثم ربطا أحدهم رساله الى نشابه ورمها بقوسه الى داخل معسكر الحجاج فيها خبر ما فعله مرزوفلوس ، وعندما وقف البارونات على الخبر وتيقنوا من صحته قال بعضهم : لتحل لعنة الرب على الذي يبالي بما حدث لالكسيوس أو يهتم به حيا أو ميتا ، وطبعوا قالوا هذا لأن الكسيوس لم يف بعهدة للحجاج ، هذا وقال بعضهم الآخر : ان مسؤولية ما حدث لالكسيوس تقع على عاتقهم .

١١٣- ومالبت مرزوفلوس أن يعث برسالة الى كونت فلاندرز وكونت لويس والى الماركيز وبقية البارونات وكبار القادة ، أمرهم فيها بالرحيل فورا ومغادرة أرض بلاده ، وأعلمهم أنه قد بات هو الامبراطور ، وأنذرهم بأنه سوف يفتك بهم ويقتلهم جميعا إن لم

يرحلوا خلال اسبوع من يومهم ذاك ، وعندما وقف البارونات على رسالة مرزوفلوس هذه دهشوا وقالوا : عجباً كيف يتجرأ هذا الذي غدر بمولاه وقتله خيانة تحت جناح الظلام أن يرسل اليها مثل هذه الرسالة؟! فما كان منهم الا أن كتبوا اليه رسالة أنبوه فيها وأعلموه أنهم يتحدونه ، وتهددوه أنهم لن يرحلوا ، وسيشددون الحصار على المدينة ، وسيثأرون لاغتيال الكسيوس ممن غدر به ، وأنهم سيستولون على القسطنطينية مجدداً وعندها سيحصلون على أجورهم كاملة غير ناقصة حسب الاتفاق مع الكسيوس .

١١٤- وبعدما قرأ مرزوفلوس هذه الرسالة ، وجه أوامره الى أهل المدينة بضرورة زيادة تحصينات الأسوار والأبراج قوة بتجهيزها بالمجانيق والعرادات حتى يمكن صد هجوم الفرنجة اذا قام ، فنفذوا ما أمرهم به ، وبذلك غدت الأسوار والأبراج أقوى مما كانت عليه من قبل وأشد منعة .

١١٥- وفي تلك الآونة التي تسلم فيها مرزوفلوس عرش الامبراطورية ، ازداد ضيق حال الفرنجة ، وكما ذكرت من قبل تعاضم شح المواد ، ومع هذا كانوا يعدون سفنهم ومعداتهم وأنفسهم للهجوم ، وفيما هم كذلك وصلتهم رسالة من يوحنا صاحب الاشيا ، طلب فيها من البارونات تتويجه ملكاً على الاشيا ، ووعدهم أنهم اذا فعلوا ذلك سيضع مملكته وأراضيه تحت تصرفهم ، وأنه سيأتي لنجدتهم والوقوف الى جانبهم على رأس مائة ألف جندي ، وسيعمل معهم في سبيل الاستيلاء على القسطنطينية .

١١٦- وكانت الاشيا من الأراضي التابعة للامبراطور ، وكان يوحنا بالأصل جندياً من جنود الامبراطور ثم تولى رعاية واحد من مراعي الخيول الامبراطورية ، بحيث كان اذا طلب منه الامبراطور ستين فرساً أو مائة بعث بها اليه ، واعتاد على أن يزور البلاط كل سنة مرة وذلك حتى ساءت علاقته به ، ونجم ذلك عن اهانة كبيرة تلقاها في القصر ، فقد حدث في أيام زيارته الأخيرة أن اقترف أحد

- ٤٦٢٠ -

خصيان الامبراطور بحقه جرما كبيرا حين ضربة بالسوط على وجهه ، ولهذا غضب يوحنا غضبا شديدا ، وشعر بالمرارة لذلك ترك القصر وتخلي عن خدمة الامبراطور ، غضبا لنفسه للاهانة التي لحقته ، وعاد الى الاشيا وهي بلاد حصينة تحيط بها الجبال من كل جانب الى حد أنه لا يستطيع أحد الدخول اليها أو الخروج منها الا عبر ممر ضيق .

١١٧- وعندما حل يوحنا في بلاد الاشيا سعى الى ضم كبار رجالاتها اليه ، وسلك مسلك الزعيم القوي فكان يتألف الناس ويمنحهم الأعطيات ، لذلك سرعان ما دانت له تلك البلاد وخضع له سكانها واعترفوا به سيذا عليهم ، فلما تحقق له ذلك ذهب الى جماعات الكومان وسواهم فتحالف معهم فانضموا الى صفوفه ودانوا له بالطاعة .

١١٨- وتقع بلاد الكومان على حدود الاشيا وسأحدثك عن هؤلاء الكومان وأروي لك أخبارهم :

الكومان شعب بدائي الحياة لا يعرف الزراعة والفلاحة والحصاد ، ولا يقطن أفراداه في البيوت أو الأكواخ بل في خيم من اللباد ، وعماد غذائهم اللبن والجبن واللحوم ، ويكثر الذئباب والبعوض في معسكراتهم أثناء الصيف كثرة ترغمهم على ملازمة خيمهم فلا يخرجون منها قبل حلول موسم البرد والشتاء ، وفي ذلك الموسم يخرجون من بلادهم للقيام بأعمال الغارة على سواهم .

١١٩- وأنا مخبرك الآن عن أعمالهم :

وامتلك كل واحد من الكومان عددا من الخيول تصل الى عشرة رؤوس أو اثني عشر رأسا ، وهم يحسنون تدريبها ، ويأخذونها معهم في حلهم وترحالهم وفي أوقات غزواتهم ، وأثناء السفر لا يتوقفون عن الركض ليلا ونهارا ، ويسرعون حتى أنهم يقطعون في

- ٤٦٢١ -

يوم واحد وليلة واحدة ما يعادل مسيرة ستة أيام وأحيانا مسافة سبعة أيام أو حتى ثمانية ، ولا يحملون شيئا مما يستولون عليه أثناء زحفهم ، غير أنهم يقومون في مرحلة الاياب بحمل الغنائم وأخذ الأسرى وكل ما يجدونه أو يستولون عليه ، ولا يحملون السيوف أو الأسلحة الأخرى بل يحملون القسي والنشاب والبستهم من جلود الأغنام ، وهم لا يعبدون ربا ، بل يكتفون بتقديس أول حيوان يراه أحدهم في الصباح أو يصدفه ، فيعكف على تقديسه طوال يومه أيا كان نوع هذا الحيوان .

١٢- هؤلاء هم الكومان الذين تحالف معهم يوحنا الوالاشي ، واعتاد أن يغير بهم كل سنة على أراضي الامبراطور ، وكان يتوغل في بعض الأحيان حتى أطراف القسطنطينية ، هذا ولم يمتلك الامبراطور القوة الكافية للتصدي له وكف أذاه .

١٢١- بعدما استمع البارونات الى عرض يوحنا الوالاشي قالوا لرسله بأنهم سيدرسون طلبية وسيفكرؤن به ، بعدما استعرضوه وتدارسوه اتخذوا قرارا خاطئا ، حيث بعثوا اليه انهم لا يكثرثون به ولاتهمهم مساعدته مطلقا ، وقد سددوا ثمن هذا الخطأ غاليا ، فانكبوا نكبة مفعجة وعانوا من مأساة مريعة ، وقام يوحنا - وقد أخفق في التعاون معهم - فراسل روما من أجل التتويج فبعث اليه البابا بواحد من الكرادلة توجه ملكا على الاشيا .

١٢٢- وسأحدثك الآن عن المحنة الشديدة التي تعرض لها مولاي الكونت هنري - أخي كونت فلاندرز - ففي غمرة تلك الأحداث ، وفيما الفرنجة يشددون الحصار على القسطنطينية ، وجد الكونت هنري أنه وأتباعه باتوا يعانون من الفقر الشديد وأنهم بحاجة ماسة الى المؤن وعدد كبير من الحاجيات ، وقد عرفوا بوجود مدينة اسمها فيليا ، تقع على مقدار عشرة فراسخ من المعسكر ، وكانت مدينة ذات ثراء عظيم وخصب كبير ، وخطط الكونت هنري للاغارة

- ٤٦٢٢ -

عليها ، فأعد الآلهة ، وخرج بالليل متسللا من المعسكر ومعه ثلاثين فارسا مع عدد كبير من الخيالة ، ولم يعلم أحد من أهل المعسكر بخبر خروجهم .

١٢٢ - ولما جاء الى هذه المدينة نجح في مهمته وأمضى فيها يوما ، ثم بادر للعودة ، وكان بعض الناس قد رآه وهو في طريقه اليها ، فرفع خبره الى مرزوفلوس ، وما كاد هذا يسمع بهذا الخبر حتى جمع قوة من حوآلي ألف رجل مسلح من الخيالة ، وحمل معه أيقونة ثمينة جدا عليها صورة « سيدتنا » - والاغريق يدعونها بهذا الاسم أيضا - وقد اعتاد الأباطرة على حملها أثناء خروجهم للقتال ، وكانوا يؤمنون بقدرات هذه الأيقونة ايمانا عظيما ويعتقدون بكل يقين أن حاملها لا يمكن أن يهزم في القتال أبدا ، ونحن أيضا نؤمن بذلك ، ولكن لأن مرزوفلوس لم يكن له الحق في حملها فقد هزم وخسرهما .

وكان الفرنجة قد عجلوا بإرسال الفنائم أمامهم الى المعسكر ، وساروا خلفها ، هذا من جانب ومن جانب آخر نصب مرزوفلوس لهم كمينا على طريق عودتهم ، ووضع على مسافة فرسخ من رجالنا حيث أخفى رجاله وخبأهم فلم يعرف عنهم رجالنا شيئا ، وعندما كانوا عائدين لا يدرون ما هو مبيت لهم خرج عليهم الكمين وأخذ الاغريق يصرخون عليهم لدى مشاهدتهم لهم ، وفوجئ رجالنا ونظروا حولهم فرأوا قوة الاغريق ففزعوا فزعا شديدا ، وأخذوا يدعون للرب ولسيدتنا بحرارة ، وتوالتهم الحيرة ، وأدهشهم الخوف فما عانوا يدرون ما يفعلون ، وأخيرا قال بعضهم لبعض: نحن إن قررنا لا شك هالكون ، وطالما أنه ما من الموت بد ، تعالوا نقاتل فنموت بشرف فهذا أجدر بنا وأفضل من الفرار .

وهكذا توقفوا ورتبوا صفوفهم بسرعة، فأوقفوا ثمانية من الرماة الذين كانوا معهم بالصف الأمامي وفي الوقت نفسه زحف الامبراطور

- ٤٦٢٣ -

مرزوفلوس ومعه جماعته من الاغريق نحوهم وانقض عليهم ، وعندما التحم أخفقوا في الحاق الضرر بهم ولم يتمكنوا من ترجيل واحد من الفرنجة ، وعندما التحم الاغريق بهم تخطى الفرنجة عن رماحهم واستلوا سيوفهم وحملوا فؤوسهم وقاتلوا دفاعا عن أنفسهم فقتلوا عددا كبيرا منهم .

١٢٥ - ولما رأى الاغريق أنهم لم يحققوا شيئا ، بل رجحت كفة الفرنجة عليهم ، استولى عليهم الرعب فنكصوا ولانوا بالفرار ، وطاردتهم رجالنا فقتلوا عددا كبيرا منهم وأسروا فئة معتبرة ، وحصلوا على مغانم واسعة ، وظلوا يطاردون الامبراطور مسافة نصف فرسخ وقدروا أن يتمكنوا من أسره ، ولما كان مرزوفلوس وأصحابه قد تعجلوا بفرارهم فقد وقعت الايقونة منهم ، كما وقعت خوذة الامبراطور وسقط صولجانه وأيقونته الشخصية وكانت من الذهب الخالص مرصعة بالجواهر ، لذلك بدت جميلة جدا وثمانية لم تر العين قط مايساويها .

١٢٦ - وعندما رأى الفرنجة كل هذا الذي حدث ، توقفوا عن متابعة المطاردة ، وامتلات قلوبهم بالفرحة ، وحملوا الايقونة وقدموا بها ونفوسهم كلها بهجة وسرور ، وفيما القتال كان دائرا وصل خبر الى المعسكر أن بعض الفرنجة قد اشتبكوا مع الاغريق بالمعركة ، فذهب رجال المعسكر الى نجدتهم ، فقد حملوا أسلحتهم وبادروا مسرعين للوصول الى الكونت هنري ومساعدته ، غير أنهم عندما وصلوا الى هناك وجدوا الاغريق قد لانوا بالفرار ، ورجالنا الفرنجة عائدون يحملون الغنائم بما في ذلك الايقونة الثمينة والجميلة كما ذكرت .

١٢٧ - وعندما دنا موكبهم من المعسكر خرج من به من الاساقفة ورجال الاكليروس في موكب مهيب لاستقبالهم والترحيب بهم ، واستقبلوا الايقونة بسرور ظاهر ، وبهجة عارمة ، وعهد بها الى أسقف تروي ، حيث كانت هناك كنيسة قد رمموها وأدى ،

الأسقف القداس وهلل المصلون للأيقونة تهليلاً عظيماً ، وقرر البارونات إثر الاستيلاء على الأيقونة تقديمها إلى سيئورهم وإليها حملت فيما بعد .

١٢٨ - وبعدما عاد مرزوفلوس إلى القسطنطينية حاول خداع أهلها أنه قد انتصر وألحق هزيمة كبيرة بالكونت هنري ورجاله ، وبادر بعض الأغريق إلى سؤاله : وأين الأيقونة والصولجان ؟ فأجابهم آخرون : كل شيء أفرد عن سواه ليخزن في مكان أمين ، ويحافظ عليه ، وسري الخبر بين الناس حتى أنه وصل إلى الفرنجة : أن مرزوفلوس قد خدع قومه وأوهمهم أنه انتصر على الفرنجة ، فما كان من الفرنجة إلا أن أعدوا مركباً شحنوه بالرجال ، وحملوا الأيقونة ورفعوها عالياً على ظهر المركب ، ورفعوا إلى جوارها الصولجان الإمبراطوري ، وجدفوا بهذا المركب جيئةً وزهاباً عارضين ما فيه أمام الأسوار ، فرأى ذلك من وقف فوق الأسوار وعدد كبير من أهل المدينة حيث أيقنوا أن ما رأوه لم يتعد الصولجان الإمبراطوري والأيقونة .

١٢٩ - وعندما رأى الأغريق هذا العرض قصصوا مرزوفلوس ، وشرعوا بالنيل منه والاستهزاء به لخداعه وكذبه أنه هزم الفرنجة مع أنه فقد الأيقونة والصولجان الإمبراطوري ، وبعدما سمع الإمبراطور منهم التقرير حاول أن يلتمس لنفسه المعاذير وقال لهم : لا تحزنوا ولا تيأسوا فليسوف أجعلهم يدفعون الثمن غالياً ، وسأنتقم منهم لذاتي .

١٣٠ - ثم عقد بارونات الفرنجة مع البنادقة اجتماعاً تداولوا فيه بشأن مصير العرش الإمبراطوري بعد الاستيلاء على المدينة ، وبعد مشاورات مطولة توصلوا أخيراً إلى الاتفاق على اختيار عشرة من خيرة رجالات جيش الفرنجة وعشرة من أفضل البنادقة ، وأن يعهد لهؤلاء الرجال العشرين بمسألة اختيار الإمبراطور المقبل ، وقرروا أن يلتزم الجميع بالقرار الذي سيتخذ

- ٤٦٢٥ -

بهذا الصدد ، كما وقرروا بالاجماع أنه إذا جرى اختيار الامبراطور من بين الفرنجة فسيكون البطريرك من البنادقة ، واتفقوا أيضا أن تكون حصة الامبراطور المقبل ربع المدينة ، على أن يتم تقسيم الثلاثة أرباع المتبقية مناصفة بين البنادقة والحجاج ، وأن يعتبر كل شيء بمثابة اقطاع من الامبراطور .

١٣١ - وبعدما أبرموا هذه الاتفاقات ، حشدوا جميع أفراد الجيش وجعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة وأن يتعهدوا بحمل كل ما سيقع في أيديهم من الأسلاب والمغانم الى المعسكر وذلك من الفضة والذهب والأقمشة وكل ما زاد ثمنه عن خمس سوسيات ، ولم يستثنوا من ذلك سوى الأدوات والأطعمة ، كما وتعهدوا بعدم استعمال العنف أو القسوة مع أية امرأة ولا تجرد من ثيابها ، ومن أمسك وهو يفعل ذلك سيكون عقابه القتل ، كما وجعلوهم يتعهدون أيضا بعدم اقتحام أي دير أو كنيسة أو التعرض لأي من رجال الاكليروس بسوء إلا إذا كان ذلك دفاعا عن النفس.

١٣٢ - وعندما أنجزوا هذا كله كان عيد الميلاد قد انقضى واقترب موعد الصيام الكبير ، وخلال ذلك كله كان الفرنجة والبنادقة قد أعدوا أنفسهم من جديد وجهزوا أنفسهم ، ومد البنادقة الجسور ثانية على سفنهم ، وصنع الفرنجة بعض الأكباش والآلات المختلفة لدك الأسوار.

١٣٣ - وانتزع البنادقة أخشاب البيوت ، وصنعوا منها سواتر لسفنهم فقد ربطوا الألواح الخشبية وضموها الى بعضها ثم غطوها بفروع الكرمة حتى لا تتأثر أو تتحطم بحجارة العرادات والمجانيق .

١٣٤ - وقام الاغريق من جانبهم في الداخل بزيادة تحصين مدينتهم أفضل تحصين ، وجللوا الأبراج الخشبية التي أقاموها على قمة الأبراج الحجرية ، باللبد والجلود المدبوغة ، وقد تكون كل برج خشبي مما لا يقل عن خمسة طوابق وأحيانا ستة أو سبعة .

- ٤٦٢٦ -

١٣٥ - وفي واحد من أيام الجمعة ، قبل أحد السعف بقرابة العشرة أيام ، أعد البنادق والفرنجة سفن الأسطول وحملوها بالمعدات ، وصفوها إلى جانب بعضها وتأهبوا للهجوم العام ، وامتد صف السفن أمام المدينة مقدار فرسخ ، وحمل البنادق والفرنجة أسلحتهم على خير مايرام .

١٣٦ - وكان في داخل المدينة مواجهة حيث قرر الفرنجة الهجوم على المدينة ، رابية ، وكان متيسرا رؤية هذه الرابية من السفن لأنها كانت أعلى من الأسوار ، وعسكر الأمبراطور مرزوفلوس الخائن مع رجاله فوق هذه الرابية وعليها نصب خيمته الأرجوانية ، وأحدث زعيق أبواقه وضرب طبوله أصواتا عالية وضجة شديدة ، وكان من غير الصعب بالنسبة للحجاج رؤية الأمبراطور مثلما تيسر له رؤية سفن الأسطول .

وعندما اقتربت السفن من الأسوار وأوشكت على القاء مراسيها ، أخذ الحجاج والبنادقة حبالا غليظة وقوية فسحبوا بها سفنهم إلى أقرب ما يمكن من الأسوار ونصب الفرنجة أكباشهم والاتهم المختلفة لك الأسوار ، وصعد البنادق فوق جسور سفنهم وهاجموا الأسوار بكل شجاعة ، وكذلك هاجمها الفرنجة بالآتهم .

١٣٧ - وعندما رأى الأغريق الفرنجة يهاجمونهم بهذه الشدة أخذوا يدرجون كتلا ضخمة من الحجارة - أكبر مما يتصوره المرء - على آلات الفرنجة فأمكنهم بذلك تحطيمها وتدميرها جميعا وبذلك لم يتجرا أحد على البقاء داخلها أو تحتها .

١٣٨ - ولم يستطع البنادق من جانبهم أن يصلوا إلى الأسوار - أو إلى الأبراج لارتفاعها الشاهق ، وعلى هذا لم يتمكنوا لاهم ولا الفرنجة من إنجاز شيء ضد الأسوار أو داخل المدينة ، وعندما أيقنوا أنهم لن يستطيعوا تحقيق غاياتهم قرروا الانسحاب وقلوبهم قد امتلأت غما ، ولما راهم الأغريق ينسحبون

- ٤٦٢٧ -

ارتفعت أصواتهم بالصراخ والصفير عليهم ، وتسلقوا الأسوار ودلوا سراويلهم وولولهم ظهورهم °

وعندما رأى مرزوفلوس عملية الانسحاب أخذ يقرع طبوله ويزعق بأبواقه مما أحدث جلبة عظيمة ، وبعث بطلب عليه قومه وخاطبهم قائلا : انظروا أيها السادة أولست أمبراطورا صالحا ؟ لاشك أنكم لم تعرفوا مثلي أمبراطور را صالحا ، أولم أنجح بعملتي ؟ إننا ماعدنا نخشاهم ولسوف أفتك بهم جميعا وأمرغ سمعتهم بالوحل .

وعندما انتهى هذا إلى الخجاج بلغ بهم الغضب غايته والأسى منتهاه ، وارتدوا إلى معسكرهم في الجانب الآخر من الميناء .

وبعدما عاد البارونات ، ونزلوا من السفن تداعوا إلى اجتماع عام ، وهم يشعرون بالاضطراب العظيم ، وأقروا أن مااقترفوه من أثم كان السبب في عدم انتصارهم على المدينة ، ثم تداول الأساقفة ورجال الأكليروس حول ماكان فأجمعت آراؤهم على أن المعركة كانت معركة عادلة ، وأنهم كانوا على حق في مهاجمة المدينة ، لأن أهلها كانوا فيما مضى يتبعون عقيدة كنيسة روما أما الآن فهم هراطقة يستخفون بهذه الكنيسة ولايقيمون أدنى اعتبار لعقيديتها ، ويرون أن جميع أتباعها والمؤمنين بها في منزلة الكلاب ، وبناء عليه قال الأساقفة : إن الفرنجة على حق في حربهم للأغريق وأن الهجوم على القسطنطينية لم يكن إثما بل عملا مشروعا .

١٤٠ - ثم أعلن في كافة أطراف المعسكر بوجوب مشاركة الجميع بما فيهم البنادقة بصلاة قداس صباح الأحد ، ونفذ الأمر وشرع الأساقفة بأعمال الوعظ في المعسكر ، وتولى الوعظ أسقف سواسون ، وأسقف تروي ، وأسقف هلبير شتات ، والسيد جون فديسيت ، وراعي دير لوس ، وأوضحوا جميعا للحجاج أن معركتهم معركة محقة وقتالهم لاليس حول شرعيته ، لأن الأغريق خونة سفكوا ظلما وغدرا دم إمبراطورهم وسيدهم الشرعي ، وأنهم أسوأ

من اليهود ، وأنهم حين سبيهاجمونهم سبيهاجمونهم باسم الرب
وبتفويض من البابا صاحب الكرسي الرسولي .

١٤١ — ثم طلب الأساقفة من الحجاج جميعا القيام بالاعتراف
وتناول القربان ، وطلبوا منهم ألا يكونوا خائفين لقتالهم الاغريق
لأنهم أعداء الرب ، وصدرت أيضا الأوامر بالبحث عن جميع النساء
الخواطي في المعسكر وإخراجهن منه ونفيهن بعيدا ، ولهذا وضعوهن
جميعا على ظهر إحدى السفن وأرسلوا بهن بعيدا عن المعسكر .
١٤٢ — وبعدما فرغ الأساقفة من وعظ الحجاج وایضاح أن
حربهم هذه المرة ضد الاغريق حرب مشروعة ، باشر الجميع
بالاعتراف وتناول القربان .

١٤٣ — ومع حلول صباح يوم الاثنين تهيأ الحجاج جميعا ،
وحملوا أسلحتهم ، ومثلهم فعل البنادقة ، ثم شرعوا في ترميم
الجسور على السفن ، وأعدوا مراكب الحمولة والشواني وصفوها
إلى جانب بعضها استعدادا للهجوم ، وامتد الأسطول وغطى جبهة
طولها قرابة الفرسخ ، وزحفوا نحو الشاطئ ، وعندما اقتربوا من
الأسوار غاية الاقتراب ألقوا مراسيهم ، ثم بدأ هجومهم العنيف
فأطلقوا الرمايات وقذفوا الأحجار ، وألقوا بالنار الاغريقية والمواد
المشتعلة على الأبراج وأعالي الأسوار ، غير أنها لم تلتصق بها ، بل
تدحرجت وذلك بفضل الجلود المدبوغة التي غطت الأسوار والأبراج .

١٤٤ — ودافع الذين كانوا بالمدينة عن أنفسهم بكل بسالة ،
وكانوا يمتلكون ستين عرادة ومنجنيق لرمي القذائف ، وكانوا
يصيبون في كل ضربة إحدى السفن ، لكن بما أنها كانت مغطاة
بالألواح التي فوقها قضبان عرائش الكرمة ، لم تتأثر السفن
بالرمايات مع أن الأحجار التي قذف بها الاغريق كانت ضخمة جدا
بحيث لا يستطيع انسان بمفرده رفع إحداها عن الأرض .

١٤٥ — وكان مرزوفلوس واقفا على الرابية تزعق أبواقه

- ٤٦٢٩ -

وتقر ع طبوله بأصوات مدوية ، وكان يشجع رجاله قائلا : بادروا من هنا ، توجهوا إلى هناك ، فقد كان يوجههم إلى حيث وجد الحاجة ماسة لوقوفهم .

١٤٦ - ولم تتمكن سوى أربع سفن أو خمسة من بين جميع سفن الأسطول من الوصول إلى الأبراج الشاهقة ، وكانت الأبراج الخشبية التي نصبت على ظهر الأبراج الحجرية ، والتي تألف كل منها من خمسة طوابق أو ستة أو سبعة ، مشحونة بأجمعها بالمقاتلين للدفاع عنها ، وثابر هؤلاء المقاتلون على التصدي للهجوم حتى سهل الرب وقوع معجزة ، فقد حمل البحر المضطرب سفينة أسقف سواسون ، فارتطمت بواحد من هذه الأبراج ، وكان على جسر هذه السفينة أحد البنادق مع اثنين من الفرسان المسلحين ، وعندما ارتطمت بالبرج ، تعلق البندقي بيديه وثبت قدميه ثم تمكن بعد جهد شاق من الدخول إلى البرج ، وهناك تلقفه جنود الطابق الذي دخل إليه ، وكانوا من الانكليز والدانيين والأغريق ، واندفعوا نحوه فمزقوه بسيفوفهم وبلطهم .

١٤٧ - ومرة ثانية حملت الأمواج المضطربة السفينة نفسها نحو الأمام فارتطمت مجددا بهذا البرج نفسه ، واستطاع أحد الفارسيين واسمه أندرو دوربواز أن يتعلق بأعلى البرج بيديه وقدميه ودخل إليه وهو يزحف على ركبتيه ، وما أن دخل إليه حتى انقض عليه المدافعون بسيفوفهم وبلطهم وضربوه بكل عنف ، لكن رحمة الرب تداركته ولم تمكنهم من قتله بفضل الدرع الذي كان يرتديه ، ولم يشأ الرب أن تطول محنة هذا الفارس أو أن يموت ، بل أراد سقوط هذه المدينة بأيدينا ، وأن يضرب المذلة على أهلها جزاء على غدرهم وعدم وفائهم ، وللأغتيال الذي اقترفه مرزوفلوس ، وهكذا أتيح لهذا الفارس الانتصاب واقفا حيث شهر سيفه ، وعندما رأوا هذا المنظر المخيف تملكهم الدهشة واستبد بهم الرعب الشديد فلانوا بالفرار نحو الطابق الذي يليهم ، وحين شاهد الذين كانوا في هذا الطابق فرار أصحاب الطابق العلوي خافوا أيضا وفروا بدورهم

- ٤٦٣٠ -

واندفع الفارس في أعقابهم ، وفي الوقت نفسه تمكن آخرون من اقتحام هذا الطابق ثم تناولوا حبالاً قوية ، وشدوا بها السفينة فالتصقوا بالبرج ثم شدوها إليه ، وهنا اقتحم البرج عدد كبير من الناس .

١٤٨ - وحرك الموج هذه السفينة بعنف وأراد إبعادها عن البرج من جديد ، لكن لأنها كانت مشدودة إلى البرج فقد اهتز هذا البرج بكل عنف ، حتى خيل للناس أن السفينة ستسحبه وتلقيه أرضاً ، لذلك أرغم رجال السفينة على فك الحبال التي تربط السفينة بالبرج .

١٤٩ - وعندما عرف الجنود الذين كانوا في الطوابق الدنيا أن الفرنجة قد استولوا على أعلى البرج أصيبوا بالهلع وخارت عزائمهم ، فلم يحتملوا البقاء في البرج وتخلوا عنه ، وكان مرزوقلوس يرقب عن كثب ما يجري ، ولم يتوقف عن تشجيع رجاله وحضهم على القتال ، وارسالهم نحو هذا المكان الذي وقع عليه الهجوم الكبير

١٥٠ - وفيما أحداث الاستيلاء على هذا البرج جارية كما وصفنا بصورة اعجازية ، ارتطمت سفينة بيردي براشو ببرج آخر ، وتمكن الواقفون على جسرها من الانقضاض على البرج والاستيلاء عليه بمعجزة ربانية أخرى .

وما أن تم لنا الاستيلاء على هذين البرجين حتى شحناهما برجالنا ، ولم يتجراً هؤلاء على مغادرتهم ، وظلوا في داخلهما ، بعدما شاهدوا حشود الناس الكثيفة على الأسوار على مقربة منهم ، فقد خافوهم ، وخافوا من الذين كانوا في الأبراج الأخرى الموجودة عند طرف الأسوار ، فقد كانوا من الكثرة بمكان يبعث على الدهشة

١٥١ - وعندما رأى اللورد بيتر الدمياني عدم مبارحة الذين كانوا

- ٤٦٣١ -

بالأبراج لها لكثافة حشود الأغريق ، نزل الى اليايسة وسار عليها هو ومن معه ، فبلغا ممرا ضيقا قام بين البحر والأسوار ، وعندما وقفوا هناك تفحصوا السور ، فرأوا علامات باب سرداب سري ، كان قد نزع ثم أغلق ثانية ، وتقدم نحوه اللورد بيتر الدمياني ومعه عشرة فرسان وستين من الرجالة .

١٥٢ وكان هناك راهب اسمه اليوم دي كلا ري ، وكان مقداما له فعالتيه في الملمات ، فهو الأول وعلى رأس كل هجوم يكون حاضره ، وقد قام هذا الراهب بأعمال باهرة أثناء الاستيلاء على برج غلاطية ، لأنه امتلك طاقة جثمانية تفوق بها على غيره ممن كان بالجيش ، اللهم باستثناء اللورد بطرس دي براشو ، فهذا كان متفوقا على الجميع كبيرهم وصغيرهم ، بحيث لم يباريه انسان في استخدام السلاح أو امكاناته الجسدية .

ولدى وصولهم الى باب هذا السرداب هاجموه بكل شجاعة واستخدموا المعاول لفتحه ، وكانت رشقات الذشاب تتطاير حولهم ونحوهم وذلك مع قذائف كبيرة من الحجارة ألقيت عليهم من فوق الأسوار ، حتى كادوا يدفنون هناك لكثرة ما ألقي عليهم .

١٥٣ - وكان جنودنا يحملون الترسية ويلبسون الدروع ، وبالترسة غطوا الذين كانوا يعملون على فتح السرداب ، ولم يكتف الأغريق بقذفهم بالحجارة الضخمة بل رموهم بالآنية المملوءة بالقار المغلي والنار الاغريقية ، ولهذا كان عدم هلاكهم معجزة من معجزات الرب ، وتحمل مولاي بيتر الدمياني ورجاله المشاق الهائلة والمصاعب الجمة حتى تمكنوا من فتح السرداب بالفؤوس والسيوف القوية ، كما واستخدموا في ذلك الكتل الخشبية والأعمدة والمطارق ، حتى نجحوا أخيرا في احداث ثغرة كبيرة ، لكن عندما جاءوا ليدخلوا من السرداب نظروا فرأوا من الجانب الآخر عددا هائلا من كبار القوم وصغارهم في انتظارهم ، حتى خيل اليهم أن نصف العالم قد اجتمع هناك ، لذلك لم يقدموا على دخوله .

١٥٤ - وعندما رأى الراهب اليوم عدم اقدام أحد على الدخول ، تقدم هو وقال بأنه سيدخله ، وكان هناك آنذاك فارس آخر هو أخوه واسمه روبرت دي كلاري ، فنهاه ولم يشجعه على الدخول ، فأصر الراهب على موقفه بالدخول ، ثم دخل الى السرداب وزحف على يديه وركبتيه ، وعندما شاهده أخوه تعلق به وحاول جره من قدميه وجذبه اليه جذبا شديدا ، فلم يفلح ، ودخل الراهب على الرغم من تعلق أخيه به ، وعندما صار بداخله اندفع نحوه عدد كبير من الأغريق ، وتابع الذين على الأسوار قذفه بالحجارة الضخمة ، ومع هذا شهر سيفه وانقض على الأغريق وحمل عليهم بشدة ففروا من أمامه وتبعثروا تبعثر الشياه ، فنادى على الذين ظلوا بالخارج ، أي اللورد بيتر وجماعته قائلا : « أيها السادة ادخلوا واحملوا بشدة ، فانني أراهم يندسحبون بيأس ، وما هم قد شرعوا بالفرار » .

وما أن سمع مولاي بيتر وأصحابه الذين وقفوا معه بالخارج كلامه هذا حتى بادروا الى الدخول ، ومع أن عددهم لم يتجاوز العشرة فرسان مع ستين من الرجال ، فقد اشتد خوف الأغريق الذين كانوا فوق الأسوار ، والذين كانوا في تلك المنطقة ، وما أن رأوهم داخل السرداب حتى تخلوا عن جزء كبير من الأسوار وهربوا ، وكان الامبراطور مرزوفلوس الخائن واقفا على مقربة منهم ، لا يبعد عنهم أكثر من غلوة سهم ، وهو يأمر بقرع طبوله والنفخ بأبواقه الفضية ، محدثا بذلك جلبة عالية .

١٥٥ - وما أن أبصر الامبراطور مولاي بيتر ورجاله في داخل المدينة حتى ساق ضدهم وانقض عليهم بكل سرعة وشدة ، وهنا أخذ مولاي بيتر يشجع رجاله على الصمود قائلا : « عليكم الآن أيها السادة ، أن تظهروا شجاعتكم في قتالهم ، وما هو الامبراطور مقبل نحوكم ، فلنلتحم معهم ولنقاتلهم بكل شدة وحذار أن يتزحزح أيا منكم عن مكانه ، فالواجب هو اثبات شجاعتكم وقدراتكم .

١٥٦ - وحين ساق مزروفلوس ضد رجالنا ظن أنهم سيفرون ، لكنه عندما راهم ثابتون ، لوى رأس حصانه وارتد عائدا نحو خيمه ، وهنا عندما رأى مولاي بيتر الامبراطور قد نكص على عقبيه ، أنفذ مجموعة من رجاله الى باب كان على مقربة منهم ليحطموا أغلاقه ويفتحوه ، وبالفعل ضربوه بالفؤوس والسيوف حتى حطموا مزاليجه وقضبانه المعدنية الضخمة ، وفتحوه ، وعندما شاهد من كان بالخارج هذا الأمر أحضروا مراكبهم وصعدوا اليها مع خيولهم ثم نزلوا من عليها واقتحموا المدينة من هذا الباب باندفاع هائل .

١٥٧ - وحين بات الفرنجة في داخل المدينة وهم على سهوات خيولهم ، سيطر الرعب على الامبراطور الخائن مزروفلوس ، فتخلي عن معسكره وخلفه وراءه ، وترك به أمواله وعاد الى قلب المدينة التي كانت كبيرة جدا متسعة طولا وعرضا ، حيث يقال إن طول أسوارها الملتفة حولها تسعة فراسخ كاملة ، كما أن طول المدينة من الداخل فرسخين ومثل ذلك عرضها ، وعندما هرب الامبراطور استولى مولاي اللورد بيتر على معسكر مزروفلوس واستحوذ على ما خلفه من خزائن وأمتعة .

١٥٨ - ولم يمتلك المدافعون عن الأسوار والأبراج الشجاعة والثبات حتى يبقوا حيث هم بعدما رأوا الفرنجة يدخلون المدينة والامبراطور ينجو بنفسه ، فهربوا بدورهم ولم يتوقفوا بل أسرعوا كثيرا ، وهكذا سقطت المدينة .

١٥٩ - وبعدما تم الاستيلاء على المدينة على هذه الشاكلة ، توقف الفرنجة ولم يتابعوا الزحف الى داخلها ، وإثر ذلك اجتمع كبار البارونات للتشاور حول الخطوة التالية ، ثم نودي في كافة أرجاء الجيش ألا يتوغل أحد الى داخل المدينة فيورد نفسه موارد التهلكة ، فالتوغل ينطوي على مخاطر جسام ، فقد يرميهم الناس بالحجارة من القصور الكبيرة والعالية ، أو يفتكوا بهم في الأزقة الشديدة

- ٤٦٣٤ -

الضيق حيث لا يستطيعون وقتها الدفاع عن أنفسهم ، أو أن تشعل النار في المدينة خلفهم فيموتون حرقا .

وخوفا من هذه المخاطر والشدائد لم يتجرا الجنود على الدخول الى احياء المدينة والتوزع في داخلها ، وأثروا الاقامة حيث هم .

١٦٠ واتفق البارونات بشأن الخطوة التالية وقرروا أن يتسلح الفرنجة ويستعدوا للقتال صباح اليوم التالي ويصفوا قواتهم ويعبئوها بانتظار الاغريق إذا كان بنيتهم الهجوم عليهم ، ورتبوا الامور أن يكون القتال في مكان مكشوف بعيد عن العمران ومقربين أن تعدادهم بالنسبة للاغريق واحد إلى مائة ، لكن اذا تقاعس الاغريق عن القتال ورفضوا تسليم المدينة ، عندها يتوجب على الفرنجة مراقبة اتجاه هبوب الرياح ثم يلقون النار في المدينة من جهة مهب الرياح وبذلك يحرقون المدينة ويدمرون الاغريق ويقهروهم بالقوة .

ووافق البارونات على هذه الخطة بالاجماع ، وبعد صلاة العتمة نزع الصليبيون ما عليهم من سلاح واستراحوا وأكلوا وناموا ليلتهم تلك داخل الأسوار لكن أمام أسطولهم .

١٦١ - وعند منتصف الليل ، عندما أترك مـزروفلوس الامبراطور الخائن ، أن الفرنجة باقوا جميعا داخل المدينة تزايد فزعه ، ولم يعد يمتلك الشجاعة للبقاء ، ففر في منتصف الليل حتى لا يعرف أحد خبر فراره ، لكن عندما عرف الاغريق أخبار فرار الامبراطور ، عمدوا في الليلة نفسها الى واحد من كبار رجالات المدينة واسمه لاسكاريس وتوجه امبراطورا ، وهذا بدوره لم يمتلك الصبر والشجاعة ليمكث حيث هو ، فقام قبل بلوغ الفجر بركوب ظهر إحدى السفن ، وعبر مضيق البوسفور ، وتوجه الى مدينة نيقية الكبرى ، التي كانت مدينة رائعة ، فتملكها وهناك أقام حيث أصبح امبراطورها .

١٦٢ - ومع اشراقة شمس صباح اليوم التالي جاء موكب من الرهبان ورجال الاكليروس في ثيابهم الدينية وتبع هؤلاء الانكليز والدانيون وغيرهم من اهالي البلاد الأخرى ، الى معسكر الفرنجة ، حيث التمسوا الرحمة لأنفسهم ، وأعلموهم بالذي صنعه الأغريق ، وأخبروهم أن جميع الأغريق من سكان المدينة قد هربوا منها ، ولم يبق منهم فيها غير الفقراء والضعفاء والمرضى ، وعندما سمع الفرنجة هذه الأخبار علاهم السرور وعظمت فرحتهم ، وأمروا بالنداء في أوساط الجيش ألا يحتل أحد بيتا حتى تتقرر الصورة التي سيتم بمقتضاها توزيع الممتلكات .

١٦٣ - واجتمع بعد هذا كبار القادة والأثرياء من البارونات معا واففقوا على أن يتوازعوا فيما بينهم أفضل مساكن المدينة ، دون أن يدري بذلك سواد الحجاج وفقراء الفرسان ، وهكذا شرع كبار البارونات والقادة من تلك الساعة في خديعة العامة والكذب عليهم واساءة عشرتهم ، وسيدفعون ثمن ذلك باهظا فيما بعد - كما سنخبركم - ، فقد اغتصبوا أفضل بيوت المدينة وأغناها ، واستحوذوا عليها قبل أن يعرف الفرسان الفقراء والعامة بذلك .

وعندما علم صفار الفرسان والفقراء بتفاصيل ما جرى ، توجه كل واحد منهم باتجاه واستولى على كل ما استطاع الاستيلاء عليه ، وعثروا على أشياء كثيرة وأخذوا ما لا يمكن حصره ، وتركوا أيضا شيئا كثيرا ، فقد كانت القسطنطينية مدينة عظيمة الاتساع أهلة بالسكان .

١٦٤ - واستولى الماركيز (بونيفيس دي مونتفرات) على قصر بوكليون وعلى كنيسة آيا صوفيا وقصر البطريرك ، واستولى في الوقت نفسه كبار البارونات والقادة على كل ما صادفوه من أجمل القصور وأغناها وأهم الأديرة وأكثرها ثراء ، وعندما تم للفرنجة الاستيلاء على المدينة لم يتعرضوا لأحد ممن بقي بالمدينة سواء أكان

فقيرا أو غنيا بسوء ، وكان قد نزح عن المدينة من أراد النزوح وبقي فيها من أراد البقاء ، مع أن أكثر أهلها ثراء هم الذين غادروها .

١٦٥- وبعد هذا صدرت الأوامر بجمع الغنائم في إحدى كنائس المدينة ، وبعدها اكتمل التجميع جرى اختيار عشرة من كبار قرسان الحجاج وعشرة من البنادقة ممن اتسم بالأمانة ، وأوكلوا اليهم حراسة هذه الثروات ، وكان حجم هذه الثروات هائلا ، وكان فيها كثير من الأواني الذهبية والفضية الغالية الثمن ، والملابس المطرزة بالذهب والمرصعة بالمجوهرات الثمينة ، وكان منظر ماجمع هناك منظرا عجيبا مثيرا للدهشة ، ولم يحدث قط - منذ بداية الخليفة - أن رأت عين أو غنم قوم مثل هذه الغنيمة الغالية الهائلة ، لابل لم يحدث مثل ذلك منذ أيام الاسكندر أو شارلمان ولاقبلهما ولابعدهما ، ويخيل لي شخصيا أنه لم يتوفر في جميع مدن العالم الأربعين الأكثر ثراء ماتوفر بالقسطنطينية ، وكان ماعثروا عليه هائلا لأنه فعلا كما يقول الاغريق : ان ثلثي ثروات العالم موجودة بالفعل في القسطنطينية ، وأما الثلث المتبقي فموزع على بقية انحاء الدنيا .

وأخذ الأشخاص أنفسهم الذين عهد اليهم بالحراسة كل ماطمعوا به من الحلي الذهبية ، فقد امتدت ايديهم بالسرقه الى هذه الثروات والى ماوجدوه ، وأخذ أيضا كل رجل ثري مااشتتهه نفسه من الحلي الذهبية والأقمشة الحريرية والمذهبة وغير ذلك وانطلق به ، وهكذا سرق الأعيان الغنائم واستولوا عليها حتى لم يبق شيء ليتقاسمونه مع عامة أفراد الجيش من الحجاج والفرسان الفقراء والجنود الذين أسهموا في الحصول على هذه الغنائم :

نعم لم يبق شيء لاقتسامه مع هؤلاء سوى أوعية الفضة التي كان من عادة نساء المدينة حملها معهن الى الحمامات ، أما المغانم الأخرى التي توجب قسمتها فقد اختفت - كما حدثتكم - ومع هذا أخذ البنادقة النصف المقرر لهم ، أما الجواهر والثروات الكبيرة

التي تركت لتقسم فقد سرقت أيضا بأساليب مختلفة ، كما سأقص عليكم فيما يلي .

١٦٦- بعدما كمل احتلال المدينة ، أسكن الحجاج فيها ، وبعد الاستيلاء على القصور عثر رجالنا فيها على ثروات هائلة أكثر مما كانوا يتوقعون ، وكان قصر بوكليون قصرا غنيا جدا ، بني على شكل سأصفه لكم فيما يلي .

١٦٧- وكان في هذا القصر الذي استولى عليه الماركيز خمسمائة قاعة اتصل بعضها ببعض وزينت جميعها بالفسيخس الذهبية ، وكان فيه ثلاثون بيعة مابين صغيرة وكبيرة ، عرفت احداها باسم البيعة المقدسة ، وكانت غنية جدا ورائعة الجمال ، حتى أنه لم يكن بها صائر باب أو مزلاج مما يصنع عادة من الحديد الا وكان مصنوعا من الفضة ، ولم يكن بها عمود الا وصنع من أفضل أنواع الرخام ذات الألوان الجميلة التي حليت بالأحجار الكريمة ، وكانت أرض البيعة مرصوفة بالمرمر الأبيض الناعم نعومة البلور والصافي مثل صفائه ، وفي الحقيقة بلغت هذه البيعة من الثراء والجمال درجة لانظير لها لذلك من الصعب توفيتها حقها بالوصف ، وقد حوت كثيرا من الآثار المقدسة الرائعة ، فقد عثر أحدهم على قطعتين من الصليب المقدس بحجم ساق الرجل ويبلغ طولهما ثلاثة أقدام ، كذلك عثر فيها على الحربة الحديدية ، التي طعن بها جنب مولانا ، وكما كان هناك مسماران من المسامير التي دقت بها كفاه وقدماه ، وعثر أحدهم على قارورة زجاجية فيها بعض من دمه ، ووجد هناك أيضا القميص الذي كان يرتديه ، ثم نزعوه عنه حينما ساقوه الى جبل الجلجلة ، وعثر أيضا على تاج الشوك المبارك الذي توجه به وقد صنع من عيدان ذات شوك قاطع كأنه أسنة الرماح .

ووجد أحدهم قطعة من ثوب مولاتنا العذراء مع رأس سيدنا

القديس يوحنا المعمدان ، وكثيرا غير هذا من البقايا والآثار المقدسة الرائعة التي أنا عاجز عن تعدادها أو وصفها لك بصديق تام .

١٦٨- وكان بهذه البيعة أثر مقدس آخر سهوت عن ذكره ، وهو عبارة عن وعائين ثمينين علقا من وسطيهما بسلسلتين من الفضة الثقيلة ، وكان في أحد هذين الوعائين قطعة من الأجر وفي الأخرى قطعة من القماش ، وسأحدثكم من أين جاءت هذه الآثار المقدسة :

كان فيما مضى في القسطنطينية رجل يعمل بصناعة القرميد ، وفيما هو يعمل في قرمة سقف إحدى الأرامل ، محبة بالرب ، متدثرا بقطعة من القماش تجلى له مولانا وقال له : أعطني هذه القطعة من القماش ، فناوله الرجل اياها ، فوضعها مولانا على وجهه فانطبعت ملامحه عليها ، ثم أعادها الى الرجل ، وطلب منه أن يحملها معه ، وأن يمسح بها المرضى ، فكل من آمن بها تعافى من مرضه ، وأخذها عامل القرميد ليحملها معه ، لكن حدث أن حان وقت صلاة العتمة ، فأخذها هذا الرجل بعدما ردها اليه الرب ، وأخفاها تحت قطعة من الأجر ، وبعد أداء الصلاة ، عاد ليأخذها ويمضي بها في حال سبيله ، وعندما رفع القرميدة شاهد أن صورة مولانا قد طبعت عليها أيضا ، فحمل القرميدة وقطعة القماش معا ، وشفى بهما - فيما بعد - عددا كبيرا من المرضى .

١٦٩- وكما أخبرتك كان هذان الاثران المقدسان معلقين في وسط البيعة ، وكان في هذه البيعة أثر مقدس آخر ايقونه عليها صورة القديس ديمتري ، وكانت هذه الايقونة تنضح بالزيت الكثير الى حد أنه كان من غير الممكن مسحه بسرعة مساوية لسرعة تدفق الزيت منها .

١٧٠- وضم قصر بلا شرين عشرين بيعة ، ومالا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة قاعة ، اتصل بعضها ببعض ، وزينت جدرانها بالفسيفساء المذهبة ، وبلغ هذا القصر من الأبهة والفخامة درجة

يعجز كل انسان عن وصفه لك أو يتحدث عن ثرائه وروعته ، ولقد وجبوا في هذا القصر ثروات هائلة جدا كان من بينها تيجان' الأباطرة المتقدمين ، وهي غالية جدا ، مع حلي ذهبية ثمينة وأقمشة حريرية غالية ، وعثروا ايضا على الملابس الامبراطورية الثمينة والجواهر النفيسة ، وعلى عدد كبير من الكنوز الهائلة ، ولا يمكن لانسان أن يقدر كميات الذهب والفضة الكبيرة جدا ، التي عثروا عليها في هذه القصور وفي أماكن أخرى كثيرة من المدينة .

١٧١- ثم أخذ الحجاج يطوفون بالمدينة لمشاهدة مباهجها وضخامة حجمها وقصورها وأديرتها وكنائسها الرائعة مع ماحوته من نخائر وكنوز ، وأكثر ما أعجبوا برؤية كنيسة آياصوفيا فقد أدهشهم جمالها أيما ادهاش وكذلك ماحوته من كنوز .

١٧٢- وسأحدثك الآن عن كنيسة آياصوفيا وكيف أقيمت ، واسم آيا صوفيا بالاغريق يقابله الثالوث المقدس بالفرنسية ، وهي كنيسة مستديرة البناء وسقفها عبارة عن قباب دائرة حولها محمولة على أعمدة ضخمة ورائعة جدا ، وليس بها عمود الا وهو مصنوع من أفخر أنواع الرخام أو المرمر أو غير ذلك من الحجارة الثمينة وليس بها عمود الا وله قدرة على شفاء نوع معين من الأمراض ، فواحد منها يزيل أمراض الكليتين اذا حككتا به ، ويشفي آخر من ذات الجنب ، ويشفي آخرون من عدد آخر من الأمراض .

وليس بهذه الكنيسة مزلاج باب أو صائر أو شريط أو أي شيء آخر مما يصنع عادة من الحديد ، الا وهو مصنوع من الفضة .

١٧٣- ومذبح الكنيسة الرئيس ثمين جدا لا يمكن تقديره بأي مبلغ مهما كان كبيرا ، لأن مائدته - التي كان قد أمر أحد الأباطرة بصنعها - كانت من الذهب والجواهر الثمينة المتمازجة ويبلغ طول هذه المائدة أربعة عشر قدما .

- ٤٦٤٠ -

وقام حول المنبح أعمدة فضية سننت عرشا قام على الهيكل وكان أشبه ببرج كنيسة دقيق الأطراف ، قد صب كله من الفضة الخالصة ، مما يعجز أي فرد عن تقدير المال الذي يثمن به ، وكان المكان المعد لترتيل الانجيل فيه بديما جدا ، بالغ الجمال ، ليس بإمكاننا وصف كيفية صناعته .

١٧٤- وبالكنيسة من الداخل مائة شمعدان - كل واحد منها معلق بسلسلة فضية ضخمة تبلغ قطر نراع الرجل ، ولكل شمعدان خمسة وعشرين مصباحا أو أكثر ، ولا يقل ثمن الشمعدان الواحد عن مائتي مارك فضي .

١٧٥- وكان باب الكنيسة الرئيسي مصنوع كله من الفضة ، وقد علق الى حلقاته أنبوب لا يعرف أحد كنه المواد التي صنع منها ، وهو في حجم قصبة الناي الذي يعزف به الرعاة ، ولهذه القصبة فضائل جمة سألني خبرها وأقصها عليك فهي ان وضعت كلها أو جزء منها بقم مريض - يشكو من علة في جسده مثل انتفاخ في البطن - امتصت هذه القصبة كل مابه من مرض وسحبت السموم وألقت من فمه وشفته سريعا ، انها تلتصق بفمه ، فتري عينية تدوران في محجريهما ، ولايستطيع التخلص منها حتى تمتص مابه من أسقامه ، وكلما كانت علته شديدة كلما اشتد التصاق القصبة به ، لكن اذا وضعها سليم في فمه لاثبتت به قليلا أو كثيرا .

١٧٦ - وقام أمام كنيسة أيا صوفيا عمود هائل الحجم لا يستطيع ثلاثة رجال الاحاطة بقطره ، وارتفاعه ثلاثمائة قدم ، وهو من الرخام المكفت بالنحاس الأصفر ، والمشدود بسأطواق حديدية قوية ، ووضع على رأس هذا العمود لوح منبسط وكبير من الحجر ، طوله خمسة عشر قدما ، ولايقل عرضه عن ذلك ، وثبت عليه تمثال امبراطور صنع من البرونز وهو يمتطي حصانا برونزيا كبيرا ، ومد هذا الامبراطور يده باتجاه بلاد الوثنيين ، وكان على هذا التمثال كتابة فحواها أن هذا الامبراطور قد أقسم ألا يهادن المسلمين أبدا ،

- ٤٦٤١ -

وأمسك بيده الأخرى كرة من الذهب عليها صليب ، ويقول الأغريق :
هذا تمثال الإمبراطور هرقل .

ووجد على كفل الحصان ورأسه وأطرافه مالا يقل عن عشرة
أعشاش من أعشاش مالك الحزين يبيض بها كل عام .

١٧٧ - وفي ناحية أخرى من المدينة وجدت كنيسة غير هذه
اسمها كنيسة الرسل السبعة ، يقال إنها أعظم وأجمل من كنيسة
أيا صوفيا ، ولا يمكن لإنسان أن يصف لك ثراء هذه الكنيسة
وروعتها ، وهي تضم بين جوانبها جثث سبعة رسل ، وبها أيضا
العمود الرخامي الذي شيدوا إليه مولانا قبل رفعه على الصليب ،
ويحكى أنه في هذا المكان يرقد الإمبراطور قسطنطين (الكبير
وأمه) هيلانة ، وعددا آخر من الأباطرة سواهما .

١٧٨ - ويوجد في ناحية أخرى من المدينة بوابة تسمى بوابة
العباءة الذهبية ، وضع عليها كرة كبيرة من الذهب كتب عليها
رصد ، ويقول الأغريق : لن تقع بالمدينة صاعقة طالما هي قائمة في
مكانها ، وعلى هذه الكرة أيقونة من النحاس قد ارتدت عباءة من
الذهب وقد مدت كماها إلى الأمام وقد كتب عليها : « من يعيش عاما
في القسطنطينية سينال عباءة ذهبية كالتي ارتديها » .

١٧٩ - وهناك في ناحية أخرى من المدينة بوابة أخرى اسمها
البوابة الذهبية ، وقد وضع عليها قيلين من النحاس حجمهما كبير
ومنظرهما عجيب ، ولاتفتح هذه البوابة أبدا إلا حين عودة أحد
الباطرة من حملة يكون قد استولى فيها على أرض عدوة ، فإذا
حدث مثل هذا خرج من المدينة موكب مهيب ضم رجال الأكليروس
لاستقباله ، وتفتح البوابة ثم يؤتى بمركبة من الذهب على شكل عربة
ذات أربع عجلات كالتي نسميها كوري - وفي وسط هذه المركبة
مقعد مرتفع عليه عرش حوله أربعة أعمدة تحمل مظلة تظل العرش
الذي يبدو وكأنه قد صيغ كله من الذهب ، وحين يجلس الإمبراطور

- ٤٦٤٢ -

على هذا العرش يضع على رأسه تاجه ، ويدخل من تلك البوابة ، ثم يحمل بهذه المركبة إلى قصره في سرور وبهجة عظيمة .

١٨٠ - وفي ناحية أخرى من المدينة مكان رائع آخر ، حيث قام على مقربة من قصر بوكليون ساحة شاسعة تدعى الملعب الأمبراطوري ، ومساحته غلوة سهم ونصف الغلوة طولا وغلوة واحدة عرضا ، وأقيم حول هذا المكان ثلاثين أو أربعين صنفا من المقاعد ، كان الأغريق يجلسون عليها لمشاهدة الألعاب ، وعلاه أيضا مقصورة كبيرة عظيمة الجمال والأتانة ، ففيها كان يجلس الأمبراطور والأمباطورة وعلية القوم ونساؤهم أثناء الاحتفالات والألعاب .

وإذا وجد أثناء اللعب اثنان يتباريان ، تراهن الأمباطور والأمباطورة على أن الرابع سيكون هذا الطرف أو ذاك ، ومثلهما كان يفعل المشاهدون للألعاب .

١٨١ - وكان يوجد على طول هذه الساحة المكشوفة جدار يبلغ ارتفاعه خمسة عشر قدما وعرضه عشرة أقدام ، وعلية تصاوير رجال ونساء وخيول وثيران وجمال ونبية ، وأسود ، ومختلف أنواع الحيوانات الأخرى ، وكلها مصنوعة من النحاس الأحمر ، وقد أبدعتها يد صانع ماهر حتى أن الناظر إليها لا يكاد يميزها عن نظائرها الحية ، ولا شك أن مهرة الصانع في بلاد المسيحية أو الوثنية عاجزين - مهما بلغوا من براعة - عن صناعة مايمثلها في الدقة ، وكانت هذه التماثيل فيما مضى ذات قوة سحرية ، ولكن بطل الآن ذلك السحر ، وقد أصيب الفرنجة بالدهشة حينما رأوا الملعب الأمباطوري هذا .

١٨٢ - وفي ناحية أخرى من المدينة منظر عجيب آخر - فقد انتصب هناك تمثالان من البرونز لامرأتين تفنن صانعهما بهما حتى شابها الطبيعة ، وبلغا من الجمال مبلغا فوق التقدير ، وكان لا يقل

- ٤٦٤٣ -

ارتفاع أي منهما عن عشرين قدما ، وكان أحد هذين التمثالين يمد يده باتجاه الغرب وعليه نقشت عبارات فحواها : سيأتي قوم من الغرب فيستولون على القسطنطينية أما يد التمثال الآخر فكانت ممدودة باتجاه مكروه ، وقد كتب عليها : « إن ذاك هو المكان الذي سيقذفونهم فيه » .

١٨٣ - وأقيم هذان التمثالان أمام سوق الصيارفة ، وكان فيما مضى سوقا شديد الازدحام ، لأن أغنياء الصيارفة اعتادوا على الجلوس في هذه البقعة وأمامهم أكوام ضخمة من النقود والأحجار الكريمة ، وذلك قبل احتلال المدينة ، أما الآن بعد الاستيلاء عليها فلم يبق بها منهم كثيرون °

١٨٤ - وفي جانب آخر من المدينة منظر عجيب آخر ، فقد قام هناك صومعتان شاهقتان عريضتان لا يمكن لثلاثة رجال تطويق أي منهما ، وتجاوز ارتفاع كل منهما ثلاثمائة قدم ، وقد اعتاد الناس على التعبد فوق قمة هاتين الصومعتين في حجر صغيرة توفر لها وللصومعتين أبواب تفضي إلى سلالم يمكن للمرء الصعود عليها .

١٨٥ - ونقشت على جدران هاتين الصومعتين صور ورسوم كل الأحداث التي ألت بالقسطنطينية ونبوءة كل ما كان مقبرا له أن يقع بها ، لكن لم يوجد أي انسان كان بإمكانه فهم واحدة من النبوءات .

حتى تترجم الى الواقع ، فبعد حدوث حادث من الأحداث كان الناس يهرعون الى هناك ويمعنون النظر فيما امامهم من رسوم ، وعندها يفهمون لأول مرة خبر ماجرى ، حتى ان استيلاء الفرنجة على المدينة كان مدونا ومرسوما على جدران هاتين الصومعتين ، وكذلك رسوم السفن التي استخدموها في الانقضاض على المدينة والاستيلاء عليها ، لكن الاغريق لم يدركوا سر هذه الرسوم قبل وقوع الواقعة ، لكن بعدما وقعت قصدوا مكان الصومعتين وتأملوا ماعليهما من رسوم وكتابة وصور وسفن فاذا بها تقول : « ان شعبا

من ذوي الشعور القصيرة والسيوف الفولاذية سيتقدمون من الغرب
لفزو القسطنطينية .»

١٨٦ - لقد وجد الفرنجة بعد الاستيلاء على القسطنطينية كل هذه
العجائب منتشرة في أرجائها ، لابل هناك أكثر بكثير مما حكيت لك
عنه ، ويخيل لي انه مامن واحد على وجه البسيطة يمكنه ان يحصي
عدد جميع اديرة المدينة لكثرتها وكثرة من بها من الرهبان
والراهبات ، الى جانب الكنائس الاخرى التي قامت في خارجها ،
فقد قدر من كان بها من رجال الاكليروس والرهبان وسواهم بثلاثين
الفا .

١٨٧ - لذلك سادع جانبا الحديث عن بقية الاغريق رفيهم
وفقيهم وعاليهم ودانيهم ، كما انني لن احكي المزيد عن حجم
المدينة وما بها من قصور وعجائب اخرى ، ذلك انه لا يستطيع احد ،
مهما كان شأنه ، ومهما طال مقامه بالمدينة ان يصفها كلها ويعد
ما بها ، حتى انه اذا ذكر لك واحدا من مائة مما في كنائسها
وقصورها من نخائر وثروات وجمال وابهة وترف ، بدا لك وكأنه
يحكي لك اسطورة ، ولن تصدقه اذناك .

١٨٨ - وكانت كنيسة مريم قديسة بلا شرين من بين روائع
المدينة ، فهي التي تحتفظ بالحنوط الذي وضع في كفن مولانا ،
وهو يتصيب كل يوم جمعة حتى يسهل على المشاهد رؤية ملامح وجه
مولانا ، ولا يعرف احد من الاغريق او الفرنجة ماذا جرى لهذا
الحنوط بعد الاستيلاء على المدينة .

١٨٩ - وكان هناك دير سجي فيه جنثمان الامبراطور الصالح
مانويل ، ولم يحدث قط ان سجي انسان سواء اكان قديسا او
قديسة تسجيه بهية مثل تسجية هذا الامبراطور .

١٩٠ - وفي هذا الدير اللوح الرخامي الذي سجي عليه مولانا

بعدها انزلوه من على الصليب ، وما يزال حتى الان من الممكن رؤية الدموع التي نرفتها سيدتنا عليه .

١٩١ - وبعدها حدث هذا كله ، اجتمع في احد الايام جميع البارونات وكبار القادة في قصر بوكليون ، الذي استولى عليه الماركيز ، وشرعوا يتداولون فيما بينهم حول الحاجة لتنصيب امبراطور ، ووجوب انتقاء عشرة نقباء من بينهم ، ثم طلبوا من دوج البندقية اختيار عشرة نقباء من عنده .

١٩٢ - وعندما سمع الماركيز هذا الاقتراح أراد أن يكون هؤلاء النقباء من أتباعه ، ممن يعتقد أنهم سيقدمون على اختياره امبراطورا دون سواه ، ذلك أنه تطلم لأن يكون هو نفسه الامبراطور المقبل ، ولم يوافق البارونات على ماأراده ، ورفضوا أن يكون النقباء المختارون من أتباعه ، لكنهم لم يعترضوا على أن يكون بعض النقباء من رجاله .

١٩٣ - وعندما وقف دوج البندقية على فحوى المناقشات - وكان رجلا محنكا مستقيما - قال على مسمع من الجميع: «اصفوا الي ايها السادة ، اقترح عليكم وضع القصور تحت الحراسة العامة للجيش قبل القيام باختيار الامبراطور ، فلو وقع الاختيار علي سيكون بإمكانني الذهاب مباشرة لاحتلال القصور بدون معارضة ، وكذلك الحال اذا اختاروا كونت فلاندرز ، عليه وقتها المضي لتوه الى القصور لاحتلالها دون معارضة ، وهذا هو الحال اذا اختاروا الماركيز ، او كونت لويس ، او كونت سانت بول ، او حتى لو اختاروا فارسا فقيرا ، فالذي سيكون الامبراطور لابد له من تملك القصور دون معارضة من الماركيز او من كونت فلاندرز او من سواهما .

١٩٤ - وبعدها سمع الماركيز هذا الاقتراح ، لم يكن بإمكانه معارضته - فأخلى القصر الذي كان يشغله ، وذهب القوم فوضعوا في القصور حراسا من سواد الجيش للمحافظة عليها .

١٩٥ - وكان دوج البندقية ، بعدما فرغ من خطابه قد اقترح على البارونات القيام باختيار نقبائه العشرة ، واعلن انه سيبادر بدوره الى تسمية نقبائه العشرة ، وبعدما سمع البارونات اقتراح الدوج اراد كل واحد منهم ان يكون النقيب من رجاله ، فهذا ما اراده كونت فلاندرز ، وكذلك استهدفه كونت لويس ، وكونت سانت بول وغيرهم من اعيان البارونات ، وهكذا لم يمكنهم ابدا الاتفاق على تسمية النقيب واختيارهم .

١٩٦ - ولهذا اتفقوا على تأجيل الموضوع الى يوم اخر ، ومع هذا اخفقوا في التوصل الى اجماع حول اختيار هؤلاء العشرة ، ذلك ان الماركيز كان يوما يريد تسمية من كان يظن انهم لابد ان يختاروه امبراطورا ، فقد اراد ان يكون الامبراطور المقبل مهما كلف الامر .

١٩٧ - واستمر الخلاف مدة اسبوعين دون ان يتمكنوا من الوصول الى اي اتفاق فيما بينهم ، ولم يكن ليمر يوم الا ويجتمعون للتداول حول هذا الموضوع ، الى ان اتفقوا اخيرا على ان يكون النقيب العشرة من بين رجال الاكليروس في الحملة ومن الاساقفة ورعاة الدير .

١٩٨ - وبعدما اتفق البارونات على هذا الترتيب قام دوج البندقية باختيار رجاله العشرة وفق الطريقة التالية : استدعى اليه اربعة ممن اعتقدوا انهم اعظم رجال بلده كفاءة وجعلهم يسمون على الاثار المقدسة انهم سيتولون اختيار عشرة نقباء يعتقدون اعتقادا جازما انهم افضل من في الحملة من ابناء مدينتهم ، فنفذوا ما طلبه منهم ، وكانوا اذا مانادوا واحدا من رجالهم تقدم ، وتوقف عن الكلام او التشاور مع احد ، ونقلوه فورا الى احدى الكنائس ، وفعلوا الشيء نفسه مع البقية حتى تم للدوج انتقاء نقبائه العشرة ، وبعدما صار النقيب جميعا في تلك الكنيسة ، قام البنادقة العشرة والاساقفة بترتيل قداس روح القدس ، والتمسوا منه تسديد خطاهم في سبيل اختيار الرجل الذي يصلح لمنصب الامبراطور .

١٩٩ - وبعد الفراغ من الصلاة اجتمعوا وراحوا يتشاورون ويستعرضون اسماء الرجال واحدا واحدا ، حتى استقر قرارهم جميعا بنادقة واساقفة ورعاة ابيرة على ان يكون الامبراطور هو كونت فلاندرز ، ووافقوا على ذلك دون معارضة احد .

٢٠٠ - وعندما فرغوا من عملية الاختيار ، واوشكت مهمتهم على الانتهاء ، اوكلوا الى اسقف سواسون مهمة الاعلان باسمهم ، وبعد هذا اجتمع رجال الجيش جميعا لسماع قرار النقباء ولمعرفة اسم الذي سيتولى الامبراطورية ، وعندما ساد الهدوء وانصت الجميع ، وخشي غالبيتهم لابل فزعوا من اعلان الماركيز امبراطورا ، وذلك على عكس الذين ايدوه فهو لاء عاشوا في خوف شديد من تسمية واحد سواه .

٢٠١ - وفيما هم وقوف ينتظرون في هدوء شامل اعلان القرار ، وثب اسقف سواسون واقفا على قدميه واعلن قائلا : « ايها السادة ، لقد وقع اختياركم علينا بالاجماع للقيام بهذا الانتخاب ، وقمنا بالفعل بانتخاب واحد عرفنا نحن انفسنا انه رجل مناسب وكفء لهذه المرتبة ، وانه وحده الذي بإمكانه تحمل اعباء الحكومة اذا عهدت اليه ، لانه خير من قدر على تنفيذ القانون ، فضلا عن انه من اصل نبيل وسمعة طيبة ، وهاكم اسمه : انه الكونت بلدوين كونت فلاندرز .

وعندما سمع الفرنجة اسمه عمهم السرور وابتهجوا ، ومع هذا وجد من حزن كثيرا ، وشعر بالاحباط وهم انصار الماركيز .

٢٠٢ - واثر اتمام عملية الانتخاب وتسمية بلدوين امبراطورا ، انطلق به البارونات وقادة الفرنجة الذين فرحوا بانتخابه فرحا شديدا ، وقصدوا قصر بوكليون وهم في اقصى حالات البهجة ، وعندما التأم شمل جميع القادة والبارونات حصدوا يوما للتتويج الامبراطور ، ولدى حلول اليوم المقرر امتطى الاساقفة ورعاة

- ٤٦٤٨ -

الاديرة والبارونات وزعماء البنادقة وكبار القادة من الفرنجة صهوات جيادهم ، وتوجهوا يؤمون قصر بوكليون ، ومن هناك حملوا الامبراطور الى كنيسة اياصوفيا ، وهناك قادوه جانبا وادخلوه حجرة خاصة حيث خلعوا عنه ملابسه الخارجية ، ثم البسوه حذاء فاخرا لونه ارجواني وقد غطي بالاحجار الكريمة ، ثم البسوه سترة ثمينة جدا لها ازرار ذهبية من الامام والخلف امتدت من الذراعين حتى موضع النطاق ، ثم طرحوا عليه الرداء الامبراطوري ، وهو نوع من العباءة تتدلى الى اعلى الحذاءين ، هذا من الامام ، لكنها طويلة جدا من الخلف يمكنه ان يلفها عند وسطه ثم يلقي طرفها على ذراعه اليسرى وكانها سبحة راهب ، وكان هذا الرداء ثمينا ورائعا جدا ، وقد غطي كله بالاحجار الكريمة .

ثم القوا على اكتافه عباءة اخرى ثمينة جدا ، كانت ايضا مغطاة كلها بالاحجار الكريمة ، رسم عليها نسور جميلة ايضا من المجوهرات التي بلغ شدة بريقها حدا يخيّل لرائيها ان العباءة كلها تتقد .

٢٠٣ - وبعدما البسوه على هذه الشاكلة قادوه الى المذبح ، وكان في تلك الاثناء الكونت لويس يحمل علمه الامبراطوري ، بينما حمل كونت سانت بول سيفه ، وحمل الماركيز تاجه ، وكان هناك اسقفان حملا سلاح الماركيز لحمله التاج ، واسقفان اخران سارا على جانبي الامبراطور .

وكان البارونات جميعا قد ارتدوا اثنى مالداهم من ثياب ، ولم يكن هناك واحد من الفرنجة او البنادقة الا وكان مرتديا ثوبا من السندس او الحرير .

٢٠٤ - ولدى وقوف الامبراطور امام المذبح جثا على ركبتيه ، وهنا خلعوا عنه اولا العباءة ثم فكوا الازرار الذهبية للاسترة من الامام ومن الخلف حتى باتت سطة الاعلى عريانا ، فمسحوه

- ٤٦٤٩ -

بالزيت ، حتى اذا فرغوا من ذلك البسوه السثرة ذات الازرار الذهبية ثانية ، ثم قلدوه رنكة وبعد ذلك شدوا العباءة على كتفيه .

٢٠٥ - وبعدما فرغوا من الباسه ، حمل الاسقفان التاج ووضعاه على المذبح ، ومضى جميع الاساقفة ورسوموا عليه علامة الصليب ، ثم وضعوه على راسه ، وعلقوا على رقبتة جوهرة ثمينة جدا ، لتكون قلادة ، وكان الامبراطور مانويل قد ابتاعها من قبل باثنين وستين الف مارك .

وبعد الفراغ من التتويج اجلس الامبراطور على عرش مرتفع ظل جالسا عليه طوال وقت ترتيل القداس ، وهو ممسك الصولجان باحدى يديه وفي اليد الاخرى كرة ذهبية عليها صليب وكانت الجواهر التي يحملها اثنان من اية نخائر يمكن ملك امتلاكها .

٢٠٦ - وبعد الفراغ من تلاوة القداس جلبوا له فرسا ابيض فامطاه ، ورجع اثر ذلك الى قصر بوكليون ، وهو القصر الامبراطوري ، وهناك اجلسوه على عرش القسطنطينية ، ثم قدموا له الولاء على اعتبار انه الامبراطور ، وانحنى امامه جميع الاغريق الذين كانوا هناك على اعتبار انه الامبراطور المقدس ، ثم هبت الموائد بالقصر ، وجلس الامبراطور والبارونات لتناول الطعام ، وبعد ما فرغوا من تناول الطعام انصرف البارونات جميعا ، وعادوا الى بيوتهم ، اما الامبراطور فقد بقي في قصره .

٢٠٧ - وبعد هذا بأيام اجتمع البارونات ، وقرروا فيما بينهم وجوب توزيع النخائر المستولى عليها ، ولم يكن قد وزع منها شيء سوى الاواني الفضية العادية مثل الاباريق الفضية التي اعتاد نساء المدينة على حملها معهن الى الحمامات ، فنال كل فارس وخيال وجندي ، بل حتى النساء والاطفال نصيبه منها .

٢٠٨ - واعلن في ذلك اليوم اليوم دي كلاري ، الراهب الذي

- ٤٦٥ -

سبق لي ان نكرته ، والذي كان عظيما جدا في بابيه ، وقام بكثير من اعمال البطولة الخارقة ، حسبما تحدثنا من قبل ، اعلن انه يريد ان ياخذ نصيبه مثل نصيب احد الفرسان ، واعترض بعضهم على طلبه وقال : ليس من الحكمة ان يكون نصيب الراهب مثل نصيب الفارس ، لكن اليوم اصر على موقفه ، فهو يمتلك فرسا ولديه درعا ، شانه بذلك شان بقية الفرسان ، ثم لانه قام بكثير من اعمال البطولات الحربية ، لا تقل عن اعمال اي فارس بالجيش ان لم تزد عليها ، وبعد شيء من الجدل قضى كونت سانت بول ان ينال اليوم مثل نصيب فارس ، لانه قام باعمال بطولة وفروسية ارفع مما قام به اي واحد من الفرسان الثلاثمائة ، فهذا ما شهد به كونت سانت بول ، ولهذا هو يستحق ان يكون سهمه مثل سهم اي واحد من الفرسان .

٢٠٩ - وبذلك برهن هذا الراهب وقدم الدليل على ان الرهبان يجب ان تكون حصصهم مثل حصص الفرسان ، وبناء على ذلك جرى توزيع الاواني الفضية العادية كما سبق لي وتحدثت ، اما بقية انواع الفنائم - وكان هناك الكثير منها ، مما يخلب الالباب - فقد بقيت بلا قسمة ، وقد عهد بحراستها الى عامة الجيش ، بقيادة فئة من الناس خيل اليهم انهم امناء في الاشراف عليها .

٢١٠ - وبعد فترة وجيزة بعث الامبراطور في طلب كبار البارونات ونوع البندقية ، وكونت لويس وكونت سانت بول واعيان القادة الاخرين ، واعلمهم انه يرغب بالخروج على راس حملة يستولى بها على بعض البلدان ، فاتفقوا على تعيين الذين سيذهبون معه والذين سيبقون في المدينة لحراستها ، وكان هؤلاء نوع البندقية والكونت لويس ومعهما بعض رجالهما .

٢١١ - وكذلك بقي الماركيز ، وكان قد تزوج من ارملة الامبراطور اسحق السالف الذكر ، وهي كانت اخت ملك الهنغار ، وعندما راي الماركيز الامبراطور على نية الخروج والاستيلاء على

البلاد ، جاء اليه وطلب منه اقطاعه مملكة سالونيك ، وهي مملكة تبعد عن القسطنطينية مسافة خمسة عشر يوما ، ولم يستجب الامبراطور ، ورفض تلبية طلبه قائلا : انه ليس من حقه القيام بذلك ، لان بارونات الجيش والبنادقة يمتلكون الشطر الاكبر من هذه المملكة ، واوضح له انها لو كانت ملك يمينه لمنحها له عن طيب خاطر وبكل سرور ، ولكن ليس بإمكانه اقطاعه ما تعود ملكيته لبارونات الجيش والبنادقة .

٢١٢ - وعندما رأى الماركيز ان ليس بإمكانه اقتطاع هذه المملكة غضب غضبا شديدا ، وخرج الامبراطور بعد هذا ، وتوجه الى الناحية التي كان على نية قصدها ، واصطحب معه جميع رجاله ، واستسلمت له جميع القلاع والمدن التي وصل اليها بدون مقاومة وتسلم مفاتيحها وقدمت مواكب الرهبان ورجال الاكليروس وهي في البستها الدينية وقدمت له الولاة ورحبت به ، وسجد له الاغريق على اعتبار انه الامبراطور المقدس ، وابقى الامبراطور حاميات في المدن والحصون التي دانت له ، وفي الحقيقة استولى على البلاد التي تمتد الى مسافة خمسة عشر يوما من القسطنطينية، اي انه بات على مسيرة يوم واحد من سالونيك .

٢١٣ - وبينما كان الامبراطور مشغولا بالاستيلاء على البلاد خرج الماركيز من القسطنطينية واصطحب معه زوجته وجميع رجاله ، ووصل حتى اقترب من معسكر الامبراطور قبل تسوجه الى سالونيك ، فلقد عسكر على مسافة تقرب من فرسخ منها ، واثّر ذلك انفذ رسلا من قبله الى الامبراطور حملوا اليه رسالة قال فيها : انه يعد ارض سالونيك ارضا له ، هو ملكها ، وعليه ان يعلم علم اليقين انه ان دخلها لن يكون بعد اليوم صديقا له ، ولا طاعة له عليه ابدا ، ولهذا الافضل له ان يعود الى القسطنطينية لينظر الى مافيه فلاحه .

٢١٤ - وعندما سمع البارونات الذين كانوا مع الامبراطور بفحوى الرسالة التي بعث بها الماركيز سخطوا عليه اشد السخط ، وغضبوا وتألموا غاية الألم ، وبعثوا الى الماركيز برسالة جوابية بينوا فيها انهم سيذهبون الى سالونيك بكل تأكيد ، ليس بسبب رسالته ، بل بسبب اخر هو ان البلد ليس بلده .

٢١٥ - وعندما سمع الماركيز هذا الجواب ، انعطف عائدا ، فاستولى على احدى المدن التي كان الامبراطور قد شحنها بحامية صغيرة ، واستولى عليها غدرا ، وترك بها حامية من قبله ، ثم قصد مدينة ادرنة التي كان الامبراطور قد ترك بها حامية من رجاله ، وحاصرها واعد مجانيقه لقذفها ، لكن اهلها قاوموه .

٢١٦ - وعندما أدرك أنه غير قادر على الاستيلاء عليها بقوة السلاح ، خاطب المدافعين عنها والواقفين على أسوارها قائلا : « مارأيكم ايها السادة ، الا ترون ان هذه السيدة كانت زوجة الامبراطور اسحق » وقدم زوجته التي خاطبتهم بقولها : « انظروا الي وتمعنوا جيدا ، الا تعرفون انني الامبراطورة ، ثم لعلمكم تذكرون ولدي اللذين انجبتهما من الامبراطور اسحق ؟ ثم عرضت امامهم ولديها ، فرد عليها واحد من عقلاء المدينة بقوله : « نعم نحن نعرف حق المعرفة انك كنت زوجة الامبراطور اسحق ، وان هذين ولداه » فقال الماركيز : حسنا ، فلماذا انن لاتعينون واحدا من هذين الفلامين سيذا عليكم ؟ فرد عليه الرجل : سأبين لك السبيل ، ينبغي عليكم الذهاب الى القسطنطينية ، وتوحيجه فيها ، حتى اذا قعد على عرش القسطنطينية ، وعرفنا ذلك ، وقتها نتصرف حسبما يحتم علينا الواجب ان نفعل .

٢١٧ - وفيما الماركيز مشغولا بهذا العمل كان الامبراطور قد ذهب الى سالونيك والقى عليها الحصار ، وكان الجيش يعاني من شح بالخبز ليس لديه مايكفي اكثر من مائة رجل منه ، لكن وجدت وفرة باللحم والنبيد ، ومهما يك من امر ، لم يطبل حصار

الامبراطور للمدينة ، اذ ما لبثت ان استسلمت له ، فتوفر لديه
ماكان الجيش بحاجة اليه من طعام وشراب ولحوم ، ثم خلف بها
حامية مناسبة ، وقرر عدم متابعة اعمال توسعه بل ان يعود الى
القسطنطينية .

٢١٨ - ونزلت بالجيش مصيبة كبيرة حزن لها حزنا عظيما ، فقد
مات مولاي الكونت بيتر الدمياني ، وكان رجلا طيبا ، وقد وافاه
اجله وهو على طريق العودة في مدينة اسمها لابلانوش ، وهي
مجاورة لمدينة فيلبه التي ولد فيها الاسكندر ، هذا ومات ايضا في
هذه الرحلة خمسون فارسا .

٢١٩ - وبينما كان الامبراطور عائدا ، عرف بما قام به الماركيز ،
بالاستيلاء على احدى مدنه غدرا ومركزته حامية من رجاله فيها ثم
حصاره لمدينة ابرنة ، وبعدما عرف الامبراطور بهذا ومعه بارونات
الجيش غضبوا جميعا اشد الغضب وتآلموا كثيرا فوجهوا انذارا الى
الماركيز واتباعه ، انهم سيبيدونهم عن بكرة ابيهم ، ولن يتركوهم
احياء مالم يرجعوا وينضموا اليهم بعدما يثوبوا الى رشدهم .

٢٢٠ - وعندما عرف الماركيز ان الامبراطور هو على طريق
العودة ، خاف خوفا عظيما واضطرب وتولاه القلق ، وشعر بمفبة
ماقتربه ، والتبست عليه الامور ، وا قدم اخيرا على مراسلة دوج
البندقية والكونت لويس وبقية البارونات الذين مكثوا في البندقية ،
يخبرهم انه يضع نفسه تحت حمايتهم ، وانه على استعداد
- بوساطتهم - لاصلاح ماحدثه من اضرار ، فهذه كانت
الوسيلة المجدية امامه .

٢٢١ - وبعدما سمع الدوج والبارونات في القسطنطينية ، ان
الماركيز يريد جادا اصلاح ذات البين بينه وبين الامبراطور
بوساطتهم ، بعثوا اربعة من الرسل الى الامبراطور ، واعلموه ان

الماركيز قد التجأ اليهم راغبا بوساطتهم ، وتمنوا عليه الا يلحق به
او برجاله اية اضرار .

٢٢٢ - وعندما اطلع بارونات الجيش وفرسانه على محتوى هذه
الرسالة ، اجابوا ان مامن احد يمكنه الحيلولة بينهم وبين الحاق
السوء بالماركيز وفضح ما قام به هو ورجاله ، والفتك بهم إذا أتاحت
لهم الفرصة ، ولم يقبلوا بمهادنة الماركيز إلا بعد وقت ووساطات
صعبة .

٢٢٣ - ثم عاد البارونات إلى الرسل فسألوهم عن الأحوال في
القسطنطينية وعن أحداثها ، فأعلموهم أن كل شيء فيها يسير على
مايرام ، واخبروهم أيضا أنهم قد تقاسموا المدينة وما بقي فيها من
نخائر ، وهنا انبرى نحوهم الفرسان وفقراء أفراد الجيش قائلين :
كيف فعلتم ذلك ، ومن الذي سمح لكم بتوزيع غنائمنا التي قاسينا
حتى حصلنا عليها ؟ فقد تحملنا المتاعب التي لاحصر لها وشققنا
كثيرا ، وبردنا وعطشنا وكابدنا من الحر والقر ، لقد استوليتم على
حصصنا ، لقد غدرتم بنا وختنونا ، لاشك أنكم خونة ، وانفزع بعض
القوم نحوهم وكلهم رغبة بالفتك بهم .

٢٢٤ - واخيرا تداول الامبراطور مع قادة الجيش حول هذه
المسألة ، وتناقشوا معهم وحاولوا إصلاح ذات البين بقدر
المستطاع ، ثم عاد الجميع أدراجهم إلى القسطنطينية ، حتى إذا
حلوا بها ، لم يتمكن أي واحد منهم النزول ببيته ، فقد انتزعت هذه
البيوت منهم أثناء غيابهم لأن المدينة أعيد تقسيمها ، واتخذ اخوانهم
منازل لهم في أماكن جديدة ، وهكذا توجب عليهم إيجاد بيوت جديدة
لهم في أماكن نائية بعد فرسخ أو فرسخين من الأماكن التي سكنوها
قبل سفرهم .

٢٢٥ - وفاتني أن أقص عليكم خبر المحنة التي تعرض لها
مولاي اللورد بطرس دي براشو ، فقد حدث أنه عندما كان

الامبراطور هنري في إحدى حملاته ، أغار يوحنا الوالاشي والكومان على الأراضي الامبراطورية ، وعسكروا على مسافة فرسخين أو أقل من معسكر الامبراطور ، وكانوا قد سمعوا الكثير عن مولاي بطرس دي براشو وعن فروسيته وقوته ، فبعثوا إليه في أحد الأيام رسالة مع مجموعة من الرسل استزاروه فيها فقد أعلموه أن لديهم رغبة جامحة في التعرف إليه ومحادثته لبعض الوقت ، وأعطوه عهدا بالأمان ، وأجابهم مولاي اللورد بأنه يرحب بالالتقاء بهم في معسكرهم ومحادثتهم إن هم منحوه الأمان على حياته .

٢٢٦ - وبناء عليه بعث الوالاشيون والكومان رهائن معتبرة إلى معسكر الامبراطور لضمان سلامة عودة مولاي اللورد بطرس ، وامتنطى اللورد بطرس جوادا مطهما ، وانطلق وفي صحبته ثلاثة فرسان ، ولدى نفوه من معسكر الوالاشيون عرف يوحنا الوالاشي بخبر قبومه فخف للترحيب به وسار معه عند من كبار رجالات والاشيا ، وقد استقبلوه بحفاوة كبيرة ، وراحوا ينظرون اليه بتمعن ، فقد كان طويلا ممشوق القامة ، ثم اخذوا يتبادلون معه اطراف الحديث حول مختلف الامور حتى قالوا له في نهاية المطاف : ايها اللورد اننا معجبون بفروسيته ايما اعجاب ، غير اننا نتساءل كثيرا عن الذي دفعكم الى القدوم الى هذه البلاد وغزوها مع انكم من بلاد بعيدة ، فهل ياترى ضاقت بكم ارضكم في بلادكم ولم تعد قادرة على استيعابكم وتأمين سبل العيش لكم ؟

٢٢٧ - فأجابهم مولاي اللورد بطرس : كيف تتساملون عن هذا ، او لم تسمعوا عن الاستيلاء على طروادة العظيمة ، والحيلة التي اعتمدها للاستيلاء عليها ؟ فأجابه الوالاشيون : نعم سمعنا بذلك ، ولكن هذا حدث منذ زمن بعيد ! فقال بطرس : لا بأس ، لقد كانت طروادة ملكا لاجدادنا ، وكانوا الذين نجوا منها قد مضوا الى بلادنا حيث نعيش ، ومن هذه البلاد قدمنا الان لنسترد ملك اجدادنا ، وبعد هذا استأننهم بالانصراف وعاد الى المعسكر .

٢٢٨ - وعاد الامبراطور الى القسطنطينية ومعه البارونات ، وذلك بعد السيطرة على بلاد واسعة فيها قرابة ستين مدينة مع عدد كبير من القلاع والقرى ، وبعد العودة شرع القوم في تقسيم القسطنطينية ، فاختص الامبراطور برقع منها ثم تم تقسيم الثلاثة ارباع المتبقية مناصفة بين الحجاج والبنادقة .

٢٢٩ - ثم استقر الرأي على تقسيم البلاد التي تم الاستيلاء عليها ، فنال كبار البارونات حصصهم اولا ، ثم تلاهم كبار القادة وهكذا ، ونال النصيب الاكبر من الارض اكبرهم ثروة ، فارفعهم مكانة ، واكثرهم اتباعا في الجيش ، وهكذا كانت حصة بعضهم اقطاع مائتي فارس ، وبعضهم الاخر مائة ، وفئة ثالثة سبعين ، فستين فاربعين فمشرين فم عشرة اقطاعات ، ونال بعض ذوي المراتب الدنيا سبعة اقطاعات او ستة ، وسأوت قيمة الاقطاع الواحد ثلاثمائة دينار من بنانير انجو ، وقيل اثناء التوزيع لكل واحد من اصحاب المراتب : انت قد خصصت بكذا وكذا من الاقطاعات وانت سهمك كذا وكذا ، وستوزع انت الاقطاعات على رجالك وعلى غيرهم ممن يرغب في استقطاعها منك ، واما انت فستملك هذه المدينة وانت تلك المدينة ، وانت تلك ، وكذلك البلدان التابعة لها .

وبعد ما عرف كل واحد من البارونات والقادة نصيبه ، انطلق كل منهم نحو مال اليه لتفقد اراضيهِ ومدينهِ ومشاهدتها ، وكل اقام نوابه وقواته حتى اقتضى الحال .

٢٣٠ - وصدف في احد الايام ان مولاي اللورد ثيري اخو الكونت دي لوس كان مسافرا لتفقد ارضه ، فالتقى صدفة ، في احدى الممرات بمرزوفلوس الخائن ، ولايري الى اين كان متوجهاً ، وكان في موكبه عدد كبير من السيدات والفتيات وسواهن وكان راكبا في ابهة كبيرة وفخامة عظيمة وكأنه احد الابطرة محاط بحاشية كبيرة من الاتباع ، فما كان من مولاي اللورد ثيري الا ان

قصد نحوه ، ونجح في اعتقاله بالقوة ، وبعدما بات اسيره حمله الى القسطنطينية ، وسلمه الى الامبراطور بلدوين الذي بأمر فامر بالقائه بالسجن وتشديد الحراسة عليه .

٢٣١ - وبعد ما ألقى مرزوفلوس بالسجن بعث الامبراطور بلدوين بـ طلب جميع البارونات واعيان الناس الذين كانوا في القسطنطينية ، للقدوم الى القصر والاجتماع به ، وفي احد الايام جاءه دوح البندقية والكونت لويس ، وكونت سانت بول وسواهم ، وبعدما مثلوا بحضرته حديثهم الامبراطور عن مرزوفلوس ووصف لهم كيف تم القاء القبض عليه ، وانه الان موجود في سجنه ، وسألهم ماذا يرون بشأن تقرير مصيره ، فأشار بعضهم بشنقه ، وأشار اخرون بسحله في الطرقات ، ثم تكلم دوح البندقية وقال : ان مرزوفلوس اعظم من ان يموت شنقا ، ولا بد ان يتناسب قرار الاعدام مع مكانة الرجل ، وبناء عليه اقترح عليكم ان يكون اعدامه وفق مايلي : في المدينة صومعتان عاليتان يبلغ ارتفاع كل منهن ثلاثمائة قدم او ثلاثمائة وستين ، وماعلينا الا ان نحمله الى قمة احدهن ومن ثم نقذفه الى الارض .

٢٣٢ - وكنت قد حدثتك من قبل عن هاتين الصومعتين ، حيث اعتاد الرهبان الذسك الاقامة على قمتيهما ، وانه قد كتب على جدرانها احداث القسطنطينية .

ووافق البارونات على اقتراح الدوح ، وحملوا مرزوفلوس الى واحدة من الصومعتين ، وارغموه على تسلقها بوساطة السلم الذي بداخلها ، حتى اذا وصل الى القمة قذفوا به نحو الارض فتحطم كليا ، وبهذه الصورة جرى الانتقام من مرزوفلوس الخائن .

٢٣٣ - وبعدما تم توزيع الاقطاعات حسبما حدثتك ، اخذوا يعملون على اصلاح ذات البين بين الامبراطور والماركيز ، واحلال السلام بينهما ، وقد اشتد لوم بعضهم للامبراطور لعدم دعوته كبار

البارونات لمساعدته في حل المشكلة التي تفجرت بينهما ، ومجددا طلب الماركيز مملكة سالونيك ، فمنحه الامبراطور اياها ، وبعد مانالها مضى اليها واصطحب معه زوجته وجميع رجاله ، وتسلمها من حاميتها وصار ملكا عليها .

٢٣٤ - ثم طلب مولاي الكونت هنري - اخو الامبراطور - لنفسه مملكة اندرميت ، الواقعة وراء مضيق البوسفور ، وذلك في حال تمكنه من الاستيلاء عليها ، فاستجاب الامبراطور لطلبه وبناء عليه قصدها مولاي الكونت هنري ومعه جميع رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على جزء كبير من تلك المنطقة .

ثم طلب مولاي الكونت لويس مملكة لنفسه ، فاستجيب لطلبه ، وكذلك فعل مولاي كونت سانت بول .

٢٣٥ - وبعد هذا طلب مولاي الكونت بطرس دي براشو اقطاعه مملكة كانت اراضيها في ايدي المسلمين ، ووقعت قرب قونية ، وذلك في حال تمكنه من الاستيلاء عليها ، فاجيب مطلبه ، وهكذا توجه اليها ومعه جميع رجاله واستولى عليها واصبح ملكا عليها .

٢٣٦ - وهكذا طلب اغنياء البارونات وكبار القادة - اسوة بغيرهم - ممالك لانفسهم من الاراضي التي لم يكن قد تم الاستيلاء عليها بعد ، واستولى نوح البندقية والبنادقة على جزر كريت وكورفو ومودون وذلك بالاضافة الى مارغبوا بحيازته وتملكه ، ثم مالبث ان اصيب الجيش بفاجعة وخسارة كبيرة جدا وذلك بموت كونت سانت بول .

٢٣٧ - وبعد امد تمررت مدينة ادرنة على الامبراطور ، وكانت ادرنة احدى المدن التي استولى عليها الامبراطور ، وبعدما وقف على اخبار تمرد راسل نوح البندقية وطلب منه ومن كونت لويس وبقيه البارونات تقديم العون له في استردادها ، واعلمهم انه عازم

على الزحف ضدها ومحاصرتها ، ورد عليه البارونات بالايجاب وابدوا استعدادهم عن طيب خاطر لمساعدته ، وهكذا تاهب هو وهم ومن ثم زحفوا ضدها ، وعندما وصلوا اليها القوا عليها الحصار ، وفيما هم معسكرون امامها اذا بهم يفاجئون في احد الايام برؤية يوحنا الوالاشي والكومان في جيش جرار ، قد زحفوا باتجاه القسطنطينية مثلما كانوا قد فعلوا من قبل ، وقد وجد هؤلاء الامبراطور وجيشه معسكرين امام البرنة .

٢٣٨ - وعندما رأى رجال الجيش الكومان وقد تسدثروا بجلود مواشيهم - لم يعبأوا بهم واستخفوا بهم ، ولم يخافوا منهم ، ولم يقيموا لهم اعتبار اكبر مما يعطى لفرقة من الصبيان غير أن الذي حدث هو ان هؤلاء الكومان ، أو بالحري هذا القطيع ، انقضوا بسرعة خاطفة على الفرنجة ، فقتلوا عددا كبيرا منهم وهزمهم جميعا في هذه المعركة ، وفي تلك الاثناء بحث القوم عن الامبراطور فلم يلقوه له على اثر ، ولم يعرف احد المصير الذي آل اليه ، كما وفقد ايضا الكونت لويس وكثيرون غيره من اعيان الرجال ومعهم حشد كبير لانعرف عدده ، علما ان عدد الفرسان الذين هلكوا كان ثلاثمائة .

٢٣٩ - وفر الذين نجوا من القتل الى القسطنطينية ، وفر ايضا بوج البندقية وفر معه كثيرون تخلوا عن معسكرهم واسلحتهم ، وتركوها كما هي امام المدينة ، لانهم لم يتجرأوا على الفرار عبر الطريق المار امام المدينة .

وكان عدد الذين هلكوا كبيرا ، وهكذا انتقم الرب من البارونات والقادة لسوء نواياهم ولتجبرهم ، وللمعاملة الخيانية التي عاملوا بها فقراء الجيش ، ولللاثام المدمرة التي اقترفوها في المدينة بعد الاستيلاء عليها .

٢٤٠ - وبعدما فقد الامبراطور في هذه المعركة ، استولى

اليأس على البارونات ثم انهم اجتمعوا بعد ذلك في احد الايام وتشاوروا حول اختيار امبراطور جديد ، ثم بعثوا خلف مولاي الكونت هنري اخي الامبراطور ، لتنصيبه امبراطورا خليفة لاختيه ، وكان الكونت هنري موجودا في ارضه التي استولى عليها فيما وراء مضيق البوسفور .

٢٤١ - وحين اطلع بوج البندقية ومن معه من البنادقة على رغبة البارونات بتتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا ، تحفظوا تجاه العملية ، ولم يعلنوا عن موافقتهم حتى شري رضاهم فحصلوا على ايقونة رفيعة لمولاتنا العذراء ، وكانت هذه الايقونة ثمينة وفوق كل تقدير ، وكانت كلها محلاة بالجواهر الثمينة ، ويقول الاغريق انها اول ايقونة صنعت لمولاتنا ، وكان لهم اعتقاد هائل بقداستها ، ولذلك كانوا لا يعدلون بها شيئا مهما كان ، واعتادوا على اخراجها والسير بها في موكب كل يوم احد من كل اسبوع ، فكانوا يتعبدونها ويقدمون اليها المنح الغالية .

٢٤٢ - انن لم يوافق البنادقة على تتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا الا اذا نالوا هذه الايقونة ، ورضخ القوم واعطوهم اياها ، وهكذا امكن تتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا ، وبعد هذا تذاكر هو والماركيز ملك سالونيك واتفقا على ان يزوجه الماركيز ابنته ، وبالفعل تزوج منها ، غير ان هذه الامبراطورة لم تعمر طويلا ، بل توفيت بعد امد قصير .

٢٤٣ - وعاث يوحنا الوالاشي واصحابه الكومان فسادا في اراضي مملكة سالونيك التي كانت تابعة للماركيز ، وحاول الماركيز التصدي لهم وحاربهم ، فقتل في المعركة وهزم رجاله ، ومن ثم زحف الكومان ومعهم يوحنا الوالاشي ضد سالونيك وحاولوا الاستيلاء عليها ، ونصبوا الاتهم ضدها ، لكن ارملة الماركيز تولت الدفاع عن المدينة ومعها الفرسان وبقية الناس .

٢٤٤ - وكان في هذه المدينة جثمان مولاي القديس ييمتري ، وكان حاميا للمدينة لم يسمح قط بالاستيلاء عليها قسرا ، وهكذا طفع جسده بكميات كبيرة من الزيت ، وكان ذلك معجزة كبرى ، ثم انه فيما كان يوحنا الوالاشي نائما ذات صباح في خيمته جاء القديس ييمتري وطعنه في جسمه بحربة فقتله ، وعندما علم اتباعه والكومان بخبر مقتله قوضوا خيمهم وازالوا معسكرهم وكروا راجعين الى بلادهم ، والت الملكة بعده الى ابن اخيه واسمه بوريدس ، فجرى تنويجه ملكا على الاشيا ، وكان لهذا الملك ابنة جميلة .

٢٤٥ - ولقد كان الامبراطور هنري امبراطورا صالحا طيبا ، لهذا شرع بالتشاور مع البارونات حول افضل السبل للتعامل مع الوالاشيين والكومان ، فقد ثابروا على شن الغارات على امبراطورية القسطنطينية ، فضلا عن انهم هم الذين قتلوا اخاه الامبراطور بلديون ، وأشار عليه البارونات ان يرسل بوريدس ملك الاشيا الجديد ، ويخطب اليه ابنته للزواج منها ، ورفض الامبراطور هذا الاقتراح ، وبين انه لن يتزوج من فتاة لها مثل هذا الاصل الوضع ، وتمسك البارونات باقتراحهم وقالوا : المصلحة تقضي ان تقوم بهذا يامولانا ، واننا نلح عليك أن تعقد السلم معهم فهم اقوى الشعوب واعنف اعداء الامبراطور وبلادها .

٢٤٦ - وطالت المداولات والمناقشات مع البارونات حول هذا الموضوع ، واخيرا استجاب الامبراطور وبعث بفارسين من اعيان رجالاته الى الوالاشيين بعدما البسهما اقضم الثياب ، وعندما وصلوا الى هناك اراد القوم القتلك بهما ، غير انهما تمكنا من الاجتماع بالملك بوريدس ، وتحدثا اليه ، فاستجاب واخبرهما انه سيرسل ابنته الى الامبراطور بكل سرور .

٢٤٧ - ثم جهز الملك بوريدس ابنته افضل جهاز ، وزودها بأجمل الملابس ، وانفذ معها حاشية كبيرة ، ثم بعث بها الى الامبراطور ، وامر ان يسير بركابها ستين فرسا حملت بالكنوز

الفاخرة من الذهب والفضة والحريير والجواهر الثمينة ، وجلل كل واحد من الخيول بالسندس الأرجواني الطويل الذي يذسحب مسافة سبعة أقدام او ثمانية وراعه ، ولم يحدث قط ان سارت الخيول في طرق موحلة وصعبة كالتى ساروا عليها نحو القسطنطينية ، ومع ذلك لم يتمزق اي ثوب من ثياب السندس ، بل وصلت كلها رائحة وبهية .

٢٤٨ - وعندما علم الامبراطور ان العروس باثت على مشارف القسطنطينية خرج لاستقبالها ومعه البارونات ، وقد رحبوا بها وبمن قدم معها اجمل ترجيب ، ثم تزوج الامبراطور منها .

وبعد امد قصير تسلم الامبراطور دعوة للسفر الى سالونيك للقيام بتتويج ابن الماركيز ملكا عليها ، واستجاب للدعوة وذهب الى سالونيك ، لكن بعدما فرغ من اعمال التتويج نزل به المرض ، فمات هناك مما احدث خسارة فاحشة جدا ، واثار حزنا كبيرا .

٢٤٩ - لقد اسمعتم الصديق حول كل ماتعلق بالاستيلاء على القسطنطينية ، وحول اختيار بلويين كونت فلاندرز امبراطورا لها ، ثم تتويجه عليها ، ومن بعده اخوه مولاي هنري .

ولقد شهد ذلك كله ، وسمع بكل ماجرى ، الفارس روبرت دي كلاري ، فهو كان حاضرا انذاك ، وقد املئ الصديق حول الاستيلاء عليها .

٢٥٠ - ومع ان روبرت لم يتفنن في رواية احداث هذا الاستيلاء ، مثلما يفعل الراوي البار ، غير انه تمسك بقول الصديق ولم يحد عن ذلك ابدا ، علما ان هناك كثيرا من التفاصيل والوقائع التي غابت عن ذهنه ولم يعد يتذكرها جميعا .

تاريخ المورة
الصليبيون كفزة

رواميز

- هـ = (نص كوبنهاغن من الحولية اليونانية)
ك = ب. كالونارس (النص المحقق من الحولية اليونانية)
ل = الترجمة الفرنسية للحولية تحقيق جين لوغنيون
ل.ف = الترجمة الارغوانية للحولية تحقيق - الفريد موريل
ل.غ = ج. لوغنيون «الامبـــــــــــــــــــــراطورية اللاتينية في
القسطنطينية »
م = . ميلك اللاتين في المشرق
ب = (نص باريس من الحولية اليونانية)
س = ج. شमित حولية موريا (النص المتحقق من الحولية
اليونانية)
ز = د. ز. اكيستنيوس
أنظر ثبت المصادر من أجل التفاصيل الكاملة حول هذه الكتب

مدخل

مختصر تاريخي

في صباح ١٣ نيسان ١٢٠٤ وجد فرسان الحملة الصليبية الرابعة أنفسهم وقد استولوا على مدينة القسطنطينية للمرة الثانية خلال عام انحنت هذه الدرة العظمى للنصرانية لفزاتها الأولى ، ولثلاثة أيام نهبت المدينة دون رحمة ، ولكن في يوم أحد عيد الفصح ٢٥ نيسان تمت استعادة بعض مظاهر النظام ، وحتى بينما كان صدى الأناشيد الدينية المهيبة ما يزال يخلق فوق الكنائس الرومية ، يعلن للجماهير المذهولة نظاما جديدا وكنيسة أعيد توحيدها ، تحول قادة الحملة الصليبية الى المشكلة المعقدة ، مشكلة تنظيم امبراطوريتهم الجديدة.

ففي آذار كان قد اجتمع قادة الحملة الصليبية: بونيفيس ماركيز مونتفترات وبلدوين كونت فلاندرز وكونتابلوا وسانت بول مع حلفائهم البنادقة ، لتحديد استراتيجية الهجوم وتقسيم الغنائم. وتقرر أن تعطي الامبراطورية التي تم كسبها مجددا لامبراطور ينتخب من بين مرشحين مقترحين من قبل الصليبيين والبنادقة ، وأن تعطي البطركية وكل ممتلكاتها للخاسر ، وكان من المقرر أن توزع الأسلاب بالعدل حسب المفضلة ، وأن ريع الامبراطورية يعطي للإمبراطور ، وأن تقسم البقية بالتساوي بين البنادقة والصليبيين ، وإن تعين الاقطاعات : نصف من الأراضي التي سلف أخذها ونصف من الأراضي التي سيتم الاستيلاء عليها. وقدمت هذه المعاهدة للبابا أنوسنت الثالث للموافقة ، وقد وافق عليها وقبل شروطها على مضمض.

وحالما اجتمعت اللجنة لانتخاب الامبراطور ظهرت الشرذمة

والأهواء المتضاربة التي سببت النزاع بين جيوش الحملات الأولى ، وبعد جدال نشط ، انتخب بلويين كوفت فلاندرز امبراطورا لتسكين الحساسيات الثائرة ، وللمحافظة على السلام بين الصليبيين ، وكما خطط ، آلت البطركية وكل ممتلكاتها للبنداقية ، الذين عهدوا بها الى أحد ارستقراطيههم واسمه توماسو موروزيني ، دون أي استشارة للبابا ، الذي شعر برعدة فورية من الخوف ، وفي الاستهلال الأول لها رسخت امبراطورية القسطنطينية اللاتينية في حينه نمط الخلاف ، والطموحات المتنافسة التي كان لها أن تشكل ضعفها الدائم ، ولكن أي نذر كانت سرعان ما ضاعت في الاثارة العامة عند تقسيم الاكوام المذهلة من الغنائم . وقد وزعها الامبراطور بالعدل ، ثم قام بمسح دقيق لأراضي الامبراطورية من أجل اجراء توزيع عادل للاقطاعات .

وفي هذه الأثناء تزوج بونيفيس من ماري أخت ملك هنغاريا ، وكانت أرملة شابة للامبراطور البيزنطي المتوفي اسحق انجيلوس وقد طلب من الامبراطور أن يستبدل أراضيه التي لم تكن أخذت بعد في الأناضول بمملكة سالونيك ، سواء لأنه كان يرغب في أن يكون أقرب الى أخيه زوجته ، الذي قد يحتاج لمساعدته ، أم لأنه كانت لديه طموحات خاصة في إقامة مملكة البلقان . وكان بلويين متشككا ولكنه أجرى الاستبدال ، وقسمت بقية الامبراطورية بشكل عادل ، وخصصت الاقطاعات ، وبناء عليه اندفع الجميع للاستيلاء على أراضيهم الجديدة وسار المركز نحو الغرب مع عدد كبير من الاتباع من أفضل قوات الجيش .

وبالاضافة لاتباعه من جنوب ايطاليا ، اجتذبت منزلته وسمعته في الشجاعة الألمان مثل الكونت بيرتولد كانزوينولبوغن والبورغانديين مثل غوليوم دي شامبلت ، وأثون دي لاروش ، والبروفدساليين ، وحتى من الفلمنك ، والفرنسيين مثل جاك دي أفنس ، وتوماس دي اوترمنكورت ، واطافة لذلك كان له اتباع من الروم البيزنطيين بينهم ابن عم للبيت البيزنطي المالك القديم ، ميكائيل كومينوس

لوكاس ويبدو أن التركيز كان معجبا تماما به ويضع فيه ثقة عظيمة ، ولكن بأسرع ما أمكنه فر ميكائيل وشق مع أخيه ثيودوروس طريقه الى ابيروس حيث نظم الاغريق المحليين والالبان والفلاش مركزا للمقاومة الاغريقية في الغرب .

ووصل التركيز الى سالونيك بلا أي متاعب ، وفي الواقع لقي تحية وترحيب وفرح في كل مكان من قبل الاغريق ، وقد ترك زوجته تتولى الدفاع عن المدينة وأخذ معه ابنها من زواجها السابق الأمير الشاب مانويل وبدأ رحلة منتصرة نحو الجنوب ، وهو يبرز الشاب في كل مكان ، وجرت له تحية حماسية في مقدونية ، وتيسلي ، كبطل عائد تقريبا وقد بايعته مدن فيل أوف تامب ، ولاريسا ومدن أخرى ، ولم يلق مقاومة حتى بلغ تيرموبيلي ، ويكمن تفسير هذا التنقل الرائع لحقيقة أنه حتى قبل أن تسقط الحكومة البيزنطية في أيدي اللاتين كانت قد فقدت الى حد كبير سيطرتها على اليونان ، وقد استولى الأمراء الصغار ، والقراصنة ، والحكام المحليون ، وبعض العائلات الاقطاعية الكبيرة على البلاد واحتجزوها لأنفسهم وسحقوا أهل المدن والمزارع تحت عبء لا يطاق من الابتزاز ، وكان سقوط المدينة الاشارة لتدافع مجنون بين هؤلاء القادة الصغار ، ولا عجب أنه لم تكن هناك ارادة لمقاومة غاز آخر ، وفي الواقع أن أهل الأرض رأوا في اللاتين تحولا ممكنا للأفضل ، وكان أحد القادة الطفافة الصغار الذين استولوا على السلطة اسمه ليون سفوروس ، وكانت ممتلكاته الاساسية حول مدينة نوبليا ولكنه توسع في اتجاه الشمال حتى أرغوس وكورنث فيما وراء أثينا حيث أبدى المطران ميكائيل كونيائيس مقاومة عنيدة جدا حتى طيبه ولاريسا ، ومع تقدم بونيفيس انسحب ليون الى الجبال حول تيرموبيلي ليسد المدخل الى وسط اليونان ، وعندما انهارت معنوياته هرب الى كورنث ليحتمي المدخل الى البلوبونيز. أما التركيز الذي تتبعه بروية فقد لقي ترحيبا من طيبه وبوويتيا ، ولم تكن أثينا كريمة جدا ولكنها لم تبد مقاومة ، وسقطت يوبيا دون ضربة واحدة ، وفي النهاية وصل الى كورنث وحاصر سفوروس في

معقل اكروكورنث ، حيث بنى قلعة صغيرة تدعى مونت اسكوفيه للتحكم في العملية ، وبترك جاك دي أفنس مسؤولا عنها تقدم عندئذ جنوبا واحكم الحصار على نوبليا ، وكان حدث في هذا الوقت أن تلقى زيارة غير متوقعة كان لها أن تقرر تاريخ اليونان للقرنين التاليين.

وذهب جيوفري دي فيلهاردين ، ابن أخي مارشال شامبين ومؤرخ هذه الحملة الصليبية مباشرة الى سورية ولم يشترك في الهجوم على القسطنطينية ، ومثل الآخرين ممن فعلوا الشيء نفسه ، حالما سمع بتأسيس الامبراطورية اللاتينية أبحر الى القسطنطينية ، آملا أن يجد حظه. ودفعت الرياح المضادة بسفينته نحو الغرب وكان عليه أن يجد ملجأ في ميناء مودون وفي جنوب البلبونيز حيث تم الاتصال به وبرفاقه من قبل حاكم محلي اغريقي رغب في استخدام هذه القوة غير المتوقعة في توسيع اراضيه وأدت الفائدة المأمولة بجيوفري الى الانضمام الى الاغريقي ، حيث غزوا معا كل غرب البلبونيز حتى باتراس في الشمال ، ويجب ملاحظة أن تلك الأراضي كانت قد خصصت من قبل للبندقية ، وعند هذه المرحلة توفي الاغريقي ، واغلق ابنه - القليل الثقة باللاتين - كل المدن في وجوههم وحرّض الاغريق ضدهم ، وإذا وجد نفسه في أراضى معادية ، ولسماعه بوصول بونيفيس الى البلبونيز ركب جيوفري في مخاطرة عظيمة عبر شبه الجزيرة الى نوبليا لالتماس المعونة وسر المركز برؤيته ودعاه لينضم الى جيشه ، ولكن جيوفري وجد صديقا قديما ، هوغوليوم دي شامبلت في الجيش فاقنعه بالحاح بالعودة الى الغرب لفزو المورة ووعد به بان يكون الرجل التابع له في أي أرض قد يخصصها غوليوم له.

وبناء عليه ، وبينما كان جاك دي أفنس في كورنث والمركز في نوبليا ، بدأ الرفيقان مع نحو من مائتي فارس وأربعمائة من المشاة مغامرة مدهشة في غرب البلبونيز وبدون أي أزعاج استوليا على أقليم بعد أقليم ومدينة بعد مدينة ، حتى وجدا نفسيهما في أقصى

الجنوب في موبون ، فحصنا المدينة وشقا طريقهما في المناطق الجبلية
لمسينيا ، وأركاديا ، ولاقونيا .

وباختصار سقطت في أيديهما كل شبه الجزيرة تلقائيا وقاما
بتقسيم كبير للأرض .

وأوجدا اثنتي عشرة اقـــــطاعية كبيرة ، عينت
للبارونات ، وخصص لكل واحد مــــــــــــن هؤلاء
التابعين ، والفرسان ، والمشاة ، وأعطى لكل منهم اقـــــطاعية .
وأعطيت المراتب الدينية : الاستباريه والداوية والاساقفة أراضى ،
ومن أجلها كانوا مدينين بالخدمة العسكرية ، ولكن ليس بمهمة
الحاميات ، وفي الواقع كانت الأرض كلها على قدم الاستعداد
للحرب ، وكان ينتظر من الاتباع أن يؤدوا الخدمة العسكرية على
مدار السنة ، أربعة شهور في الميدان ، وأربعة شهور في مهام
الحاميات ، وأربعة شهور في بيوتهم تحت الطلب ، حيث أنه لم يكن
بمقدور أحد أن يترك الأرض دون أذن ، وحتى أصحاب المقام الرفيع
من الاغريق كان لهم مكان في النظام الاقـــــطاعي والذين خضعوا
احتفظوا بأراضيهم وكان لهم مثل الفرنجة الحقوق والواجبات
نفسها ، وبقيت الترتيبات مع الفلاحين في الأرض دون تغيير ، ولكن
في الواقع تحسنت الظروف بالنسبة لهم مع استعادة السلام والنظام
وتوقف الابتزاز الساحق لحكام الاغريق وصفاتهم . وضمن اعتدال
وتسامح الأمراء الفرنجة الجدد تأييد الاغريق ، مما جعل الاستيلاء
أسهل وحقق الرخاء العام ، وحمل الحاكم الجديد للأرض كلقب
رسمي له اللقب المميز ، أمير أخيا ، ولكنه شعبيا كان يسمى أمير
المورة ، حيث كان لقب أمير غير عادي في العــــــــــــصر
الوسطى ، وفريد في الامبراطورية اللاتينية ، وملك الأمير وباروناته
أراضيهم بحق الاستيلاء ، ولكن من الناحية الفنية ، طلب غوليوم
دي شامبلت الآن من المركز دي مــــــــــــوننفرات ليمضي في
مغامرته ، ويبدو أن الآن قد رسخ نوعا من السيادة على المورة * .

وكان المركيز في هذه الأثناء يقيم النوع نفسه من النظام في كل اليونان ، فأعطى اثينا لأوثون دي لاروش الذي أخذ لقب دوق اثينا ، ولكن كان الشائع تسميته من قبل الأغريق بالسيد العظيم ، وأعطيت طيبه في البداية لايطالي يدعى البرتينو دي كانوسا مع أنها سرعان ما نقلت الى أوثون ، الذي أضافها الى اقطاعيته ولقبه ، ونهبت تيرموبيلي الى نبيل ايطالي آخر هو المركيز غويدو بيلافسينو وأصبحت مركيزية بويونيقزا الشهيرة. وأعطيت الأراضي حول بلفسي ، الممتدة الى خليج كورنث ، إلى توماس دي أوترمنيكورث الذي أسس إمارة سالونا هناك ، وأكمل تخصيص يوبوا أولا لجاك دي أفنس ، ثم لرافان دال كارسييري وهو نبيل من فيرونا وبهذا أكملت الترتيبات بالنسبة لليونان المركزية ، وقسم شمال اليونان مثل ذلك بين الاتباع الكثيرين للمركيز ، مع أن كثيرا من المن بقيت له كقلاع ملكية ، ومن الغريب أنه لم يأخذ لقب ملك ، وكان يدعى أمير مملكة سالونيك أو ببساطة ماركيز مونتفرات.

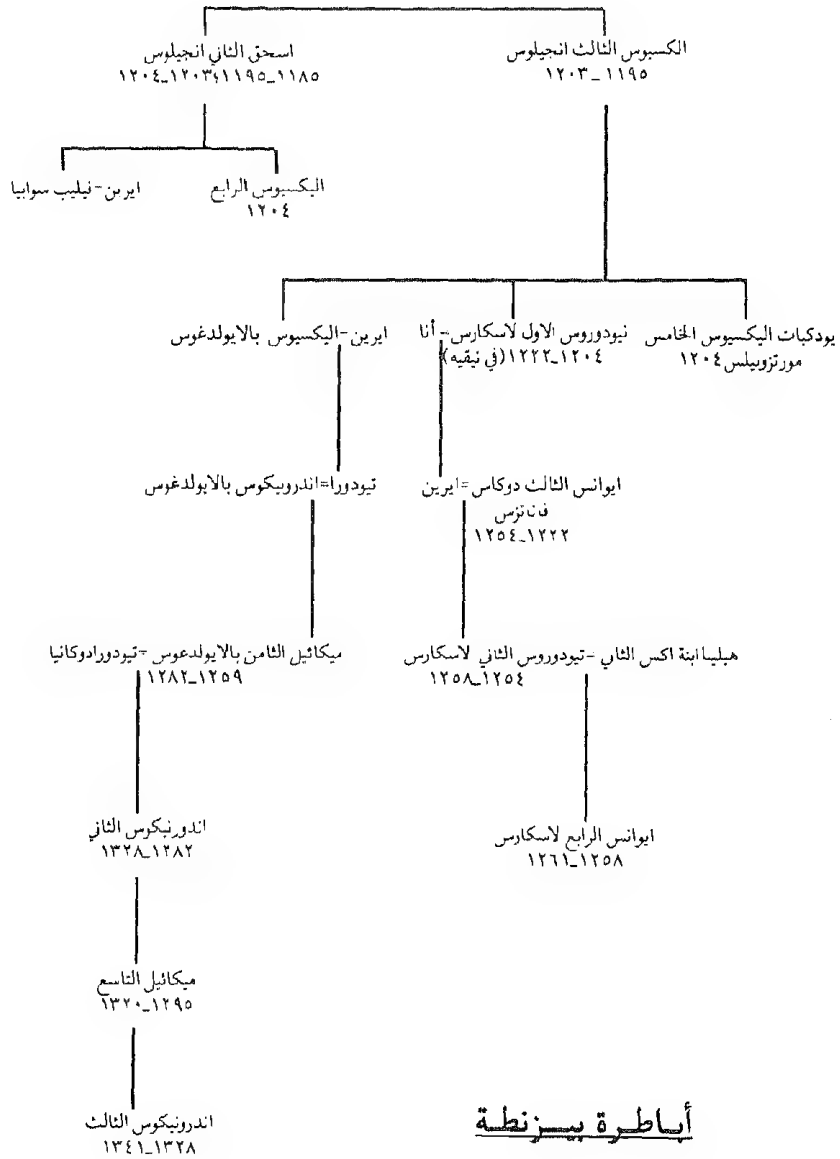
وبينما تم تنظيم القسم الغربي من الامبراطورية ، بدأت البندقية باحتلال النقاط التي اختارتها لنفسها على طول سواحل اليونان وعلى جزر البحر بين الايوني والايجي وأما ما حدث لبلدوين فإنه ما أن توجه في أبهة في كنيسة الحكمة المقدسة (آيا صوفيا) حتى قاد حشدا من الصليبيين الى الاناضول. وكانت مقاومة الامارات الاغريقية الصغيرة في المنطقة قد ذابت امام التكتيكات المتفوقة والتصميم للفرسان الغربيين. وبدأ مركز رئيسي للمقاومة الرومية على أي حال يتشكل حول تيودور لاسكارس ، وهو صهر الامبراطور الكسيوس الثالث وبطل الدفاع عن القسطنطينية ، وقد أقيم قرب نيقية وشرع المطارنة الأغريق وأصحاب المقامات الرفيعة في الانضمام إليه هناك .

وما أن قسمت الأرض بين اللاتين حتى قامت مشكلة التنظيم ، ولو أن مثال الفرنجة في المورة في تعاملهم مع الأغريق قد اتبع لसार كل شيء بشكل جيد ، ولكن لسوء الحظ أن الامبراطور بلدوين قد

أخفق تماما في تطوير سياسة قابلة للتطبيق على رعاياه من الأغريق . وقد أدى تعاليه الطبيعي وترفعه به إلى رفض كل عروض المساعدة من نبلاء الأغريق ، وإلى رفض إشراكهم في البيئة الاقتصادية اللاتينية للدولة . وقد أصبح هؤلاء النبلاء الساخطون نواة المقاومة الأغريقية ، وبحثوا عن المساعدة من المركزين الأغريقيين الحرين في ابيروس ونيقية ، لابل إنهم حتى تطلعوا إلى أعدائهم القدامى البلغار من أجل التحرير .

أما بالنسبة للسواد الأعظم من الناس فقد اتخذوا في البداية موقفا أكثر مودة نحو اللاتين .

ومعهم أبدى بلديون تفهما أكثر ذكاء وسماحة بجعل الأحوال في الأراضي تستمر دون تغيير هام ، ولكن هنا أيضا ثارت روح المقاومة الأغريقية في أعقاب محاولات النظام الجديد فرض اتحاد بين الكنيستين . وكان الأغريق قد حددوا من قبل حرياتهم الفردية والدينية مع طقوس كنيستهم ، ومع أن الأساقفة والمطارنة قد هربوا من مراكزهم في وقت الغزو فإن أعضاء المراتب الدنيا في الأكليروس بقوا ، وحاول اللاتين وضع هؤلاء تحت السيطرة الرومانية ، واعترف البابا بحساسية المشكلة ، وكان الامبراطور أحيانا يفعل ذلك ، ولكن الأغريق قاوموا بشكل متزايد كل العروض المقترحة . وتمسكوا بكنيستهم بحماس عنيد وتطلعوا بشوق إلى مصادر التحرير نفسها التي اجتذبت زعماءهم . وتفاقت الحالة بسبب نقص البراعة الشخصية والتكتيك من جانب كثير من الصليبيين ولاسيما البنادقة ، الذين أخذوا أنرنة كجزء من حصتهم من الامبراطورية وقد قامت هناك ثورة في شباط ١٢١٥ ، وبسرعة سقط معظم تراقية في أيدي المتمردين الأغريق . ومع تقدم الامبراطور باتجاه الغرب مع جيش ضعيف بشكل قاتل كان مكونا في غالبيته من أتباعه الذين دعوا من أراضيهم في آسية الصغرى ناشد الأغريق كالوجان قيصر البلغار وطلبوا منه المساعدة .



أباطرة بيزنطة

وكان هذا الزعيم البلغاري قد سعى قبل الحملة الصليبية الرابعة للتخلي عن الولاء للإمبراطور البيزنطي واتجه نحو البابا من أجل المساعدة ، وبعد اتصالات مطولة مع أنوسنت الثالث الذي كان يأمل في اختراق البلقان وفتح طريق جديد إلى سورية من أجل الحركة الصليبية ، تم التوصل إلى اتفاقية في ١٢٠٣ وبنصوصها جعل رئيس أساقفة لاتيني كبير أساقفة لبغاري في أيلول ١٢٠٣ وفي شباط ١٢٠٤ اعترف البابا بكالوجان ملكا للبلغار والولش وبروح هذا التفاهم عرض كالوجان خدماته فيما بعد على الصليبيين في غزوهم للإمبراطورية ، ورفضوا عرضه بطريقة متعالية بشكل مميز وقاسية وبمعاملته كتابع ، طالبوه بالبيعة للإمبراطور عن أراضيه ، وفي ثورة الغضب تخلى كالوجان عن صداقته لللاتين وأصبح عدوهم الحاقد ، وكان هذا الرجل هو الذي جاء الآن لمساعدة الروم مع جيش كبير ضم بين قواته مايزيد عن ١٤٠٠٠ ر من المرتزقة الكومان .

والتقى الجيشان قرب أدرنة ، وغلب اللاتين ، وأسر الإمبراطور وتوفي مؤخرا بشكل غامض في السجن . وتسلمت بقايا القوات عائدة نحو العاصمة ، حيث تولى رئاسة الدولة أخو بلدوين هنري دي هينوت .

وكان حكم هنري / ١٢٠٦ - ١٢١٦ / حرجا بالنسبة لبقاء الإمبراطورية ، حيث دمرت تراقية كلها بشكل متكرر من قبل البلغار ، وهجر الأناضول أمراؤها اللاتين لتسقط قطعة وراء قطعة في يد لاسكاريس، وكان موقف هنري يائسا ، ففي الشرق تحالف مع الأغريق الذين وطلدوا أنفسهم في بافلاغونيا وطرابزون تحت قيادة اثنين من أبناء الإمبراطور السالف أندرونيكوس وحتى مع الأتراك مشكلين قضية مشتركة قلقة ضد العدو المشترك / لاسكاريس / وكان مركزه في الغرب يتحسن نوعا ما بفعل البنادقة ، الذين بدأوا الآن يضطلعون بالسلطة على أراضيههم بجد ، وقد خففوا من مراكز المقاومة بلا هوادة على طول الساحل الأغريقي ، وتابعوا قتالهم ضد

الأغريق ، والقراصنة ، وشمّلوا شامبليت نفسه في هذه العملية ، وأرسلوا الأساطيل والجيوش إلى الجزر الأيونية ، وحشود من البنادقة لتهدئة كل الجزر الأيجية ، وقدم رافان دال كارسيري البيعة للبندقية عن جزيرته يوبوا ، وتم غزو كريت التي اشترتها البندقية من بونيفيس دي مونتفرات . وفي اليونان شق بارونات المورة ببطء طريقهم في اتجاه الشرق ، وفي الشمال عزز المركيز ممتلكاته بعد الفزوات البلغارية المأساوية ، وهكذا جعل الغرب أكثر استقرارا ومكن المركيز وهنري معاهدة الصداقة بين الزوج بين هنري وأغذس ابنة المركيز ، وولدت ماري زوجة المركيز في هذا الوقت وريثا ، وقد أطلق عليه اسم نو دلالة هو : ديميترويس على اسم القديس الراعي لسالونيك وفوق كل شيء عمل هنري على تهدئة رعاياه الأغريق الذين شعروا هم أنفسهم الآن باليد الثقيلة للبلغار وتحولوا إلى إمبراطورهم الجديد طلبا للمساعدة ، وكان مفتاح الحالة المسألة الدينية . وتتابعت المفاوضات الصعبة الطويلة بين الإكليروس الإغريقي واللاتيني بقيادة المطارنة الإغريق من جنوب إيطاليا الذين قبلوا سيادة البابا الروماني في أراضي المركيز وفي كل أنحاء الإمبراطورية . وفي كل مكان كان اللاتين يستخدمون نبرة معتدلة للتهدة ، ويبدو أنه تحقق تقدم حقيقي ، وكان حجر العثرة على أي حال هو مسألة السيادة الرومانية ، وعلى هذه الصخرة تحطمت كل المفاوضات .

وأصبح كل الأمر أكاديميا بعد آذار / ١٢٠٨ / لأنه في ذلك الوقت عمل لاسكارس على انتخاب بطريرك إغريقي في نيقية ، توج على الفور لاسكارس كأمبراطور بيزنطي شرعي .

ونبذ الأغريق جميعا في الإمبراطورية اللاتينية على الفور أية أفكار للتسوية والوحدة بين الكنيستين ، ومن حينه فصاعدا تطلّعوا إلى نيقية للتحرير وإعادة بطركهم .

وتحرّكت الأحداث في هذه الأثناء بسرعة ووقع بونيفيس في شرك

البلغار في ١٢٠٧ ، وقتل وفصل رأسه عن جسده الذي كان مايزال حيا ليرسل إلى عبوه كالوجان ، ولكن أيام القيصر كانت معسودة أيضا ، وتوفي أثناء نومه عشية عيد القديس ديميتريوس / ٨ تشرين أول ١٢٠٧ / وحلت الفوضى في مملكة البلغار وقامت حرب أهلية ، وأعيد تنظيمها فيما بعد ببطء تحت حكم جون آشن ، وهكذا بدا أن الأزمة قد انحسرت . وتم طرد لاسكارس وانتهى التهديد البلغاري وقت تهينة الأراضي في العالم الاغريقي . ولكن كانت هناك مشكلات كثيرة ، فقد كان بإمكان رعايا هنري من الاغريق أن يطلقوا العنان لسخطهم ضد الغزاة ، مع أنهم كانوا معجبين دائما بالامبراطور شخصيا لأنه رعاهم ، فأعاد فتح الكنائس الاغريقية ، وكان باروناته وأساقفته يناضلون من أجل المشكلة القيمة جدا للحصانة الاكليروسية ، ووضع نهاية لها بفرض تسوية . وفي مقابل استقلالهم وافق المطارنة على دفع ضريبة الأرض البيزنطية التقليدية للبارونات ، وكانت مشكلة الدفاع هم الأكثر إلحاحا ، وتم جذب فرسان جند من غرب أوروبا ، ولكنهم لم يكونوا كافين مطلقا ، وفي النهاية كانت هناك توترات في القسم الغربي من الامبراطورية وكان اغريق إيبروس يشكلون تهديدا ، وكان بارونات سالونيك قلقين في عهد ملكهم القاهر ديميتريوس .

ودعا هنري برلمانا في اليونان في رافنكا في ١٢٠٩ لتسوية مشكلته ، وكانت النتيجة سيطرة أشد إككاما على اليونان ، ولكن السمة الأكثر أهمية هي وصول أمير أثينا في أبهة عظيمة مع أوتون دي لاروش وجيوفري دي فيلهاردين ممثل المورة .

وقد وقع تتابع غريب للاحداث في المورة خلال هذه الفترة ، فقد ترك غوليوم شامليت ابن أخيه هوغ يتولى أمر المورة وغادر إلى فرنسا في عام ١٢٠٨ ربما ليطلب بميراثه من أخيه لويس ، الذي توفي هناك في ذلك الوقت ، وتوفي هو نفسه أثناء وجوده في فرنسا تاركا وريثه ابن أخيه في المورة ، ولكنه توفي هو أيضا بعد فترة قصيرة وبقيت المورقبدون أمير شرعي ، وعند هذه النقطة ظهر

جيوفري دي فيلهاردين الشريك في الغزو الأصلي كأمر للمورة ، ومن الصغب القول فيما اذا كان هذا بسبب ، أن غوليوم قد عبر عن الرغبة في أن يخلفه جيوفري في النهاية ، أو لأن البارونات قد فضلوه على هوغ ، وعلى أي حال ظهر جيوفري في مفاوضاته مع البنادقة ، الذين أعطوا المورة كجزء من حصتهم من التجزئة الأصلية للإمبراطورية ، والذي كان قد بدأ قتالا من أجلها كما رأينا في ١٢٠٦ وأما الحرب البندقية - المورية فقد تم تسويتها في مؤتمر في حزيران ١٢٠٩ .

وفي المفاوضات التي جرت وفي المعاهدة التي أبرمت ، لم يستعمل جيوفري على ما يبدو لقب أمير أخيا . وأول مرة وردت هذه الإشارة إليه جاءت في رسائل من أنوسنت الثالث ، مؤرخة في ٢٢ ، ٢٤ آذار ١٢١٠ ويبدو أنه قد انتظر .

الاجل المعتاد وهو سنة واحدة ويوم واحد وسنتين ويومان ، بدأت من رجيل غوليوم أو من وفاة هوغ قبل المطالبة باللقب. وعلى أي حال بحلول ١٢١٠ كان جيوفري يدعو نفسه أمير أخيا ونائب أمير كل رومانيا ومن هذه النقطة وما بعدها رسخ جذوره في أرض اليونان ، وأرسل إلى فرنسا من أجل زوجته وابنه جيوفري وأسكنهما في قصره في كلاماتا ، حيث ولد ابنه الثاني غوليوم أشهر عضو في كل العائلة في ١١٢١.

وكان حكم جيوفري الأول ذو أهمية دائمة للمورة ، وكانت أكروكورنت ماتزال في أيدي ليون سفورس عندما تولى جيوفري السلطة وقد سقطت في يده بعد وفاة سفورس في ١٢٠٨ . وتمت تهدئة الوديان الجبلية لأكونيا وأركاريا ، وتم بناء الحصون للدفاع عن الجبهة وإجمالا كانت الامارة آمنة ، وأرسى جيوفري الأساس لحكومة مستقرة أيضا ، وقد شجع هجرة تيار ثابت من البورغانيين والشامبونييين لزيادة السكان من الفرنجة ، وهناك تطورت في المورة ثقافة كانت شهيرة حتى في فرنسا بسبب صفاتها

ورقتها ، وبسبب ذقاء ثقايلدها الفرنسية في الفروسية ، وفوق كل شيء كانت الثقافة ازدراعا حقيقيةا وغرسا.

وبالتدريج أصبح فرنجة المورة موريين حقيقيين يتكلمون كل من الفرنسية واليونانية ويتبعون كلا من العادات الفرنسية والاغريقية.

وبينما كان جيوفري يبني امارة المورة كان أوثنون دي لاروش يفعل الشيء نفسه في دوقية أثينا ، ودفع بالتدريج حدوده في اتجاه الجنوب لتضم أركوليس وفي اتجاه الشمال حتى تجاوزت طيبة ، مرسيا الاستقرار في الجبهة ومقيما علاقات ودية مع الجيران ، وأقام عاصمته في طيبة ، وأصبح البارثينون على جبل الأكروبوليس في أثينا ، والذي كان لزمان طويل كنيسة مطارنه الاغريق ، كاتدرائية سانت ماري اللاتينية . وأسس أوثنون أليرة وأدخل المراتب الغربية في بيوت الرهبنة الاغريقية الأقدم ، والمثال البارز يتجلى في دعوته للرهبان البندكتيين لتولي أمور الدير العظيم في دافني وكان يقع على مسافة بضعة أميال خارج أثينا ، وهناك ديرا منعزلا ورواقا على نمط فرنسي أصيل ، وأنشأ أيضا مجتمعا فرنسيا في أثينا ، كان يتكون في معظمه من أقاربه الكثيرين وأصدقائه الذين شجعهم على المجيء إلى اليونان من أراضيهم البورغاندية ، وهاجرت العائلة إلى اليونان خلال القرن الثالث عشر ، وجاء ابن أخ له يدعى غي على سبيل المثال ومنح جزءا من طيبة من قبل جيوفري دي فيلهاردين وكان نيكولاس دي سانت أومر وافدا جديدا آخر وصل إلى اليونان بعد (١٢٠٨) وتوطن هو وعائلته حول طيبة ، وأصبحت لهذه العائلة شهرة أسرة دي لاروش نفسها وتزاوجت معها كما تزاوجت مع الخط الملكي الهنقاري .

وبينما كان هؤلاء الأمراء الأقرباء يعززون ويدعمون ممتلكاتهم ، كان الامبراطور هنري يحارب خلافات يصعب التغلب عليها .

وضاعت السنوات الأخيرة من حكمه في غموض ، حتى وفاته

المفاجئة في عمر لم يتجاوز التاسعة والثلاثين في ١١ هزيران ١٢١٦ ، وكان قد جهد للحصول على مساعدة من روما وهنغاريا ومن بلغاريا ولكن جهودة كلها اخفقت ، ولم يتسرك حتى وريثا مباشرا من نسلة ليخلفه . وعرض باروناته التاج على بيير دي كورتناي زوج أخت هنري يولاند بأمل أن يحضر جيوشا معه من فرنسا ، وقيل ولكنه لم ير امبراطوريته أبدا ، لأنه قتل وهو في طريقه نحو الشرق بعد أسره من قبل تيودورس الذي خلف أخاه ميكائيل في أبيروس ، ونهبت امبراطورته مباشرة بطريق البحر إلى العاصمة ووصلت بسلام، وفي طريقها توقفت في المورة وزوجت ابنها أغدس إلى الابن الأكبر لجيوفري الأول ، جيوفري الثاني المنتظر ، وبعد وصولها إلى القسطنطينية بوقت قصير ولدت ابنا هو امبراطور المستعيل بلدوين الثاني . وقيل نهاية السنة تسوفيت ، وكان على البارونات مرة أخرى أن ينفقوا امبراطورا ، وفي هذه المرة اختاروا أكبر أبناء يولاند فيليب مركيز نامور ولكنه أرسل ابنها الأصغر (روبرت) نبلا منه ، وهكذا في ١٢٢١ أصبح روبرت الضعيف والمعنوه تقريبا امبراطورا وبعد ذلك بوقت قصير توفي تيودورس ، لاسكارس العدو المراوغ وهو في الثامنة والأربعين من عمره في ١٢٢٢ ولكن خلفه صهره لوانس الثالث دوكاس فاتاقس الذي بقي عدوا حتى أكثر خطرا لمدة اثنتين وثلاثين سنة والذي به أمكن للامبراطورية اللاتينية أن تنصب فقط أضعف الإباطرة .

لقد فقد الامبراطور الجديد كل أراضي في الأناضول ، وحلت الآن كارثة أسوأ حتى في الغرب ، فقد هاجمه تيودور كوفينوس بوكاس بمساعدة البلغار والعائلات الاغريقية في الامبراطورية اللاتينية واستولوا على مدينة سالونيك وكل المملكة في ١٢٢٤ ، وسحقت قواته في شمال اليونان ونجت بويونيتزا وامارة أثينا والمورة فقط من الكارثة .

وكان نيمتريوس في ايطاليا يحاول تجنيد بعض القوات في ذلك لوقت وتوفي هناك في النهاية في ١٢٢٧ تاركاً كل حقوقه لفرديريك

الثاني ، وكان نصر ثيودوروس قصير العمر لأنه بدوره أسر بعد ذلك بخمس سنوات من قبل جون أسن ، قيصر البلغار وسلمت عيناه وجرد من كل ممتلكاته. وفي الوقت نفسه عزز جيوفري الأول في المورة ودوق أثينا أراضيها في وجه الخطر المشترك ، وضغط جيوفري على الاكليروس بشدة من أجل التمويل لبناء حصن كبير مونت لحماية سهل ابليس ، حيث أنشأ عاصمته ، وأدى هذا إلى الحرمان من البابا هونوريوس الثالث الذي رفع في ١٢٢٣ ، وبعد ذلك بوقت قصير عاد أوthon دي لاروش إلى فرنسا ، تاركاً ابن أخيه غي يتولى الدوقية وتوفي في ١٢٣٤ وتوفي جيوفري رفيقه القديم بعد رحيله بوقت قصير احتمالاً بين ١٢٢٨ و ١٢٣٠ .

وميزت هذه السنوات نقطة تحول في تاريخ الامبراطورية . وتوفي الغزاة القدامى جميعهم ، وكانت الولايات التي أصبحت الآن قليلة العدد في أيدي رجال أكثر شباباً . وظهرت المورة في اليونان كبؤرة للقوة ، في حين دمر روبرت في القسطنطينية امبراطورية هنري وفقد صلاته بالوقائع السياسية وانسحب إلى قصره مع امرأة فرنسية شابة كان قد تزوجها سرا ، ولم يترك مطلقاً الجناح الذي أسكنها فيه مع أمها ، وبكراهية ومقت اقتحمه البارونات في إحدى الليالي وأغرقوا المرأة العجوز وشوهوا الزوجة الشابة بقطع أنفها وشفتيها ، وهرب روبرت في فزع من مملكته ومضى إلى روما ليشتكو للبابا غريغوري التاسع وحرص على العودة إلى امبراطوريته ، ولكنه توقف وهو في طريقه في المورة لزيارة أخته أغنيس وهناك وقع فريسة المرض وتوفي في ١٢٢٨ ولم يحزن عليه سوى أخته التي بنت على ما يبدو ديرا في المورة تخليداً لذكراه .

وعرض البارونات في يأسهم التاج على البطل المسن جين دي برين الذي أبحر إلى الشرق مع جيش كبير ووصل إلى القسطنطينية في ١٢٣١ وقد خدع البارونات مع ذلك في آمالهم ، لأن الامبراطور الجديد على الرغم من مساعدة هنغاريا والمورة كان قادراً على

- ٤٦٨٢ -

القليل فقط ، وعندما توفي في ١٢٣٧ ، كانت المملكة أسوأ مما كانت على الإطلاق .

وإذا كانت الامبراطورية تعيش في حالة أزمة ، فإن اليونان كانت تتمتع بفترة من الازدهار لا مثيل لها ، وتحت جيوفري الثاني وهو أمير عطوف وإنساني النشأة ، توسعت الامارة في كل الاتجاهات وزال تهديد الاغريق في الشمال لأن أسر تيودورس من قبل جون أسن عجل بحدوث حروب أهلية مشوشة في أبيروس ، وأصبح أمير المورة وقد تلقى بيعة أمراء سفالونيا ناكسوس ويوبوا أقوى قوة في الشرق اللاتيني ، وفي وقت وفاته ، في ١٢٤٦ كانت المورة دولة حضارية غنية قادرة على تمويل الدفاع عن الامبراطورية المنهارة بالمال والأساطيل ، وكانت ما تسمى بدوقية أثينا في الفترة نفسها بالدرجة نفسها من الازدهار ، وحصل غي دي لاروش على أرباح عظيمة من صناعة الحرير في طيبة ، واجتذب إلى عالمه البنادقة وأهل جنوا والتجار الآخرين ، الذين تنافسوا مع بعضهم على شراء المزايا التجارية من الدوق ، وفي هذا الوقت تزوج بيلادي سانت - أومر ابن نيكولاس ذاك الذي استوطن طيبة منذ بضع سنين خلت ، تزوج من بونة أخت غي وأسس أسرة من أقوى الأسر الاغريقية الفرنجية ،

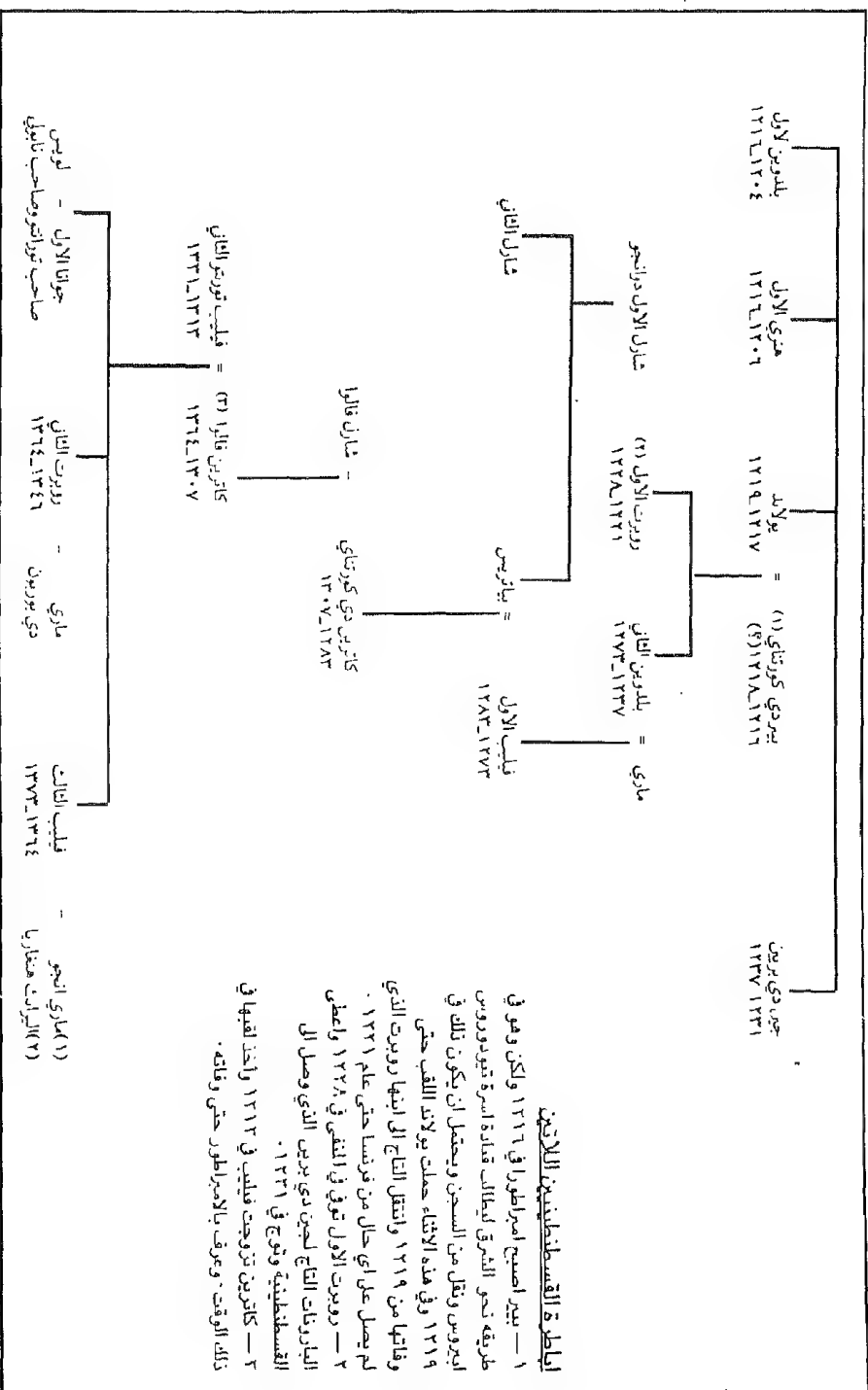
وعندما توفي جين دي برين ، كان الامبراطور الجديد بلدوين فقط في التاسعة عشرة من عمره ، ولأنه ولد في المشرق ، وترعرع في جو بيزنطي ، وتكلم اليونانية ، فانه كان يحتمل أن يكون حاكما جيدا للامبراطورية . وأسوء الحظ أنه لم يكن ذا ذكاء ملحوظ أو مقدرة ، علاوة على ذلك ورث حالة يائسة تستعصي على العلاج ، وبدأ حكمه في فرنسا حيث ذهب ليلتمس المال والقوات ، ومضى بهم جيئة وذهابا بين ايطاليا وإقطاعاته الفرنسية لمدة أربع سنوات يستجدي القروض من البابا والملك لويس ، وكان يأمل في ضمانها بارتها ن أراضيه ، وأرسل جيشا باتجاه المشرق ، ولكن فقط ليمزق من قبل عدو حميه المميت - فريدريك

الثاني . وفي النهاية ، بعد رحيل الحملة الصليبية الخامسة استجمع جيشا يحظى بشيء من الاحترام وقاده عبر ألمانيا وهنغاريا ، وبلغاريا ليصل الى عاصمته في ١٢٤٠ ، وكان حكمه حكما باعثا على اليأس ، ووجد في البداية فترة راحة في التنافس بين فانتاس وميكائيل الثاني في أبيروس الذي أعاد توحيد الامارات ، ثم وجد مساعدة في تحالفه مع الكومان والأتراك الآخرين ، ولكنه أمضى معظم حكمه في فرنسا وإيطاليا يلتمس المال ليعيش فيه . وفي النهاية نزل الى حشد بيع الرصاص الذي يكسو سقوف قصوره ، وانتظرت القسطنطينية بكل بساطة حتى تمكن الاغريق من استعادتها في ١٢٦١ .

وكانت السنوات التي ميزت الانهيار الذي أصاب الامبراطورية اللاتينية هي سنوات أعظم الانجازات لامارة المورة ، ومن عاصمته في أندرا فيدا في إيليس القديمة حكم غوليوم الثاني أخو جيوفري ، والأمير من عام ١٢٤٦ الى ١٢٧٨ ، دولة ضمت كل وسط وجنوب اليونان ، وفي كل الوديان الجبلية وعند كل النقاط الاستراتيجية على طول الساحل وجه بعناية وصيانة القلاع القوية ، وكانت كل منها مركزا للحياة القانونية والدينية للمنطقة المحيطة بها ، وفي هذه الحصون طورت المورة حضارة اشتهرت في كل دنيا القرن الثالث عشر ، وطار ذكرها الى القرن الرابع عشر أيضا ، وكان الأمير نمونجا لاسيد الاقطاعي لكونه الأول ، ولكن الناس من عائلة فيلهاردين كانوا متميزين كأفراد حتى أن قواهم الفعلية ، وسلطاتهم كانت مطلقة تقريبا ، وكان غوليوم الثاني أبرز مثال هؤلاء الأمراء ، ولكونه ولد في اليونان فقد حظي بأفضل تعليم أمكن للمورة تقديمه ، وتم تدريبه من قبل الخبراء على الأسلحة ، ومع ذلك كان أيضا مغنيا ضليعا وكاتبا للأغاني ، ولكونه كان يتقن اللغتين تماما فقد كان مطمئنا بين النبالة الفرنسية ومع الرعايا الاغريق . وكأمير أخيا كان تابعا للامبراطور اللاتيني ، ولكنه كان سيذا إقطاعيا أعلى للمورة ، وكانت سلطته مع ذلك بعيدة عن أن تكون مطلقة ، لأن أتباعه في المورة كانوا دائما يتطلبون من أميرهم عهدا

بالحفاظة على المزايا والأعراف في الإمارة قبل أن يقسموا على الولاء له ، وحتى عندها كان مقيدا باستشارة باروناته ومن جانب آخر كانت له حقوق قطعية ومزايا ، مثل حق تحرير العبيد أو منح صكوك الاجازات للمدين.

وكان يساعد الأمير بعض الموظفين ، منهم الكافل والمشاور والحاجب والقباطنة وشحنة القلعة ، ولكن المورة كانت في المقام الأول بولة عسكرية ، وكان الأمير يعتمد في الأكثر على التبعية الاقطاعية للذين يمتلكون الاقطاعات التي يمنحها لهم ، وكان هناك نمطان من الاتباع ، أولئك المرتبطون بعهد الولاء ، وأولئك المبايعون البسطاء ، وكان كلاهما مدين بالتزام على كامل السنة في الحامية والميدان ويبقى مستنفرا في موطنه ، ولكن الأول منهما أعلى وله مزايا أكثر بما في ذلك أن يكون له بلاطه الخاص ، وكان الأخير يعتبر الأدنى ، ولم يكن يسمح له بحاشية خاصة ، وكان عليه أن يدفع ضرائب معينة ويلقى عادة مقاضاة مشتركة ، وكان نوبو المكانة من الاغريق في الأراضي يقبلون في المراتب الاقطاعية كاتباع بسطاء (مثلما كان السرجينية وقادة الفرسان) وكان الاعضاء الرئيسون في الهرم الاكليروسي وكذلك فرسان الداوية والاسبترارية يملكون جميعا أراضي في الإمارة توجب على هؤلاء فقط الخدمات الميدانية كما كانت مرتبة على كل الاقطاعات الاكليروسية . وكان هناك إضافة الى ذلك كثير من المدن التي شغلت دورا في حياة الإمارة بتزويد الأمير بالمال والقوات في زمن الحرب ، ومن حين لآخر كان الممثلون يدعون للاجتماعات الهامة لمجلس الأمير الاستشاري ، وكانت الأرض في معظمها ريفا ، مع أنه كان يوجد بعض المدن وبعض الصناعات الخاصة ، كتربية بود الحرير مثلا . ومع ذلك فإن أغلب الناس كانوا يعملون في الأرض ، وكانوا إما فلاحين أحرارا يعيشون فرادى أو في جماعات ، وكانوا يملكون أرضهم صراحة ، أو عبيدا يقعون ضمن الأنماط المألوفة في القرى ، ولم يكن باستطاعتهم ترك المزرعة ، وكانت زوجاتهم



إباضرة القسطنطينيين اللاتين

١- تبيّر أصبح امبراطوراً في ١٢١٦ ولكن وهو في طريقه نحو الشرق ليملك بقيادة أسرة تيودوروس بيجرس ونقل من السجن ويحتفل ان يكون ذلك في ١٢١٩ وفي هذه الاثناء حصلت يو لاند القلب حتى قلمها في ١٢١٩ وانتقل الناج الى انبها وديرت الذي لم يصل الى حال من فرنسا حتى عام ١٢٢١ .

٢- ديورت الناج لوي في المنفى في ١٢٢٨ واصل البشاريات الناج الجين توي برين الذي وصل الى الاستطالطينية في ١٢٢٩ .

٣- كاترين تزوجت فليتب في ١٢١٢ واخذ اقربا في ذلك الوقت . وعرف بالامبراطور حتى وفاته .

يصبحن عبادات للسيد الخ.. وإجمالاً على أي حال تحسنت أحوالهم في ظل الفرنجة.

هكذا كانت في حينه الأرض التي حكمها / غوليوم / وفي سذواته الأولى شغل نفسه بالاستيلاء على الثغور الأمامية الأغريقية على الساحل الجنوبي الشرقي وتهدة القبائل السلافية في الداخل ، وكان ناجحاً واستخدم الكبح الحكيم في انتصاره ، وذهب في حملة لويس التاسع الصليبية إلى دمياط في ١٢٥٠ ، وفي عودته إلى المورة قاتل في حرب مريرة مع الإيطاليين في يوبوا ، وبتحالفه مع ميكائيل الثاني في أبيروس كان قادراً على كسب هذا الصراع ووطد سلطانه على تلك الجزيرة ووسط اليونان أيضاً.

وفي هذه الأثناء كانت الدولتان الأغريقيتان تندفعان إلى شفا حرب جديدة ، وفي نيقية توفي إيوانس فيتاتيزس تاركاً عرشه لابنه تيودورس الثاني الاسكاريسي ، الذي توفي بعد ذلك بوقت قصير تاركاً ابناً في عمر ثمان سنوات تحت وصاية ميكائيل بالايولوجوس الذي سرعان ما اغتصب العرش لنفسه ، وكامبراطور ميكائيل الثامن أصبح بطلاً للثأر الأغريقي واسترداد الأرض ، وإذا رأى ميكائيل الثاني هذه التطورات ، قوي موقفه بتزويج إحدى بناته هيلين إلى مانفرد صاحب صقلية ، والأخرى آن لغوليوم صاحب المورة . وهكذا جاءت آن الجميلة التي أخذت اسم أغنس عند زواجها إلى المورة وولدت في حينه ابنتين إيزابوا ومرغريت ، ثم اندلعت الحرب أخيراً وقاد غوليوم قواته نحو الشمال الذين أرسلهم الامبراطور ومانفرد ، وأجرى الجيش المزدوج عرضاً شجاعاً في شمال اليونان ، والتقى في النهاية بقوات نيقية في سهل بلاغونيا في أيلول ١٢٥٩ وكانت النتيجة أسر غوليوم وكثير من البارونات المورة ، وبعد ذلك بعامين في ٢٥ تموز ١٢٦١ أعيد احتلال مدينة القسطنطينية من قبل جيش إغريقي ، وهرب بلدوين وأتباعه مبحرين إلى اليونان ، وفيها أخذ الامبراطور المخلوع طريقه بكل دعة وأبهة إلى إيطاليا والمنفى وبقي غوليوم في سجن ميكائيل الثامن

حتى ١٢٦١ ووقع معاهدة مع امبراطور الاغريق سلام فيها للاغريق الحصن الرئيسي في كل من مونمفاسيا وميستر ، وماين ، وحالما حصل على حريته أقام حلفا جديدا مع البندقية والأمراء الايطاليين للجزر واستعد لتجديد الحرب. وأرسل ميكائيل جيشه الى اليونان ، ولكنه انسحب بعد هزيمتين شديتين وبعد أن أوقع أضرار شديدة في لاكونيا وأركاديا ، وفي هذا الوقت غلب على شؤون المورة جيشان الأحداث في إيطاليا ، ودعي شارل دي أنجو الى إيطاليا من قبل أوربان الرابع ليقود حملة صليبية ضد مازفرد حيث هزمه في المعركة في بينفتو في ٢٦ شباط ١٢٦٦ ، حيث ماتت آمال مازفرد وألوه هذشتافن في الميدان . وفي هذه الاثناء عانى ميكائيل الثامن من هزيمة بحرية قاسية ، وحتى حينه كان غوليوم ما يزال في حاجة لحلف قوي في الغرب.

وكان شارل دي أنجو قد بدأ يلقي بنظرات جائرة نحو الشرق ، وبأمل من البابا كليمنت الرابع في السيطرة على كل هذه التيارات ، دعا سائر الأمراء الى مجلس شوري في فيتربو وتم الاجتماع في شباط ١٢٦٧ واستمر خمسة أو ستة أشهر . وكانت الموضوعات الأكثر إلحاحا هي توحيد الكنيستين وعقد حلف بين غوليوم وشارل ، ولم تصل مناقشة الموضوع الأول الى حل دائم مع أن المفاوضات أعطت ميكائيل الثامن فترة راحة قيمة ، بيد أن معاهدة فيتربو الهامة ٢٤ أيار أبرمت بين شارل وغوليوم ووفقا لها كان لابن شارل أن يتزوج ايزابو دي فيلهاردين ، ومع أن غوليوم سيجرم طيلة حياته فإنه عند وفاته سينتقل التاج الى الانجيفينيين لأنه إذا لم ينجب الزوجان ابنا ، فإن شارل نفسه كان له أن يرث التاج ، وبقي أمير المورة في إيطاليا ليساعد شارل على مواجهة هجوم كونراين آخر سلالة هوهنشتافن ، الذي كان يفزو إيطاليا طلبا لأراضيه ، وتمت مواجهته في تقليا كوزو وكسب شارل ، بعدما تلقى معونة غير قليلة من بارونات المورة ، كسب نصرا تاما ونهائيا .

وبعونه إلى المورة استعد الأمير لتنفيذ شروط المعاهدة . وفي أيار ١٢٧١ أبحرت أيزابو إلى إيطاليا ، وتزوجت من فيليب الشاب في ٢٨ أيار ١٢٧١ . وفي هذا الوقت بدأت خطط شارل تتكشف ، وأرسل قواته إلى ألبانيا لتعمل للسيطرة على اليونان كخطوة لازمة نحو السيطرة على كامل البحر المتوسط ، وكانت المورة قطعة صغيرة فقط في مشروعه الكبير ، وانطلقت حرب مريعة كانت بالقوة نفسها في المناورات الدبلوماسية كما في التكتيكات البحرية والبرية عبر كل اليونان .

وكانت النتائج حاسمة ولكن اليونان الفرنجية اهتزت بشدة ، وواحدة فواحدة بدأت المقاطعات الخارجية تتفتت وتنفصل ، وأدى الفرار والخيانة والهزائم إلى انهيار معنويات الفرنجة والاببيروت على السواء لوقوعهم وسط حرب بين عمالقة . ولو أن (غوليوم) رأى في السنوات الأخيرة من حكمه المورة تنجو من رعب الفوز الكامل فقد رأى أفضل البواسل من المدافعين عنها يموتون واحدا تلو الآخر . وقد أمكنه من قبل أن يتنبأ بالمصير غير السعيد لأرضه ، وتمت ضغط من شارل ، بدأ يعد البلاد لارتقاء فيليب الأنجفيني ، ولكن في شباط ١٢٧٧ توفي هذا الأمير الشاب بصورة غير متوقعة بالمرّة ، وكان في الحادية والعشرين من عمره ، ولا بد أن هذه الضربة قد أضعفت (غوليوم) لدرجة مميتة ، حيث بعد عام في أول أيار ١٢٧٨ توفي أشهر أمير في تاريخ المورة بعد حكم دام اثنتان وثلاثون سنة .

وفقدت المورة الآن تقريبا هويتها كامارة مستقلة وأصبحت ملحقة بمملكة صقلية ، وبقيت أيزابو مع الأسرة الملكية الأنجيفينية في إيطاليا ، وهناك جمع شارل البارونات الرئيسيين للمورة والامبراطورية اللاتينية ، وقد خدمه هؤلاء البارونات جيدا ، ولكن ليس دائما في شؤون أراضيهم ، فلادارة المورة على سبيل المثال ، أرسل شارل كنائب نائب امارة صقلية غاليران دي ايفري الذي لم يكن موريا ، وأمر كل اقطاعي اليونان الاوربية والجزر ، الذين

تناقصوا الآن بدرجة كبيرة في العدد بأداء قسم الولاء لذلك الرجل ولكن من المهم ملاحظة بأنهم رفضوا تأدية قسم الولاء للملك ، لأن هذا يتم فقط حضوريا ، ووافقوا على أن يقسموا فقط بالبيعة ببساطة لمثليه .

وحولت الحرب مع الاغريق بالتدريج الكثير من المورة الى ارض موبوءة لاصحاب لها . وكانت الجيوش الانجيفينية تتألف من تشكيلة ممزقة من المرتزقة من الصقليين غير المقيدين وقسطاع الطرق ، الذين كانوا أكثر اهتماما بالسلب والنهب منهم بسلامة المملكة ، وقد أحدثوا من الأضرار بالبلاد أكثر مما فعل العدو ، وحل شارل محل دي ايفري في آب ١٢٨٠ وكان فيليب دولا غونيس مارشالا لصقلية وتحسنت الظروف ولكن المصالح المورية كان يضحى بها دائما للمشاريع الضخمة للملك في صراعه مع ميكايل بالا يولوغوس .

وبدأت القوات الانجيفينية والامدادات والأموال تنصب في أبيروس وبعد مفاوضات دقيقة مع القوى في الشمال ، شن هجوم على بيرات كمقدمة لتقدم نحو الشرق الى سالونيك ، وتحول الهجوم الى اخفاق ما ساوي لشارل الذي سحب قواته ليركزها في اخفاء الثورة التي بدأت مع مذبحه العشاء الصقلية في نهاية آذار ١٢٨٢ ، وتركت المورة كثيرا لمواردها . وتزوجت أغنيس أرملة الامير غوليوم الثاني نيكولاس الثاني دي سانت أومر من بوقية أثينا ، وأصبح الآن نائبا على المورة ، واحتفظت النبالة المورية بأفضل ما استطاعت بتقاليد أرضها ، وكانت ماتزال معروفة في أوروبا ببسالتها .

ومن حين لآخر كان شارل يحول اهتمامه الى المورة ليتمكن من تملكه لها ، أو لكافة تابع مخلص ، ولكن على وجه الاجمال كان للانجيفيين مشكلات أكثر ضغطا في غرب البحر المتوسط ، وتوفي شارل في ١٢٨٥ وكان رجلا منهكا خائب الآمال بمسارعة ، وخلفه ابنه الذي كان غير كفء في الواقع وهو شارل الثاني ، الذي قوبل

بمعارضة مدبرة من قوى أخرى في حوض البحر المتوسط خاصة أراغون، ومع افتقاره الى المقدرة السياسية ، كان رجلا رقيق المشاعر وقد أشفق على إيزابو القرملة ، التي كانت في البلاط الصقلي لمدة اثني عشر عاما وأهداها إقطاعات مورية واسعة من مقاطعاته الخاصة . وفيما بعد وفي مناسبة زواجها من فلورنت دي هينوت حول إمارة المورة إليها وإسلالتها من بعدها ، وعكست عودة الامارة الى وريثه فيلهاردين طموحات بيت هينوت أفنس ، بل وماهو أكثر توقى البارونات الى حكومة مستقرة خاصة بهم تنهي شرور الوصاية على العرش .

وماأن نصب فلورنت أميرا على المورة وتلقى يمين الولاء والبيعة من أتباعه ، مع أن الذين من بوقية أثينا ووسط اليونان رفضوا قبوله ، حتى شرع في العمل ، ولم يكن محاربا في المقام الأول ، ولكنه كان رجل دولة ، وكان يأمل في إعادة المورة الى حالة الرخاء بالتفاهم مع أعدائه . وقام بإجراء تمهيد للامبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثاني الذي خلف الان والده على العرش لتسوية الحرب المزعجة باستمرار مع الامبراطورية والتي جلبت الخراب الكثير جدا لجنوب اليونان ، وكانت بيزنطة تحت ضغط عظيم من الأتراك والبلغار واليونانيين في أسقفية أبيروس في ذلك الوقت ، لهذا لم يكن من الصعب ترتيب سلم جديد ، وبدأ الاغريق والفرنجة بالامتزاج بحرية وكل منهم يتبع شؤونه ، وازدهرت المورة وقامت صعوبات مع ذلك ، فمن اتصالات الأمير مع اسقف أبيروس نيكفوروس الذي كان عم إيزابو وباستغلال السلام في الجنوب غزا أندرونيكوس الأسقفية بجيش كبير بدأ نهبا منظما لكل المنطقة ، وناشد نيكفوروس ابن أخيه الفون وانضم اليه فلورنت بقوة ملموسة ، وهزمت القوات البيزنطية وأجبرت على التراجع نحو الشرق ولكن الأرض تعرضت لمزيد من الخراب والنهب وضعفت بذلك كل اليونان .

ووقعت حادثتان في هذا الوقت مندرتان بالسوء لمستقبل

اليونان . فقد ظهر أسطول أراغوني في المياه اليونانية ، وهاجم موانئ وجزرا معينة ، وبعد القيام بزيارة ودية لايزابو وبلاطها أبحر عائدا الى الغرب ، وثار أيضا السلاف في أواسط البيلبونيز واستولوا على بعض قلاع الفرنجة ، ولكنهم أكرهوا على اعانتها بأمر من الحكومة البيزنطية ، ولكن طغى على هذه الأمور المشؤومة في ذلك الوقت حلف كان لابد أن يؤثر على كل دول اليونان الحرة ، فقد رتب شارل الثاني زواجا بين ابنه فيليب أمير ترانتو وتاماز ابنة ووريثة أسقف أبيروس .

وأخذت ميرا لها الأماكن الرئيسية في أكارنانيا ، في حين نجد أن شارل منح ابنه كل حقوقه في الشرق ، وهكذا أصبحت كل اليونان الفرنجية تحت سلطة فيليب ، مع أن شارل الثاني بقي سيده الأعلى خلال فترة حياته . ومن الواضح أن شارل قصد تبسيط وزيادة كفاءة الهرم الإداري في اليونان ، ولكن في الواقع جعله كل الدول الفرنجية تحت رئاسة واحدة جعل الأمور أكثر صعوبة ، لأن خصاما مريرا قد تفجر حول العلاقات القطاعية بين مختلف الأمراء والبلديات ، وكان على شارل مرارا أن يحكم في تلك النزاعات ، ومع أنه في النهاية أسس الهرم القطاعي كما كان يريد ، مع ذلك بقيت هناك المرارة والمشاعر الجريحة .

وكان هذا أكثر خطورة حيث أن عددا متزايدا من الحوادث كان يؤدي نحو استئناف الحرب مع بيزنطة ، وقبل أن يحدث هذا توفي فلورنت ، وكان الحزن عليه حقيقيا من قبل شعبه ، في كانون الثاني ١٢٩٧ ، وكان وريثه الوحيد ابنته ماهوت وكان عمرها ثلاث سنوات وحكمت ايزابو وحدها للسنوات الثلاثة التالية ، يساعدها مجلس من البارونات القيايين في المملكة .

وكانت مشغولة خلال هذا الوقت بترتيب زيجات لابنتها ولأختها مرغريت ، والأهم لنفسها ، وأعطيت ماهوت الشابة بعد نقاش مطول ، للوريث الشاب لدوقية أثينا واسمه غي أوغويوت كما كانت

تشجيع تسميته في الدوريات . وترملت مرغريت في ١٢٩٧ مع ابنة عمرها ثلاث سنوات واسمها ايزابيل ، وبعد سنتين رتب لزوجها من ريتشارد سيفا لوينا النائب المسن في المورة ، وذهبت ازابو نفسها الى روما للاحتفال باليوبيل بدعوة من بونيفيس الثامن في ١٣٠٠ وهناك لم تحز فقط على الكثير من البركات والمغفرة بنتيجة الحج ، بل على زوج جديد ايضا هو فيليب كونت بيد مونت وابن أخ كونت سافوي ، وكانت فوق الأربعين في ذلك الوقت وكان هو في الثامنة والعشرين ، وحدث الزواج في ١٢ شباط ١٣٠١ ، وفي الثالث والعشرين منح امارة المورة او أخيا كما كان يفضل ان يسميها، وخرج الى ارضه الجديدة بحاشية من السافويين والبييمونيين من البارونات الجدد المتلهفين للبحث عن حظهم من المشرق الذي كان سهلا في الواقع ، لكن فقط على حساب الاقطاعيين الاقدم ، وكان الامير نفسه قد أنفق مبالغ كبيرة في خطب ود وكسب يد ايزابو وانقض على المورة بجشع قائد مرتزقة ايطالي ، وثار البارونات في احتجاج ، كما فعل الاتباع من الاغريق ، ووجدت المورة الآن انها يمكن أن تجر الى حرب من قبل اقطاعيها لأن بوقية أثينا عند هذه النقطة مضت الى الحرب مع الاسقفية ، وكان على النبلاء الموريين أن يذهبوا اليها ، وبخل شارل الثاني الحرب ضد ابيروس لصالح ابنه فيليب صاحب تارنتو ، وقبل امير أخيا الذي كان مايزال جائعا للأموال رشوة من امارة ابيروس كي لا يقاتل ، وكانت حصيلة هذه النزاعات الصغيرة شاملة سوى ، بقدر ماصورت أكثر ، ان شؤون الاغريق كانت الآن هامشية بالنسبة للسياسة الايطالية ، وتصادم الانجيفينيين وأمير سافوي حول أراضيهم في شمال ايطاليا ، وحدث هناك ان خسر الامير أمام شارل الثاني وكان عليه أن يتخلى عن القابله في اليونان ، ورفضت ايزابو أن تقبل خسارة المورة برباطة الجأش نفسها التي تصرف بها زوجها ، والتمست الانصاف في الدوائر الفرنسية في كل سنواتها المتبقية ، ولكن حياتها الساحرة انتهت بعد ١٣١١ في نقص وخيبة أمل ————— رير بيد أنها بقيت حية من خلال ابنتها ماهوت دي هينولت ، والتي

غولوم دي شامليت
١٢٠٨-١٢٠٥

ايزابو =
جيوفري دي فيلهاردين
١٢٢٨ نحو ١٢٠٩

جيوفري الثاني
١٢٤٤-١٢٣٨ نحو

غولوم الثاني
١٢٧٨-١٢٤٦

اناكو فينا دوكانا (٣)

ايزابو IZABEAU
١٣٠٧-١٢٩٧

ايتارو سايران =
موريت

ايزابل =
فيرانو مايوركا

جيسس

غني الثاني ديلاروس (١) =
ماهورت ٢١ / ١٣١٣-١٣١٨
لويس بورغاندي (٢)
١٣١٦-١٣١٣

أمراء المورة

شارل الاول دي انجو
١٢٨٥-١٢٧٨

فيليب دي انجو (١)
فلورنت دي هينوت (٢)
١٢٩٧-١٢٨٩
فيليب ساغوي (٣)
١٣٠٧-١٣٠١

شارل الثاني دي انجو
١٢٨٩-١٢٨٥

جون عرافينا
١٣٣٣-١٣٢٢

فيليب تارنتو = (١) تامارا بيرلوس
١٣١٣-١٣٠٧ = (٢) كاترين فالوا

فيليب الثاني
١٣٧٣-١٣٦٤

دوبوت الثاني تارنتو
١٣٦٤-١٣٣٣

موريت

جالت دي يو
١٣٨٣-١٣٧٣

تزوجت غي الثاني دوق اثينا ، كذلك ابنة أخرى ولدتها لفيليب في ١٣.٣

وبدأت الآن المرحلة النهائية في تاريخ المورة ، قصة حزينة لمطالبيين متنافسين حول الاقطاعات المختلفة ، ضحوا بما بقي من القوة الفرنكو - اغريقية في اليونان لأجل طموحاتهم ، وسمي غي الثاني نائب أمير للمورة من قبل فيليب تارنتو في ١٣.٧ ولكنه توفي في ١٣.٨ ، ومعه ماتت سلالة دي لاروش نفسها .

ومن الآن وما بعد أرسل الأنجيفينيون رجالا فرنسيين أو ايطاليين كحكام ، رجالا كانوا غير قادرين على وقف أعمال الاسترداد التدريجي الذي تولته القوات الاغريقية لكامل شبه الجزيرة اليونانية ، وكان في هذا الوقت قد قرر شارل دي فالوا اخو فيليب الرابع ملك فرنسا دعم ادعاءات زوجته كاترين دي كورتناي الامبراطورة الرسمية للقسطنطينية .

وفكر في ان يدخل في خدمته المجموعة الكاتالانية الكبيرة ، وهذه كانت مجموعة من المفامرين ممن حاربوا في الحروب الأراغونية - الأنجيفينية في صقلية ، بالقتال في خدمة أندرونيكوس الثاني ضد الأتراك في آسيا الصغرى ، وبعد الانفصال عن البلايولوجيين تحصنوا في غاليبولي ، حيث شكلوا تهديدا خطيرا لبيزنطة ، واسميا كانت الجماعة تدين بالولاء لفريديريك الثاني ملك صقلية ، ولكنه كان قد أرسل ابن عمه فراند ابن ملك مايوركا لقيادتهم ، ومن أجل مصالح أراغونية أخرى في الشرق ، ولكونهم غير منظمين ، وشموسين فقد رفضوه واختاروا قائدا لهم ، وفي النهاية اسر فراند من قبل ثيبوت دي شيبوا وهو ضابط فرنسي كان في خدمة شارل دي فالوا ، وأمضى سنة في سجن انجفيني وكان شارل قد أرسل ثيبوت لاستئجار الجماعة ، ولكن هذا الرجل التعس وجد نفسه محاطا بعصابة من قطعة الرقاب قبلوا نقوده ، ومع ذلك كانوا أكثر شرها في سلب ونهب اليونان منهم في

القتال من أجل الفرنسيين ، وكانوا قد خربوا مقدونيا وتساليا لشهور عدة . وإن لم يكن أمامهم في حينه مكان آخر يذهبون إليه تحولوا نحو الجنوب وبدأوا يتحركون نحو وسط اليونان ، ونقض ثيوت خلال ذلك يديه منهم وتسلسل مبتعدا عنهم وعاد الى الغرب ، واستؤجرت الجماعة بعد ذلك من قبل غوتير دي بريين دوق أثينا ، الذي كان يأمل في توسيع سلطانه بين الامارات المختلفة في اليونان ، ورغم أن الكتاليين أثبتوا مرة أخرى جدارتهم كقوة محاربة فإن غوتير سرعان ما أراد أن ينتهي منهم ، وعندما تأخر عن الدفع لهم مدة أربعة أشهر تخلوا عن ولائهم له وقرروا أن يوطنوا أنفسهم في اليونان ، وتوحد الفرنجة لطرد الدخلاء ووقعت المعركة المصيرية في ١٥ آذار ١٣١١ على غير بعيد من مدينة كيرونيا القديمة ، حيث تقرر مرة من قبل مصير اليونان في المعركة ، وكان اليوم كارثة تستعصي على الإصلاح لليونان الفرنجية ، فقد قتل دوق أثينا ودمرت معظم قوى الفروسية الفرنجية ، وفقد وسط اليونان إذ تحرك الكتاليون نحو داخل أثينا وطبيبة ، وأصبحوا سادة كل الأرض ، وطلبوا من ملك صقلية أن يصبح سيدهم فقبل مسرورا وأرسل بيرنغر استانيول ليكون نائبا له .

لقد غير توطن الكاتلان في دوقية أثينا بعمق توازن القوى في اليونان ، وابتهج الأغريق الذين ملكوا سالونيك وأبيروس ، لرؤية منافسيهم الفرنجة الأقوياء يبعدون ، وعلاوة على ذلك نجد أن إمارة المورة التي اختزلت إلى نحو ثلثي البلبونيوز قد تضررت من هذه القوة الجديدة ، وكانت البندقية والانجيفينيين أيضا متخوفين حول مصير ممتلكاتهم اليونانية ، وبدأت التطورات البابا والأنصار الغربيين للحملة الصليبية نكسة لآمالهم في تأسيس إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية ، ومن الواضح أنه كانت هناك حاجة لرجل قوي لتنظيم دفاع الفرنجة ودفع المصالح الغربية في اليونان ، وكان فيليب تارنتو قد طلق زوجته الزانية تاهار وألقى بها في السجن حيث ماتت . ثم رتب شارل دي فالوا بعد ذلك زواجا بين ابنته كاترين دي فالوا التي ورثت المطالبة بالامبراطورية عن أمها كاترين دي

كورتناي ، وفيليب ، والتي كانت ممثلة في الوحدة بين كل الدعاوى الفرنجية والالقباب في اليونان ، وتدعمها القوى البابوية والفرنسية ، وفي الوقت نفسه أصبحت المورة في يد ماهوت هينولت وزوجها الثاني لويس برغاندي وهو استرداد عملت في سبيله أم ماهوت ايزابو خلال جميع سنوات نفيها ، وعانت المورة إلى بيت فيلهاردين ، رغم أن الأمير الجديد قد استولى عليها من فيليب ، الذي أصبح الآن امبراطورا لاتينيا اسميا مع أخيه الملك روبرت ملك نابولي كسيد أعلى . وانطلقت ماهوت على الفور إلى المورة ولكن لويس تأخر لبعض الوقت في بورغاندي ووصل وهو في طريقه إلى اليونان إلى البنديقية في تشرين الثاني ١٣١٥ .

وأوجبت إعادة الترتيب هذه الحاجة إلى قدر عظيم من خلط الالقباب والممتلكات البورغاندية والفرنسية . وبشكل عام تنازل الأمراء الذين اتجهوا شرقا عن مطالبهم في الغرب لأعضاء آخرين من عائلاتهم وعوضوا بممتلكات أقوى في اليونان الفرنجي . وبدا أن كل شيء قد نفذ جيدا عندما تفجر فجأة أعنف صراع في تاريخ المورة المضطرب ، وذلك عندما توفيت إيزابودي فيلهاردين في ١٣١١ ، حيث قامت أختها مرغريت بالمطالبة بجزء من المورة ، ولم يعترف شارل الثاني بهذا الادعاء وكذلك خليفته روبرت ، وعليه التمسست مرغريت المساعدة من فيراند صاحب مايوركا ، الذي كانت له بعض الصلات مع الشرق عن طريق الفرقة الكبيرة ، وقد تزوج ابنة مرغريت ايزابيل في شباط ١٣١٤ ، وأعطت مرغريت الزوجين مهرا / بوطنة / للعروس حقوقها في المورة ، وعانت هي نفسها إلى المورة حيث اعتقلها نائب ماهوت . وألقى بها في السجن ، وصار أراضيا ، وماتت السيدة التعيسة بعد ذلك بوقت قصير ، وبدأ فيراند على الفور استعداداته لغزو المورة ، وولدت إيزابيل ابنا ، هو جيمس في ٥ نيسان ١٣١٥ ، وتوفيت بعد ذلك ببضع أسابيع ، وتركت لابنها الطفل كل ماكانت تدعي ملكيته في الامارة ، وكان فيراند مؤيدا من قبل فريدريك ملك صقلية ، والكاتالانيين في أثينا ، ونزل في اليونان في حزيران مع قوة كبيرة ، واستولى بسرعة على

ميناء كلارنيتسا وقلعة بوفوار (بونديكوس) وبسرعة أصبحت كل إيليس في يديه ، وبدأ يتحرك نحو الجنوب ، ووصلت ماهوت وقواتها البورغاندية ، واندلعت حرب دموية قتل فيها مئات الفرسان وانتهت الحرب ، لكن مالبت لويس نفسه أن توفي بصورة غامضة نوعا ما بعد ذلك بوقت قصير ، وتركت ماهوت لتحكم المورة وهي حتى أضعف مما كانت .

وسعت كل الدول المحيطة الآن إلى استغلال ضعف المورة لتوسيع ممتلكاتها وبدأ الكاتالانيون بغزو يوبوا التي كانت تحت سلطان ماهوت ، ثم حاول روبرت نابولي أن يرتب زواجا بين ماهوت وأخيه جون صاحب غرافينا ليتأكد من أن المورة ستصبح في أيدي أسرته ، ورفضت ماهوت واحتجت لدى البابا يوحنا الثاني والعشرين وطلبت المساعدة من البندقية ، ولكن روبرت أقام جون غرافينا في المورة واعترف بالأخ الثالث فيليب كأمبراطور لاتيني اسمي ، وألقيت ماهوت في السجن وأمضت بقية أيامها هناك ، ولكن السد كان قد تفجر فبدأ الكاتالانيون في عبور إيزموس ، واستولى إغريق ميستوا على قلعة بعد الأخرى في الجنوب ، موقعين أضرارا وهزائم بالدافعين الأنجيفيين والموريين ، وكان السبب الوحيد في أن المورة مازالت باقية هو أن النهايين بدأوا يتقاتلون فيما بينهم .

وكافحت الإمارة قرنا آخر ، ولكن مورة فيلها ردين القديمة اختفت ، ومن البارونيات الاثنتي عشرة الأصلية بقيت أصغرها فقط ، وذهبت أغلب الأسر الفرنجية الغازية ، وأصبحت دفاعات البلاد مثلما كانت بقدر كبير في أيدي المرتزقة ، واستوطنت أسر جديدة إيطالية في معظمها في الأرض ، لا كأرستقراطية إقطاعية مقاتلة بل كطبقة سياسية مالكة للأراضي تدفع الضرائب للأمير عن إقطاعاتها الواسعة ، ثم تحولت عن الأمير إلى قادة يمكنهم حمايتهم ومصالحتهم بصورة أفضل عند الضرورة وحتى لو كانوا من البيزنطيين ، وسكنت العداوات اللاتينية الاغريقية التي كانت في

الازمنة السالفة . وتعلم الفرنجة والأغريق أن يعيشوا معا ، وبدأت تظهر ثقافة مشتركة .

واستدان جون صاحب غرافينا بكثرة من أصحاب البنوك الايطاليين ولاسيما من اكسيا أولي ، وتولى بعض المشاريع ضد الأغريق ، ولكنه لم يحصل منها على شيء هام ، وغزا غوتير الثاني دي بريين ، الذي كان قد تزوج بياتريس ، وهي من بنات فيليب تارانتو وتامار ، اليونان لطالبة الكاثالانيين بآثينا بوقية أبيه ودمرت الآن القلعة الشهيرة / السانت أومر / في طيبة ، وكانت حملة غوتير مخففة ، وعاد إلى إيطاليا في أواخر صيف ١٣٣٢ .

وتوفي فيليب صاحب تارنتو في كانون أول ١٣٣١ وترك القابله لابنه روبرت وأجبرت أرملته كاترين دي فالوا ، جون غرافينا أن يحيل المورة إليها كوصية على ابنها في مقابل أموال وأراض في إيطاليا ، وربطت نفسها بنيكولو اكسيا أولي وكان أصغر منها بتسع سنوات ، وهو عضو جميل الطلعة ومثقف في البيت المصري ، وأحالت إليه أمور عائلتها في اليونان ، وفي ١٣٣٨ قام نيكولو وكاترين برحلة إلى المورة ، ومكثا هناك أكثر من سنتين ، وحاولت أن تكيف نفسها مع الظروف هناك في المقام الأول وأن توقف التدهور الثابت للامارة ، ولكن عبثا ، وعندما عانت كاترين إلى نابولي شعر بارونات المورة حتى أكثر بعدم موافقة الحكم الأنجيفيني وعرضوا الامارة على جيمس الثاني لمايوركابن فيراند وإيزابيل ، وقبل اللقب ولكنه توفي قبل أن يتمكن من زيارة المورة .

وتمسك روبرت صاحب تارنتو بكل الألقاب والأراضي التي ورثها ، ولكن الحروب في فرنسا وإيطاليا منعتة من أن يذهب بشخصه إلى الشرق وتركت المورة لوسائلها الخاصة ، ومن حين آخر كان يأتي حاكم من الغرب ولكن الأكثر أن البارونات كانوا ينتخبون واحدا منهم ، وكان الأتراك ينهبون سواحل البلاد ، ولم يبد أن هناك إمكانية للدفاع ، وكان أقوى رجل في اليونان الآن

- ٤٦٩٩ -

نيكولو اكسيا أولي ، الذي منحه روبرت في ١٣٥٨ إمارة قلعة كورنث الغنية وتوابعها ، وتوفي روبرت في ١٣٦٤ وطالب أخوه فيليب بالامارة ، وبدأ حربا غير محدية مع خصوم منافسين امتدت حتى قبل وفاته بوقت قصير في ١٣٧٣ . وخلفه ابن أخ له هو جاك دي بو .

وتفجرت حرب مروعة أخرى . وفي ١٣٧٦ أجرت جوانا إمارة المورة لمدة خمس سنوات للاستتارية ، الذين يبدو أنهم احتفظوا بها مدة العقد .

وحدث تطور أهم عندما تدخلت الجماعة النافارية في شؤون اليونان ، وكانت لأحد قادتهم ، وكان في الظاهر في خدمة جاك دي بو (توفي في ١٣٨٣) الذي سيطر على الامارة ، كما واستولى اخر ، يحتمل أنه كان في خدمة نيريو اكسبا أولي ، وكان ابناً بالتبني لنيكولو الكبير ، على طيبة في ربيع ١٣٧٩ ، وبعد عقد من الزمان في ١٣٨٨ استولى نيريو على اكروبول أثينا بعد حصار طويل ، وبذلك وصل تاريخ الدوقية الكاتالانية إلى نهايته .

واستمرت الامارة اللاتينية في تاريخها الضعيف جيلين آخرين حتى ١٤٣٠ ولكن معظم المورة كانت قد أصبحت تحت حكم الأساقفة الباليولوجا ، أساقفة ميسترا ، الذين قامت في أيامهم نهضة يونانية تقريبية ، ولكن مرور كل عقد كان يزيد من قوة الأتراك العثمانيين الذين استولوا على القسطنطينية في ١٤٥٣ وفي ١٤٦٠ وضعوا نهاية لأسقفية ميسترا .

وعليه هكذا كان تاريخ الامبراطورية اللاتينية للقسطنطينية وإمارة المورة بخطوطه العامة ، وقد رويت القصة في القرن الرابع عشر من قبل مؤرخين للمورة ، ومن ثم غنت موضوع القضاة والتأمل لعدة سنوات .

مخطوطات ومطبوعات توارىخ المورة

إن توارىخ المورة ، كما أصبحت تعرف بسبب عدم وجود اسم افضل ، هي سلسلة من الدوايات تم حفظها في ثمان مخطوطات كتبت باليونانية ، والفرنسية والاراغونية والاطالاية ، والنسخة اليونانية كتبت شعرا والباقية نثرا .

١ - يحتوي مجموع هافنيس ٥٧ على خمس من المخطوطات اليونانية ، لاشك أن الاقدم فيها والاكثر مصداقية هي المخطوطة الموجودة في مجموعة فابريكوس في مكتبة جامعة كوبنهاغن ويضم هذا المخطوط ٩٢١٩ بيتا من الشعر السياسي ، كتب بدقة ، كتابة يدوية مقروءة بشكل ملحوظ في التهجي ، والنص مكتوب في اعمدة صغيرة مع هوامش عريضة معلمة بحروف كبيرة بالحبر الاحمر ، وقد فقت الاوراق الثلاث الاولى ، ويبدأ المخطوط بالبيت ١٠٥ من المجموع الباريسي .

والاوراق مرقمة بكل من الارقام الاغريقية من ٤ إلى ١٤٥ وبالارقام العربية من ٤ إلى ٢٣٧ ، واطافة الى ذلك فان بداية كل كراس من عشر ورقات معلمة ، وكل فجوة من صفحتين مشار اليها بالترقيم الكراسي ، ولكن في فجوات أخرى ليست هناك مثل هذه الاشارات مما يظهر ان المخطوط لم يكن كاملا عندما نسخ ، ومن الملاحظات على الغلاف يعرف بأن المخطوط قد انتقل من توماس برثولين الذي اهداه الى يوهانس غراميوس (١٦٨٥ - ١٧٤٨) الذي اهداه الى يوهانس فابريكوس في ١٧٣٦ والمخطوط مع بقية تاريخه قد حازت عليه جامعة كوبنهاغن في ١٧٧٥ .

٤ - مجموع بيرنيسيس الاغريقي وهي نسخة أخرى من المجموع الباريسي ، مع أن الخط سيء ، وهناك أخطاء عديدة في النقل ، ولم ترد في وصف بوشون وعليه يبدو أنها كانت غير معروفة من قبله.

٥ - مجموع تورنيسيس ب ٢ / ١ وهذا المخطوط قد عرف لأول مرة بواسطة جون شمت الذي درسه بدقة ، وفي رأيه أنه مشابه لمجموع هافنس ، ولكنه سيء التنفيذ. لكنه لاحظ الاهتمام الخاص للحواشي الهامشية غير المقررة تقريبا والرسوم التي تعطي الدليل ليس فقط على المالكين العيدين للمخطوط ، بل على ما هو أكثر أهمية ، عن نمط اليونانية التي كان كل منهم يتكلمها ، وهي تقدم في الواقع تحديد للهجة اليونانية الحديثة.

الترجمة الفرنسية.

بقيت الترجمة الفرنسية للتاريخ في مخطوط واحد في المكتبة الملكية برقم ١٥٧٠٢ ، وقد اكتشفه بوشون ونشره في ١٨٤٥ ، وأعطاه عنوانا مطولا عبر عن محتوياته في الاستيلاء على القسطنطينية وإقامة إمارة المورة ، ونشاط البارونات وسواهم ، وكان هذا المخطوط في حينه اختصارا لآخر كان يملكه بارثولميو غينزي قبل ١٣٣١ . ويقول الكاتب نفسه : أنه سيروي قصة تاريخية لا كما وجبها مكتوبة بأقصر صورة لها . وظهرت أقدم طبعة لها كمجلد من كتاب برشون (انظر أعلاه) والأحداث هي تلك التي وضعها جين لوغيزون بعنوان « كتاب الاستيلاء على إمارة المورة (١٢) (١٢٠٤ - ١٣٠٥) (باريس ١٩١١) » .

النسخة الأراغوانية :

إن النسخة الأراغوانية من التاريخ هي وحيدة في كثير من الطرق: فهي أولا ليست اعانة رواية لتاريخ أقدم كما هي التراجم

إن أول طبعة حديثة للمخطوط قام بها ج ١٠ بـ وكون الذي
قدم النص بدون ترجمة كمجلد ٢ من كتابه :
« بحث في تاريخ امارة المورة الفرنجية وأعمال باروناتا » (باريس
١٨٤٥) .

وتبع ذلك الطبعة الرائعة لجون شمت بعنوان « تاريخ المورة »
(لندن ١٩٠٤) ، التي تحوي بشكل متوازي النصين الهافيني
والباريسي ، وفي الملاحظات الاختلافات في الدوريني ، وأحدث طبعة
هي لبطرس كالوناروس (أثينا ١٩٤٠) .

٢ - المجموعة الباريسية اليونانية ٢٨٩٨ ، وكان هذا المخطوط
في الأصل في مكتبة فرانسيس الأول في فونتينبلو وكانت معروفة
لدوكاح ، الذي وصفها بشكل صحيح والذي استخدمها في جمع
معجمه . ويتألف المخطوط من جزئين : ترجمة يونانية
لبوكاكسيوتيزيد ، وفي الأوراق من ١١١ - ٢٣٣ تاريخ المورة
الأغريقي ، وهناك ٨١٩١ بيتا تقابل بكشكش دقيق المجموعة
الهافنيانية ، مع أن محاولة صغيرة قد بذلت للمحافظة على صفاتها
العروضية ، ونهاية المخطوط مفقودة ، والنص بعد صفحة ٢١٨
مكتوب بخط مختلف : وكانت أول طبعة حديثة هي طبعة بوشون
بعنوان « تاريخ الاستيلاء على القسطنطينية وتأسيس الامارة
الفرنجية في المورة » (باريس ١٨٢٥) وهذه تحوي ترجمة
للنص ، والمقدمة فقط هي الموضوع باليونانية ، ونشر بوشون بعد
ذلك النص اليوناني مع ترجمة فرنسية في كتابه :
تاريخ العلاقات الخارجية والحملات الفرنجية حتى القرن الثالث
عشر (باريس ١٨٤٠) والطبعة الأحدث هي طبعة شمت المذكورة
أعلاه .

٣ - المجموع الباريسي اليوناني ٢٧٥٣ وهذا ببساطة نسخة من
المذكورة أعلاه وهي سيئة التنفيذ وقيمة القيمة

الأخرى ، بل هي بالأحرى محاولة جسيمة للكتابة التاريخية ، مستخدمة كمصدر رئيسي لتاريخ الدولة ، ولكنها دمجت أعمال مؤرخين آخرين أيضا ، وثانيا هي المخطوط الوحيد الذي يمكن تأريخه بالضبط ويحمل عنوان : « كتاب الاستيلاء على إمارة الدولة » .

وقد أخبرنا أنه تم تصنيفه بأمر من السيد الأخ جوهان فيراندز دي هيريبيا - مقدم مشفى القديس يوحنا بالقدس. وقد أكمل في ٢٤ تشرين أول ١٣٩٣ واكتشف المخطوط الكونت بول ريانتي في مكتبة الدوق دي أوزوما في ١٨٨٠ ، وتم تحقيقه ونشر بعد ذلك بخمس سنوات من قبل ألفرد موريل فاتيوي (جنيف ١٨٨٥) النسخة الإيطالية.

إن النسخة الإيطالية للتاريخ ترجمة سيئة التنفيذ عن النسخة اليونانية وتبدو كملحق لكتاب ماريانو ساند وتورسيو « تاريخ المملكة الرومية » والتي حققها ونشرها كارل هوبف في كتابه « التواريخ الاغريقية الرومانية » (برلين ١٨٧٣)

تأريخ الحوليات

إن المسألة ذات الأهمية الأساسية في دراسة تاريخ الدولة هي تأريخ النصوص المختلفة. فالنص الأراغوني كما ذكرت أعلاه ، يحمل تاريخه الخاص ، وبهذا لا توجد أية مشكلة ومثله حال النص الإيطالي ، وطالما أن ترجمة مغالطة من الاغريقية يمكن استبعادها من هذا النقاش ، وأما النصوص الفرنسية واليونانية على أي حال فإنها طالما تقوم على مصنف أقدم مفقود تسبب بعض الصعوبة.

النص الفردي

لقد ذكر بوضوح في عنوانها أن هذا النص قائم على مخطوط كان مرة في حوزة بارشليميو غينزي ، كان في قلعة في طيبيه. ونعرف أن غينزي كان أمر قلعة طيبة من ١٣٢٧ - ١٣٣١ - وعليه فإن النص الذي لدينا يمكن الافتراض بأنه قد كتب بعد ١٣٣٢ ، علاوة على أن جدول الترتيب الزمني الملحق به يذكر أحداثا من ١٣٠٤ وهي السنة التي يقطع فيها توالي الأحداث في التاريخ إلى عام ١٣٣٣ ومن جانب آخر إن كاترين دي فالوا مذكورة بشكل خاص على أنها كانت ما تزال حية عندما كتب النص الفردي ، وحيث أنها تبوئت ١٣٤٦ ، فإن الحولية الفرنسية لا بد أن تكون قد كتبت بين ١٣٣٣ - ١٣٤٦ ، ويحتمل كما يقترح لوغنيون ، (الامبراطورية اللاتينية ص ٣٢٥) بأنها قد كتبت بناء على طلبها أثناء إقامتها في اليونان من تشرين الثاني ١٣٣٨ حتى حزيران ١٣٤١.

النص الاغريقي

تحتفظ الحولية اليونانية برواية تمتد حتى عام ١٢٩٢ ، حيث تنقطع فجأة ، وحيث أن الأوراق الأخيرة مذكورة في نص كوبنهاغن ، وقد نفترض أن الرواية امتدت حتى سنة ١٣٠٤ كما في النص الفردي ، وكما في الأخيرة ، على أي حال إن أحداثا وقعت في تاريخ متأخر جدا قد سجلت في النص الاغريقي ، من ذلك نجد أن رواية مدير قلعة سانت أومر في طيبة وكل ذكر للكاثولانين استيفاءات أقيمت من قبل الكاتب عندما تم وضع النص الاغريقي ، وفي الأبيات ٨٤٥٩ وما بعدها من الحولية تذكر فقرة تتعلق بالأنساب إيرارد الثالث لومور أمير أركانيا ، وأسلافه ولم تكن العائلة ذات أهمية رئيسية في الشؤون المورية ، ويشعر المرء أن المؤرخ لا بد أنه كان لديه بعض الاهتمام بتسجيل الاسم في حوليته ، وفي البيت ٨٤٦٩ هناك إشارة خاصة لا يرارد الثالث تعطي الانطباع بأنه كان ما يزال حيا في

الوقت الذي كتبت فيه الحولية ، وحيث أن إيرارد توفي في ١٣٨٨ يبدو محتملا أن النص اليوناني قد كتب قبل ذلك التاريخ ، وأن الحولية نوعا من الارتباط به ، والنص الباريسي من جانب آخر يذكر بشكل خاص جدا وفاة إيرارد ويقدم له التقدير والاحترام ، وعليه إن نص كوينهاغن إذا احتمل أنه قد كتب قبل ١٣٨٨ بوقت غير طويل جدا ، إذا قبلنا الدليل الوارد في البيت : ٨٤٦٩ المذكور أعلاه (وهو ليس حاسما تماما) ، أو على أي حال بعد ذلك بوقت قصير جدا ، وكتب النص الباريسي حتما بعد ذلك التاريخ.

أصل الحولية

إن الناحية المميزة أكثر في الحولية هي أصلها ، وفيما عدا إشارة في قوانين رومانيا والمات في حولية دوروثيوس صاحب مونغازيا التي هي نفسها ، لمد معين مستمدة من حولية المورة ، فإن مصادر للفترة التي أنتجت الحولية صامتا تماما علاوة على أنه - وجد بيانات قليلة في الحولية لتدورنا ، والبيئة بناء عليه يجب أن يستمد بقدر كبير من لغة النصوص نفسها ، وهي وسيلة بطبيعتها لخاصة غير قادرة على تقييم برهان كامل وتسمع بمجال واسع لتفسيرات ممكنة.

المشكلة.

- إن المشكلة المذكورة ببساطة في هذه الأسئلة :
- ١ - هل النص الفرنسي هو الحولية الأصلية؟
 - ٢ - هل الحولية اليونانية ترجمة لها أو مشتقة منها ؟
 - ٣ - هل الحولية اليونانية هي الأصل؟
 - ٤ - هل الفرنسية ترجمة وتكثيف لها؟
 - ٥ - هل كلا الترجمتين مشتقتين من عمل أقدم ، فقد الآن ، كتب باليونانية ، أو بالفرنسية أو الإيطالية؟ إن المتمسكين بكل واحدة أن هذه الاحتمالات ليست مفقودة بين دأري الحولية.

وكان بوشون أول من حاول حل المشكلة ، ولسوء الحظ ، إن عمله الرائع حقا حول الفرنجة في المورة قد تميز بتحيز وطني زائد . وهدفه الرئيسي كان تمجيد الأعمال الفرنسية في الماضي . وعلاوة على ذلك كانت أهدافه تاريخية حصرا ، وكان لديه اهتماما قليلا بفقه اللغة ، وقام بعمل فعلي صغير في النصوص اليونانية نفسها .

- ٤٧٠٧ -

وطبعته على سبيل المثال من مجموع هافنيسيس غير مأخوذة من المخطوط ، بل من مقارنة قام بها أصدقاء يونانيون له ، وطبعاته بناء عليه ذات دفع قليل لدراسة لفة النصوص اليونانية ، وليس مدهشا أنه بوشون قد افترض أن الترجمة الفرذسية كانت هي الأصل وأن اليونانية كانت ترجمة لها.

ومال هوبف للموافقة على هذه الفكرة ولاحظ أن الفرذسية كانت اللغة العامة الاستعمال في ذلك الوقت في المورة (تاريخ الاغريق ٢٠٢) وعلى أي حال كان في كتابه (التواريخ الاغريقية الرومانية ص ٤٢) من الواضح قلق حول هذه الفكرة ووعد أن يناقشها أكثر مع أنه لم يفعل.

إنه من السهل جدا رفض فكرة أن النص الفرذسي الذي لدينا هو الحولية الأصلية. أولا وقبل كل شيء بالبيان الوارد فيها يستبعد هذا الاحتمال ، وأنه من الواضح جدا أنها اختصار لحولية أقدم ، وعلاوة على ذلك اختبر شملت الاحتمال بتفصيل كبير في كتابه : (تاريخ المورة) ص ٤١ - ٧٥ ووصل الى نتيجة أن الرواية الفرذسية يمكن احتمال أنها الأصلية.

ومن السهولة بمكان أيضا استبعاد الحولية اليونانية كأصل . أولا لأن تاريخ تأليفها يجعل ذلك مستحيلا ، وإذا كانت كما ذكر أعلاه قد كتبت في وقت ما نحو ١٣٨٨ ، فإنه لا يمكن احتمال أنها الأصل الذي يمكن أن تستمد منه الرواية الفرذسية قبل ١٣٣٢ ، ولا بالنسبة لهذا الأمر ، تلك التي أرخت ١٢٠٢ ويفترض أنه استمر حتى ١٣٠٤ وأن أحداثا في وقت متأخر أكثر قد أدخلت وهي خارجة على الترتيب الزمني ، تبين بوضوح أن الحولية مبنية على مصنف يمضي حتى ١٣٠٤ . وستقدم أخرى على هذا الأمر فيما يلي : ويبدو واضحا بشكل جيد إذا أن أيا من الحوليتين ليس نصا أصليا ، ومن المؤكد أيضا أن النص الفرذسي ليس مستمدا من النص اليوناني ، الذي يعود الى تاريخ أحدث . وليس مؤكدا تماما أن

النص اليوناني ليس ترجمة موسعة للترجمة الفرنسية. وعلى أي حال فإن آراء شمت في كتابه / تاريخ الثورة / وادا مانتويوس في كتابه / حولية الثورة / ولوغزون في مقدمة كتابه / الاستيلاء على إمارة الثورة / وفي صفحة ٣٣٧ من كتابه / الامبراطورية اللاتينية / وكالوماروس في مقدمة وملاحظات كتابه / حولية الثورة / وكل الكتاب اللاحقين حاسمة في أن الرواية اليونانية ليست ترجمة للفرنسية التي مع كونها مختصرة هي أكثر بكثير دقة ، وتحوي كثيرا من الحقائق المفقودة من الأخرى ، والاثنان مستمدتان بالأحرى من مصدر مشترك *

والادلة على هذا المصدر المشترك مستمدة ايضا من اشارة غربية في الايات ٩١ - ٩٢ من حولية وهنا يذكر : كما وجدنا مكدوبا بالتفصيل في كتاب الاستيلاء / وفي الواقع ان هذا يشير الى كتاب تاريخ وليم الصوري الذي لم يكن يسمى كتاب الاستيلاء .

ومن جانب آخر فان المادة من القوانين الرومانية ، التي تتكلم عن بلديين الثاني ، تقول : كما ذكر بوضوح في كتاب الاستيلاء وتروي القوانين القصة المشكوك في صحتها عن زواج بلديين من ابنة الامبراطور روبرت / وتعطي بالتفاصيل المماثلة بالكلمات نفسها الموجودة في حولية الثورة تقريبا ، والاشارة انا واضحة للحولية ، ولكن اية واحدة ؟ واضح انها ليست الرواية اليونانية لانها كتبت في وقت متأخر عن القوانين ، وليست الرواية الفرنسية ايضا ، لانه يحتمل ان القوانين مؤرخة بتاريخ متقدم عليها ، ولان القوانين تقوم على مختصر مصنف متوفر ، ولا بد ان الالامع يجب ان يكون الى نموذج اصلي سمي بالعنوان المعطي للرواية الفرنسية (كتاب الاستيلاء) الخ ...

فالالامع في حولية اليونانية انا يفسر بافتراض نمط اصلي له هذا الاسم ، صنع على مذوال تاريخ وليم الصوري ، دافعا بكتاب حولية اليونانية آليا الى اطلاق اسم الكتاب الاخير على الكتاب

الاقدم الذي صيغ على منواله ومشكله ، لغة هذا النموذج الاصل ، مع ذلك ماتزال تواجهنا .

آراء جون شمت ونمط اصلي يوناني :

ويتبع جون شمت التركيز تريبير دي لوراي في الرفض بحماس لاحتمال وجود نمط اصلي فرنسي ، وهو ربما يقدم في اقوى تعابيرهِ الممكنة نظرية ان الاصل قد كتب في اليونانية ، ويضطر المرء مع ذلك ، لان يبقى في ذهنه ان اهتمامات شمت فقهية كلية وحماسه المعترف به لتطوير اللغة اليونانية الحديثة وجماليات ادبها ادى به الى وضع اهمية محورية لمجموع هافننسيديس كمعلم في هذا التطور ، وكما يقول هو نفسه : ان المصادقية التي يعطيها لهذا النص ستهتز بشدة اذا كان ترجمة للرواية الفرنسية ، او قد يضيف المرء اي نمط اصلي فرنسي ، وتدل اقوال اخرى له ، انه ربما لم يبد اي تحفظات في وجهة نظره ، إنه كان قلقا نوعا ما ، وعلى سبيل المثال في الصفحة ٣٠ من مقدمته لحولية المورة ، يقول : ان (النمط الاصلي) قد يكون مكتوبا بالفرنسية ، ولكن كحولية فرنسية اكثر تفصيلا لم ينقل ، فهو اما فقد او انه لم يوجد مطلقا ، ولا يمكننا ان نثبت الواحد او الاخر .

ثم يتابع فيقول : ان الكاتب الذي كتب الرواية الفرنسية ، اما ان يكون قد اختصر حولية فرنسية او ترجم مع الحذف حولية يونانية . ويجب مع ذلك ملاحظة ان الكاتب ، الذي يذكر كل هذا لا يقول انه يترجم كتابا اقدم ، وفي مكان اخر (في ص ٣١) ، يذكر ان الرواية الاغريقية في كل النواحي وفي كل الروايات اكمل من الفرنسية (وهذا صحيح فقط مع التحفظات) ويمضي شمت ليقول : ان الرواية الفرنسية يمكن ان تشرح بسهولة على انها مجرد خلاصة للرواية اليونانية ، ويذكر الكاتب بوضوح انها خلاصته ، وهذا كما بينا اعلاه ليس ممكنا بالمرّة ، وشمت نفسه لم يعتقد هذا

حقا ، لانه قال اخيرا انه كان هناك نمط اصلي لكلا الروايتين ، ولكنه كان مكتوبا باليونانية .

ودليله على هذا لغوي بشكل رئيسي ، وبين ان الاسماء الصحيحة في كلتا الدوليتين قد اعطيت بشكل صحيح في صورة اللغة التي وردت فيها ، فالاسماء اليونانية مهجاة بشكل صحيح في الرواية اليونانية ، والاسماء الفرنسية في الرواية الفرنسية ، وايضا ان الاسماء الفرنسية في الرواية الاغريقية ليست مشوهة بشدة ، في حين ان الاسماء اليونانية في الرواية الفرنسية قد تحولت الى اسماء فرنسية .

وهكذا يمكننا ان نتوقع ان نجد (١) كل الاسماء اليونانية والفرنسية مكتوبة في النصوص المتعلقة بها (٢) الاسماء الاجنبية في النصوص تعالج بدقة تقريبا ، وهذا صحيح بالتأكيد بالنسبة للنص اليوناني ولا سيما نص هافدسيوس وهو ايضا صحيح في النص الفرنسي ولكن مع استثناءات معينة ، وهذه هي النقطة الرئيسية في نظرية شمت . والحقيقة انه كان يعتقد ان بعض الاسماء الفرنسية محرفة في الرواية الفرنسية ، مما يظهر ان الكاتب لم يكن يالفها وانه كان عليه ان يعيد بناءها من النص اليوناني الذي كان يترجمه ، وهكذا ان عددا من الاسماء الفرنسية الصحيحة الموجودة في الرواية الفرنسية يمكن ان تفسر اذا اقرنا انها قد مرت عبر وسيط يوناني .

ومرة اخرى فانه اخذ مأخذ دي لوراي فأعطى بعض الامثلة :
اللفوية وعرض بعض الاسماء المحرفة ليصل الى القول ان الكاتب قد ترجم اليا الاسم الذي راه امامه كاسم فرنسي وكتبه تبعا لذلك تماما

والضعف الواضح لهذا الخط من التفسير ، هو بالطبع ، مشكلة من اين جاءت الاسماء في النص اليوناني فاصحابها بالتأكيد ليسوا

يونانيين ، ولا بد أنها تحريف لاسماء فرنسية ، اما سمعها المؤلف او صادفها عندما كان يكتب .

ويبدو انه اكثر قابلية للتصديق ان هذه الصيغ للاسماء كانت هي التي استعملها المؤرخ الاصيلي ، وان كلا الكاتبين المتأخرين قد تبنيها ببساطة ، ومثل هذه الادلة بلا شك لا تؤكد القول : « وهكذا ان فرضية ان صيغة تامة كاملة للحولية بالفرنسية هي بلا اساس » .

وتكفي بضع امثلة اخرى من تفسيرات شمت لبيان ضعفها المتاصل . وهو يشير مع دي لوراي الى حقيقة ان خمسة نصوص يونانية قد بقيت في حين ان واحدة فقط من كل الروايات الاخرى قد وجدت ، ويميل للدلالة على افضلية المخطوط اليوناني ، وهذا لا يدل على شيء من هذا النوع .

وفي الواقع لقد بينت اعلاه ان هذا ليس صحيحا ، ثم يسأل شمت لماذا يكون لدى اليونان اي سبب كي يترجموا الى اليونانية مثل هذه الوثيقة العنيفة موقفها المعادي لليونانية ، وهو يعمل انهم بالطبع ليس لديهم سبب لفعل هذا .

ولكن المرء قد يسأل لماذا اذا كتبت باليونانية في المقام الاول ؟ وسوف نعالج هذا السؤال بتفصيل اكثر فيمايلي ، والخط الاخير في تفسير شمت والذي ربما كان الاكثر اقناعا يتعامل مع الالقاب الفخرية للمخاطبة التي تظهر خلال كلا النصين . وكان الفرنسيون في القرن الثالث عشر في العادة يخاطبون ملكهم بكلمة سيدي « السيد الملك » وكلتا الصيغتين تظهران في الراوية الفرنسية . ولكن بالتأكيد ان تعابير مثل « الامبراطور المقدس » المتوج بالتاج المقدس » التي تظهر ايضا انها ليست فرنسية نموذجية ، بل بالاحرى تراجم لالقب بيزنطية ، ولكن هل يدل هذا بالضرورة على ان النمط الاصيلي قد كتب باليونانية ؟ الا يدل وجود مثل هذه

- ٤٧١٢ -

التعابير على ان الامبراطورية اللاتينية وتوابعها قد ثبتت مراسم البلاط للقصور الملكية اليونانية وان هذه التعابير كانت شائعة الاستعمال في الشرق ؟ وقد تبني البلاط اللاتيني الاجراءات اليونانية في تدوين الامبراطور ، مع شارة السلطة الامبراطورية الخ

(انظر : ٢ / ٩٨٤ من الحولية) وقد يفترض المرء انهم قد ثبتوا تعابير المخاطبة التي كانت شائعة الاستعمال وكلمات المخاطبة الاكثر تعقيدا للامبراطور يحتمل اكثر انها بقيت ، حيث انها كانت اكثر رسمية ، وهذا كله تخميني واذا قامت وحدها وصحت فانها ستكون حاسمة ولكن مع ارتباطها بالادلة المعروضة انما تجيب بشكل واف على جدل / شمت / .

وهكذا نجد ان جدل / شمت / شامل ويؤدي الى اسئلة مربكة ، والاحتمالات الوحيدة الباقية هي ان النمط الاصل قد كتب اما بالفرنسية او الايطالية .

احتمال وجود نمط اصلي فرنسي

عندما يقرأ المرء الحولية باليونانية يبقى باستمرار مدركا لعدم الكفاية الواضحة لفردات اللغة اليونانية . وهناك تكرار يكاد يبلغ حد الاسخف للكلمة نفسها مرات ومرات لاسيما عندما تكون واحدة مما يلمس هوى لدى المؤلف .

والى جانب هذا هناك نقص واضح في المرادفات ، وبصورة متكررة يستعمل المؤلف الكلمة نفسها مرتين او ثلاثة في الجملة في حين ان الميل الطبيعي هو ايجاد مرادف ، وهذا واضح بشكل خاص في محاولته الاحتفاظ بالوزن الشعري للعمل فكان أن تكرر عبارات كاملة وعكست جملا ، واقهمت كلمات لضرورة لها ، فقط لجرد

- ٤٧١٣ -

ملء الابيات ، وهذه الخصائص بالتأكيد تضلل في الترجمة او التكيف على اكثر منها القطعة الاصلية المكتوبة .

وربما كانت اوضح طريقة لرؤية هذا هي مقارنة مجموع هافنيس (التي تسمى بعد ذلك - ه) مع الباريزية (ب - ا) والتورينية (ت - ا) حيث يبدو على الفور ان التحيز القوي المضاد لليونانية ل . ه ، هو بين الاشد مرارة في اي نص تاريخي يختفي في ب - وت . وان تحامل الفحوصات في الابيات ٧٦٦ - ٨٨٠ - ١٢٤٩ - ٥٥ - ٣٩٣٤ - ٣٩ - ٤٧٦٦ - ٨٣ - ٤٨٤١ - ٤٣ الخ محذوف تماما في ب ، والبيان في الابيات ٣٩٩٥ و ٥٧٢٢ ملطف وذلك الذي في الابيات ٧١٣٣ و ٧١٥٧ معدل وفي البيت ١٥٠١ اختزل عدد الجيش اليوناني الى ١٠٠٠ ، وفي الابيات ٥٣٧٩ ، ٥٣٩١ تخترع ب - مذبحه للفرنجة ، وفي البيت ٧٢١٩ تقول ه . (حدث اسي عظيما) وتقول ب : « واسي للفرنجة ، وتأتي ت لتكون حتى اكثر شدة في استبعاد هذا التحيز المضاد لليونان (الابيات ٣٧٢٣ ، ٣٩٨٣ ، ٤٧٧٢ ، ٦٧٤١ الخ ...

وهذه الامثلة قليلة وغيرها كثير ، تزيل اي شك كان في ان ب و ت قد كتبوا من قبل اليونانيين ويحتمل ان ذلك كان بعد اكثر من قرن من ه وبلا شك كان للقراء اليونانيين ، وحيث ان هذه هي الحالة فانه من المهم ملاحظة التبدلات اللغوية التي قام بها مؤلف ب في النص الذي كان ينسخه ، والتغيير الاول هو استبعاد كثير من الكلمات الاجنبية التي من الواضح ان مؤلف ب - كان يشعر ان قراءه لن يفهموها .

ومن استعراض قائمة موجزة فيها بعض النماذج الموضحة يبدو لنا أن الكاتب لم يكن حريصا على صفاء اللغة والاسلوب .

ولم يحاول ببساطة الاحتفاظ بيونانية صرفة يعبر عنها ، لان النحو والمفردات اللغوية في نصه اصطلاحية تماما ، وهو ببساطة قد

حاول جعل النص مفهوماً وحيث ان هذه هي الحالة ، يتبع هذا ان هـ لابد انها قد اوجبت صعوبات للقارئ اليوناني ، ولكن اذا كانت هـ ممثلة ليوناني الفترة وانها كتبت للقراء اليونانيين كما يتمسك شمت ، فان هذا لن يكون كذلك .

والتغيير الاخر الذي يمكن ملاحظته هو ترجمة الكلمات الاجنبية الى اليونانية .^٥

الانطباع العام المستخلص من بعض أعمال المقارنة اللغوية والكتابية هو أن مؤلف هـ ، كان يترجم وثيقة فرنسية ، والاستنتاج الاخر الوحيد هو انه كان يعمل من وثيقة يونانية ، التي بدورها كانت تقوم على وثيقة فرنسية - وبالتأكيد لاحاجة للتعقيد - ان مؤلف بـ من جانب اخر لا يستعبد بأي حال الكلمات الاجنبية بشكل جوهري من النص ، ولا هو كان يقصد استعمال اليونانية الكلاسيكية ، وقد حاول استبدال الكلمة الفرنسية التي هـ لينتها هـ ، مما كان يسبب المتاعب للقراء اليونانيين ، وقد حاول ايضا ان يعطي تراجم صحيحة لكلمات وجد فيها مؤلف هـ صعوبة ، وهذا يدل بوضوح ان كل هذه الكلمات في هـ ، لم تكن جزءا من لغة الحياة اليونانية في تلك الفترة ، بل انها كانت كلمات مهينة بينما كان المؤلف يترجم نصا من لغة اخرى .^٥

ويصبح هذا حتى اكثر وضوحا عندما ننظر بدقة اكثر الى هـ اننا نلاحظ على الفور ان النص مليء بكلمات اجنبية . والعدد الفعلي لهذه الكلمات لا يعطي دلالة على تأثيرها في النص ، حيث تكرر مرات ومرات . ومعظمها يعطي مترجما مع نهايات يونانية ، وقليل جدا من هذه الكلمات الاجنبية كتب بلغة اجنبية لان المؤلف كان في حينه يشعر بانها قد لاتفهم من قبل قرائه ، واحيانا ببساطة لملء البيت ويعقبها على الفور الكلمات اليونانية المتعلقة .

واضافة الى هذه الممارسات كان المؤلف يحب ان يبتكر كلمات

يونانية قائمة على اصول فرنسية وكل هذه الكلمات المبكرة لها
رنين يوناني وهي تذكارية لكلمات اخرى في اللغة .

وعادة اخرى للمؤلف هي اخذ تعابير فرنسية صرفة وترجمتها
مباشرة الى اليونانية ، وكثيرا مايكون هذا بنتائج عكسية فكهة .
وتناسب اللغة بشكل جيد في بعض الفقرات ، ولاسيما تلك التي
يقطع فيها المؤرخ روايته ليخاطب القراء مباشرة ، وهو خطاب من
الواضح انه مفترض ، وهذا ايضا مقروء بشكل جيد ، ولكن
الرواية هكذا ليست مقروءة بشكل جيد واللغة مفتعلة وملتوية ، وقد
عكست العبارات لتحقيق الوزن وترتيب الكلمات نفسه ليس طبيعيا ،
وكثيرا جدا ماتكون فرنسية واضحة ، وهذا ظاهر عندما يقارنها
المراء بحولية فرنسية من القرن الثاني عشر او الثالث عشر والتشابه
مدهش ، وربما مأثور وواحدة تصورا استعمال كلمة يونانية في عطف
على كلمة فرنسية وتعرض واحدة الفرق الطفيف بين النصين ، بل
ايضا اصلهما المشترك وتحوي الاخيرة عبارة طريفة لابد انها
مشتقة .

وتبقى نقطة واحدة للدراسة في هذه المناقشة للغة النموذج .
وقد اقترح لوغنون ان تكون اللغة الاصلية ايطالية . (انظر
مقدمته لكتاب (الاستيلاء) ، حيث يطور هذه النظرية ، وفي كتابه
الامبراطورية اللاتينية ص ٣١٧ ، حيث ذكرها كحقيقة) . ونذكر
باختصار ان اعتقاده هو لان احد البنادقة في حاشية بارثلميو غيزي
او حتى غيزي نفسه ، كتب الحولية بالايطالية بين
(١٣٢٧ و ١٣٣١) . وهذه كما يبين كانت الفترة التي كان
الايطاليون يكتبون فيها توارихهم ، وكانت حولية المورة واحدة
منها . ويبين ايضا ان حرب البندقية مع فريديريك الثاني غير مذكورة
في الحولية ، ولم يقبل احد بنظرية لوغنون هذه وقد رفضت حالا من
قبل ادامانيتوس . واعتقد ان الصعوبة الرئيسة فيها هي انه لاشيء
مطلقا حول الحولية يزيد على الاشارة الى بارثلميو غيزي في عنوان
الترجمة الفرنسية ، يوحي باصل ايطالي ، علاوة على ان لوغنون

قد قرأ كثيرا ، هذا البيان ، وهو يفترض انه يعني ان شخصا ما من حاشية غيزي قد كتبه ، هذا البيان يقول : مجرد ان الحولية قد وجدت في كتاب كان ذات مرة في حوزة غيزي ، ويستحيل قراءة اكثر من هذا فيها ، حيث انه لغياب الاشارة الى حرب البندقية مع فريديريك ، يمكن فقط للمرء ان يقول : ان هناك احداثا كثيرة اكثر اهمية بكثير من تاريخ المورة تركت ايضا (سقوط الامبراطورية اللاتينية مثلا) ولا نربط اهمية خاصة بهذه الحادثة المنعزلة .

وتظهر المقارنات اللغوية ان الكلمات التي ربما قد اشتقت ايضا من كلمات فرنسية ، هي ضعف الايطالية علاوة على ان كثيرا من تلك الكلمات الايطالية ولاسيما التي تتعامل مع الشحن بالسفن والتجارة كانت في الاستعمال من قبل الشرق الأدنى قبل كتابة الحولية بوقت طويل .

وتجعل المقارنة من الواضح بشكل تام ، ان الفرنسية بون شك هي لغة النموذج الأصلي ، ليس فقط لوجود كلمات فرنسية بضعف عدد الكلمات الايطالية ، بل لأن كثيرا من الكلمات اللاتينية يمكن ان تعد بشكل صحيح فرنسية ، وكل بقية الكلمات اللاتينية هي كلمات دخلت اللغة اليونانية قبل وقت طويل من كتابة الحولية ، خاصة التعبيرات التي تعالج موضوع الحكومة ، والدين والتجارة ، والأعمال الحربية ، وباختصار ، يمكن للمرء اذا أن يقول يقينا أن كلا من الروايتين الفرنسية واليونانية استمدت من نمط أصلي كتب بالفرنسية والأولى مختصرة ومباشرة وكتبت نثرا ، وربما من قبل رجل دين فرنسي أو فارس فرنسي ، يمكن تصور أنه كان في حاشية كاترين دي فالوا بين ١٣٣٣ و ١٣٤٦ ، والأكثر احتمالا بين ١٣٣٨ و ١٣٤١ . والأخيرة مترجمة موسعه ومزوقة بدرجة عالية وكتبت بالشعر السياسي ، احتمالا من قبل شخص ما كان في بلاط إيرارد الثالث لى مور ، قبل بضعة سنوات من سنة ١٣٨٨ أو بعدها مباشرة .

النمط الأصلي الفرنسي

لاجل حل حول صحة النمط الفرنسي الأصلي الموجود الآن ، ولكن مناقشته بدقة مهمة صعبة ، لأن المرء يجب أن يعتمد على الدليل الذي اكتشف في فرعية الاثنين ، ومع ذلك من الممكن التمييز ببعض الدقة بين المصنف الأقدم والتعديلات التالية ، وهكذا يعاد بناء الأصل المفقود ، ومن الواضح أن هذه الطريقة يجب أن تعتمد بقدر كبير على التخمين ولكن استنتاجات معينة يمكن الاعتماد عليها ، ربما يمكن الوصول إليها .

تأريخ النمط الأصلي :

أن مؤرخا كمؤرخنا ، رجل له قدرات عقلية محدودة نوعا ما وخلفية تعليمية يمكن أن يصف بدقة ، فقط ما يراه هو نفسه أو ما يعلمه من شاهد مباشر ، ومالم يعتمد على مصادر مكتوبة دقيقة في ذاتها فإن دقته يجب أن تتناقص بحكم الظروف كلما تراجعت الأحداث التي يصفها أكثر الى الماضي ، ومن الواضح مباشرة أن مؤرخنا لم يستخدم مصادر مكتوبة ، وربما كان قد قرأ وليم الصوري كما توحى الفقرات الافتتاحية من الحولية ، ولكن وصفه للحملة الصليبية الأولى غير دقيق بالمرّة ، حتى في الخطوط العريضة ، ولاروايته حول المسار الابتدائي ، بيد أن حديثه عن نتائج الحملة الصليبية الرابعة جاء قريبا من الحقيقة ، ومن الواضح - مع أنه أمر غريب ، أنه لم يستعمل رواية فيلهاردين ، وتفسيره لتأريخ الأحداث في الولايات اليونانية لتلك الفترة يكشف أكثر جهله التام بالمؤرخين البيزنطيين ، ويمكننا أن نخمن بأمانة بناء على ذلك بأن مصادره الوحيدة للمعلومات كانت عيناه وأقوال الشهود التي جاءه بعضها مباشرة ، وكان يمكن الاعتماد عليها ، وأخرى منها جاءته كإشاعات وتقاليد ، وهناك استثناء واحد - بعض الوثائق - التي ستناقش أدناه ، وحيث أن

الامر كذلك ، فان الحولية بالتالي لا يمكن ابعادها عن الأحداث التي تسجلها ، وواضح من الحولية الفرنسية ان الرواية الرئيسية تغطي السنوات ١٢.٤ - ١٣.٤ مع النصف الأخير للفترة موصوفا بالتفصيل ، ولنقل ان المؤرخ في حينه لم يتمكن من تسجيل اي حدث بأي دقة لو انه كتب بعد أكثر من جيل من وقوع الحدث . وقد تمت معالجة حكم غوليوم الثاني ١٢٤٦ - ١٢٧٨ بتوسع كبير مع كثير من التفاصيل الحية ، ويمكننا أن نفترض أن المؤرخ تكلم مع الناس الذين شهدوا هذه الأحداث ، وهذا ايضا يفسر لماذا عولج حكما جيوفري الأول وغوليوم الأول بهذا الاختصار ، وعدم الدقة ، والاستنتاج هو أن الحولية كتبت بعد وقت قصير جدا من ١٣.٤ (ويجب أن يبقى في الذهن أنه بحلول ١٣٢٠ يبدو أن الحولية كانت متداولة ، وكانت بلا ريب قد أصبحت في حوزة بارثلميوغيزي) .

وهناك بيانات معينة في الحولية تؤكد هذا التاريخ ففي البيت ٥٧٣٨ يقال لنا إن أطفال الأتراك الذين تزوجوا وتوطنوا في المورة في ١٢٦٥ كانوا مايزالون أحياء عندما كتبت الحولية ، وهذا قد يكون صحيحا بالنسبة لوقت يلي بوقت قصير ١٣٠٠ ، ولكن ليس بعد ذلك بكثير بالنظر للنسبة العالية المروعة لمعدل الوفيات في المورة التي مزقتها الحرب في تلك الفترة وفي الأبيات ٧٤٢١ ، ٨٠٧١ ، ٨١١ ، ٨٦١٦ ، يدعى نيكولاس الثاني دي سانت أومر بالرجل العجوز ، ولكن المؤرخ قد أخطأ بذكر الأب مكان الابن نيكولاس الثالث الذي توفي في ١٣١٤ ، وهذا يدل على أن نيكولاس الثالث كان رجلا مسنا ومازال حيا عندما كان المؤرخ يكتب ، وهكذا يبدو ان الدورية الأصلية قد كتبت بين ١٣.٤ و ١٣١٤ .

المؤلف وعمله :

أن لدهش ولكنه صحيح أنه لا يوجد بيان واحد في الحولية يتعلق بالمؤلف نفسه ، ومع ذلك فان شخصيته تظهر ، مع أنها غير واضحة

فقط بالاستدلال من صفحات حوليته ، وقد أثار هذا التعدد من النظريات بين العلماء ، حتى بالنسبة لجذسيته ، واعتقد لوغنون بأن ايطاليا كتب الأصل / هو غاسمول / الذي كتب الترجمة اليونانية الأخيرة ، واعتقد بوشون وهوبف أن الأصل قد كتبه فرنجي ، وأن النسخة الأخيرة كتبها يوناني ، أما كالوناروس فليس متأكدا من الأصل ، مع أنه يعتقد أنه كتب بالفرنسية ، وأن النسخة الأخيرة كتبت من قبل غاسمول . ويعتقد شमित أن الأصل قد كتب باليونانية من قبل فرنجي ، وأن النسخة الأخيرة دقيقة وأن كانت موسعة الخ

وفي رأيي ليس هناك من شك في أن المؤلف هو فرنجي فلماذا يكتب يوناني وثيقة مضادة بشدة للاغريق بالفرنسية ؟ ولماذا كان علينا أن نفترض أن غاسمول كتبها ؟ وقبل كل شيء ان الذين اقترحوا أن يكون غاسمول هو المؤلف ، غير واضحين تماما في تمييزهم بين النمط الأصلي والنسخة اليونانية المتأخرة ، وثانيا أن كل مانعرفه عن آل غاسمول وهم من نجاج زواج فرنسي يوناني ، في هذه الفترة ، يدل على أن مشاعر غاسمول لابد أن كانت موالية لليونانية ، وقد رحب بآل غاسمول من قبل اليونانيين ، وأعطوا مناصب عليا في البلاط والجيش اليوناني ، ومن جانب آخر إنهم رفضوا تقريبا من قبل الفرنجة ، ومن الصعب في الواقع أن نجد سببا مقبولا لماذا كتب أحد أفراد عائلة غاسمول حولية هدفها الكامل تمجيد مفاخر الفرنجة القدماء وإثارة التنافس بين أبنائهم الذين تحدروا منهم .

ولأن الحولية تفعل هذا بالضبط كما هو واضح على الفور لكل من يحاول أن يعلق بالحواشي على الحولية ، بل لانتاج رواية متألقة عن أعمال الفرنجة الماضين ، وأن يحث مستمعيه على العمل في أيام الانحطاط الفرنجي في المورة ، لقد أراد أن يضرهم من جديد العنف الشبيه بالحرب لحكم غوليوم الثاني . وبالتأكيد إن مثل هذا الهدف والحنين الى الماضي يدل على أن فرنجيا هو المؤلف وعلى أي حال

كان المؤلف فرنسيا تماما في مواقفه وتحيزه ، فالفرنجة دائما يقعون في الضوء المواتي ، وترد البيانات تلو البيانات حول تفوق الفرنجة في الأسلحة والخلق والشجاعة . وفي الحقيقة إن هذه كلها كانت توضع في أفواه أعدائهم من الاغريق ، وتظهر المشاعر النموذجية المضادة للاغريق لدى الصليبيين من الفرنسيين ، مع أن النقد الساخر والعنيف الوارد في هـ والذي لا يمكن التفوق عليه في العنف قد أقحم من قبل المترجم ، حيث نجد على سبيل المثال أن الأبيات ٧٥١ - ٧٥٥ - ٨١٦ - ٨١٩ - ٨٢٧ - ٨٤١ و ١٢٤٩ - ١٢٥٥ . مفقودة في الترجمة الفرنسية . ومن الواضح أن المؤلف كان كاثوليكيا متشددا ، مع أنه كان على معرفة بالكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وطقوسها ، ومع ذلك فهو لم يتحيز الى جانب الاكليروس في كفاحهم ضد الأمير في المورة (٢ ، ٢٦٢٦) ولم يكن رجلا ذا منزلة رفيعة ، لأنه على ما يبدو لم يأخذ دورا فاعلا في أي من الاجراءات التي وصفها ، وعلاوة على ذلك يبدو وكأنه كان يخاف من الألقاب الرفيعة ولا يضيع مطلقا فرصة لتسجيلها .

وحتمال لم يكن شاعرا ، إذ أنه لا يوجد تقريبا أية إلماعات شعرية . وبالأحرى إنه رجل نشر قوي ويعبر عن الفكرة تماما ، وهناك على أي حال نوعية درامية لكثير من الفقرات ، لاسيما تلك التي تعالج إجراءات البلاط ، وتصادم الشخصيات .

وفي هذه فإن الأحاديث ، مع أنها خيالية ، لها رنة الصدق وتدل على شخصية المتكلم ، ويشعر المرء بأن الشخص لا بد أنه تحدث بهذه الطريقة ، والناحية الأكثر إثارة للدهشة في شخصية المؤلف هي اهتمامه الشديد بالعادات الاقطاعية ، في دعاوى القضاء الأعلى ، وصحيح أنه وصف المعارك والتطورات السياسية ، ولكن دائما فعل ذلك بطريقة سطحية خاطفة ، ولديه ميل لاختصار مثل هذا الوصف ، وسروره الرئيس مع ذلك هو في القضاء الأعلى الذي يملأ جزءا غير عادل الذسبة في سعته من الحولية ، وهو هنا على

أساس وطيد . ووصفه للدعاوى والقانون مضبوط بدقة ولديه معرفة دقيقة بالقانون ، ويذكر كثيرا من المواد في قوانين المورة ومن الواضح أنه قد درسها .

علاوة على أنه على ما يبدو قد درس سجلات الأقطاعات في المورة ، وأنه قد استخدم هذا المصدر لبياناته حول مختلف القصور ومؤسستها وانتقال ملكيتها وهذا ظاهر من ميله للخلط بين الأب والأبن عندما يحملان الاسم نفسه ، ولا يظهر التمييز بينهما في معظم الأعمال مالم يوقع الأب والأبن الوثيقة نفسها ، وعليه فإن الاستدلال هو أنه كان كاتباً ديوانياً أو كاتباً بالعدل في المحكمة ، وهناك نقطة أخرى ، ولو أنها غير مباشرة نوعاً ما ، تميل إلى تأكيد ذلك ، فهو يكشف عن ولع غريب بالغموض والمكر طالما أنها في جانب الفرنجة ، وهو على سبيل المثال يعيد السرد بقليل واضح للطريقة التي سلب بها روبرت من ميراثه الحق (انظر فيما يلي ص ١٣٥ - ١٤٢) وفي الزمرة نفسها خطف وزواج ابنة الامبراطور / روبرت / من قبل الأمير / جيوفري / وخرق / غوليوم / الثاني لمعاهدته مع ميكائيل بالايولوجوس الخ

وهكذا تظهر صورة مؤلف الحولية الأصلية ببساطة ، وبإبصاره بتراجع وانحيار بيت آل فيلهاردين بسبب السلسلة الطويلة من الكوارث التي دمرت رخاء المورة ، في الحروب التي دمرت المقاتلين فيها ، وبسبب التدخل الأجنبي الذي كان يهدد وجودها ذاته ، تولى هذا الكاتب بالعدل الفرنجي ، ذو المنبت الوضعي ، والذي كان مع ذلك متوافقاً مع عرقه وكنيسته تولى مهمة هز أقرانه من الفرنجة من فتورهم ، والهامهم بأن يعيدوا في قرنهم الأعمال المجيدة التي أدت إلى الاستيلاء على اليونان بهذه السهولة قبل ذلك بقرن كما في تقاليد أناشيد الأعمال ، وأنتج هو أيضاً أغنية ليست بالخيالية حول أبطال الأساطير والتنين ، بل واقعية عن الفرنجة وأعدائهم ، وحوليته الحقيقية وإن تكن مزينة بشكل مقبول ومفهوم تتراوح بين القوة

- ٤٧٢٢ -

والاعتدال ، وهي معقولة مفهومة معترف بها ، سمحة التفكير كالفرنجة الذين تصفهم ، وتضم مع كراهيتها بعض الاحترام والتسامح تجاه أعدائهم .

الحولية اليونانية

ان هذه الخصائص مع ذلك فقط بالنسبة للرواية الفرنسية الحولية والحولية اليونانية أمرا آخر تماما ، ومع أن الأصل قد يبقى ممكن التمييز في صفاتها فان الانحياز العنيف المضاد للاغريق وللارثوذكس للمترجم يغير النغمة تماما ، ومن الواضح جدا أن نمطا مختلفا من الشخصية قام بالعمل

المؤلف وعمله .

لا شيء معروف بالمرّة عن المترجم اليوناني أكثر من حقيقة أنه كان على صلة وثيقة بالكنيسة الكاثوليكية وكان على درجة مساوية من الكراهية الشديدة للاغريق ، والقليل جدا فيما عدا ذلك يمكن الاستدلال عليه من اضافاته سوى انه كما ذكر أعلاه ، أنه ربما كان عضوا في بلاط إيرارد الثالث ويفترض عادة بأنه كان من الغاسميول لمجرد أنه كان يكتب باليونانية . وأسبابي للشك بأن الكاتب الأصلي كان من الغاسميول هي أكثر إمكانية حتى للتطبيق في هذه الحالة ، وبالتأكيد حوالي نهاية القرن الرابع عشر ، عندما كان واضحا أن العصيان الاغريقي لا يمكن تفاديه وكان دائما واضحا بالقدر نفسه ان أيام حكم الفرنجة في المورة معدودة ، فإن أحد آل غاسميول الذي تم الترحيب بهم بحرارة من قبل الاغريق صعب أن يقف في جانب الخصوم من الفرنجة في ذلك الحين ، مع أن المرء بالطبع قد يفعل ذلك .

وان تفسيراً يعرض نفسه يكمن في فحص اسباب ترجمة الحولية

- ٤٧٢٣ -

الى اليونانية في المقام الأول ، وقد تساءل شमित لماذا تترجم مثل هذه الحولية الى اليونانية ؟ والسؤال الأصح يجب أن يكون لماذا لا تترجم ؟ أن التمثل الثقافي للفرنجة من قبل القهورين الاغريق كان سريعا بشكل يثير الدهشة وفي زمن غوليوم الثاني الذي كان من أول جيل ولد في اليونان ، وكان يتكلم اليونانية بطلاقة ، أن قسما كبيرا من الفرنجة كانوا يتحدثون بلا شك بلغتين ، ويذكر غوليوم بشكل خاص على أنه كان يتكلم اليونانية (١ ، ٤١٣٠) ومن المهم أن الحولية تذكر هذا على أنه شيء من الانجاز ، ويذكر اليونان هذا ببساطة كحقيقة ، علاوة على أن الاغريق كثيرا ماكانوا يحتاجون كمتترجمين ، وكان الجيل التالي يتكلم كله اللغتين ، وبقيت اللغة الفرنسية مع ذلك لغة ضرورية وفعالة ، للقادمين الجدد الذين لم يكونوا يعرفون اليونانية ، وكانوا يفقدون باستمرار الى المورة (انظر ١ ، ٨٣٢٠) وعندما كان على الوافد الجديد جيوفري دي برويير أن يستخدم إغريقيا ليكتب رسائله . وكانت الروابط مع أوروبا الغربية ماتزال قوية وكانت هناك رحلات جيزة ونهابا .

وهكذا إن الحولية قد كتب أصلها على نحو صحيح بالفرنسية . وفي مجرى المئة سنة التالية ، على أي حال تبدلت الحالة بقوة وجعلها تردي المورة أقل بكثير من موطن اسطوري *

والآن أصبح القليل يأتي الى المورة بحثا عن حظه ، وتضاعف الزواج الداخلي المتبادل أضعافا كثيرة ، واستمر التمثل الثقافي الطبيعي حتى يمكن القول بأمان أن اليونانية كانت اللغة الطبيعية للفرنجة في المورة بحلول نهاية القرن الرابع عشر . وفي الحولية ثلاثة إماعبات الى جيوش مكونة من الفرنجة والاغريق على اعتبار أنهم يتكلمون لغة واحدة (٢ - ٣٨٠٤ - ٣٩٨٦ - ٤٧٢١) وإذا كانت هذه البيانات جزءا من الحولية الأصلية ويعود تاريخها الى نحو ١٣١٠ ، فيحتمل أنها فقط أدلة أكثر على انحياز المؤلف الموالي للفرنجة ، وهو ببساطة أغفل حقيقة أن الاغريق كانوا

موجودين من أجل المحافظة على اللاحاح على الفرنجة (انظر أدناه
رقم ٦٦ ص ١٨٤) .

وإذا اقحمت هذه البيانات مع ذلك من قبل الكاتب الأخير حوالي
١٣٨٨ ، إن تفسيراً جديداً مختلفاً تماماً قد يقوم عليها ، وفي هذه
الحالة طالما أنه صحيح أن لساناً واحداً - أعني اليوناني - كان
لغة الاغريق والفرنجة في ذلك الوقت طبق المؤرخ ببساطة المقارنة
التاريخية على زمن مضى ، وهي حالة كانت صحيحة في زمانه ، وفي
كلتا الحالتين تبقى حقيقة أنه بنهاية القرن الرابع كان هناك من
الفرنجة من يتكلمون اليونانية كلية أكثر من ذوي اللغتين ، وفي مثل
هذه الحالة إذا أراد المرء أن يقدم حولية فرنسية للفرنجة كان عليه
أن يترجمها الى اليونانية وهذا بالضبط ما فعله كاتبنا .

والسبب في أنه قرر أن يوفر حولية المورة المعاصرية ليس صعب
التخمين جداً ، وهي بالضبط الأسباب نفسها التي حدثت مؤلفها
الأصلي على كتابتها قبل جيلين - مع فرق واحد هو شدتها
ونغمتها ، والتطورات التي أرمته أصبحت حقائق وبعضها مضى
عليه زمان طويل ، وقد اختفى الفرنجة تقريباً من المورة كشعب
بالتماثل وكأمة ، بالغزو والامتصاص . ورغب الكاتب الأخير
بالأهداف نفسها كسلافه ، ولكن كان فيها نغمة إضافية من اليأس ،
ولاحظ الاقصام في السطور ١٥٨٧ حيث ينذر بمجيء السيطرة
الانجفينية إلى المورة . وحيث أنه يرى أمامه النتائج الواضحة
لتراجع قوى الفرنجة ، فتصويره لخصائص مجدهم الماضي يصطبغ
بالاحباط المتطرف ، وكي يرفع تأثيره على الشعور المعتدل نوعاً ما
المضاد لليونانيين في الأصل ، إلى شجب يكاد يكون هستيريا ،
ويقابل الفرنجة الفاضلون الذين لا يقهرون باليونانيين الجبناء
المخادعين العاجزين . فإن الحقائق التي قدمها ولم تتوافق دائماً مع
هذا التصوير كانت لاتينية ، ونجد على سبيل المثال أن الحولية في
أحد المواضع (١ ٤٢٠٧) تقول عن ميكائيل باليولوجوس : « مثل
هذا الرجل الحكيم الذليل كما كان » وفي موضع آخر : (١ -

(١٢٤٥) « انتبه للظلم والاثم الذين ارتكبهما هذا الخسيس .
وماحدث واضح ، بينما سعى الكاتب الأول إلى إحياء القوى
الفرنجية مع بعض التأكيد بأنها يمكن أن تعود ، تخلق الكاتب التالي
عن مثل هذا الأمل ، وهو يعلم أن الوقت قد فات .

وهو يعرف أيضا أن الأغريق مطمئنون إلى النصر النهائي ، ومن
هنا كراهيته التي خرجت عن السيطرة والسخرية فيها أنه قد تراجع
إلى استخدام لغة هؤلاء اليونانيين ذاتهم حتى يتسنى للفرنجة أن
يفهموه .

وهكذا يبدو لي أنه لشرح الطبيعة المزدوجة الحولية وتضاربها
الداخلي يجب أن نفترض أن كلا المؤلفين كانت لهما أهداف متماثلة
من الكتابة ولكن مضى مايزيد على جيلين من الأحداث المضطربة
وحتى المفجعة في الدورة قد أحدث إحباطا ويا سا لدى المؤلف الثاني ،
أدى إلى تحريف الحولية الأصلية .

القيمة التاريخية

وعلى الرغم من هذه الطبيعة المزدوجة ، فإنه مازال يجب أن تعد
الحولية اليونانية مصدرا تاريخيا هاما ، طالما أن الرواية الفرنسية
هي ملخص فقط . والرواية الاغريقية هي الوثيقة الوحيدة التي
لدينا ، والتي تعطي رواية قائمة جديرة بالثقة لتأسيس النظام
الاقطاعي في اليونان في القرن الثالث عشر ، وهي علاوة على ذلك
المصدر الفرنجي الرئيسي للتاريخ الفرنجي - اليوناني . هذا مع
حقيقة أنها قد كتبت بعد وقت قصير جدا من وقوع الأحداث التي
تصفها يجعلها عالية القيمة ، حتى مع أنها كعمل تاريخي قد تخطيت
بكثير بعمل ساندودو وأعمال المؤرخين اليونانيين المعاصرين ، وإنها
مع ذلك يجب أن لا تدرس من أجل الرواية فيها في المقام الأول ، مع
أن هذه هي مصدرنا الوحيد من أي نوع لكثير من الأحداث ، بل
للتبصر الذي توفره لنا في مؤسسات العصور الوسطى والعادات

الاجتماعية ، وبدلاً من المناقشة بالتفصيل في جدارة الحولية كرواية تاريخية ، أحيل القارئ إلى الصورة التاريخية المقدمة أعلاه وإلى التعليق في الحواشي ، وهذه مع النص تتحدث عن نفسها ، ويكفي هنا القول أن الرواية هي من نوعية متفاوتة الجودة . فأجزاء منها زائفة تماماً ، وأجزاء مشوشة بشكل يبعث على اليأس ، وأجزاء أخرى نوعاً ما لا يمكن الاعتماد عليها ، في حين أن أقساماً معينة هي بالكامل هكذا ، وهذا يعكس حقيقة أن الحولية تعتمد على مصادر من نوعية غير مستوية . وكوثيقة اجتماعية ، مع ذلك إن الحولية رائعة ، وتكاد تكون فريدة ، وفي صفحاتها يصور النظام الاقطاعي في يونان القرن الثالث عشر بطريقة تذبذب بالحياة ، ونرى خطوة بخطوة تقريباً كيف أدخل النظام الاقطاعي إلى اليونان ، وكيف وزعت الأراضي بين الفزاة ، وكيف بنيت القصور والقلاع ، والعلاقات المعقدة بين الأقطاعيين وأتباعهم وأمرائهم ، قد تم القاء الضوء عليها في كل أجزاء الحولية ، ونحصل على صورة واضحة عن العلاقة بين الكنيسة والدولة في المورة ، والأهم عن العلاقة بين الفرنجة والاعريق ، والاندماج الناتج بين المؤسسات الغربية والشرقية ، والناحية المبهرة في الحولية هي النظرة المفصلة التي تعطيها للإدارة في النظام الاقطاعي وهي قيد العمل ، وهكذا نكون حاضرين في كثير من تفصيلات القضاء الأعلى ، ونستطيع أن ننتبع من خلال كل تقنياته أهم المناقشات القانونية التي شكلت التاريخ الموري ، ونقف كشهود عيان لمجالس الحرب ونشهد مقارعة الفرسان وحفلات الفروسية والمعارك ، والحصار ، ومفاوضات الصلح ، ونزقب استئجار تابع لأقطاعية من الاقطاعيات وتجريد آخر منها ، وباختصار إن الحولية اليونانية هي نسيج مزخرف غني يصور بكل الحيوية الحياة الاجتماعية للعصور الوسطى .

خلاصة

وبإيجاز يمكن إذا للمرء أن يقول إن الأدلة تسمح لنا أن نذكر بالتحديد أن أنشودة تاريخ أعمال فرنسية تدعى غزوالقسطنطينية

والامبراطورية البيزنطية وأراضي إمارة المورة قد تم نظمها بين ١٣٠٤ و ١٣١٠ ويحتمل حوالي ١٣١٠ وقد تم تداول هذه الحولية في ترجمات مختلفة كل منها أعدت من قبل شخص مختلف ، يعكس في معالجته للأصل شخصيته الخاصة وميوله ويضيف إليها حوادث تالية ليصل بالرواية إلى زمانه ، وأول تلك التي نعرفها قد تم تأليفها بين ١٣٣٣ و ١٣٤٦ ويحتمل أكثر في وقت ما بين ١٣٣٨ و ١٣٤١ ، إنها باختصار دقيق واقعي ومباشر يلتزم بدقة باللغة الأصلية للنص ، ويقدم نوعا من خلاصة الوقائع في تاريخ المورة في القرن الثالث عشر ، ربما لمذفعة كاترين دي فالوا واستخدامها وبالتأكيد لبعض مثل هذه الشخصيات ، فالرواية لم تعد للاستعمال العام ، بل من أجل المعلومات الخاصة لرجل الإدارة .

والرواية التالية من العمل قد تم نظمها في حوالي ١٣٨٨ من قبل كاتب فرنسي كان يتكلم اليونانية ، ترجم الأصل إلى العبارات الاصطلاحية والأسلوب المميز لمذفعة الفرنجة المتكلمين باليونانية ، وقد كتبت شعرا ، حتى يمكن أن تقرأ أو تسمع عند تلاوتها ، كما ذكر بوضوح في الحولية نفسها ، وقد أخذ الكاتب حريات واضحة واسعة في الفصل الأصلي ، وتتميز روايته بكثير من الإضافات وأعمال الحذف وتفسير إضافاته بالرواية حتى عام ١٣٨٨

وكتبت رواية أخرى في ١٣٩٣ . وهذه المرة اراغونية ترجمت عن الرواية الثانية ، وهي مختلفة تماما عن كل الأخريات في أنها محاولة جدية للتاريخ مستخدمة مختلف المصادر الأخرى لاصلاح الحولية نفسها وتعديلها .

وظهرت رواية خامسة متأخرة نوعا ما عن ١٣٨٨ ، ويحتمل أن يكون بقرن أو أكثر ، كما اعتقد شميث . وكان ذلك من قبل كاتب إغريقي ضليع ، كتب للمستمعين اليونانيين . ويحتمل أنه في ذلك الوقت كانت الترجمة اليونانية للحولية على الرغم من تفنيدها تعتبر كمثال هام لرومانسيات الأغريق في العصور الوسطى ، كتبت بلهجة

شعبية ، وكان تطورها بلا شك تحت تأثير الأدب الغربي ، وهذه الرواية هي مراجعة للرواية اليونانية ، وبالنسبة لمستمعها هي عملية طمس عنيفة للانحياز القوي المضاد للأغريق في الرواية المقدمة ، وليست هناك محاولة لتابعة الرواية التاريخية ، ووجهة النظر هي مجرد أدبية ، وتلا هذه الرواية في أوقات مختلفة أربع أخرى على الأقل على حد ما نعرف ، واحدة بالاطالية وثلاثة باليونانية ، ولكن بما أن هذه مجرد نسخ مترجمة وهي جميعا سيئة التنفيذ فإنها قليلة الأهمية .

الترجمة الراهنة

عن الطبقات الحديثة المحققة للحولية اليونانية ، وتميز تلك التي نشرت من قبل شملت في ١٩٠٤ نقطة عالية ، ليس فقط في حولية المورة بل في تحقيق جميع حوليات العصور الوسطى اليونانية ، ومكنته دراسته المتسمة بالمثابرة لكل المخطوطات المتوفرة للحولية ومعرفته العميقة لتطور يونانية العصور الوسطى من إعطاء التفسير الموضح للنص في مجموع هافنيسيس ، وطبعته هي الأكثر نفعا لأنها تنطوي على تحقيقه الرائع للنصوص الباريسية والتورائينية أيضا ، ومع ذلك فإن الفهارس في نهاية المجلد ليست لسوء الحظ بالكفاءة نفسها . إن التعريف التاريخي بالناس والاماكن قد قام على ثقافة القرن التاسع عشر ، وكنتيجة هي بحاجة لمراجعة كثيرة في ضوء ثقافة أكثر حداثة ، والأكثر أهمية مع ذلك هي محدودية مسرده اللغوي من الكلمات اليونانية ، وهذا المسرد غريب بدرجة كافية بالنظر لمعارف شملت العميقة التي لا شك فيها باليونانية إلا أنه يجوي الكثير من سوء الترجمة ، والترجمة الخاطئة للتعابير اليونانية للعصور الوسطى ، وعلى العموم استند شملت بقوة على معرفته باللهجة التقليدية العتيقة وبدرجة أقل بكثير على اللهجات في العصور الوسطى والحديثة ، والظاهر أن معرفته هذه كانت محدودة بدرجة اكبر .

وبالنظر لهذه العيوب وبناء عليه فإن طبعة جديدة من الحولية كانت مطلوبة منذ بعض الوقت ، مع أن النص كما قدم من قبل شमित يقر بعدم وجود أي تحسين تقريبا .

وطبعة كالوناروس التي ظهرت في عام ١٩٤٠ كان يقصد بها تلبية هذه الحاجة ، وقد ظهر نقد كثير لهذا العمل ، بعضه مسوغ ومعظمه لا مسوغ له ، وقد استخدم كالوناروس مع تبديل صغير النص كما قدمه شमित ، الأمر الذي كان طبيعيا حيث أن عمل شमित في النص كان موثوقا ، والاسهام الهام للعمل الجديد هو تصحيحه لسرد الفاظ شमित وفهارسه ذلك أن عملا مكثفا في لغة الحولية قد تم منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لاسيما من قبل العلماء اليونانيين مثل ناراغونيس وأدامانتىوس وفوريكيس وهاتزيداكس وجمهرة من الرجال الأقل شهرة ، الذين ظهرت أعمالهم في الصحف اليونانية وهي دائما مألوفة للعلماء الأمريكان ، وهذا العمل على أكبر درجة من الأهمية في دراسة النصوص اليونانية للفترة الفرندكو - يونانية ، وقد أدى كالوناروس الذي قرأ بتوسع هذا الأدب خدمة عظيمة بإخراج طبعة من الحولية تضم هذه المعلومات الجديدة في حواش ذيلية موسعة ، وتعريفه بأسماء الأماكن مهم بشكل خاص ، ومع ذلك إن بالطبعة خصائص معينة سيئة الحظ تحد من نفعها نوعا ما ، أولا بالنسبة لوقائعها التاريخية ، اعتمد كالوناروس بدرجة كبيرة على أعمال أقدم بينها أعمال لامبروس وباباريغولوس ، ومستنده الأحدث هو زكيثيدوس ، وأكثر ما يدعو للأسف أنه لم يدخل أعمال لوغنون اللازمة ، الذي راجع بشكل كامل الترتيب الزمني لكامل الفترة ، وثانيا أن الطبعة قد شوهت بفراط الأخطاء المطبعية ، التي ألت بالتواريخ وبأرقام الصفحات الخ والتي تسبب التشويش ، ثالثا هناك ثبت مصادر يعرج بالأغاليط ، وتحوي قائمة المراجع الأعمال ذات القيمة المعترف بها فقط ، وهي لاتضم الأعمال الأحدث التي تذكر في الحواشي ، وهذا الذكر كثيرا جدا ما يحذف تاريخ ومكان النشر والصفحة الصحيحة للمرجع وأحيانا حتى العناوين .

ومن أجل قراءة الحولية مع الفهم بلغتها الأصلية ، وبالنظر لحدودية الطبعيتين إن على المرء أن يستعملهما معا مع المراجع الدائمة المفترضة ، وحيث أن طبعة جديدة من العمل تبدو غير محتملة فإن هذا الاجراء المربك سيبقى في كل الاحتمالات غير ضروري وهو الاسلوب نفسه الذي كان علي اتباعه في القيام بهذه الترجمة وخلالها استخدمت كلا النصين مع إشارة دائمة الى الروايات الأخرى للحولية أيضا ، وحيث أنني شعرت أن ملاحظات كالوناروس كانت عظيمة الأهمية ، وحيث أنها غير متوفرة بشكل جاهز للقارئ الذي لا معرفة لديه باليونانية الحديثة ، أدخلت منها في ملاحظاتي كل ما أمكنني تحقيقه ، وفي معظم الحالات لم أشر الى هذا بالطريقة المعتادة ، لأنني شعرت بأنها ستثقل الحواشي التي كانت بالفعل موسعة ، والاستثناء لهذه القاعدة كان بالطبع تلك الأماكن التي كنت أشعر بأن التصحيح فيها كان ضروريا .

ولابد من قول بعض كلمات أخيرة حول الترجمة نفسها : تظهر هذه الحولية خاصة كثيرا من الصعوبات للمترجم ، وهذا صحيح حتى بالنسبة لأسلوب النقد اليوناني البسيط للقرن الرابع عشر ، ولكنه صحيح بشكل خاص بالنسبة لهذا النص ، الذي تتكون لغته من مزيج من الألفاظ اليونانية التقليدية ، واللهجة اليونانية للعصور الوسطى ، وفرنسية العصور الوسطى ، علاوة على أنها مكتوبة بالشعر (ومن أجل تحليل موثوق للنظم ، يحال القارئ الى مقدمة جون شميت حولية المورة ، حيث يتم تحري الأمر بشكل شامل) وفوق كل شيء إن النص فرنسي تماما في الروح والصورة الأدبية ، وهو يوناني كما يقول شميت هر ٤٣ في اللغة فقط .

وفي مواجهة مثل هذا النص ، يجب أن يكون هدف المترجم واضحا منذ البداية الأولى ، حيث يمكنه المحافظة على الترابط خلالها ، وكان هدي المتحكم هو تزويد القارئ الناطق بالانكليزية ، الذي لا يعرف اليونانية بترجمة أقرب ما يمكن من النص

الأصلي ، وهذا كما شعرت ذو أهمية عالمية ، أولا لأن الحولية مصدر تاريخي هام لم يترجم مطلقا من قبل باستثناء محاولات بوشون غير الوافية وثانيا لأنه مثل باهر للأدب الفرنكو - اليوناني في القرون الوسطى ، وثالثا لأن لغتها بالقدر نفسه الحياة الاجتماعية التي تصفها تلقى الضوء على ثقافة العصور الوسطى .

وبناء عليه حاولت أن أعيد الإخراج بالانكليزية بأعظم ما أستطيع من الدقة وهذا يعني أن ترجمتي هي بأكبر تأكيد ليست ما يجب أن اعتبره حولية انكليزية جيدة الكتابة بالشعر ، ولسوء الحظ أنني لست شوسر ولم يكن مؤرخي هوميروس ونصصة مليء بالتكرار ، وتقريبا بالافراط الممل ، وقواعد اللغة مروعة بالنسبة لآية متابعة يونانية ، ولقد تقوض تركيب الجمل ، والأسماء الموصولة قد اختلفت تقريبا ، والترادف من النوع الأكثر إثارة للدهشة ، يجري خلال النص كما يفعل السحر ، وأصبح التنقيط التغيير الدائم للفواصل ، والفواصل المنقوطة مع فترات دورية معترضة ، ولكن هذه هي خصائص النص ، ولقد شعرت أنه لتغييرها وتصحيح أخطاء القواعد ، واستبعاد التكرار واستبدال المرادفات وباختصار تحويل هذا النص السيء الكتابة ، وإن يكن نابضا بالحياة إلى أدب مصقول سيكون أساءة لعرضه تماما ، وحتى قد يقول المرء ، تدميره بدلا من ترجمته وسيجد القارئ أن علامات التنقيط في هذه الترجمة لا تتوافق مع أفضل استعمال للغة الانكليزية ، ولا حتى الأسلوب ، وكثير من الفقرات تتميز بترادف مدهش وأحيانا مربك في أية لحظة ، وأنا مدرك تماما لهذه الخصائص ، ولكنني شعرت أنه بهذه الطريقة فقط تظهر نكهة للأصل ، ولهذه الغاية وزنت كل كلمة وحاولت استبدالها بكلمة انكليزية بالشدة نفسها والدلالة ، وترجمت الكلمات الفنية بأفضل مقابل لها بالانكليزية وأعطيت الكلمات الأجنبية بأصولها .

والأهم أن الكلمات البسيطة الأكثر تعدادا قد أعطيت بانكليزية بسيطة وهنا إن الإغراء بتغيير الأصل ربما كان الأقوى ، وسيجد

- ٤٧٣٢ -

الكاتب ايضا أن العلامة المتبادلة للمتـرجم وإضافاته بين
قوسين ، قد أقيمت في حدها الأدنى ، وكان قصدي في كل هذا أن
أجعل من الممكن للقارئ غير القادر على قراءة الأهل باليونانية أن
يقرأ المقابل الانكليزي بأقرب ما أمكنني فعله ، وأرجو أن أكون قد
نجحت ببعض المقاييس ، لأن السرور بقراءة هذه الحولية اليونانية
فريد وجزيل الجزاء .

تاريخ المورة

مجموع هافنسييس ٥٧

(٢٣-١) سأخبركم بقصة عظيمة ، فإذا أصفيتها إلي ، أرجو أن تسركم ، عندما كانت السنة (٦٦١٢) منذ خلق العالم (٢) بهذه الكثرة ولا أكثر (وقعت الأحداث التالية) : خلال التعاون والحماس ، والجهد العظيم وتعب الأخ بطرس الناسك ذو الذاكرة المباركة (٣) ، الذي انطلق إلى بلاد الشام للتعب في القدس عند قبر المسيح ، ووجد أن المسيحيين ، وحتى البطريرك الذي كان يخدم هناك عند القبر المقدس قد أهينوا من قبل غير المعمد ، أولئك السراسنة الذين كانوا سادتها ! وعندما كان البطريرك يحثهم بالقداس ويرفع عاليًا الأشياء المقدسة ، كانوا يمسكون به بعنف ويلقون به أرضاً ، وإذا كان شجاعاً جداً ليواجههم بالكلام كانوا يطرحونه فوراً على الأرض ، ويضربونه بشدة .

وبرؤية هذا (٤) كان الناسك القديس مضطرباً بدرجة كبيرة ، فبكى وحزن وقال للمسيحيين والبطريرك كمسيحي أورثوذكسي أقسم لكم وأقول : إذا كان الرب يسمح أن أعود إلى الغرب ، فإني سأذهب شخصياً إلى البابا بالغ القدسية ، وإلى كل الملوك لأنبئهم بما رأيت ، وأمل برحمة المسيح أن أهرّكهم للقُدوم مع (٢٤ - ٥٩) جيوشهم إلى هذا المكان لطرد السراسنة من قبر المسيح . وعاد وهو يندب بشدة وذهب إلى روما ، وروى للبابا ما سمع ورأى ، وبكى البابا (٥) عند سماعه لما روى ، بكى طويلاً وبشدة ، وكان عميق الحزن ، ثم أمر على الفور بكتابة رسائل إلى سائر الممالك ، وأرسل الكرادلة والمطارنة والأساقفة إلى مملكة فرنسا ، وأيضاً إلى الأراضي الأخرى حيث يوجد مسيحيون وحيثما كانوا يحكمون ويسيطرون يباركهم ، وهذه هي الدعوة التي أرسلها إليهم : كل من يذهب إلى الشام إلى قبر المسيح سينال العفو الفوري عن أثامه مهما كان قدر ما اقترفه منذ ولادته وحتى الآن .

وحالما سمع كل قادة الغرب هذا هبوا لطرد عرق البرابرة وكان تحشد المسيحيين عظيمًا ٠٠٠ ٨٨ فارس تجمعوا وتجهزوا و ٠٠٠ ٨١٨ من المشاة التابعين لهم ، وعبروا إلى هناك عن طريق

القسطنطينية إلى بلاد الأناضول (٦) التي كان يملكها الأتراك والتي هي الآن قاعدة للأغريق ، وإذ رأى اليكسيوس فئاتتس (٧) حشد الفرنسيين ، عقد اتفاقا موثقا بالقسم وأبرم معاهدات مع القادة : اذا وهب الرب وطردوا الأتراك من أراضي الأناضول التي كانت الولاية (٨) الموروثة بالملكية ، واذا سلموا له الأرض والحصون فإنه سيذهب معهم إلى سورية بشخصه وأنه سيأخذ معه ٥٠٠ ر ١٢٠ فارس ، والآن والفرنجة كرجال صادقين في كل شيء صدقوا كلمات الملك وأعطوه قسمهم . وقد حافظ الفرنجة الذين أقسموا على أيمانهم وبعبـورهم إلى أسيا الصفري غزوا الأرض (٩) وسلموها على الفور لاليكسيوس فئاتتس الذي كان في هذا الوقت ملكا (٩٠ - ٩١) لكل رومانيا (١٠)

والآن عندما تسلم القلاع والمدن عقد مجلسا استشاريا سريا مع أركانه (١١) من النبلاء حول أية ذريعة يمكن أن يجدها للانسحاب من الحملة الشامية ، وعدم القيام بأي مخاطرة . ثم اجتمع الملك مع الأمراء والنقباء والقادة في جيش الفرنج وتكلم بهذا معهم ، وهذا ما قاله لهم : « أولا أشكر الرب ، وأشكركم ثانيا أيضا لأدكم ساعدتموني وقد استعدت ولا يأتي الموروثة ، ثم التمس منكم ، أن يكون بمشيئتكم أن تعطوني شهر زمان أتخلف فيه لأمون القلاع التي ربحتموها ، وحتى أعد جيوشي للذهاب معي ، وسأكون مستعدا بسرعة لامضي إلى هناك لأجركم » والفرنجة كمسيحيين لم يكن لديهم شك في وجود خدعة ، قد صدقوا قوله واستأنذوا منه واجتازوا أرمينيا ، ونهبوا إلى انطاكية وتخلف الملك ، لقد خدع الفرنجة وأخل بيمينه الذي أقسمه وأخفق في الالتزام به ولم يذهب معهم كما تعهد لهم . انظر هذه الجريمة التي ارتكبها هذا الملك ، لقد لأمه واستهجن فعله رجال العالم كلهم ، وعندما ذهب الفرنجة إلى انطاكية ، تعرضوا لكثير من الصعاب قبل الاستيلاء عليها (١٢) والآن وقد أخذوا مدينة انطاكية أمضوا الشتاء هناك حتى شهر آذار ، ومن هناك خرجوا إلى الأماكن السورية وهم ينهبون ويستولون على المدن والقلاع . وخاضوا معارك كثيرة مع العرق

البربري ، كما وجبناه مكتوبا بالتفصيل في كتاب الاستيلاء (١٣) الذي وضع في ذلك الوقت في سورية ، واني اكتب هذه الاشياء في الحقيقة حتى تعلموا (٩٢ - ١١٥) ولكن بشكل ملخص ، لاني احاول العودة إلى قصتي .

والآن وقد توغلوا بهيدا في سورية ذهبوا مباشرة إلى القدس وحاصروا المدينة وبخلوها ، وعندما وصلوا إلى قبر المسيح قدموا الشكر وأنشدوا الأناشيد للصانع والخالق ، وتشاور القادة حول من يجعلوه ملكا ، وكان هناك متنافسون كثيرون (حول هذا المنصب) لأنه كان لهم مجدا عظيما ، ولكن الأكثر حكمة والعموم منهم اختاروا غودفري دي بوليون (١٤) ملكا ، لأنه كان الأحكم والأكثر فضيلة بينهم جميعا ، وجعلوه أميرا وملكاً على سورية (١٥) والآن إنه كرجل حكيم قبل الحكم ولكنه لم يتنازل بأي حال عن رفض أن يضع التاج الذهبي فوق رأسه قائلا أنه لم يكون جديرا به كما أنه ليس مناسبا أن يتوج رجل خطاء هناك حيث توج المسيح بتاج من شوك .

والآن بعدما بدأ سادة حكم الاقطاع الفرنجي في الانتشار في مملكة سورية ، كما أخبركم ، لم تمض خمس سنوات أو عشر حتى شرعت هشود هائلة من مملكة فرنسا (١١٦ - ١٣٨) وانكلترا ومن مختلف الممالك الأخرى في الغرب مع كل الذين يحبون المسيح وكانوا يلتهمسون التقوى ، وأعداد كبيرة من الفقراء والأغنياء (بكثافة عظيمة) مع القوات التي لم تتمكن من العبور (بسبب نقص السفن) شرعت بالذهاب إلى سورية حيث قبر المسيح ، وكانوا يذهبون إلى هناك مع عائلاتهم ويستوطنون ، بعضهم للعبادة وآخرون سعيا وراء المجد .

والآن وقد مرت مئة سنة كاملة منذ جرى ذلك العبور كما أخبركم كانت السنة في حينه ٦٧١٦ . منذ خلق العالم (١٦) هكذا كان رقم السنة ، والتقى أولئك الكونتات الذين سميتهم هنا مع بعضهم

بعضاً ، ومع رجال أعظم منهم من الغرب ، أو أدوا معاً القسم ، وانضموا إلى الحملة ليقدموا بها معاً إلى أرض سورية ، وإلى القدس إلى قبر ربنا (١٧) (١٣٢ - ١٦٤) وكان الأول هو بلدوين كونت فلاندرز ، وكان الثاني يدعى كونت شامبين ، وكان الثالث كونت طولوز (١٨) والآن فإن العديد من القوات والاعلام (١٩) التي كانت في هذا الاجتماع وتلك الحملة ، لا يمكنني أن أعدها بسبب الكتابة الكثيرة (التي تتطلبها) وتشاور كل القادة معاً حول من يكون قائداً على الجيوش ، وبناء عليه اختاروا الكونت الشامباني لأنه كان أكثرهم دماثة في الخلق ومهارة في استعمال السلاح ، وكان شاباً في الخامسة والعشرين ، وبناء على دعوة القادة جميعاً قبل المنصب ، واخذه متلفها ، ثم قرروا بالتشاور ان يذهبوا كل الى اراضيهِ للاستعداد للحملة ، وفي السنة التالية في بداية نيسان يجتمعون معاً للذهاب الى سورية .

وعندما تفرقوا ، ذهبوا الى اراضيهم ، ولم يكن قد انقضى شهر أو شهران بخرابهم كان أن توفي الكونت ، ذلك الرجل الرائع ، الكونت الشامباني وتفجر الحزن والذواح بين جميع الحجاج وبسبب شدة أساهم كانوا على وشك التخلي عن الحملة والعبور ، تمعن في الشر الذي حل بموت الكونت . ثم حيث أن الرب أراد أن تسير الحملة ، وحتى لا يتردد هذا العدد الكبير من الرجال العظام بسبب الشك ويتخلفوا ويتخلوا عن هذه الرحلة الطيبة ، ظهر من بينهم فارس صالح ، وكان رجلاً نبيلاً وحكيماً فوق التصور يدعى جيوفري وكنيته فيلهارين (٢٠)

وكان مارشالاً كبيراً لشامبين (٢١) . وكان الناصح (٢٢) والمستشار الأول (١٦٥ - ٢٠٩) الكونت شامبين طيب الذكر ، الذي نصحه بالقيام بالحملة. وعندما رأى حكم القضاء ، بموت الكونت ، تولى امر تلك الحملة. وقد اُفتى كرجل حكيم بأنه سيكون أثماً اذا تم التخلي عن الحملة وتحرير المسيحيين بسبب موت رجل واحد ، وسيكون موضوعاً للوم والاستهجان.

وأخذ اثنان من فرسانه من المجلس وترك شامبين وذهب الى فلاندرز حيث وجد الكونت بولدوين شديد الأسى للموت الذي قضى على كونت شامبين ، وعندما ندبته الاثنان معا ، واجبه السيرجيوفري كرجل حكيم الكونت ، وكان يعرف الكثير مما يقال والكثير مما يشير به حتى أنهما صمما من جديد على أن تنفذ الحملة ، وبعد أن قرر أن ينفذها ، أعطاه كونت فلاندرز فارسا ليصاحبه الى كونت طولوز ، وأخذ الطريق على الفور وذهب الى بروفانس ووجد الكونت محزونا ، وكان بالغ الأسى من جانب على وفاة كونت شامبين ومن الجانب الآخر كما قال بسبب الحملة التي تم التمسك بها ، وكان قد تآذى تماما ثم ان السيرجيوفري الرجل الحكيم بدأ في تهدئته ، وأعلمه بأن الكونت بلدوين أمير فلاندرز رغب وعزم من جديد على تنفيذ الحملة ! ولهذا السبب أرسل الى هنا هذا الفارس معي أيضا ، وإني معه لاعلمكم (برغبته) بأنه إذا كنت تريد أن تجتمعا في أي مكان تقررانه ، وأن تكتب للآخرين من المرتبطين بالقسم نفسه حتى يحضروا هم أيضا معكما لتجتمعوا معا لتحددوا وما عليكم أن تفعلوه.

والآن إن كونت طولوز كرجل حكيم ، وقد سمع كلمات واقتراحات السيرجيوفري ، أذن وبخل في خطته ، ثم قررا أن يلتقا ، لماذا يجب أن أخبركم بالتفاصيل الكثيرة إذ ربما تملون؟ لقد التقي الكونتان في بيرغندي ، وتشاورا معي ومع الحجاج حول من سيكون قائدا للجيش وبناء عليه أعلن أحكم الحجاج . واتفقوا على تعيين بونيفيس وكان مركيز —ونترات (٢٣) وكان أميرا عظيما ، وجنديا شهيرا في الحقيقة ، والأول في كل ايطاليا ، وكانت لديه سلطات هائلة وجيش كبيرة (٢١٠ - ٢٤٦) وحدث أن اخته كانت ملكة فرنسا .

وبناء عليه طلب الكونتان مع الآخرين أيضا على اختلافهم ، وقادة الحجاج من السيرجيوفري أن يذهب الى المركيز ليحثه ، ولطالبته بالموافقة على تولي القيادة ، وأن يمضي معهم الى

سورية ، ليكون الأول بينهم جميعا كرئيس وقائد لسائر الجيوش ، وأعطاه الكونتان فارسا عن كل واحد منهما ، وأعطياه وعدا أنه أيما يتخذ من الترتيبات فإنهما سيصدقان عليه ولن يبطلاه مطلقا.

وبناء عليه ودعهم السيرجيوفري وأخذ فارسي الكونتين ونهب مباشرة الى حيث كان بونيفيس ، فوجدوه في لاتسا (٢٤) وهي مدينة كبيرة ، وعندما نزلوا وألقوا عصا الترحال ، ونهبوا الى المركيز ، وحيوه بلطف نيابة عن هذين الكونتين النبيلين ، وكل من بقي من الحجاج تكلم معه ، وبدأ يخبره بذلك ، وبأنهم سموا أولا كونت فلاندرز وثانيا كونت طولوز ثم النبلاء ، قادة للحملة ، وطلب منه الجميع الموافقة على أن يصبح قائدا لهم ، وقائدا لكل الجيوش ، واختاره الجميع كرجل حكيم ونبييل وأملوا في حكمته وبأنه لن يخدعهم . وأجابهم المركيز كرجل حكيم هكذا : إني أشكر النبلاء وكل الكونتات ، على أنهم تفضلوا بإعطائي المنصب ، ولا يمكنني الآن أن أجيب بدون استشارة وموافقة مولاي الملك وهو ملكي وابن عمي زوج أختي ملك فرنسا ، والملكة كذلك وهي أختي (٢٥) وبناء عليه لحبي له كحبي لشرفي ، فلندعهم يتحملون ممي قليلا حتى يمكنني الذهاب اليهم طلبا للنصيحة والجواب الذي سيوجهونني به لاعطائه (٢٤٧ - ٢٨٥) بعد ذلك سوف أعود وأعطيهم جوابا .

واستعد المركيز على الفور ، وغادر لاتسا وعبر الجبال التي تفصل فرنسا عن لومباريا وسافر حتى دخل فرنسا ، ووجد الملك في باريس وكذلك الملكة وحياهما معا ، حيث دخل فرنسا ، ووجد الملك في باريس وكذلك الملكة وحياهما معا ، حيث أنهما كانا هناك ، وكانا سعيدين جدا عندما رأيا المركيز . وسألته الملكة : ماذا تريد هنا يا أخي؟ إني مندهشة جدا من أنك جئت الى هنا ، فلم أرك تحضر الى مملكة فرنسا لترانا عندما كنت أشعر بالوحدة أكثر في حياتي.

- ٤٧٤٢ -

فروى لكليهما بتفصيل كبير ، وأخبرهما بالسبب مع مشكلة لماذا قدم اليهما وهو أن الكونتات النبلاء الذين أقسموا بالمسيح على الذهاب الى سورية ، طلبوا مني أن أذهب معهم الى قبر الرب كقائد للجيش وإني لن أعطي بأية طريقة جوابي بدون نصيحة وموافقة منكم ، فأنتم سادتي ، لهذا السبب جئت لأراكم ، ولأعرف رغبتكم مع أي جواب تأمروني بإعطائه ، وأجابه ملك فرنسا على الفور وهكذا خاطبه : أشكرك يا أخي ، مركز مونتفرات على القرار الذي اتخذته بالمجيء وطلب النصيحة منا نحن الذين نحظى بمحبتك ومن أقرباءك ، والآن يبدو لي أن شرفك عظيم عندما يعينك مثل هؤلاء الرجال العظام ويطلبون منك أن تكون أميراً وقائداً وحاكماً ، وعليك أن تشكر الرب وأن تشكر حظك الطيب ، وبالنسبة لي إنه يسرني جداً وأشير عليك بالقيام به وأن تفعله بشجاعة وإقبال عظيم ، لأنني أعتقد جيداً وأعرف وأقر أنهم بسببي يفعلون هذا ، حتى يتسنى لك الحصول مني على مساعدة وعلى جيش (٢٦) (٢٨٦ - ٢٢٨)

وبناء عليه أقول ، يا أخي إني أمر وأحب أن تفتح خزانتي وأن تأخذ بقدر ما تريد ، وكل من يريد ويتوق من كل المملكة ، له أن يذهب معك الى سورية ، هذا ما أريده وما يسرني ، لأن هذا شرف ومجد لكل أقاربك.

والآن وقد سمع هذا أوما الماركيز ، كرجل حكيم برأسه وأعطى علامة الموافقة للملك ، وشكر الله أولاً وثانياً له ، وأخذ كل ما أعطاه له من الأموال والقوات ، وأستأننه (للرحيل) وودعه وعانق الملكة وقال لها ، سيدتي باركليني ، دعيني أمضي ومعني تبريكاتك ، وبناء عليه استأنن وعاد الى حيث إمارته وأراضيه في مونتفرات ، التي اشتاق اليها كثيراً ، وعلى الفور كتب الرسائل وأرسل الرسل الى كونت فلاندرز ، وكونت طولوز (يعلن) أنه قد عاد من فرنسا ، حيث كان مع الملك ، وأنه كانت لديه الإرادة والهمة لفعل ما طلب منه ، وأن يذهب في صحبتهم الى القبر المقدس حيث صلب المسيح من أجل الجنس البشري ، وبناء عليه أعلم بعضهم بعضاً

- ٤٧٤٣ -

أين يجب أن يجتمعوا للتشاور حول النقطة التي يجب أن يقوموا بالعبور منها : واجتمعوا في سافوي حيث تشاوروا ، وبعد أن تدارسوا توصلوا إلى اتفاق فيما بينهم على أن يقوموا بالعبور من البندقية.

ومن ثم طلب الكونتان كلاهما والآخرين جميعا من قادة الحملة من السير جيوفري رئيس مجلسهم كرجل جدير ، وأحكم وأعقل من في الجيوش جميعا أن يذهب إلى البندقية لترتيب العبور ، وأصدروا أوامر كتابية موشحة بالاختام إليه ، وأعطوه تفويضا بسلطاتهم (٢٧) وأعطوه وعدا بالتصديق وتنفيذ كل ما ينجز ، وأعطاه الكونتان فارسا ممثلا لكل واحد منهما ، وأعطاه الماركيز واحدا آخر ، وكان لدى السير جيوفري اثنان آخران أيضا من أتباعه وأخذهم (جميعا) وانطلق ، وعبر الجبال ووصل إلى بيدمونت ثم إلى مونتفرات وعبر إلى لومبارديا ، ووصل إلى البندقية وحيا الدوج نيابة عن الماركيز والكونتين وعن الآخرين جميعا ، والأول هو الأفضل والأشهر.

وأعطاه السير جيوفري نفسه الرسائل ، وبعد ذلك تحدث إليه ، وقال له شفاها بأنهم قد طلبوا منه كصديق وأخ لهم بأن يرتب لهم (٣٢٩ - ٣٩٥) أمر الحصول على مراكب لينتقلوا بها إلى القبر المقدس للمسيح هناك في سورية وأنهم يطلبون أن يعبر ٨٠٠٠ مع خيولهم و٨٠٠٠ آخر من مشاتهم ، والآن كان دوج البندقية ، سير أنريكو يدعى داندولو وهي كنيته وهكذا كان يلقب (٢٨) .

لقد كان رجلا ساحرا جدا وحكيما واستقبل السير جيوفري بتشريف ، وسر جدا بسماع الرسالة لأنه توقع وخامره شعور بأن البندقية ستلقى تشريفا وفائدة كبيرة من الحملة ، وأمر بأن يجتمع سائر الأشراف والنبلاء كما فعل العامة جميعا في مدينة البندقية ، ودخلوا كنيسة القديس مرقس وبدأ يتحدث إليهم ، أيها

- ٤٧٤٤ -

النبلاء ، الأصدقاء والأخوة ، رفاقي وأقربائي انظروا كيف يحبنا الملك المجيد ، لقد بعث إلينا بالاشرف والمجد والمنافع (ووضعها بين أيدينا) عندما جاءنا زهرة فردسا ، أمراؤها العظام ، يلتمسون منا في مدينتنا ، أن يقدموا المال ونقدم السفن - وعندما سمع النبلاء وزعماء البندقية وأيضا كل العامة ، الذين كانوا هناك معهم الكلمات والمعلومات التي أخبرهم إياها الدوج ، غمروهم السرور وشكروا الدوج على النصيحة والتوجيه الذي أدلى بهما إليهم ، وهللوا له جميعا وأقروا وصدقوا (على توجيهه) وقالوا إنه يجب أن ينفذ دون تأخير

وعندما أقروا وصدقوا سياستهم ، ودعوا السير جيوفري والفرسان الذين كانوا هناك معه كفريق تابع له ، واعطاهم السير انريكو داندولو ، دوج البندقية جوابا ، وهكذا أجابهم : ان الشيء الذي التمسوه كان مدعاة لسرور البندقية ، ووضعوا الشروط ودونوها كتابة ومهروها بالاختام ، واكدوها بمعاهدات عظيمة في هذا المجال ، بأنه اذا انقلب الامر (٣٦٦ - ٤٠٠) ولم يصل عدد كاف من الفرنجة لشغل وسائل النقل الكبيرة (٢٩) التي سيجهزها البنادقة لهم ، فانهم سيدفعون تكاليف السفن التي ستبقى دون تأخير او مماطلة .

وعندما اتموا هذه الاتفاقيات استأنف فرسان الفرنجة وودعوا الدوج وكل البنادقة ، وتركوا البندقية ، وسافروا عبر لومبارديا ووصلوا الى مونتفرات ووجدوا المركيز ، ووصفوا له بالتفصيل الامر والحالة ، وكل مارتبوه مع البنادقة . وعند سماعه ذلك ، كان المركيز مونتفرات راضيا جدا عما انجزوه . وبناء عليه ودع الفرسان بونيفيس هذا المركيز الذي اخبركم عنه ، وعبروا جبال لومبارديا العالية ووصلوا الى فلاندرز ، حيث كان الكونت بولدين الحكيم ، هكذا اخبركم : استفسر منهم مفصلا عما انجزوه في مدينة البندقية ، وعما اذا كانوا راضين عنه وعندما اعلموه بما انجزوا وحققوا ، بداله جيذا للغاية ، وكان بالغ السعادة ، وامر بكتابة

رسالة على الفور الى سائر الممالك حيث كان يوجد كل هؤلاء الحجاج الذين انضموا الى الحملة الصليبية للذهاب الى سورية ، والتي رتبوها مع البنادقة ليعدوا السفن ، حتى يمكن ان يقوموا بالعبور في السنة التالية خلال شهر آذار .

وعندها لسوء الحظ ظهرت عقبة في وجه الفرنجة ، ولم ينطلق الجميع من البندقية ، وتشاور البروفدساليون مع الكونت الذي حدثكم عنه كونت طولوز ، لانها على الساحل وكانت لديهم سفنهم الخاصة لينطلقوا من هناك لانهم اعتبروا هذا مناسبا (٣٠) .

وعندما جاء الربيع ، كما اخبركم الان تماما ذهب كونت (٤٠١ - ٤٣٧) فلاندرز وجميع الرجال من كل انحاء فرنسا وبونيفيس مركيز مونتفرات الى البندقية للقيام بالعبور ، وعندما رأوا ان كونت طولوز مع رجاله وغيرهم من تلك الاراضي كانوا غائبين ، وانه لم يكن هناك عدد كاف من الرجال للمراكب ، هنا قام نزاع كبير مع البنادقة ، لانهم سيمنعون الفرنجة من العبور حتى يفوا باتفاقهم ، اي ان (يدفعوا) تكاليف السفن المتبقية ، والان رفض بوج البندقية كرجل حكيم بقوة هذا النزاع واسرع بحساب كيفية تهدئته (٣١) وفي الوقت الذي اتحدث فيه لكم حول مدينة زارا، وكانت في سكلافونيا، حدث انها ثارت ضد البندقية . فدعا (الدوج) الفرنجة وقال لهم ولبونيفيس مركيز مونتفرات اولا ثم لكل القادة ، وكان مونتفرات القائد الاعلى للجيش ، يليه في القيادة بولدين كونت فلاندرز ، الذي كان الاول بين الجميع : ايها النبلاء اقول لكم اذا اردتم وضع نهاية للنزاع والخلاف الواقع في الجيش ، اذا اردتم ذلك ووعدتم بان تحاصروا بقواتكم زارا في سكلافونيا ، والتي هي الان في حالة ثورة ضلنا ، وان تسلموها لايدي واهل البندقية ، فاننا عندئذ سنجهل تكاليف تلك المراكب التي نطلبها منكم هدية لكم .

وبعد ذلك وافق الفرنجة وصدقوا على ذلك وابرموا المعاهدات

والاتفاقات ، والان صعد دوج البندقية مع جماعته الى السفن التي بقيت ، ورفعوا المراسي وابتحروا من البندقية ، وذهبوا الى زارا واستولوا على الميناء ، وعندئذ نزل الفرنجة بلهفة عظيمة وفي حملة (٤٣٨ - ٤٥٣) كبيرة من الشواني الكبيرة ، وهاجموا المدينة واستولوا عليها بالسيف واعطوها للبندقية وتحلوا من قسمهم وتعهدهم (٣٢) .

والان بدءا من هذه النقطة ساتحول عما كنت اكرر روايته لاقوم بشيء اخر : كيف قامت عقبة امام اولئك الحجاج ، وتخلوا عن رحلتهم الى سورية ومضوا الى حيث غزوا مدينة قسطنطين .

وفي هذا الوقت الذي اتحدث لكم عنه في تلك الايام كان ملك مدينة قسطنطين ملك الاغريق كيراسحق فئاتازس (٣٣) وكان له أخ مليء بالشر كانوا يدعونه اليكسيوس (٣٤) وسمل هذا عيون الملك واستولى على الامبراطورية ، وكان للملك كيراسحق فئاتازس من اخت ملك المانيا ابن رائع يدعى اليكسيوس (٣٥) عندما رأى ان اباه قد عمي (٤٥٤ - ٤٨٤) انطلق من هناك الى المانيا ، وعندما وصل الى خاله الملك ، اخبره بالتفصيل بالامر والحالة ، وبأن عمه الكافر قد استولى على الامبراطورية ، وعندما سمع الملك الان بهذا اسف له اسفا شديدا ، وكرجل حكيم قرر مساعدته ، وبناء عليه قال له : يا بني وابن اختي ، ليس لدي ماأخدمك به فيما اخبرتني عنه ، ولكني سمعت تقارير - احضرت منذ وقت قصير جدا - بان جيش الفرنجة ، الذي كان في طريقه الى سورية الى قبر المسيح ، قد وصل الى البندقية ، ويبدو لي جيدا انكم اذا كنتم راغبين في القيام بذلك وقادرين على الوعد بهذه (الحصيلة) بابا روما ، اذا امر القوات واولئك الحجاج بان يتخلوا عن حملتهم تلك الموجهة الى سورية ، والذهاب الى القسطنطينية لاعادتها اليكم ، وان يستعيدوا امبراطوريتكم حتى يذسنى لكم ان تحصلوا على ولاياتكم : ان تجبروا كل اليونانيين على احترام البابا ، وفي الحقيقة للتقيد في كنيسة روما وان يتوحدوا معنا في الايمان بالمسيح ، وبهذه الطريقة

- ٤٧٤٧ -

امل وأثق بانكم ستحظون بجلالكم . وبسماع هذه الاشياء التي رؤيتها ، وعدهم الكسيوس فاتاتزس الشاب واقسم بان يفعل ذلك . وعندما سمع الملك انه كان يتلف لان ياخذ عهدا على نفسه ، امر بكتابة رسائل الى البابا ، ووجه الرسل وارسلهم اليه ، واوضح له بتفصيل كبير كل مذكرته هنا (٣٦)

لماذا اخبركم بكل هذا ، اذ ربما ملتم ؟ وعندما سمع البابا هذا غلبه السرور وامر بكتابة رسائل على الفور الى الحجاج وارسل احد الكرادلة (٤٨٥ - ٥٤٧) وجعل منه ممثلا له وارسل بركااته للجميع ودعوة بانهم اذا تخلوا عن الحملة الى سورية للذهاب الى القسطنطينية ليعيدوا الكسيوس الابن في الحقيقة للملك اي كيراسحق على عرش الجلالة وتتويجه ، فان كل من يموت في هذه الحملة سينال العفو وتوضع عنهم خطاياهم كما لو كانوا قد ماتوا عند قبر المسيح (٣٧)

واخذ الكاردينال الذي تكلم عنه ذلك المندوب اخذ الاوامر من البابا المقدس وسافر من لومباريا ، ووصل الى البندقية وصعد الى ظهر احدى الشواني ومضى الى زارا ، ومن الاتجاه الاخر وصل الكسيوس فاتاتزس لقد ارسله الملك من المانيا ، وعندما وصلوا الى زارا ، كان هناك اعلان الى جميع الحجاج للتجمع والاستماع الى امر البابا ، وبناء عليه تكلم المندوب اليهم ، وامر بتلاوة وصايا البابا .

وبتفصيل كبير بين لهم الحملة ضد المدينة (٣٨) التي كانت مختلفة تماما عن الحملة ضد سورية ، لانه كان افضل بكثير جمع المسيحيين على الاتفاق وتماثل الافكار وكذلك الفرنجة واليونان بدلا من الذهاب الى سورية بدون امل (في النجاح) وبوغت تماما رجال الجيش ممن كانوا يريدون الذهاب الى القبر المقدس ، ولأن افاضلهم وافقوا على التخلي عن الحملة الى سورية للذهاب الى المدينة فان عددا كبيرا معيناً من رجال الاكليروس عادوا الى

نسا ، وبسبب تعليمات المندوب وبركات البابا ، تطورت عند
آخرين الرغبة في الذهاب الى المدينة .

وعندما رأى دوج البندقية هذه اللفتة (الى القيام بمغامرة
بيدة) وفعل مثله كل رجال البندقية ، اخبروا ونصحوا بعضهم
بأن يذهبوا ايضا الى المدينة ، طالما ان لديهم هذه المراكب
فائضة ، لانه اذا كان لهم ان يعودوا الى البندقية ، فان هذا
يكون عارا ولوما للبندقية ، وبناء عليه توصلوا الى اتفاق ،
أرروا انه من اجل مغفرة البابا بالغ القدسية ، وثانيا من اجل مجد
بندقية فانهم ايضا سيمضون الى هناك في صحبة الحجاج ،
ندما اتفق جميع اعضاء الجيش (٥٢٨ - ٥٥١) غادروا زارا ،
ستعدوا للانطلاق ، وذهبوا راسا عبر رومانيا ووصلوا الى
بينة ، ونزل الفرنجة بسرعة الى البر وبقي البنادقة على ظهر سفن
قل (٣٩) .

ودعوني الان اخبركم كيف تقع مدينة القسطنطينية : يمكنني ان
سبها بشراع سفينة ، لانها مثلثة ، ويواجه ضلعان منها البحر
واجه الثالث البر : ولان المياه الشاطئية التي تحيط بالمدينة كما
برتكم عميقة وعظيمة ومتحدرة وتتساوى في عمقها على طول
بناء مع مياه المحيط المحاذي ، اقتربت الشواني والمناكير وسفن
قل من الشاطئ كما لو كانت قوارب تجديف (٤٠) وبني البنادقة
مبارهم حرفيون بحريون مهرة ، ذوو مكر وحكمة ، وبراعة كبيرة
سورا فوق سفن النقل وبمهارة وحكمة الاقوا بها فوق اسوار
بينة . اما الفرنجة فكانت معركتهم الان فوق الارض ، ولكنهم لم
يدوا باي حال قادرين على اداء المدينة ، لماذا يجب ان اكثر من
عديث فربما تملون ؟ وبخل البنادقة المدينة اولا ، واخذت المدينة
سيف تماما بالطريقة نفسها التي اخبركم بها ، وهرب الكسيوس
رير ، الملك الغادر كيفما امكن له ، وعبر الى ساكوترس وترك
بينة وذهب الى اسيا الصغرى (٥٥٢ - ٥٨٦) .

وبناء عليه هرع النبلاء الصغار في المدينة وقد راوا الاعداد العظيمة للفرنجة الذين يدخلونها ، هرعوا مسرعين الى السجن حيث كان الملك كير اسحق فاتا تزنس وفكوا اغلاله وذهبوا به الى القصر واجلسوه على العرش (٤١)

وعندما سمع الفرنجة بامر الملك ، دعوا السيرجيوفري ، مستشارهم الاول ، وفيما بعد نبلاء اخرين ، وذوي النبالة من الرجال واوزوا اليهم بالتفصيل بان يذهبوا الى الملك وان يحضروا معهم في الحقيقية ابنه الكسيوس ليناقشوا معه بتمعن الحالة والامور ، والترتيبات التي اجراها ابنه مع البابا واذا ما كان قد وجدها مرضية ان يصدق عليها .

وذهب المبعوثون اليه بسرعة ووجدوا الملك جالسا على العرش فحيوه باحترام نيابة عن قادتهم ، واخبروه بالتفصيل والاتفاقيات التي ابرمها ابنه مع البابا في روما (وسألوا) عما اذا كان قد رضىها ويريد توكيدها .

والان بعد هذا اجاب الملك كير اسحق فاتاتزنس بحكمة الملك : « ايها النبلاء والاصدقاء والاخوة ، ايما اتخذ ابني من ترتيبات ومعه اخي ملك المانيا ، اني اريدها واجدها مرضية ، واصدقها معهم ، وسأصدر الاوامر بوضع اختامي عليها »

والان بعد ابرام هذه الاتفاقيات قرر قادة الجيش الفرنجي ، لانه كان بداية الفصل ومجيء الشتاء ان يشتتوا هناك في مدينة القسطنطينية ، وانهم في السنة التالية في بداية اذار سيعودون للانطلاق مع الملك نحو سورية طبقا لاتفاقيتهم (٤٢) .

(٥٨٧ - ٦١٧) وطبقا لارادة وأمر كيراسحق فاتاتزنس توجوا ابنه باعتباره الملك الكسيوس ، وفي هذا تشاوروا مع الملك ، والآن بعد ان توجوا ابنه الكسيوس اميرا وملكا لكل بيزنطة ، ولم يك

يمضي حتى شهرا كاملا - تماما كما اعتاد العرق الاغريقي (٤٣) منذ بداية (الزمان) وكما وصف دوما بالخداع الكثير وعدم الاخلاص العظيم - فانه عندما ذهب بعض النبلاء من قاعة المدينة الى الملك الكسيوس فاتاتزس وخاطبوه قائلين : ايها الملك الحاكم بما ان الرب شاء ان تستردوا سلطانكم فما الذي يدعوكم يامولانا للذهاب الى سورية ؟

ان المسافة طويلة جدا من هنا الى سورية والذفقات والسفن ستكون مبلغا كبيرا ، بل حتى اكثر اهمية ، اننا قد نضيع في بحار المحيط ، او حتى في البر ، ان هؤلاء الفرنجة الذين تراهم غير منظمين وطائشين ايضا ، وكل ما يطرأ على بالهم يفعلونه ، فلندعهم يذهبون في لعنة الرب ولنبق هنا في ديارنا واملاكنا .

ولما كان الملك شابا وعليم الخبرة في طرق العالم سقط في هذه المشورة بسرعة وقال : « وكيف يمكن ان يتم التخلص فقالوا : لنتركهم وحدهم شهرا او شهرين حتى يستنفدوا المؤن التي لديهم وهكذا نقوم بثورة حتى يمكن ان نبيدهم » وعملوا كما اشاروا ، وعندما انقضى من الوقت فترة شهرين قاموا وهم واثقون من فلاح خططهم الحمقاء - فاغلاقوا ابواب المدينة ووزعوا الحراس ، وقتل الفرنجة الذين تصادف وجودهم بداخل المدينة في تلك اللحظة بالسيوف جميعهم (٦١٨ - ٦٥٤) تأمل بالعمل الاجرامي الذي اقترفه الروم ، العاقون تجاه المسيحيين الارثوذكس والرجال الصادقين الذين جهدوا ليضعوا ذلك الملك على عرش الامبراطورية الذي فقده ، ولكن الرب الرحيم العادل في كل شيء ، كان فضله يرضى بان لا يتصادف وجود اي من نبلاء الفرنجة الاغنياء بداخل المدينة في تلك المذبحة حيث لم يكن هناك الا فقراء الناس ، واصحاب الحرف اليدوية .

والان فان رجالات جيوش الفرنجة الذين بقوا خارج المدينة واخبركم بالضبط ، اخبركم به بما حدث لدى سماعهم ورؤيتهم

الانذار ، والقتل والذبح وصياح وصرخات الذين يقتلون ، عملوا مسرعين الى تسليح انفسهم المشاة من الجنود والفرسان وامسكوا بعدد من الروم وسألوهم عن السبب ، وعن سبب قيام الثورة التي قام بها الروم ، وهذه الخيانة التي كاذوا يرتكبونها الان ضد قواتنا . وكل الذين عرفوا اعلموهم بالسبب والمسوغ ، والغاية التي من اجلها قاموا بها ، وترك قادة الجيش الفرنجي البنادقة ليحرسوا البحر ، وقوات كبيرة كثيرة اخرى من جانب اخر ، في مواجهة البر (٤٤) . ونفذت البقية الاخرى من عداد الجيش ابواقها ونشرت اعلامها وفرت سراياها (٤٥) من كل من المشاة والفرسان ، وخرج الجميع من المدينة وبدأوا ينهبون الاراضي وكل القرى والاماكن في رومانيا ، ووصلوا في نهبهم حتى ادرنة (٤٦) وقاموا برحلة مسافة خمسة ايام عن المدينة ، وعندما اكتفوا من النهب وحصلوا على كمية كبيرة من الغنائم ، واخذوا ما وجدوه من اشياء ادركوا انهم ربحوا اكثر مما كان في الشواني وفي كل سفنهم ، وهنا عادوا اثر ذلك ونهبوا الى المدينة .

وعندما سمع الملك كيراسحق فساتاتزس بهذه الاشياء لعنهم بشدة ، وكان شديد الحزن ، ولم يكن يعرف (٦٥٥ - ٧٠٠) أي شيء عن تلك النصيحة التي اعطاها اولئك الذين لعنهم الرب ، اولئك الثوار المتمردين على القاذون لابنه اليكسيوس فساتاتزس ، وأمر باستدعاء ابنه وأهانته إهانة عظيمة ، وكان غضبه منه عنيفا وقال والدموع تفيض من عينيه الكلمات التالية : قل لي أيها الملعون من الرب أأست ابني ؟ كيف يتبادر الى ذهنك أيها الكافر بالرب وبالقديسين ، هذه الخيانة والثورة التي ارتكبتها تجاه الذين مكذكوك من أن تصبح ملكا ؟ إنك تستحق من الآن فصاعدا أن تعتبر من قبل الجميع مثل ذلك يهوذا الاسخريوطي الخائن الذي ارتكب خيانة بحق الرب له المجد ، واني أمرك أن تخبرني على الفور من الذي أشار عليك بأن تقترب ما فعلته ، لقد جلبت الخزي والعار على الامبراطورية وعلى الشعب الرومي . ومن الآن فصاعدا من الذي سيصدق أي رومي .

ولم يجد اليكسيوس من خوفه وارتباكه طريقة لانكار ذلك ، وتكلم وكشف كل أولئك الخونة الذين أشاروا عليه . وأصدر الملك أوامره على الفور فأحضروا أمامه ، فسمّل عيونهم ووضعهم في السجن ، ثم استدعى اثنين من النبلاء الكبار في القصر ، وأمر بتسليط رسائل الى المركيز ومثلها الى الكونتات والقادة الآخرين وكمسوخ له أعلمهم ، مع القسم أنه لم يعلم مطلقا بتلك الخيانة التي اقترفها ابنه وقال : أرجوكم أيها النبلاء أن يسوى هذا الأمر ، ولتنتهي هذه المشاحنات ولنمنع حدوث شيء آخر منها .

لقد وضعت الخونة في السجن وسملت عيونهم ، خذوهم ومروا بمحاكمتهم كمتمردين كافرين بالرب والقديسين ، وأني أعتبر الشروط المتفق عليها بيننا في المعاهدات والاتفاقيات مؤكدة ، وأؤكد أننا سنوفي بها بدون أي خداع ، وليكن السلب الذي قمتم به والأسرى الذين أخذتموهم تعويضا عن القتل من قواكم ، وأما بالنسبة لابني كشاب عليم الخبرة في أمور الدنيا ، فاني أرجوكم أيها النبلاء كأخوة وأصدقاء ، أن تصفحوا عنه ودعوه يموت معكم ، وأن يكون كأخ لكم من الآن فصاعدا ، وليكن هناك سلام بيننا وحب وانسجام وامضوا شتاءكم معنا في المدينة ، وفي الربيع اذهبوا الى سورية ، وسيذهب ابني معكم طبقا لاتفاقيتنا .

(٧٠١ - ٧٣٩) وبسماع هذه الكلمات ، تشاور النبلاء في جيش الفرنجة وتوصلوا الى هذا الاتفاق : أن يكون هناك سلام بينهم كما كان من قبل ، وبناء عليه أمضوا الشتاء وجاء شهر آذار ، واستعد الفرنجة للذهاب في رحلتهم الى قبر المسيح . ثم ذهب الملك اليكسيوس اليهم وقال لهم وهو يتوسل اليهم : أيها النبلاء ، والأصدقاء ، والأخوة ورفاقي الأحباء ، إنكم تعرفون جيدا الشيطان ، الذي سبب لي كل هذه المتاعب في زمان شبابي ، حسنا إنني أعتبر نفسي مبتدئا في كل أموري وليس لدي الأشياء التي احتاجها بالطريقة التي أرى أنها موائمة لهذه الحملة ، وعلاوة على هذا أخبركم بشيء آخر كنصيحة لكم ، بسبب

النزاع الذي جرى ، إن الروم لم يستعدوا للانضمام الى الفرنجة ولهذا أقول لكم ، إنني أتوسل اليكم بحرارة ، أن أحصل منكم على خمسة عشر يوما ، منحة لتحضير جيشي والحقاق بكم . وأقر الفرنجة هذا ، وبدأوا انطلاقهم : ومروا بهرقلية (٤٧) وهم يتوقعون دائما وصول الملك اليكسيوس فانتازس في وقت قريب .

اسمعوا جميعا ، فرنجة وروم ، وكل من يؤمن بالمسيح وعمد ، تعالوا واسمعوا هذا الموضوع الكبير ، عن الروم وعدم إخلاصهم من الذي سيضع فيهم الثقة ، ويثق في قسمهم ، طالما أنهم لا يحترمون الرب ولا يحبون حاكمهم ؟ أنهم لا يحبون بعضهم بعضا سوى نفاقا .

عندما رحل الفرنجة من المدينة فان رجلا ثريا نبيلاً معروفا من المدينة كانوا يدعونه مورتزوفلوس (٤٨) وهذا كان لقبه ، رأى أن الملك قد عمي وأن ابنه اليكسيوس صغير السن فخطط ليستولي على العرش بالحيلة ، فدعا بعض الأقارب والأصدقاء والجيران والبائسين والجشعين وتشاور معهم ، ثم اعتقلوا اليكسيوس ، الملك وقتلوه ، حيث وجدوه وحده ، فذبذبه وتوجوا مورتزوفلوس ووضعوا التاج على رأسه ولقبوه بالملك ، وهكذا أعلنوه امبراطورا ، وحدث الآن بعد ذلك أن بعض رجال المدينة وقد رأوا هذا وسمعوا مقتل الملك الرائع جهزوا بأسلحة ذات اثنين وخمسين مجدا وثلثة أسلحة ، وأبحروا مجسدين حتى أدركوا الفرنجة الذين كانوا في طريقهم الى المواقع السورية ، وأخبروهم بالتفصيل بقصة موت الملك ، الذي قتل وبأن الخائن مورتزوفلوس قد استولى على العرش ، وبسماع الفرنجة لهذا اكتأبوا كثيرا ثم تشاوروا معا حول مايجب عمله ، لماذا أخبركم بهذا كله وأزوقه ؟ وبسماع هذه الأشياء دهش نبلاء جيش الفرنجة دهشة كبيرة وحزنوا حزنا عميقا ، وبدأ أكثرهم حكمة يتكلم ويعلن أن الروم مع تقديرهم لذواتهم مجردون من الشرف (٤٩) من الذي يثق برومي سواء بالكلام أو القسم ؟ إنهم يقولون بأنهم مسيحيون

يؤمنون بالرب ، ويلمزوننا نحن الفرنجة ويوجهون لنا اللوم ويدعوننا كلابا ، ولأنفسهم وحدهم يوجهون فقط الشاء وهم يبالسون الاتراك ويؤاكلونهم ويشاربونهم ولا يقولون شيئا (ضدهم) ولا يلومونهم ، وإذا كان عليهم أن يأكلوا معنا فإنهم يتأففون كمن يتجرع الفصص (٥٠) ، وإذا حدث أن ذهب أحد الفرنجة الى كنيسةهم من اجل القباس (٥١) ، فإن كنيسةهم تبقى أربعين يوما دون أن يخدم فيها قداس ، استمع الى الهرطقة التي يتمسك بها الروم ، إنهم هم أنفسهم ، وهم فقط من يستحق الحمد وهم يبخوننا نحن الفرنجة (٧٧٢ - ٨١٧) ويلوموننا نحن الذين نتمسك بالعقيدة وبشريعة المسيح تماما كما علمنا ، لأن الحواري الأول كان القديس بطرس الذي توجه المسيح قائدا لكل الدنيا ، وأعطاه هو نفسه مفاتيح الفردوس ، وأعطاه سلطة للربط والحل في كل ما يفعل على الأرض ، وسوف يؤكد في السماء .

والآن ان هذا الحواري كرجل حكيم - ولديه تأييد المسيح وأمره أيضا - ولأنه في تلك السنوات كانت روما تحكم العالم ، كل العالم (٥٢) حقا ، ولنبذ الأوثان والكفر لدى السلالات ولتوسيع كنيسة المسيح ودفنيتها ذهب الى هناك وأقام عرش الكنيسة ، وهناك صلبوه لاعتقاده بالمسيح . وتلاه بعد ذلك عدد كبير من الباباوات ، الذين حافظوا على كرسي كنيسة روما . والآن يتمسك الفرنجة والروم بعقيدة واحدة ، فأساقفة النبا كلها من الفرنجة والروم والبطاركة والأساقفة وزعماء العالم (المسيحي) كل منهم يرسم من قبل ذلك الذي هو البابا الأسقف لكرسي روما ، والآن وبعد سنوات عديدة فإن أولئك الروم الذين يدعون الهيلينيين ، وهكذا كانوا يسمونهم - كانوا متباهين وما يزالون يحتفظون بهذا - وأخذوا من روما اسم الروم بسبب هذا التباهي والتعاطي والتعالي ، وقد تخلوا عن شريعة كنيسة روما ووقفوا منشقين ويتفاخرون فقط بأنهم كذلك ، انظروا أيها النبلاء الطيبون الى غدرهم ، إنهم يقولون أنهم مسيحيون وهم لا يتمسكون بالصدق ، ولا يحافظون على قسمهم . إنهم لا يخافون الرب ، وكل

مالسبهم هو التعميد بالمسيحية ، انظروا بماذا تروحي كتبهم وكتاباتهم ، لقد شوهوا وحرفوا التعاليم التي لقنها الحواريون الاثني عشر ، والانجيليون الاربعة ، الذين ذورونا ، والأعمال التي أنجزوها في ذلك الوقت في العالم عندما كان المسيح حيا يسير فوق الأرض ، فضلا عن التعاليم التي لقنت لنا بأن علينا أن نحافظ على شريعة الكنيسة ، كل هذا شوهوه عندما انفصلوا عن كنيسة روما ، وهي كنيستنا الكاثوليكية وتخلوا عن الترسيم من قبل البابا الاقدس ، وهم يرسمون الآن بأنفسهم بطريركهم ، حسنا بما أنهم لا يحترمون كنيسة روما لماذا نذهب الى سورية ولماذا لانعود لناخذ من الكفار ولاياتهم طالما أنهم خذقوا مـولاهم وسبيدهم الملك ؟ (٨١٨ - ٨٥٥) وايضا انظر عدم إيمانهم ، ان الملك الذي كان سيدا طبيعيا لهم ، بالحسد والتحريض على الفتنة والعصيان ، ذبحوه وقتلوه ، من الذي يصدقهم ويثق بقسمهم أو بكلامهم ، من الذي سيقتبرهم مسيحيين كما يقولون ويتمسكون ؟ إنهم مسيحيون بالقول وينقصهم العمل ، العنوا المسيحيين الذين يصدقونهم ، والآن وقد نعى الفرنجة الملك وعبروا عن شكوايهم وعن أفعال الروم بدأوا يتشاورون كيف يتصرفون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يتوجهوا الى سورية ، وآخرون أكثر حكمة قالوا ونصحوا هذا المجلس كما اخبركم قائلين : طالما أن الروم الكفار أولئك العصاة المتمردين قتلوا ملكهم ، السيد الشرعي لهم ، الذي كان يجب عليهم أن يعتبروه الثاني بعد الرب فقط ، وأن لا يتركوا لغيره حقا مشروعا في حكمهم ، بدلا من الذهاب الى سورية التي لم نتملكها (٥٣) دعونا نعود الى المدينة ونقاتل بأسلحتنا • واذا شاء الرب واستولينا على مدينة القسطنطينية فلنحتفظ بإمبراطورية الروم كلها •

وبناء عليه توصل جميع القادة الى اتفاق ومعهم العامة وكذلك الجيش الفرنجي ، وقد أعدوا السفن وعكسوا الأشرعة ، لماذا اخبركم بكل هذا ؟ حتى لقد انهكت نفسي جدا ، لقد عاد فرنجتنا الى المدينة ، وعندما وصلوا الى الميناء ، طوقوا المدينة من البر

والبحر ، ولقد خطط الفرنجة استراتيجيتهم كما فعل البنادقة ، ومعهم كان البروفنساليون واللومبارديون مع مونتفرات . وأعدوا كل المنجنيقات (٥٤) على طول الجانب الأرضي من المدينة ، ووزعوا الفرق وبدأوا الهجوم ، وبسبب العدد العظيم من القسي العقارة والذشاب (٥٥) لم يعد أحدهم يمكنه أن يقف فوق أسوار مدينة القسطنطينية (٨٥٦ - ٨٨٧) وكانت لديهم أيضا سلال خشبية مقواة جيدا بالحديد ، وقد وضعوا هذه السلال على الأسوار ليصعدوا عليها ، وترجل الفرسان عن خيولهم وما أن رأوا السلال حتى هرعوا إليها وتسلقوها . وكما أقول لكم بالاضبط أخذت المدينة في هذا الوقت ، وبخل الفرنجة أولا من البر ، ثم بخل البنادقة من سفن النقل من حيث طوقوا المدينة من البحر ، وليكن معلوما ليكم إذا أن المدينة أخذت عندما أخذت لأول مرة من قبل البنادقة في اليوم الرابع من تشرين الثاني والاستيلاء الأخير والثاني على المدينة حدث بدوره في الرابع من نيسان . (٥٦) .

وبسبب كثرة القوات وشدة الهجوم لم يتمكن أحد من الهرب بأي وسيلة من المدينة ، والآن أسروا الكافر الفادر مرتزوفلوس (٥٧) وأحضروه إلى قادتهم لحاكمته ، وكان الكونتات النبلاء سعداء بهذا ، وثار الهرج والمرج والمنازعات حول أية عقوبة عليه معاناتها ، وحدث أن كان في المدينة رجل مسن موثوق ، وكان رجلا حكيما وعالما جدا ، وعندما سمع أن الفرنجة يريدون معاقبة ذلك الكافر مرتزوفلوس ، الذي أهداكم عنه ، هرع إلى القادة ، الذين كانت لهم السيطرة على الجيوش (٥٨) . وبدأ يخبرهم ويعلمهم بأن ملكا معينا يدعى كيرليو (٥٩) ، وكان فيلسوفا مهولا وكانت له نبوءات - وقد بنى أشياء كثيرة في المدينة . وتحققت له بعض الأشياء في أزمنة متوقعة ، وكانت أشياء أخرى ما تزال تنتظر أن يأتي زمانها (٦٠) وقرب واجهة كنيسة .

(٨٨٨ - ٩١٦) سانت صوفيا نصب عمودا رائعاً ضخينا وعاليا : ونقش عليه حروفا تقول ، كما أقول لكم : من فوق هذا

العمود سيشنق الملك الكافر لمدينة القسطنطينية (٦١) ، وهكذا يبدو أيها النبلاء أن النبوءة ستتتحقق ، طالما أن لبيكم العمود والمعاصي ، فلننفذ نبوءة الفيلسوف ، وعندما سمع النبلاء هذا ، دهشوا جداً ، وأخذوا الرجل العجوز ليريهم العمود ، وعندما وصلوا إليه وتفحصوه دهشوا وسروا أيضاً لأنهم وجدوا طريقة موائمة لتنفيذ الحكم العادل في الخائن ، وعليه أمرؤوا بإحضاره وهناك رفع إلى الأعلى ، وألقوا به إلى الأسفل من فوق قمة العمود وظهرت الشياطين التي أخذت روحه (٦٢) .

والآن بعد اعدام المعاصي ، فإن كل النبلاء العظام من قادة الجيش ذهبوا إلى قصر الملك وتشاوروا معاً صفيهم وكبيرهم في كيفية التعامل بصورة واقعية مع ولايات الامبراطورية (٦٣) وكان هناك كلام كثير قبل أن يتخذوا قراراً في المشكلات ، وفي النهاية قالوا وأكدوا مايلي : منذ أن كانوا في طريقهم إلى سورية ، أمرهم البابا الأقدس بأمر رسمي عظيم بالتخلي عن تلك الحملة وبأن يذهبوا لاجلاس الكسبيوس فأتانزس على عرش الامبراطورية ، وأنهم قد وضعوه ، وحيث أنه بعد ذلك قد ذبح وقتل من قبل شعبه ، العرق الرومي وأنه لم يكن هناك أحد غيره بينهم جديراً بالحكم إذا لنحتفظ به لأنفسنا ولنابق هنا ، بالحق أخذناه بجسد السيف ، (٩١٧ - ٩٥٧) والآن بعد أن وصلوا إلى هذا القرار ، كما أخبركم تماماً ، عقدوا عندئذ مجلساً لانتخاب امبراطور (٦٤) واختاروا اثني عشر نبيلاً من أصحاب الجدارة والأهلية ، والأكثر حكمة ، ستة منهم كانوا أساقفة ، وستة من قادة الفرسان ، واتفقوا تحت القسم على انتخاب امبراطور دون نية شريفة أو خداع .

وتشاحنوا مع بعضهم بكلام كثير ، لأنهم لم يكونوا متفقين فيما بينهم على اختيار امبراطور ، لأن بعضهم تكلم عن دوج البندقية وأثنى عليه عالياً كرجل حكيم بارع وأعلنوا أنه كان جديراً بأن يكون امبراطوراً ، وبسبب المشاحنات الكثيرة التي جرت بينهم ، ذهب

أحدهم وأخبر دوج البندقية ، ولبالغ حكمته وبراعته في كل شيء ،
أسرع إلى هؤلاء الاثني عشر من الرجال الحكماء ، وطرق الباب
حتى يسمعه وقال لهم مايلي : « أيها النبلاء انصتوا ، نقل أحدهم
إلي تقريراً جاء به أن بعضكم من فضلهم كقبلاء وحكماء عبروا عن
رأيهم : وقالوا لي أنني الرجل المناسب لمنصب الامبراطور ، وبأنني
جدير بأن أصبح امبراطور المدينة ، حسنا إنني أشكركم شكراً عميقاً
كأصدقاء وعقلاء وأخوة لي ، وليرد الرب عليهم ما قالوه لي حتى أنا
أخوهم ، وإنني مع ذلك بنعمة من الرب ومجده لأجد في نفسي ، وهذا
ما أقوله في نفسي نقصاً كبيراً في المحاكمة حتى لأعرف أنه قد قام في
سكان البندقية أناس من ذوي المعرفة العظيمة والخبرة العسكرية
كما في أماكن أخرى ، ولكن ما من أحد منهم وصل إلي مثل هذا المجد
في أن يتوج بتاج امبراطور ، وبناء عليه أتوسل إليكم كأصدقاء
وأخوة أن تتركوا الخلافات والمشاحنات ، لقد انتهى الكلام ،
وبالنسبة لمن تكلموا عن جعلي امبراطوراً ، إنني أخذ كلامهم
ومثاقهم الذي نطقوا به وأضيف إليه قولي : ولنضم إلي الآخرين
ونوجه الاثني عشر منا معا ، والاقتراع (٩٥٨ - ٩٩٣) لانتهاء
الامر ولنتخب الكونت بلدوين امبراطوراً فهو أمير عادل ، وأمير
فلاندرز لأنه جدير ونيل وخبير في كل شيء وهو بين كل الموجوسين في
الجيش الجدير بأن يكون امبراطوراً ، وبسماح هذا الكلام وبناء
عليه توصل الاثني عشر الذين حدثتكم عنهم ، والذين اختيروا جميعاً
لانتخاب امبراطور إلى اتفاق وصادقوا عليه وخرجوا من حيث كانوا
مجتمعين ونهّبوا إلى قصر الملك ، ودعوا الجيش كله للاجتماع
لسماع الحل الذي تكلموا فيه وأعدوه : انتخاب الامبراطور الذي
كان له أن يهكم .

وعندما اجتمع كامل الجيش في القصور الفاخرة للملك خاطبهم
أبلغ وأحكم الاثني عشر وشرح الامر ، بأنه بخوف من الرب وبسدة
عظيمة اختاروا كونت فلاندرز ليكون امبراطوراً وملكا على المدينة
وكل امبراطورية الروم .

وعندما سمعوا هذه الأشياء كانوا جميعا الصغير والعظيم الفني والنيل ، العامة والجيش في سرور عظيم وصادقوا وأكدوا أن يكون الكونت بلدوين الامبراطور . وأحضرت العبادة والتاج للامبراطور والبس وتزوج كملك وهلل له وعظم بالطريقة الصحيحة المناسبة (٦٥) .

وعندما توجهوا وأصبح امبراطورا نشب شجار ونزاع بين اللومباريين وبين الفرنسيين ، الذين كانوا يرغبون ويريدون أن يصبح المركز امبراطورا ، والحقيقة أن مركز مونتفرات كان قائد الجيش والقوات (٦٦) ، كما أخبركم وبناء عليه حاول السير انريكو دوج البندقية البالغ الحكمة (٩٩٤ - ١٠٢٦) الملقب بداندولو مع لخرين من فئات مختلفة أن يضعوا حدا للمشاحنات ، وأخذ معه كونت طولوز (٦٧) وكان يعرف الكثير مما يقال لتهديتهم ، وتكلم وشرح كرجل حكيم قائلا : أيها الأصدقاء والأخوة النبلاء بما أن انتخاب الامبراطور قد جرى وأنه قد توج وانتهى الأمر وأبرم ، فإن شيئا قبيحا وغير لائق وعارا عظيما أن يقال ويسمع في كل أنحاء الدنيا من كل الناس أنه بعد انتخاب الامبراطور الذي تم بكلمة واختيار مثل هؤلاء الرجال العظام ، وبعد تدوير الامبراطور غيرتم فكركم ، وكما يبدو بسبب الحسد ، وعليه أقول لكم ، إنني أتوسل إليكم أن يختفي النزاع ، إنه ليس لصالحنا ، وحيث أن كونت فلاندرز قد أصبح امبراطورا فليكن مركز مونتفرات ملكا وسيدا ذا لقب وممتلكات موروثية لمدينة سالونيك ، وأن يحكم في كل ما يختص بذلك وبما يستحق له . وبسماع هذه الكلمات صاح أفراد القوات الصغار والعظام والأغنياء والعوام في الجيش الفرنسي بصوت عال : إننا جميعا موافقون على ذلك .

وعندما صدقوا على ذلك وتوجهوا بونيفيس المركز ملكا ، تدوقت المشاحنات وأعقبها سلام ، وبعد هذا وجهوا أولئك الاثني عشرة ، الذين انتخبوا الامبراطور ليقوموا بتوزيع أراضي آسيا الصغرى وكل بلاد الروم ، وكل ما يخص امبراطورية المدينة ، حسب المرتبة

والجدارة لكل واحد ، وتبعاً لعدد القوات التي كانت تتبع كل واحد عند الفزو ، وبالحصص مع الانتباه جرى التوزيع ، وحدث أن كانت حصّة البندقية الربع مضافاً إليه نصف الربع أو الثمن كما يدعوهم بعضهم من مدينة القسطنطينية وكل بلاد الروم (١٠٢٧ - ١٠٣٨) تماماً كما سجلها دوج البندقية في الوثائق وفي تقيير ماتحت سلطانه . (٦٨)

وفي الوقت الذي أتحدث عنه إليكم ، في تلك الأيام كان سيد فالاشيا وكل هيلاس في أرتا ويانينا وكل النيسبوتات ، كان رجلاً يدعى كيريوانس ، وكان لقبه فاتاتزس (٦٩) وعندما سمع وعلم وأخبر أن الفرنجة قد استولوا على الحكم في المدينة ، وتوجوا أمبراطورا ، وأخذوا القلاع ووزعوا مدن كل بلاد الروم ، أرسل بسرعة رسالة إلى كومانيا (٧٠) (١٠٣٩ - ١٠٧٨) وجاء عشرة آلاف كل النخبة من الكومان مع كل نخبة التركمان (٧١) الجميع على ظهور الخيل ، وكانت لديهم أسلحة جيدة أيضاً ، لقد حملوا الرماح (٧٢) وحمل بعضهم الصراب ، وحمل آخرون منهم الهراوات ، وحشد أيضاً القوات في ولايته كلها ، وحشد جيوشاً كبيرة وشجاعة وشن هجوماً عنيفاً لبدء الحرب على الفرنجة ، ولكن لالقيقاتل في الميدان وجهاً لوجه ، بل بالمرء كما هي عادة الاتراك ، والآن بعد أن مر فصل واحد وحل الآخر (٧٣) بالمرء أرسل جواسيسه حتى يحاط علماً في كل الأوقات بما يفعل الفرنجة ، وعندما عرف بمكان بونيفيس ملك سالونيك ، وهكذا كانوا يسمونه ، سار بالليل حتى وصل إلى هناك (٧٤) وخبأ قواته في كمين في أماكن مناسبة ، وحالما بزغ الفجر وبدأ النهار ينبلج ، وجه مئتين من فرسانه الحقيقيين للاندفاع ولينهبوا ماحول القلعة ، فجمعوا الغنائم وأخذوها وهربوا . وإذا رأى اللومبارديون النين كانوا مع الملك هذا ، أخذوا أسلحتهم بسرعة وقفزوا إلى سروجهم ، وخرج الملك نفسه معهم ، كرجال غير خبيرين بالأعمال الحربية عند الروم ، وأخذ حوالي خمسين رجلاً يمشون جيئة ونهايا ، وهرب النين نهبوا الغنائم بها من أجل وضعها في الكمان ، وعليه قفز النين

كانوا يرقدون في مخابئهم من الكمان في كل الجوانب وبدأوا يطلقون السهام على اللومباريين والتف الكومان النين تظاهروا بالهرب وهم يمتطون خيولهم ، حولهم وأطلقوا السهام على الفرسان المقاتلين ، وعندما رأى اللومبارديون وبونيفيس أميرهم ، وملك سالونيك أنهم قد طوقوهم وأنهم يطلقون عليهم السهام ، جمعوا أنفسهم ليعيشوا أو يموتوا معا ، ولكن الكومان والروم لم يقتربوا منهم ، وكانوا يطلقون السهام عليهم من بعيد ، وبهذه الطريقة قتلوهم وقضوا عليهم ، منذ ذلك الوقت خاض الروم بالخداخ والحيلة كما هي طريقة معارك مع الفرنجة نالوا منهم ونيل منهم في كر وفر (١٠٧٩ - ١١٢٧) كما هو شأن المعارك والحملات في كل مكان حتى انقضت ثلاث سنوات ، والآن ، وبعد مرور ثلاث سنوات وأكثر ، أراد الامبراطور بلدوين أن يذهب الى أدرنة ، التي كانت ما تزال مدينة كبيرة ، وحالما ذهب الى هناك ، كما أروي لكم ، أخبر أحدهم بذلك كالوجان حسبا أخبركم سيد الاشيا الذي حالما سمع بهذا ، وعلم به جمع على وجه السرعة ، والاستعجال وبلهفة كبيرة جيوشه جميعا من كل مكان ، ووصل مسرعا الى أدرنة ، وكي لا أهيل عليكم وأبعث فيكم الملل لأنني مثلكم أيضا مللت الكتابة في هذا الا بكلمات قليلة وأكثر اختصارا ، وأنا أخبركم وأعرفكم أنني أكتب اليكم بصدق ، فإنه كما جرى تماما للمركز ، ملك سالونيك كما أخبرتكم ، فقد حدث أيضا لبلدوين امبراطور المدينة ، بالكمان والمؤامرات خدعوا وكسروا وسط الهياج والاضطراب والصياح ، وهم يصرخون ويقولون ان جيوش كالوجان آتية ، وأرسل كالوجان خمسين رجلا اندفعوا ونهبوا الحقول والأراضي حول أدرنة ، حيث كان الامبراطور ، وأعطى الامبراطور أوامره لمارشال له وصلحت الأيواق وقفزوا الى سروجهم ، وكان لدية ستمئة من الفلمنكيين ، وثلاثمئة من الفرنجة ، النين كانوا جميعا من الخيالة المنتهين ومعهم أسلحة ممتازة كما هي العادة بين الفرنجة : وللأسف إن الدمار وقع في ذلك اليوم بين مثل هؤلاء الرجال النبلاء من زهرة فرنسا ، حتى إنهم قتلوا وماتوا بلا حق ، لأنهم لم يكونوا بالمرة على معرفة بالأعمال الحربية لدى

الروم ، وجاء الآن نبلاء أدرنة وقالوا للامبراطور: « سيدنا الامبراطور ، امنع جيوشك من الخروج ، لأن النين تراهم ، ممن جاؤوا ينهبون قد جاؤوا كطعم ، بطريقة مأكرة بالخروج ، وجيوشهم مخفية في كمين وهي تنتظر أن نستدرج اليها ، إنهم الآن لا يقاتلون كما تقاتلون أيها الفرنجة ، تنتظرون في الميدان لترموا رماحكم ، كلا إنهم يقاتلون بالقوس والذباب وهم يهربون وأخذوا ياسيننا الطيب أن تخرجوا في أثرهم ، وإذا كانوا قد أخذوا منا الغنم والخيول والماشية ، فلندعهم يأخذوها بمناياة قرض قد نستريه في فرصة موايته . »

(١١٢٨ - ١١٦٩) وعند سماع ذلك وبخهم الامبراطور على هذا ، وبغضب أمرهم أن لايزيدوا على ذلك ، لأنهم كانوا يقترحون شيئا معيبا جدا ، وقال : بالنسبة لي أن أرى بعيني هنا أمامي أعدائي يقتلون ويدمرون وينهبون أراضي ، وأقف أنا كالجثة ، وأعاني من هذا ، إني أرى أنه من الأفضل ، أن أموت اليوم من أن يبالني اللوم في كل مكان.

وأمر أن تصدح الأبواق ، ووزع الفرنجة في ثلاث سرايا ، والروم في ثلاث أخرى وخرجوا الى الميدان ، وعندما رأى الكومان النين كانوا ينهبون أنهم قد خرجوا اليهم ، غمرهم السرور وتظاهروا بالفرار من القتال بالفنائم التي أخذوها ، وبدأ الفرنجة وهم عبيدوا الخبرة في هذا النوع من القتال في ملاحقتهم ليلحقوا بهم ، وكانوا ثانية وهم يهربون يرشقون بسهامهم الخيول التي يمتطيها الفرسان.

وهكذا استدرجهم بالخدعة حتى أضلواهم وأوقعوهم في الكمين ، حيث خرج الأتراك والكومان مسرعين وهم يطلقون السهام على خيول الفرنجة . والآن توقع الفرنجة أن يخوضوا معهم معركة بالحرايب والسيوف كما اعتادوا ، ولكن الكومان هربوا ولم يقتربوا منهم ، وكانوا فقط يصلونهم بالسهام من أقواسهم وأوقعوا

- ٤٧٦٣ -

بينهم خسائر كبيرة من القتل ، لأن الخيول ملكت وسقط عنها
الفرسان . وكان معهم هراوات وساليف تركي (٧٥) وكانوا
يضربونهم بها على خوذتهم ، وقتلوا الامبراطور وكل
جيوشه ، انظر الدمار الذي حدث في ذلك اليوم ، إن المرء لياأسى على
كل جندي نبيل ، لأنهم ماتوا بغير حق ، وبدون حتى فرصة
للقتال ، وأصيب الروم الذين كانوا مع الامبراطور قرب أدنة
بجراح قليلة ، لأنهم عندما رأوا أن الامبراطور قد قتل ، هربوا
وعادوا فدخلوا المدينة ، وبعثوا بالرسائل الى مدينة قسطنطين بأن
الأتراك قد قضاوا على الامبراطور ، وتصادف في حينه أن كان دوج
البندقية هناك (٧٦) فحشد الجيوش بسرعة (١١٧٠ - ١١٩٦)
ومضى الى أدنة لمساعدة القوات على حماية المدينة ، وفي الوقت
نفسه أرسل بسرعة مبعوثا الى السير روبرت أخى الامبراطور
بلدوين (٧٧) وكان له سلطان على المدن والقلاع في نيمفوس (٧٨)
ولديه جيوش قوية وقادة الفرسان معه ، وحالما سمع وعلم بأن
الأتراك قد قضاوا على الامبراطور زود قلاعه بالامدادات ومضى الى
المدينة ، وكان دوج البندقية قد عاد الآن من كل القطاعات ، وبعث
برسالة الى كل مكان للفرسان القادة الذين كانوا حينئذ يحكمون في
أرض الروم ، وعندما تجمعوا والتقوا معا توجهوا روبرت أخا
الامبراطور بلدوين امبراطورا ، وفي حينه كان للامبراطور السير
روبروت ابن سمويه بلدوين أيضا (٧٩) أصبح امبراطورا وقد
الامبراطورية وأرسل ابنته بعد ذلك ببضع سنوات الى ملك أراغون
(٨٠) لتكون زوجة له ، ورست الشواني في يوننيكوس (٨١) التي
توجد في المورة (٨٢) وهي قلعة ضخمة.

وتصادف أن السير جيوفري أمير المورة هناك ، وكان الأخ
الأكبر للأمير غوليوم (٨٣) وبالحيلة والمكر أسر وتزوج ابنة
الامبراطور روبرت ، وكان الامبراطور شديد الاضطراب عندما
سمع بهذا ولكن فيما بعد توصلوا (١١٩٧ - ١٢٢٠) الى اتفاق
كما ستعرفون هنا في هذا الكتاب فيما بعد في فقرة أخرى .

واقف الآن عند هذه النقطة ، وأريد أن أنهي ما كنت أتكلم عنه من أجل أن أتناول شيئاً آخر ، أن أخبركم بقصة ، قصة عظيمة حول ما فعله الروم عندما سقطوا ، وفقدوا امبراطورية مدينة القسطنطينية . وعليه سأبدأ عند هذه النقطة : اسمعوا حتى يمكنكم أن تعلموا ، والآن في الوقت والفصل الذي استولى فيه الفرنجة على القسطنطينية كما رويت ، وإذا رأى نبلاء الروم هذا وهم زهرة بلاد الروم هناك في آسيا الصغرى ، حيث كانت هيبتهم ، انتخبوا لهم أميراً توجوه ملكاً عليهم الامبراطور كيرثيودورس لاسكارس وكان صهراً للملك كير . اسحق فاتاتزس ، حيث كان قد تزوج من ابنته (٨٤) . وعندما توج ونصب ملكاً ، زود قلاعه بالامدادات واستأجر الجيوش من الترك والكومان ، واللان ، والزيخوي (٨٥) وحتى اليلغار وبدأ بلهفة كبيرة ، في شن الحرب على الفرنجة الذين كانوا في أرض بيمية . (٨٦) هناك في آسيا الصغرى حيث توجد فيلادلفيا ، حيث كان يحكم السير روبرت فلاندرز ، وبامت حربهم ثلاث سنوات (١٢٢١ - ١٢٦٠) وأكثر ، حتى الوقت الذي قتل فيه الامبراطور بلدوين وتوجوا روبرت امبراطوراً ، وعاش الملك لاسكارس ما شاء من السنين والفصول ملكاً صاحب مجد وفخار ، وعندما جاء اليه الأجل العام لهذا العالم ليموت ، مات عن ابن صبي يافع قاهر ، وكان قد أمر باستدعاء كير ميكائيل بالابولوغوس الرجل الأول بين الروم ، حيث كان رجلاً شريفاً ، والرجل الأحكم بين الروم ، وأسلم اليه ابنه أولاً ، ثم حكم كل الامبراطورية ، وتحت القسم تسلم ، سلم له أبا حقيقياً للملك ، وهكذا كانت الأوامر بأن يسمى ، وحالاً توفي الملك أعطى بالابولوغوس الأوامر بتموين القلاع ، ووضع حراساً جيدين ، أقسموا قسم الولاء لاسمه ، وتقبل قسم القادة جميعاً والعموم في كل الامبراطورية أيضاً ، وعندما حاز على كامل السلطة مجد جميع نبلاء الامبراطورية ، ومنح بعضهم هدايا ، وأعطى آخرين مناً ، وحالاً حقق رغباتهم كلها ، خذق وقتل سيده الصغير الابن الحقيقي للملك لاسكارس . انظر الاثم والشر الذي ارتكبه ذلك الحقيير ، بقتل سيده والاستيلاء على سلطاته ، من يسمع بهذا ويقول ، بأن الناس الذين

لا يلتزمون بالصدق ولا بالقسم يؤمنون بالرب؟ لماذا يقسم لك أولئك الذين من السلالات غير المعمة ، وهم حسب عاداتهم وشريعتهم التي يتبعونها يقبلون بالموت ولا يرضون بالحنث بالقسم ولكن الروم الذين يقولون إنهم يؤمنون بالمسيح ، كلما زادوا من قسمهم لك وأكدوا إيمانهم ، كلما كان تأمرهم هناك ضدك أكثر لخداعك ليحصلوا على ممتلكاتك أوليبيدوك (٨٧) وللأسف ماذا يكسبون بالخطأ في حق الرب ؟ وكيف بهرهم تماما الالتم الذي ارتكبوه ، حتى أنه جربهم من ولاياتهم ، وأصبحو عبيدا لكل العالم (١٢٦١ - ١٢٨٨) أي شعوب أخرى توجد في العالم اليوم تباع كعبيد غير الروم ؟ ولكن كما يفعل كل رجل فإنه يلقي.

غير أن القصة التي بدأت أروبيها واكتبها ، سأتابعها حتى أنتهي منها! بعد أن قتل كير ميكائيل بالايولوغوس ، سييده الصغير ، الابن الحقيقي للملك لاسكارس ، واستولى على السلطة على كل الامبراطورية ، جمع الجيوش من الاتراك والامم الأخرى ، وتعهد بحرب يقاتل فيها الفرنجة في أسبانيا الصغرى ، حيث كان له الامتياز.

والآن لم يكن الامبراطور السير روبرت حيا في الوقت الذي أحدتكم عنه لأنه قتل قبل ذلك ببضع سنوات ، وكان ابنه بلدين هو الذي يحكم والذي فقد الامبراطورية بسوء إدارته.

وبناء عليه توصل بالايولوغوس الى اتفاق مع الهيئة الحاكمة في جنوا وأعطاهم غالاتا ، وهي قريبة من المدينة ، عبر الميناء فبنت حيا هناك ومؤسسة كبيرة . (٨٨) وأقسم الجنديون قسما ووقعوا معاهدات مع الملك ، بأنهم سيعدون من دفع العشور (كوميرسيوم) (٨٩) في كل أرض الروم ، فإنهم سيساعدونه بالشواني في كل المعارك وبأنهم سيحصلون على أجورهم كمرتزقة وعلى هدايا إضافية لأنهم كانوا يساعدون بلدين ، وكانوا

يسيطرون على الداخل الى البحر وعلى الطرق البحرية حتى لا تجلب (١٢٨٩ - ١٣٢٤) المؤن الى المدينة من أي مكان .

وعبر مرة أخرى إلى جوار المدينة بأكبر عدد أمكنه أن يحشده من الجيوش (٩٠) وطوق المدينة من البر والبحر ، واذ رأى الروم في المدينة ذلك توجهوا الى تفاهم بسرعة مع بالايوغوس ، واتفقوا قسما ، ووقعوا معاهدات وساعدوه على الدخول.

وعندما رأى الامبراطور بلدوين ، أن الشعب الرومي قد خانته هرب إلى القصور القديمة (٩١) مع كل الفرنجة الذين كانوا معه ، وهناك هاجمه الأتراك والروم ، والآن وقد رأى الامبراطور بلدوين أنهم قد عزلوه في القصور القديمة وكان لديه سفينة شحن منطقة النظير ، وكانت كبيرة وفاخرة فصعد إلى ظهرها ومعه ثلاثة آلاف آخرين وغادروا المدينة مبحرين عبر البحر حتى وصلوا إلى مونمفاسيا وأرسوا السفينة هناك ، ونزلوا منها ووصلوا إلى اليس ، وكان الأمير غليوم هناك في ذلك الوقت ولما سمع بقدوم الامبراطور ، نهب للقائه ، ومجده عاليا كامبراطور (٩٢) وأسرع الامبراطور في الذهاب إلى الغرب بأمل وتوقع بأن البابا مع الكنيسة ، وملك فرنسا يساعده ، ويقدمون له الجيوش ومعونة كبيرة حتى يتمكن من العودة مرة أخرى إلى المدينة ، وعليه فقد بقي الكثير من قواته هناك مع الأمير غليوم متوقعين أن الامبراطور سيجدهم هناك عند عودته التي كان يأمل بها من هناك ، وبقي الذين أسميهم الآن : وكان أولهم السير انسلان ، وكان لقبه توسي ، الذي كان أخا لقيصر المدينة آنذاك والذي تزوج أم السير جيوفري دي تورناي وبقي في الأرض (٩٣) وبعده كان هناك (١٣٢٥ - ١٣٥٤) السير فيلان وكان لقبه دي أودوي . وكان في ذلك الوقت مارشال رومانيا ، واعطاه الأمير أركاديا هبة (٩٤) وبقي دي بلانكنيس برايسر وكان الأمير وأربعة أخوة ، والأغنيس اثنان آخران ، وكان الاسبيناس آخرين ، وبقي هناك مرشحان لرتبة

فارس (٩٥) بالاضافة إلى نبلاء روم لا أسميهم لكم حتى لا أطيل الكتابة . ومن هذه النقطة وما بعدها سأتوقف عندما أخبرتكم به ، حول الأعمال التي قام بها الامبراطور باليالاوغوس وبلدوين لأنني أحاول العودة إلى موضوعي ، كما توليته في بداية مقالتي ، وبناء عليه أنتهي من بداية التمهيد (٩٦)

كيف ربح الفرنجة أرض المورة

إذا كنت متعلما وتفهم ما أكتب لك ، وضليعا في الكتب لتلتقط معنى ما أقول فلا بد أنك قد فهمت المقدمة التي نطقت بها في بداية كتابي ، وأخبرتكم فيها بدقة - كبداية للأساسيات ، لقد أخبرتكم بقصة سورية ، وقصة آسيا الصغرى وقصة المدينة ، وكيف غزا الفرنجة هذه الأماكن ، وأيضا إنني سأتي الآن وأنا أحملكم معي لأخبركم بدقة ، أن الفرنجة غزوا المورة أيضا .

وإذا كانت لديك رغبة في سماع أفعال الجنود الجيدين وأن تعرف وتتعلم ربما تباهج مرادك إذا كنت تعرف الحروف ، وتبدأ بالقراءة ، وإذا كنت من الجانب الآخر غير متعلم فاجلس بجاني واسمع ، وأمل إذا كنت حكيما أن تستفيد لأن الكثير ممن جاء بعدهم بلغوا تقدما أكثر بسبب (١٣٨٣ - ١٣٥٥) روايات الزمن القديم (٩٧) .

وعليه سأبدأ عند هذه النقطة واستمع لما أقول : اختيار كوزن شامبين الرائع - الذي حدثتكم عنه في بداية الكتاب ، والذي بدأ ذلك العبور والحملة مع مختلف النبلاء الآخرين لينهب إلى سورية إلى قبر المسيح - زعيما وقائدا وكبيرا على الجيوش التي كانت لدى الحجاج في ذلك الوقت وسقط ومات كما أخبرتكم (٩٨) وكان له أخوان أخران أصغر منه . وعندما سمعوا وعرفوا أن أولئك الفرنجة الذين كانوا ناهبين إلى سورية

ببركات البابا ، قد تخلوا عن رحلتهم ، وذهبوا إلى المدينة وغزوا بلاد الروم وأصبحوا أمراء تشاروا الأخوان معا على أن يبقى أحدهما في أراضيه الموروثة وأن يذهب الآخر إلى بلاد الروم ليكسب أرضا .

حسننا وكما أن جمال الحظوظ الانسانية والاخوة لا يشبه بعضها بعضا لا في المظهر ولا في السحر فإن أصغر الأخوين كان الأكثر مهارة وحكمة بين الاثنين ، ووافق الأخوان على أن يبقى الأكبر في بلاده ، وهي شامبين ، وأصغر الاثنين الذي يدعى السير غوليوم ، وكان له لقب خاص به ، فكانوا يطلقون عليه السالوث ، سيجد من الجيوش بقدر ما يمكنه أن يأخذ معه ، وأنه سينهب إلى بلاد الروم ليفزو بعض القلاع والمدن ليحصل منها ما كان له (٩٩) والآن (١٣٨٤ - ١٣٩٩) سلمه الكونت كل ما كان لديه من مال وقال له : بما أنني باق هنا كامير في قلاعنا وأملأنا الموروثة ، خذ مالنا وممتلكاتنا المشتركة وانهب ببركاتي العزيزة وبركات أبينا أيضا ، وأمل أيضا أنه برحمة الرب سيكون حظك طيبا (١) .

وبناء عليه جمع واستأجر القوات ، التي أرسلها إلى بور غاندي وذهب عدد كبير من هناك معه ، وحصل بعضهم على أجر كمرتزقة ليأثروا إليه ، وآخرون ممن كانوا قادة الفرسان وكانوا من الناس الأثرياء ، ذهبوا معه ليفزو كل منهم ما يمكنه لنفسه ، وأرسل رسالة إلى البندقية بأن يجهزوا السفن ، وأعد بقدر ما يريد ويحتاج بسرعة ، وفي شهر آذار ذهبوا إلى هناك وعبروا ليصلوا إلى المورة في أول أيار ، ورسوا على الرصيف في مكان يدعى (١٤٠٠ - ١٤٢٩) أخيا ، وهي على نحو خمسة عشر ميلا من هذا الجاذب من باتراس (٢) وبني على الفور قلعة كلها من القرميد . والآن في الوقت الذي تكلم عنه وفي هذا الفصل ، إن كل أرض المورة التي تضم ما يسمونه البلبونيز ، وهكذا يدعونها تحوي على كل اتساعها اثنتي عشرة قلعة فقط .

حسننا وعندها نزلوا إلى البر في أخيا وأخرجوا الخيول من سفن النقل ، ومكثوا هناك يومين حتى يريدوها ، ثم ركبوا خارجين ونهبوا إلى باتراس وطوقوا القلعة والمدينة أيضا ، ونصبوا المنجنيقات حول كل الجوانب (٣) ، وأعدوا الأقواس وبدأوا المعركة ، ومن خلال القوات العديدة والشجاعة في القتال في الهجوم الأول اخترقوا المدينة الخارجية ، وبعد أن استولوا على المدينة توصل الذين كانوا في القلعة بسرعة إلى اتفاق أيضا وسلموا الحصن على شروط الاحتفاظ بممتلكاتهم ، كل واحد بيته وما كان له .

وعندما استولوا على باتراس ، وضعدوا الحراس وزودوا القلعة وكذلك المدينة بالقوات والأسلحة وبما هو صحيح وموائم ، ومن هناك عادوا إلى أخيا وتشاوروا مع الروم المحليين الذين كانوا يعرفون الأماكن وأحوال كل واحد منها ، وتحدث هؤلاء ونصحوهم بأن أندرافيدا كانت أفخم مدينة في سهل المورة (٤) وهي تقع في السهل ، كمدينة مفتوحة وليس فيها أبراج ولا أسوار (١٤٣٠ - ١٤٥٢) من أي نوع حولها مطلقا ، وعليه انطلقوا إلى هناك رأسا ونشروا ألوية كل واحد من الجيوش ، وعندما اقتربوا من أندرافيدا وأندرافيزاوا (٥) ، وعلم أهلها أن الفرنجة قادمون ، خرج النبلاء والعامة مع الصلابان والآيقونات ونهبوا لتقديم الولاء لكونت شامبين (٦) الذي استقبلهم كرجل حكيم جيد ووعدهم بأنه لن يوقع بهم ظلما ، ولن يتعرض أملاكهم لأي ضرر ، بل أنهم سيحصلون على المجد والهدايا ومنافع كثيرة ، وأقسم الجميع له بأنهم سيموتون وهم عبيد له (٧) وعندما أرضى مدينة أندرافيدا تشاور معهم حول الاتجاه الذي يجب أن يسير فيه .

وعليه أعطيت له المشورة بأن يذهب إلى كورنث ، لأنها كانت قلعة حصينة قوية وأجمل ما في بلاد الروم ، وكانت العاصمة التي حكمت بلاد البلابونيز بأجمعها والتي تضمها المورة ، حيث

- ٤٧٧٠ -

أنه إذا كان الرب أن يأنن بخضوع كورنث فإن كل قلاع أرض
الدورة ستؤدي الطاعة بلا معركة أو أعمال بالسيف .

وبعد هذه المشاورة التي تمت كما أخبركم عن القوات التي
كانت ستترك في أنغرافيدا ، وذلك التي ستتنزل في
أخيا (١٤٥٣ - ١٤٨٢) ومجموعة ثالثة لباتراس ، وأمر
السفن أن تخرج إلى البحر ، وخرج هو وبقية قوات جيش من
هوستيقتسا (٨) ومضوا إلى كورنث. وبعد وصولهم إلى المدينة نصبوا
الخيام حولها وعسكروا.

والآن إن قلعة كورنث تقع فوق جرف شديد الانحدار (إنه تل
هذه الرب فكيف سيحمده الإنسان ؟) بينما تقع المدينة في
الأسفل بالوادي ، وهي محاطة جيدا بالأبراج والأسوار ، وحدث
أن كان هناك في الوقت الذي أكتب عنه رجل عظيم وجندي مهول
وكان يسيطر على كورنث وأرغوس كحاكم وسيد شرعي ، وكان
يحكمهم باسم ملك الروم - وكان يدعى سفوروس (٩) وكان هذا
لقبه ، وعندما أخبر بأن الفرنجة قادمون قاد النساء والأطفال
إلى خارج المدينة وكذلك الناس الذين يحملون أسلحة صغيرة ،
وقادهم إلى قلعة كورنث : وبقي في المدينة مع كل الذين يحملون
السلاح للدفاع عن أنفسهم .

والآن بعد وصول كونت شامبين (١٠) إلى مدينة كورنث كما
أخبركم ، ركز قواته وأحاط بها ، وسمح لهم بالاستراحة ذلك
اليوم ، ولكن في الصباح التالي حاصروا بزغ النهار نفخوا أبواقهم
وبدأوا المعركة ، وأطلقوا منجنقاتهم من كل الجوانب على
الأبراج ، ولم تكن الأقواس قاذفة السهام تسمح لأحد بأن يرتكز
على برج الأسوار ليبري من الذي يقذف (١٤٨٣ - ١٥١٠) .

ووضعوا سلالهم على الجدران ودخلوا على الفور واستولوا
على المدينة ، ووجد أولئك الذين استسلموا رحمهم ، والذين

استمروا في القتال قتلوا بالسيف ، وهرب سيفغوروس الذي كان في الواقع رجلا شجاعا مدبرا (١١) ومضى الى القلعة .

وبعد ان استولى الفرنجة على مدينة كورنث أمر كونت شامبنين باصدار إعلان يقول ، بأن الذين من المدن المجاورة لكورنث ممن يقدمون الطاعة ويقبلون به أميرا لهم سيكون لهم حظوة ومنافع .

ولكن الذين يلجأون للحرب لن يلقوا رحمة ، وبسماع ذلك بدأ النبلاء والعامة أيضا يتجهون صغيروهم وعظيمهم من مدينة دامالا ومن مدن بعيدة بعد هاديون أوروس (١٢) وكلهم في لهفة كبيرة واقسموا وتعهدوا أنهم سيموتون وهم عبيد له ، وقلقاهم بسرور عظيم وانتشرت الرواية طولا وعرضا بعد ذلك بأن الفرنجة قد استولوا على حصن كورنث ، وأن لهم أميرا رائعا كانوا يدعونه كونت شامبنين وفي ذلك الفصل من السنة عندما ذهب كونت شامبنين ، ونزل في أخيا كما أخبرتكم من قبل (يبدو لي أنني كتبت لكم في مقدمة الكتاب ، أنه بعد عام واحد فقط في الواقع بعد الاستيلاء على القسطنطينية ذهب كونت شامبنين ليفتزو المورة ، كما أخبرتكم) ، وما أن ذاعت (١٥١١ - ١٥٤٨) الرواية وسمعت تصادف أن كان يونيفيس ملك سالونيك في الاشيا مع جيوشه ، وكان معه هناك ذلك الرجل الجدير بالثناء الذي كان يدعى سيرجيوفري ولقبه فيلهاردين (١٣) وبناء عليه اتفقوا عندما سمعوا الرواية على الذهاب الى كورنث لرؤية كونت شامبنين كما قرروا ذلك في المجلس وهكذا نفذوا ومضوا الى كورنث ووجدوا كونت شامبنين ، وأقاموا احتفالا كبيرا عندما التقوا هناك لأنهم كانوا متلهفين جدا للتجمع مع بعضهم بعضا .

وبعد هذا قرروا بالتشاور أن يذهبوا الى أرغوس ، فأخذوا جيوشهم وساروا الى هناك ، وتقع القلعة على تل ، وهي

محصنة جيدا في حين ان مدينة أرغوس (١٤) الكبيرة تقع في سهل يشبه خيمة مفتوحة ، وبوصلهم الى هناك اشتبكوا في معركة ودخلوها .

وحدث الآن أن سفوروس الجندي الجدير بالثناء الذي كان في حصن كورنث وقد رأى أن جيوش الفرنجة قد رحلت جاء خلال الليل ودخل المدينة بأكبر عدد من الرجال أمكنه أن يحضر معه وأحدث دمارا وفوضى عظيمة ، ومذبحة بين الفرنجة ، الذين تصادف أنهم وملاؤهم الثقة ، كاذوا في المدينة ، وفي الواقع إن الذين كاذوا في صحة جسدية وكان لديهم الوقت ليتسلحوا قد هاذلوا ، أما المرضى وكاذوا يرقدون منفعلين فقد ذبحوا على الفور ، ولم ينج منهم أحد ، وفي ذلك الليلة نفسها أسرع الخبر الى كونت شامبنين ، وقد أخبركم أنه كان هناك في أرغوس ، وكان شديد الأسى والحزن من أجل المرضى الذين ذبحوا في فرشهم ، وغادر مدينة أرغوس وقد تمون جيدا ، وبقي الجند الجيدون لحراستها ، وعاد الى كورنث وبعد أن عاد الى هناك توقف مع ملك سالونيك الأسير بونيفيس هوالى ستة أيام أو ثمانية ، في الواقع أقاموا هناك ، ثم التمس الملك (١٥٤٩ - ١٥٧٤) الان بالانصراف ، وعندها طلب منه كونت شامبنين خدمة ، هي أن يوفر له المساعدة والتموين ، وأن يساعده بطريقة معا من مملكته وكملاك ذبيل حقا وهبه وأعطاه ولاء أمير أثينا ، وكان يدعى السيد العظيم هكذا لقبوه وكان عندئذ أمير أثينا ، وقد أخذوا بالواقع هذا الاسم عن الهالينيين (١٥) وأعطاه أيضا الولاءات الثلاثة لأمرأ يوريبوس وأيضا ولاء أمير بودونستا ، التي كان المركيز يعتقد أنهم يمكن أن يحصلوا عليها منه ، وأن يعتبروه أميرهم (١٦) ولما كان أمير أثينا من بورغاندي فان أمرأ يوريبوس الثلاثية الذين أتحدث عنهم كانوا من فيرو ومن لومبارديا (١٧) وأمر الملك أن يكتب لهم بالذهاب الى كونت شامبنين ، وعندما ذهبوا الى حيث كان كونت شامبنين ، فان

- ٤٧٧٣ -

الملك نفسه سرحهم في سبيل أن يكون كونت شامبنين أميرهم ثم ودعهم ومضى في طريقه .

والآن عندما كان السير جيوفري ، الذي جاء مع ملك سالونيك على وشك الرحيل تكلم معه والتمس إذنه بأن يبقى هناك مع أميره الذي كان يعتبره أميره الشرعي ، وان كونت شامبنين أنا أخبركم كان يتلهف لرؤيته والاجتماع به والبقاء معه (١٨) (١٥١٥ - ١٦١٥) .

وهكذا بعد أن رحل ملك سالونيك وبقي السير جيوفري ، طلب كرجل داهية من النبلاء الروم المحليين ، والذين عرفوا الأماكن والقلاع والمكن في جميع أرجاء البلابونيز الموجودة في المورة ، أن يشرحوا له ظروف وأحوال كل واحدة ، وهالما استلم تماما وعرف ، دعا كونت شامبنين وقال له : أيها الأميراني كغريب حقا عن هذه الأرض قد استجوبت النبلاء الذين معك ، وبما أنني حصلت منهم على المعلومات الصحيحة ، رأيت بعيني قلاع كورنث في أرغوس ونوبليون والقوى التي تمتلكها ، وإذا كان لك أن تبقى لحاصرتها فأنك ستخسر ما تعهدت به وستتضرر ، لأن الحصون قوية وجيدة التموين ولن تتمكن بأي حال من أن تستولي عليها بالهجوم ولكن كما أخبرت من أناس جيدين من باتراس وعلى مسافة تصل إلى كورون (١٩) ان المكن أكثر توزعا ، وهناك حقولا وأماكن مشجرة ، حيث يمكنك أن تمر بحرية مع كل جيوشك ، وعندما تستولي على المكن وتحصل على ولائها ، هل تبقى القلاع وإلى متى تصمد ؟ وعليه مر السفن أن تذهب في البحر ، ودعنا نذهب جميعا بطريق البر ، وبعد أن نصل إلى هناك حيث توجد قواذك في الأراضي التي استوليت عليها ، أمل أن يقدر لك برحمة الرب أن تحصل على ربح كبير .

وبسماع هذا شكر النبيل كونت شامبنين مارشاله كثيرا وأمر بأن تمون كورنث ، وترك جيوشا جيدة لحراسة الأرض ، كما

قال السيرجيوفري تماما وأشار ، هكذا نفذ ونهبوا الى
الدورة ، وخرجوا من باتراس ووصلوا الى اندرافيدا حيث كان
نبلأ سهل الدورة ، وعندئذ جمع السيرجيوفري كرجل حكيم
النبلأ وقال لهم : أيها النبلأ والأصدقاء والأخوة والرفاق من
الآن فصاعدا ، انظروا وخذوا في هذا الأمير الذي جاء هنا الى
أراضيكم ليستولي (١٦١٦ - ١٦٤٨) عليها ، لا تهتقدوا أيها
النبلأ جاء من أجل الأسلاب أو ليأخذ الملابس والحيوانات
ويرحل بعد ذلك من هنا ، اني أخبركم بهذه الحقائق لأنني أرى
أنكم رجال حكماء ، انظروا جيوشه وطلعته النبلأ ، إنه أمير
وأمبراطور وقد جاء ليستولي وليس لديكم أمير يحميكم ، وإذا
كان لجيوشنا أن تتقدم لنهب أراضيكم وتستولي على مدنكم
وتذبح رجالكم فماذا تفعلون بعد ذلك عندما تندمون ؟ وعليه
يبدو لي أنه من الأفضل أن نقيم علاقات ودية ، بحيث إن يحدث
القتل والسلب وأخذ الأسرى في أراضيكم وممتلكاتكم ، وعلى
العقلاء منكم ممن يعرفون الآخرين من أقاربكم وأصدقائكم
ورفاقكم أن يؤثروا عليهم ليقدّموا الولاءات (٢٠)

وعندما سمع النبلأ ذلك قدم الجميع الطاعة له وأرسلوا
مبعوثيهم الى كل الأماكن التي يهرفون أن فيها أصدقاء وأقرباء
لهم ، وبيّنوا لهم الأمر وأعلموهم به ، وأرسلوا لهم قسولا
رقيقا (٢١) ليأمن كونت شامبنين بأن كل من سيمضي ليقدم له
الولاء سيحتفظون بميراثهم وسيعطيه المزيّد وكل من يستحق
وثبت أنه نافع سيكرم جدا .

وعندما سمع النبلأ والعامّة هذا بدأوا يدخلون وقدموا
الطاعة جميعا ، وعندما اجتمعوا في اندرافيدا عقد نبلأ اليس
وكل ميزاريا (٢٢) اتفاقا مع كونت شامبنين بأن كل النبلأ
الأدنى الذين يملكون اقطاعات على كل منهم الالتزام بالبيعة
وبالخدمة العسكرية المتفقة مع مراتبهم ، وبذلك سوف يبقى له

من الأراضي والباقي وهو القسم الأعظم سيقتسمه الفرنجة بينهم ، وسيبقى الفلاحون في القرى كما وجدوهم (١٦٤٩ - ١٦٧٦) وعينوا ستة من النبلاء وستة آخرين من الفرنجة ليوزعوا الأراضي والاقطاعات (٢٣) .

وعندما أنجزوا ما أخبرتكم به جاء المارشال السيرجيوفري الى المجلس وقال لكونت شامبنين ، يا أمير يجب أن تدركوا وتفهموا أنكم بعيدون جدا عن أملاككم الموروثة وليكن هنا جيوش كثيرة مأجورة ، والسفن تكلف أكثر من القوات ، ولهذا السبب أقول لكم وأنصحكم أن لاتضيعوا وقتكم وقواتكم ، لقد علمت من نبلائكم أنه قريب منا تقع قلعة بونديكوس (٢٤) وهي على الساحل ، فلنذهب الى هناك ، ووراء هذه أركايا (٢٥) وبعدها كورون (٢٦) وعلى بعد قليل فقط منها كالاماتا (٢٧) وتقع هذه القلاع الأربع التي سميتها على الساحل ، وأقول هذا لكم ، يا أمير طالما أن لدينا السفن ، دعونا نذهب الى هناك لنستولي على هذه القلاع ، التي لها موانئ في أماكن مناسبة لنا ونجدها قريبة التناول (٢٨) .

وعندما سمع النبيل كونت شامبنين وبقية القادة الآخرين في المجلس هذه الأشياء شكروا السيرجيوفري ، وأقروا قوله وأعدوا أسلحتهم وكذلك سفنهم ، ووصلوا الى بونديكوس وهاجموها ، وكانت القلعة منخفضة الأسوار فأخذوها بالسيوف ووضعوا بداخلها قوات جيدة كحرس (١٦٧٧ - ١٧٠٢) وعندما تم تموين قلعة بونديكوس ، أبحرت سفنه ومضت في البحر في حين وصل الى أركايا ويابرا ، ووجدوا البحر هائجا ولم يجدوا مرسى للسفن .

وعليه قرروا بالتشاور أن لا يهاجموا القلعة في حينه ، لقد ذهبوا الى هناك وقتها ولكن حيث أنه كانت ليهم السفن للذهاب الى القلاع التي كانت على الشاطئ ولها موانئ فان بعض مشاتهم

- ٤٧٧٦ -

على أي حال اندفع وشق طريقه بالقتال الى داخل القرية (٢٩) وقتلوا كل من أسروا بالسيف في مكانه على الفور ودخل كل من تمكن من الفرار الى القلعة .

وبناء عليه زودوا السفن ومضوا حــــالاً الى ميثون (٣٠) فوجدوا القلعة مهجورة ، وكانت مدمرة تماما ، وكان البنادق قد دمرها في وقت سالف ، ثم انطلقوا ومضوا الى قلعة كورون ووجدوا القلعة منخفضة الأسوار والأبراج وكانت تقع على جرف شديد الانحدار (٣١) ومحصنة ، وبوصلهم الى هناك أحاطت السفن بها من كل جانب وبدأ الفرسان والمشاة في القتال ، ونصبوا المنجنيقات وضربوا بصورة متكررة على المحصورين في الداخل ، ولم يكن في الواقع لدى أولئك الكورنيين الذين كانوا بداخل القلعة أية إمكانية للصمود فوق الأسوار (١٧٠٣ - ١٧١٦) وهم يرون كثرة القوات وجراحة الهجوم ، فرفضوا طالبي العفو اذا سلموا لهم الحصن مع شرط ان يقسموا لهم بأن تكون لهم بيوتهم وممتلكاتهم ، واذ سمع السيرجيوفري ذلك وعدهم مسرعا ، وسكنت المعركة وبخل الفرنجة وتسملوا القلعة ونقلوا المؤن الى قواتهم وخرجوا في اليوم التالي ومضوا الى كالاماتا . فوجدوا القلعة متهمة ، وكانت تستعمل كدير ، وعندما وصلوا أمامها هاجموها وأخذوها بالسيف ، وسلمها المدافعون عنها بالشروط نفسها مثل الآخرين (٣٢) .

والآن حــــالاً ســــمع الروم في نيكلي (٣٣) وفي فيليغوستي (٣٤) (١٧١٧ - ١٧٣٤) وليكليمونيا (٣٥) تجمعوا معا وجاء الفرسان والمشاة من قرى ميلنفر (٣٦) وقرى لأكوس (٣٧) الى كريسوريا ، حيث علموا أن الفرنجة قد بلغوها وبدأوا يخرجون من القرى للنهب ، وأعلنوا وخططوا لهزيمتهم واقتيدوا الى مكان يدعى كابكيانوس ، ونقطة تحمل اسم (بستان زيتون كونتورا) وكان هناك ٤٠٠ منهم بين فرسان ومشاة ، والآن

عندما عرف الفرنجة ذلك أيضا من الروم الذين كانوا معهم ، والذين كانوا يعرفون الأرض ، وقادوهم الى هناك ، ذهبوا ووجدوهم واشتبكوا بالقتال ، الفرنجة والروم (٣٨) وكان عدد مشاة الفرنجة وفرسانهم ٧٠٠ فقط ، فهذا كان تعدادهم وحجمهم ، وبدأ الروم المعركة بلهفة لأنهم رأوهم قلائل جدا ، وندموا فيما بعد لماذا أخبركم بكل هذه التفاصيل (١٧٣٥ - ١٧٦٣) وما هو كسبي ؟ لقد كسب الفرنجة المعركة في ذلك الوقت ، وقتلوهم جميعا ، وفر القليل منهم ، وكانت هذه هي المعركة الوحيدة التي خاضها الروم خلال الوقت الذي غزا فيه الفرنجة المورة .

وبعد أن أخذ الفرنجة كالاتا وجدوا الأرض خصبة ، رحيبة وبهيجة بحقولها ووفرة مياهها ومراعيها ، وأعطى كونت شامبينين الأوامر لكل سفنه بأن تأتي كل واحدة منها الى حيث كان ، لأن نبلاء الروم أخبروه بأنه لن يحتاج اليها بعد ذلك ، وعليه أمر بأن تنزل المؤن والأسلحة الكثيرة والمنجنقيات من سفن الشحن ، وبينما كانوا يعبرون أرض كالاتا ، وبينما كان يريح خيوله وقواته أيضا ، تشاور حول الى حيث يركبون ويتجهون ، وبناء عليه قال الروم والقادة في مجلسه بأنهم يجب أن يذهبوا الى فيلوغوستي ومن هناك الى نيكلي ، لأن تلك كانت الأماكن الرئيسية في كل المورة ، وتقع كل منهما في السهل وأنهم سيأخذونها بسرعة ، ومن هناك علاوة على ذلك عليهم أن يذهبوا الى ليكسيمونيا . ثم قال المارشال السيرجيوفري وأشار بأن يذهبوا الى أركابيا ويستولوا على القلعة حتى تتوسع الأرض ، وأن يرسلوا القوات ضد أركلوفون الذي يقود الدورونفوس ، الذين يسلمون سكورتا (٣٩) وكانت قلعة صغيرة ولكنها تقع فوق تل صخري ، وكانت جيدة التحصين ، وقيل أن أحد الفوتساراداز كان يسيطر عليها ، وكان اسمه دوكا باتريس (٤٠) وكان جنديا عظيما ، وبعد أن نأخذ هذا المكان وتوسع أراضينا (١٧٦٤ - ١٨٠٣) دعونا نذهب الى تلك الأماكن الأخرى ، كما أشار السيرجيوفري هكذا فعل كونت شامبينين

نفسه ، وقرر أن يكون ، وأمر بأن تصدح الأبواق وركبوا مباشرة وانطلقوا مغادرين ، ووصلوا إلى أركانيا ساعة الظهر ونصبوا معسكرهم وأعدوا خيامهم في الميدان ، وطلبوا القلعة ، ولكنهم لم يتخلوا عنها لأن القلعة تقع على قمة صخرة ، وكان لها برج قوي يعود تاريخه حتى إلى زمن الهيلينيين ، وكانت لديهم مؤن وفيرة وكانوا يأملون في الهجوم في الممرجة أمام الهجوم ولا يستسلموا (١١) . ومر اليوم وبزغ فجر اليوم التالي وأمر الشامبني بأن تتصّب المنجنقيات وبدأوا القتال حول القلعة ، ومن أحد الجوانب هاجموا بالمنجنقيات ، في حين كانت الأقواس والنشاب في الخلف والأمام ، وعندما رأى الأركانيين الذين كانوا في القلعة أنهم لن يصدوا أمام الهجوم القوي ، أرسلوا صيحة مدوية تطلب وقف الهجوم ، واندفعوا على تسليم القلعة ، وأمر المارشال السيرجيوفري على الفور الجنرالات بوقف الهجوم ، وطلب الأركانيين بأن يعفى عنهم وأن يعطوا هم وأتباعهم الأمان ، وبسرعة أقسموا قسمهم وسلموا القلعة .

وبعد أن تسلم الشامبنيين القلعة مكثوا هناك يومين فقط ، ثم وصل مبعوثون موثوقون إلى هناك ، وكانوا يحملون رسائل أحضرها من فرنسا وأعطوها للشامبني وانحدوا أمامه ورجوه شفاها (أن يعلن الرسائل) وبحزن والدموع في عيونهم قالوا : « اعلم يا أميرنا أن أخاك قد توفي ، ذلك الذي كان أخاك الكبير كونت شامبنين (١٢) ويلح نبلاء ولايتكم وكل الفرسان وعامة الناس أيضا وهم عبيدك ويتوسلون إليك أن تذهب بسرعة إلى هناك لأنه ليس لديهم أمير شرعي آخر سواك ، وملك فرنسا الذي أخذت منه أقطاعاتك راغب جدا وناقض الصبر في انتظار (١٨٠٤ - ١٨٤٣) وصولك فورا ، وقد كتب لك أقاربك وكل نبلاء الغرب يتوسلون إليك أن تذهب بسرعة إلى هناك .

وعندما سمع الشامبني النبيل تلك الكلمات ، أسف جدا كرجل حكيم شاب وبكى طويلا ، وبخل في حزن عميق ، ثم أمر باستدعاء

قادة جيشه ومستشاره الأول السير جيوفري ، وتكلم معهم كرجل حكيم وقال : أيها النبلاء والأصدقاء والأخوة والرفاق والجنود ، ان الرب شهيد على الاسى الذي أشعر به أدوت سيدي وأخي وعلاوة على ذلك ، فإنني حزين أيضا وأشعر بقلق عظيم لذلك الذي تمهنت به ، وتابعته الى النهاية ، فلقد ضيعت آمالي وقد ألقيت على الارض ، وحدث لي العكس في كل مقاصدي ، ومع ذلك كما سمعت دائما من الرجال المسنين (٤٣) الذين أخبرونا وأعلمونا - نحن الذين عانينا من سوء الحظ ، ان نصبر وبهذا سنكسب ، وعليه أقول لكم ، أتوسل اليكم جميعا ان تشيروا كما يجب ويناسب حتى يمكن ان أقوم بالشيء الصحيح كما يليق بشركم حتى لا يجد أحد عيبا فيكم وأنهم أتباعي .

وبناء عليه فان هذا هو المجلس ، الذي انعقد وفيه قام السير جيوفري ، كونه المارشال ومعه اسقفان وفارسان وخمسة نبلاء آخرين بتقسيم الأراضي معطين لكل رجل حسب منزلته ورتبته والاسلحة والقوات التي لديه في الجيش (٤٤) وعليه جلس هؤلاء الرجال العشرة معا وحسبهم وأعدوا قائمة بالقوات وقسامة الجيش ، وبعد أن أدرجوا الأراضي في قوائم ووزعوها ، أحضر العشرة الذين تكلمت عنهم كما فعل الشامبني نفسه ولأنه لم يكتب في التوزيع شيئا لالسير جيوفري ، مارشاله لقد نهش كثيرا وأعلن شكره له على ترتيباته (١٨٤٤ - ١٨٧٨) وحكمته وكرمه ، وبناء عليه تكلم معه : سير جيوفري قال له - أمام الجميع حيث دعاه وتحديث اليه بصوت مرتفع : « لقد علمت وأقول لكم بصدق ، أنكم أعطيتكم المبادرة المحرصة الاولى والنصيحة في ذلك الوقت لاميري وأخي من أجل الحملة السورية ، وكان قد جعل قائدا (٤٥) وعندما حدث لسوء الحظ الكبير ان تدوني أخي ، فأنكم لم تعانوا بأي حال من أن الحملة قد تم التخلي عنها ونهبتم جميعا الى رومانيا واستوليتم على المدينة ، وفي الواقع ان كل الانجازات والاعمال العظيمة قد اشرتم بها ورتبتموها وعندما سمعتم بأنني جئت الى هنا الى المورة ، تركتم الحصاة التي كانت

مستحقة لكم من الاستيلاء ومن الامبراطور بلدوين ومن كل رفاةكم وراءكم وجئتم الي ، وسيكون اثما ولو ما كبيرا أن لا اكافنكم بشكل موافق .

وبناء عليه أريد أن اعطيكم ملكا لكم أراضي كالاماتا وأركايا والأراضي المحيطة بهما (٤٦) ومنحه فورا خاتما ذهبيا ، وعندما تم منحه وقدم له الولاء ، دعاه مرة أخرى وقال له : سيرجيو فري ، من الآن فصاعدا ستكون تابعا لي ، لذلك تملك الأراضي بسلطاني ويتعين عليك أن تكون مخلصا لي في كل شيء ، ومن جانب آخر اني اخولكم بكل شؤوني ، وحيث أن علي أن اذهب الى فرنسا ، فأني امرك وأطلب اليك اخلاصا لي أن تتسلم وتملك الأراضي التي ربحتها هنا في المورة وأن تحميها من اجلي ، وستكون نائباً لي بالطريقة والهدف الذي يعطيك السلطة التي لي ، واذا ماراق لي من جانب وحدث (١٨٧٩ - ١٩١١) أن أرسلت أحدا من رجالي من بين اقاربي ، في غضون عام واحد ، فعليك أن تسلمه الأرض والسلطة ، وأن تبعد يد عنه ، واذا من جانب آخر مر الزمن ، زمن السنة الواحدة المحدد ، ولم يأت أحد ليتولى السلطة فانها أرادتني ورغبتي ، وبذلك اعطيك كلمتي بأذك ستبقى سيدي وأميرا بعدي ، سيدي وأميرا بالوراثة (٤٧) .

وبناء عليه انحنى السيرجيو فري الرجل الحكيم أمامه وتكلم شاكرا أباه للشاء والتشريف الذي شهده ، وثانيا للهدايا التي أعطاه إياها ، وهكذا ان النيابة على المورة والسلطة على الأرض التي تلقاها طبقا للشروط الموضوعية من قبل الشامبني ، والتي أمر بأن تدون الوثائق المتضمنة لها ، قد أبرمت مع القسم ، ثم وضع الفرسان والأساقفة وقادة الجيش اختامهم عليها .

وحالما أنجزت هذه الاتفاقات تجهز الشامبني ، وانطلق مغادرا ، وقام بالانطلاق والمقادرة واصطحب معه فارسين اثنين واشني عشر سيدي رفيقا ، وقام بالعبور في إحدى الشوانى ، ومضى

- ٤٧٨١ -

الى البندقية وعبر مباشرة الى فرنسا والى شامبين ، وبقي السير جيوفري في الارض سيديا لها .

والان بعد ان بقي السير جيوفري ككاتب للملك واميرا على الدرة ، كما اخبرتكم امر بان تتجمع قواته في اندرا فيدا التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطة الادارة وحالما اجتمع الكبار والصفار فيها ، دعا بالسجل الذي دونت فيه حصة كل رجل وماخصص له التعرف والادارة من قبل الشامبني (٤٨) . وفيه ادرج كل المستفيدين (١٩١٢ - ١٩٣٨) .

وكان اول من ادرج في القائمة هو السير غوتيردي روزير ، وهكذا كان لقبه وكان يدعى ، وقد تملك حصة اربعة وعشرين فارسا من الارض ، واعطي املاكا في ميزاريا ، وبني قلعة هناك واسماها ، اكوفا ومازالت تسمى هكذا .

وكذلك اعطي مثله لالسير هوغ دي بروير ، وهذا لقبه ، واعطي املاكه في درنغوس في سكورتا ، وخصص له حصة اثنين وعشرين فارسا من الاراضي .

وعندما تسلم اقطاعه بنى قلعة هناك سميت كارتانيا كما ماتزال تدعى ، وكان له ابن ، هو السير جيوفري امير كارتانيا ، وهكذا كان اسمه ، وكان جنديا شهيرا في رومانيا (٤٩) ثم جاء بعده في القائمة بارون ثالث ، السير غوليوم ، وهكذا كان يدعى ، وكان لقبه الحان وسجلت له باتراس للتملك والتصرف مع كل توابعها .

ثم خصصت له بعد ذلك بارونية السير ماثيو ، وكان لقبه موندس وهكذا عرف وملك قلعة فيليفوستي ، وحصة اقطاع اربعة فرسان وكان له ان يحمل علما (٥٠) .

ثم جاء بعده في القائمة سير غوليوم اخر لينال قلعة نيكلي مع ست حصص من الارض (٥١) .

ثم جاء بعده اخر في السجل وهو الاسيرغي ، وكان يدعى بلقبه دي نيفليت ، واعطي ست حصص ليملكها في شاكونيا وقد بني قلعة هناك اسماها غيراكي (٥٢) (١٩٣٩ - ١٩٥٤) .

واقطع السيراوتون دي نورناي ايضا ملكية كالافريتا مع حصة اثني عشر فارسا .

وتلاه في القائمة السير هوغ دي ليلي ، لياخذ حصة ثمانية ، فرسان في فوستيتزا وقد تولى عن لقبه ودعي باسم كاريفني (٥٣) . وبالنسبة لاسيرلوك ، فقد اعطي فقط حصص اربعة فرسان ، تجاور غريتسينا ووادي لاكوس (٥٤) واعطي السيرجان دي نويلي ، باسافا ، اربع حصص وكان له ان يحمل علما ، وان يكون مارشالا وان يبقى هذا المنصب وراثيا (٥٥) واعطي السير روبرت تريمولاي اربع حصص ، وقد بني كالا ندرتيزا ولقب بالامير (٥٦) واعطي للاسبتارية اربع حصص ، واعطي للداوية اربع اخرى ، وكان لها ان ترفع علما وكذلك اعطي الالمان اربع حصص يملكونها في اراضي كالاماتا (٥٧) واعطي مطران باتراس (١٩٥٥ - ١٩٧٤) وكهنته ملكية حصص ثمانية فرسان ، واعطي اسقف اولينا اربع حصص واساقفة ميثون وكورون مع كهنتهم اعطي كل منهم اربعا ، وكذلك اساقفة فيليغوستي ونيكلي ، حيث لكل منهم اربع حصص ومثلهم اسقف ليكييمونيا (٥٨) .

وكل اولئك الذين تسمعتني اذكركم بالاسم كانوا في ايام الشاميني قد ادرجوا في سجله ومنحوا الاقطاعات ، والفرسان الذين كانت لهم حصة ، وكذلك حاملوا الدروع (٥٩) الذين اقطعوا لم اسمهم بسبب مايتطلبه ذلك من كتابه مطولة ، وبعد تلاوة السجل طلب السيرجيوفري مشورة القاعة ، ورؤساء الاساقفة والاساقفة حول

كيفية وضع وترتيب التعليمات التي تتعلق بكيفية تأدية المقطعين بالاقطاعات لخدماتهم ، حتى يحافظوا على سلاحهم والاغارة بالسلاح فانها ستفقد مرة اخرى .

وبناء عليه تمت في مجلس عام بحكمة كبيرة مناقشة وترتيب ووضع ان الذين حصلوا على اربع حصص لهم ان يملكوا اعلاما وان يكونوا من قادة الفرسان ، وان كلا من هؤلاء سيكون له الى جانب علمه فارس يسير معه واثنى عشرة من حملة الدروع ، وان الذين ملكوا وكان لهم اكثر من اربع حصص لهم في مقابل كل حصّة ان يعطوا ويجهزوا اثنين من حملة الدروع الراكبين او فارس واحد ، والفرسان الذين يملكون حصّة ، يلتزم كل واحد منهم ، ويطلب منه ان يخدم شخصا كالقزام : ومثل هذا الذين يسمون (سرجندية الاستيلاء) على كل منهم ان يقدم الخدمة بنفسه .

واعلنوا ورتبوا انه بما أنهم كانوا في حرب فان قسما منهم عليه أن يحمي الأراضي التي غنموها ، وأن يغزو الآخر ، تلك التي لم يحصلوا عليها ، وأن الخدمة الالزامية لكامل السنة ، يجب أن تجدد على الترتيب والنحو الذي أدرجه فيما يلي : أنه من بين الشهور الاثني عشر في السنة يمضي كل رجل اربعة شهور في الخدمة العامة في الحاميات (٦٠) حيثما يريد الأمير ، وأنه في الشهور الاربعة التالية نذهب في جيش الى حيث يحتاج ويريد أمير التابع ، وفي الشهور الاربعة التالية يمكن للاقطاعي أن يكون حيث يشاء (٦١) وبالنسبة لما اعلنوا بأن هناك خدمة على مدار السنة ، فانه يعود الى تفضيل الأمير ايا كان أن يأخذ (٢٠٠٢ - ٢٠٢٣) من الشهور الاثني عشر ما يشاء ، ولم تكن الكنيسة والاساقفة والداوية والاسبترارية ملزمين بأداء واجب الحاميات ، ولكنهم كانوا ملتزمين بأن يكونوا مستعدين بكل الطرق مثل الاقطاعيين للمساعدة ، في الغارات والمعارك حيثما يحتاج الأمير وعندما تتطلب حاجة البلد.

ومثل هذا تقرر هذا المبدأ لرؤساء الاساقفة في كل الكنائس أن

الحقيقة مصممين جدا على عدم الاستسلام واحاط الفرنجة بالمدينة خمسة ايام مع هجمات لاتتوقف ليلا ولانهار ونصبوا المنجنيقات التي احضروها معهم من نيكلي °

وحالما بدأوا يعانون من الخسائر وتضررت الابراج ، استسلموا بسرعة ، بشروط ومع القسم بان يحتفظوا ببيوتهم والاقطاعات التي يمتلكونها .

وبعد ان استسلم الليكديمنيون اتخذ السير جيوفري مراكز هناك ، واعطى اوامر لجيوشه بان يبدأوا الطواف لجمع الاسلاب في ارض تساكونيا حتى هليوس وفي فانيكا وفي مونمفاسيا (٦٣) .

وبناء عليه جاء نبلاء ليكد يمونيا ، ونبلاء نيكلي ايضا ، الذين يملكون اقطاعاتهم في تساكونيا وفي الاماكن الاخرى ، حيث كانت تلك الجيوش تغير ، جاؤوا وتكلموا مع السير جيوفري ، وطلبوا منه ان يامر جيوشه بان توقف الاغارة ، وان القرى ستؤدي الطاعة وان يجعلوه اميرا عليهم ، ولانه كان عقلانيا (٢٠٧٣ - ٢١٠٧) في كل شيء ، نبه النبلاء ، وامر جيشه بالعودة .

وبناء عليه امر ان ياتي قادة مجلسه ليمثلوا امامه ، اولئك الجنود الذين اقطعوا (٦٤) البلدان ، ومن ثم امر ان يدون كتابة في الاسجلات كل ما تم كسبه ، وما تم غزوه منذ رحيل الشامبني . ودعا النبلاء وقادة المورة وطلب منهم ان يعلموه بالتمام اية قلعة بقيت دون ان تقدم الولاء ، واجابوه واعطوه هذه المعلومات مازال ينقصك اربع قلاع ياسيدي : الاولى في كورنث ، والثانية نوبليون ، والثالثة مونمفاسيا ، والرابعة ارغوس . وهذه القلاع قوية جدا وحسنة التموين ، ولايمكنك مطلقا اخذها بالهجوم ، واذا كان اميرنا يرغب في الاستيلاء على هذه القلاع فاننا نحن العرق الرومي سنموت عبيدا لك وهذا ما نطلبه ونرجوه ، فامنحها لنا تحت القسم كتابة حتى تكون لنا ولاولادنا ، ومن الان فصاعدا لن يجبرنا احد من الفرنجة

على تغيير عقيدتنا الى العقيدة الفرنجية ، ولاحتي عاداتنا وقوانيننا الرومية .

وتلقى السيد جيوفري هذه الكلمات بقبول حسن واقرها لهم مع القسم وبونت كتابة (٦٥) وبعد ان سوى السيد جيوفري كل الامور للفرنجة والروم ، وحقق لكل رغباته ، وعالج المشكلات في اقطاعاتهم ، احبه الجميع كثيرا صغيرهم وعظيمهم ،

لانه كان جديرا بالتقدير وعادلا بالنسبة للجميع ، حتى ان اكثرهم حكمه تشاوروا حول كيفية الابقاء على ملك اراضي الموره في يديه ، لانه كان رجلا طيبا وعاقلا في كل الامور ، بدلا من ان ياتي من فرنسا بعض النهابين عديمي الخبرة الطائشين ليوقعونا في الفوضى ، وبناء عليه (٢١٠٨ - ٢١١٣) ذهبوا اليه ، واحاطوه علما بجديتهم فاقشعر بدنه من الافعال الشريرة التي لايسمح بها تحت اي ظروف .

وتحدثوا معه مطولا وحثوه كثيرا حتى اخرجوه عن حكمته ، وقبل بالخطه التي ستنفذ والامور التي ستحقق (٦٦) وبناء عليه دبروا ليعوقوا بخطه وضيعه كل من يتصافد مجيئه من فرنسا وان يمنعه بعض الوسائل من الوصول قبل حدود نهاية الوقت الذي حدده الشامبني .

وبناء عليه ارسل السيد جيوفري كرجل واع فارسا كان لديه ويثق فيه ، وذهب الى البندقية وراسا الى الدوج ، وكانت هناك صداقة وحب وصلة بينهما ، وارسل اليه هدايا وتوسل اليه بصرارة ان يفعل شيئا ليؤخر مجيء من يتصافد ان يرسله الشامبني ؟ وقد ارسل الان فارسا اخر الى فرنسا للاصدقاء والاقارب الذين له من شامبين .

والان عند هذه النقطة ، ساتوقف عما كنت اكتبه واخبركم حول

السير جيوفري وحتى اخبركم بدقة عن هذا النبيل كونت شامبين (٦٧) وكيف اصاب نجاحا جيدا . عندما وصل الى هناك بعد ان سافر الى فرنسا من اجل ممتلكاته . والان بعد ان انطلق الشامبيني من ارض المورة وسافر الى فرنسا ، وحمل الى شامبين ، التي كان يخبها كثيرا (٦٨) واستقبله اقاربه استقبالا حسنا ، وانطلق مسافرا الى ملك فرنسا ، ووجده في باريس مع نبلائه ، وكانوا يحتفلون بعيد الحصاد بالطريقة المعتادة لدى الفرنجة (٦٩) وكان الملك سعيدا جدا بالكونت ، لانه رأى انه عاد من رومانيا وهكذا ايضا كان البوقات النبلاء والكونتات ، الذين كانوا رفاقه واقاربه.

وحالما تبادلوا الهدايا مع بعضهم بعضا قدم ولاءه للملك عن الاقطاعية وطلب منه الاذن بالسفر ، وعاد الى شامبين ، وحالما عاد الى ارضه (٢١٤٩ - ٢١٩٠) واصبح اميرا وبينما كان ينظم ارضه وشؤونه مضى ثمانية شهور كانت كثيرة في عددها ، ثم تذكر الاتفاقات التي ابرمها مع السير جيوفري فيما يتعلق بارض المورة ، وكان لديه امل قوي وثقة عظيمة فيه ، حتى انه لو ارسل اليه احد اقاربه ، فانه سيستقبله كامير له وسيسلمه الارض ، وبناء عليه اجرى مشاورة مع اقاربه حول من الذي يجب ان يرسله الى المورة كنائب له وامير ، وكان لديه ابن عم موثوق يدعى روبرت : وكان بابا لانظير له في كل شيء . واستدعاه كونت شامبين وقلده منصبا واعطاه سلطة على ارض المورة ، وامر بان تدون على الورق كل المزايا وتسليم الملكية التي عليه ان ياخذها معه ، واعطاه مالا كثيرا وحاشيته من اربعة فرسان و٢٢ من حملة الدروع ، وغادر شامبين في مطلع تشرين الثاني ، (٧٠) وعندما جاء الى سافوى لعبور الجبال ، وجد الثلوج كثيفة وسميكة على القمم التي تفصل فرنسا عن لومباريا ، ولم يتمكن باي طريقة من ان يمر عبرها وكان عليه ان يتاخر هناك شهرا او اكثر ، وحالما اصبح قادرا على اجتياز الجبال خرج من لومباريا وسافر الى البندقية ، حيث وصل في بداية كانون الثاني ، بامل ان يجد سفينة ليقوم بالعبور .

وعندما ابلغ الدوج بان روبرت ابن عم الكونت قد جاء - وكان قادمًا من شامبين ليذهب الى المورة - دعا اميرا له واخبره سرا بالامر وبخطة اعاقته وانه عليه ان لايعطيه سفينة ليذهب الى المورة وعندها استدعى الدوج روبرت وأظهر له تشريفا كبيرا وتشجيعا وأدبا حتى يثق به وحتى يخدعه ، واستبقاه كثيرا بكلماته الجميلة ، وتذرعاته وخدعه واعذاره الزائفة حتى أنه تأخر في البندقية نحو شهرين وأكثر ، ولكنه في النهاية أعطاه سفينة مسلحة حدث أنها كانت متجهة إلى كريت وأمر الكوميتاس (٧١) قائد السفينة (٢١٩١ - ٢٢٢٥) أن يتركه عندما يعبر كورفو ، لقد مضت الامور كما اخبرتكم تماما ، وحالما وصلت السفينة الى قلعة كورفو ، استدعى الكوميتاس روبرت وقال له : « إن هناك أضرارا أسفل السفينة ويجب أن نقيم لاصلاحها ، وعليه يا أخي الطيب دعنا نأخذ أمتعتك منها حتى تخف ، حتى يمكن اصلاحها » .

واذ صدق الآخر أمر بنقل أمتعته إلى القلعة ، بينما نزل في الفندق وعندما مر معظم الليل وعلا صياح الديك نفخ طاقم السفينة صفاراتهم ورحلوا مبتعدين ، وعندما حل الصباح وأفاق روبرت واستيقظ ، أخبر بأن السفينة قد غادرت . وحالما أخبر بذلك بدأ يتألم ، ثم أدرك تماما الخيانة التي اقترفت ضده ، وعندما فهم الخدعة سعى حتى لايجاد سفينة يستأجرها ، وحيث أن قائد كورفو (٧٢) ارسل الى الخارج من قبل امير المورة السير جيوفري فانه امر باستدعاء صاحب السفينة وامره وحذره تحت طائلة الايذاء الجسدي من ان يأخذ السير روبرت ويعبر به تحت اي ظرف.

وفي هذه الاثناء أنزلت السفينة التي كانت في طريقها إلى كريت رجلا في سانت زكارياس ، النقطة التي توجد عندها مدينة كلارنتسا (٧٣) اليوم ، وكان يحمل رسائل من دوج البندقية للسير جيوفري ، امير المورة يعلمه فيها خطيا بأمر روبرت ، عندما وصل إلى البندقية وكيف جرى تأخير شهرين وأكثر وأيضا كيف أن سفينة البندقية

التي كانت في طريقها إلى كريت قد انزلته في جزيرة كورفو . (٢٢٢٦ - ٢٢٧١) .

وكان السير جيوفري في أندرافيدا في ذلك الوقت ، وعندما حضر له البنادقة تلك الرسائل ، مجدهم وأعطاهم هدايا واستدعى أمر قلعة أندرافيدا وأعطاه تعليمات مفصلة حول كيفية التصرف عندما يعبر روبرت ويصل إلى هناك ، ثم ترك أندرافيدا وذهب إلى فليزيري لينتظر حتى يسمع بعض الأخبار حول روبرت .

وعندما أدرك روبرت أسلوب الخداع ، الذي كان البنادقة يخدعونه به كما أخبرتكم أسرع يتعجل لإيجاد مركب ليعبر للوصول إلى المورة ضمن الوقت المحدد ، حيث تصادف وجود مركب ذاهب إليها من أبوليا ، وتدبر أمر الصعود إلى المركب الذي أخذه حتى سانت زكارياس ، وسأل أن يدلوه على مكان نائب الأمير وأخبره بعضهم أنه كان في أندرافيدا . وأرسل سرجنديا ليحضر له الخيول ، وقد سافر الأخير على طريق المشاة حتى وصل إلى هناك ، ولم يجد السير جيوفري ، الذي كان قد ذهب إلى مكان آخر ، بل وجد أمر قلعة مدينة أندرافيدا . وعليه تكلم معه وأبلغه رسالته ، أن روبرت كان في سانت زكارياس ، وكان ابن عم وقريب لكونت شامبين ، « الذي جاء ليكون أميرا لكم ، أيها الموريون أرسلوا له الخيول حتى يأتي اليكم هنا » .

وفور سماع أمر القلعة للرسالة ، أخذ معه كل القوات التي كانت تحت قيادته والنبلاء والمواطنين (٧٤) من كل أندرافيدا وأخذ معه كل الخيول التي يحتاج إليها وذهب رأسا إلى سانت زكارياس ، وأظهروا سرورا عظيما برؤية روبرت وأظهروا علامات الاحترام المتوجب وأنهم كانوا مسرورين جدا من أنه يجب أن يأتي ليكون أميرا عليهم وأنهم سيعيشون في خدمته . وبناء عليه تلقوه بسرور عظيم ، وذهبوا إلى أندرافيدا واسكنوه هناك ، وأبدي ابتهاجا عظيما وملاطفة حسنة ، واستقبل الجميع وخاطبهم بعبارات

حيث كان السير جيوفري ، وأعلموه أن ابن عم كونت شامبين المدعو روبرت قد وصل إلى نيكلي (٧٧) وبسماح السير جيوفري للتقرير أخذ معه الرجال وعظماؤهم ، وفي الحقيقة كل من كان في حاشيته ومضى مسرعا ليقابل روبرت ، وقابله بتشريف وبعلاوات حقيقية للاحترام وأبدى سرورا عظيما به في حضور الجميع وعندما وصل إلى ليكديمونيا أمر بأن ينزل في قصور الامارة (٧٨) .

والآن كان ابن عم كونت شامبين يتوقع احراز السلطة ، في الصباح التالي وبينما كان النهار ينبج ، أمر بأن يستدعى نائب الملك السير جيوفري وقال له أنه كان برفقته القادة وأصحاب الجدارة وقد جاءوا ليروا تنفيذ أوامر كونت شامبين ، وهي الأوامر التي جاء بها معه . وعليه ، أعطى السير جيوفري أمره ، وحالما تجمع الجميع وجلسوا لاستماع ما كتبه الكونت ، نهض كاتب ممن جاء معه (٧٩) وأمره بقراءة الامتيازات التي جاء بها ، فقرأها وشرح الكلمات التي تبين أن الكونت قد أعطاه السلطة على الأرض وعلى كل البلونيز الموجودة في المورة ، ثم عرض بعد ذلك وقرأ أيضا الأوامر والوصايا لكل القادة بأن يستقبلوا روبرت كأمر لهم .

وحالما تليت جميع هذه الوثائق ، نهض السير جيوفري في حضور الجميع وانحنى بتواضع لسلطان أوامر الكونت ، وأمر بسرعة باحضار الامتيازات التي كانت لديه والاتفاقات والوثائق التي أعطيت له من الكونت والتي تقضي بأن تسلم إليه أرض المورة ليحكمها ويحميها وأن يكون نائبا له ، أنه اذا جاء خلال فترة عام ويوم الكونت أوعضوا اخر من عائلته ، فإن عليه أن يسلم له الأرض والسلطة ولكن اذا انقضت فترة السنة ولم يصل أحد منهم (٢٣٤٩ - ٢٣٧٧) كما اخبرتم فإن الأرض والسلطة ستبقى حتما في يد السير جيوفري كوريث (٨٠). وبعد قراءة هذه الوثائق ، والاتفاقات التي أبرمها كونت شامبين ، نهض السير جيوفري وقال للأساقفة وقادة الفرسان : « أيها النبلاء لقد سمعتم الاتفاقات والوصايا التي أصدرها سيدي الكونت ، والتي تركها عندي . وعليه

- ٤٧٩٢ -

أقول لكم ، اني أتوسل اليكم وأمركم ، (٨١) باسم القسم الذي أقسمتموه للكونت ولي ، كمسيحيين تخافون الرب ، وتحترمون الصديق أن تفكروا وتحكموا بالحق في هذا الأمر ، وأتوسل أيضا لروبرت كننيل وأمير لي أن نقف في جانب الحق ونحكم بالحق ، بالشكل الموائم والموافق . إن سيدي لن يفعل شيئا جائرا ، (٨٢) وعليه فبالخوف من الرب ، احكموا بيننا .

وعندما سمع النزيل روبرت هذا وافق على الاقتراح بسرعة ورجاهم التفكير في الأمر ، وأن أي ما يقررون ويعلنون بخشية الرب ، فإنه سيقبله حقا ويذعن له . وعندما سمع الأساقفة وكل الفرسان تلك الكلمات ، أخذوا الوثائق وقرأوها من البداية بدقة وعناية عظيمة ، ثم حسبوا فترة السنة ووجدوا أن الحد كان متأخرا ١٥ يوما عندما وصل روبرت ليقدم وثائق كونت شامبين إلى نائبه (٢٣٧٨ - ٢٤١٥) السير جيوفري ، كي يعطيه الأرض (٨٣) وبناء عليه استدعوا الاثنين وقالوا لهما : أيها النبلاء ، لقد درسنا هذه الوثائق الخاصة بالكونت ، الذي وضع هذه المواثيق ، التي فحصناها والتي تحمل أختامه وبموجبها فأننا جميعا نرى أنه بالقصد والهدف والمواثيق المستوفية للشروط القانونية ترك السير جيوفري كممثل له في الأرض ، وحيث أنه بموجب المواثيق التي ترك له الأرض بها فإن الأمد الأخير قد انقضى ، فليس لك حق لأنه حيثما يوجد مسيحيون في كل الدنيا فإن المواثيق تقيد القانون والدعاوى القضائية .

واذ ذاك ، وعندما سمع روبرت هذا ، لم يحرج بسبب الأسى والمرارة في قلبه جوابا من أي نوع . ولكن السير جيوفري نهض واقفا وشكرهم جميعا في تواضع وبدقة كما هي العادة في بلاط الأمراء ، حيث يوجه الشكر للذين يحكمون بالعدل .

وبعد الحكم وصدور القرار بأن السلطة على الأرض في كل البلبونيز ، التي تدعى المورة ، يجب أن تبقى للسير جيوفري ، مجد

- ٤٧٩٣ -

روبرت كثيرا وقال له : « سيدي وأخي ، حاول أن لا تحزن بسبب ما نجم عن هذا الحكم ، إن العدالة تتطلبه وهذه هي الطريق في الدنيا ، فاذا شئت ورغبت في البقاء معي هنا في أرض المودة ، فإني سأعتبرك أخا لي ومن كل ما نكسبه معا تأخذ ما هو حق لك » . ولكنه بسبب من حزنه لم يقبل .

وعليه بعث السير جيوفري بدعوة عامة ودعا الجميع الصغير والعظيم وأقام كاموتسوكن (٨٤) ، كما يسميها الروم ، وأكلوا ومرحوا وتصارعوا ، ونظموا الرقصات والألعاب التي تفوق الحصر .

والآن استدعى هذا الذي أدعوه روبرت شامبين . السير جيوفري وقال له : « حيث أنني رأيت أنه ليس لي السلطة ، أعطني خيولا ومرافقة حتى أبرح » .

ومثل هذا طلب من كل القادة (٢٤١٦ - ٢٤٥٢) والأساقفة والرجال الحاذقين الذين كانوا في المجلس والذين أصدروا الحكم والقرار أن يحرروا له وثيقة ويضعوا أختامهم عليها ، يبينون فيها كيف قرروا وأعلنوا الحكم الذي أصدره ، وتضم صورة عن الميثاق الذي أبرم بين كونت شامبين والسير جيوفري بالغ النبيل حتى يأخذها معه إلى فرنسا ويطلع الملك وكل القادة الذين كانوا في حينه في فرنسا وكونت شامبين ، حتى لا يعتبروه غيبا أحقفا في هذا الأمر . وقد نظموها بكل سرور ووضع الجميع أختامهم عليها . (٨٥) .

ثم أعطاهم السير جيوفري كثيرا من الهدايا المتعددة والتقدمات وأعطاه بكل لباقة وتواضع وعودا بأن يكون تحت أمره وبأنه سيبقى رجله دائما (٨٦) وأرشده بعد ذلك ورافقه ، ومضى بنفسه معه حتى أندرافيدا ومن هناك صعد إلى ظهر سفينة وسافر إلى فرنسا .

وبعد أن انطلق روبرت من المورة ، وبقي السير جيوفري أميرا ، أمر بأن يدعى أمير المورة . وبالنسبة للأراضي والأمور التي كان عليه تنظيمها ، فقد وضعت على أساس مختلف الآن حيث أنه أصبح الأمير الشرعي ، وكان دائما يبذل جهدا عظيما ويناضل ليزيدها ، وكما أنه طبيعي أن الكل يجب أن يموتوا ، فقد جاءه أيضا الوقت ليرحل عن هذه الدنيا ، فدعا قاداته وكل الأساقفة وحرر وصية جبارة ، ولكونه رجلا حكيما حدد ممتلكاته كلها وسجلها كتابة ووضع اختامه عليها .

وكان له الآن ولدان ، وكان الأول يسمى السير جيوفري كما كان هو نفسه يدعى ، وهو اسم والده وسمى الثاني غوليوم ، وكان لقب السير غوليوم دي كالاماتا ، وتركه وهو أمير لقلعة كالاماتا مع بقية أراضي القلعة ، لأن هذه كانت ممتلكاته الخاصة من أرض الاستيلاء الموروثة . (٨٧) (٢٤٥٣ - ٢٤٧١)

ووجه مع مناشدة حلوة توسلا للقادة والأساقفة وجميع الفرسان أن يقبلوا السير جيوفري كأمر بالوراثة وأن يذكروا دائما مبادئه في الحكم ، والجهد الذي بذله لكسب المورة ، والعطف والمحبة لجذسه من بني الانسان الذي كان يشعر به تجاه الجميع ، وحالما سوى هذه الأمور وكثيرا غيرها ، توفي كمسيحي ، ليمنحه الرب العفو (٨٨)

وحالما توفي كما أخبرتكم حدث حزن عظيم عليه في كل المورة ، لأنهم كانوا يعتبرونه عظيم الجدارة وأجلوه بعمق لحكمه الخير وحكمته ، وبعد تنظيم جنازته وسكون الحزن عليه نوعا ما ، تشاور الجميع الصغار والكبار وتوجوا كأمر لهم السير جيوفري الأصغر ، وحالما تسلم سلطان الحكم بدأ يتقدم كجندي حكيم ، وكان مخلصا وخيرا تجاه الجميع وناضل بقوة لزيادة مجده ، (٢٤٧٢ - ٢٥٠٦) .

وبناء عليه بعد ذلك بوقت قصير ، حدث وانتبهوا لما سأذكره لكم ،

أن روبرت امبراطور مدينة قسطنطين ، والذي كان في حينه أمير وامبراطور رومانيا قام وعينه على زواج تحالف ، بابرام معاهدات واتفاقات مع ملك أرغون ، وملك كاتالونيا حيث أنه تزوج ابنة الامبراطور. ونقلها في اثنتين من الشواني بتشريف عظيم (٨٩) مع حاشية من الفرسان والنبيلات الذين صحبوا . ومضوا إلى قلعة بونديكوس في المورة (٩٠) ، قرب اندرافيدا وتوقفوا هناك ، وكما شاء القدر ، تصادف ان كان امير المورة في الجوار في المدينة المسماة فليزيري ، وبسرعة جاءت التقارير اليه في القلعة من بونديكوس .

كما تدعى لأن هذا ما يزال اسمها ، ان اثنتين من الشواني كبيرتين رستا في ميناء بونديكوس ، كما قلت ، وهما اللتان كانتا تحملان ابنة الامبراطور روبرت وكانت في طريقهما الى ملك كاتالونيا ، ويسمى هذا ، ذهب السيرجيوفري الى هناك بكل السرعة ، ونزل عن حصانه ، وصعد الى ظهر السفينة وحيا ابنة الامبراطور ، ودعاها وحثها على النزول الى الشاطئ والدخول الى قصره للترويع عن نفسها بأن تستريح هناك يومين ثم تتابع بعد ذلك طريقها ، ونزلت السيدة النبيلة بسرور الى الشاطئ مع حاشيتها وبخلت القصر ، ومر ذلك اليوم وبزغ فجر اليوم التالي وتكلم بعض اتباعه ومستشاريه مع السيرجيوفري ونصحوه قائلين : أيها الأمير انك هنا في رومانيا وتملك أرض المورة التي انت أميرها واذا لم تنجب ابنا يرثها فما نفع هذه الأشياء لك ولماذا تهتم بها ؟ وليست هناك في أي مكان امرأة جبيرة بك ، وحيث أن الرب هكذا رسم وأرسلها اليك (٢٥٠٧ - ٢٥٤) تلك التي تصادف انها ابنة الامبراطور، خذها واتخذها زوجة لك واجعلها سيدة لنا واذا تصادف ان الامبراطور أميرها غضب نوعا ما وحزن فانه سيقبل بذلك « .

وهكذا الحوا عليه وضغطوا حتى أنه استدعى أحكم اتباعه وسألهم جميعا أن يقدموا له المشورة ، واعلنوا جميعا مشورتهم له ، ان هذا مبعث سرور لنا فافعله بحرية .

وتحدث أسقف أولينا^(٩١) مع ابنة الامبراطور واقترح عليها ان تتخذ من السيرجيوفري رجلا لها وزوجا ، وابدى لها اسبابا حكيمة مرضية وكيف أن هذه العلاقة بالزواج^(٩٢) ستتدخل لتكون أكثر نفعا لأميرهم منها للملك الذي كانوا يأخذونها له في كثالونيا ، لماذا أخبركم بهذه التفاصيل الكثيرة فتملوا ، لقد قالوا لها أشياء كثيرة والحواء عليها كثيرا حتى وافقت وتم الزواج ، وبعد زواجهما والاحتفال بعرسهما عادت سفينة الامبراطور الى المدينة وأخبره الفرسان النين كانوا على ظهرها وفصلا بما جرى ، وتآلم الامبراطور جدا عندما سمع به ، ولو كانت لديه القدرة ولو كان هذا ممكنا بالمرة ، لبين للسيرجيوفري بوضوح انه قد ارتكب عملا قبيحا ، وشرا عظيما بالزواج من ابنته بدون موافقته لأن هذا قلب خطله لاقامة روابط الزواج واتفاقاته مع ملك ارغون حتى يكون له بدوره قوات وجيوش ومساعدات منه في حربه مع الروم ، وقد أعاقه الآن ووجد نفسه مخدوعا (٢٥٤٩ - ٢٥٨٩) .

والآن لم يقف السيرجيوفري أمير المورة الحانق اللين ذو الخبرة في مكانه مضيقا للوقت ، لقد كتب بسرعة رسائل وبعث بالرسائل الى الامبراطور الذي كان في المدينة يطلب منه ويتوسل اليه أن يصفح عنه لما فعله وأنه أصبح ابنا له ، وأنه لم يفعل هذا بنية الشر ولا عن قبح بل ميلا للمقاصد السلمية لرجل يجد نفسه في رومانيا بعيدا عن أقاربه وأملاكه الموروثة ولم يجد بأي وسيلة امرأة يتزوجها ، تناسبه وتستحق المنزل التي لديه ، وأنه يجب أن يأخذ بالاعتبار ويدرك أنه كان هو أيضا في رومانيا وخاض حروبا كثيرة مع الروم ، كما فعل الامبراطور ، ولم يكن له سيد أعظم يقوده ، وبسيفه كسب الأرض التي يملكها وعليه اذا كان الامبراطور يرغب فإنه سيفعل هذا كإصلاح لما فعله بأخذ ابنته زوجة شرعية وسيلزم نفسه كتابع موال له وسيستمد منه الأرض والسلطة على المورة ، واذا احتاج الى جيوشه والى شخصه أيضا عندما يأمر ويجد حاجة فإنه سيكون تحت امرته ، ويقف الى جانبه ، وانهما سيقومان بالحرب معا ويفوزان الروم بجيوشهما .

وبسماع هذا لم يكن الامبراطور روبرت ليجيب بأي حال قبل أن يتشاور مع أتباعه ، فاستدعى القادة الرئيسيين في مجلسه ، وأخبرهم بالتفصيل بالقصة وأطلعهم على الرسائل ، وعلى كل ما أعلمه به السيرجيوفري الموراني ، وتناقش القادة والامبراطور زمنا طويلا وتدبروا في الأمر ، وبناء عليه تكلم أحكمهم وأشار بأنه طالما أن امبراطور المورة قد وعد وجاهر بأنه سيصبح الرجل التابع لامبراطور المدينة وأن يتصرف في أرضه حسب تبعيته للامبراطور وأنه والامبراطور سيضمنان القوات ليجاربا معا كل خصومهما حيثما يجدانهما ، وأن هذا كان كافيا ليكون هناك سلام وصداقة بين الأميرين في رومانيا ، لأن هذه العلاقة بالزواج كانت أكثر فائدة من تلك العلاقة التي مع ملك ارغون الذي كان بعيدا جدا ، ومادام قد ألزم نفسه بخدمة الامبراطور وبأن يحصل منه على الأرض التي ربحها ، وبناء عليها أعطى الجواب السيرجيوفري بأنهما يجب أن يلتقيا في الاشياء ليعقدا مجاسسا وأن يسويا هناك (٢٥٩٠ - ٢٦٠٦) بشكل نهائي كل أمورهما التي يجب تسويتها .

وبناء عليه ذهب الامبراطور الى قلعة لاريسوس وسافر السيرجيوفري أمير المورة الى هناك عن طريق طيبة وأخذ معه الرجل الذي كان في حينه يحكم أثينا ، والذي كان يدعى الأمير العظيم والذي منه في الحقيقة حصل على الأرض والسلطة التي كانت له في رومانيا وكل قادة الفرسان الذين كانوا في المورة ، وسافر الجميع معه الى الاشياء وانضموا الى الامبراطور في لاريسوس (٩٢) وأقاما احتفالات عظيمة بعد لقائهما وخلالها تناقشا معا وتجادلا وحلا تلك النقاط التي أدرجها الآن لكم : أولا - أعطاه الامبراطور كهنية ودولة كل الدوبيكانيز ليملكها عطية منه ، ثانيا - شرفة بتسميته أميرا ، ثالثا - جعله دمسق كبير لكل رومانيا (٢٦٠٧ - ٢٦٣٥) ورابعا - كان له في الاراضي التي تملكها حق ضرب العملة التورندو واليناريا (٩٤) وأصبح

فيما بعد الرجل التابع للامبراطور ومنه يحصل على الأرض التي يحكمها .

وفيما بعد أعطاه كتابة القوانين والأعراف التي كان الامبراطور يحتفظ بها في ذلك الوقت في كل الامبراطورية مع ان أخاه الامبراطور بلديون قد حصل عليها من القدس (٩٥) وعندما سويت هذه الامور التي اخبرتكم عنها استأنن كل منهما الآخر للسفر ، وسار الامبراطور رأسا الى المدينة ، وعاد السيرجيوفري الى المورة بالشكر والبهجة ، لأنه حقق السلام الذي أراده ورغب فيه وكان متلها للحصول عليه ، وبعد أن عاد الأمير جيوفري الى المورة وعرفت زوجته الجليلة أميرة أخيا وابنة الامبراطور أن الأمير قد توصل الى تفاهم مع الامبراطور ، حمدت الرب وكانت سعيدة .

ثم دعا الأمير السيرجيوفري قاداته للمشورة حول مايجب عمله وما الذي يجب تذيئة حول القلاع التي كان الروم مايزالون يحتفظون بها في الامارة ؛ كورنث ، ومونمفاسيا ، وأرغوس ، وذوبليون (٩٦) وبناء عليه أجابه قادة الجلاسة : انك تعرف ياأميرنا ، أن الكنائس تملك مايقرب من ثلث المورة ، في كل الامارة يجلسون مرتاحين ولايلقون بالا الى الحرب التي نشننها على الروم . وبناء عليه (٢٦٣٦ - ٢٦٦٦) ياأميرنا ، اننا نعلن ونعطيك هذه النصيحة ، أن ترجوهم أن يحضروا أسلحتهم لمعاونتنا حتى نأخذ القلاع التي تقف في وجوهنا ، وإن لم يفعلوا أمسك عنهم اقطاعاتهم .

وعندما سمع الأمير هذا أقـره تماما ، وأمر باستدعائهم ، وحضر اليه الجميع فطلب منهم المساعدة وأن يساعده الجميع بالقوات والجيش والأسلحة ، حتى يحمي الأرض ويهاجم قلعة مونمفاسيا واجابوه بأنهم مدينون له بالشرف والولاء فقط ، كأمير واعدنوا أن كل مالىهم ومايملكونه قد حصلوا عليه من البابا ، ففضب الأمير وأمر بأن تحجب عنهم الاراضي والاقطاعات

التي كانت بملكهم ، وأنه لن يأخذ شيئاً بالمرّة من بخل الاقطاعات والكناؤس ولكنه أمر بالشروع في انشاء قلعة كلوموتسي ، وحرم الاساقفة بدورهم الأمير الى الأبد (٩٧)

والآن حجب الأمير أراضي كل الكناؤس في كل الامارة ، حتى أنهى بناء قلعة كلوموتسي وحرموا بدورهم الأمير وكل بارونات الامارة ، وعندما انتهت كما اراد ورغب ، أرسل مينوريثس وفارسين الى البابا بالغ القدسية في روما معلنا ومجاهرا بأنه كان في حرب وكان يقاتل الروم في رومانيا ، ولهذا السبب طلب من الاساقفة الذين كانوا مطارنة واساقفة ومن الداوية والاسبتارية أن يساعدوه بأي طريقة في الحرب التي كان يشنها ، وانهم لم يساعدوه بالمرّة ، وقد حجب عنهم (٢٦٦٧ - ٢٧٠٤) الاراضي والاقطاعات التي كانوا يملكونها في الامارة وأنه لم يكن يريد أن يأخذ شيئاً من الضرائب مهما قل وأن (سخرة) كل الكناؤس ، لم تؤد الا الى بناء قلعة قوية سوف تحمي الساحل وميناء المورة . (٩٨) واذا حدث بالصدفة وفقد الفرنجة المورة فانهم سيستعيدونها بهذه القلعة ، ولهذا السبب يرجوكم كبابا بالغ القدسية ، ان ينال حبكم وان تعفوا عنه ، لأنه اذا أخذ الروم أرض المورة ، فإنهم لن يسمحوا بأي حال ببقاء كناؤس الفرنجة .

وحالما علم البابا المقدس بذلك ، أرسل على الفور بالعفو الى الأمير جيوفري ، وعندما رأى الأمير عفو البابا ، كان سعيدا جدا ومجد الرب ، ثم بعث برسالة الى المطران الذي كانوا يدعونه مطران باتراس القيمة ليأتي وكذلك للأساقفة الذين كانوا في مقره وقادة فرسان الداوية والاسبتارية وأطلعهم على المرسوم البابوي ، عفو البابا ، ثم أمر بإعادة الاراضي التي أمسكها بناء على ذلك وتوسل اليهم بحكمة وبمسألة : « أيها الآباء فيما فعلته عندما أخذت اقطاعاتكم لم أخطئ معكم ، لا بالمسيح لقد كنتم انتم المخطئين لأنه كان يجب أن تعرفوا ، بل أنكم قد سمعتم بأن الروم اذا استولوا - لاسمع الرب - على الاراضي التي لنا هنا في رومانيا فانهم لن

يسمحوا لكم ، لأنكم من الكنيسة ، بأن تحتفظوا باقطاعاتكم هنا ولا أن يكون هناك أوقاف كنسية بل إنهم سيقتلونكم ويحرمونكم من الامتيازات كما يفعلون بنا ، وبالعامة من الجنود ، اني لأطلب منكم ولا هو مطلوب منكم أن تقوموا بواجب الحماية مثل مالكي الاقطاعات ولكن في الامور الأخرى ، كحراسة الأرض أو تحرير قلعة يحاصرها الأعداء ، ان عليكم أن تساعدونا ، وإذا ذهبنا في غارة للأسلب (٢٧٠٥ - ٢٧٤٩) وفي أمور أخرى من أجل الدفاع عن الأرض ، يجب أن نقف معا لحماية أرضنا ، لأنكم بدوننا لاشيء ، وإذا كنت قد حجت أراضي الكنايس فاني لم اخذ ربحا خاصا منها ، وقد بنيت كما ستلاحظون قلعة لتحرير الأرض من أجلا ومن أجلكم ، لقد بنيتها لكي تكون مفتاح الأرض ، فإذا تصادف أن قلنا أرض المورة فأننا سندستعيدها بدواسطة قلعة كلوموتسي . وعليه اتوسل اليكم كأباء للكنيسة أن أنال عفوكم كما حصلت عليه من البابا ، ومن الآن فصاعدا ليكن بيننا انسجام ، وتعاونوا معي في السلاح كما هو مناسب وملائم ، وأنا بالمقابل سأساعدكم بأي طريقة ضرورية ، وبناء عليه عفوا عنه وأقاموا السلام ووعدوا بأنهم من الآن فصاعدا سيكونون تحت أمره .

والآن بعد أن حدث ما أخبرتكم به ، لم يكن للأمير جيوفري الحظ الحليب أن ينجب ابنا يتركه كوريث ، وكما هي طبيعة العرق البشري ان كل من يولد يجب أن يموت بطريقة ما ، سقط الأمير في هنيان الموت ، وعندما رأى وفهم أنه سيموت دعا أخاه غوليوم وقال له مايلي وهو يتوسل اليه في حب : أخي الأحب والأحلى ، لقد أكملت سنوات حياتي وستبقى بعدي كأمرير بالوراثة على كل مافتحه أبونا وسيننا بصعوبة وجهد شديد كما يعرف الناس جميعا ، حسنا ياأخي المحبوب ، لقد كان في ذهني أن أقيم كنيسة وأشيد بيورا حتى أضع فيه البقايا المقدسة لسيننا وأبيننا ، وبسبب خطاياي لم أنجز هذا ، وعليه أطلب منك ، وأكلفك طالما أني لم أكن قادرا على أنجازه أن تفعل ذلك ، ولتحل عليك مباركتي ياأخي الأصغر وبركات أبينا

وربنا الموثوق جدا ، ولتحفظ بقاياها في الضريح ، ثم دعني بدوري
أرقد إلى جانبها ، وأعمل يا أخي الطبيب على أن يكون للبير كاهن
وجوقة ترتيل ، وأن تؤمن معيشتهم حتى يخلدوا نكرانا دهرًا بعد
دهر (٩٩) وبعد هذا يا أخي أنصح وأقول أن تتخذ لنفسك زوجة
حتى (٢٧٥٠ - ٢٧٨٨) تنجب لك أطفالا يكونون ورثة حتى
يرثوا أرض أبينا ، والآن بعدما رتب السيرجيوفري كل الأمور كما
كان عليه كرجل حكيم أن يفعل أسلم الروح وحملتها الملائكة بعيدا ،
فقولوا أنتم يا من تسمعونني لتبقى روحه في سلام (١)

وبناء عليه توج الأساقفة وقادة الفرسان أخاه غوليوم
كأمير ، وقد تحول فيما بعد إلى رجل بارع حكيم ومجد بين كل
الرجال الذين ولدوا على أرض رومانيا ، وأحب رفاهه من البشر
وأحبه الجميع ، وبعد أن تسلم السلطة على الأرض وجد أن الروم
كانوا مايزالون يسيطرون على قلعة مونمفاسيا ، وقلعة كورنث
وأيضا قلعة نوبليون التي بقرب أرغوس ، وكان لهذه القلاع أفضل
الموانئ التي كانت تصل إليها سفن ملوك الروم وهي تحمل المؤن
والرجال المسلحين (٢) واذ رأى ذلك اضطرب الأمير وقال أنه
طالما لم يستول على هذه القلاع لن يحق له أن يدعي أمير
المورة ، وعليه توصل بنفسه إلى نتيجة تشاور حولها مع آخرين ،
فكان أن وافقوا معه أنه إذا لم يكن لديه سفن للسيطرة على البحر
حتى لاتصل المؤن إلى القلاع المذكورة اعلاه فإنه لن يكسبها ولن
يسيطر عليها ، وأرسل رسلا إلى دوج البندقية وعرض أن يصل إلى
تفاهم مع الجمهورية وفق الشروط التالية : أن تدعّمه تلك
الجمهورية حتى يستولي على القلاع في مونفاسيا ونوبليون ، بأربع
من الشواني مع تجهيزاتها الكاملة ، على أن يعطي الجمهورية قلعة
كورون مع قراها والأرض التي حولها ، ومثل هذه تكون ميثون ملكا
موروثا للبندقية ، وأيضا من الآن فصاعدا وإلى أن يتم الاستيلاء
على القلاع تقدم البندقية دائما من أجل حماية الأرض اثنتين من
الشواني فقط مع طقميها الكاملين (٢٧٨٩ - ٢٨٠٦) على أن
يدفع الأمير نفقاتها التي كانت تدعى باناتيكا باستثناء الأجور ،

(٣) وبطريقة مماثلة ، بينما كان الأمير يرتب ذلك ، رتب أيضا للقيام بحصار كورنث ، وفي هذا امر بأن يكتب الى أمير اثينا ، وكانوا يسمونه الأمير العظيم - ليأتي للمعاونة على حصار - كورنث .

ثم ارسل بعد ذلك رسالة الى دوق ناكسوس والى امرأه يوريبوس الثالث ، ولكل من على الجزيرة ليأتي مع قوة وسلاح وجيش ، وبعد أن انضموا الى جيشه رتب الأمير الحصار (٤)

وحيث أن قلعة كورنث كان عريضا وعاليا وهائلا ولكون القلعة كانت تقوم على قمته ، وأنه كان يوجد الى الجنوب من القلعة تل صغير معين ، وهو جرف صخري منحدر ، أمر الأمير ببناء قلعة على قمته دعيت مونت اسكوفية (٥) ولا زالت تحمل هذا الاسم ، وعلى الجانب الآخر وهو الجانب الجنوبي بنى الأمير العظيم قلعة له ، ووضعوا في هذه القلعة المؤن والدروع الحاملة للعرادات وحاصروا أهل كورنث بأحكام حتى أن الواحد منهم لم يكن يستطيع أن يغادرها لي جلب قطعة خشب ، ولا يمكن للمؤن أن تدخل اليهم من أي مكان ، وفقط مياه الينابيع والآبار التي على قمة التل وبداخل القلعة هي التي كانت وافرة ، فمن الذي يستطيع أخذها منهم ؟ حسنا ماذا اردت أن أكتب اليكم بالتفصيل كل ما حدث في حصار كورنث فان المال سيحل بمن يسمع ، ولكن عندما رأى الذين كانوا بالداخل انه لا يمكنهم الحصول على المساعدة من أي ناحية بسبب شدة الحصار ، أذعنوا وتخلوا عن الحصن ولكن تحت القسم والمعاهدات بأنهم سيتحفظون بأقطاعاتهم حتى مثل بقية الروم في كل الامارة .

والآن بعد أن ربح الأمير غوليوم القلعة الملكية لكورنث ، أمر بأن يوضع مدد كبير من الرجال والأسلح فيها على النحو المناسب والملائم .

ثم دعا قبل كل شيء الأمير العظيم ثم جميع القادة وقال لهم

بحكمة بالغة : « ايها الرفاق والاصدقاء والاخوة يجب أن نشكر أولا مجد الرب ثم الشيوة وكوس للتأييد الذي منحوه لنا ، وقد كسبنا أجمل مكان في الدورة ، والآن لا يذقهننا الا القليل : قلعتنا نوبليون ، ومونمفاسيا ، وأقول إنه لو أنكم كنتم متمثلون في التفكير بما أننا نجد أنفسنا معا ، دعونا نتنافس ونتشاور معا في الكيفية والحيلة التي سنتقاتل بها لنكسبهما ايضا » .

وعليه أعلن أكثرهم حكمة وأكد أنه طالما أن كلتا القلعتين تقعان على أرض ساحلية ولهما موانئ ، يجب أن نحاصرهما كليهما من البر والبحر »

(٢٨٤٤ - ٢٨٨٣) وبينما كانوا مايزالون مجتمعين في المجلس وردت الرسائل الى الأمير غوليوم من قبل المبعوثين الذين جاؤا من البندقية وأحضروا معهم المعاهدات وقد أبرمت تماما كما سعى لها الأمير وكما رغب وأراد : لقد جاءت السفن الأربعة إلى كورون °

وعندما سمع الأمير هذا غلبه السرور ووافق عليه كل القادة ودعا الأمير ومجلسه ورحبوا بالبنادقة الذين جلبوا المعاهدات ، وأرسل فارسا الى كورون ، وسلم القلعة التي للبنادقة ان يملكوها مع كل التوابع الموجودة في ميتون ، ولدوج البندقية ان يملك ويحكم القرى التي كانت هناك والتي كانت ملكا للبلاط في ذلك الوقت ، باستثناء الاراضي والاقطاعات التي يملكها المقطعون (٦) وبعد ان تسلم البنادقة في ذلك الوقت القلعة ، والاراضي المحيطة بها وقرى كورون ذهبت السفن رأسا الى نوبليون واقامت الحصار حول القلعة من البحر في حين احاط بها الأمير مع كل جيوشه من البر ، واندقضى الصيف وجاء الشتاء فأمضوه هناك في البر والبحر ، وعندما حل الموسم الثاني وجاء الصيف ولدى رؤية الذين كانوا من قلعة نوبليون انه ليس امامهم اي نوع من المساعدة ابرموا معاهدة وسلموا القلعة ، وكانت نوبليون قلعة تقوم فوق جرفين وعليه فقد تفاوضوا

على أن تسلم الاولى ، والثانية الاضعف يتحفظ بها الروم وابرموا المعاهدات المؤكدة بالقسم والعهد .

وبعد أن تسلم الأمير نوبليون قدمها على الفور للأمير العظيم ليملكها مع ارغون كاقطاعات موروثه (٧) ، وهيبة نوبليون وارغوس اللتان قدمها الأمير في ذلك الوقت للأمير العظيم كانت في مقابل المساعدة التي قدمها الأمير العظيم كما أخبركم للاستيلاء على كورنث ، وايضا لأن الأمير كان يتوقع منه ان يساعده في الاستيلاء على مونمفاسيا ايضا (٢٨٨٤ - ٢٩٢٤)

وبعد أن أخذوا حصن نوبليون بدأ الأمير رحلة مع الأمير العظيم ثم انفصلا فمضى الأمير العظيم رأسا الى مدينته التي تدعى طيبة وذهب الأمير الى ارض المدورة ، وعندما مضى فصل الشتاء بعث الأمير غوليوم بالرسل وكتب أولا ودعا الأمير الكبير وامراء بوربيوس الثلاث ودوق ناكسون وايضا كل الامراء الآخرين للجزر ، وكونت سيفالونيا (٨) وكل القساة في امارة المدورة صفيهم وكبيرهم ، أن يأتوا مع اسلحتهم ومؤونة كبيرة ، لقد كان يريد الذهاب الى قلعة مونمفاسيا وبما انها كانت منيعة ، رغب في محاصرتها برا وبحرا وفي ان يقيم حصارا وقوة محاصرة حتى يأخذها .

وعندما بدأ الموسم في شهر اذار جاءت الجيوش من كل مكان ، الى مروج نيكلي وهناك في الحقول تم حشد الجيش ، ومن هناك ذهبوا رأسا الى مونمفاسيا ، وذهبت الشواني الاربعة ورسد خارج الشاطئ وسيطرت على البحر ، ورتب الأمير حصاره ، وكانت مونمفاسيا في حينه مطوقة بالطريقة نفسها كالعندليب في القفص ، ولما عرف النين كانوا في مونمفاسيا بمجيء الأمير لمحاصرتهم ، جمعوا مؤنهم بوسائلهم ولم يكن رأيهم ان الجيوش الفرنجية ، ولديها توقعات محدودة للنجاح ، ستمكث طويلا في الحصار الذي فرضته عليهم ، واذ رأى الأمير مثل هذا التبجح

اقسم على سيفه في غضب وثورة ان لا يبرح حتى يأخذ القلعة ، وامر بالمنجنقيات وقد نصب نحو ثلاثة منها فاخذت تقذف بلا انقطاع ليلا ونهارا ، فدمروا البيوت وقتلوا الناس ، لماذا اخبركم بهذه التفاصيل ومن اين لي بالوقت لاكتب كل ما فعله الامير في موندفاسيا (٢٩٢٥ - ٢٩٤٨) وكيف تصرف الموندفاسيون ؟ (٩) ولكن من اجل مزيد من الايجاز ولاختصار الامر عليكم ، تصرف الامير حسب قسمه انهم لن ينالوا موندفاسيا حتى تؤخذ القلعة والتل ايضا (١٠) ، ولهذه الغاية مكثوا هناك ثلاث سنوات اخرى ، ولم يكن لدى اهل موندفاسيا ما يأكلونه فاكلوا القحط والفران ولم يعد لديهم شيء اخر لياكلوه سوى جثثهم ، وعندما رأوا بلواهم وان الموت يقف في مواجهتهم تشاوروا معا في الاستسلام .

وطلبوا عقد معاهدة مع الامير غوليوم على ان يبقوا جميعا هناك مع املاكهم الموروثة ومع بضائعهم كالفرنجة في مزاياهم ولا يبيدون باي (سخرة) سوى استخدام مراكبهم وان يكون لهم رواتبهم وهباتهم (١١) °

ودون الامير وختم المعاهدات والوعود التي طلبوها منه وحالما تسلموا نسخهم والاقسم اخذ ثلاثة من نبلائهم مفاتيح قلعة موندفاسيا واحضروها للامير وكان احدهم يدعى ماموناس ° والثاني ييمونوجيانس والثالث سوفيانوس (١٢) °

وهذه كانت انبل الاسر (٢٩٤٩ - ٢٩٨٩) التي كانت في موندفاسيا والتي ماتزال هناك ، وقد قدمت الولاء للامير ، واستقبلهم جيدا كرجل حكيم مميز في انه لكل الناس ، ورحب بهم ترحيبا حلوا وخلع عليهم العطاءات وهبات من الخيول والدواب واثوابا مذهبة كلها قرمزية ايضا ، واقطعهم علاوة على ذلك في ناحية فاتيكا (١٣) . وبعد ان تسلم الامير غوليوم قلعة موندفاسيا الشهيرة وضع فيها مؤنا وفيرة ، ورجالا مسلحين ، واسلحة ومقننات غذائية كانت في حاجة اليها .

وعندما سمعت نواحي الاحواز من اراضي فاتيكا وتزاكونيا التي كانت في ثورة بانها قد استسلمت للامير غوليوم بدأوا يهرعون لاداء النولاء له ، وحياتهم الامير الحكيم جميعا واستقبلهم استقبالا حلوا حسب المرتبة التي يحملها كل منهم .

وحالما نظم الامير غوليوم القلعة ، قلعة مونمفاسيا والنواحي التي محيطة بها امر بصرف كل جيوشه وكذلك السفن التابعة للبلدية وعاد الى ليكسيمونيا ، ودعا قواده للمشورة واجابوا ونصحوه بانه نظرا لما بذلوه من جهود عظيمة في البر والبحر خلال السنوات الثلاثة التي مكثوها في مونمفاسيا ، يجب ان يحصلوا على اجازة الكبيرة منهم والصفير ليذهبوا الى بلادهم في عطلة ، وان الامير مع اهل بيته عليهم ان يبقوا في ليكسيمونيا حيث يمضوا الشتاء ، وعليه رحل الجميع صفارا وكبارا وبقي الامير كما اخبركم ، ثم ذهب مع حاشيته يركب ويتنزه بين القرى في جوار مونمفاسيا والى هيلوس (١٤) ، والى باسافا والى الاراضي التي في هذا الاتجاه ومضى يتجول في سرور وامضى وقته (١٥) .

وعندما كان يتجول في كل هذه الاماكن وجد تلة رائعة مقطعة من سلسلة الجبال كقمة ، على بعد ميل امر اكثر فوق ليكسيمونيا ، ولانه كان متلهفا لبناء حصن ، امر ببناء قلعة فوق التل واسموها ميسترا (٢٩٩٠ - ٣٠٠٧) حسب اسم المكان ، وجعلوا منها قلعة فاخرة (١٦) لان اهل المكان اخبروه ان زيغوس الميلنفز كان درنفوسا عظيما وقد حصن الممرات والبن بقوة وكان شعبه متفطرسا لايحترم امير ، وفكر كثيرا كيف يمكنه ان يسيطر عليهم ، ولهذه الغاية قال له مستشاره: اما وقد قامت الان قلعة ميسترا فوق زيغوس العائد للدرنفوس ميلنفز يتوجب عليه ان يقيم اخرى في مكان ما حول هذه الجبال حتى يسيطروا على المنطقة ، وعليه قام الامير بنفسه بجولة على الحصان وهو يتبع اتجاهات اهل الارض ، وتجاوز باسافا وسافر الى مين وهناك وجد جرفا رهيبا فوق نتوء

جبلي . ولانه وجده مناسباً جداً بنى هناك قلعة واسماها مين كما
لاتزال تسمى (١٧) .

وحالما رأى نبلاء وقادة الدرنفوس ان الفرنجة بنوا هاتين القلعتين ،
تشااوروا فيما بينهم حول ما سيفعلون ، وعليه قال القادة والذين
كانوا ايضاً يملكون الثروة انهم يجب ان يوقفوا بثبات بدلا من ان
يذعنوا للتبعية ، ومع ذلك فان حشود القوات وكل العامة قالوا
واعطوا المشورة بانهم يجب ان يقدموا الولاء ، ولكن يجب ان يكون
لهم تشريف فلا يؤدوا السخرة كما فعلت القرى التي في السهول ،
ولانه ما ان ظهرت القلعتان إلى الوجود لم نحصل على اجازة فقد
حجبتنا عن أن ننزل إلى السهول لنقل البضائع والمعيشة وليس
لدينا القدرة على العيش في الجبال .

والآن وقد رأى النبلاء وقادة الدرنفوس أن العامة يرغبون في
تأدية الطاعة ، لم يروا بدا من أن يسيروا معهم ، وأرسلوا الرسل
إلى الأمير غوليوم يطلبون عقد معاهدة ينالون بها الاعفاء ، أي أنهم
في كل حياتهم لا يؤدون السخرة ولا يدفعون المكوس ، وأنهم
سيقدمون الولاء والخدمة تحت السلاح كما فعلوا مع الملك (١٨) ،
واكد غوليوم ، الاتفاقات ووضعها كتابة ، ووشحها بالاختام.

و بعد أن أدى الدرنفوس الولاء ، قال بعضهم للأمير غوليوم إنه
إذا رغب في أن يكون كل الزيغوس تحت ارادته ، عليه أن يبني قلعة
على الساحل قرب غيسترنا ، وصدق الأمير الذي قال له ذلك وأمر
ببنائها وسميت ليفتروا (١٩) وبعد ان بنوا القلاع التي سميتها لكم ،
ليفترو (٣٠٣ - ٣٠٦٣) وميسترنا ومين القيمة (٢٠) أخضع
أراضي السلاف وجعلهم رهن مشيئته ، وسار خلال الامارة
واستمتع بها جميعا كما لو كان قد غزاها ، وأصبح سيديا لها
جميعا (٢١)

ومن هذه النقطة وما بعدها ، سأتوقف عن الكلام عن الأمير غوليوم

أخيا ، وسأخبركم عن الملك كيرتيودروس ملك الروم الذي كان في الأناضول خلال تلك السنوات ، لأنه كان في المدينة امبراطور فرنجي يدعى بلدين ، ولقد سمعتم أعلاه في الكتاب حول الوقت الذي كان فيه كيرتيودروس لا سكارس ملكا على الروم (٢٢) وكيف جاءه الموت ، فترك ابنه ، الذي كان طفلا قاصرا ليربى من قبل الرجل الذي يدعى كير ميكائيل ، الباليولوجوس الكبير الذي كان اول نبلاء رومانيا الذي اقتصرف اثما ، حيث خذق سيده الصغير وقتله ، واغتصب امبراطورية رومانيا كلها . وعندما سمع انجلوس كالوانس كوترولس امبراطور هيلاس كيف تصرف بالولوجوس وما فعله وقتله الملك (٣٠٦٤ - ٣٠٧٧) واستيلائه على الامبراطورية ، غضب وثار وحزن جدا لذلك ، وأقسم قسما مغلظا أن لا يعترف بباليولوجوس ملكا ولا أن يعتبره سيذا له ، طالما أنه استولى على الامبراطورية الرومية بمؤامرة وتمرد ، ولن يعتبره أميرا ولا صديقا ولا حتى قريب له في الواقع (٢٣) ، وعندما سمع الملك بالولوجوس هذه الأشياء ، ثار سخطه جدا وغضب واهتاج وقال انه لو وجد طريقا للعبور إلى الغرب ، فإنه بأمد قصير سينكمه بدرجة كبيرة ، ولكن لأنه تصادف أن كان بلدين امبراطور المدينة في ذلك الوقت ، ويملك السلطة ، لم تكن لديه القدرة (٣٠٧٨ - ٣١١٠) على العبور إلى الغرب ، ولكن بعد أن غزا مدينة قسطنطين وعبر إلى غلاطة وملك الامبراطورية ، بدأ العمل ، وشن الحرب من البر والبحر واندفع في هجوم رهيب ضد امبراطور أرتا ، ولأنه كان حكيما وأعد نفسه جيدا ، اشترك الفرنجة كمرتزقة ، والأمير غوليوم وأمير أثينا واليوربيوتين أيضا ، فساعدوه وانطلق إلى المعركة (٢٤) .

وتوفي كيريوانس الامبراطور وترك كوريث له كير ندفور ، ابنه وورثة كل امبراطوريته (٢٥) ، وكان له ابن آخر أيضا ولكنه غير شرعي ، ترك له قسما كبيرا من الاشيا ، ومنا وقلعا قديمة ليحكمها ، وكانوا يدعونه كير ثيودروس وكان لقبه دوكاس ، وأصبح دوكاس رجلا شجاعا في حمل السلاح وكان جنديا رائعا ، وحكيما وماهرا وعندما رأى كالوانوس أن أباه قد توفي وأن أخاه قد بقي

وهو نقفور الذي لم يكن بحكمة أخيه ، رغب وأراد أن يستولي على
والاشيا وأن يستولي في الواقع على نصف الامبراطورية ، وبنى
قلعة قوية سميت باتراس الجنية وبدأ هراعا ضاريا مع أخيه كير
نقفور الامبراطور ، ولأن الفرنجة كانوا يساعدون الامبراطور وذهب
كير تيودوس إلى الملك إلى كير ميكائيل الباليولوجوس العظيم ،
فوعده بأن يفعل له أشياء كثيرة ووعد أن يسلمه أخاه ، الامبراطور
مقيدا كخائن ليقدم له الولاء ، وجعل منه حاكما لكل رومانيا
وأعطاه جيوشه لتكون تحت قيادته ليحارب ولكي يحضر أمام العدالة
أخاه ، وشرفه كثيرا وأعطاه هبات ٢٧ (٣١١١ - ٣١٣٧) .

وعندما سمع الامبراطور في ذلك الوقت الاخبار بأن أخاه كير
تيودوروس قد هب في ثورة ضده وبأنه قد ذهب إلى الملك ، الذي كان
عدوا له ، حزن جدا ولقد شجاعته تماما ، ودعا نبلاءه للمشورة
ونصحه الجميع بأن يعطي أخته كزوجة للأمير غوليوم لأنه اذا كسب
الأمير كحليف وأخ فإنه سيتحدى حرب الملك مهما كانت وحيثما
تقع ، وبعدما تشاور مع نبلائه بحث بالرسل إلى الأمير غوليوم .

وكانوا دهاة وسرعان ما تقربوا منه ، ووضعوا الاتفاقيات مع المهر
وترتيبات الزواج . وعادوا بسرعة إلى الامبراطور ، وأخبروه بكل
شيء ، وقدموا له تقريرا شفويا ، وشرحوا له كيف رتبوا الزواج .
وكان المهر ٦٠٠٠ هيبير بييرا ٢٨ ، وقد أعطاهما الامبراطور في
حينه للأمير من أجل أخته الرائعة ، وهذا عدا عن أثوابها والهدايا .

ولم يتأخروا في عقد الزواج الذي جرى في باتراس القسيمة ، وحيث
أن الأمير والامبراطور وقد اجتمعا متصاهرين فقد أحبا بعضهما
بعضا كثيرا وكانا كشخص واحد ، واذا حدث أن احتاج الامبراطور
للجيوش أو الرجال المسلحين من الأمير فإن العدد الذي يحتاجه
يكون تحت إمرته ٢٩ (٣١٣٨ - ٣١٧٢) .

وعند هذه النقطة ، سأتوقف للحظة عن الكتابة والكلام حول

امبراطور ارتا ، لأخبركم ولاهكي لكم عن امير المورة السير غوليوم ، فالآن بعد ان استولى الامير غوليوم على قلعة مونمقاسيا ، توسعت ولاياته ، وفي الواقع لم يكن لديه سبب للقتال ضد اي رجل في الدنيا ، وبدأ قادة فرسان المورة مع الفرسان في بناء القلاع والحصون في كل اراضيهم ، وبنى هو قلعة خاصة به ، وحالما اقاموا هذه الحصون تخلوا عن اقباهم ، التي حصلوا عليها من فرنسا ، واتخذوا اسماء الاراضي التي اخذوها .

وعليه كان اول من بدأ القائد العظيم الامير السير جيوفري ، وكان لقبه دي برويير ، وكان امير اسكورتا - كلا من الدرنغوس والارض - وبنى قلعة محصنة ، وحصنا جميلا ، سماه كاريتاينا ، وهكذا بات يعرف بلقب امير كاريتاينا ، الجندي الشهير ، وسمي الثاني السير غوتيير دي روزيير وكان هذا لقبه ، فقد بنى قلعة رهيبة في موزاريا ، وسماها اكوا ، ففدا اميرها . ولقب آخر بالسير جين دي نويلي ، وكان ايضا مارشال امارة المورة ، ولقد احتفظ بالمارشالية كمنصب وراثي ، وبنيت امارته قلعة دعتها باسافا ، وحمل آخر لقب دي نيفليت ، وكان اسمه السيرجين ، وبنيت امارته قلعة اسمتها جيرافي ، وتوجد في تزاكونيا في هذا الجانب من هيلوس ، ومثله مثل الآخرين ممن حملوا القبا اقطاعية قام الفرسان والاساقفة وكل قادة الفرسان ، فبنى كل منهم حصنا في ارضه ، وكانوا يرغبون ويريدون مسرات العالم ، وابتهجوا جميعا خلال الوقت الذي توفر لهم.(٣١٧٣ - ٣١٩٩).

وعند هذه النقطة سأتوقف عن الكلام عنهم وأعود فأخبركم كيف

بدأت الحرب بين امير المورة وأثينا ، السير غوليوم ولقبه دي لاروش وهكذا كان يسمى ، ويسمى وقد سمعتموني أخبركم في وقت سلف من كتابي حول الزمن والفصل والأيام وتلك الأيام عندما جاء ، بونيفيس ماركيز موندفات وملك سالونيك إلى كورنث إلى

أمير المورة ، الشامبني ، وبسبب الحب الكبير الذي كان يكنه كل منهما للآخر طلب الشامبني المساعدة من المركيز . ومنحه الولاء والتبعية ، أولا لأمير أثينا ولترزيري الثلاثة في يوريوبوس وبالإضافة رابعا (كذا) ، للمركيز بودونتسا (٣١) ، وخلال الحرب التي شنها الأمير غوليوم وأبوه أيضا ، السير جيوفري ومثلهما السير جيوفري أخوه ، أمضوا جميعا وقتهم بلطف ، وحالما أصبح الأمير غوليوم سيذا لامارة أخيا وأصبحت تحت سلطانه طلب من الأمير العظيم أن يؤدي له الولاء ، وأيضا من أمراء جزيرة يوريوبوس ومثل ذلك من المركيز ، أمير بودونتسا ، والتقى الخمسة معا وتشاوروا مع بعضهم وأجابوه بأنهم يعتزفون به فقط كندلهم (٣٢٠٠ - ٣٢٤٤) وأما بالنسبة للولاء الذي ذكره فانهم غير مدينين له بشيء ولن ينزلوا مطلقا إلى مستوى تقديم الولاء له .

وغضب الأمير عندما سمع هذا الكلام الذي بدا له غير مناسب . فعقد جلسة استشارية وأشار عليه المجلس بشن حملة وبأن يسير ضدهم ليحاربهم كمتربين وخونة ضده .

ولهذه الغاية أمر بتسجيل كل واحد في الامارة : قادة الفرسان . الفرسان ، كل الاساقفة ، فرسان الداوية والاسبتارية وكل ممثلي البرلمان ، وكلفهم بالاجتماع في نيكلي في ١٢ ايار ولا عذر لأحد ، وعندما سمع السيد العظيم وعرف أن أمير المورة كان يعد للزحف اليه ليحارب جميع جيوشه ، أرسل الدعوات إلى كل مكان حيث يوجد له صديق ، يطلب ويلتمس منهم أن يأتوا لمعاونته ضد الأمير ، الذي جاء ليحاربه ، وكان أفضل صديق وقريب له في ذلك الوقت هو الأمير الباسل سيد كاري تاينا (٢٢) الذي كانوا يرتجفون أمامه في كل رومانيا ، فتزوج من اخته . وكتب للسيد العظيم يعلمه ويتوسل اليه كآخ مخلص له أن لا يخذله في تلك المناسبة ، التي يحتاج فيها اليه لأن أمه وثقته كلها فيه .

وعندما سمع ما طلبه منه أخوه ، فإن أمير كارييتاينا الباسل الشهير فكر وتأمل بعيدا كيف يجب أن يعمل ، لمن يذهب أولا للمساعدة . إلى الأمير الذي كان تابعا له والذي تربطه به قرابة الدم . فقد كان عما له - أو الأمير العظيم أخو زوجته . وبقدر ما تأمل فقد كان خياره هو الأسوأ ، والذي لم يكن ليشرفه ، وقال إنه اعتبر إنه من الأفضل أن يفقد شرفه من أن يخذل أخا زوجته . وهذا هو الآن التعليل الذي كان في ذهنه في ذلك الوقت - فإذا خذل الأمير - فإنه كان . قبل كل شيء عمه - وقد ينال عفوّه ، وأنه سيأخذ الأمر على هون ، وعليه جمع الجيوش القوية وسمع هذا في كل مكان ودهش له الجميع ، وعندما سمع الأمير بذلك غمرته البهجة ، معتقدا بأنه سيأتي إلى جانبه . ولكنه أسرع بالذهاب إلى الأمير العظيم (٣٢٤٥ - ٣٢٨١) وأخذ جيوشه وذهب إلى طيبة حيث وجد الأمير العظيم يجمع جيشا ، وعندما وجد أن ابن حمية قد جاء إلى هناك ، بدا له أنه قد كسب نصف الدنيا ، وكان سعيدا جدا ، وندم فيما بعد . وعندما سمع الأمير بالفعل وبالأعمال الشريرة لابن أخيه أمير كارييتاينا ، بدا له الأمر مدعاة للأسف الشديد وقد حزن بعمق ، أولا بسبب السمعة التي كانت له في العالم كأفضل الجنود الذين كانوا في رومانيا في تلك السنوات ، ومرة أخرى لأنه كان قريبا له ، وكان ابن أخيه وخان أميره وذهب إلى عدوه ، ومع ذلك ولأنه كان حكيما فقد واصل نفسه وأمر جيوشه وذهبوا إلى كورنث وشقوا طريقهم بالقوة إلى دهلز ميغارا وكسب هذا الأمر في المعركة ، (٣٣) وسمع الأمير العظيم بهذا واضطرب جدا لأنه علم أن الأمير قد اجتاز الشعب ودخل أراضيه وخرج يبحث عنه ، فأخذ جيوشه وخرج للقائه وتقابلوا عند موقف كاريدي ، وبدأوا المعركة على قمة الجبل ، وحيث أن الرب حاكم ويحكم بالعدل وقف مع الأمير فربح المعركة.

وكان قائد الفرسان الذي قتل هناك في المعركة يدعى السير غويبرت دي كورس وهذا لقبه وكانت زوجته ابنة السير جين دي باسافا ، وتزوجت بعده السير جين وكان لقبه سانت - أومر ، وأنجبا ابنا رائعا هو السير نيكولاس دي سانت أومر أمير طيبة والمارشال العظيم لامارة أخيا (٢٤) . وقتل أيضا في هذه المعركة سرجنية وفرسان بلا عدد (٣٢٨٢ - ٣٣١٢) .

وهرب الأمير العظيم إلى طيبة بأكثر عدد من أتباعه ممن ذهبوا معه . وذهب أمير كاريتاينا إلى هناك معه ، والآن بعد أن هزم الأمير غوليوم الأمير العظيم في المعركة التي وقعت في كاريدي ، هرب الأمير العظيم ، وذهب إلى طيبة وكان أمير كاريتاينا هناك معه وكذلك السير نيكولاس دي سانت أومر مع أخوته ، السير جين دي سانت أومر ، والسير أوتون (٣٥) ، وأيضا أخوة الأمير العظيم الثلاثة الذين كانوا جميعا جندا جنيرين بالثناء ، وفرسان يحمل كل منهم علمه ، وأمير سالونا السير توماس (٣٦) وأمراء يوريبوس الثلاثة والمركيز وقد حملوا جميعا الأعلام ، ولكن الفرسان الآخرين الذين كانوا في المعركة مع الأمير العظيم ولا ادرجهم هنا لما يتطلبه ذلك من كتابة مطولة جدا .

وإذ رأى الأمير أنه قد ربح المعركة وقتل وقضى على أعدائه ، تتبعهم بحكمه مع جيوشه إلى طيبة وحاصروهم ، وأمر أن تنهب الجيوش الخيام حولهم ، ونهبوا الضواحي واستولوا عليها ، والآن عندما رأى الكبراء في الجيش أن قاربهم الذين أحبوهم هناك وأن الأمير العظيم مع الآخرين الذين معه ، كانوا يفقدون قراهم ، ذهب مطران طيبة وآخرون من الوثنيين هناك ليتوسطوا للوصول إلى تفاهم مع الأمير العظيم والذين (٣٣١٣ - ٣٣٤٩) معه . وأقسم الأمير العظيم للأمير في ذلك الوقت أن يضع نهاية لاغارته وتدميره ، وبناء على اسمه سيذهب إلى كورنث ، وفي مدينة نيكلي سيقيم له الولاء وأنه سيرجع ويهوض

عن أي خطأ فعله في حقّه ، وعن أي جريمة ارتكبها ضده ، وعن الأسلحة التي شبرها في وجه الأمير ، كما يقضي العدل ، وتدخل قادة الفرسان كضامنين وضمنوا أن يذهب الأمير العظيم الى نيكلي خلال مهلة حددوها في حينه . وحالما قرروا ما أخبركم به انطلق الأمير ونهب الى كورنث وسافر من هناك راسا الى نيكلي واستعد الأمير العظيم على الفور وأخذ معه النبلاء من قادة فرسانه وكل الفرسان الذين تبعوه ، وبشرف ونبل ، انطلق بعد ذلك ونهب راسا الى مدينة نيكلي حيث كان ينتظره الأمير غوليوم.

وحالما وصل الأمير العظيم الى نيكلي وانضم الى كل النبلاء في الامارة . ذهبوا معه جميعا الى حضرة الأمير ، وركع أمامه وتوسل اليه الجميع أن يصفح عما فعله الأمير العظيم برفعه السلاح ضده في المعركة ، ولكونه رجلا حكيما ونبيلا فقد صفع في حينه عن الأمير العظيم بدمائة . وبناء عليه أدى الولاء الذي دان له ، وقبله في نفسه وتصالحا (٣٧) ، وبعد هذا وفي حضور القادة أمره كتفويض عن الجريمة التي ارتكبها واشهاره السلاح ضده في المعركة أن يذهب الى ملك فرنسا ليحاكم من قبله . ووعده الأمير العظيم على الفور أنه سينفذ ما أمر به الأمير (٣٨)

وبعد أن انتهوا من هذا الأمر الذي أخبركم به. أخذ الاساقفة مع الآخرين كلهم (٣٣٥٠ - ٣٣٧٧) بما فيهم الأمير العظيم ، السير جيوفري أمير كارتياينا والقيد في عنقه ونهبوا الى الأمير ، وتوسلوا اليه وهم راكعون وصلوا لكي يكون رحيمًا ويصفح عنه ولم يقبل الأمير وعارضهم بقوة ، وبين لهم السبب وكان محقًا وهو الخطأ الذي ارتكبه بنهايه الى صف عدوه ، لقد تخلى عنه وهو أميره الشرعي (٣٩) . ومع ذلك ألهموا عليه وتوسلوا اليه كثيرا الاساقفة منهم والنبلاء والقادة حتى ربحوا الأمير في صفهم وأشفق على أمير كارتياينا ابن أخيه ، فعفا عنه بناء على ذلك وأعاد له أرضه ليملكها من حينه ملكا قابلا للتوريث للورثة المبشرين له ، وأنه لو كان لديه أكثر لحنه ملكيته من حينه فصاعدا (٤٠)

والآن بعد هذه الاتفاقات ، أقام الفرسان الشبان احتفالا وعقدوا حلقات المبارزة وكسروا الرماح وأمضوا وقتا جميلا. وبعد أن احتفلوا جيدا انطلقوا من هناك واستأنن الأمير العظيم وأمراء يوريبوس من الأمير ورحلوا.

ولأن موسم الشتاء كان يقترب بقي الأمير العظيم ليمضي الشتاء ، وعند ما حل الموسم الجديد ، وفي شهر آذار جهز سفينتين كبيرتين وركب وعبر إلى بـرنـنـيـزي ونزل هناك (٤١) (٣٣٧٨ - ٣٤٠٧) واشترى خيولا بسرجين للسفر (٤٢) ، وأخذ الطريق وسافر شوطا بعيدا حتى وصل إلى باريس.

ووجد الملك هناك ، و كانت هناك عطلة كبيرة تدعى عيد الحصاد وكان الملك يحتفل (٤٣) ، وانحنى الأمير العظيم في خضوع بين يدي الملك الذي لقيه بتشريف كبير لأنه كان قد علم أنه كان قادما من رومانيا ، وكان الأمير قد أرسل رسالة مكتوبة مع أحد فرسانه حول الحالة التي سببها الأمير العظيم ، وقام الفارس بانحناء للملك وأعطاه رسالة الأمير غوليوم وتسلمها الملك وأمر بتلاوتها ، وبعد أن فهم تماما الفعل الذي ارتكبه الأمير العظيم في ذلك الوقت ضد الأمير أدرك بدهائه في حينه أن أمير الدولة قد أرسل الأمير العظيم إليه نظرا لشرفه تجاه العالم ، (٤٤) ولهذا السبب ، أمر بناء عليه بدعوة القادة الذين كانوا في باريس في إجازة في حينه بأن يمثلوا بين يديه ، وطلب منهم أن يشرحوا عليه بمشورة جيدة ، فناقشوا بشكل مطول جدا وبالتفصيل الجريمة التي ارتكبها الأمير العظيم ضد الأمير غوليوم ، وعندما تكلموا أخيرا ووجدوا الحقيقة ، استدعوا الأمير العظيم وكذلك الفارس ، وأعطوا جوابهم ل كليهما ، وأعلنوه شفاهة لهم وقدموه اليهم كتابة أيضا . ووقف الأمير العظيم واستمع للكلمات ونطق أحد البارونات بقرار المحكمة ، ودعا الفارس وقال له : اسمع يا صديقي وأخي وأفهم الكلام الذي يجيبك به القضاء الفردي ، إذا كان الأمير العظيم قد قدم الولاء هنا لأميره الأمير غوليوم وبعد ذلك حمل السلاح ضده وحاربه وجهها لوجهه في

الميدان ، فإن القانون يأمر والعدالة تتطلب أن يحرم هو وسلالته من أي أرض وأي سلطة يستمدّها منه ، ومع ذلك طالما أن الوثيقة التي جئتم بها إلى هنا تعلن ، كما أخبرتمونا بأفواهكم الشيء نفسه في حضرة المحكمة ، أن الأمير العظيم لم يقدم الولاء لأميركم ، أمير المورة فإن الجريمة لاتضع الأمر عند نقطة الحرمان ، ومع ذلك حيث أن الأمير العظيم عرف واعترف هو نفسه ، وكانت هذه أيضا وصية أميره المتقدم ملك سالونيك ، أنه كان يجب عليه أن يقدم الولاء له ، لم يكن له بأي حال أن يحمل السلاح أو يشن حربا على أميره ، وعليه ، وحيث أن الأمير غوليوم أرسل الأمير العظيم ، وأنه جاء هنا إلى محكمة سيدنا ، وأنه جاء بنفسه وهو متكلف على التعويض وجاء متكلفا بذقة عظيمة وتعبا ومشقة وكانت رحلته رحلة طويلة ، وكان الصديق فقط دافعه لأن يأتي من رومانيا إلى هنا في فرنسا ، زد على ذلك تمجيدا لسيد عظيم بمقام سيدنا ، ملك فرنسا ، إن هذا في حد ذاته تعويض مناسب يكفي كي يعفى عنه . وعندما أنهى البارون هذا الخطاب الذي سجلته لكم ، وقف الأمير العظيم أمام المحكمة ، ورفع قبعته وأجاب بحكمه (٤٥) ، فشكر الملك وبعده المحكمة ، وبعد هذا طلب بتوسل من الملك أن يكتب إلى الأمير ما توصلت إليه المحكمة ، والحكم الذي أصدرته ، وقرارها ، وبهذا أمر الملك النبيل وقد نفذ.

وبعد كتابة الأوراق وانتهاء المهمة ، دعا الملك بنفسه الأمير العظيم وقال له بلطف وكياسة : « لقد جئت من أرضك رومانيا ، متحملا المتاعب والنفقات إلى هنا إلى مملكتي ، وإن يكون من اللائق بالنسبة لك أن تعود دون أن تحصل مني على هدية تعويضية ، ولهذا السبب أقول لك أطلب مني (٣٤٥٠ - ٣٤٧٣) أي شيء تحبه ، وسأمنحه لك » .

وعندما سمع الأمير العظيم الداهية ذلك انحنى للملك وشكره عشرات الآلاف من المرات وفكر قليلا ثم أجاب : « أشكر تاجك وجلالتك (٤٦) ، يا سيدي لأن لديك الرغبة في أن تمنحني

هبة ، وعليه أقول ياسيني لجلالتكم المقدسة أن الطاغية أثينا التي عندي وأملكها ، كان كل من يملكها في الأزمنة القديمة يلقب بالدوق ، فليكن بكلمة منك وأمرك في أن اسمي من الآن فصاعدا بالدوق . وعندما سمع الملك ذلك ، وافق عليه بترحيب ، وأمر بأن ينقل اللقب وهو في القصر (٤٧) .

والآن ، ومن هذه النقطة وما بعد ، سأدوقف عن الكلام عن ملك فرنسا ودوق أثينا وسأخبركم وأقص عليكم من جديد كيف أن أمير المورة غوليوم أسر في معركة بلاغونيا هو وقواته .

وكما سمعتم هنا أعلاه في هذا الكتاب ، أبرم الامبراطور كوترواس معاهدة مع الأمير غوليوم ، أمير المورة وأعطاه اخته زوجة له . (٤٨) ومن هذه المعاهدة تقوى الحرب (٣٤٧٤ - ٣٥١١) بين الأمير والامبراطور ، وفي الواقع أنهما وقواتهما قد أحبا بعضهما بعضا كما لو كانا أخوين من أم واحدة ، وعندما اشتدت الحرب التي خاضها ثيودروس دوكاكس باستمرار مع الملك في ذلك الوقت ضد الامبراطور ، خطط الامبراطور لتوجيه ضربة للملك وتحطيمه.

وعندما سمع الأمير بهذا وعلم به أخذ فرسانه وقادتهم وسافر رأسا إلى باتراس القديمة ، وفي الوقت نفسه وصل الامبراطور إلى ايبياكتوس (٤٩) وعبر من داريانون ومضى إلى باتراس والتقى بأبن حميه الأمير ، وأقاما مع قواتهما احتفالا رائعا ، وبعد أن احتفلا كما يريدان جلسا معا ومع قادتهما وكل المستشارين الحكماء الذين كانوا معهما ، وعليه بدأ الامبراطور الكلام ، وأعلن شكواه من الأضرار التي عانها من نائبه وأخيه ، وعندما انتهى من ذلك وجد له الحكماء والأساقفة نصيحة مأكرة وندموا بعد ذلك هي أن يسير الأخوان : الامبراطور والأمير يجيوشهما عبر والاشيا (٥٠) ويدخلان إلى رومانيا ويجتاحان وينهبان كل رومانيا ، فإذا صادفنا

جيوش الملك أو الذقوا بنائبه فإنهما سيفقاتلانهما في الميدان
وينتصران عليهما.

وبعد أن جمعا المجلس ، عاد الامبراطور الى أترا ، وأرسل الى
كل مكان لجمع (٥١) الجيوش (٣٥١٢-٣٥٤١) وعاد الامير الى
مدينة اندرافيدا ، وبعث بالرسائل الى كل مكان حتى يجهز الجميع
أنفسهم بالسلاح الصغير منهم والكبير ، المشاة والفرسان ، وفي
ربيع السنة ، بعد مضي الشتاء ، وبعد أن يمضوا معا عيد
الفصح ، في شهر نيسان عليهم أن يأتوا جميعا رأسا الى اندرافيدا
ليعبروا ويفزوا أرض رومانيا ، وأخذ الامبراطور الآن في انفاق المال
لاستئجار المرتزقة ، فاستأجروا من الجيوش بقدر ما أمكنهم جلبه
(٥٢) .

وعند هذه النقطة تحول عما أرويه لأتولى ذكر امور اخرى لكم
ولاخبركم بأمر الملك . وما أن حدث اللقاء ، الذي أخبرتكم به
والذي عقده الأمير والامبراطور في باتراس حيث اجتمعا وتشاورا في
أن يفزوا معا أرض الملك ، وأن يخوضا المعركة ضده ، لينهبأ أرضه
ويجتاحا الاشيا التي يحكمها النائب ، وعليه فإن النائب أيضا
عندما بلغته هذه الأنباء ، شحن قلاعه ، وحصنها بقوة بالمساكر
وبالآغنية ، حتى يقيموا فيها ويحرسوها وأمر ووجه أن يدخل
الجنود العائيون الذين كانوا في القرى هذه القلاع بالقدر الذي تتسع
له وأن يحملوا السلاح ، وأن يمضي الباقون الى الجبال مع
حيواناتهم ليحموا أنفسهم هناك.

والآن فإن كيرثيودورس ، الذي أخبرتكم به ، وكان له ثلاثة
أبناء رائعين يحملون السلاح ، وكان الاول يسمى كومينوس
والثاني دوكاس والثالث انجيلوس (٥٣) وكان قد رتب ليصبح الاول
كومينوس أميرا وحاكما في أرض والاشيا (٣٥٤٢ - ٣٥٧٩)
وأمر أن يوقف الصغير والكبير نفسيهما له ، وحالما أنهى
استعداداته أخذ كل من رغب في الذهاب معه ونهب الى الملك الذي

كان في المدينة وشرح له بالتفصيل حالة استعداد الجيوش التي
اعدوها ، وبين أن أمير الدورية وامبراطور أرتا كانوا يستأجرون
المرتزقة في كل مكان ، ويسرعان بجمع الجيوش ليأتيا مع الفصل
الجديد لغزو رومانيا ، وهما يريدان كما أعلننا أن يستوليا على
امبراطوريتكم ويحرماكم وإيانا من الاتباع ، وبسماح هذه الاشياء
غمر الملك المسن ميكائيل (٥٤) سمع حكمة الكبيرة
وشجاعته ، الخوف مع ذلك ، وانهارت معذرياته بشكل كامل
تقريبا ، لقد كان خائفا من الأمير لأن الفرنجة كانوا معه ، وعليه
قد أمر بدعوة الحكماء ، والقادة النبلاء الذين كانوا في
مملكته ، وبدأ يخبرهم ويقص عليهم أن أمير الدورية وامبراطور
هيلياس قد اتجها الى الميدان وأنهما قادمان مباشرة الى
رومانيا ، وعليه اريد وأتوسل أن يتشاور الجميع حول ما يجب عمله
بعد هذا وكيف نتصرف ، وتكلموا وقالوا الكثير ولكنهم في النهاية
اتفقوا وأعطوا مشورة واحدة:

وكان أول من تكلم وخاطب الملك النائب كيرثيودروس وقال للملك
والقادة : « أيها الملك الامبراطور المقدس يا صاحب الجلالة
والرحمة ، إذا توقعتم حماية رومانيا بالقوات التي تملكونها
وحدها ، اني أعلوكم أذككم بهذا سيقتضي عليكم وستتقدرون
امبراطوريتكم وستحرمونا أملاكنا ، مروا أن تفتح خزائنكم
وانفقوا أموالكم واستأجروا الالمان ، وابعثوا بكلمة الى ملك
هنغاريا ليمدكم بالقوات وأيضا الى ملك الصرب ، وهو جار
لكم ، ليأتي بنفسه إذا استطاع (٣٥٨٠ - ٣٦٢٧) أو ان يرسل
ليأتوا . وبعد أن يأتي هؤلاء الذين ذكرتهم وأسميتهم ، فإن أملنا
بالرب أولا ثم في مباركتك بأننا سنحمي أرضكم من العدو وأننا
سندمر أولئك الذين يهددوننا »

وعندما سمع الملك المسن كير ميكائيل هذا القول ومشورة النائب
شكره بعمق وأطراه بحرارة لأنه بدا له حسنا أنه بهذه الطريقة
ستحمي أرضه ، وأنه سيدمر أعداءه ، وعليه فقد أمر أن تكتب

الرسائل الى كل الاراضي التي ذكرها كيرتيودروس دوكاس وتشاور حولها ، وذهبت الرسل الى المانيا ، واستأجروا ثلاثمائة كلهم من الفرسان المختارين والمنتقين ، وجاء من هنفاريا خمس عشرة مائة ، كانوا كلهم من رماة السهام الراكبين المختارين ، وأرسل كرال ملك هرييا ستمائة من الخيالة وكلهم من رماة السهام الجييين ، وجاءه عند لاحصر له من الأناضول وجاءوا معهم بخمسةائة من الأتراك ، وعندما حل الفصل الجديد في شهر آذار تجمعت الجيوش في الميدان الواسع في جوار أدرنة وكان الملك الحكيم مايزال قائما وأرسل في طلب ألفين من الكومان ، من رماة السهام الراكبين الرشيقين في القتال فجاءوا ، وبعد أن تجمعت جيوشه كلها ، دعا نائبه كيرتيودروس وجعله قائدا للجيوش كلها وسلمها جميعا اليه وأمرهم جميعا أن يقبلوا به قائدا لهم وممثلا للملك وأن ينفذوا أمره كما لو كان هو يقودهم بنفسه ، وعند هذه النقطة سأتحول عما أقوله وأرويهِ لأعود فأخبركم بأمر الامبراطور وأمير المورة غوليوم ، وما الذي فعلاه وكيف تصرفا في المعركة التي بدأها .

وعندما انقضى فصل الشتاء وبدأ الفصل الجديد في شهر آذار وبدأت طيور العنديل في التفريد وابتهجت كل الكائنات في الدنيا وجسدت نشاطها ، أرسل امير المورة غوليوم الذي كان بعيدا عن الامبراطور الى يوريوبوس وكل الجزر وجمع جيوشه من كل مكان ، وعبر بحر باكتوس عند بيرغوس (٥٥) وسافر راسا الى حيث كان الامبراطور. وفي أرتا (٣٦٢٨ - ٣٦٦٤) التقت الجيوش وتجمعت القوات ولم تمكث أكثر من يوم واحد فقط ، وفي اليوم التالي انطلقت لتذهب عن طريق يانينا وبخلت والأشيا وانتظرت هناك فترة قصيرة حتى تصل قوات يوريوبوس ، والجزر وطيبة وأثينا وأمير سالونا. ومروا راسا عبر السايدربوتا وجاءوا أمير والأشيا ، وانضموا معا على سهل تالاسينوس (٥٦) وبعد أن تجمعت كل الجيوش تشاور الأمراء الكبار معا حول كيفية تحقيق تقدمهم ومن أين يبدأون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يجهزوا

جيوشهم لحاصرة باتراس وزيتوني (٥٧) ومهاجمة القلاع الأضعف ، ولكن الأحكم والمتمرسين في طرق الحرب لم يوافقوا على هذه المشورة ، لأنه إذا أعدت القوات نفسها لمهاجمة القلعة فإنها ستخفق في تحقيق أي شيء ، والأشياء الأفضل والأكثر فائدة لنا هو أن نذهب من هنا إلى رومانيا نهب وندمر الأراضي التي للملك ، وإذا ألقينا الملك وهو ينتظرنا في الميدان فإننا بقوة الرب سنقاتله ، وإذا كان مما يرضي الرب أن يعطينا النصر سندسولي بسهولة على أراضي سالونيك ، وعند عودتنا سناخذ كل الأشياء وسنمضي الشتاء هنا ثم سنرى أنه عندما تسمع القوات التي في قلاع والأشياء أننا حاربنا وانتصرنا فإن كل القلاع ستسلم لنا بسرعة .

وتوصل قادة الجيوش إلى اتفاق على هذه الخطة ، وعليه فصلوا ألف خيال وثلاثة آلاف من الجنود المشاة ليصحبوهم في تقدمهم لنهب الأراضي ونظموهم في ثلاثة مجموعات وأعطوهم التعليمات فكان عليهم أن يتجمعوا معا في (٣٦٦٥ - ٣٦٩٥) نقطة واحدة جميعا ، وبعد ذلك تفرقت جميع فرقهم واتخذوا طريقهم وبدأوا السير وهم ينهبون ويدمرون أرض والأشياء ، وكان مفيروهم يسيرون دائما على مسافة مسيرة يوم أمامهم ، وهكذا كانوا يتقدمون بهذه المسافة (٥٨) وعندما نهبوا الأماكن في الأشياء عبروا الحدود التي تفصل أرض الملك عن الأشياء عند مكان يسمى كتكالون (٥٩) وبخلوا أراضي الملك للنهب ووجدوا هناك قلعة تدعى سيرفيا (٦٠) وأسروا بعض القوات من هذه القلعة ، وطلبوا منهم أن يخبروهم بالمعلومات التي عرفوها فأجابوهم وأعلموهم بأن « نائب الملك مع كل جيوش كيرميكايل الملك تنتظركم قرب أدرنة في الحقول الواسعة وهم في طريقهم إلى هنا للبحث عنكم ونتوقع أن يكونوا قد عبروا إلى مكان ما قرب سالونيك » (٦١) وبسماع هذا أظهر الأمير وكذلك الامبراطور بوضوح سرورهم العظيم لقواتهما وأنهما رغبا وأرادا القتال ، وتشاوروا على الفور حول ما يجب عليهم فعله ونصحهما مجلسهما أن يذهبا مباشرة إلى حيث كانت تلك الجيوش لقتالها وأملا في النصر ، وإذا حالفهما الحظ وربحا

المعركة ، فانهما كانا يأملان في أن يستمرا سادة رومانيا وركبا حتى وهلا الى ناحية بيلاغونيا كما تسمى (٦٢) (٣٦٩٦ - ٣٧٢٨) .

وكان كيرثيودروس دوكاس والاشيا حاكما اكل رومانيا ، وشهيرا في الاعمال الحربية ومقدرا في كل الاشياء ، وعندما سمع أن الأمير والامبراطور قادمان ، جهز جيشه وفصل السرايا وشرح لكل من قادته استراتيجية الحملة التي ينوي اتباعها ، وكان يتبعه ألفان من الكومان ولأنهم كانوا أرشوق كل الجيوش كان لهم أن يركبوا في المقدمة ليستطلعوا المكان ، وكان يأتي بعدهم الألمان الثلاثمائة ثم أعد الهنغاريين وكان عليهم أن يشكلوا الفرقة التالية ، ويأتي بعدهم الصربيون والبيلغار ثم يأتي هو ومعه الروم والترك . وعندما فصل كل سراياه كان هناك سبع وعشرون فرقة راكبة .

ولكونه داهية بعيد النظر في كل الأمور أرسل الأوامر الى كل القرى ليأتي الفلاحون مع خيولهم وثيرانهم وأبقارهم وأي حمير ركوب لديهم ، فاحضروها وركبوها فوق الجبال وعلى البعد ظهرروا كالفرسان ، وكان كل واحد منهم يشغل لذفسه نارا في المساء وبدت جميع الجبال والدقول كما لو كانت تحترق ، ثم أمر بعد ذلك الكبار والصغار في جيوشه وبين الفلاحين أن يطلقوا في صوت واحد زئيرا صارخا ، حتى يبدو ذلك أن هزيم الرعد يهز الأرض ، وبعد ذلك أيضا وجه بعض رجاله ليأخذوا ثيابهم وخيولهم ويتسللوا خارجين ليذهبوا الى الأمير أمير المورة والى الامبراطور وأن يرووا له أمورا كاذبة لم يشاهدوها ولم يسمعوها ، فامتدحوا جيوش الملك في مغالاة وبالغوا في اعدادها (٣٧٢٢ - ٣٧٧٠) وادعوا أن كل منها يضم ٥٠٠ رجل وسربوا روايات زائفة كثيرة حتى أصبح جميع أتباع الامبراطور في خوف شديد (٦٢) .

وبعد ذلك استدعى رجلا من مجالسه وعرض عليه ووعدته بالاطاعات ومالا كثيرا ليتظاهر بأنه تخلى عنه ويذهب الى

الامبراطور واعطاه وثيقة ليعطيها سرا للامبراطور قائلا انه سيصدق ما قد يخبره به شفويا ، فأخذ رسائله وأخذ طريقة وسار بسرعة حتى وصل الى الامبراطور وذهب اليه سرا وطلب أن يخطلي به وكان المتسلل بارعا وماكرا ، فاخذلق الدهوع وبدأ كلامه مع الامبراطور : « أيها الأمير سيدي ، لقد أرسلني أخوك هنا لأخبرك بسر ، ونصيحته لك إنه الصدق ياسيدي وهو يشهد به ، أنك أيضا وقعت في النزاع والخسومة بسبب خبث الناس وحسدهم والدوافع التي لا تقاوم لأنك تريد والأشياء وهو يريد الامبراطورية ومن هذا السبب قام النزاع بينكما وانتما أخوان ، ومما كان سبب لوم كبير ، أن يحارب أحدكما الآخر ، وعليه حسنا ياسيدي الطيب عندما هاجمته لتأخذوا والأشياء لم يكن لديه شيء ، ليقوم ويحاربك فالتمس اللجأ عند الملك وهو خصم لكم ، ثم عرف الملك أنكم تعدون الجيوش وأنكم صاهرتم أمير المورة ليكون أخا لكم ، باعطائه أختك زوجة ، وأنكم حالفتموه وهو وكل جيوشه (٦٤) لقد تلقيتكم المشورة السيئة ، التي اعطيت لكم لتتركوا أراضيكم وتستسهلوا الذهاب الى رومانيا الى أراضى الملك ؟ من أنتم يا امبراطوري لتشدوا حربا على الملك ؟ كم لديه من أمثالكم تحت قيادته ؟ حسنا ياسيدي الطيب ، اسمع وصدقني أن جيوشا كثيرة قد جاءت الى هنا لملاقاةكم ولديه ٥٠٠ من نخبة الألمان وثلاثة عشر ألفا من الهنغاريين وكلهم مزودون بالقسى ، ولديه نحو أربعة آلاف من البلغار والصرب ، ولديه هناك كل الروم من أهل رومانيا ومن تركيا والأناضول مما يفوق الحصر ، وبالنسبة لما لديكم ولدى الأمير (٣٧٧١ - ٣٨٠٨) هناك مائتان مع الأمير مقابل كل واحد لديكم . ولهذا السبب يا امبراطوري وسيدي أن أخاكم يقول ، مع أنكم كنتم تقاتلون بسبب شرور الشيطان ليس لديه صديق أفضل منكم في كل الدنيا ، وأنه كما يحبكم كثيرا يشفق عليكم كثيرا جدا ، ولتعرف شيئا آخر ، ياسيدي ، كم هو عدو لكم ملك رومانيا باليولوغوس ، وإذا بخلتم في معركة ضد مثل هذه الجيوش الكثيرة ، فإنه بالامكان بسوء الحظ أن تفقدوا حياتكم وثانينا وما هو أكثر سوءا إذا سقطتم في يد الملك باليولوغوس وهو يحمل لكم هذا

العداء ، انكم عندئذ لن تروا مرة أخرى ارتبا ولا الامبراطورية،
وعليه ياسيدي ان سيدي أخوكم يقول هذا لكم : أعدوا خطة للهرب
مع مجلسكم لتتخذوا أنفسكم أنتم والنبلاء الشبان في الامبراطورية
وانهبوا الى أراضيتكم واحموا قلاعكم . والى جانب انكم اذا فقتم
جنودكم المشاة ، ستبقى لكم السلطة وستتبقون في
الامبراطورية ، ولن تنقصكم الجيوش وستكون لكم
ما تريدون (٦٥) « والآن ان هذا الرجل الكافر الذي كان يقول هذه
الاشياء قالها وهو يبكي أثناء ذلك ، لقد روى قصته وهو يبكي
وينتحب ، وحالما انتهى من تلك الكلمات وأخرى غيرها كثير ورأى
بوضوح وعرف أن الامبراطور قد أنهارت معذوباته ، طلب الان
ليذهب ، ولكن الامبراطور استبقاه حتى يتحدث مع الأمير ويطلع
على الرسائل ، واستدعى اثنين من غلمانته وانتحى بهما جانبا حيث
تحدث اليهما : انهما الى الأمير وأخبراه عني ان يأتي الى هنا على
الفور ، وأني احتاج اليه في الحال ، فأسرعا خارجين ومضيا
مسرعين الى الأمير ليخبراه بما كان عليهم قوله ذقلا عن سيدهما
الامبراطور ، فأسرعا الى حيث كان الملاح في خيمة الامبراطور وتكلم
هنا مرة أخرى الى الأمير بالتفصيل ، وروى كل شيء له كما فعل مع
الامبراطور ، وبعد أن قص على الأمير ما كان عليه أن يخبره فيه
أعطياه الان المغادرة فعاد من حيث
أتى (٣٨٠٩ - ٣٨٤٥) حيث روى
للحاكم (سيفاستوكراتوب) ما أنجزه مع الامبراطور وأنه قد وعده
بالرحيل في تلك الليلة بالذات .

وعندما سمع كيرتيودروس هذا كان سعيدا؛ واستدعى أهكم
مستشاريه ممن كانوا في جيشه وأخبرهم بالقصة كلها فابتهجوا
كثيرا ، ولكن امبراطور هيلاس لم يكن سعيدا وقد غمره أسى
شديد ، واستدعى الأمير ، وتشاور الاثنان حول ما عليهما فعله معا
وكيف يتصرفان ، واستدعيا قوادهما الأوائل في الجيش وجعلاهم
يقسمون على المحافظة على سر المشاورة ، والآن بعد أن أقسم
القادة على المحافظة على سرية كل ما سيخبرهم به امبراطور

أرتا ، بدأ الامبراطور يتكلم ويروي لهم بالتفصيل الرسائل التي
أفصى بها اليه من قبل الخائن ، الذي أرسله كيرثيودروس
دوكاكس ، أخو الامبراطور ، وكلها شريرة .

وعندما سمع النبلاء الكبار في الجيش هذه الأشياء صدقها
بعضهم رأسا وقال انها صحيحة ، وقال آخرون ان الخائن قد روى
أكانيب وخجل الأمير الشهير أمير كاريتانيا عندما سمع بالهرب
المقترح وكان يقظا جدا وقال : « ان الشرير الذي جاء يروي هذه
الأشياء للامبراطور قد روى أكانيب كلها مختلفة في الوقت المناسب
متباهيا بالروم المتبجحين الذين ينتقدون أعداءهم ، ولكن دعونا
نتوقف هنا في هذه الحقول وإذا جاءوا ضينا دعونا نلتقاهم بمعركة
لاتخافوا بالمرة لأنهم أكثر منا فأني قوات غير متجانسة من جنسيات
مختلفة لا يمكن ان يكون بينها اتفاق جيد ، والآن مع أننا قليلو العدد
بالمقارنة معهم فأننا جميعا كالأخوة ونتكلم بلسان واحد ، وبعد قليل
ســـــــــــــــــنظهر فيمـــــــــــــــــا اذا كنا جنودا أو لم نكون (٦٦)
(٣٨٤٦ - ٣٨٧٢) .

ولم يصنع معظمهم من الخوف لأمير كاريتانيا بالمرة ، والواقع
أنهم في النهاية أعلنوا أنهم قرروا أنه مع حلول الليل وطلوع
القمر ، وبينما تكون عامة القوات نائمة ، بحيث لايمكنها أن تدرك
مايفعلون سيندفعون بأكبر مايمكنهم من الهدوء والتخفي سيندفعون
للخروج والهرب الى أبعد مايمكنهم للنجاة من الخطر ، وحالما قرر
المجلس الهرب ذهب كل واحد الى قطاعه .

وعليه شعر أمير كاريتانيا بالغ الشجاعة ، ذلك الجندي الرائع
الجدير بالثناء بالأسى وامتلا قلبه حزنا ، لقد خجل من الهرب المقترح
وحزن أيضا على قواته وفكر كرجل حكيم كيف يمكن أن يساعدهم
حتى لا يضيع هؤلاء كأبرياء بلا ملامة ويكون هو مننبا صاحب
خطيئة عظيمة ، ثم وقف في خيمته وهو يمسك في يده عصا وراح
يقول لها : « يا عصاي أمسكي بالخيمة التي تغطيني بقوة وأخبريها

عني أنها يجب أن لا تفكر أنني أحبها جدا ولا أريد لها أن تتعرض للخطر ، لقد تشاورنا : الامبراطور والامير وكبار رجال الجيش ، حول الهرب هذا المساء وأن نترك عامة القوات لمسيرها . ولهذا السبب ، أقول لك يا خيمتي الحبيبة لا تفكري بأي حال بأن الأمر بخلاف ذلك ، وفكري كيف يمكنك أن تهربي من الخطر ، (٢٨٧٣ - ٢٩١٧) .

وعندما سمعت القوات التي كانت معه هذه القصة غير المألوفة التي لم يروا مثلها في حياتهم كلها روعوا واهتزوا بعمق وانتشر الأمر من رجل لآخر ، وعندما سمع به الامير غضب جدا وأمر على الفور باستدعاء امير كاريتانيا وقال له بغضب : « هل كان ما فعله شيئا جيدا ، أن تخون القسم الذين أقسمناه والمشورة أيضا وأن تتخلي عنا ؟ إنك لم تتصرف بحكمة لقد كان هذا سلوكا سيئا منك » .

وأجاب امير كاريتانيا الامير قائلا : انني است مذنباً بأي سلوك خاطيء وكل من يلومني أنا مستعد للدفاع عن نفسي أمامه وسأقاتل كل من يقول بأنني أخطأت باستثناء سموكم فأنتم حليفي وسيدي ولن أقاومكم ، ان الذين قالوا بأننا يجب ان نهرب ونتخلى عن قواتنا ، اعتبرهم حمقى مندوسين ، لا يحق لهم أن يكونوا سادة ولا أن يحملوا سلاحا ولا أن يسموا جنودا » .

وعندما سمع الامير هذا فهمه وخجل وندم بعمق على كل ما حدث ، واستدعى المارشال وأصدر اليه الأوامر بأن يجعل المنادي يعلن بأن لا يبالي أحد ولا أن يخشى أننى خشيعة من الاشاعات التي انتشرت بين الجيوش ، وأن لا يصدها أحد فهي أكاذيب كبيرة ، ولكن ليعرفوا أن هذا هو الصدق ، فعلى كل من لا يصدق هذه الأكاذيب أن يعلم أننا بمشيئة الله سندخل المعركة غدا .

وعندما سمع الدوريون جميعا هذه الرواية وقد ناعت ، وأكدت أن

الشائعات كانت كاذبة وأن هناك معركة في صباح اليوم التالي ، ابتهج الجميع وأيدوا ذلك كثيرا. وعندما سمع نبلاء الامبراطورية بذلك اضطربوا للغاية ونهب كل النبلاء الى الامبراطور وقالوا له سرا وفي خلوته : « سيننا ماذا تفعل ؟ هل تريد منا أن نموت هنا ظلما معك ؟ لاتصغ الى فرجة المورة المنحوسين ، الذين لم يخافوا من الاعداد الكبيرة من جيوش الملك التي تواجههم والذين بدلا من ذلك يتسللون لقتالهم ، واجابهم الامبراطور قائلا « اني اتمسك بما قلت وبالمشورة التي اعطيت فليقل الموريون وليفعلوا ما يريدون ليذهب احدكم الى جيش الامبراطورية ليوجه نداء ، وعندما يأتي المساء (٣٩١٨ - ٣٩٤٩) وحالما يبرز القمر ليبدأ الجميع على الفور وفي هدوء شديد ولنذهب جميعا الى مقاطعاتنا رأسا ، وكل من لديه إرادة القتال ويرغب فيه فليبق هنا غدا وسيجد ما يبحث عنه » (٦٧) .

وهكذا فعل أولئك الرومان من الامبراطورية ، فعندما حل الليل تسللوا من الجيش ، انظر هذا الفعل الشرير الذي ارتكبه الامبراطور في ذلك الوقت ، ان يأتي ويخرج من المورة الأمير غوليوم مع زهرة النبالة في المورة الذين كانوا يتمتعون بالسلام والراحة والقوة التي لاتنزع ليذهبوا لمساعدته في حربه ، ثم يتركهم في أيدي أعدائه ويهرب هكذا رجل تصحبه لعنة الرب ، من الذي يسمع بهذا ويصدق روميا على الاطلاق سواء في الحب أو الصداقة أو في أي علاقة ؟ لاتصدق روميا وان أقسم لك بأي قسم ، فعندما يريد خيانتك إنه يجعلك عرابا لطفله أو أخا بالتبني أو صهرا حتى يمكنه أن يبيدك (٦٨) .

والآن انها العادة الطبيعية في النيا أن أحدا لايبقى الأخبار السيئة سرا ، ان ذلك الكافر ، الخائن الكبير الذي طبخ كل هذه الامور التي اخبرتكم بها ، عندما رأى أن الامبراطور يهرب مسرعا ، هـرول مسرعا الى جيش الملك ، روى للحاكم « السيفاستوكراتور » أن الامبراطور قد هرب بالجيوش

التي أحضرها من الامبراطورية وأن الأمير قد بقي وحده وعندما سمع الحاكم ذلك سعد جدا فأعد السرايا بسرعة وبدأوا في التحرك وأسرعوا راسا الى بيلاغونيا (٣٩٥٠ - ٣٩٩٢)

وتحركوا يوم السبت وتقدموا تجاه الأمير ، وفي يوم الأحد صباحا اصطفوا للشروع بالقتال ، وعندما رأى الأمير أن الامبراطور قد هرب وعرف الفعل الذي ارتكبه تجاهه وأنه قد بقي في بيلاغونيا مهجورا هكذا إلا من جيوشه التي جلبها معه من المورة وعرف أن قوات الملك قائمة مع الحاكم نائب الملك لقتاله ، وكجندي حكيم ونبييل دعا قواده ، الكبار في الجيش ، وكل الفرسان من الفرنجة واليونانيين على السواء وبدأ يتكلم فيهم ويوجه اليهم الخطاب ، وحضهم بلطف وملاوة وواساهم: « أيها الرفاق والأخوة والأصدقاء ، أنتم يامن عندي كأولادي إن الرب في مجده يعرف مدى صدقي بما فعله أخي الامبراطور بنا ، فتخلي عني كطفل واصلني الى هذا وأنا لأجل محبتي له ، مرة أخرى لشرقي وأنا أرى الموت والحرمان الذي هدد به من قبل نائب الملك ، وكان أخوه الذي أخذ منه والأشياء يسمى وراء الامبراطورية ، أخذت جيوشي أنتم يارجالى وجئت كحليف له لمساعدته ، وحالما جاء بي الى هنا الى رومانيا سلمنا لأخيه تماما كما فعل يهوذا عندما سلم المسيح لليهود ، وعليه أقول لكم ، وأتوسل اليكم جميعا الآن وقد أسلمتنا هذه الخطيئة لأعدائنا ، وأنتم تعلمون أننا بعيدون جدا عن المورة وإذا كان لنا أن نهرب فأننا لن نحقق شيئا ، وسيكون شيئا بشما أن يروى ذلك عنا في كل الدنيا أنه مع أننا جنود هربنا كالنساء والأحرى بنا أن نوقف كرجال وجنود ذوي خبرة ، قبل كل شيء لحماية أرواحنا وهو أمر لازم ، وثانيا وبعد هذا أن نحافظ على ثناء العالم ، الذي يحبه كل من يحمل السلاح وإن النين جاء لقتالنا قد التقطوا من كل مكان من أمم عدة (٦٩) وأريدكم أن تعرفوا ، ولا تدعوا أحدا يصدق أن القوات المسلحة المتنافرة المجموعة من أماكن عديدة يمكن أن يكون هناك أبني اتفاق وتام فيما بينها ، ونحن من الجانب الآخر مع أننا قلة في العدد بالمقارنة

معها ، أننا جميعا معارف ورجال لنا روح واحدة ويجب أن يحب الواحد الآخر كأخوة (٣٩٩٣ - ٤٠١٧) لأننا اذا أحببنا بعضنا كما يجب فان كل واحد منا سيتحدى مائتين من هؤلاء الذين جاءوا هنا لقتالنا اني است قلقا من أحد ، سوى من الالمان ، أنهم ثلاثمائة فقط ، ولهم أمير يدعى دوق كارنثيا (٧٠) وقد أبلغت أن الالمان سيشكلون أول سرية لهم تدخل المعركة ، فاذا قمنا بهجوم كجنود عقلاء بمقابلة زخم الهجوم الألماني واذا منحنا الرب والحظ ومباركة الالمان القدرة على تشتيتهم وهزيمتهم تماما سيكون لدينا الآخرون مثل الصدور والحجل ، وعليه أقول لكم فلتكن أول فرقة لدينا هي الأفضل وكلها من الرجال المختارين الذين يعرفون كيف يقاتلون وواعين للرأي العالمي ، وليكن قائدا عليهم وأميرا ابن أخي أمير كاريتانيا ، وأمل في الرب أولا ثم في شجاعته وبراعته الحربية أن يتصرف بحكمة وكجندي جيد » *

وكما قال الأمير جري ، فقد فصلوا سراياهم وأفواجهم لدى تجميع سراياهم وأفواجهم التي أعدوها ، وأخذ الأمير غوليوم وملك الروم ميدان بيلاغونيا (٧١) وكانت فرقته الأولى من الالمان (٤٠١٨ - ٤٠٥٧) وعندما راهم أمير كاريتانيا المشهور ، انطلق راسا نحوهم فوضعوا رمماحهم في مواضعها ، وكان أول المواجهين الذي طعن أول طعنة رمح هو الذي كان يدعى دوق كارنثيا ، فضربه في الصدر فوق درعه وبجواده هدمه فوقع ميتا على الأرض ، ثم ضرب اثنين آخرين ممن كانوا من اقاربه وانكسر الرمح الذي كان يحمله ثلاث قطع ، وعلى الفور وضع يده على سيفه وبدأ يقاتل الالمان ، كل من جاءوا ضده ليقاتلوه ، واطاح بكل هؤلاء فانطرحوا كالعشب فوق المرعى (٧٢) وعندما رأى الآخرون الذين كانوا معه ذلك ، احتشد الجميع بشجاعة حوله وذبحوا الالمان وقتلوه .

وعندما رأى الحاكم نائب الملك من حيث كان يراقب أن الالمان قد تشتتوا واستولى عليهم الذعر هربوا مسرعا الى حيث كان

الهنغاريون وأمرهم بأن يطلقوا سهامهم على السرية التي اختلطت بالألمان وقال لهم بجرأة : « لاتبالوا أبدا بالألمان مطلقا لأنهم رجالنا لأنني كما أرى وألاحظ أن هذا التين أمير كاريثانيا يضغط عليهم بشدة ، وإذا كان لكم أن تقذفوا الفرنجة فقط فانكم لن تنجحوا مطلقا في كسر هجومهم والأحرى أن تقذفوهم جميعا معا عند قتالهم لتقتلوا الخيول التي يركبونها حتى يسقط الفرسان عن خيولهم ، وحتى نقتلهم قبل أن يقتلونا ، وإذا كان للألمان أن يموتوا معهم فإن من الأفضل أن يضيعوا وحدهم بدلا من أن تضيع كل الجيوش ، وليكن الأثم علي ، فافعلوا كما أمركم » .

وفعل الهنغاريون كما أمروا ، وبدأوا يطلقون سهامهم نحو الفرنجة والألمان ، ومن الجانب الآخر جاء الكومان ، وأطلقوا معا سهامهم على شعب الفرنجة لماذا أخبركم بكل هذه التفاصيل وكيف لي أن أذكرها بكل دقة ؟ ونبحت كل خيول ومطايا (٤.٥٨ - ٤.٧٨) الفرنجة والألمان ، وسقط الفرسان ، سقط أيضا الفارس الرائع فخر الجند وعزتهم أمير كاريثانيا مع مهره ، وعندما رآه نائب الملك وعرفه أطلق صرخة قصيرة وركض نحوه ، لئلا يطلق أي شخص آخر سهما نحوه ليخترق جسده ، وقال له : « سيرجيو فري أمير كاريثانيا ، قبل أن يقتلوك يا أخي استسلم لي ، الي يا عزيزي ولن تجد خداعا » وأقسم له على سيفه فاستسلم ، وبعد أن استسلم أمير كاريثانيا الجندي الشهير سقط علمه حيث تسلموه ، والتقطه نائب الملك نفسه وأخذه وسلمه لشخص من حاشيته ليحتفظ به بعناية وليحرسه له .

وعندما رأى الأمير الشر الذي ارتكبه نائب الملك في بداية المعركة ، عندما اختلط أمير كاريثانيا والألمان وأخذوا يذبحون بعضهم بعضا جعل الهنغاريين والكومان أيضا يطلقون سهامهم نحوه ليذبوا خيولهم فأخذ معه سرية وركب نحوه ليساعده اذا أمكنه حتى لايتغلبوا عليه ، ولكن الأعداد الكبيرة من الروم وحشود رماة السهام (٧٣) نبحت الخيول ، وسقط الفرسان ، وعندما

وجدوا أنفسهم جنودا رجاله وسط الجيوش ، لم يستطيعوا فعل شيء أرادوا أو لم يريدوا ، وقبل أن يموتوا بدون حق في هذه الدنيا ، استسلموا جميعا كما فعل الأمير نفسه (٧٤) ولم ينقذ منهم سوى حشد الفقراء حيث هرب منهم كل من استطاع عن طريق الأشياء وتمكن بعض المشاة (٤٠٨٨ - ٤١٣٠) من الجنود من النجاة ونهبوا الى المورة واسر الوالاشيون آخرين في الأشياء علاوة على الباقين الذين قتلوهم ونهبوهم ، وحالما انتهت المعركة وهزم الفرنجة أمر نائب الملك بنصب الخيام ، وكانت خيمة مقره ذات أربعة أعمدة وبعد نصبها وبخوله اليها أمر بحضور جميع نبلائه وقادته ثم أمر بإسخال الأمير غوليوم أمير كاريثانيا وكل الفرسان وأخذ بيد الأمير باحترام وحياء بلطف وأجلسه بجانبه ، ثم قال « مرحبا يا أخي مرحبا يا ابن عمي ، كم كنت مشتاقا لرؤيتك كما أراك الآن تماما وبالياد الأخرى أخذ أمير كاريثانيا وجعله يجلس الى جواره وعندما جلسا معا مع حشد الفرسان وملا النبلاء الخيمة بدأ نائب الملك يخاطب الأمير : والآن باليسخ ايها الأخ الطيب الأمير ويابن العم لابد انكم شكرتم الرب والقنيسين شكرا جزيلا عندما منحكم الرب انتم وسلالتكم ان تكونوا سادة المورة وان يكون لكم مثل هذا المجد وكان يجب ان تدفوا مستريحين في ولاياتكم وان لاتسعوا الى حرمان الآخرين ، أخبروني بماذا أخطأت معكم وما هو الشر الذي أوقعته بكم حتى جئتم ضدي للاستيلاء على أملاكى ؟ زد على هذا لم يكفكم ان تزدفوا ضدي أنا جاركم وقد أعطيتكم اختي ، بل جئتم ضد أميرى الملك المقدس لتستولوا على مملكته وتصبحوا ملوكا ، وفي هذا الأمر لابد انكم سمعتم وفهمتم أنه رجل أفضل بكثير منكم وأنه مسيحي حق ، والرب العادل الذي يحكم بالعدل قد أوقعكم في يديه وأصبهتم تحت سلطته ، وحيث أنكم سمعتم لتجريده من أملاكه ، فإنه سيفرجكم من المورة التي ليس لكم حق فيها ، انه السيد الشرعي لرومانيا ، وعندما تخرجون من السجن انهبوا الى فرنسا حيث أملاككم الشرعية ، وبعد أن انتهى مما أخبرتكم به أجابه الأمير كرجل حكيم بالالسان الرومى: (٧٥) « سيدي نائب الملك وأخو زوجتي ان لك أفضلية أكبر منى في الكلام

والعمل بدرجة كبيرة ، لأنني في سجنك وحتى لو حدث أن مت في مكاني ، فاني مع ذلك لن امتنع عن أن أقول ولو جزءا من الحقيقة ، أن الرجل النبيل يجب أن لا يتفاخر ولا أن يلوم عدوه الذي شاء القدر أن يكون في سجنه كما تحفظ بي وشيء آخر أسوأ هو أن يجد المرء عيبا في حالة يتحمل هو نفسه مسؤوليتها ويلام عليها ، اذا حاولت يا أخي أن أزيد فخري وثروتي ومجدي يجب عليك أن تمدحني ، لأن الرجل الذي يحمل سلاحا يجب عليه أن يزيد ثراه وشرفه طالما أنه لا يتصرف بغير حق ، يأخذ من أقاربه ويحرم أهله وأصدقائه أهله ، وعلى أي حال أنا أمير وجندي صغير ، ولم ترني أهاجم قريبا لي ، ولا جارا مسكينا لي لأخذ ما هو له ، بل هاجمت ملكا وهو أمير عظيم لديه القوة والسلطان العظيم في العالم ويشتهر بشجاعته على كل الجنود ، وإنه لشرف لي وفخر أن اشتبك معه لأنه ملك وأنا جندي صغير ، وعلاوة على ذلك إنه من عرق الشعب الرومي وليس بيني وبينه أية قرابة أشاطره إياها ، والآن أنت وانت الذي أخدو الامبراطور وبالطريقة والوسيلة التي تعرفها أنت نفسك لم يكفك أنه أعطاك من أملاكه ما تملكه من أرض امارة والاشيا وهي أفضل قسم من مملكته وكذلك أردت أن تحرمه بالمرّة وأن تأخذ منه ما يملك وكل الامبراطورية ليصبح بادسا تعسا (٧٦) وحيدا في الدنيا ، وارذكت حتى ما هو أكثر ، وهو عمل شرير لأنك لم تكف بقتاله كجار وقريب وبالطريقة المقبولة في العالم كله ، بل هرعت الى الملك السيد العظيم - ونهبت اليه لأنه عدو له وهناك خصومه معه - حتى يساعذك ويعطيك القوة والجيوش حتى تدمره وتحرمه تماما ، ولم يكن لا ذقا بك يا أخي ولا بشرفك لأن الخطيئة والحظ في الحرب قد جعلاني أقنع بين يديك وأنا الآن في سجنك كي (٤١٧٣ - ٤٢١٢) تؤنبني بهذه الطريقة البشعة بلا حق وبلا سبب على أشياء ومشاريع لا شأن لي بها ، وهنا في حضور مثل هؤلاء الناس النبلاء ، وتتملص من الأمور ومن مسؤولياتك وتضعها على رأسي ، وهي أمور لا شأن لي بها .

وعندما سمع نائب الملك كلام الأمير وأنه قد أجابه بكبرياء عظيم

ولم يبال بحقيقة أنه كان محتجزا لديه ، اكتب جدا وحزن حزنا عميقا ، والواقع أنه أصبح غاضبا جدا من الأمير غوليوم (٧٧) ولولا مشاعر الضجل عنده أمام النبلاء الذين كانوا حضورا من فرنجة وروم لتكلم وتصرف تجاه الأمير بصورة قبيحة ، والآن وعندما رأى النبلاء الذين كانوا معهم مظاهر الغضب على سحنة نائب الملك عملوا بالكلمات والطرق اللطيفة على تخفيف وقع كلماتهم وأوجدوا سلاما بينهما .

وبعد أن ارتاح نائب الملك وجيوشه في بيلاغونيا - وأمضوا يومين في دفن القتلى والعناية بالذين جرحوا بمداواة جراحهم - أعد جيوشه وانطلقوا رأسا إلى القسطنطينية حيث كان الملك (٧٨) وأحضر الأمير معه بطريقة تنطوي على الاحترام ، وركب إلى جواره وناما في المكان نفسه وتابعوا السفر حتى بلغا المدينة وبعد أن نزلا واتخذا مراكزهما ، أخذ نائب الملك الأمير غوليوم وهو ممسك بيده إلى القصر ، وكان الملك جالسا على عرشه يحف به النبلاء الأقل قدرا ، وحيا الأمير وهو جاث على ركبتيه الملك كرجل نبيل وحكيم وأخذ الملك بيده وأنهضه ، مرحبا أيها الأمير بك وبجاشيتك . ورجاه أن يبقى معه برهة صغيرة ، ثم أمر الملك بأن يؤخذ من هناك ويوضع في السجن مع تشريفه ، ووضع أمير كاريثانيا (٤٢١٣ - ٤٢٦٠) وقادة الفرسان الآخرين مع الأمير في سجنه حتى يشاطروه محنته ويواسونه ، مع القدر نفسه من التشريف الذي فرضه لهم جلالة الملك ، وبعد أن أمضوا أسبوعا في السجن أمر الملك باحضار الأمير وكل الفرسان الذين كانوا معه إلى حيث كان الملك في القصر ، وقال الملك بنفسه : « انك أنت نفسك أيها الأمير رأيت ولا حظت أنك في السجن وإنني وضعتك تحت سلطاني وإن شئت تركتك حرا أو شئت أوردتك حتفك ، وسأقدم لك هذه المعلومة فلا تكذبها ، لو كنت في المورة حيث كنت سيدا وكان لك أن تحاربني كما فعلت فأنت لن تكون قادرا على الصمود طويلا جدا أمامي ، وسألقي بك خارجها سواء بالبر أو البحر وسأغزو أرضك وهي ولايتي بالوراثة ، حسنا الآن أنت هنا في سجنني ومعك كل

قواتك ، لو أني أرسلت جيوشي الى هناك الآن ليعبروا البحر بالسفن ثم مرة أخرى عن طريق البر عن طريق الجزء القاري الرئيسي ، وحيث أن أرضك مجربة من جيوشها فإنهم سيأخذونها بسهولة وستخسرهما وعليه أقول لك يا أمير ، وأقدم لك هذه النصيحة ، طالما أهلك قد ناضلوا واندفعوا أموالا كثيرة للاستيلاء على المورة وقد فعلت أنت الشيء نفسه ، بعدهم وبدلا من فقد ماتملكه وبقائك محروما ، خذ من مالي - سأقدم لك هبة عظيمة القيمة - أنت وفرسانك الحضور هنا معك ، وسأطلق سراحكم وأترككم أحرارا تذهبون لشراء المين في فرنسا لتكون لكم وأولادكم دائما وأتركوا لي المورة فهي من ممتلكاتي لأنني إذا أطلقت سراحكم من سجنني ، وبقيتم في المورة كما كنت من قبل فانكم وأولادكم لن يتحقق لكم السلام مطلقا ولا الراحة التي تأكلون فيها خبزكم .

وسمع الأمير كلمات الملك وفكر كيف يجيب حتى لا يقع في أي خطأ ، وحالما تكلم الملك وانتهى من قوله بدأ الأمير بدوره الكلام معه « ايها الامبراطور الملك المقدس ، اني استعطف قوتك ، وأنا الرجل الغريب غير المجرب ، أن أحصل على انك في الاجابة وحيث أن سلطة جلالتك ايها الامبراطور تتطلب مني أن أسلم اليك الأرض مع السلطان الذي أملكه في المورة ياسيدي في مقابل ما (٤٢٦١ - ٤٣٠٧) تعطيني لي ولرفاقي من مال ، لنمضي الى فرنسا التي نملكها ، ونشتري الأرض ونبقى فيها ونبقى لكم المورة وهي من ممتلكاتكم ، ان من سلطتي وقدرتي على الرد أن أعطيكم فقط الجواب الذي سأقوله فتقبله كحقيقة ، لأنك لو اذيتني في السجن خمسة وخمسين عاما فلن تحصل مني على غير هذا الذي يمكنني أن أخبر به جلالتك : إن أرض المورة هذه الآن ياسيدي ليست من ممتلكاتي ولاهي ورث لي من أجدادي لملكها ، مع سلطة التخلي عنها وجعلها هبة لك ، لقد أخذت هذه الأرض من قبل أولئك النبلاء الذين جاءوا الى هنا الى رومانيا من فرنسا مع أبي كأصدقاء ورفاق ، لقد أخذوا أرض المورة بالسيف وقسموها بينهم بالوزن والميزان ، وأخذ كل منها حسب مرتبته وبعد ذلك انتخبوا أبي

باعتباره الاحكم والاكثر امانة بينهم وجعلوه قائدا على الجميع ، وبالاتفاقات المكتوبة وماضمنوا من الشروط لم يكن لديه سلطة الحكم وحده ، أو ان يفعل شيئا للشعب دون مشورة المجلس وارانة كل رفاقه وعليه ياسيدي الملك ليس لدي سلطة التخلي عن ذرة واحدة من الارض التي املكها لأن اسلافي كسبوها بالسيف طبقا لعاداتنا التي اشترطوها فيما بينهم ، ومنع ذلك كما هي العادة التي يتبعها الجنود الذين يأسروهم في المعركة ويبيعونهم في السجن فانهم يفقدونهم بالمال والهيبريرا فدعوا سلطة جلالكم تقرر حسب منزلة كل منا نحن الذين هنا مايجب على كل ان يعطي ليفتدي نفسه ويخرج من سجنكم واذا آيت سلطة جلالكم هذا فإن كلا منا أيها الامبراطور سيبدل مايمكنه من جهد ويقدر على دفعه ليفتدي نفسه ويخرج من سجنكم ، واذا بدا لكم انه من الافضل لكم ياسيدي ان لاتصرفوا معنا بهذا الاسلوب فنحن هنا في سجنكم ، ولتكن مشيئتكم » .

وبسماع هذه الكلمات ، غضب الملك جدا وقال للأمير بغضب شديد : « يا أمير واضح جدا أنك فرنجي لأن فيك الرعونة نفسها التي لدى الفرنجة ، إن غطرسة الفرنجة تؤدي بهم دائما إلى الضلال وإلى ضياع آمالهم ، تماما مثلما جعلتك (٤٣٠٨ - ٤٣٣١) رعونتك أنت أيضا تقع بين يدي وهنا في سجنني ، وأنت تقول وتذوق بقطرستك أن تخرج من بين يدي ومن سجنني ، أقسم لك بالرب وكملك ، وخذ ذلك كحقيقة ، أنك لن تبرح من هنا مطلقا في حياتي مقابل الديناري ولن تشتري نفسك بالمال ، ولن تبرح مقابل الثروة » .

وأعطى الملك أوامره على الفور بالامساك به واعادته إلى السجن حيث كان ، تماما كما سمعتموني أقول وأخبركم ، وعندما سمع كل الفارنجيون والروم النين كانوا في حضرة الملك كلامه ، أمسك الحرس بالأمير بعجرفة وألقوا به في السجن حيث كان ، وأمضى

هناك مع جميع رجاله ثلاث سذوات بذل خلالها جهودا عظيمة لانتداء نفسه بمبالغ من الهيير بير (٧٩) .

وعندما رأى وعرف هو ورجاله أنه لا بالهييربير ولا بالثروة سيتحرر ويخرج من سجنه ، وبالاشورة ورغبة أمير كاريتانيا وقادة الفرسان الآخرين أبرم هذا الاتفاق : أن يعطي الملك من أجل حريتهم قلعة موندفاسيا وقلعة مين الكبيرة . وثالثة وهي الأجل (٤٣٣٢ - ٤٣٧٦) قلعة ميسيرا مقصد وفهم أن يطلق سراحه مع رجاله ، مع كل من كانوا معه هديرهم وكبيرهم ، وحالما تقرر هذه الاتفاقيات دونت وعززت بالقسم .

وكان للملك ابن هيفير ينتظر العماد ، فطلب من الأمير أن يصيحا أقارب بهذا العماد . وفي الاتفاقيات التي أبرمها ضمن هذا أيضا : أنه لن يكون هناك حرب بينهما بل سيحافظان على السلام ، وإذا هاجم أحد أي من الاثنين أو شن عليه حربا أو سلبه ، فإن الآخر سيساعده بكل قوته .

وعندما وطدا هذه الأمور التي أخبركم بها وجه الأمير والآخرين ممن كانوا معه أمير وأمروه أن يذهب إلى الدورة لتسليم الحصون التي كتبتها هنا ، إلى وكلاء الملك ، الذين سيأخذهم معه ، وقد أبرمت سرا المعاهدة التي أروها لكم من قبل الأمير ومشاوريه في ذلك الوقت بنية وقصد وهدف : أنهم حالما يتحررون من سجنهم سيفعلون شيئا ببراعة ومهارة ليستعيدوا مرة أخرى القلاع التي سلمها ، وحيث أنهم لم يكونوا يصلحون لأي غرض آخر غير هذا ، خرج هو ورجاله من السجن ، وذلك القسم الذي أقسمه في السجن حيث كان لم يلزمه بأن يكون محسوبا كما كانت باليمين ، طبقا لما تشترطه الكنيسة وما يقوله الحكماء .

وترك أمير كاريتانيا ، الرجل الشهير المدينة مع ممثلي الملك الذين أرسلوا لتسلم القلاع ، ورحلوا عن رومانيا بطريق البر وساروا عبر

والاشيا ونهبوا إلى طيبة ، وهناك وجدوا أن الأمير العظيم قد وصل في ذلك الوقت من مملكة فرنسا - حيث أرسله الأمير غوليوم كما سمعتم هنا - مع التشريف والمرتبة التي أعطيت له من الملك وأن يخاطب ويذكر كدوق أثينا ، وعندما رأى الدوق أن ابن حميه أمير كاريتانيا (٨٠) قد وصل ، وهو ما كان يتوقع اليه ، كان سعيدا جدا كاخ له ، وعندما سأل واخبر من قبله بأن الأمير غوليوم وافق لكي يخرج من سجن الملك على تسليم حصن مونمفاسيا (٤٣٧٧ - ٤٤٠٥) وحصن مين الكبير وحصن ميسترا للإمبراطور ليملكهم - رفض هذا بشدة وحزن حزنا شديدا ، وبكى بصوت عال ، واخبره بوضوح أنه لا يرضيه بأي طريقة بالمرة أن يأخذ الإمبراطور القلاع الثلاثة ، لأن الملك عندئذ سيكون عظيم القوة وسيرسل جيوشه برا وبحرا ليخرجنا من المورة ويأخذها لنفسه ، وبقي أمير كاريتانيا مع الدوق ، وأمضى أسبوعا هناك في طيبة ، حيث تناقشا واحتفلا كرجال طال اشتياقهما واشتد ليرى كل منهما الآخر ، وليحتفلا معا ، وبعد ذلك انطلقا سويا وعبرا من كورنث ونهبا إلى نيكلي ، وهناك وجدا الأميرة مع كل السيدات من كل البلبونيز التي تدعى المورة ، اللاتي اجتمعن معا للتشاور ، (٨١) حول الروايات التي سمعنها حول تلك القلاع الثلاثة التي اعطاها الأمير للإمبراطور ، ليخرج من السجن هو وكل قواته ، ومعه كل رجال المورة وكل قادة الفرسان والفرسان الذين كانوا هناك في المدينة ، ولهذا السبب كانت النبيلات من زوجاتهم منج الاميرة في قلعة نيكلي يمددون برلمانا ويتشاورون ، ولم يكن معهن من الرجال سوى السير ليوناردو الذي كان اللوغويشت والرجل الحكيم والسير بييريفو الذي كان احكم رجلا في كل الامارة (٤٤٠٦ - ٤٤٤٠) وكان هذان الاثنان حاضرين هذا البرلمان (٨٢) .

وعندما وصل الاميران ، دوق أثينا وأمير كارتياينا ، اتخذا على الفور مراكزهما من مدينة نيكلي ، ثم نهبا رأسا ليريا السيدات اللاتي كن جميعا من القصر مع الأميرة ، وعند رؤيتهما حيثهما

الأميرة بلطف ، وبدأت تستجوب أمير كاريتانيا حول صحة الأمير وأتباعه من سجن الامبراطور وعن الفعل الذي ارتكبه ليخرجوا من السجن ويعودوا الى بيوتهم ، وبدأ امير كاريتانيا يعيد رواية كيف ان الأمير وقادة فرسانه قد بذلوا جهودا عظيمة للخروج من السجن باعطاء المال ، وأن الملك قد أقسم لهم بروحه بأنهم لن يخرجوا من هناك بالهدايا والمال ، وأنهم مع لهفتهم للخروج من سجنه توصلوا الى اتفاقية اعطوه القلاع الثلاثة وهذه فقط : قلعة موندفاسيا ، وقلعة مين الكبيرة وايضا قلعة ميسترا ، التي تملكها ملاكا خاصا ، وصنعوا سلاما قويا وعلاقة قرابة بالتعميد ، مع القسم الذي أكد بانهم لن يدخلوا حربا أبدا وعليه اجاب الأمير العظيم نفسه وقال للأميرة وكل الاساقفة الذين كانوا في ذلك البرلمان الذي أخبرتكم به : إن الحقيقة التي يعرفها الصغير والكبير ، هي أنني خضت الصعاب مع سيدي الأمير لأنني قلت إنه كان يطلب مني بصورة غير قانونية أن أصبح تابعا له وأن أحصل منه على الأرض والامارة التي هي ملك خاص لي ، ولقد حملت السلاح لخوض الحرب معه ، ولكني عرفت بعد ذلك أنني ارتكبت جريمة ضده وقمت بالتعويض كما اشترط هو نفسه .

ولهذا السبب ربما يعتقد بعضكم أنني خصم لسيدي الأمير فيما أخبركم به (٤٤٤١ - ٤٤٩١) ولكني أقول الصدق فخذوه مني ، اذا أخذ الملك هذه القلاع الثلاثة فإنه لن يتمسك بالقسم الذي أقسمه ، وسيرسل هنا ضدنا جيوشا وقوات كثيرة تخرجنا من هنا ، وتحرمننا أملاكنا . وعليه ، ربما تدركون اخلاصي الطيب ، إنني أقول وأؤكد بأنني سأفعل هذا : سأدخل السجن وليخرج الأمير ، أو اذا كان الأمر أمر افتداء له مقابل مبالغ من الهيرييرا فاني سأرتهن أرضي مقابل الديناري ، ولتدفع هكذا فدية سيدي الأمير .

ثم نهض أمير كاريتانيا وقال للأميرة أمام الأمير العظيم : إن كل ما يقوله الأمير العظيم هنا ، قلناه هناك في سجننا ، والمخاطر والمخاطرات التي يمكن أن تتبع . ولكن لأننا رأينا أن عناد

الامبراطور كان تصميميا ، فقد تكلمنا عن ذلك بين أنفسنا واتفقنا عليه : وقلعة مونمفاسيا كما يعرف الجميع كان سيدنا الأمير هو نفسه قد كسبها وهو الذي بنى مين وميستر ، وسيكون اثما وعارا أن يموت هو وأتباعه في السجن من أجل القلاع التي كسبها وبناها هو نفسه ، فقط لنجعله ينجو من عذاب السجن الذي هو فيه وبعد ذلك سيساعدنا الرب في الاستيلاء على قلاعه لتعود إليه ، وعليه أقول لكم وخذوا هذا عني ، ليس لأي رجل في الدنيا لالكلمات والاعذار التي قد يذفوه بها أحد ، أن تجعلني أترك سيدي وأميري يموت في السجن ، وسأنفذ الأمر الذي أعطاه لي بتسليم قلاعه حتى يتحرر من عذابه ، وعندما يخرج من السجن ، فليساعده الرب » ثم تكلم الأمير العظيم نفسه مرة أخرى مع أمير كاريتانيا وأجابه هكذا : « بالمسيح يا أخي الطيب ، أقول لك الصدق ، لو علم الامبراطور وأخبر بأننا لن نسلم له القلاع التي يطلبها ، فإنه لن يرش الأمير بالملح ويأكله ، بل سيأخذ الهيريرا ليطلق سراحه ، وعلاوة على ذلك أقول لك وخذ هذا كما تشاء أنه إذا فكر الأمير فيما يمكن أن يتبع لكان من الأفضل له أن يموت بنفسه كرجل واحد بدلا من يفقد بقية فرجة الدورة أملاكهم التي كسبها أهلهم بالمشقة مثلما فعل المسيح ، الذي ذاق الموت ليخلص أرواح الجنس البشري من اللعنة الأبدية ، حيث كان على الجميع أن يذهبوا ، من الأفضل أن يموت واحد بدلا من أن يموت الألوف من أجله إنني أفرغ مما بين يدي (٤٤٩٢-٤٥١٥) وأقول الصدق وأفعل أنت يا أخي ما أمرت بفعله » .

والآن بعد (٨٣) أن انتهى البرلمان ، انطلق أمير كاريتانيا الذي كان يحمل المذكرات (٨٤) التي أعطاه الأمير إياها ليقدّمها إلى أمار القلاع ، انطلق من نيكلي وأخذ معه ممثلي الملك ، الذي أرسل معه ليعطيه القلاع نيابة عن الملك ، وذهب إلى ميستر التي سلمها إليه أولا ، ثم مونمفاسيا وثالثا إلى مين . وحالما سلم القلاع التي ذكرتها عمد إلى أخذ رهينة ليسلمها إلى الامبراطور تكونت من ابنة أمير باسفا ، الذي كان مارشالا لكل الامارة ، وكان يدعى السير

جين دي ذويلي وهذا لقبه ومعها أخت خويرون الذي كان المفوض الأكبر للإمارة كلها ، ونهبت الاثنتان إلى المدينة رهينة وأطلق سراح الأمير والفرسان ، وكل قادة الفرسان الصغير والكبير ، ونهبوا إلى الدرة بسرور كبير (٨٥) .

وعندما ذهب الأمير إلى الدرة في ذلك الوقت ، استقبله الجميع استقبالا (٨٦) حسنا ، وحيث أنه كان نافذ الصبر في انتظار رؤية وتفتيش (٤٥١٦ - ٤٥٥٣) قلاع ومباني التي كان مفرما بها لم يرد اضاعة أي وقت هناك بالدرة ، فأخذ الفرسان الذين كانوا برفقته وسافروا معه يفتشون القلاع والمدن وذهب مباشرة إلى ليكيومونيا ، وطالما كانت له الرغبة والميل لرؤية الدرة ، فإنه لم يسافر وحده كجندي مسكين ، بل ذهب كأمر مع مرافقة جيدة إلى تلك الأماكن التي أحبته وافتقدته ، وأسرع الجميع للسفر في معيته وحمل بعضهم السلاح وكان بعضهم بلا سلاح ، وعندما راهم الروم ، ممثلوا الامبراطور من أعلى قلعة ميسترا ظنوا واستنتجوا أن الفرنجة كانوا يسعون لقتالهم ، أي لقتال الرومان ، فأخبروا قادة الدرونغوز ، من المينغز وتوصلوا إلى اتفاق وأقسموا أن يلقوا مع الامبراطور وأن يتذكروا للفرنجة ، وأرسلت الرسائل إلى الكانتاكوزينوس (٨٧) ، وهو قائدهم ، حيث كتبوا له وأكدوا وأبلغوه أن الأمير قد جاء مع كل جيوشه وأنه قد أعلن الحرب ضد الامبراطور ، وصدق هذا وجهز سفينته ، وبعث بالرسائل فذهبوا إلى المدينة حيث الامبراطور وأبلغوه أن أمير الدرة غوليوم ، قد حدث بقسمه وبدأ الحرب من ليكيومونيا بكل جيوشه ، وبدأ يذهب أراضي الامبراطور (٨٨) .

والآن عندما سمع الامبراطور الباليولوغوس العظيم صدق هذه الأشياء التي أخبرتكم بها ، التي رواها له حاكمه (٨٩) من مونمافاسيا ، ودهش بدرجة عظيمة وسيطر عليه أن الأمير غوليوم قد حدث بهذه السرعة بقسمه الذي أعطاه له وبدأ حربا ساخنة في الدرة . وعليه ذهب إلى تركيا واستأجر الأتراك كمرتزقة ،

واستأجر ١٥٠٠ من القوات المنتخبة (٤٥٥٤ - ٤٥٧٧) ونهب حوالي ٢٠٠٠ من الأناضوليين معهم .

وعين ابن عم له كقائد على كل أولئك الذين سمعتموني اذكرهم ، وكان يدعى ماكريدوس (٩٠) واستدعاه وأمره أن يأخذ الجيوش التي وضعها تحت أمرته وينهب إلى المورة لتابعة الحرب والقتال لقريبه بالتعميد ، ذلك الذي يدعى الأمير غوليوم .

وأصدر إليه أوامره وطلب منه أن يخبره بكل ما يحتاجه من أموال لاستئجار القوات ولكافة أي من رجاله ، وعليه أن لا يكون مترددا أو بخيلا أو مهملا بأي شكل ، بل أن يهرع في لهفة لفزو الأرض . « لأنه ما دام الأمير قد بدأ الحرب في حين أننا لم نقمنا على المحافظة على السلام ، إن عليه الاثم وعليه اللوم » . لقد ختم له بخاتمه الذهبي بعض الأوراق البيضاء وقال له : يا ماكريدوس خذ هذه معك وإذا وجدت ضرورة منح اقطاعات أو هبات فافعل حسب الجدارة . التي تتوسمها من كل رجل ومرب أن يدون هذا على هذه الأوراق » .

وأحضر إلى كبراء الدرنفوس وزعماء الفاردا ليفوس (٩١) ، وأيضا إلى كبراء تساكونيا وعدا بأنهم سيمنحون خرز بول يؤكد منح المزايا للجميع إذا (٩٢) ما حملوا السلاح وأنهم لن يكافؤوا بالسخرة ، لقد صعدوا إلى ظهور الشواني والناقلات والقوارب ، ونهبوا (٤٥٧٨ - ٤٥٩٣) بحرا إلى موندفاسيا بطريق البحر (٩٣) ، وبهذه الطريقة كما أقول لكم وكما أكرر عليكم بدأت الحرب في المورة حيث تحارب هذان الاثنان ، الامبراطور والأمير ، اللذان كانا مع ذلك أقارب بالتعميد .

وعندما وصل ماكريدوس إلى موندفاسيا نزل مع قواته من السفن وذهب رأسا إلى ليكسيمونيا مع الجيوش ، وسأل عن أسماء أمار القلاع ورؤساء الجماعات في درنفوس الميلنغز والتساكونيا وبعث

بالوثائق اليهم باسم الامبراطور وجعل بعضهم سيفاسدوا والقادة حتى تزدستيز (٩٤) واستسلمت فاتيكا كما فعلت تزاكونيا ودرانفوس الميلنفز وأراضي غيسترنا وفي الحقيقة ثارت لصالح الامبراطور (٩٥) .

وعندما عرف الأمير الأخبار وأن ماكريذوس وصل وبدأ الحرب وكان ينهب ويخرب المدن بشدة ، بعث بالرسالة إلى الأمير العظيم إلى يوريبيوس وإلى الجزر ، ليأتي قادة الفرسان مع جيوشهم لمساعدته فعصوه ولم يذهبوا إلى هناك (٩٦) ، وغضب الأمير منهم ، وأخذ ماتوفر له من الجيوش في المورة وذهب إلى قلعة نيكلي بالقوات التي معه ، وعندما سمع وعرف أن تزاكونيا وفاتيكا ودرنفسوس السلاف قد ثاروا نصح بأن لا يهاجمهم لأنهم كانوا قوات كثيرة وكان مالهيه منها قليل .

ولكنه نصح بحماية القلعة ، وبأن يمونها ويحصنها جيدا ، وأن يذهب هو بنفسه إلى كورنث ليحبر الأمير العظيم هو وأمراء يوريبيوس الثلاثة وماركيز بودونيتزا وأمراء الجزر على الحضور بسرعة ، وحالما أعطي هذه المشورة ، ذهب إلى كورنث ، وكان أمل الأمير الموثوق وتوقعاته أن يدخل في معركة مع قائد الامبراطور ماكريذوس هذا إن وجده في الميدان .

وعندما رأى ماكريذوس هذا ، أنه عند الضربة الأولى استسلمت الأماكن التي أدرجتها لكم ، له جالس وكتب الرسائل وبعث بالرسالة إلى الامبراطور الذي كان في المدينة ، يروي له أنه ذهب إلى المورة بجيوشه وأن الرب ومباركة الامبراطور قد مننت عليه يكسب ثلاث المورة بدون ضربة سيف ، وعليه ، إذا أرسل إليه الملك عددا كبيرا من الجيوش أكثر مما سلف إعطاؤه له ، فإنه يرجائه في المسيح وبمباركة الامبراطور سـيربح كل أرض المورة له / (٩٧)

(٤٦٢٩ - ٤٦٦٥)

وبسماع هذا ، كان الامبراطور سعيدا جدا ، وعليه دعا
الدمستق الكبير الذي كان أخا له وقال له : أخي « أريدك أن تذهب
من هنا الى المورة وأن تأخذ معك ألف رجل من الخيالة
تنتقيهم ، وصبوا الأجور للمرتزقة والهيريرا ، وأعطوهم ما
يريدون ودع كاتا كونزيدوس أيضا يذهب معك لأنه جندي جبير
وشهير ، وانهبوا بأسرع ما يمكنكم لمساعدة ماكريندوس الذي
أرسلته من قبل للاستيلاء على المورة .

وان سمع الدمستق الكبير الأمر الذي أعطاه له أخوه الامبراطور
بنفسه أسرع لتجنيد زهرة رومانيا ، وصعدوا الى ظهر الشواني
والناقلات ووصلوا الى مونمفاسيا في خمسة عشر يوما . والآن
بعدما نزل الدمستق الكبير أخو الملك في مونمفاسيا سأل عن المكان
الذي يمكن أن يجد فيه ماكريندوس فأخبر بأنه متمركز في ميسترا مع
جيوشه ، ومنها كان يحاصر ليكييمونيا ، « وهو ينتظر جلالكم يوما
يعد يوم ، يا سيدي » . وعند سماع ذلك أسرع بالذهاب الى
ليكيويمونيا وانضم الى ماكريندوس وتشاورا معا حول كيفية
التقدم ، وعلما بأن الأمير كان في كورنث وشكا في أن تكون قواته
معه ، وعليه أعطيت المشورة بأن يذهبوا الى المورة حيث سيجدون
الأرض غير محمية فيأخذونها وقسموا السرايا في الجيش ، وكان
لبيهم ٦,٠٠ فارس شكلوا منها ثمان عشرة سرية كانت كل ثلاث
منها تضم ألف رجل . وكان لبيهم من الجنود المشاة ما يفوق
الحصر ، لأنه كان لبيهم قوات غارد ليفوس الى جانب تلك التي من
تساكونيا من الدرنفوس المنفرد وقوات من حين الكبيرة (٩٨) وثار
الاسكورتدو وانضموا اليهم .

وانطلقوا خارجين ومروا عبر منطقة (جبل) هلموس (٩٩)
ووصلوا الى فيلفوستي أقاموا معسكراتهم ، وأحرقوا الربض (١)
وتركوا القلعة فقط ، وفي اليوم (٤٦٦٦ - ٤٦٨٧) التالي دخلوا
سهل كاتيانا ، وامضوا الليل بجانب الغبير (٢) ، وانطلقوا صباح
اليوم التالي وذهبوا الى ليودورا وذهبوا رأسا في اتجاه انحدار نهر

الفيوس ، وذهبت سرية من الأتراك الى ايزوفا (٣) وحرق
الدير ، انظر أي عمل شرير جرى ومن هناك ذهبوا راسا الى
برينتسا وعسكروا هناك ونصبوا خيامهم ، والآن وقد رأى
الاسكورتندو العدد الكبير من الجيش استسلموا بسرعة وارتكبوا
بذلك خطأ كبيرا - وعملوا لهم كمرشدين وصحبوهم .

والآن عند هذه النقطة أترك الكلام هنا واتكلم عن الدمستق الكبير
وجيوشه وسأخبركم ، وبدقة عن المعركة التي جرت في ذلك الوقت في
برينتسا (٤) لقد هزم ٣٠٠ من الفرجة هذه الجيوش ، كما أنوي
أن أقص فيما بعد في كتابي ، وعندما ذهب الأمير الى كورنث في ذلك
الوقت من أجل الترتيب لجيء دوق أثينا والأمراء الآخرين من الجزر
مع جيوشهم (٤٦٨٨ - ٤٧٢٥) لمساعدة الأمير حتى يقاتلوا
الدمستق الكبير مع جيوشه ، وبقي في المورة كنائب شرعي له السير
جين دي كاتافاس وهو أحد فرسانه ، وكان رجلاً حكيماً عالي
الخبرة ، وجنلياً شجاعاً ومحترفاً للأسلح ، وكان ذا بلية مروعا
لاصابته بالروماتزم ، ولم يكن يتمكن من الإمساك بسيف أو رمح
(٥) وعندما علم بالمعلومات بأن جيوش الملك التي كان الدمستق
الكبير يقودها ، كانت قادمة ، بذل جهوداً عظيمة ، وجمع من سهل
المورة أكبر عدد ممن استطاع جمعه ، وحالما جمعهم قدر العدد الذي
كان به وكان الموجودون ٣١٢ فقط فأخذهم وذهب الى جـوار
كرستينا ، وهو يبحث ويستعلم عن مكان وجود جيوش الامبراطور
التي كانت تفزو سهل المورة . وعندما علم بأنهم قد وصلوا الى
بيرنتزا دخل وادي رافد الافيوس ليسر بجانبه . وعندها وجد
علامات مسامير (الاحنية) لذلك الجيش فتتبعها ، وعندما وصل
الى دهليز ضيق يدعى عند الفريدي لكوثوبيتسا (٦) ، ورأى الحقول
ملينة بالجيوش - وكان الوقت ما يزال مبكراً نوعاً ما ، ساعة
الفجر - هاجموا تلك الجيوش فجأة ، ولم يفقد السير جين
ديكاتافاس الجندي الهول شجاعته في الجيش الذي كان من الممكن
أسره ، وأصبح متهللاً ودعا رفاقه ويلهفة كبيرة تحدث اليهم بهذا
القول الحكيم : « أيها السادة والأصدقاء والاخوة والرفاق

المحبون ، إنكم جميعا يجب أن تبتهجوا وتحمدوا الرب حيث أتى بنا الى مثل هذه النقطة المواتية ، بهذه الجيوش العديدة التي تفوق الحضر حتى نهزمهم . انتبهوا أيها الأخوة الطيبون ويجب ألا يخشاهم أحد منكم لأن هناك العدو . من القوات ، وللاسبب الذي سأقوله لكم ، إن الأفضل لنا أن نقاتل هؤلاء ، من أن يكونوا أقل ولكن من عرق واحد ، إن هؤلاء أجانب كليا ومن أراض مختلفة (٤٧٢٦ - ٤٧٧٦) وبلا خبرة في قتال رجال الفرنجة ، ودعونا لا نتردد لحظة لئلا يكشفونا وبانقضاض مفاجيء دعونا نهاجمهم برماحنا ، إن خيولهم كلها أفراس هرمة وإن واحدا من خيولنا يسقط ١٥ منها في كل مرة . وعلاوة على ذلك أقول هذا أيها الأخوة أني اذكركم بالجهد الذي يبذله أمراؤنا وأهلونا من أجل احتلال الأراض التي نملكها . وإذا لم نستعمل ارادتنا هذا اليوم ليدافع كل منا عنها بحياته ولتريهم بالسلاح أننا جنود مسلحون فلن ننقذ في الوقت نفسه أملاكنا ، إذا لم نتصرف بهذه الطريقة التي أخبركم بها (٧)

يجب أن لا نعتبر من رجال السلاح ، أو أن نملك اقطاعات ، ولا أن نشرف في العالم . وفي العام الثاني فكروا أيها الساسة والرفاق أنه إذا منحنا الرب وحظنا أن نهزم هنا أخا الملك وتلك الجيوش بالقتال وبالسيف فإنه طالما بقي الملك على جبل ارارات سيبقى طويلا اطراء هذا اليوم ، الذي سيضيفه علينا كل من سمع به . والآن فإني كما تعرفون وترون غير قادر على حمل السيف أو الرمح أو الوقوف في المعركة التي أخوضها ولكني قد أبدي الحماس نفسه مثلكم ، وسأحمل راية الأمير وستربطوها في يدي حتى أحملها بثبات ، إن بإمكانني أن أرى خيمة الدمستق من هنا وأقسم لكم بالمسيح أني سامض إليها رأسا . وكل من يراني أتريد أو أبدي أي خوف فاني اعتبره عدوا للمسيح أن لم يمزقني على الفور .

وكان الدمستق الكبير جالسا في خيمته فوق رابية صغيرة في قرية برينتزا ، (٨) وحالما ظهر الفرنجة فجأة ، قال هذا

القول - وقاله هو بنفسه : « أرى فطورا صغيرا حقيقا قد جاء نحونا » ، وأمر ثلاثة سرايا فقط بالركوب والخروج ، ألفا من القوات الراكبة لمواجهة الفرنجة ، وركبوا بسرعة وهاجموا الفرنجة وقابلوهم بصدمة الكل برأحهم ، وفي هجمتهم الأولى سقط ثلاث الفرنجة عن خيولهم لأنه كان مقابل كل واحد من الفرنجة عشرة رماح رومية اسمعوا (٩) وبتأييد المسيح ، إن أحدا من الفرنجة (٤٧٦٨ - ٤٨٠٩) لم يتلاق طعنة من رمح ولم يجرح أحدا ، وأولئك الذين سقطوا عن خيولهم عادوا إليها بسرعة وامتشقوا سيوفهم وبدأوا يقتلون الروم ، ومضى وقت طويل ضاع الفرنجة فيه عن النظر ولم يعد يمكن تمييزهم من بين الروم ، ومعهم كان السير جين دي كاتافاس وأخبركم أنه عندما نهض الفرنجة من حيث سقطوا وحيث ألقى بهم العدد العظيم من الروم أرضا أخرجوا سيوفهم الصغيرة من أغمارها وبدأوا القتال ، وذبخوا الروم كما يحصد المنجل من المروح ، وضاع الفرنجة بين الأعداد العظيمة ولم يعد المستق الكبير يراهم بالمرة من حيث كان يجلس في خيمته ، ولكن السيرجين كاتافاس ذا الذاكرة المباركة لم ينتظرهم حتى يقاتلوا الفرنجة ورأسا جهد مرة بعد أخرى ليصل إلى الخيمة التي رأى من بعيد أنها كانت خيمة المستق ورأى بعض من اشترك في هذه المعركة وشهدوا أنهم رأوا فارسا يمتطي حصانا ويحمل سيفاً مجردا ويشق الطريق دائماً حيثما كان الفرنجة . وقالوا وأكدوا أنه كان القديس جورج وأنه أرشد الفرنجة وأعطاهم الشجاعة في القتال ، وقال آخرون إنه الثيوتوكوس المقدس الذي كان في ايزوفاس ، الدير في أحرقه الروم في رحلتهم ، فكان غاضبا ، وما يزال بعضهم يقول إنه بسبب الحدث باليمين الذي أقدم عليه لهاجمته الأمير بسبب كلمات غير صادقة وروايات لا أساس لها - فإن الرب والثيوتوكوس المقدس قد غاضبا وأعطيا النصر للفرنجة وكانا غاضبين من الروم .

وبدأت المعركة في الساعة الأولى ووصل الفرنجة في ساعة

الظهر الى الخيمة حيث كان الدمستق الكبير يجلس وعينه بلا انقطاع على الجيش ليرى ما يجري لفرنجة المورة ، ولم ير فرنجيا واحدا بل الروم فقط فرفع يديه (٤٨١٠ - ٤٨٤٧) يحمد الرب ويفسر هذا بأن الفرنجة قد فقدوا . وهكذا بينما كان يقف وهو يحملق في الجيوش ظهرت أمامه فجأة أعلام الفرنجة وعرف أعلام جيش الفرنجة ، وكانوا يتقدمون نحو الخيمة التي راوا أمامها صولجان أخى الملك الدمستق الكبير فأرسل صرخة صغيرة ثاقبة بأعلى ما أمكنه ، في الغلمان الذين كانوا يتولون خدمته : « أنهم هناك أحضروا حصانى يا أغبياء (١٠) أيها التركمان ، أنظروا الى أعلام الفرنجة الذين تغلبوا علينا » .

ولكنهم عندما راوا السيوف المجردة التي كانت تتقدم نحوهم - وكان يحملها الفرنجة وهي مضرجة بدماء الروم - سعى كل منهم لينجو بنفسه ، وعمدوا للهرب الى أي مكان استطاعوا بلوغه . وركض واحد كان حصيفا ومحبيا لشرفه ليحضر حصانا كان واقفا وهو مسروح بالفعل ، وكان أفضل ما لدى الدمستق ، وساعد سيده الذي ركبه بقفزة ، ووجد أحد سكان هذه الأرض ممن كان يعرف ويألف أرض برينيتزا . فأرشده وصديه ، فذهبوا من ليفتزا الى كاييل (١١) مسافرين عبر أماكن وعرة برية حتى لا يكتشفا ، وشقبا طريقهما بحذر وبراعة حتى وصلا الى ميسترا ، وهي التي كان مذهبها لبلوغها .

وعندما رأت جيوش الرومان التي كانت في بدرانيتزا أن الفرنجة وصلوا الى خيمة الدمستق وأسقطوا صولجان الملك ، استدار الجميع للهرب ، ولم ينتظر أحد ليرى الآخر يذهب . لماذا أخبركم بكل هذا التفاصيل ومن الذي يكتبها كلها؟ وكف الفرنجة عن ذبح الروم ، ووجدوا عائقا مخيفا في غابة برينيتزا ، تلك المنطقة الصعبة والكثيفة الأشجار ، وفيها دخل كل الروم الذين هربوا فنجوا ، إذ أنه لولا وجود هذه الأماكن الصعبة التي أخبرتكم عنها هناك ، وقد توصلت الى هذا

الاستنتاج من معلوماتي ، (٤٨٤٨ - ٤٨٧٣) لما نجا أحد منهم ولا استطاع الفرنجة ابادة العرق الرومي كله وتوقف الفرنجة عن قتل أعدائهم ، عندما رأوا أيضا أنهم هربوا الى الجبال وأنهم هربوا الى الغابات في اتجاه الجيش (١٢) ، فتخلوا عن بعضهم وعادوا. واستولى الفرنجة على ٠٠٠ را حصان في هذه المناسبة.

وعندما عرف أهل القرى في تلك الأجزاء بهذا ، اندفع الكبار والصغار ليحصلوا على بعض المكاسب من سلب الروم . ثم بقي الفرنجة في سيرفيا (١٣) لأنهم كانوا مثقلين بالقدر الكبير من الغنائم التي استولوا عليها ، ونهبوا في اليوم التالي رأسا الى فليزيري

وأمر السير جين دي كاتافاس ذلك الجندي المصاب بالنقرس بكتابة الرسائل وبعث بالرسائل الى الأمير في قلعة كورنث ، ووصف له بةفصيل كبير الأمر وما جرى ، وكيف سارت معركة برنيتزا والعمل الذي قام به ، والنصر الذي تحقق لهم ، وعندما سمع هذا رفع الأمير يديه وحمد الرب ، والثيودوك بالغ الطهر ، وابتهج من جانب وأسف من جانب ، ابتهج لأن قواته انتصرت ومن جانب آخر (٤٨٧٤ - ٤٩١٣) حزن لأنه لم يظهر ٠٠٠٠ وكلمة عذبه أكثر كلما كان عليه أن يكون أكثر حيلة تجاهه ، (١٤) ولو أن الأمير وقتها قد أخذ الأمير الأعظم والجيش من الجزر وجيوش اليوروبس ونهب مسرعاً رأساً الى نيكالي ، ودخل تساكونيا ونهب كل المنطقة لتوجب على المستق الكبير تبديد وقت طويل في تحضير حملته ، ولكن بقدر ما يعمل المرء سيجد عمله أمامه (١٥) والآن أترك الكلام عن الأمير وسأروي لكم أخبار الأعمال التي ارتكبها المستق الكبير في ميسترا حيث كان .

لقد وصفت لكم من قبل أعلاه في كتابي العمل الذي قام به

الدمستق الكبير في برنيتزا مع جيوشه ، وعندما تمكن من الوصول الى قلعة ميسترا ، أقام حزينا ليلا ونهارا وبكى ، أولا بسبب خجله أمام عيون الرجال ، وثانيا بسبب الامبراطور الذي كان يخشى منه كثيرا لئلا يمسك به ويسمل عينيه ويلقي به في السجن ، وأن يلقى الموت ظلما ويفقد حياته ، لقد أرسله الامبراطور مع جيوشه ليفزوا كل أرض المورة ، وإذا علم أن الفرنجة ربدوا المعركة وأنهم كانوا مجرد ٣٠٠ مقابل ٠٠٠ ٢٠٠ كيف يمكن أن يستقبله وكيف يحييه ، بل إنه سيقول إنه خائن ويهدمه ، وأراحه نبيل فرنجي ، وكان رجلا خبيرا محذكا ، جاء من المدينة كمبعوث من الملك اليه فخاطبه قائلا : يا امبراطوري باسم المسيح ، لماذا تحزن هكذا؟ ألا تعرف أن الحملة تهتمد على الحظ؟ وذلك الذي يعرف المكر ويتصرف بخبث يغوي الشجاع ويسلبه شجاعته ، فالمكر والخبث يغلبان الشجاعة. لقد رأيت المكر الذي استعمله نائب الملك في بلاغونيا فكسب المعركة ، ولم يفكر بالقول بأنه كانت لديه جيوش كثيرة ، ولكن طبق المكر وترك الشجاعة جانبا . إن كل الرجال في كل الدنيا يعرفون أن الفرنجة شجعان في استعمال الرمح والسيف ولهذا السبب فإن نائب الملك (٤٩١٤ - ٤٩٦٠) الداهية أطلق الألمان لمواجهة الفرنجة لمواجهة فورة غضب رماح الفرنجة ثم كان هناك لديه الهنغار والترك ، والكومان يطلقون السهام عليهم جميعا ، فرنجة وألمان فذبذبا خيولهم وربذوا المعركة ، وأولا رماة السهام الذين قتلوا الخيول ، لما ربدوا المعركة .

وترى ايها النائب ياسيدي كيف اخطأت في هذا ، هناك عندما قاتلك الفرنجة في برنيتزا ، ونقلنا عن ما قاله قادة الجيش ، الذين كانوا معك في المعركة لقد وثقت امارتكم في كثرة الجيش التي كانت مع سموكم وازبريتم الفرنجة لانكم رايتموهم قليلا ولم تبالوا بالمرّة كيف يمكنكم ان تقاتلوهم وهو امر لايفعله الجنود الحكماء ، إذ لاتهم كثرة عدد رجال الجنود ولاشجاعتهم ، بل ينبغي على الانسان الاخذ بجانب المكر والحيلة لدى القتال بحرص ضد عدوه ، لان الحكماء

يقولون - وقولهم حق - ان المهارة والحيلة تغلب الشجاعة ، وكان يجب عليك ايها الامبراطور ان تعد رماة سهامك عندما رايت الفرنجة يزحفون قادمين نحوكم وان تذبخوا الخيول التي كانوا يركبونها ولو فعلتم ذلك لهزمتموهم على الفور ، ولتغلبتم عليهم ، ولكنكم امرتم الف من حملة الرماح بمواجهتهم قاصدين ومتوقعين انهم سيهزموهم ، وفعلتم هذا بارادتكم ، ياسيدي اني اعيد ثانية ما قلته قبلا وهو الصديق حقا ان فرنجيا واحدا على الحصان يعادل عشرين روسيا . ولقد رايتم ياسيدي ماحققه الفرنجة في برينتزا ، وكم كانوا عقلاء وذوي خبرة وقد راوا الاعداد الكبيرة من القوات والجيوش التي لديكم ، فركبوا بسرعة الى وسطهم والقوا رماحهم وسحبوا سيوفهم الصغيرة وذبحوا قواتكم ولم يكن رجالكم قادرين على الانتشار والتباعد ، لقد تصرفوا بالطريقة نفسها التي يتصرف بها الذئب عندما يدخلون الحظيرة ويبعثرون الغنم ، حسنا لانحزن على ما حدث لان هذا كما ترى هو دائما طريقة الاغارة ، التي تربح احيانا واهيانا اخرى تخسر ، سري عن نفسك ياسيدي وخذ طريقا اخر ، ومر كل جيوشك بالتجمع وفكر كيف تربح الشرف والمنفعة كي تصلح الشيء الذي حدث ، لقد علمت بان الامير قد عاد الى اندرافيدا وان الجيوش التي جاء بها قد عادت الى بلادها فلنذهب (٤٩٦١ - ٥٠٠٦) رأسا اليه هناك في اندرافيدا واذا تجمع لديه من سوء الحظ ما يجعله يخرج للقتال فلا تخرجوا لقتاله ببطرسة ، بل قاتلوه فقط بالبراعة والمكر ، لا تدخلوا المعركة معه بالرماح بالمرّة بل مر وا الاتراك الذين يحملون الاقواس ان يطلقوا سهامهم على الخيول حتى يسقط عنها الفرسان ، واذا حالفكم الحظ واسرتم الامير ، استبقوه وستربحون ارضه أيضا .

وصدق الديمستق الكبير الفرنجي ، واستدعى النبلاء والقادة الذين كانوا معه وروى لهم بالتفصيل ما اخبره الفرنجي به : فامتدحه الجميع وقالوا انها نصيحة جيدة وامر بدعوة كبار القادة في الجيش وقال لهم : « ايها النبلاء القادة اسرعوا فورا حتى نمضي الى مدينة اندرافيدا حيث يوجد الامير » واستدعى كانتاكوزينوس

وماكرينوس ايضا وقص عليهم كل ما قاله الفرنجي ومشورة النبلاء والقادة ايضا . فاجابوه قائلين « لماذا تتردد ايها النائب والدمستق الكبير ، الايصدمك هذا العار الذي جلبه الفرنجة لنا والذي لحقنا كما لحق سميوكم ، وسنفعل اي شيء من اجل شرفنا حتى لا يدعونا الملك كفارا وخونة ؟ ولكننا نفكر في الفصل ، الاكثر عدم ملاءمة لنا في السنة اذ يجب ان نتصرف كجنود عقلاء ، وحتى الان لانعرف ايهم قتل وايهم هرب حيا وايهم احتفظ بخيوله ، لقد إنتهى الصيف الآن ورجل ، وقد جاء الشتاء وتوقفت الجيوش عن الاغارة ، فلنطلع لتلك الفترة ، لنفتش قواتنا لنعرف ما بقي لنا منها واذا وهبنا الرب وحفظنا ان نعيش حتى اذار ، من ربيع السنة وهو الفصل المناسب للجيوش فليجهزوا انفسهم بالاسلحة ويتجهزوا للمعركة في ذلك الوقت ، ياسيدي لنجهز انفسنا وحيثما نجد الامير ، دعونا نهاجمه ولنمت معا أو نثار» وعليه اجاب الدمستق الكبير : « الرب يعلم يا اصدقائي ورفاقي واخوتي انه ليذمر عقلي وياكل قلبي ان الذي قضى علينا لاقيمة له . ولو اننا قاتلنا وحاربنا الامير وهو رجل عظيم ومشهور في العالم ، وهزمني في المعركة لاعتبرت ذلك تعزية ، (٥٠٠٧ - ٥٠٤٣) ولكن ان يقال ان مريضا بالروما تزم وعالة قد هزم اخا الامبراطور في الميدان ، زد على هذا ما هو اسوا من السوء انه بثلاثمائة هزم ١٥ ٠٠٠ » وحسبما قرر هؤلاء النبلاء في المجلس : الدمستق الكبير مع ماركينوس ومعهم كانتاكوزنيوس الجندي الشهير هكذا عقدوا العزم ورتبوا الامور ، ومر الفصل ، ومضى الشتاء ثم جاء شهر اذار وربيع السنة ، وعندها خرج جميع الرجال باسلحتهم للمعركة وساروا برا وبحرا . وامر اخو الملك ، الدمستق الكبير ان تتجمع الجيوش معا ، وتم الحشد في حقول ساببيكوس في المروج الواسعة ، بين الينابيع العنبة . (١٦) لقد جمع جيوشا كثيرة من اراضي مختلفة ، ومشاة من تساكونيا ومن برنفوس الميلنفر ، وحتى من بعيد من مونمفاسيا وبرنفوس سكوريا ووزعوا سراياهم واستعدوا وانطلقوا ، وامضوا الليل في كاريثانيا ومضوا رأسا الى رافد الالفوس ، واجتازوا برينترا وحملقوا في تلك البقعة وتذكروا ما مريهم فيها ، ثم تابعوا

طريقهم ، وهم يفكرون في تهديد الفرنجة وفي أن الشيء الذي دمرهم يجب أن لا يحدث لهم مرة أخرى اذا خاضوا المعركة ليهاجموا بالرمح فانهم هذه المرة سيقتلونهم بالسهم . وكانوا يسألون في كل مكان اين يمكن ان يجدوا الامير غوليوم وعرفوا انه ينتظرهم في اندرافيدا ، المدينة التي طوقها تماما بالخنادق ، وكان ينتظر هناك ليلقاهم بكل جيوشه .

ودعا الدمستق الكبير قايته ، وطلب مشورتهم حول كيفية التقدم ، واعطاه المشورة التالية سكان الارض ممن يعرفون الارض والممرات الجبلية ، وطلبوا منه (٥٠٤٤ - ٥٠٧٥) ان لا يعتمد الى الذهاب الى اندرافيدا لان الممرات كانت صغيرة جدا بالنسبة لقواعد اطلاق العرادات وطواقمها (١٧) لقد اخذوه رأسا الى قرى سيرجيانا وجعلوه يتمركز فوق هذا المكان ، نحو الشرق حيث كانت هناك كنيسة تدعى سانت نيكولاس في نيسيكلي وهو اسم البقعة ، وهناك نصبوا خيمته وعسكروا (١٨) وكانت سفوح التلال والحقول غاصة بالجيوش ، التي عسكرت تلك الليلة وامضت ليلتها هناك .

وعندما بزغ فجر اليوم التالي وعند ساعة الشروق جاء الامير الى هناك مع جيوشه ، وجاء الفرسان ومشاة القوات كلهم معه فوزعهم في سرايا وكون ثلاثة فيالق ، وخرج من سيرجيانا لمواجهة الروم ووقفت الفيالق مستعدة للمعركة (١٩) .

وكانت طلائع الروم وفيالقهم تحت قيادة كانتاكوزينوس ذلك الجندي الجدير بالثناء الذي ركب منطلقا من سريته على ظهر جواد وكان يحمل كنانته ويمسك برمحه واندفع بسرعة الى الامام والى الخلف بين الفرنجة وبين سراياه مظهرا خيلاء كبيرة ، وعندما مضى جيئة وذهابا ثلاث مرات بهذا الجواد نزل وابدل الحصان وركب غيره ، وبدا يعرض نفسه امام الفرنجة هذا ما فعله كانتاكوزينوس وهو يركب جيئة وذهابا وينخس بمهازه جواده مزدريا بالفرنجة

لأنهم كانوا قلة ، وبتعال وغطرسة لأن الروم كانوا جمعا غفيرا من القوات ، واكثر بكثير مما كان الفرنجة ، حسنا لقد مضى جيئة وذهابا ، راكبا جواده وجمع الحصان وحمل الفارس الى كوم من العليق قريب من الامير وتعثر الحصان فسقطا معا (٥٠٧٦ - ٥٠٩٩)

واذ رأت قوات الامير هذا ، هرعت الى البقعة حيث قتلوا الفارس وأسروا الحصان .

وعندما رأى المستق الكبير وماركينوس أيضا أن قائد جيوشهم قد فقد ، بدا لهما كما لوأنهما قد ماتا أيضا ، جميعا ، فركضا وحملاه ميتا بعيدا ، ونفخا الأبواق وسكنا (٢٠) دون حركة .

وأراد الامير أن يذهب في اثر الروم فأخرج الجميع المشروع من ذهنه وأوقفوه قائلين: انه اذا تحشد الروم وأحاطوا بالخيول برماة السهام ، فانهم سيقتلون خيولهم بسهولة جدا ، وعندما تموت الخيول ويسقط الفرسان سيهزمهم كالنساء والأطفال ، وسيفقد الامير شخصه أولا ثم أرضه وكل قواته ، وعليه ما أن سمع الامير هذا حتى مال نحو أفكارهم وعاد الى بيته في اندرافيدا (٢١) .

وسافر المستق الكبير مع جيوشه مباشرة الى حقول نيكلي ووصل الى هناك ، وأحاط بالقلعة وطوقها ، وهناك غلبه قدره ، وهو قدر لم يكن يتوقع ان يعيق به (٢٢) فالأتراك الذين تحت قيادته والذين (٥١٠٠ - ٥١٢٨) كان تعدادهم ألفا ، طالبوا بأجورهم باعتبارهم من المرتزقة مدعين اجور ستة أشهر (متأخرة) ، غير أن المستق الذي كان مكتنبا لأنه وقد ذهب ليحرز النصر والفخر على الفرنجة تلقى فقط كارثة وعاد مجللا بالعار ، أعطى الأتراك جوابا متفطرسا وقال لهم بغضب : « ألا تشعرون بالخجل ، أيها الرجال أو لا ترعون من مطالبتي بالدفع وقد أصبحت أغنياء في أرض الامبراطور بسلع الفرنجة وبلغ الامبراطور ؟ لقد كنتم حفاة عراة

عندما جئتم الى هنا الى المورة (٢٣) ، وكنتم كلكم معوزين ، وبهدما جئتم هنا الى ارض الامبراطور ، وبمباركة الامبراطور ومن حكمه ومن الفارات الكثيرة التي قمنا بها ضد الفرنجة ، اصبحتم أغنياء — وما الذي حصل عليه الامبراطور ؟ أخبروني ما هو كسبه وما أخذه من أجركم ، والا فاني من جانبي لن أعطيكم في حياتكم أجرا مطلقا .»

وعندما سمع الأتراك ذلك أطلقوا صرخة عالية : « ما هذا الذي تقول له لنا ، أيها الأمير لماذا تهيننا ؟ في أي معركة وضعتنا ولم نأت بمأثرة ما ؟ لقد ذهبنا الى برينتزا ، هناك حيث جاء الفرنجة ولم تدعنا نقاتل ولكن أرسلت نبلاءك الرومان الذين حاربوا الفرنجة بالرمح ، أنظر ما الذي كسبه لك وأي شرف قدموه لك . أي رومي سمعت به قاتل فرنجيا وهزمه بالرمح أو السيف ؟ والكل يعرف هذه الحقيقة ، في استعمل الرمح والسيف الفرنجة جنود ، ولكننا (٥١٢٩ - ٥١٧٤) خجلنا في ذلك اليوم بسبب الروم وهربنا من المعركة لا بسبب خطأ من جانبنا لقد فعلنا ذلك لنبقى في صحبتكم ولم نكن بأي حال مذنبين ، ومرة أخرى قدمتمونا الى اندرافيدا ، وهدبتم بالقضاء على الأمير وعندما وصلنا الى هناك واصطف الفرنجة في مواجهتنا على مرمى سهم منا ، وكلهم مستعدون للقتال ، وبسبب مقتل رجل واحد فقد بخطأ منه أعطيت الأوامر بأن نستدير ونهرب كالنساء ، هل أمرتنا قط بالقتال وتراجعنا قدما أو عشرينا ؟ من الذي يمسك أجر خدامه وأجره يسمح له بأن يذهب على الفور الى حيث يريد وبالنسبة لنا ايها الأمير من هذه اللحظة اعطنا هذا الآن طالما انك تحجب عنا أجرنا وسنحييك ونمضي لنجد في مكان اخر الوسائل للعيش كجند . »

وذهبوا الى المعسكر وتشاوروا على الفور ، ثم هدموا معسكرهم وقفزوا الى سروجهم وخرجوا من نيكلي وأخذوا طريقهم ، ثم عادوا مرة أخرى ، وذهبوا الى كارييتاينا ، وعسكروا هناك ذلك المساء .

وعندما سمع الدمستق الكبير بذلك ، وعلم أن الأتراك انطلقوا من هناك وغادروا ، وقد كانوا خيرة كل الجيش ، وأنهم ذهبوا الى الأمير ، الذي كان عدوه ، لعن بقوة هذا العمل وكان من الممكن أن يذهب في أثرهم ولكن أحكم من كان في رفقته قال له وأشار عليه بأنه ليس مما يشرفه أن يذهب وراء الأتراك ، وهو أخو الامبراطور ، لأن الأتراك كانوا مهتاجين جدا من الغضب ، « وإذا حدث أن جدوا وقتلوك ، أو اذا تصادف أن دخلوا في معركة معك ، وهزموك بالصدفة في المعركة فان هذا سيكون شيئا غير لائق ويستدعي اللوم ، ولكن لماذا لا توجه النبلاء والرجال الحصيفين ليلحقوا بهم ويتوددوا اليهم بالكلمات ، ويخبروهم بأنك قد وعدتهم بأنهم سيحصلون على أجرهم وهبات اضافية كما يستحقون » وعين اثنين من النبلاء ، الذين كانوا من المدينة وأعطاهم مرافقة ، وخرجوا بعد ذلك ، ووصلوا الى كاريتانيا تلك المساء ، وهناك وجدوا الأتراك الذين كانوا معسكرين ، وذهبوا الى ملك الذي كان قائدهم ، ونزلوا عن خيولهم . ودخلوا مباشرة الى الخيمة وحيوه نيابة عن الدمستق أخي الامبراطور وعن النبلاء وقالوا له : « إن النبلاء مندهشون (٥١٧٥ - ٥٢٠٦) مما حدث ، ومن أنكم انفصلتم عنا بسبب كلمات فقط ، وتخليتم عن قسمكم وخدمتكم العسكرية وانتم مدينون بها للامبراطور وذهبتم لهذا السبب ، عودوا أيها القادة الى قسمكم وسندفع لكم على الفور كل أجوركم ».

وعليه أجابه ملك نفسه وكذلك قادة الجيش التركي بتلك الكلمات : « إنه لا يليق أن يرجع أخو الملك عن الكلمة التي أعطاهها ووعدها بها رجلا معرضا للموت ، وعليه نعلن أيها القادة والرفاق أن الدمستق الكبير بنفسه قد أخبرنا وأكد لنا كلمته بأنه لن يدفع لنا مطلقا ، عودوا وأخبروه عنا أننا لن نعود مطلقا ولن نخدمه أبدا يوما واحدا في حياته ، لأننا لم نجد في مدة حياته أي صدق عنده ، وقد سمعنا أن الفرنجة يتمسكون بالصدق ونحن في طريقنا لنجدهم ونعيش معهم » .

وكان النبلاء قد هموا بالعودة عندما أخبرهم صديق تركي ، وأشار عليهم بالبقاء هناك معهم تلك الليلة فقد يغير الأتراك فكرهم حول العودة .

ولكن الأتراك كانوا متلهفين للذهاب الى الأمير ليخدموه ونفضوا الأبواق في الصباح الباكر جدا ، وأخذ « الأتراك البوكسيني » وكان هناك الكثير جدا منهم ، وأخذوا خيامهم وانطلقوا على الطريق رأسا ، على طول رافد نهر الفيوس ، وذهبوا الى بيرغاردي ، في اتجاه فليزيري . والآن بعد أن وصلوا الى سيرفيا (٢٤) . دعا ملك اثنين من أتراكه ، وهما أحكمهم (٥٢٠٧ - ٥٢٣٧) وكانا يتقنان لسان الروم ، وأعطاهما مرافقة أيضا مؤلفة من اثني عشر آخرين من الأتراك ، وأرسلهم الى الأمير في اندرافيدا ليخبروه بسبب مجيئهم اليه . وعندما جاءوا الأمير غوليوم ، استقبلهم بتشريف عظيم ، وعليه أخبروه لماذا تركوا أخا الامبراطور ، وأنهم كانوا قادمين اليه بسبب حكمه الجيد وسمعته الطيبة ، في الحرب التي كان يشنها على الامبراطور ، وأنهم سيساعدونه بقدر ما يستطيعون وحسب مايقنرون ، لأن لديهم معلومات جيدة وأنهم يعرفون بحق أن الامبراطور كان يقاتله بقصد غير مشروع ، في حين أن كل رجل يحمل السلاح عليه أن يقاتل عدوه بحق الرب ، وعليه أيها السيد الأمير إذا كنت في حاجة لخدماتنا فإننا سنخدمكم مدة سنة كاملة واحدة ، وإذا كنت من جهة أخرى في غير حاجة اليها كأمر لنا وسيد فاننا نستعطفك ونتوسل اليك ان تأمر بان نعطي طريقا حتى نذهب الى مكان يمكننا منه العبور للذهاب الى ارض الاناضول حتى نعود الى مقاطعاتنا . »

واستدعى الأمير الحكيم والجيد انسلين دي توسي وهذا لقبه - كان أخا القيصر المسمى سير فيليب ، والذي كان في ذلك الوقت في سجن المدينة - لأن السير انسلين كان رجلا خبيرا ، وكان يعرف بدقة عادات ولغات الرومان ، وأمره ان يذهب لمقابلة الأتراك (٢٥) . فأخذ فرسانا وسرجندية معه (٥٢٣٨ - ٥٢٧٤) بلغ عددهم ٣٠٠

ونذهب الى فلزيري ، وهناك وجد قادة الجيش التركي ، وكان ملك سعيدا جدا ، وعليه خاطبه قائلا : « لقد كنت متلهفا جدا لرؤيتك ، يا سيدي واخي ، لانك رجل خبير من رومانيا ، وتعرف كيف نتكلم وتعرف كيف تتكلم معنا بالتركية » ، وبناء عليه بدأ يتحدث ويخبره عن القصد والفاية التي جاء من أجلها الى هناك . وأجابه الآخر بتعاطف عظيم : « مرحبا يا صديقي ، مرحبا يا أخي ، لقد كنت متلهفا جدا لكي أراكم هنا في صحبتي » . وعندما احتفلوا هناك في فلزيري ، ذهبوا ذلك المساء الى اندرافيدا .

وخرج الأمير للقاء الأتراك وكان كل قايته معه ، والتقوا عند نهر الياكوس (٢٦) وترجل الأتراك عن خيولهم الآن ، كما هي عانيتهم وانحنوا أمام الأمير الصغار منهم والكبار باستثناء ملك وسالك اللذين كانا قايتهم ، واللذان استبقاهما السير انسلين ، فلم يترجلا عن جواديهما كما فعل الأتراك الآخرون .

وحياهما الأمير بنفسه باحترام ، وأخذ بأيديهما وبدأوا السفر ، ولم ينتظر الأتراك حتى يعسكروا ، بل بدأوا الكلام وهم راكبون ليقصوا على الأمير شكاواهم والقصد والهدف من ذهابهم الى هناك ، وكيف أمسك الدمستق الكبير أجورهم ومكاسبهم التي كسبوها وهم لم يعملوا شيئا خادعا تجاهه ، ولم يظهروا أي عدم احترام للامبراطور ، « لقد استأنا منه كجنود في وضوح النهار ونهبننا علنا وجئنا الى هنا ياسيدي ، لنخدمك بالسلاح وبصدق كما هي طريقة الجند (٢٧) ، وعندما نخدم تحت امرتك ، نطلب منك كمكافأة وانتفاع ان تأمن لنا لنمضي في سبيلنا . ونصن بصدق (٥٢٧٥ - ٥٣١٥) يا سيدي لم نأت الى هذه الأجزاء لنبقى طويلا ، أو لنقضي وقتنا كله

أعد جيشك كله اليوم يا سيدي وفي الغد دعنا ننطلق ضد الروم ، وضد الأخ غير مؤمن للامبراطور ، فلم نجد في هذا المرء صدقا مرة واحدة . لقد حجزنا بالقول وأخذ أجورنا منا ، ان هذا يا سيدي ما

نريد وهذا ما نطلبه منك اذهب معنا الى هذا المدى وقف في مامن
وسنقاتل الشعب الرومي ، واذ سمع الأمير هذه الكلمات سر جدا ،
كما سر كل قادة الفرسان والفرسان ، ودعا السير انسلين
مستشاره الأول وطلب منه وأمره أن يعد الجيوش لينطلق من القد
متبعين طريقهم ليذهبوا رأسا الى حيث الروم والدمستق الكبير في
ليكديمونيا ، وكما أمر الأمير جرى ، وفي القد انطلقوا من
اندرافيدا ، وأخبر الأتراك الأمير بصدق بأنهم علموا من سحرتهم
الذين يعرفونهم أنهم في أول معركة سيخوضونها مع الدمستق الكبير
سيهزمونه (٢٨) ، حسنا وحالما خرجوا من اندرافيدا ، ركب
الأتراك منذ ذلك الحين وما بعده في جند المقدمة ، وكان لديهم
مرشدون أهليون ، كانوا يرشدونهم وسافروا حتى وصلوا بعد أربعة
أيام الى كوبرونيتزا ، قرب أركاديا ، ووصل الأتراك وعسكروا في
بقعة تدعى مونترا ، وهي ذات ربيع جميل (٢٩) . وبعد أن أقاموا
معسكرهم عمدوا الى مشغولهم ووجدوا كما كشفوا لهم ، وكان
صدقا أنهم في اليوم التالي السبت سيقاثلون عند الجبال التي يمكنهم
رؤيتها من هناك واستدعوا الفرنجة الذين اتخذوهم كأدلاء معهم
وقالوا : « أيها النبلاء : قودونا الى حيث يوجد الأمير ، اذ يجب أن
نتحدث معه حول المنافع والشرف التي سيحصل عليها » ، وعندما
سمع الأدلاء هذا قفزوا الى سروجهم ، وأخذوا قادة الجيش
التركي ، ملك وسالك ، وخمسة (٥٣١٦ - ٥٣٥٢) عشر رجلا
وذهبوا الى الأمير في كوبرونيتزا .

واذ رآهم الأمير وقف تشريفا لهم وقال « مرحبا أيها الأتراك ،
مرحبا يا أخوتي » وقدموا بدورهم الاحترام بين يديه وقالوا
له : « لتعلم يا سيدي الملك ، وخذها منا (٣٠) أننا من القد السبت
سنمضي لخوض المعركة ، وعليه فقد جننا الى هنا لنخبرك بهذا » .
وعليه ودعوه وعادوا .

وعندما سمع الأمير ذلك تحدث مع قادته وطلب منهم المشورة حول
ما الذي عليهم فعله ، وعليه أشار عليه السير انسلين وقال

للأمير : « اعلم أنني عرفت من جاسوس من رجالي بأن أخوا الملك ،
الدمستق الكبير قد ذهب الى فيلوغوستي بكل جيوشه ، لأنه علم
بأننا في الطريق الى هناك ، وأنه قد أخذ الممرات وكل الشعب في
القمم المرتفعة المعروفة باسم ماكري - راجي (٣١) وعليه فان
رغبتي ، يا سيدي ، أن يركب الأتراك الذين يركبون في مقدمة
جيوشنا ، في الوسط ، لئلا يأخذهم الخوف ويعمدون الى الهرب
ونفقد المعركة وأمالنا معها . وعليه اقترح يا سيدي اذا أمرتم أن
تكون لي السرية الأولى في كل الجيوش ، وليكن الأتراك في الوسط
وتكون أنت في جند المؤخرة ، وأن أمضي قبل كل السرايا ، وأمل
برحمة المسيح أن أحقق ماثرة كما يرضى الرب ، تنظرون اليها
بترحيب » .

وعندما سمع الأمير هذا وافق عليه جدا وقال : « يسرني يا سير
انسلين أن يجري هذا كما قلت ، وزع السرايا وليكن الأتراك في
الوسط » . وعليه ذهب السير انسلين الى الأتراك وتكلم معهم
متملقا ومطريا كرجل داهية وقال : « أيها الأصدقاء والأخوة أمر
الأمير طالما أنكم أجنب ولا تعرفون الأرض أن تكون لي السرية
الأولى وأمضي في المقدمة وتأتون أنتم بعدي والأمير خلفكم ، وحيثما
تدعو الحاجة تقدمون (٥٣٥٣ - ٥٣٨٠) المساعدة » . واعتبر
الأتراك هذا عندما سمعوه مجاملة .

وعليه ركبوا وبدأوا الرحيل ، وتحرك انسلين خارجا بسريته ومر
بكلامي وذهب الى ماكري - بلاجي (٣٢) ووقف هناك برهة صغيرة
فقط وقال لرجاله : أيها القادة الأصدقاء والأخوة اعلموا صدقا أن
أخوا الملك ينتظروننا هنا بجيوشه ، الآن في هذه الجبال وتلك الشعب
التي نمضي اليها ، ولهذا السبب أتوسل اليكم أن تبقوا في أنهانكم ،
أن لا يفاجئونا أو أن تؤخذوا بالخوف ولكن كحكماء ، وجنود عليكم
أن تقفوا بثبات في المعركة كرجال شجعان . لتحصلوا على ثناء
الجيش كله ، لأنهم - ليمنع الرب ذلك - اذا دفعونا للهرب سنخسر
المعركة وكل الامارة » .

والآن عندما سمعوا هذا وعدوه أنهم جميعا سيموتون معا من أجل شرفه .

ونفخوا أبواقهم وبدأوا يتسلقون منحدر مأكري - بلاجي ووصلوا إلى فونيمين (٣٢) .

وبينما هم منحنون إلى الامام في تسلقهم التلال ، قفز الروم المختبئون عليهم وهاجموهم في صخب ولهفة لأنهم كانوا أكثر عددا ، وشتتوا الفرنجة الذين تراجعوا مسافة رمية سهم على المنحدر

وكانت سرية الروم تقتلهم وتقتضي عليهم (٣٤) وأطلق السير انسلين صرخة عظيمة قائلا : (٥٣٨١ - ٥٤١٣) يا شباب ويارفاق هبوا نحوهم لاتدعوهم يلحقون العاربنا ، واحتشد الفرنجة واستداروا نحو الروم بالرماح والسيوف ، واندفعوا نحوهم ودفعوهم نحو قمة تل فونيمين ، ومن الصخب الكثير الذي أطلقه الروم سمعت سراياهم الزئير ، وهرعت فرقة أخرى لمساعدتهم ، وبسبب أعداد الروم الكبيرة التي هاجمت الفرنجة استولى عليهم الذعر مرة أخرى واستداروا يهبطون المنحدر إلى مسافة رمية سهم ، وأنا أحدثكم بصدق ، وهكذا سحقوا كما تسحق الصدور الغربان ، وعليه زار السير انسلين بقوة وقال لرفاقه : « ايها القادة ما هذا؟ الا تخجلون بالذرة من أننا نلعب كالاطفال ، أن هذا يبدو كما لو كنا نلعب لعبة قاعة السجن (٣٥) لنمت اليوم بدلا من العار ، هبوا معي جميعا ولنندفع نحو أعدائنا ، فخل الفرنجة من هذه الكلمات وتشجعوا جميعا واندفعوا نحو الروم وبدأو يصرعونهم بالسيوف ، وإذا رأى الروم هذا ذعروا الروم وهربوا متسلقين نحو قمة التل فوق الشعب.

وعندما سمع الأتراك الذين كانوا قادمين في السرية الثانية الزئير الذي كان الروم يطلقونه ، ركضوا بسرعة صاعدين المنحدر إلى مسرح الأحداث : وعندما رأوا أن الروم قد تملكهم الذعر هاجموهم

بنشاط وقتلوهـم وأبادوهـم ، وعندما سمعت زئير وذعر الجيش ، انطلقت سرايا الروم الأخرى التي كانت في كمين هاربة كل الى أي مكان تصل اليه .

ثم دعا السير انسلين رجاله - وكان له أخ يسمى قيصر ، كان محتجزا في سجن المدينة - (٥٤١٤ - ٥٤٣٩) وقال : ما هذا الفعل الشرير الذي أحاق بي لم (٣٦) لم يؤخذ هذا النبيل أو الاثنين من القاعة حتى يمكن مبادلتهم بأخي ، الذي هو قيصر رومانيا والذي هو محتجز في سجن المدينة في القصور القديمة؟ (٣٧)

وعليه بسماع هذا قال أحد السرجنية ويدعى بيرين كيومين ، كذا كان اسمه (٣٨) : ماذا أنال يا سيدي منك إذا دلتك عليهم ؟ فقال السير انسلين كل ما تتمنى الحصول عليه سوى حياتي ، وشرفي أو شيء ينعكس عليهما ،

وبسماع العرض الذي قدمه السير انسلين له ووعد له ، قال له هذا السرجند : « تعال معي لأريك أين هم » ، وأخذنه وذهبوا الى جرف بين الجبلين ، في جرف حيث تقف اليوم قلعة غاريكي (٣٩) يا سيدي في الأسفل هنا في الجرف يوجد الدمستق الكبير وكافالاريتس ، وإلى جانبيهما ما كرينوس من الجانب الآخر من الجرف (٤٠) ، ويحتجزهم ثمانية من الأتراك ويتكلمون معهم ويهينونهم ويؤذنونهم كثيرا ، لقد أمسكوا أجورهم وجعلوا منهم أعداء لهم ، وعندما هبط السير انسلين الى الجرف ونظر فيه عرف هؤلاء القاعة - عرفهم جيدا من الأسلحة التي كانوا يحملونها - أطلق صرخة عظيمة وقال للأتراك : وما هذا الذي تفعلونه ، يا رفاقي (٥٤٤٠ - ٥٤٧٥) واخذوتي؟ انتبهوا ولا ترتكبوا خيانة ، وأحضروهم هنا على الفور تحت حراسة مشددة .

وعندما عرفه الأتراك من الأسلحة التي كان يحملها قالوا : انه

السير انسلين الذي يدعوننا وبسرعة جردوهم من الاسلحة وقادوهم اليه واحضرهم الاترك اليه . فرقع يديه وحمد الرب ، لانه اخبر وصدق انه سيفتدي اخاه بهم ، وأمر بأن ينفخ بوقه وأخذهم وذهب بسرور كبير الى فيليغوستي حيث اعطاهم للامير الذي اعطاه هدية كبيرة وشكره بحرارة.

والآن عندما تجمع الجيش الفرنجي في فيليغوستي ، أجروا احصاء ليروا ويعرفوا أي قوات أسروا ، وبناء عليه قاموا بالعد ووجدوا الحقيقة : أن لديهم في المعتقل الدمستق الكبير وماكريذوس ، وأنهم قد أمسكوا أيضا بكافاليرتس ، واحتجزوا ٣٥٤ قائدا وسيفا ستادز ، وكان هؤلاء جميعا يحملون لقب نبيل ، ووجدوا معهم نبلاء أقل شأننا وقوات أخرى تبلغ خمسة أضعاف ، ألف واحد وثلاثين وأكثر (٤١) .

والآن أمر الامير أن ترتاح كل جيوشه في مدينة فيليغوستي ، ثم بعد أن استراحوا ذلك اليوم ، وفي الغد ، جاء الى هناك كل قادة اسكورتا ، الذين كانوا جميعا في ثورة ، وطلبوا منه الرأفة والعفو عنهم ، وعليه توسل اليه كل فرسانه أن يعفو عنهم وأن يظهر لهم الرأفة ، وعفا عنهم الامير الرجل الحكيم والسيد الطيب الدمث الهادئ الطيب المعشر في كل الامور ، وأمر بأن يقسموا له بأن يكفوا عن طرقتهم الشريرة وأن يخلصوا له ، وفي الصباح التالي أمر الامير غوليوم أن يحضر أمامه الروم مع أخيه الامبراطور وكل القادة حتى يراهم بعينه ويتكلم معهم . وعليه أحضروا له أولا الدمستق الكبير ، أخو الامبراطور الذي كان يتلهف لرؤيته والذي أصبح الآن في سجنه ، وعندما جاء نهض للقائه وحياه بلطف ، وأمسك بيده وأجلسه الى جانبه . وبعد ذلك جلس كل القادة أيضا ، ثم بدأ يتكلم وقال موجهها كلامه للدمستق أنه قد أقسم قسما للامبراطور بأنهما سيقفان معا دائما وأنهما سيحافظان على السلام وإن لا يزييفا قرابة التعميد التي بخلاها ، ولكن أخل بها وتخلي عن قسمه وشن حربا وأرسل جيوشا ، وخرب أرضه بالتهب والأعمال

الحرية ، التي ارتكب بها الامبراطور جريمة ، وعليه إن الرب المنتقم لكل شيء وقد رأى العمل الشرير الذي ارتكبه والقتل ، غضب عليه ، أنظر ما الذي حدث إن العمل الشرير للملك انعكس عليكم ، أنظر يا أخي وسيدي كم من القوات حولك ٠٠٠ ١٨ في الواقع من الفرسان والمشاة في برينزا حيث جئت بذقة في النفس عظيمة مع التأكد والتوقع أن تستولي على المورة ، وتحول الأمر حتى أن ٣٠٠ من الفرنجة من مؤيدي كسبوا المعركة وذبحوكم .

ومرة أخرى يا أخي في ماكري بلاجي ، أنظر فقط ما حل بكم مع جيوشكم ، والآن اني لا أتباهى ولا أمتدح نفسي ولكني أحمد الرب العادل على كل شيء لأنه انتقم لي كما رأيتم بأذفسكم « وبعد أن انتهى الامير غوليوم من كل مارواه وخاطب به الدمستق (٤٢) ، بدأ الدمستق الكبير بدوره يتكلم وقدم هذا الجواب للامير : « ليس لدينا أيها الأخ أمير المورة تكافؤ حتى أستطيع الكلام كما ينبغي في هذا الأمر ، لأنني وللأسف في السجن وقد وضعتني في القيود . وحتى لو قطعت رأسي (٥٥١٨ - ٥٥٥٧) هنا على الفور فإنني مع ذلك أمتنع عن الكلام والاجابة على كل ما قلته لأنه كان اتهاماً لي ، في الحقيقة إنه لا يليق برجل نبيل التفاخر عندما يعطيه الحظ النصر في المعركة ويضع في يديه وتحت سلطانه من كان يقاتله ، وكان عدواً له ، ذلك أن حظوظ الحرب شائعة بين الجميع ، وفيما قلته عن سيدي امبراطور الروم ، أنت مخطيء جداً ، لأن كل الناس تعرف ، وهذا هو الصحيح أن أرض المورة ليست لك بالارث الشرعي وأنت حصلت عليها بالقوة الاستبدادية ولكنها ملك امبراطور الروم ، وبالثورة الخاطئة جاء اسلافك واستولوا على الأرض التابعة للامبراطور وتملكتموها ، أنظر كيف أن فعلكم ونزوبكم قد جاءت بكم الى أراضي سيدي المقدس الامبراطور ، ولو أنه أراد كامبراطور فإنه كانت لديه القدرة لفعل كل ما يريد بكم في ذلك الوقت ، ولكنه رحيم ومسيحي مع كل الناس ، وبشرف حرركم من السجن ، وبناء على اتفاق أطلق سراحكم ، وأقسمتم له قسماً بأنكم لن تهاجموه أبداً هو وقواته بالأسلحة ، وجعل منكم قريباً بالتعميد حتى تقوى صداقتكم

(٤٣) ، وبعد أن تحررتكم من هناك من سجنه وجئتم هنا الى الدورية لم تتوقفوا دقيقة ، فجمعتم بسرعة جيوشكم وحملت أنت ذفسك السلاح وذهبتم الى ليكيميونيا حتى تتباهوا أمام العالم ، وأظهرتم نصرا فارغا يتبدى على نحو باهر في امارتكم ، ولم تكونوا مخلصين للامبراطور وتخطيتم القسم وفعلتم به العكس في كل ما وعدتم به ، واندفعتم للحرب بعدما تسلحتم ، وبهذه الطريقة اندفعتم لارتكاب جريمة متفاضين عن قسمكم ، ولوأ نكم تذكرتم فقط ما حدث لكم في بيرغونيا ، لن تتباهوا مطلقا ولن تقللوا من شأن الآخرين ، لأن محن الحياة والاغارة أيضا لا تأتي كلها معا ولا هي تستتبع أي تباه ، وعلى كل حال أن عفو اللحظة والأسف على سجنني قد جعلاني أقول أكثر مما يجب (٥٥٥٨ - ٥٥٩٧) أن أقول ، ولهذا هل لكم أن تعذروني أنتم والقانة الحضور »

وأجابه الأمير بحكمه بهذه الطريقة : « أنت يا أخي الدمستق قد قلت أشياء كبيرة بسبب مرارتك ، وكرجل نبيل أتحملا منك لأنك في معتقلي ، ولكن لو أن هذا حدث في مكان آخر وكنت حرا وقلت بأني حدثت بالقسم الذي أعطيته بنفسه ، لو كنت الامبراطور نفسه لقاتلتك حتى الموت ، ولكن لأنك في السجن فأني أسامحك ، إن الكل يعلم أنني لم ارتكب جريمة ، وبسبب الاكائب التي أرسلها الروم الخونة اليه من هنا ، صدق الامبراطور كلامهم ، وأرسل الجيوش وبدأ يشن الحرب ووقع في الخطيئة وليغفر له الرب الغفور ، لأنني أبلغت أن الآخرين قد خدعوه وصدق كلامهم وأرسل الجيوش الى هنا وبدأ حربنا وحدثت لنا الأضرار » .

وبعد هذا صمت الجانبان والقوا اللوم على المونمفاسين . وبعد هذه الأحداث حدد الأمير بعد التشاور في ذلك المساء السجنون التي سيوضع فيها كل واحد حسب مرتبته وأرسل الدمستق الكبير الى كلوموتس وفي رفقته كفالاريتس أيضا ، وبعث بالآخرين الى قلاعه الأخرى . وحالما أرسلهم كما أخبرتكم ، أمر باستدعاء كل قابته

وكذلك أحكم من في جيشه كله ، وتشاور معهم حول كيفية التصرف ومن أين يبدأون وأين يذهبون ، وأين يركبون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يذهب كل منهم الى بيته ليستريح برهة ، لأنهم كانوا متعبين ، ووافق الآخرون الأكثر حكمة ، والذين جرحوا على أن يذهبوا الى ليكييمونيا ، لأنها كانت مدينة ملائمة جدا لراحة الجيش ، وكانت لديهم سلع وافرة لاعاشتهم / (٤٤) وليتولوا حصار ميسترا . وإذا وجدوا مصادفة وسيلة للاستيلاء على القلعة فإنهم سيكونون بذلك قادرين على الاستيلاء على الأرض ، وعلى الفور تحدث الأمير مع السير ادسلين الذي كان قائدا عاما لكل الجيوش ومع جين دي كاتافاس (٤٥) مارشاله ، وأمرهما بأعداد الجيش ليتحركوا للنهاب الى ليكييمونيا كما كانت المشورة .

واستعدوا بلهفة وانطلقوا ، وفي الصباح التالي وصلوا الى هناك ، وعندما وصلوا وجدوا التقارير التالية : إن معظم الروم في تلك المدينة قد ذهبوا مع عائلاتهم الى قلعة ميسترا ، وعندما وجد الأمير أن المدينة خالية من القوات المحلية للقلاع ، أسف جدا وبدا له ذلك سيئا ، وعلى الفور خصص وأعطى بيوتهم لغيرهم ليعيشوا فيها وكانوا من فرجة الأرض ، رجال اخلاص وكانت له ثقة فيهم أكثر من غيرهم ، ثم أمر قواته أن تذهب لنهب المدن والضواحي الثائرة . وزود مدينة ليكييمونيا بالذؤن ، ووضع فيها قوات وأمر بأعمارها وتقويتها بكل طريقة تلزم.

واجتاحت جيوشه فاتيكاهيلوس ونهبت الأرض حتى مومفاسيا ، ثم أغارت على دراغاليس ودمرتها مع كل تساكونيا ، وعاشت فسادا في الأراض. ومونوا المدينة وازدهر الناس الذين وطنهم الأمير في المدينة ، وهكذا قرر أن يمضي الشتاء هناك . ولكن كما هي حظوظ ومصائر الرجال توقعوا شيئا وغلبيهم شيء آخر ، والخطر الذي يحل لا يعرقل ولو قليلا ، ولم يمض شهر كامل حتى جاءت التقارير الى الأمير غوليوم بأن السدكوتينو قد ثاروا وانضموا الى الروم وأقاموا حصارا على قلعة أراكولوفون ووضعوا

قواتنا من كاريثانيا بنية الاستيلاء عليها لصالح
الامبراطور ، وبسماح هذا ومعرفته به مون الأمير مدينة ليكليمونيا
بالقوات والسلع لا عاشتهم وأخذ جيوشه وذهب الى
فيلوغوستي ، واستدعى قادة كل جيشه ، وتشاوروا معا حول من
اين يجب أن يدخلوا درونفوس سكورتا ، (٤٦)
٥٦٤٢ - ٥٦٨٠) لان الأرض كانت وعرة مع جبال وممرات ومع
شعاب قاسية جدا ، واستدعى الأمير الجندي الداهية ، السير
انسليين وتحديث معه بفكر نزيه قائلا : إنك أيها الأخ والرفيق قد
فعلت الكثير من أجلي ، وبالمشورة والحكمة التي حصلت عليها
منكم ، حققت انجازات عظيمة ومآثر عسكرية ألفت منها كما يعرف
الجميع في الحرب التي كانت بيننا وبين الملك ، ولهذا السبب ، يا
أخي وصنيقي وقريبي أتوسل اليك مرة أخرى وأصلي كي تفعل هذا
لي بسبب الانى والا ساءة التي ارتكبت ضدي من قبل ابن أختي
أمير كارتيانا الخائن الكبير الذي تخلى عن أرضه وعني أنا خاله
ومني أخذ ملكيته وذهب يستعرضن نفسه في مملكة ابوليا ،
(٤٧) وأيضا بسبب الشر وخيانة الاسكو ريتنو الغادرين ، أولئك
الخونة الذين خاذوني أكثر من مرتين الآن ، وجهوا الاتراك الذين
أصبحوا معنا مجددا ليخلوا درونفوس في سكورتا ويدمروا ويحرقوا
البيوت والقرى وليزجحوا على الفور أي رجل يأسرونه ويستبقون
لأنفسهم كل ما يحوزونه منهم .»

وعليه لاحظ السير انسليين كرجل حكيم أن الأمير كان مكتئبا
وقال ووعده بأنه سينفذ ما أمر فأجابه بلطف : « لا تفضب أيها
الأمير ، وسأفعل ما تريد وما يرضيك ، ودعا القادة : ملك
أولا ، وروى له بالتفصيل أمر الأمير ، وأنه أمرهم بأن يدخلوا
درونفوس اسكورتا وأن أي غنيمة أو أسلاب يفتحونها هو وأتراكه
هي لهم يحتفظوا بها ملكا لهم ، وعندما سمع ملك هذا ، ابتهج
وأعطاه الجواب وهو أنه سيفعل ذلك بشوق ، وابتهج الجميع
الصغير والكبير . ووزعهم الى ثلاث سرايا ، وأعطاه انسليين
مرشدين محليين (٥٦٨١ - ٥٧٢٧) وغزا الاتراك سكورتا

وهيمنوا وأحرقوا ودمروا الأرض والمدن ، وكل من أسروه مع سلاحه قوضوا عليه ، وكل من فر على أقدامه رحموه وأحضروه الى الأمير وسلموه له ، وعندما رأى قادة سكوتا هذا هربوا الى الجبال والقمم العالية ، وتشاوروا معا حول كيفية التقدم ، وأرسلوا رسولا الى الأمير وطلبوا منه الرأفة ، وانكروا أنهم ثاروا ، وكان كل ما فعلوه بسبب مختلف ، وتشاوروا معا حول ما يجب فعله حول الحرب مع الروم ومع الامبراطور ، لان اميرهم ، أمير كارتانيا كان غائبا.

وعندما سمع الأمير هذا لم يستقبلهم وتوسل الرجال العظام وكل القادة الذين تعاطفوا مع أمير كارتانيا وصادقوه وهم راكعون اليه ورجوه أن يعفو عن القوات طالما أنهم يطلبون الرحمة ، وفعل الأمير ذلك وهو الرجل الداهية بسرور ، وأرسل على الفور رسولا الى ملك ليوقف غارته وأن يمثل أمامه ، وعندما سمع هذا ذهب الى فيليفيوستي وحيا الأمير ، الذي استقبله جيدا . ثم صرف الأمير قواته ومضى كل منهم الى راحتهم ونهب الى الدورية (٤٨) مع حاشيته ، ورحل معه كل من كان من الدورية وأيضا نهب معه الأتراك وعندما وصلوا الى هناك طلبوا من الأمير تسريحهم طبقا للاتفاق الذي أبرموه عندما جاءوا للمرة الأولى الى أندرافيدا وبدأ رحيلهم له محزنا جدا وأمر بأن يوفوا أجورهم كاملة وأعطى ملك هدايا وأحسن اكرامه ، وسأله أن يبقى معه ستة أشهر أخرى فقط ثم يترك ، فأجابه الآخر وهو يقول له يقول له في توضع : « ياسيدي ومليكي ، أرجوا أن تكون خدمتي قد حققت الفائدة والكسب لك ، عندما أبرمت الاتفاق مع عدو الرب الدمستق وهناك في المدينة وعدت أن أخدمه عاما واحدا والآن مضى عامان وأنا بعيد عن أراضي ، وكل من معي وهم رفاقي ، لن يسمحوا لي بالبقاء هنا في هذه الأرض ، وأتوسل اليك ياسيدي أن لا (٥٧٢٨ - ٥٧٥٨) تضغط علي لأن علي قسما أن أعود الى املاكي » .

وبرؤية هذا لم يزد الأمير في الضغط عليه ، وأعطاه الهدايا وعطايا الصداقة وأعانه مع المرشدين ونهب إلى الاشيا ، وفي الحقيقة حدث أن بقي بعضهم عن رغبة في المورة ، وأمر الأمير أن يعهد الجميع وجعل من اثنين منهم فرسانا وأعطاهم الاقطاعات بل أنه حتى زوجهما وأنجبا اطفالا مازالوا في المورة ، في فوناري ورننا . (٤٩)

وعند هذه النقطة سأتحول عما كنت أخبركم به ، وسأخبركم عن هذا الجندي ، أمير كاريتانيا وماذا كان يفعل وأين كان خلال فترة حرب الأمير ، ولم يكن في المورة خلال الحرب مع الروم في الوقت الذي أتحدث عنه فاستمعوا لما أقول : ! خلال الحرب التي كانت بين الأمير غوليوم والامبراطور مع أخيه ، وقع أمير كاريتانيا (الذي كان يعد أحد الفرسان القادة في النيا وكان جنديا شهيرا في كل المملكة) بالخطايا الشيطانية وحبه لامرأة - التي حلت بكثير الدهاء الآخرين والجنود - لقد وقع في حب زوجة واحد من فرسانه ، السيرجين كانافاس . وهكذا كان اسمه ، وأخذها من المورة ونهبوا إلى أبوليا ، قائلين أنهما سيحجان إلى الأبيرة وإلى كنيسة القديس نيكولاس في باري ، وأنهما سيذهبان إلى روما وأيضا إلى كنيسة رئيس الملائكة العليا والبير العظيم الذي على قمة الجبل قرب مازفريينا (٥٠) ، وفي ذلك الوقت (٥٧٥٩ - ٥٧٩٦) كان الملك مازفرد ملكا في أبوليا وأميرا لصلقية وكل المملكة (٥١) ، وعندما علموا من أناس معينين جاءوا وأخبروه بأن أمير كاريتانيا قد جاء إلى أبوليا وهو ذلك الرجل الشهير بالسلاح في كل رومانيا ، وقد دهش جدا واستعلم ليعرف هدفه وقصده وما الذي كان يريد هناك ، وأخبره بعض من سمع بهذا من حاشيته بأنه جاء للحج إلى الأبيرة المقدسة التي كانت في مملكته ، وليذهب إلى روما ، وتكلم شخص آخر ، وكان رجلا داهية ، (وكان خبيرا وسأل قريبا معينا له ممن كانوا في حاشيته أمير كاريتانيا ، الذي أخبره بالسبب والهدف الحقيقيين) مع الملك سرا وأخبره بالسبب والهدف الحقيقيين وبكل الحقيقة ، أن أمير كاريتانيا الجندي الشهير قد وقع

في حب زوجة أحد فرسانه وأحضرها من المورة وجاء هنا الى أبوليا
(لأجل) أن تكون عشيقة له وليستمتع معها .

وبسماع هذا ، اضطرب الملك مانفرد جدا وأسف للعار الذي حاق
بالجندي النبيل ، وأرسل فارسا مع مرافقة جيبة ، الى
السيرجيو فري ، أمير كاريتانيا ، وتكلم معه نيابة عن الملك وطلب
منه ان يذهب الى هناك لرؤيته ، لأنه كان بحاجة لأن يتكلم
معه ، وبسماع هذا قفز الى حصانه وذهب مع كل حاشيته الى
الملك ،

ونفض الملك مانفرد عند رؤيته لتحيته وأخذ بيده وأجلسه بجانبه
وبدا يسأله لماذا جاء الى هناك ، وأجاب الآخر ، أنه قد جاء ليحج
الى الالبيرة التي ندر بزيارتها في ذلك الوقت في المدينة ، وهو في
سجن الامبراطور في مدينة قسطنطين .

وأجابه الملك قائلا : « أني مندهش بشعوركم الطيب وبالثناء
عليك ، ومن أذك كجندي شهير بالسلاح ، تخلت عن أميرك السيد
غوليوام أثناء مثل هذه (٥٧٩٧ - ٥٨٤٤) الحرب العنيفة
والحاجة الى الجيش ، والتي كان يتابعها مع امبراطور
القسطنطينية .

ان النبيل يجب أن لا يكون كذابا ، ولا يحسن هذا بجندي مشهور
مثلك ، وكل رجل نبيل يزعجه هذا ويحزن عندما يسمع بأنه مخطيء
يا أمير كاريتانيا أريدك أن تعلم أنني أعرف الحقيقة والسبب والهدف
من مجيئك وهذا يحزنني بحق الرب ، بسبب شهرتك ، ان الأمر
بشع وأنا أكره أن أتحدث فيه ، ومع ذلك فأني حبا لك سوف
أشجبه ، حتى تفهم بوضوح الخطأ الذي فعلته ، لقد تخلت عن
الأمير ، السيد الذي تتبعه ، والذي يتحمل عبه حرب عنيفة مع
الامبراطور وحدثت بقتلك بأن تكون مخلصا ، والذي أقسمته من
قبل ، علاوة على شيء قبيح آخر وخيانة عظيمة ، اذ أنك أخذت

زوجة الفارس التابع لك وأنت تهيم معها ، في حين أن هناك قسم بينك وبينه ، وعليه وحيث أن الشاء عليك مشهور فإني أعطيك مهلة طويلة ، خمسة عشر يوما لتخرج من أرضي وأن تذهب إلى المورة لتساعد سيدك الأمير في الحرب التي يشنها على امبراطور الروم ، فإذا وجدت في أرضي بعد مرور الأسبوعين فإني أقسم لك بتاجي وبذفسي بأني سأمر بقطع رأسك على الفور »

وعندما سمع السيرجيوفري أمير كاريتانيا أن الملك قد كشفه بذفسه وأخبره بالجريمة وبالخطأ الذي ارتكبه ، ومن الخجل والشعور بالعار اللذان أحس بهما أمام الملك ، تلعثم في قوله ولم يجد مايقوله ، ولكنه أجاب الملك بأفضل ما استطاع : « سيدي الملك ، أتوسل إليك وأقع بين يديك أنك في كل ماقلت لي كنت تتكلم كالرب لأنني أعرف بذفسي الجريمة التي ارتكبتها ، وأني أبجل جلالتكم وأشكرها على هذا ، وعليه فإني سأرحل وأنطلق من هنا وسأذهب إلى سيدي الأمير غوليوم » .

وطلب الأذن بالرحيل فأذن له الملك ، وعاد إلى معسكره وأخذ حاشيته ورحل مسرعا من هناك ، ووصل إلى برنديزي خلال ستة أيام ، حيث وجد سفينة مستعدة فصعد إلى ظهرها ووصل إلى كلارنتزا خلال ثلاثة أيام وسأل أين يمكن أن يجد الأمير وأخبره به من يعرف (٥٨٤٥ - ٥٨٩٠) أن الأمير غوليوم كان في أندرافيدا ، وكان يعقد اجتماعا عالي المستوى ، يحضره كل القادة والأساقفة والنواب والفرسان وكانوا يتشاورون معا حول الرسائل التي تلقوها ، وكانت الرسائل التي أحضرت ليست جيدة جدا (٥٧) فقد نزلت قوة كبيرة من الجيش في مونفماسيا وكان الامبراطور قد أرسلها لتعزيز قواته الأرضية التي أحاق بها الخطر .

وعندما سمع أمير كاريتانيا ما أخبركم به ، وأن الأمير كان في اندرافيدا مع كل قواته وفرسانه ابتهج كثيرا على هذا

الأمل ، ولأنهم كانوا يحبونه فانهم سيضعون جميعا ضفتهم على أمير أخيا ليعفو عنه ، وأعاره أصدقائه هناك جيادا ، فركب بسرعة وذهب الى أندرافيدا ، واستقبله الجميع بسرور عظيم ، وطلب منهم جميعا كأخوة وأصدقاء قائلا : « لنرى الآن من منكم يا أقاربي وأصدقائي وأخواني يحبني حقا ، فلتساعدوني في الجريمة التي ارتكبتها ، لأنكم تعرفون جيدا أنني أخطأت خطأ خطيرا في حق سيدي الأمير غوليوم ».

ووعده الجميع الصغير والكبير بمساعدته بكل قوتهم ، وأخذوه وذهبوا رأسا الى الأمير غوليوم وكان الأمير غاضبا منه وأبدى له سخطا عميقا ، وكان له حق كبير ، لأن أمله كان فيه وكانت له أيضا ثقة في أن يحصل منه على مساعدة في كل ما يحتاج اليه ، وقد تخلى عنه في وسط الجريمة التي ارتكبتها ، فخلع نطاقه ووضع حول عنقه ، وسقط بسرعة فوق البلاط طالبا الرحمة وقال للأمير في وجود الجميع : « إني ياسيدي قد ارتكبت جريمة وجئت لكي تحاكموني » ، وقال له هذه الكلمات وهو جاث على ركبتيه ، وخر الأساقفة وكل القادة والفرسان والآخرين بسرعة على ركبهم معه ، وهم يقولون للأمير في توسل : باسم المسيح أعف عن سيدنا ، وإذا سقط في جرم مرة أخرى أقطع رأسه إنك تعرف يا سيدنا أننا في الحرب التي (٥٨٩١ - ٥٩٢١) نشنها نحتاج الى الآخرين ليساعدونا ، وأجابهم الأمير الحصيف والرحيم كما كان دائما قائلا : « أيها النبلاء اعرفوا هذا وافهموه جيدا ، ان أمير كاريتانيا هو ابن أختي وتابع لي وفي المقام الأول ، كلما أخطأ ، كلما كان حزني أكبر كثيرا لذلك ، ولنسامحه هذه المرة أيضا ، » وانحنى الجميع أمامه وشكروه ، وأعاد له أرضه وقلعه ثم تكلم الأمير في حضور قواته :

« أيها القادة تعرفون جميعا الجريمة التي ارتكبتها أثناء تجواله مع الأمير العظيم لقد حارب بالسلاح ضدي في الميدان ، وقد عفوت عنه كما تعرفون جميعا ، وأعدت له أرضه وأعطيته له كمحنة جديدة

- ٤٨٧٢ -

أبدية له ولأطفاله ، لأنه جرد نفسه بجريمته ، وأريده الآن أن يملكها الآن فصاعدا بالطريقة نفسها (٥٣) وطالما أنه قد عفي عنه ، فإن أمير كاريتانيا جلس في المجلس مع القادة ، والأمير الذي كلمتكم عنه وكل الفرسان وطلب الأمير منهم النصيحة حول قوات الملك التي علم بقدمها « حيث أنها مشيئة الرب والتوتوكوس المقدس وأن أمير كاريتانيا قد عاد إلينا ، أعطوه الجيوش والقوات حتى يمضي إلى نيكلي ليتخذ موقعا للقتال هناك وليدافع عن الأرض، وفيما بعد وعندما تدعو الحاجة سوف نساعده جميعا (٥٩٢٢ - ٥٩٦١)

عند هذه النقطة ، اتخلى عن الكلام والرواية حول الأمير غوليوم وقواته وسأخبركم لأعرفكم كيف أن أخا ملك فرنسا الذي كان يدعى السيد شارل ، أمير بروفانس جاء (توجه البابا في الحقيقة ملكا لصقلية) وكيف تصاهر ودخل في اتفاقية مع أمير المورة ، غوليوم ، واتخذ ابن الملك زوجة شرعية له ابنة الأمير ، السيدة ايزابو ، مع معاهدات واتفاقيات أبرماها مع بعضهما بعضا والنتيجة أن ابن الملك يرث الامارة ويأخذ الأمير أرضه من الملك .

وفي الوقت الذي اتحدث عنه رزق الكونت الذي كان يدعى كونت دي انجو أمير بروفانس (٥٤) من زوجته الكونتيسة ثلاث بنات جميلات تزوجت الكبرى (وهي الوريثة) الأخ الأصغر لملك فرنسا ، وكان يدعى السيد شارل الجندي الشهير ، الذي ورث مع زوجته مقاطعة الكونت دي انجو وكل ممتلكاته ، والآن أخذ ملك فرنسا الأخت الثانية ابنه الكونت زوجة شرعية ، وبعد ذلك بوقت قصير أخذ ملك انكلترا الأخت الثالثة للثنتين اللتين ذكرتهما لكم كزوجة ، وجعل منها ملكة متوجة ، وبعد أن زوج كونت بروفانس بناته الثلاثة كما أخبرتكم ، بوقت قصير ، توفي الكونت وبقي في أرضه أميراً وارثاً السير شارل أخو ملك فرنسا لأنه تزوج كبرى الأخوات الثلاثة .

وفي تلك الوقت وفي تلك السنوات حكم الامبراطور فريديريك امبراطور المانيا مملكة صقلية والى جانبها املاك ابوليا ، وأظهر العنف للبابا وأخذ منه كامبانيا اضافة الى رومانيا والسيادة على روما ونفي البابا الذي غادر روما (٥٩٦٢ - ٥٩٩٧) وهرب الى البندقية لئلا يقتله ، ومن هناك حرمة البابا والكنائس وكذلك حرموا اراضيهم وأتباعه ، ولم تعد التراتيل تذمر ولا يحتفل بالقداس ولا يعمد الأطفال وكذلك لم تعد تتلى الصلوات على الموتى ولا يزوج الناس ، وحرم الى الأبد في كل الكنائس في كل الممالك في كل العالم النصراني ، وفي الأديرة ومن قبل الأساقفة في العالم كله (٥٥) .

وكان للامبراطور فريديريك ابن نكي ، ويدعى مانفرد ، أمير سالرنو وكان له السيادة على كابوا وكل ماضمنها (٥٦) وتوفي الامبراطور فريديريك وتوج الملك مانفرد ملكا على صقلية وأصبح حاكما على ماكان والده يملكه ، وملك هو أيضا الأراضي والسلطة (٥٧) وكان طاغية دنس الكنيسة ، وعندما مر بعض الوقت كما اعتقد دعمت قضية البابا وعاد الى روما ، والآن عرف وفهم أن السيرشارل (كان يدعى الكونت دي انجو ، أمير برومانس ، وكان أخا لملك فرنسا) كان جنديا مهيبا شهيرا في كل الدنيا ، وبالتشاور مع الأساقفة والكرادلة أرسل له رسالة ومثلها الى أخيه مع المباركة والتوسل والوعود الكبيرة بأنه اذا ذهب نيابة عنه ليحارب ضد الملك مانفرد (ذلك الطاغية الذي ملك الأراضي وممتلكات الكنيسة) وليخوض معه قتالا ويدمره ، ويستولي على أموال القديس بطرس كلها ويضعها تحت تصرفه لاستئجار الجيوش ، فان كل من يعتقدون بالمسيح وكل من عمدوا سوف يحملون شارة الصليب ويمضون معه وسوف يسلم له صولجان الكنيسة له ولأولاده بالوراثة، وسوف يحيي الملك وسيوضع التاج على رأسه ، وسيكون ملكا على (٥٩٩٨ - ٦٠٢٤) صقلية ومملكة أبوليا (٥٨)

وعندما سمع السير شارل كونت بروفانس الشجاع ماوعده به

البابا بالغ التقديس وكتب له ، ولم يكن بأي حال ليقبل بأن يتولى هذه المهمة ، قائلا ومسوغا بأنه اذا تولاهما فانه سيضطرب ملك فرنسا وهو أخوه الى التنازع والدخول في حرب كبيرة مع الألمان وأيضا مع الفيليبين (٥٩) وسيتحمل خطيئة المذابح التي ستحدث في الحرب وابداء الشعب المسيحي ، وعند هذه النقطة حدث هذا الأمر الذي أسجله لكم الآن (٦٠) وأراد ملك فرنسا أن يقيم احتفالا واستقبالا رائعا لأقربائه ، وأبلغ ابن حميه ملك انكلترا ، وكتب له حوله بطريقة ودية وسأله أن يحضر هو والملكة أخته ليجتمعا معا في باريس لحضور هذا الاحتفال ، وقبل بمحبة خالصة وبدا له أجمل مايمكن ، أن يلتقوا ويمرحوا ، وعليه صحب الملكة مع حاشية جيدة وذهبوا الى باريس وحظيت الملكتان بسرور عظيم باجتماعهما معا ، وفي أحد الأيام وكان يوم أحد ، كانوا ينظمون احتفالا عظيما والتقت الأختان الملكتان معا الثانية ملكة فرنسا والثالثة ملكة (٦٠٢٥ - ٦٠٨٦) انكلترا (٦١) وبينما كن يجلسن في غرفة نوم الملك وصلت الأخت الأولى أيضا كونتيسة بروفانس التي كانت تحتفظ بأمالك أبيها واذ علمتا أنها قادمة نهضتا لتحيتها ، وهكذا معا كما هي طريقة النساء وحالما جلسن معا قالت ملكة فرنسا وكانت الوسطى للأخت الأولى وهي الكونتيسة : « انه ليس مناسبا لك ايها الأخت الطيبة أن تجلسي معنا كما لو كنت مثلنا حيث أننا نحن الاثنين ملكتين ، أي أننا من فئة متميزة ومنزلة مختلفة عنك » وعندما سمعت الكونتيسة النبيلة هذا ، نهضت من الخجل والحرارة وتركتهما على الفور وذهبت الى بيتها ودخلت غرفتها في فيض من الدموع ، وفيما بعد ظهر كونت بروفانس وسأل من الخارج أين كانت الكونتيسة ، وأجابه أحدهم وقال له « سيدي انها هناك في غرفتها وأعتقد أنها نائمة » فدخل الكونت عليها بهدوء وعندما أدركت السيدة النبيلة أن الكونت قادم مسحت عينيها بمنديلها (٦٢) وعرف الكونت بأن عيني الكونتيسة كانتا منتفختان من كثرة الدموع فقال لها في غضب ما الذي يبكيك ياكونتيسة ؟ وأرابت أن تنكر السبب ولاتبديه فأقسم على الفور

قسما رهيبا ، وقال « ان لم تخبريني بصديق على الفور لماذا تبكين
فإنني سأضربك حتى أجعلك تبكين حقا » .

وفي خوفها أخبرته بالحقيقة ، وهي أنها ذهبت لتري أختيها
وجالست معهما للحديث : « ولأنني جلست معهما كما لو كنا من
المنزلة نفسها ، ولم أبد لهما فرقا لأنهما كانتا ملكتين ، بدأت أختي
ملكة فرنسا في الكلام معي وقالت لي : « ليس صوابا يا أختي
الطيبة أن تجلسي معنا كند من المنزلة نفسها أو الجدارة عينها ونحن
نوات جلالة وجدارة أكثر من كونتييسة أو بوقة أو أي سيدة
أخرى » . وأنا بسماعي هذا حزنت على الفور بصورة موجعة حتى
أنني من شدة حزني تركت المكان وجئت هنا إلى غرفتي وبكيت
كثيرا » . (٦٠٦٩ - ٦١١٦)

وعندما سمع الكونت هذا نذر نذرا رهيبا ، وقال لزوجته
الكونتييسة : أقول لك هذا بالمسيح وأمه ، إنني لن أستريح مطلقا ولن
أرضى حتى تصبحي ملكة متوجة » .

وغادر على الفور وذهب إلى الملك ، أخيه ، ملك فرنسا وكان
هناك يتحادث مع ابن حميه ، ملك انكلترا ، وانتحى جانبا وبدأ
يتكلم معه : سيدي وأخي الملك ، يجب أن تعلم جيدا أن أبانا
المقدس ، بابا روما قد أرسل لي بركات مرار عديدة جدا مع الطلب
أن أذهب إلى روما وأنني إذا أمسكت بالملك مانفرد في الحرب وقاتلته
في الميدان بالسلاح فإنه سيتوجني ملكا على صقلية ويعطيني
الصولجان ، وسأكون حامي كنيسة روما . ولم أرغب مطلقا في تولي
هذه المهمة ، والله يعلم ، بسببك أنت ، لئلا أدفع بك إلى الحرب
والمقاعب ، والقتال مع ملك ألمانيا وحزبه ، أي مع كل الفيبيليين
حسنًا يا سيدي ان العزم على فعل هذا قد جاءني لتوه ، لهذا
أرجوك ، وانحنى أمامك كسيد وأخ لي ، أن أحصل أولا على أمر من
جلالتك ، ثم المساعدة ، بالمال والجيوش ، حتى أمضي بشرف يوائم
شرفك .

- ٤٨٧٦ -

وعندما سمع الملك هذا وافق بحرارة وقال لأخيه : « أقدم شكري للملك الذي خلق الكون لأنه أعطاك الرغبة لفعل ذلك لأنه أمر مشرف وتحرير للعالم ، وفي هذا الشأن فاني أجعل شاهدا مجد الرب الذي تمنيت أن يوحى لك بهذا الأمر بارادته وتقولى تلك المهمة . ولكني مرة أخرى خشيت أن يتصايف أن تعتقد بأنني أريدك أن تبتعد عن صحبتي ، حسنا وحيث أن الرب قد أعطاك الإرادة وأنت تريد بقرار منك أن تقوم بها ، فخذ من مالنا وأيضا من قواتنا واستأجر جيوشا جيدة لتكون من ورائك ، وليكن الرب وبركات أبينا بالغ القدسية وبركاتي أيضا أنا أخوك عونا لك أينما ذهبت ، لأن أمني بالرب وفي البابوية المقدسة ، وفي الحكمة وفي الشجاعة والمهارة الحربية التي لديك بأنك ستقوم بفعل لشرف الكنيسة أولا ولي ثانيا ، ولك ولكل أقاربنا » (٦١١٧ - ٦١٥٩)

والآن شكر الكونت الحكيم البارع الملك كسيد له وأخ ، ثم استعد ، وأخذ مالا واستأجر جيوشا كثيرة من الرجال ذوي الخبرة من الفرسان والمشاة من الجنود الشجعان كلهم ، وودع الملك وذهب الى بروفانس وجهاز سفنه وصعد اليها ووصل الى روما خلال شهر (٦٣) .

ويقع البحر على مسافة اثني عشر ميلا من روما ، وبعد أن نزل ونزلت قواته الى البر أمر بأن تحمل الخيول والجياد والدروع ومواد الطعام والمؤن على عربات الشحن وبغال الحمل ثم انطلق ذاهبا رأسا الى روما (٦٤) .

وعندما سمع البابا بالغ القدسية بأن السير شارل كونت بروفانس كان قادما بجيوش هائلة ، من زهرة فرنسا ، رفع يديه وحمد الرب ، والقديس بطرس وبولص اللذان قويا من عزيمته ليذهب لعون الكنيسة بالغة القدسية ضد الطغاة ، ولأنه قد ابلغ لتدوه (٦٥) وكان رجاؤه في الرب ان يهتفي الطغاة واعداء الكنيسة ، وبأنه سيبقى على عرش روما. ركب البابا بناء عليه من السعادة التي شعر بها

بي
الكونت ، ولكي يشجعه بالشكل المناسب هو بنفسه خارجا مع الكرادلة ومع نبلاء روما ، ومضى لاستقبال كونت بروفانس ، (٦٦) وقدم له تشريفا عظيما في هذا الاستقبال .

وبعد أن وصلوا الى روما نزل كل منهم في منطقة تمركزه ، وحالما أسكنوا كما أخبرتكم أرسل البابا خمسة كرادلة ، وأربعة مطارنة ، واثنى عشر أسقفا الى الكونت ، أرسلهم ليطلبوا منه أن يأتي لمقابلته والتحدث معه وعليه فقد صحبوه بتشريف كبير ، والآن نهض البابا بالغ التقديس لتحيته ، وأخذ بيده وأجلسه بجانبه .

مرحبا بالرجل النبيل ، ذو الدم الفرنسي حامى المسيحيين ، ابن الكنيسة .»

وبدا يسأله عن الرسائل من أخيه الملك ، ملك فرنسا كما أخبرتكم (٦١٦٠ - ٦٢٠١) وبعد أن تلا عليه رسائل الملك شكره واثنى عليه آلاف المرات لأنه جاء وأجهد نفسه لحاجة الكنيسة وهو أمر يشكل نبعا للفخار والكسب له والراحة للمسيحيين ولكل الكنيسة ، وبعد أن تحدثا وقال كل ما يريدان ، عاد الكونت الى مقر اقامته ، ثم أمر البابا بالغ التقديس باستدعاء الجميع كبيرهم وصغيرهم ، وعقد اجتماعا رهيبا ومجلسا أعلى للبلاط ودعا كل من جاء وقتها مع الكونت وكذلك نبلاء روما ، وأقام البابا قداسا احتفاليا في كنيسة القديس بطرس ، وبعد تلاوة القداس وخروجه من المذبح المقدس ، توج البابا بنفسه السير شارل ملكا على صقلية بتاجه المذهب ، وحياء كل الحضور صفارا وكبارا (٦٧) .

وبعد أن توج كونت دي أنجو ملكا على صقلية ، لم يرد بأي طريقة أن يضيع وقته ، وذهب الى البابا وقال له : « سيدي الأب المقدس ، اني لم أت الى هنا لأجلس كامرأة ، والآن وقد توليت أمر الحرب مع الملك مانفرد والفيبليلين ، وهم أعداء الكنيسة ومجرمون فيها ، فاني

لا أريد لنفسي ، ولا أقدر بنفسي على محاربة الطفافة . وأعداء كل الكنيسة ، ولكن حيث أنك تجلس على عرش روما ، وجعلت مني مدافعا عن الكنيسة ، فمر وابعث الى كل مكان والى كل الممالك بأن على كل من يؤمن بالمسيح ويخضع لامرتك ، ان يساعدوك بجيوشهم كي تحارب أولئك الذين يعادون الكنيسة . وعندما سمع بابا روما المقدس ذلك الذي قاله الملك بدا مغريا له . وأمر على الفور بكتابة الرسائل وارسلال الرسائل الى الممالك وأيضا الى كل ايطاليا (يحملون) المباركة والدعوة كي يأتوا لعونه وليطردوا من مقاطعات وأراضي الكنيسة الطفافة العاقين الذين يذسونها ، وجاءت جيوش هائلة من كل الممالك وجاء الى ايطاليا كل الفويلف (٦٢٠٢ - ٦٢٤٠) .

وبعد أن تجمعوا جميعا في روما ، قسم الملك سرية كل رجل وأمرهم بأن يخرجوا من مدينة روما وتسليح هو بما هو مناسب له كملك ، ومضى الى البابا وسأله مباركته وهو راكع على ركبتيه ، وباركه البابا وصلب فوقه ، وأمر بأن توضع طبعة الصليب المقدس على الجانب الأيسر من صدره حتى تبقى معه ، وبارك جيوشه أيضا صغيرهم وكبيرهم ، وصلى من أجلهم جميعا وقال : كل من يموت بالسيف في هذه الحملة سينال عفو المسيح والبابا أيضا عن كل الخطايا التي ارتكبها أيا كانت في حياته تماما كما لو أنهم ماتوا في أرض الشام لانتزاع قبر المسيح من أيدي غير المسيحيين ، عرق البرابرة . وبعد أن تلقى الأمير البركة من البابا - كما أعطاها لكل الجيوش - انطلقوا رأسا الى أبوليا .

وعندما سمع الملك مانفرد التقارير بأن الملك شارل بنفسه كان قادما لحربه أرسل في طلب جيوش من ألمانيا ، وجاءته منها جيوش جيدة كثيرة ، وكلها من الرجال الشجعان ، ومثل هذا جاءته من لومبارديا ومن توسكانيا أيضا ، فمن هناك جاء الذين كانوا من حزبه ، وجاء كل الغيبلين من صقلية وكذلك رجال كالابريا ، وهكذا جمع جيوشا كثيرة جدا فاقت الحصر .

واتخذ لنفسه موقعا في بينفنتو وانتظر الملك ، وبقي في انتظاره حتى وهمل .

وتحاربوا هناك بكل جيوشهما ، وحدث أن مشيئة الرب قضت بأن يعطي لصاحب الحق الحظ الحسن وينيله النصر ، كسب الملك شارل المعركة (٦٨) وقتل الملك مانفرد وخسر المعركة ، وكل من بقي معه ، أعني قواته ، قدم الطاعة للملك شارل العظيم ، وهكذا تركوه في راحة وسلام ، ملكا وسيدا له مملكة ومملكة أبوليا . (٦٢٤١ - ٦٢٦٥)

وعند هذه النقطة سأتوقف عما كنت أرويه ، وسأعود مرة أخرى للأمير غوليوم ، لأقص وأروي الأعمال التي قام بها ، وهنا سأبدأ بالكلام وأخبركم عن أمير المورة ، غوليوم وماذا فعل وكيف تصرف في ذلك الوقت عندما عاد النبيل سيد كاريثانيا من مملكة صقلية هناك في أبوليا . وكما أخبرتكم أعلاه في كتابي ، عفا عنه الأمير غوليوم بنفسه ، (٦٩) وأعاد له أرضه ، التي كان قد ملكه أياها بمثل تلك الطريقة والاتفاقية التي رسمها ، وكان له أن يورثها فقط لابنه ، تماما كما أعادها له من قبل في نيكلي ، عندما كان الأمير يقاتل مع الأمير العظيم ، وكما هي العادة في الأعمال الحربية أينما كانت ، يتم كسب بعض المعارك ، وبعضها الآخر يجلب الكوارث ، وهي حقيقة تجلب لي متاعب عظيمة لو أنني كتبتها كلها لكم في هذا الكتاب .

لكن كي أجعل الأمر أخف بالنسبة لي وأنا الذي أكتبها لكم وأنتم تسمعون وتقرأون ، بذلت جهودا عظيمة لانتقاء الأفضل وكتبت وتلوت الأعمال والمهام التي كانت مثمرة .

وعليه سأبدأ من هذه النقطة ، فاستمعوا فقد تتعلموا ! (٧٠) عندما سمع الأمير وعرف أنه في ذلك الوقت ، هزم الملك شارل الملك (٦٢٦٦ - ٦٢٦٨) مانفرد في المعركة وقطع رأسه واستولى

على السلطة في كل مملكته كان سعيدا جدا (٦٢٦٩ - ٦٣٠٠)
وأقر له هذا الاسم لأن العرق الفرنجي الذي ينتمي اليه هو أيضا قد
اقترب أكثر من المورة والى أرضه ، وكنتيجة تروى في فكره كثيرا
وتكلم محلا بهذه الطريقة التي اذكرها هنا . وحيث أن امبراطور
مدينة قسطنطين

قد تجذر في المورة وكانت سياسته تنتشر ، فإنه لن يتمكن مطلقا من
طرده من الأرض وحده ، بنفسه ، وبالقوات التي لديه ، إن لم
يحصل على القوة من دولة ما أخرى ، وحيث أن الرب قد أمر
وأصبحت دولة الملك شارل قريبة الى أبوليا . (ان الرب لم يمنحه
ابنا يكون وريثا له ليتركه سيدا على الأرض ، عندما يأتيه الموت في
ساعة منيته ، كان لديه فقط أطفال اناث كورثة) . ولئن استطاع أن
يعقد مصاهرة مع ذلك الملك القوي شارل ، بحيث يأخذ الملك شارل
كما أخبركم ابنة الأمير غوليوم كنة له (٧١) وستوفر له القوة
والجيوش الشجاعة ليطرده الامبراطور من الامارة .

وبعد أن تأمل الأمير جيدا في نفسه ، أمر بدعوة كل القادة ،
وأولئك الأكثر حكمة والأوائل بين مستشاريه . وتحدث اليهم
وأخبرهم بما اعتزم عليه . وحالا سمعوه ، تناقشوا معا ، وبينوا له
واقترحوا طرقا كثيرة ووسائل يمكنه بها تحقيق هذا الشيء
وانجازه ، لأنه كان نبيلًا وقويا فوق الطبيعي ، في حين أن الأمير
كان فقيرا في الوسائل فقد لا يقبل بها وربما لن يعبأ
بها (٦٣٠١ - ٦٣٤٥) وعند هذه النقطة ، تكلم الأحكم من بين
الموجودين في مجلس الأمير في ذلك الوقت ، والذي كان يدعى
نيكولاس دي سانت أومر وكان أمير طيبة ، وكانت له معرفة واسعة
وتكلم مع الأمير معطيا إياه هذه المشورة : « اذا شئت ياسيدي
تحقق ذلك أنا اتعهد بالقيام بذلك بنفسي إذا أخنت بنصيحتي واتدبر
الأمر بشكل قانوني مع الملك شارل ، وصحيح كما يعرف الناس
جميعا أن أميرنا أبوك مع أهلينا هم الذين غزوا المورة ، التي تدعى
الامارة ، وربحوا بالسيف كل ما نملك من اقطاعات ، وأبوك وسيدك

لم يأخذ أرض المورة من أحد ، وقد حصل على السيادة من الرب وهذه وبالسيف . وحالما توفي أبوه وأميره ، فإن أميرك وأخاك السير جيوفري أصبح سيدا وتزوج ابنة الامبراطور روبرت ، وكان قد أرسلها الى ملك أراغون زوجة له ، وعليه فقد تزوجها السير جيوفري كما يعرف كل الناس ، وكتفويض للملك عن الجريمة التي ارتكبها ضده ، وليحل السلام بينهما وتستقر الأمور ، عقدت معه معاهدة وأصبح رجله ، وله أن يحصل على أرضه من الامبراطور ، حسنا وطبقا للطريقة التي سوى بها أخوك الأمر في ذلك الوقت ، وأصبح تابعا للامبراطور ، ولم يتمكن من خدمة أحد آخر وله وحده كان يقدم خدماته كلها ، وتماما كما فعل هذا لمصلحته الخاصة وليرضي رغبته وليحقق ربحا ، افعل الشيء نفسه وعلى الفور مع الملك شارل لتحقيق رغبة ولتربح . وإذا فعلت كما أقول فاني أخذ على عهدي أن يصبح الملك قريبا لك وهو متلف الى ذلك . »

وعندما سمع الأمير وأولئك الذين كانوا في مجلسه ذلك ، سر الجميع وحموه جدا ، وبعد اعطاء المشورة كما أخبرتم ، تقرر الأمر وصمم عليه .

واختير أسقف أولينا مع السير بيير ، (وكان لقبه دي فو ، وكان يعتبر في كل الإمارة رجلا حكيما (٧٢) ، لينهب كمبعوثين الى الملك ، واستعدا وعبرا مباشرة الى برنديزي ، وبعد أن نزلوا الى البر ، اشترى خيولا وأخذوا الطريق المؤدي الى حيث كان الملك فوجداه (٦٣٤٦ - ٦٣٨٧) في نابولي ، وانحنيا أمامه ، وكانا يحملان له رسائل فقدمها له ، وكانت تحوي وتعلن أن له أن يصدق هذين الرجلين في كل شيء يقولانه وينطقان به .

وبعد أن تسلم الملك الرسائل وفهم التصريحات بأن يصدق هذين الرجلين أمر بأن يستدعيا الى مكان جانبي وبدأ يستجوبهما حول ما كانا يريدان قوله ، وحيث أنهما كانا حصيفين بدأا يتكلمان معه : وأخبراه بالتفصيل ما الذي كانا يريدانه وهو أن رغبة الأمير

ومشيئة الرب واردة الملك أن يدخل في مصاهرة ويصبحان كواحد ، وبعد أن استمع الملك جيدا لما أخبراه به ، أجابهم بأنه سيجري مشاورة ثم يعطيهم الجواب ، كما هو صحيح ومناسب .

وعليه أمر الملك بدعوة القادة ، الأوائل منهم والأفضل في مجلسه ، وأخبرهم مفصلا بأمر أمير المورة واقتراحه وما كتبه وأراد تنفيذه معه ، ثم بدأوا يتكلمون ويتشاورون ، وبعد أن تناقشوا قالوا ما يلي أيضا : « أنهم يريدون استدعاء المبعوثين واستجوابهما ليسمعوا ويعرفوا خصائصهما . وعليه فقد استدعوهما وبدأوا يستجوبونهما : كيف يملك غوليوم أمير المورة أرضه ، ومن هو سيده الأعظم ، وأي نوع من الأرض المورة وما هي ثرواتها ؟ ثم أعطى السير بيير الذي عرف وفهم كل شيء عن المورة الجواب ، وقال كل شيء من البداية الى النهاية (٧٣) » .

وعندما سمع الملك وكذلك مجلسه ماتضمنه امارة المورة وثرواتها وقيمتها ، أشار عليه الجميع بإتمام الامر ، لانهم رأوا وتحققوا انه كان لصالحه ، وصمم الملك على تنفيذ مشورتهم ، وبعد ان صمم الملك على تنفيذ المصاهرة مع أمير المورة ، غوليوم اعطى توجيهه لاحد الاساقفة واثنين من قادة الفرسان ، وفارسين آخرين ممن كانوا معه بان يذهبوا كمبعوثين الى الامير غوليوم لحمل الجواب اليه مع رجاءه ، والارادة والجواب اللذان اعلنهما الملك له (٦٣٨٨ - ٦٤٣٢) .

وانطلقوا بناء على ذلك وذهبوا الى برنديزي ، حيث وجدوا السفن التي كانت مستعدة للبحار ، وصعدوا الى ظهورها معنا وذهبوا الى كلارنتسا ووجدوا الامير غوليوم في اندرافيدا . وتكلم اسقف اولينا والسير بيير مع الامير واخبراه في خلوة ماحققاه ونفذاه مع الملك ، وبعد هذا استدعوا ايضا الرسل الذين جاءوا معهم من عند الملك شارل ، ثم رددا ماكان عليهم نقله من الملك شارل الى أمير المورة : مما يسر الملك ، فرغب واراد قانونيا تحقيق

المصاهرة حسب الاتفاقات التي اعلنت للملك من قبل المبعوثين الذين ارسلهم الامير الى الملك ، والتي اشترطت ان يأخذ الامير ابنته ، التي كانت وريثته والتي كانت تسمى ايزابو وان يذهبوا الى نابولي للانضمام الى الملك وان يتزوج الاولاد ، فيأخذ ابن الملك ابنة الامير غوليوم ، وبعد ذلك يؤدي الامير الولاء ليأخذ ارضه من الملك شارل .

وعندما سمع الامير هذا اقره بحرارة ، ومنح تشريفا عاليا وهدايا للذين اوفدوا وجاءوا اليه كمبعوثين ووجههم بالعودة الى الملك وحمل جوابه اليه وابلاغه ان امير المورة كان راضيا على الاتفاقيات وكان يستعد للمجيء لاتمام الامر ، وأرسل الامير على الفور الى يوريبوس ، حيث احضرت له احدى الشوانى كبيرة وجيدة التجهيز ، وفي كلارنتسا امر بتجهيز سفينة اخرى له ، واستعد كما ينبغي لمثل هذا الرجل العظيم ، وصعد الى السفن مع ابنته ، التي كانت تسمى ايزابو وحاشيته ، واخذ معه من الفرسان العدد الذي يحتاجه ، وانطلقوا الى كلارنتسا ووصلوا الى برنديزي . وبعد ان نزلوا في برنديزي احضروا الخيول بسرعة وانطلقوا على الطريق ، وهكذا ركبوا الى نابولي حيث كان مقر اقامته ، ووصلوا قبل الملك (٧٤) .

والان عندما سمع الملك وابلاغ بان الامير كان يقترب من المدينة ، ركب بنفسه خارجا ومضى للقاءه ، وحياء هناك حيث استقبله ، بلطف واخذ بيده وركبا جنبا الى جنب وقدم له تشريفا كبيرا ، دهش له الجميع . (٦٤٣٣ - ٦٤٧٩) .

وبعد ذلك نزلا عند بيت الملك : ثم امر بان يسكن بتشريف كبير في المدينة ، ودعاه للعشاء في اليوم التالي ، وعلى شرف الامير دعا كل النبلاء الذين كانوا في المدينة ، وعقد المجلس الاعلى للبلاد ، وكان هناك احتفال كبير ، وبعد ان احتفلوا جيدا ذلك اليوم ، ذهب كل الى مقره .

وفي الصباح التالي ذهب الامير الى حضرة الملك ليتحدث معه وامر الملك كل فرسانه بالجيء ، وجلسوا للتشاور وبدأوا في الحديث ، ثم جاء المبعوثون الذين ذهبوا الى امير المورة وبدأوا الحديث وهم يريدون رواية كيف ذهبوا الى المورة الى الامير غوليوم مع امر الملك فيما يتعلق بالمصاهرة وما أنجزوا والى اي نقطة تقدم الامر في هذا الشأن الذي ارسلوا فيه . وحيث ان جلالة الملك قد امر وان الامير قد جاء عند جلالته ، فان الامر متروك لسموكم لتنفيذه وتحقيقه بحكمتمكم لما فيه تشريف لسموكم ولجسدكم ورخائكم انتما وقواتكم .

وحالما انتهى المبعوثون مما كان عليهم قوله حول المصاهرة ، بدأ الامير عنئذ الكلام حول الامر وبدايته ، والطريقة التي بدأ بها ، وبناء على امر وتوصية الملك جاء الى هنا واحضر معه ابنته ، وانه على استعداد لان يفعل كل ما يحثه مبعوثو الملك معه في المورة وان ينفذ الاتفاقيات التي ابرمت وكل ما يخصها (٧٥) .

ثم اجاب الملك بنفسه بان كل ما قاله الامير صحيح ، وانه يرغب واراد ان ينفذ الامر كما اتفقا وشرعا ، وبعد ان انتهيا واعلنا التفاصيل امر ابا حضار ابنائهما ومن ثم خطب رئيس اساقفة نابولي ، وكان مطرانا الابناء وبعد ان اعلن خطبتهما وعقد لواحد الزواج بمراسمه ، ادى الامير الولاء ، وبناء على ذلك قلد الملك (٦٤٨٠ - ٦٥٢٦) ابنه السيرلويس الامارة ، فاعادها مرة اخرى الى حميه ليملكها ويديرها مدى حياته في هذه الدنيا .

وبعدما انجز هذه الاشياء التي اخبركم بها مكث الامير هناك خمسة عشر يوما مع الملك شارل ونظما احتفالات كبيرة ، ثم جاءت التقارير من المورة للامير بان احد ابناء اخيه قد جاء من عند الامبراطور الى مونمفاسيا ، واحضر معه الجيوش : والكومان والترك والروم من منطقة نيقية والذين في المورة ، وكان اهل الارض خائفين وطلبوا من الامير العودة الى هناك . وعند سماع ذلك ذهب

الامير الى الملك واطلعه على هذه التقارير مفصلا ، وطلب منه الان
للذهاب الى المورة لاسعاف وتقوية ارضه وقواته ، وللذهاب الى
قلاعهم لتموينها . وعندما سمع الملك هذا قال انه حسن ان يذهب الى
ارضه لنجبتها وحمايتها من اعدائه ، وعليه استأذن الامير من
الملك ، وركب بسرعة ووصل الى برنديزي ، حيث وجد السفن
جاهزة فصعد اليها ووصل خلال يومين الى كلارنتسا وركب من
هناك ذاهبا الى اندرافيدا .

وعندما سمع كل اهل المورة بمجيء الامير ، كانوا سعداء جدا
وشعروا بثقة قوية تجاه اعدائهم . وبعث باوامر مكتوبة الى امراء
القلاع بان يحتفظ كل منهم بحراسة قوية من قواته لانه كان في
طريقه لمساعدتهم وانهم يجب ان يمتثلوا لقواعدهم وان يحشدوا القوات
ليقفوا بثبات ويحموا الارض والحدود ، وبعد ان استراح نحو اربعة
ايام ، كتب الى القادة والفرسان فجاءوا اليه وخرجوا راكبين على
الفور ، واخذهم وجال على القلاع ، وامر بنشر الحراسة في كل
الارض حتى يحتموا من اعدائهم . (٧٦)

وسأوقف عند هذه النقطة لحظة عن الكتابة والكلام عن الامير
غوليوم امير المورة وسأخبركم بنيا الملك شارل والفعل الذي قام به
والعطف الذي اظهره في تلك الوقت لامير المورة .

ومن عطف الملك الحكيم ، الملك شارل والعاطفة التي شعر بها
تجاه نسيبه الامير غوليوم (٥٦٢٧ - ٦٥٤٥) ولانه ايضا كان
خبيرا في الاعمال الحربية للجيش ، (٧٧) فانه بعد ان تركه الامير
ومضى مبتعدا عنه فكر ومحصى انه طالما ان الامبراطور قد ارسل
جيوشه الى المورة لمحاربة الامير الذي كان نسيب له ، فان الامير
سيكون بحاجة لعون بالجيش والقوات ليحمي ارضه ، وعليه امر
بدعوة احد فرسانه وكان جنديا خبيرا في الامور الحربية ، وكان
يدعى السير غاليران ، وكان لقبه دي ايفرى ، (٧٨) وقال له اريدك
ان تذهب الى المورة لمساعدة نسيبي الامير مع مائة من المرتزقة

بخيولهم وايضا مائتين من الجنود المشاة على ان يكونوا كلهم من النخبة ايضا وعلى ان يكون مائة منهم من حملة الاقواس العقارة والآخرين من حملة الدروع ، (٧٩) وان تدفع للجميع اجور ستة شهور وتكون عليهم كقائد ونائب لي ، استعداد على الفور واذهب بسرعة ، ان السفن (٦٥٤٦ - ٦٥٨٨) جاهزة في برنديزي فاركبوا واذهبوا سريعا الى المورة لمساعدة الامير واهدائه تحياتنا الكثيرة عني، واخبره نيابة عني انه اذا احتاج لجيوش اكثر ، فليشعرنني برسالة موجزة وسارسلها له على الفور .»

واعد الفارس الحكيم نفسه على الفور كما امر الملك ، وترك نابولي وذهب الى برنديزي وهناك وجد السفن مستعدة فصعد اليها ووصل خلال ثلاثة ايام الى كلارنتسا ، وحدث ان كان الامير في ذلك الوقت في فليزيري ، وارسل له السير غاليران ستة رسل ، وكان اربعة منهم سرجندية واثنان من الفرسان ، وابلفه بالتفصيل انه جاء من ابوليا بناء على امر الملك بالجيش الذي معه لتقديم العون للامير وتنفيذ جميع اوامره .

وعندما علم الامير بوصول نائب الملك هذا ، السير غاليران ، الذي جاء من عند الملك وجلب معه الجيش الرائع ، من الفرسان والمشاة كما اخبرتكم ، بدا له الامر بالغ الروعة وابتهج به . ولتشريف نائب الملك من اجل الملك ، وركب خارجا على الفور مع القوات التي لديه وذهب رأسا اليه في كلارنتسا ، ومن جانب اخر سمع الرجل الحكيم السير غاليران وعرف ان الامير قادم اليه ، فركب لتلقيه بسرعة خارجا مع حاشيته بالدروع وعلى خيولهم ومنهم المشاة والفرسان وقابلوا الامير غوليوم عند نهر الياكوس عند نقطة تدعى كريفسا (٨٠) ، وهناك التقيا وابتهجا معا وحيا السير غاليران الامير نيابة عن الملك وقال له: لقد ارسلني الملك الى هنا ، وهو يبعث اليك بتحياته ، وقد ارسلك معي كل هذه القسـوات لمساعدة ارضك ، وكمعونة في الحرب التي بينك وبين امبراطور اولئك الروم.

واذا احتجت للمزيد ايضا فاعلمه حتى يرسل اليك (٨١) وشكر
الامير الملك بحكمة على المساعدة التي ارسلها وعلى المعونة أيضا .

والان بعد ان وصل الاثنان الى كلارنتسا ، امر الامير بايجاد خيول
(من النوع) الذي يدعى خيول الحمل ، للمرتزقة ، واحد لكل رجل
لاعطائهم الراحة بحمل ملابسهم (٦٥٨٩ - ٦٦٣٣) ودروعهم.

وبعد ان جهز الامير الفرنجة الذين جاءوا لمعاونته والذين ارسلهم
الملك ، تشاور مع الذين كانوا في مجلسه حول الطريق الذي يجب ان
يسلكوه ، وفي اي مكان يهاجموا اعداءهم العرق الرومي ، وعندما
تشاوروا انطلقوا من هناك ووصلوا الى رافد الالفوس عند مكان
يدعى ايزوفا (٨٢) وجاء حكام القلاع مع قواتهم كما فعل قادة
الفرسان ، واعطيت لهم الاوامر بان يستعدوا بمؤن من الخبز تكفي
لشهرين ، وهناك تشاوروا حول مكان الاغارة ، وعليه فقد اشير
عليهم بان يذهبوا الى نيكلي ، بفكرة وهدف ان هذا المكان كان
متسعا بدرجة كافية تتيح لجيوشهم الاقامة والراحة ويمكنهم
الاقترب من جيوش الروم اذا رغبوا في الاغارة ، واذا توصلوا الى
قرار القتال ، وكان الامير واثقا من جيوشه وفي ان الرب سيكون في
عونه ليحرز النصر على الروم ، واذا سر الرب ان يمنحه النصر
فانه سيستولي بسهولة على كل الامارة .

ثم ركبوا ووزعوا السرايا ، وغادروا ايزوفا ووصلوا في المساء الى
كاريتانيا الى القلعة الرائعة ، وعندما علم امير كاريتانيا بان الامير
قادم بجيوشه وانه كان قادما على طول الرافد في اتجاهه (٨٣) ،
ركب بسرعة خارجا مع رجاله وذهب لمقابلة أمير المورة ، ومن جانب
اخر جاء من اكوفا السير غوتير سيد تلك القلعة مع الجيوش التي
لديه (٨٤) ، وتجمعوا معا في كاريتانيا واستعرض كل منهما
الجيوش التي لدى كل واحد منهما ووجدوا ان هذين الفارسين
القائدين امير كاريتانيا وامير اكوفا كان لديهما مائة وخمسين
خيالا ، كلهم من النخبة ومن الجنود ذوي الخبرة ، وكان لديهم
مائتين من المشاة ، وكلهم مسلحون .

بعد ان عسكروا في سهل كاريتانيا على شواطئ الرافد ، في تلك المروج بالغة الجمال امر الامير بدعوة القادة : امير كاريتانيا ، رامير اكوا والآخرين ايضا (٦٦٣٤ - ٦٦٧١) من قادة الجيش يطلب من الجميع المشورة حول المكان الذي ينصحون جيوشه بشن لهجوم منه على اعدائه ، وبناء عليه تكلم امير كاريتانيا اولا ، ثم كلم بعده امير اكوا وتكلموا ونصحوه بان يذهبوا الى نيكلي كما صحوا ، في المقام الاول . واخبر امير كاريتانيا القادة انه عرف لقائد الذي وضعه الامبراطور على قوائه ، وانه كان متفطرسا وذا جد ، وفخر عظيم بقواته التي كانت معه (٨٥) وهو يريد أن يأتي سرعة كبيرة للقتال حيثما ندعوه ، في السهول أو الجبال واذا وهب لرب والقدر ورسم أن نحارب معا وأن نحرز النصر ، سنأخذ كل لمورة من ايدي الروم »

وعليه استعدوا ووزعوا السرايا واعطوا التوجيهات لجيوشهم ولا لعناصر الاغارة ، الذين توغلوا في غارداليقوس ، وأغاروا على ساكونيا ، لأن هؤلاء كانوا في ثورة لصالح الامبراطور ، وقد جمعوا كثيرا من الغنائم وكانت تفوق الحصر ، ولخمسة أيام أغارت لك الجيوش ثم عادوا الى نيكلي وكان قائد الامبراطور مع جيوشه في ليكييمونيا ، ولم يخرج من هناك مرة ، ولو أن أحدا سألني لأي سبب تصرف بهذه الطريقة ، سأجيبه أنه كان بسبب الامر الذي لقاه ، لأن الامبراطور نفسه ، السيد ميكائيل اعطاه أوامره بأنه بعد معركة برينتزا ومرة أخرى بعد المعركة الثانية وهي معركة ماكري - بلاجي ، لم يكن للروم مطلقا أن يلتقوا في الميدان للقتال مع الفرنجة في المورة لأي سبب في العالم ، وأقسم الامبراطور وهكذا مر : في منطقة المورة لأي سبب في العالم الروم لن يلتقوا مطلقا الفرنجة في الميدان للقتال بالرمح لأن ثلاثمائة من الفرنجة فقط قد زموا أخوا الملك الذي لديه ستة آلاف من القوات الراكبة الجياد الى نائب المشاة (٦٦٧٢ - ٦٧١٨) واذا كان لفرنجة آخرين أكثر دبل أن يجدوا رومانيين في الميدان فان الامبراطور لن يحتفظ بعد لك بالمورة ، وأمر الروم أن يتخذوا موقعا في الجبال وان يحرسوا

الأرض ، وكلهم مسلحون بأقواسهم وكلما وجدوا الفرصة وكانت لهم مصلحة ، فبالحيلة والاستراتيجية عليهم أن يقاتلوا الفرنجة .

وبعدما سمع الأمير بهذا دعا قائده ليشيروا عليه وتكلم بعض هؤلاء وقدموا له النصيح بأن يأخذ جيوشه ويذهب رأسا الى حيث يكون قائد الامبراطور في ليكسيمونيا لقتاله وهزيمته كلية .

ولكن الآخرين الأكثر حكمة والذين يفهمون الاستراتيجية لم يقرأوا عملهم بهذه الطريقة قائلين: ان امتداد الأرض من نيكلي الى ليكسيمونيا كان منطقة مشجرة ، جبلية وذات شعاب وجروف تناسب رماة السهام ، حيث يمكنهم اتخاذ مواقع تمكنهم من اطلاق سهامهم علينا وعلى خيولنا في حين لانستطيع اصابتهم .

وعليه دعا الأمير السير غاليران وأمير كاريتانيا وأمير اكوفا اضافة الى كل القادة الآخرين ، وطلب منهم اسداء المشورة له حول كيفية العمل الواجبة ، وفي هذا قال بعضهم انهم يجب أن يبقوا في نيكلي وأن يحاصروا الروم في الأرض المحيطة بميسترا ، حتى لاتكون لديهم وسيلة للخروج والاضرار بالأراضي وأنهم يجب أن يتحكموا في الممرات ويحرسوا الأرض حتى لايمر قائد الملك لايقاع أي ضرر بأرض سكورتا أو أرغوس أو ميزاريا ، لأنه اذا كان لهم ان ينطلقوا من هناك ويتركوا الأرض مكشوفة وغير محروسة ، فان الرومان سيأتون ويهاجمون وينهبون وسيخربون الأرض ، والآن في النهاية لم يوافق الأمير والأكثر حكمة على العمل بهذه الطريقة ، قائلين مع الاحترام لسير غاليران والمرتزة لأنهم لم يجدوا طعاما لهم ولخيولهم عليهم أن يجدوا بعضه ليشتروه كما هي طريقة الجيوش .

وعليه امر الأمير بأن تمون نيكلي بكل الأشياء التي تحتاجها القلعة ، وترك السير جين دي نيفليت أمرا لها ومعه مائة من الخيالة مع مائة من حملة الأقواس ومائة من حملة الدروع وثلاثمائة من

رماة السهام ليلقبوا معه أيضا وليقوموا بأعمال الدورية في القرى ، وحقول نيكلي ، حتى فيليغوستي وأماكن في هيلموس (٦٧١٩ - ٦٧٦٢) حتى لا يمكن لأي من الروم أن يمر للاغارة أو القتال أو إيقاع أي ضرر بأراضي الفرنجة

وبعد أن نهض الأمير غوليوم بأعباء مهام حماية وحراسة أراضي نيكلي ، أخذ جيوشه وذهب إلى كاريتانيا حيث صرف كل جيوشه ، ورحل الكلامانيان وأهل أرغوس ، وأمير ميازريا وأمير أكوها ، وكذلك فعل السكورتينوا ، والجنود من المشاة والفرسان ، وذهب أمير كاريتانيا مع حاشيته مع الأمير ومعهم السير غاليران الذي كان نائبا للملك ، وذهبوا عبر المورة إلى كلارنتسا (٨٦) وبعد أن وصلوا وعسكروا أمر الأمير بدعوة الحاجب اللوغوثيت (٨٧) والسير ليوناريو الذي كان من أبوليا ، وأمير كاريتانيا وقال لهم : « لقد رأيتم العطف والتشريف اللذان أبداهما الملك نحوي وأرساله السير غاليران ومعهم مرتزقة لمساعدة الإمارة كلها . وعليه أقول أعطوني مشورتكم حول أي تشريف ونفع يجب أن نمنحه له ، لأنكم رأيتم بأعينكم أنه فقط بواسطة قواته ذهبنا نلتمس القتال مع قوات الامبراطور وقائده » .

وبعد أن أشاروا على الأمير غوليوم بالتشريف والمنفعة الواجب منحها له (كان يفكر على الأغلب في تشريف الملك) استدعى للمثول أمامه السير غاليران وقال له بصوت مرتفع في حضور الجميع : « أنت ياسيدي ، قد أرسلك الملك إلى هنا مع القوات التي جئت بها لمساعدة الأرض ، وهو الأمر الذي اعتبرته تمجيذا عظيما لي وفائدة لي ولقواتي ، وعليه أرغب يا صديقي وأتوسل إليك ردا للجميل مقابل التشريف الذي قدمه الملك لي ، أن تقبل مني منصب النيابة وأن تكون نائب الأمير الحاكم على الإمارة ، نيابة عن الملك أولا وعني ثانيا لحكم أراضي في كل الإمارة من أجل شرفنا وتقديمنا نحن وأنتم أيضا »

سرايا بشكل مستقل عن مشاته ، وخرج من لومباريا ذاهبا الى ابوليا .

وهنا عند هذه النقطة ، سأتوقف عن الكتابة وأتحدث عن الألمان ، والجندي الشهير كونراين الذي كان كما أخبرتكم ابن أخ للإمبراطور فريديريك عدو الكنيسة ، وبدلا من ذلك سأعود لأخبركم بالفعل الذي قام به الملك العظيم شارل عندما سمع وعرف بالتقارير التي كانت تتحدث عن أن كونراين كان قادما ليقاّله .

وعندما سمع الملك الشهير شارل أن كونراين كان يحشد الجيوش ليأتي ليشن الحرب ضده ، وحيث أنه كان جنيا من اللهاة في كل شيء فإنه لم يكن مهملا لدرجة أن يقدره بأقل من قدره ، فأرسل بسرعة الى أخيه الذي كان ملك فرنسا ليساعده بالجيوش من أرضه ، من الجذود ذوي الخبرة ، الذين يمكن أن يساعده في حربه ، وعندما سمع الملك بذلك ، دعا أخاه الكونت أرتوا (٨٩) وأخبره بتلك الرسائل وأمره بأن يأخذ على الفور ألفين من الفرسان الراكبين من زهرة فرنسا وأن يذهب الى ابوليا لمساعدة أخيهما الملك شارل الشهير .

والى جانب هذا أرسل الى أرضه هو في بروفانس ست شواني (ملأى) وسفن شحن وسفن تجارية ، تنقل القوات مع خيولها والموّن والطعام لهذا الجيش وعلاوة على هذا أيضا استدعى بابا روما بالغ القدسية ، عندما سمع وعلم بالروايات التي تقول بأن كونراين كان أتيا بالعديد من الجيوش ضد أراضي ومدن الكنيسة استدعى الملك شارل وقال له : « يا بني الآن وقد علمنا وعرفنا أن كونراين قادم حقا لحرب الكنيسة ، فاني أعطيك السلطة لتأخذ من خزانة القديس بطرس حواربي كنيسة روما بقدر ماترغب وتأمر أنها كلها تحت أمرك ، واستأجر الجيوش لنفسك بقدر مايمكنك أن تجد وأحم ممتلكات وأرض الكنيسة (٦٨٥٣ - ٦٨٩٠) »

وشكر الملك بالغ الحكمة البابا ، وانحنى بشدة أمامه وباركه البابا، وبعد هذا ، أمر بابا بالغ القدسية بأن تحرر الرسائل الى كل الممالك وأن يرسل الكرادلة والأساقفة مع بركاته مع طلب أن يقدم له الجميع المعونة ، وأن يرسلوا اليه الجيوش والقوات لتذهب في معية الملك شارل الذي كان يحمل لواء وصولجان الكنيسة ، لمساعدته وليحموا معا ارض وممتلكات كنيسة روما ، ولهم المباركة والعفو عن أي خطايا ارتكبوها من يوم ميلادهم كما لو أنهم قد نهبوا حقاً الى قبر المسيح لقتال الأعداء ، عروق البرابرة ، وأرسل له الجميع من كل الممالك الجيوش والعديد من المشاة ، والخيالة العيين .

وأرسل الملك العظيم شارل علاوة على ذلك رسالة الى امارة المورة ، الى الأمير غوليوم يسأله بطريقة ودية أن يساعده بالقوات من أرضه وبالجيوش التي لديه (٩٠) وعندما سمع الأمير هذا اضطرب للرسالة ، لأنه كان خائفاً جداً من كونراين لأنه سمع بقوة وبأنه كان لديه جيوش كثيرة ، وقد يحدث بفعل الحظ السيء أن يكون النصر في جانبه ، ويفقد الملك شارل السيادة على أبوليا وعلى أي حال فإنه ما أن سمع بهذه الرسالة بعث الأمير برسالة الى القائد الذي كان تابعاً للامبراطور في المورة ، وكان ممثلاً له ، وعقد معه هدنة وقف للحرب لمدة عام واحد ، على أن تبقى أرضه في راحة وسلام ، ثم استعد بعد ذلك ليأخذ معه أفضل وأحسن لابل زهرة المورة ، لقد أخذ معه أولاً أمير كاريتانيا وأخذ أيضاً معه أمير أكوفيا الحاكم العظيم لشدرين ، والسيرجيو فري دي تورناي والفرسان الآخرين ويعتدون ٤٠٠ وكلهم بخيولهم ، ولم يتأخروا (٦٨٩١ - ٦٩٢٦) وعبروا من الامبراطورية ونهبوا رأساً الى برنيزي ، ووجدوا كل ما ينقصهم من الخيل فاشتروه ، ثم ركبوا وخرجوا مسافرين حتى بلغوا بينفينتو ، ووجد الملك هناك (٩١)

وعندما سمع الملك وأبلغ بأن الأمير قادم ، خرج لاستقباله ، وحياه بلطف ، وتعانقا وأمسك الملك بيد

الأمير ، وعندما رأى القوات الرائعة التي جاء بها معه ، شكره بحرارة وابتهجا ببعضهما بعضا ، ثم تكلم معه وأبلغه أن كونراين قد جاء وبخل أبوليا بقوة من وحدات عديدة ، كانت مساعدة له ، وراح يسأل في كل مكان وهو يبحث عن الملك ، والتمسه حتى وصل اليه وعندما اقترب الجيشان من بعضهما دعا الأمير (الذي كان خبيرا بأمور الحرب في رومانيا وبالكيد والمكر اللذان مارسهما الروم والأتراك واللذان علماه بكل مايتعلق بشؤون الأعمال الحربية) كل من أرادهم وفكر ليسيروا وراءه ، وركبوا جميعا ونهبوا معه ، وسافروا وأخذوا طريقهم صعودا الى تل ليعرفوا ويلاحظوا ويستطلعوا قوات كونراين والجيوش التي معه وبعد ان احصى عددها دهش جدا ودعا الفرسان الذين كانوا معه وقال لهم : « يارفاق تعالوا وألقوا نظرة اني أرى جيوشا رهيبة عديدة وشجاعة ، واقدر أنها ضعف ماالذي الملك » .

وعليه أخذهم وعاد الى الجيش وبعد ان وصلوا ، انتحى الأمير غوليوم بالملك جانبا وقال له : « أعلم ياسيدي الطيب وأبلغك بأني قد نهبت الى مكان راقبت منه الجيوش وقوة القوات التي لدى كونراين ولكي أحصيهم وأرى (٦٩٢٧ - ٦٩٦٦) أي جيوش عنده ، ولم أنهب وحدي حتى لا تؤنبني لقد كان معي جنود من الرجال ذوي الخبرة ومن الشواهد التي رأيناها وطبقا للأحصاء الذي أجريناه ، أقدر أن لدى كونراين من الجيوش التي رأيتها ضعف مالينا ، وبدأت لي قواته رائعة وأقول الآن ياسيدي وهذا ليس سرا بالنسبة لك إن الألمان الآن في كل الدنيا لديهم قوات من الحمقى غير الجديرة بالثقة (٩٢) كلهم ، وعندما يذهبون للقتال في معركة ، لايتوفر فيهم الحماس ولاسلوك الجنود الجيدين ، وهكذا يدخلون المعركة كالمجانين ، حسنا وأقول لك ياسيدي اذا شئتم جاللتكم ، أننا يجب أن لانقاتلهم بالطريقة التي يقاتل بها الفرنجة ونخسر المعركة ، لأنهم أكثر منا بل لنقاتلهم بالمكر والحصافة كما يقاتل الترك والروم في رومانيا فاننا كما

أقول ، وبأمني من الرب والحق الذي في جانبنا أن النصر سيكون لنا » .

وتكلم الملك كجندي بالغ الحكمة وأجاب الأمير قائلا : « أعلم أيها الأخ الأمير ، يا صديقي وقريبي أنه لا يوجد شيء في عالمنا القائم اليوم من مكر أو حيلة أو مهارة مالم أمارسه ضد عدوي ، طالما أن ذلك يجعلني أهزمه واستولي على ولاياته ، وعليه حسنا يا قريبي الداهية ، طالما أنك قد اكتسبت الخبرة من حربك للرومان وتعرف أيضا الحيل التي يستعملها الأتراك هاك جيوشنا اليك بها وجهها كما تشاء » .

وعليه أجابه الأمير غوليوم : « يا سيدي طالما أنك تريد وتأمّر أن أفعل هذا ، وأن نتصرف بال المكر والحيلة ، اسمع أولا الخطة التي أقترحها ، فإذا بدت لك حسنة فاني سأرتب الأمر هكذا » .

وعليه بدأ في الكلام وراح يخبره أن الأتراك والروم ليسوا جنودا يقاتلون وجها لوجه كما نفعل نحن الفرنجة ، لأنهم مأكرون ويقاقلون بالخدع الحربية ، وحيث أنك تأمر بأن تعمل كما اقترح دعني أخبرك كيف سنعمل (٦٩٦٧ - ٧٠٠٧) إن هذه البلاد التي نحن فيها أرض غير مستقرة ، وليست سهلا مستويا للأعمال الحربية كما تجري في فرنسا وكل الممالك ولهذا السبب دعونا نفصل بعض القوات الخفيفة عن كل سرايانا ، ولتكن من الجنود الدهاة ذوي الخبرة ولنزودهم بخيول خفيفة حتى يضربوا ويهربوا ولنوزعهم في ثلاث سرايا ، أو أربع ، وذووجهم لهاجمة الألمان واعطاء الانطباع بأنهم سيقاقلون ، وهؤلاء بما أنهم متلهفون جدا في عملهم الحربي ، فإنهم سيواجهونهم بلهفة ، وعندها دعونا نسمح لهم بالجيء ، وعندما يقتربون جدا دعوهم يعطوهم الانطباع بأنهم يهربون ، وينهبون رأسا نحو المعسكر وعندما يقتربون منه لا يدخلوه ، بل يتابعون ركضهم ويندفعون مارين الى الجانب الآخر ، وليكونوا دائما في صفوف متراصة حتى لا يتشتتوا ، إنني

اعرف بوضوح كبير الألمان واللومباردين كما أعرف أيضا المرتزقة ، إنهم حالموا يرون خيامنا والملابس والأشياء الفاخرة التي تضمها معسكراتنا فإنهم سيكفون عن تعقب قواتنا وسيدخلون المعسكرات ليستولوا على ملابسنا . ولندفصل نحن الاثنان ياسيدي في فرقتين مع جيوشنا ولنوزع السرايا ولنضع الكمان في أماكن مناسبة وإني لا أحتاج إلا إلى قواتي التي جئت بها من المورة لتبقى معي ، لأنني أعرفهم ، وعندما يرى مراقبونا من على قمم القلال أن الألمان قد دخلوا المعسكرات ، ودشتت سراياهم في النهب ، لندهم يطلقون البوكسيني حتى تفهم قواتنا ، ونخرج من مخابئنا ونهاجمهم ، فتأتي أنت من جانب وأنا أيضا من الآخر مع الجيوش والقوات التي معنا ، وذلك السرايا الأربعة الخفيفة التي لنا ، وعند سماع البوكسيني سنحيطهم جميعا بذشاط وقوة وعندما نطردهم ونشتت سراياهم سيكونون بسهولة شديدة وبسرعة في خطر شديد » (٩٣) . (٧٠٠٨ - ٧٠٥٣)

وعندما انتهى الأمير غوليوم مما كان يشرحه ويخبر به الملك ، استمع له الملك ثم امتدحه جدا لأن ما أخبره له بدا مرضيا له ، والتفت إلى الأمير وقال له : « أتوسل إليك يا أخي أن توجه بأن يجري الأمر تماما كما أوجز لي ، لأنه يسرني كثيرا جدا . » وعندما سمع الأمير هذا دعا القادة وأما القلاع والقواد الذي كانوا يتولون قيادة السرايا ، ووجه هو الملك بأن توزع السرايا التي أخبركم عنها ، وانتحوا بالقادة والمقدمين جانبا وشرحوا لهم كيف سيتصرفون ، وأخذ هؤلاء القوات والسرايا الباقية وأخفوها في كمين ، وأخفي هؤلاء في النقاط الضرورية والمناسبة ، وكانوا من البارعين المهرة ، ثم انطلقت السرايا الأربعة ومضت رأسا لمهاجمة كونرايين .

وعندما علم كونرايين أن الملك كان قادمًا نحو معسكره لقتاله ، أمر بأن توزع سراياه ولتقاتل كل جنسية بنفسها ، وانطلقوا ومضوا لملاقاة الملك ، حسنا لو أنني كتبت لكم

بالتفصيل عن كل الافعال التي جرت في تلك المعركة ربما مللتهم من كثرة الكتابة ، كما اني سأمل من كتابتها لكم مرتين ، ولكن كما سمعتموني اصفها بدقة لتوكم فإنه تماما كما شرحها الامير غوليوم نفعها وحققها . والآن ، لقد جرت هذه المعركة في بينفيتسوحيث الارض غير المستقرة ، بمنحدراتها وهابها التي بسببها كان الالمان مرتبكين ، لانهم لم يكونوا يرون قوات شارل بوضوح ، فجأة انقضت عليهم السرايا الأربعة التي خرجت لخداعهم ، وظنوا أن الآخرين كانوا قادمين أيضا ولهذا السبب انطلقوا على الفور في مهاجمتهم بسرعة ولهفة كما هي طريقة الجيوش ، وحالما أصبحوا على وشك الالتحام وتبادل رمي الرماح استدارت السرايا الأربعة للهرب ، وأعدوا أنفسهم للمضي رأسا الى المعسكر ، وعندما رأى الالمان أن الفرنجة كانوا يهربون اعتزموا القتال وبدأوا في ملاحقتهم ، ولاحقوهم حتى وصلوا الى المعسكر ، وتحلق الفرنجة حولهم (٩٤) ودفادوا المساكن (٧٠٥٤ - ٧٠٨٤) وأخذوا طريقا جانبيا ومضوا الى ماوراءها ، وعندما رأى الالمان الخيام التي وقفت على أذرع فاخرة ، والملابس والمال ، تخلوا عن ملاحقة الفرنجة الذين كانوا يهربون ، وانقضوا على المساكن فدخلوها وبدأوا يتبعثرون للاستيلاء على الملابس والصناديق التي تحتوي على المال ويكسرونها ليأخذوا كل ما وجدوه فيها ، وبدأوا يتعاركون فيما بينهم ويتدافعون بأسيا فهم.

وإذ رأى مراقبوا الفرنجة ، ما كان يفعله التيديشي ٩٥ اطلقوا البوكسيني ، وفهم أولئك الذين كانوا مختبئين الإشارة وخرجوا من مخابئهم ، والأمير من جانب والملك من الآخر ، وأولئك الذين كانوا يهربون ، وقامت السرايا الأربعة بكرة راجعة نحو المعسكرات واحاطوا بكل الالمان من كل الجوانب ، ووصل الجنود المشاة ومع اقواسهم القاذفة وسهامهم ، وذبحوهم كما لو كانوا من الخنازير البرية ، ولم ينج في الواقع سوى القليل من الالمان ، ولكن نجا الكثير من التوسكان ومن اللومباريين أيضا لانهم كانوا يعرفون البلاد ، وكان لآخرين أصدقاء أرشدوهم ، وأسر كونرايين وقطع

رأسه من قبل بعض الرجال من نابولي ممن كانوا خصوما له ، لأنهم كانوا مسرورين بحكم الملك ، وحملوا رأسه على طرف رمح وأحضروه إلى الملك وقدموه له (٩٦) . ولعن الملك مع أنه كان نبيلًا وعاقلاً بعنف وأسف بشدة وغضب من أولئك الذين قاموا بهذا الفعل ، وأعلن صراحة وسمعه الجميع إنه كان يريد ويفضل أن يفقد إحدى عينيه من الأفضل بينها من أن يقتلوا كونراين لأنهم لو أخذوه حيا وهو يقاتل لأضفى عليه تشريفا عظيما ، لأنه (٧٠٨٥ - ٧١٣١) كان قبل كل شيء رجلا نبيلًا وجنديا ، وقد جاء كجندي ليثأر لموت الملك مانفرد ، الذي كان ابن عم له ، ولم يكن يستحق أن يقطع رأسه ، والآن بعد أن انتهت المعركة ، أمر الملك أن يقسم أولئك الذين أسروا أحياء ويرسلوا إلى القلاع ، ومن الغنائم التي كسبوها ، أمر أيضا أن يأخذ كل واحد ما كسبه أي كان ، واحتفظ الملك لنفسه بخيمة كونراين وكان لها عشرة أعمدة والأسلحة الفاخرة ، والثياب والمال الذي كان في خيمته كحصاة له ولم يكن في حاجة لما هو أكثر ، وأمر بإعطاء سكن دوق كارنشيا (٩٧) وما كان لديه في خيامه من الأسلحة والأموال للأمير غوليوم كربح وحصاة له من المعركة.

وبعد أن منح الفوائد لكل جنوده وقسم غنائمه والأسلاب التي ربحها . أمر بصرف جيوشه وذهب كل رجل إلى حيث جاء واستبقى الأمير وأخذه معه وذهب الاثنان إلى نابولي رأسا ، وقال الأمير غوليوم أنه سيرى الملكة ، وأيضا ابنته إيزابو ، التي تزوجها ابن الملك ، وبعد وصول الأمير والملك إلى نابولي كلاهما ، بدأ الملك يتحدث مع الملكة وطلب منها أن تمتدح الأمير وتمجده ، لأنه بحكمته واستراتيجيته ربح المعركة وانتصر على أعدائه الألمان ، وشكرت الملكة النبيلة الأمير وأضفت عليه تشريفا كبيرا وقدمت له الهدايا ، ومجد الملك بدوره الأمير مثل هذا التمجيد وقدم له الهبات مما أهدش الجميع واستبقاه معه وسط احتفالات عظيمة لنحو ثمانية عشر يوما أو إذا شئت اثنان وعشرون يوما ، وكانت لديه

رغبة كبيرة ليدقيه نحو شهر أو اثنين إذا شئت حتى يفرحا ببعضهما بعضا (٧١٣٢ - ٧١٨١) .

وبعدها جاءت الرسائل الى الأمير من المورة بأن خصومه الروم المتمربين قد حذبوا بقسمهم ، واستأنفوا الحرب وتخلوا عن شروط (الهينة) التي عقدوها معه وبسماح هذا ذهب الأمير الى الملك وطلب الآن بالذهاب الى المورة حتى لا تتعرض أرضه للخطر وتعانى من الضرر ، وعندما سمع الملك بهذا لعن وشتم بعنف ولأنه عرف وعلم كما هي الحقيقة فعلا أنه كان بناء على توجيه أمير المورة كسب المعركة مع كونرايين مع بقاء سلطته على مملكة أبوليا (التي أراد أولئك الالمان ، والغيبيليين ومعهم التوسكان واللومباردين الاستيلاء عليها) ولأنه أدرك أن الأمير قد انفق كثيرا جدا على القوات التي جاء بها في ذلك الوقت من المورة للمساعدة والخدمة ولعونه ، أمر بأن يعطى من الخزينة قدرا كبيرا من الثروة ، من المال والذهب والفضة ، وأعطاه مائة من أفضل الجياد. ومع ذلك أعطاه أيضا خمسين رجلا مسلحا مع جيابهم وكلهم من نخبة الجند ومائتين من حملة الأقواس والسهام وكانوا كلهم مأجورين بأجر ستة أشهر ، إضافة الى الجند والفرسان ، ليأخذهم الى المورة ليقفوا معه ليساعدوه على حرب الروم المتمربين ، الذين لم يتمسكوا في حياتهم مطلقا بالصدق أو القسم ، وعليه بعد أن نظم أمير المورة كل الأشياء التي أعطاه الملك له : القوات والأسلحة والخيول ، والخيام والأموال ، غادر نابولي وذهب الى برنيزي حيث وجد السفن مستعدة ، كما أمر الملك ، فصعد الى ظهورها مع قواته ووصل الى كلارنتسا في اليوم التالي.

وعندما سمع كل الموريون أن الأمير قد وصل الى كلارنتسا مع الجيوش والقوات التي كانت معه صحيحا معاق ولا ينقص منها أحد . سمع الغنائم وثروة مرعبة كسبوها في المعركة التي خاضوها مع كونرايين ، أثنى الجميع على الأمير وعلى البابا المقدس ، وأقام كل الناس في المورة احتفالا كبيرا وأظهروا إخلاصهم للأمير وقبالة

الفرسان وابتهج كل واحد بصديقه أو قريبه ، وحمد الجميع الرب عندما رأوا أنهم عادوا .

وطلب الأمير أن يعرف الحقيقة حول كيف توفرت الذريعة التي أدت إلى خرق السلام ، وأخبره أولئك الذين كانوا يعرفون أنهم قد بدأوا الحرب وأصبحوا حائذين بالقسم الآن ، وكان بعض الناس قد أخبروهم وهم يتمنون أن يكون هذا حقيقا ، بأن الأمير قد قتل في المعركة التي خاضها الملك ضد الألمان (٧١٨٢ - ٧٢١٧) وعليه أجاب الأمير قائلا إن الذرائع لا تنقص أبدا الرومان الكفار ولأنهم منفيون بالحنث بالقسم فإنهم منفيون بنوايا شريرة أخرى ، وعليه استدعى الأمير ، أمير كارتانيا وقال له : يا بن أخي الطيب ، خذ معك الفرنجة الذين احضرناهم معنا من أبوليا والذين كافأنا وساعنا بهم الملك حتى يساعدونا ويحاربوا الرومان معنا وليكونوا معك في سكورتا على طول الجبهة ليحرسوا أرضنا ويربكوا الرومان .

وعند سماع ذلك وافق السير جيوفري أمير كارتانيا عليه بحرارة ، وبدأ له الأمر مغريا لأنه فكر ورجا أنه بهذه القوات سيلحق الدمار بالروم ويحمي أرضه (٩٨) وأخذهم ونهبوا إلى أرض سكورتا ، وهناك وجههم أن يستقروا ويتخذوا مواقع لهم في القرية التي تدعى أراكوفا العظيمة (٩٩) والتي تمر عبرها جبهة سكورتا ضد الروم ، ليقاتلوهم ويحموا الأرض. وعليه حدث ربما بسبب الخطيئة أنه قبل مرور شهر أو شهرين وربما بسبب المياه البارية في تلك البقعة أصيبوا جميعا باضطرابات معوية وتوفي معظم الفرنجة الذين كانوا في مدينة أراكوفا ، ولم يجد أمير كارتانيا راحة ، حيث أنه أخذ كثيرا ممن بقوا ممن كانوا أصحاء بدرجة كافية لحمل السلاح والركوب ومضوا إلى المعركة ومرة تلو الأخرى كانوا يواجهون الروم ويلحقون بهم قدرا كبيرا من الدمار .

وعليه بسبب خطيئة الأرض هاق بفرنجة المورة في ذلك الوقت

النحس وسقط أمير كارتانيا الشهير صريع مرض رهيب وخطير وانتصرت طبيعة الانسان وأخذ الموت ، أنظروا الضرر العظيم ، الذي حل (٧٢١٨ - ٧٢٥٣) بالمورة في ذلك الوقت وماتبعه من حزن عظيم ، وحزن الأمير أيضا عليه وبكاه الجميع صغيرهم وكبيرهم ، واأسفاه على المصائب الفادحة الذي ألم بالمورة في ذلك اليوم ، ومن الذي لم يحزن؟ لقد كان للايتام أبا ، وللأرامل زوجا وكان أميرا وحاميا لجموع الفقراء ، لقد حمى كل الناس من الظلم ولم يدع فقيرا يعاني من صعوبات سوء الحظ ، ولا رجلا جديرا أن يحيق به الفقر ، أنظر سوء الحظ الذي وقع في ذلك اليوم ، أن يذهب مثل هذا الرجل والجندي الشهير ويستم كل من أحبه ، حسنا كما حدث لسوء الحظ ، أنه لم يكن له وريث ، فلم ينجب ولدا من صلبه ، ليرث القلاع والمقاطعات التي كان يملكها في المورة ، وفي شعاب سكورتا والأماكن الأخرى قسمت الأرض قسمين ، أخذ الأمير واحدا لأنه كان صاحب السلطة وأخذت الآخر زوجته كمهر وكان مستحقا لها (١) ، والآن كانت هذه النبيلة أخت السير غوليوم ، دوق أثينا ، وكان يدعي الأمير العظيم ، وكان اسمى من الهيلينيين (٢) والآن بعد أن مر بعض الوقت ، الشهور والأيام ، أرسل الأمير العظيم الى مملكة أبوليا مبعوثين حصيفين الى كونت بريين ، وكان يدعى السير هوغ وكان كونت ليكس وعقدوا اتفاقا أن يأخذ (أخت الأمير العظيم) السيدة كارتانيا زوجة ، وبعد أن توصلوا الى هذا الاتفاق قام الكونت بالعبور ونهب الى المورة ، الى مدينة اندرافيدا ونهب الأمير العظيم أيضا إليها من مدينة طيبة ، وعندما التقيا توصلوا الى تفاهم مع بعضهما بعضا ، وأرسل الى سيدة كارتانيا ، فجاءت ، وهناك (٧٢٥٤ - ٧٢٨٤) تزوجها الكونت هوغ بريين ، وبعد أن أنصرف الى القلاع والبلد التي كانت له في المورة من النبيلة ، أخذها وقاما بالعبور ونهبا الى أبوليا ، ولم يمر وقت طويل كما أراد الأمير قبل أن تحمل النبيلة من الكونت هوغ وتلد ابنا رائعا ، سمي غوثير ، أصبح مولعا بالسلاح والغزوات وشهيرا ومحمودا من كل ممالك الغرب (٣) ، وبعد فترة من الوقت تسولي السيرغي دي

لاروش ، الملقب بالأمير العظيم ، ودوق أثينا وانتقلت أرضه
بوسلطة الى الكونت غوتير ، ابن الكونت هوغ ، الجندي الجدير
بالثناء الذي أتحدث لكم عنه ، وكان ابن عم لالسير جيوفري ، وهكذا
جاء وتسلم الميغالومريت ، وأصبح دوق أثينا وأميرا بالوراثة وهكذا
وجد في ذلك الوقت أن الكاتالان الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت
الصحبة (العظام) (٤) قد جاءوا الى هالميروس ، حيث جاء بهم
دوق أثينا لالسيرغي بتوقيع وبالاتفاق على أنهم سيذهبون الى
المورة ، ويغزون الأرض ويستولون على الامارة من أجل
زوجته ، التي كانت الوريثة والتي كانت تدعى ماهوت - وكان
أمير تارنتو يمسك املاكها ، امارة أخيا بطريقة غير مشروعة
(٥) وعندما وجد الدوق لالسير غوتير أن الصحبة قد جاءت وكانت
تصحب معها ألفا وأكثر من الترك (٧٢٨٥ - ٧٣٠٩) توصل الى
اتفاق معهم مع معاهدات عظيمة لشن الحرب على رومانيا
والاستيلاء على ولاشيا ، وحالما استولوا على قلعة دوموكس ، حل
بينهم النزاع والقتال العنيف ، واعتذر الكاتالانيون في خضوع
للدوق ، ولكنه بالفرسة التي من شيم القرنجة وبناء على المشورة
الفايدة التي اعطاها الآخرون له تولى حربهم وخسر
المعركة ، وأسر خلالها وقطعوا رأسه وأخذوا أرضه وما زال
الميغالومريت ، والصحبة اليوم أمراء فيها ، ووقعت المعركة في يوم
الاثنين الخامس عشر من آذار من السنة الجارية من السنوات
٦٨١٧ منذ خلق الكون وفي الخمس عشرة الثامنة (٦) .

وسأوقف هنا عند هذه النقطة عن الكلام والكتابة حول كونت
بيرين ، الذي كان دوق أثينا ، وسأخبركم بقصة أخرى ، حول ما
حدث خلال الوقت الذي كان فيه الأمير غوليوم في السجن في
القسطنطينية ، وأطلق سراحه بناء على الاتفاقات التي أبرمها في ذلك
الوقت والتي سمعتم بها في الحقيقة في هذا الكتاب ، والآن في ذلك
الوقت ، أعطى كرهينة لدى الاميراطور أخت خودرون
(٧٣١٠ - ٧٣٢٦) وابنة أمير باسافا ، الذي كان مارشالا عاما
للامارة كلها (٧) .

حسنا وبينما كانت هذه الشخصيات النبيلة رهينة مقابل الأمير هناك في القسطنطينية حدث أن توفي أمير اكوفا (٨) ، السير غوتبير روربير ، ولم يكن له وريث من صلبه سوى ابنه المارشال جين دي باسافا ، الذي كان قد اتخذ أخته زوجة شرعية له ، وأنجبا ابنة كانت تسمى مدام مرغريت (٩) ولأنها كانت رهينة في ذلك الوقت في المدينة (وضعها الأمير هناك في مكانه) ، ولم يتصانف وجودها في المورة ، ضمن الشروط بأن تذهب الى الأمير لتسلم منه اقطاعية اكوفا التي كانت وريثة لها .

واحتفظ الأمير بالاقطاعية لنفسه ، وعندما عانت النبيلة مدام مرغريت من حيث (٧٣٢٧ - ٧٣٦٣) كانت رهينة مقابل الأمير غوليوم وراحت تطالب باقطاعية اكوفا اجابها الأمير بهذا الجواب : إنه بعد مرور السنة ويوم من وقت امتلاكها لهذه الاقطاعية ولم تأت الى محكمته للمطالبة بها ، كما تشترط اعراف الأرض وعاداتها ، فإنها تفقد ما ملكته ايا كان وانه لن يعطيها شيئا (١٠)

وعندما سمعت النبيلة هذا دهشت ، لأنها لم تتوقع مطلقا أن تجد لدى الأمير مثل هذا الجواب الذي اعطاه لها ، لأنها كانت في السجن كرهينة من أجله ، وفي الحقيقة أنه هو نفسه ، قد وضعها هناك ، وهي لم ترتكب عملا شريرا ، لأنها لو كانت في المورة مرتاحة لما وقعت مطلقا في ارتكاب خرق للعادات ، ولكن حيث أن الأمير قد وضعها كرهينة وسجينة من أجله ، فانها لم تتوقع أن يقدم على مثل هذا الخداع وتلك الذرائع وذلك الجواب ، ومع ذلك عندما انركت السيدة مرغريت وأولئك الذين كانوا مؤيدين لها ومشاورين أن أمير المورة لن يعيد حقا اليها ، غابت وعانت حزينة الى بيتها ، والآن وبعد مرور وقت قصير ، شهر وأكثر ، عانت النبيلة فذهبت الى الأمير مع المشورة والرفاق الذين كانوا معها وطالبت بقلمة اكوفا وجوارها وكل البارونية وقامت في الحقيقة بالمطالبة الثانية

والثالثة ، وكان الأمير يعطيها الجواب نفسه واتبع خط السلوك نفسه كما في المناسبة الأولى .

وعندما سمعت السيدة مرغريت جيداً أنها لن تجد مطلقاً حقاً لدى الأمير طلبت من كل أصدقائها وأقاربها أن يشيروا عليها كيف تنصرف حتى لا تفقد حقها وتحرم ، وهؤلاء إلا حكم الذين كانوا يحبونها أشاروا عليها بالزواج من رجل عظيم (٧٣٦٤ - ٧٤٠٩) داهية وذي نسب رفيع ، وهو بحكمته ومع أقاربه سيمكنونك من حق الانتفاع بممتلكاتك ، ووافقت البارونة الحكيمة في الحقيقة وقبلت الزواج ، وعليه عمل القادة في عائلتها معا فتزوجت زوجها نبيلاً ذا نسب رفيع وهو أخو النبيل السير نيكولاس دي سانت أومر وأمير طيبة ، وكان السير جين أيضاً يحمل اللقب نفسه دي سانت أومر وكان لها أخ ثالث يدعى السير أوثن ، وعندما تزوجها حصل على لقب مارشال قابل للتوريث ، وكان هذا في الحقيقة من توابيع تلك المرأة ، وكان آل سانت أومر من ذوي النبالة الرفيعة ، وكانت أمهم الأخت الشرعية لملك هنغاريا وأباهم السير بيل وكانت هي الزوجة الشرعية ، وأنجب هذان الاثنان معا هؤلاء الأمراء الثلاثة وكان لوق أثينا الأمير العظيم ثلاثة أخوة آخرون ، وكانوا أبناء عمومة مباشرين لآل سانت أومر أي أن قرابتهم كانت من الدرجة الأولى (١١) ، وبعد أن تزوج السير جين من السيدة النبيلة مرغريت ، لم يرغب بأي طريقة أن تتأخر مسألة أكوفا وأن لا يطالب بها في محكمة أمير المورة ورجا أخوته وذهبوا معا ، ووصلوا الى المورة ، وذهبوا مباشرة الى كلارنتسا ، وهناك وجدوا الأمير مع قاداته ، وقد عقبوا برلمانا لمعالجة قضايا معينة كانت لديه وأمضوا يومين دون أن يتقدموا بأي طلب ، ولعبوا واحتفلوا مع الموريين (١٢) . حسنا ومضى يومان وجاء السير جين مع أخويه ، من آل سانت أومر ومع زوجته التي كانت الوريثة ، وذهبوا الى حضرة الأمير ، وقدمت نفسها كوريثة لكل أملاكهم ثم قدمت زوجها كوكيل وزوج ، كما تفترض العادات ، (١٣) وفي هذه اللحظة قال السير جين له على الفور : أيها الأمير سيد المورة ، أطلب وأتوسل اليكم وأنتم أميرنا ، وأنا

وريث ، أن تأمر بجمع قانتك ، وقادة فرسان المورة والفرسان التابعين ، ليسمعوا منك ما سأطلب به وأن تحكم (٧٤١٠ - ٧٤٥٢) لي بالعدل لأحصل على القرار الذي أريد بموجبه أن أنال الحق طبق أعراف المورة وأنا لا أطلب أي محاباة ، بل أطلب حقي .

وعليه أجابه الأمير بنفسه وقال له : « بكل سرور ، وطالما أنك تطلب الحق فاني مستعد أنا ومحكمتي كي نمن به عليك » .

وأمر الأمير على الفور قادة الفرسان وأيضا التابعين من الامارة بالمجيء ، وجلسوا معا جميعا في سانت صوفيا ، حيث كان الأمير يقيم في اندرافيدا ، وبناء عليه نهض الأمير المسن السيد نيكولاس دي سانت أومر وأمسك بيده اليمنى أخته ، وزوجة أخيه ، السيدة مرغريت وقال للأمير : « ياسيد المورة ، إنه الحق الذي يعرفه كل واحد في الامارة ، أن أختي التي تقف هنا في حضرة سيانتكم ، هي ابنة أخ أمير أكوفا ، السيد غوتبير ولقبه دي روزيير ، وأختي هذه هي ابنة أخته ، وحيث أنه توفي دون ولد يكون وريثا له من بعده ، فإن الأرض وقلعة أكوفا آلت الى أختي ، وهي الوريثة ، وكما تعرف ياسيدي ، انها كانت رهينة عنكم في القسطنطينية - وأنت الذي وضعتها هناك بنفسك ولم تكن هنا خلال فترة السنة التي تلت وفاة أمير أكوفا ، حتى تأتي وتقدم نفسها الى حضرتك ، كما هو مشروط في أعرافنا في كل الامارة ، خلال الأربعين يوما وخلال العام ، وهي حقيقة لم تخطئك ، ولم تخطيء هي أيضا بأي شكل ، حيث أنها كانت في السجن ، حيث وضعتها وقد وضعتها رهينة وخرجت أنت من هناك .

وعندما أطلقت سراحها وجاءت الى الأرض هنا ، فهمت في الواقع على الفور وجاءت الى حضرتكم (١٦) كوريثة شرعية لأكوفا ، وقدمت نفسها اليكم وطلبت الحق منكم ، وأجبتموها بأنه لاحق لها ، واستمرت في الرجوع اليكم مرات عديدة وهي تطلب

الحق منكم ، ولم تعقدوا لها مطلقا محكمة ، ولكنكم بنفسكم فقط كنتم تقولون بأنه لاحق لها وهي كامراة بدون من يشر عليها وبلا أصدقاء عانت الى بيتها يائسة ، وانتظرت أن يأتيها العون (٧٤٥٣ - ٧٤٩٥) من الرب واليوم برضى الرب ، تزوجت رجلا نبيلًا ذا نسب عظيم ، يمكنه هكذا أن يحمي حقها ، كما يليق بأي رجل نبيل أن يفعل ، ولهذا السبب متلا أمام سيادتكم وجئت أنا ، أخوهم ، لأقدمهما كليهما لكم ، الواحد كوريث والثاني كوكيل عنها وهما يلتمسان حقهما ، وأنا أطلب منكم وأتوسل اليكم ، أن تمنحوهما الحق المتوجب لهما وتعطوهما حق المنفعة في القلاع والولايات في أراضي أكوفيا . وهم مستعدون كي يقدموا لكم ما هم مدينون به من خدمات وولاء وتحالف « (١٥)

وعليه أجاب الأمير بنفسه وقال للسير نيكولاس دي سانت أومر : « لقد استمعنا بدقة كما فعلت محكمتنا ، للكلمات التي نطقتم بها ولقضييتكم ونشهد ونعلن بأن ما قلتموه حق وأنه في ملاحظتي وفي قضيتي ، فقدت أختكم النبيلة وحسرت من أملاكها واقطاعتها ، أرض أكوفيا وعليه أجيبكم ، وأسألكم إذا ما كنتم تطلبون منا أن نعطيكم الحق حسب القانون أو أن تطلبوا منا منحة أمير أو حكمته ، لأنها أعيتت بسبب قضيتنا حتى لم تسكن معنا في امارتنا وهي مرتاحة خلال المهلة المشروطة في أعرافنا لتجعل طلبها صحيحا وتلتمس الحق »

وعليه أجاب السير نيكولاس وتوجه الى الأمير بهذا الجواب : « سيدي أمير المورة اتوجه لسيادتكم إذا كان لي الحق أن أعرف أن أختي التي هنا لم تطلب بحق ، القلعة والولايات ، وأرض أكوفيا ، ثم أنه مما يناسبنا أن نطلب منة ، ولكن في هذه الحالة إن طلب الحق صحيح ، كما تعرفون أنتم لأن أختي كانت محتجزة في السجن بدلا منكم ولم تكن قادرة بأي وسيلة على أن تخرج من هناك لتأتي وتتقدم للمطالبة بأموالها في أكوفيا . وعليه فاني لا أطلب منكم منة بل حقا فقط كما يتطلب القانون ويقضي (٧٤٩٦ - ٧٣٥٢)

وبناء عليه أجابه امير المورة ، وقال للسير نيكولاس دي سانت أومر : « طالما أنه لاجاجة لمنه مني ، وتريد المطالبة بالحق أمام محكمتي ، فأني أعلن وأشهد لك ، وأؤكد صدقا أن الشر سيحيق بي من الرب كما سيلحقني لوم كل الناس اذا حرمتك من هذا ، وعليه أريد تسوية الأمر باهتمام وتفريق وطبقا لأعراف الأرض حتى لا أرتكب خطأ يلومني عليه الرب والقديسون وكل الناس ، وأريد من قادة الفرسان والأساقفة والفرسان الاتباع في كل الامارة أن يجتمعوا حتى أقدم لهم القضية حتى يحكموا فيها بخوف من الرب طبقا لأعراف المورة ، التي أعطاهام الامبراطور روبرت لأخي المبارك الأمير جيوفري عندما عقدا اتفاقا وجعل منه صهرا .

وعليه أمر الأمير بكتابة الرسائل لكل قادة الفرسان في كل الامارة وللأساقفة أيضا والفرسان وجاءوا وتجمعوا في كلارنتسا ، ودخلوا كنيسة سانت فرانسيس في (دير) المينوريت وجلسوا للحكم ، كما هو العرف ثم قال الأمير للسير نيكولاس : « أريد أن أعرف منك من هو المحامي الذي يلزم أن يتحدث عن أختك ، ويقدم الدعوى ويخاطب المحكمة » (١٦) وأجابه أنه هو نفسه الذي سيتكلم ويجب على كل ما يخص المحاكمة حول مسألة قلعة أكوبا ، وأجاب الأمير على هذا قائلا : طالما أنك تتعهد بأن تكون المحامي في هذه المسألة المتعلقة بالسيدة مرغريت فحبا لك ولصحتك ، سأصحبك وسأعين نفسي محاميا للدفاع والمحافظة على حقوق المحكمة (١٧) (٧٥٣٣ - ٧٥٧٨) .

وعليه استدعى الأمير المحكم وكان اسمه السير ليونارد وكان من أبوليا (١٨) وكان رجلا حكيما جيد الثقافة والعلم ، وكان يتخذ منه صديقا مؤتمنا وعنصرا رئيسا في مجلسه وأعطى الصولجان والعصا اللذان كان يحملهما في يده كما هي العادة بين القادة والأمراء في كل أنحاء الدنيا ، وقال له : « إنني أسلمك السلطة التي أملكها حتى تقف في المحكمة لتحكم وتحافظ على الحق بالقانون

وبالمشورة والرفعة الموجودة هنا في هذه المحكمة ، واني أضعك أمام قسمك بالمسيح وأمام نفسك أنك انت وكل الذين يجلسون معك هنا في المحكمة سيحافظون جيدا على حق النبيلة السيدة مرغريت وكذلك على حق المحكمة»

ثم تولى السير نيكولاس وصف وتلخيص مسألة أكوفا ، وكيف أن السلطة على هذه الممتلكات انتقلت الى المارشالة السيدة مرغريت كما سمعتم هنا أعلاه في كتابي مما لا أمل للكتابة عنه لكم مرة أخرى لأنه سيكون مزعجا وسيتعبكم جميعا .

وعندما أنتهى مما كان عليه قوله ، بدأ عندئذ الامير بدوره ، الكلام ليقدم الأسباب والأعذار والدفاعات والبيانات ضد ماأعلنه وقاله السير نيكولاس كما هو معروف في الدعاوى القانونية وفي كل المحاكم حيث يعلن كل انسان مايعرفه أنه معالجة ، وبعد أن قالا الكثير وكثر الكلام أمر الامير بأن يقدم الكتاب الذي دونت فيه أعراف الأرض فوجدوا فيه مكتوبا الفصل الذي يشرح بالتفصيل ويفسر أن التابع ملزم بأن يفعل مايلى : اذا حدث أن أسر أميره من قبل عدوه واحتجزه في سجنه مقيدا بالأغلال ، فإن السيد (الأمير) قد يتطلب منه (التابع) ويطلبه أن يدخل السجن كرهينة عنه ليحرر سيده من الأسر ، ويطلب منه بموجب الأعراف وطبقا لما يفرضه القانون أن يذهب بنفسه الى السجن بشخصه ، وعليه فإن أميره ملزم بدوره بأن يعمل على اطلاق سراح (٧٥٧٩ - ٧٦٢٢) تابعه من السجن الذي دخله بدلا منه (١٩)

وكان كل من كانوا في المحكمة في ذلك الوقت مياالين للرأي التالي وقالوا بحكمة كبيرة بأن المارشالة كانت مخولة بأن تحصل على الأملاك ، وارااضي قلعة أكوفا ، طالما أن الامير بنفسه قد أرسلها وكانت رهينة في سجن المدينة بدلا عنه ، وعندما قدم الأمير كتاب القانون توقفوا وتمسكوا حصرا بهذا الفصل ، فقديبين

بالكتاب ، وبأعراف الأرض أنه بالحق الملزم كانت مرغريت ملزمة بهذا الفعل ، وأنه لم يخطيء بأي شكل معها ، لأنها في الحقيقة لم تظهر لتطالب بحقها في الأملاك ضمن المدد المشروطة بموجب الأعراف .

فالتزموا مرة أخرى وعادوا فقالوا حيث انها كانت ملزمة بهذا العمل بخول السجن لأن سيدها الذي تتبعه قد طالبها بذلك وهو مانتقضي به الأعراف ، ولم يتصانف وجودها في المورة ضمن المدد المحددة للظهور في حضرة الأمير لمطالبته بالحق وانقضت تلك المدد ، فقد فقدت حقها ، وأعطوا القرار بأنها قد سعت بدون طائل .

ودعوا الأمير والسيد نيكولاس ومثل الاثنان أمام المحكمة وتكلم المحكم وهو من رجال الأمير موجه الكلام اليهما والقي الخطبة ، حول كيفية اتخاذ المحكمة للقرار وما انتهت اليه طبقا للقانون ، وبين لهما بالتفصيل الحق والأسباب التي أدت الى ربح البلاط لقلعة أكوفامع ولانها والمقاطعات المحيطة بها، حسب أعراف المورة وكما يقضي القانون .

وبسماع هذا شكر الأمير كما هي العادة في المحاكم ، المحكمة لربحة القرار ، ولكن المارشال السيرجين لم يكن ليقدّم شكره بأي طريقة ، وبعد ذلك طلب النبلاء وقادة الفرسان من الاتباع الآن بالرحيل وأعطاهم الأمير الأذن بذلك ، وغادر كل منهم الى حيث يريد ويرغب وهكذا تفرقت المحكمة وذهب كل منهم الى حيث يحتاج ان يذهب .

وبعد ذلك استدعى الأمير المحكم وقال له سرا بحكمة كبيرة « أقسم لك أيها المحكم (٧٦٢٣ - ٧٦٧١) بحضوركم ياسيدي بدا لي هذا الحكم الذي صدر محزنا ، وأن النبيلة السيدة مرغريت قد جردت من القلعة والاقطاعية وتوابع أكوفامع كما وأخشي حقا

وأعرف أنه صحيح لأنني وضعتها في السجن حيث كانت ، ولهذا السبب لم تجد الفرصة لتكون هنا خلال المد والفترات التي كان يفترض أن تأتي خلالها وتمثل في بلاطي للمطالبة بأقطاعية أكوفا التي كانت من أملاكها ، وسأخبرك كيف حدثت هذه الخطيئة ، ففي الوقت الذي أتوا الي فيه وأخبروني بأن أمير أكوفا كان يموت (ولأن السيدة مرغريت كانت في السجن وهي التي كانت ستؤول اليها الأملاك لأنها كانت وريثته وابنة أخته) دفعني نزوة الى تناول الكتاب ، ذلك الذي بونت فيه أعراف الأرض ، وتصادف أن وجدت الفصل الذي يبين ويثبت ، ويذكر ويفسر بأن الانسان التابع أيا كان هو ملزم بدخول السجن ، اذا طلب منه سيده ويفسر ذلك من أجل أن يتحرر هو نفسه من السجن ، وبعد ذلك يكون هذا السيد ملزم بتحريره من أسره في هذا السجن ، وكما افترضت وكما وجدنا في القانون ، حيث ان المارشالة كانت في سجن المدينة رهينة عني ولم تكن قادرة على الظهور في محكمتي ضمن الفترات المشروطة بموجب القانون ، فانه كان حقا أن تحرم وأن تفقد أملاكها ، ثم ادركت وقلت في ذهني أنها طالما أنها كانت في السجن بدلا مني وأنها فقدت الأملاك التي آلت اليها فان الذنب واللوم يقعان علي مع ذلك ، ولهذا السبب وصلت الى قرار وفيه أن أترك لها نصف البارونية وأن أعطي النصف الثاني لمرغريت ، ابنتي الاصغر لتكون ملكا لها ، وقد رأيت أن آل سانت أومر قد جاءوا الى هنا في تبجح وتعال وغطرسة كبيرة ، وبدا هذا مؤسفا لي ، وغضب قلبي ولهذا السبب سألت السير نيكولاس في ذلك الوقت ما الذي كان يلتمسه في بلاطي ؟ هل هو المنحة أم الحق ؟ فأجابني بغطرسة كبيرة بسأله لا يريد ان يتلقى مني أي منحة بل الحق فقط ، الذي يخص السيدة مرغريت ، ولهذا السبب أمرت بأن يؤتى بالكتاب الذي يحوي قانون المورة والذي بونت فيه الأعراف حتى نحاكم بها ، فقد تذهب بذلك غطرستهم لذا أحلت الأمر الى (٧٦٧٢ - ٧٧.٤) حكم القضاء »

حسننا والآن وقد حكم اتباعي بموجب القانون بتجريد السيدة مرغريت ، أريد أن أنعم عليها بمنحة ، تعرف لدى كل من يسمع بها وللذين لديهم الحكمة والمعرفة وفي هذا المجال لدى معرفة بما هو مكتوب في السجل (٢٠) ان بارونية أكوفا بكل توابعها تعادل استحقاق أربع وعشرين فارسا ، وعليه أريد منك اذا كنت تحبني أن تدعو كولنيت وهو المسؤول عن تسجيل المنح الاقطاعية لكل الامارة ، ودع الشيوخ في بارونية أكوفا يحضرون وليجلبوا معهم المحاضر التي يملكونها (٢١) وقم بهذا التقسيم لكل البارونية : اقسم ثلثا وأختر الأفضل له ، وعندما تصبح الحصص ثمانية أريد خمسة منها كلها من الأفضل ثمنا من الأرض ، وأفضل الثلاثة الأخرى عن الأولى بالعائدات وأجعل لي مزية فرنجية مكتوبة تخولني منح هذه الحصص من أكوفا وهي في الحقيقة ثلث البارونية للسيدة مرغريت كمنحة وهدية جديدة لها ولأولادها (٢٢) .

ونفذ المحكم على الفور وبلمهفة كبيرة أمر الأمير ، ووضع المحكم بنفسه الخاتم على هذا الامتياز وأحضره الى الأمير وقدمه له ، وقرأه الأمير وبدا له سليما ورفع ملاءة سريره ووضعه تحتها وقال للمحكم : « اذهب بنفسك وأحضر السيدة مرغريت هنا وقل لها اني في حاجة اليها وأود أن أتحدث معها » وذهب المحكم اللوغوثيت على الفور وأحضرها ، وعندما جاءت المارشالة قال لها الأمير : « اني استحضر الرب كشاهد (٧٧٠٥ - ٧٧٤٩) علي يا ابنتي الطيبة على الرغبة والنية اللتان شعرت بهما نحوك ، وأنا أقدم لك عملا على سبيل المجاملة والمنحة بالنسبة للأملاك التي كانت ستنتقل اليك بارونية أكوفا ولهذا سألت الشيخ السير المسن نيكولاس ذلك الوقت عندما جئتم الى المحكم : ماذا كان يفضل ويريد مني الحق أو المنحة ؟ وأي الاثنين يريد ، وهو بفطرسه وتعاليه قال انه ليس في حاجة لأن يقبل مني أي منحة ، بل يريد الحق من الحكمة ولهذا السبب أحضرت كتاب القانون : وقدمته للمحكمة وبعد ذلك حكمت بيننا ، وحيث ان المحكمة قد أعطت حكمها فليس على أن أقدم لك شيئا ولكني بفعل الانعام ، وأنا أعلم حقا أنه

كان لأجلي أنك وجدت نفسك رهينة في المدينة عندما آلت اليك بارونية أكوفا ، ولأن لدي شعور عميق بالعطف نحوك فقد فصلت ثلث البارونية أعطيها لك كهدية جديدة قابلة للتوريث لك ولولادك . أرفقي أغطية السرير وهذا اللحاف وستجدين امتيازك فخذه مع مباركتي » .

وتقدم المحكم وأحضر الامتياز وأعطاه للأمير ووضعه بين يديه ، وخاطب الأمير السيدة مرغريت : « تعالي يا ابنتي حتى أنعم عليك » واقتربت منه فأعطاه الوثيقة ، وخلع قفازه ، وبه قلدها الانعام ، وهي كامراة حكيمة تلقته بسرور وبانحناء خفيفة وشكر عميق ، ثم ودعته وذهبت الى بيتها ووجدت هناك السيد جين زوجها فأظهرت له سرورا عظيما وأخبرته بالتفصيل بما فعلته هناك حيث جاءت وبأمر الهدية التي تسلمتها والمنحة التي نالتها من أمير المورة ، وهي ثلث أكوفا ، وعند سماع هذا رفع السير جين يديه ، وكان سعيدا جدا وحمد الرب لأنه لم يكن يأمل مطلقا ولم يتوقع ان يحصل على جزء من السيادة على بارونية أكوفا ، والآن بعد أن فعل الأمير هذه الأشياء التي اكتبها لكم ، استدعى المحكم وأمره أن يكتب امتياز آخر بأحد الأجزاء الباقية من القلعة وأرض بارونية أكوفا ، قائلا أنه قد أعطاه ملكا لابنته مرغريت وكنت قد أخبرتكم ان هذا كان اسمها (٢٣) (٧٧٥٠ - ٧٧٨٠)

فكتب وختم ودعاها وأعطاه لها ، وقلدها الانعام على الفور وأدخلها في حق الانتفاع ومنحها صلاته ، ودعواته بأن تملكها وترثها ، ومع كل ما أخبرتكم به ، من كتابة ووصف وأخرى أيضا كثيرة ومتعددة ، لايمكنني أن اكتبها لكم مما أنجزه للأمير غوليوم ورتبه وأقامه ، وكما هي الحقيقة الطبيعية في الجنس البشري ان كل من يولدون يذوقون الموت ويموتون ، وجاء الوقت ليموت الأمير ليذهب الى الجنة ويغادر الدنيا ، فسافر الى كالاماتا التي أحس نحوها بحنين عظيم لأنه ولد هناك وكانت من أملاكه ملكا خاصا مشروعا ، أعطاه الشامبني له ملكا موروثا عن أبيه السير

جيوفري العجوز من آل فيلهاردن ، وهذا لقبه وبعث برسائل الى كل مكان ، لقادة الفرسان والاساقفة وأصحاب الحكمة في كل الامارة ليمثلوا امامه ثم سقط في نزاع الموت الوشيك ، وتوسل اليهم جميعا أن يشيروا عليه بما هو الشيء اللائق الذي يمكن أن يفعله في النهاية الوشيكة لحياته .-

وكتب وصيته بدقة عظيمة ، فعين خودرون حاكما عاما وتركه نائبا على الامارة (٢٤) وكتب للملك شارل وتوسل اليه بأن يتولى ذقل بناته أولا ثم كل من في الامارة ، سفيرا وكبيرا الى حفظه وحماساته وأن يحكمهم جميعا بالعدل وبالنسبة الى اديرة الفرنجة وأديرة الروم أيضا ، التي أسسها وأقامها حتى تتوسط لدى ملك السامراء لكل النصرانية (٧٧٨٨ - ٧٨١١) باهداء صلواتها التي تنظمها بذلك الامتياز الذي منحه لكل منها ومثل ذلك يجب أن لا يتدخل أحد فيها أو يثير أي متاعب في أي جزء مما أعطاه لها ، ومثله ليس لأي انسان حي على الاطلاق ان يسيء الى الهدايا التي قدمها للناس الذين خدموه باخلاص وتفان ، وأوصى بأنه بعد موته ولكن ليس قبل مرور سنة كاملة أن توضع عظامه فقط في تابوت في كنيسة القديس يعقوب المورة في اندرافيدا ، هذه الكنيسة التي بناها وقدمها للهيكل وفي القبر الذي بناه والذي يرقد فيه أبوه وأخوه على أن يكون أخوه الى يمينه ويكون هو عن يساره وأبوه في الوسط (٢٥) بينهما وقضى بايقاف مال يصرف على أربعة قسوس يدعوهم كل الرومان هيريز (٢٦) ليتابعوا بون توقف فترة بعد فترة الانشاد ، والاحتفال بالصلاة الدائمة على أرواحهم وأمر بهذا كوصية تحت طائلة التأثيم والحرمان الكنسي ، ودونت كتابة حتى لا يتدخل فيها أي رجل في الدنيا ،

وعندما رتب كل هذه الأمور التي أخبرتكم بها وأمورا أخرى أيضا (لا أستطيع ادراجها لكم لأنني تعبت من الكتابة بسبب الكتابة الكثيرة التي تتطلبها) أسلم روحه وأخذتها الملائكة وحملتها الى

- ٤٩١٤ -

حيث يوجد الصالحون : خلبوا ذكراه كلكم فقد كان أميرا طيبا ، انظر الشر الذي حل والذي يجب أن يحزن له الصغير والكبير في المورة لأنه لم يترك ذكرا ، ابنا من صلبه ليورث الأرض التي كسبها أبوه بهذا العناء . (٢٧) بل على العكس أنجب بنات وذهبت جهوده هباء لأنه لم يوجد أنه قد شرع أن الابنة الأنثى ترث تركة أمير ، لأنه من البداية الأولى كانت اللعنة تلقى على المرأة ، ولم يكن مطلقا في حياته لأمير ينجب بنات يخلفنه أن يبتهج ، لأن كل مجده وسلطانة اللذان أعطاهما الرب له سيأخذهما الأصهار إذا وهبه الرب أصهار (٢٨)

والآن بعد أن توفي الأمير غوليوم كتب السيد جين دي خودرون الحاكم العام (وهكذا كان يسمى في كل الإمارة ، قد بقي في الواقع نائبا للأمير المورة) على الفور رسائل وبعث بالرسائل الى نابولي حيث كان الملك شارل ، وأبلغه بتفصيل دقيق بموت الأمير وحالته (٢٩) وعندما سمع الأمير ذلك حزن على نحو مومج ، وأمر بدعوة قادة مجلسه ، وسألهم المشورة حول أرض المورة وكيف يحكمها ، وأشار عليه مجلسه ان يرسل رجلا بالغ الحكمة ، وجنديا خبيرا ليكون نائبا وحاكما في كل الإمارة وان يعطي الأذن والسلطة وأن يحكم طبقا لرغبات وخير أهل الأرض ، وعليه عين فارسا موثوقا واسمه روسو ولقبه دي سللي ، وكان رجلا نبيلًا وجنديا خبيرًا (٣٠) - وأعطاه خمسين من المرتزقة (٧٨٤٠ - ٧٨٧٩) بخيولهم ، و ٢٠٠ من حملة الأقواس قاذفة السهام وكلهم من أرفع الدرجات ومن الجنود الرائعين الذين أمره الملك بأن يضعهم نيابة عنه في حماية قلاع المورة : وأصدر اليه الأوامر ، التي أخذها معه ، والى الأساقفة ، وقادة الفرسان والفرسان والزعماء الذين كانوا في المورة في حينه ، حيث حمل رسائل من جانب الملك ، وترك نابولي مع هذه القوات ووصل الى كلارنتسا في أوائل ايار ، والآن عندما وصل أرسل رسائل خطية الى أساقفة الأرض ، ولكل قادة الفرسان والفرسان تضم كتبها من الملك كان قد حملها معه ، وفي الوقت نفسه كتب لهم من جانبه ان يجتمعوا

في كلارنتسا ليروا الأوامر التي أحضرها من الملك ، وجاءوا عند استلامهم الرسائل ، وحالما تجمعوا كبيرهم وصغيرهم ، فتحوا الأوامر وقرأوها ، لقد أمر الملك كل الناس في المورة بأن يقبلوا روسو دي سللي كنائب للملك ، وكل من كانوا من الاتباع ودانوا بالولاء عليهم أن يؤدوا ذلك لروسو عن أملاكهم تماما كما لو كان هو الملك نفسه .

وحالما انتهوا من قراءة هذه الأوامر تشاور قادة الفرسان والأساقفة والفرسان أيضا حول كيفية تحرير أنفسهم ، وأغلقوا مطرانية باتراس ، وتولى السير بنوا الكلام عن الجمع وعليه تعهد بأن يخبر نائب الملك بأن كل رجال المورة صغيرهم وعظيمهم ، قد احترموا جميعا الأوامر والوصايا التي جاء بها من الملك وقبلوا به وتمسكوا به واحترموه كما لو كان الملك بنفسه ، ولكن الولاء وفعل التحالف اللذان أمرهم ، بأدائهما للنائب دي سللي لن يفعلوه مطلقا لأنهم بفعل ذلك انما يشربون عن الأعراف ، التي اشترطها قانون المورة والتي حصلوا عليها منذ زمن الاستيلاء والتي جرى اداء القسم عليها وكتبها الذين غزوا امارة المورة وملكوها (٧٨٨٠ - ٧٩٢٦) بالسيف ، (٣١) لأن قانون المورة وأعراف الأرض يشترطان أن الأمير ، السيد الحقيقي ، أيا كان عندما يتولى السلطة ، يجب أن يأتي بشخصه الى الامارة ليقسم قبل كل شيء للقوات التي في المورة وهو يضع يده على انجيل المسيح ، بأن يحميهم ويعدل بينهم ، وفق الأعراف التي تسود بينهم ، وأن لايزعجهم في الاعفاءات التي يملكونها ، وعندما يقسم الأمير بالطريقة التي أخبرتكم بها ، يبدأ عندئذ كل التابعين في الامارة بأداء الولاء للأمير لأن فعل التبعية الذي جرى عندما يتبادلون القبلة في الفم ، أمر مشترك بين اثنين ، وهكذا فان الأمير مدين بولاء طيب للتابع كما هي الحالة بين التابع وبينه ، وليس هناك فرق بصرف النظر عن المجد والتشريف الذي يلقاه كل امير ، ولكن اذا كان الأمير في أرض أخرى ويرغب في تعيين بعض الممثلين الآخرين ليتقبلوا الولاء الذي يدين التابع به ان الاتباع في

وعندما سمع روسودي سليلي بأن قسما لايد أن يكون ، أذعن على الفور للاقتراح وقبل به . وبناء عليه أمر باحضار الانجيل المقدس واقسم نائب الملك أولا ثم الرجال من الاتباع ، بأن يكونوا اتباعا مخلصين أولا للملك شارل وبعده لورثته ، كما هو العرف .

وبهذا تسلم روسو النيابة وشرع في مباشرة مهام منصبه التنفيذية فأخذ يغير الموظفين ويضع آخرين جديدا بدلا منهم ، فقير المسؤول عن تسجيل المنح الاقطاعية وأمين الخزانة أيضا ومتعهد المؤن للقلاع وكل امار القلاع ، ووزع حملة الاقواس بين القلاع ثم عين العمال المناحورين (٣٢) .

وهكذا بعد أن بدأت سيادة الملك في الانتشار تحت اسم الأمير السير لويس الذي كان ابن الملك وزوج ايزابو ، ابنة الأمير غوليوم لم يكد يمضي وقت طويل عندما لذنوب الموريين الكثيرة ولأنه لم يكن لهم الحظ ليكون لهم أمير طيب توفي السير لويس أمير المورة ٣٣ ، انظر الشر الذي حل بموته لأنه وعد وبدا أنه أمير طيب وكان الأخ الأصغر للملك شارل ، وهو ذلك الأعرج ، والد الملك روبرت ، وبعد أن توفي السير لويس آلت السيادة على المورة الخاطئة الى يد وسلطة الملك شارل (٣٤) °

وعند هذه النقطة إنني سأتوقف عن الكلام ، للحديث عن الملك شارل واخيه الذي كان يسمى السير لويس أمير المورة ولسوف احكي عن الأمير العظيم السير غوليوم دي لاروش الذي كان دوق أثينا وكان أميراً طيباً أيضاً ، وسأحدثكم أيضاً (٧٩٦٠ - ٧٩٩٥) عن كونت بيريين ، وكان اسمه السير هوغ ، وكان كونت ليكس التي حصل عليها من ابوليا من الملك شارل (٣٥) ، وفي تلك السنة وذلك الوقت الذي اخبرتكم عنه اعلاه في هذا الكتاب الذي تقرأونه ، عندما عاد دوق أثينا من فرنسا وجد أن الأمير غوليوم قد اسر في بيلاغونيا ، وكان في المدينة حيث كان الامبراطور يحتجزه في سجنه.

ولم يكن دوق أثينا في ذلك الوقت متزوجا وبعد ذلك توصل الى اتفاق مع السير تيودورس أمير الاشيا وأخذ ابنته زوجة له ، وأنجب هذان الزوجان ابنا هو الذي كان يدعى السيرغي دي لاروش ، والذي عاش في الواقع بعد وفاة أبيه وأصبح دوق أثينا ، وكان يسمى الأمير العظيم لرومانيا ، وعندما ارتقى وأصبح فارسا عقد اتفاقا مع الاميرة السيدة ايزابو ، وحيث أنه حصل على أرضه منها فقد أصبحت سيده ، واتخذ ابنتها زوجة له ، وكانت تدعى ماهوت وكانت في الحقيقة ابنة الأمير فلورنت . والآن عاش غوليوم دوق أثينا أباه ، سنوات عدة بعد موت غوليوم أمير المورة . وعندما آلت المورة للملك شارل كان أول نائب أرسله الملك الى المورة

هو روسو دي سللي ، وبعده أصبح دوق أثينا غوليوم نائبا للملك ، ووكيلا عاما على كل الامارة (٣٦) ، أرسل الملك أمره إليه من أبوليا أو البراءة كما كان الفرنجة يدعونها ومن ثم تسلم منصب النيابة وأصبح نائب الملك لبقية حياته ، وفي هذا الوقت في أيامه (٧٩٩٦ - ٨٠٣٣) بنى قلعة ديماترا التي كانت في سكورتا ، والتي دمرها الرومان ، (٣٧) ، واتخذ الأمير العظيم نفسه مركزه هناك حتى اكتملت قلعة ديماترا . وبعد فترة قصيرة توفيت الكونتيسة زوجة كونت بيريين والتي كانت أخت دوق أثينا السير غوليوم ، وكانت أولا زوجة الجندي الرهيب أمير كارتانيان كما أخبرتكم ، والآن أنجبت هذه الكونتيسة من الكونت ابنارائعا أسموه غوتير الذي عاش وأصبح فارسا جديرا ، جنديا شهيرا حقا في كل الممالك وقتل في هليمروس من قبل الصحبة (٣٨) .

والآن بعد أن ماتت هذه الكونتيسة بسوقت قصير وتوفي أيضا ، غوليوم ، دوق أثينا ، أعقب موته فوضى عظيمة ودمارا لأنه كان أميرا حكيما وادسانيا مع الجميع ، وحدث حزن عميق في كل الامارة .

وحدث بعد ذلك ما يلي : اسمع ما حدث / (٣٩) : كان الكونت هوغ دي بيريين مسرورا بالعبور من أبوليا حيث ذهب الى الموره ومن هناك سافر بدوره رأسا الى طيبة قائلا إنه يريد الدوقه ليعزيها ، لأنها قد أصبحت حديثا أرملة للسير غوليوم دوق أثينا أخي زوجته ، وبعد وصوله الى هناك ، رآها وتحدث معها وبقي أياما عديدة قائلا إنه يواسيها ، واختلوا معا كثيرا حتى أصبح كل منهما يرغب في الآخر ، وباتفاق طيب تزوج الكونت عندها بوقتة القانونية ، واتخذ زوجة الزوجة التي كانت زوجة أخيه ، وبعد اقتران الاثنين كما حكم الحظ ، حملت النبيلة ووضعت ابنة اسموها جانيت ، وحالما بلغت السن القانوني وأصبحت امرأة زوجها الى السير نيكولاس وكان لقبه سانودو (٨٠٣٤ - ٨٠٧٣) وكان دوق ناكسوس ، ولم يكن بين هذين

الاثنين اتفاق مطلقا ولسوء الحظ أنهما لم ينجبا طفلا كوريث يرث القلاع والأراضي التي كان يملكها السير نيكولاس.

والت المقاطعة الى الكونت هوغ دي بيريين بعد أن تزوج دوقه أثينا وملك السيادة على كل أراضي الامارة العظيمة ، وكان تحت وصايته غي دي لاروش طيلة فترة حياة والدته الدوقة ، والآن بعد مضي سنتين أو نحوهما ، توفيت الكونتيسة وذهب الكونت هوغ الى أرضه في ابوليا ، وعندما بلغ غويوت سن الرشد تسلم ولاياته : الامارة العظيمة واصبح فارسا وكان اميرا طيبا ، وكان يسمى الامير العظيم وهو لقب هيليني ، وكان دوق اثينا ، وكان له اسم عظيم ولكن بسبب الاثام ، حيث انه امضى عمره في الشر ، لم ياذن الرب ان ينجب وريثا من صلبه ليحكم الارض والمقاطعة التي كان والداه يملكانها (٤٠) .

وساتوقف هنا عند هذه النقطة ، عن الكلام عن السيرغي دي لاروش ، الامير العظيم وساتكلم عن السير نيكولاس دي سانت اومر وكيف تزوج واتخذ زوجة له اميرة المورة ، التي كانت زوجة الامير غوليوم . والان بعد ان توفي الامير غوليوم فان الاميرة زوجته (وكانت اخت الامبراطور كيرنقفور صاحب ارتا) بقيت ارملة ، وكانت في المورة وتملك عددا كبيرا من المدن ، وكانت تملكها وتديرها من سهل المورة ، وايضا في مقاطعة كالاماتا كانت تملك مدن نياتوكوري ، وبلاتانوس وغليكي ومدنا اخرى اضافة الى جانب هذه التي كانت لها السيادة عليها (٤١) .

وبعد ذلك حدث ان السيد نيكولاس دي سانت اومر العجوز ، وكان رجلا نبلا وعظيما لديه قدرا كبيرا من المال ، حيث توفيت زوجته الاولى التي كانت في الحقيقة اميرة مدينة انطاكية (ومنها حظي بثروة شهيرة ومال ، حدث كرجل نبيل ثابت الفكر ان توصل الى تفاهم مع اميرة المورة وتزوجها ، ولهذا السبب ذهب الى المورة وبقي معها (٤٢) وبثروته العظيمة ومقاطعاته التي كان يملكها

- ٤٩٢٠ -

شيد قلعة سانت اوامر التي كانت في طيبة ، وبنى هذه القلعة لتكون قوية للغاية ، وبنى ضمنها مساكن تصلح لملك حقا ، وأنشأها وبنائها وكسا جدرانها من الداخل بلوحات جدارية زيتية تصور كيفية غزو الفرنجة لسورية ، ودمر الصحبة بعد ذلك هذه القلعة بسبب خوفهم من الامير العظيم ، دوق اثينا ، الذي كان يسمى غوتير (الثاني) لئلا يستولى عليها ويحيط نفسه بالخنادق هناك ويتخذ منها موقعا دفاعيا قويا ، وبمساعدها يغزو الميغالو كيريت ، انظر الشر الذي ارتكبه الكاتالانيون الخداعون ، لتدمير مثل هذه القلعة ومثل هذا الحصن !

وبنى السير نيكولاس ايضا في مدينة مافيا تخوري قلعة صغيرة لتحمي ارضه ضد البنادقة ، وبعد ذلك بنى قلعة افارينوم مع نية وتوقع ان يهيمن على الملك ليعطيها له كاقطاعية قابلة للتوريث له ولابن اخيه المارشال الكبير وكان اسمه السير نيكولاس .

ثم مر الوقت بعد ذلك وتوفي الامير العظيم الذي كان نائبا للملك في المورة وعين بعده السيرغي الذي كان يدعى تريمولاي امير كالندريتسا نائبا للملك وحاكما عاما ، وبعد ذلك توفي تريمولاي ايضا ، وبعث الملك باوامر من ابوليا الى السير نيكولاس دي سانت اوامر ليكون نائبا للملك

وبعد ذلك تسلم منصب النيابة وبدا يتصرف ، ويحق الحق وينشر السلام في الارض (٨١٠٨ - ٨١٤٥) كرجل نبيل وحكيم تجاه كل الناس (٤٣) وخلال زمن حكم السيرنيكولاس دي سانت اوامر العجوز ، امير طيبة ، الذي كان نائبا للملك في المورة خلال تلك الايام ، كان هناك فرنجي نبيل من شامبينين ، وكان يدعى السيرجيوفري دي برويير ، وكان ابن عم الامير كاريتانيا ، وعندما سمع وعرف بان امير كاريتانيا الذي كان ابن عم له قد توفي ، وانه لم يعقب ولدا كوريث له فتحت شهيته وراودته فكرة الذهاب الى المورة ، باعتباره في الواقع اقرب الاقرباء لامير كاريتانيا ، لينال

- ٤٩٢١ -

تركته (٤٤) فرهن أراضيها واقترض هيبوربا واستاجر ثمانية من السرجندية ذهبوا معه ، وجلب معه من الاساقفة والقرسان شهادات خطية مختومة تشهد بانه كان ابن عم امير كاريتانيا ، السير جيوفري دي برويير ، وقام بتحضيرات نبيلة ، واخذ السرجندية ، وغادر الارض وبدا رحلته ، ووصل الى نابولي ووجد الملك شارل ، وبرز له الشهادات التي يحملها والتي تقول بانه ابن عم امير كاريتانيا وانه جاء حسب الاعراف الفرنجية كوريث لتركه الاملاك ، وقريب ليطالب بحقه الموروث °

وقدم ولاءه كما هو العرف . وامر الملك عندما سمع وراى الشهادات ان يكتب للعجوز السير نيكولاس دي سانت اوامر وكان في الواقع نائب الملك في المورة بان يستدعي كل الاتباع في المورة والاساقفة والحكام من كل الامارة ليحضروا لعقد محكمة عليا لفحص الشهادات التي اتى بها السير جيوفري من فرنسا ، واذا وجدوا انه قد التمس بحق قلعة كاريتانيا وتوابعها ، فانه سيعطيه حق الانتفاع وسينعم عليه بها (٨١٤٦ - ٨١٩٠)

والان نظرت المحكمة التي انعقدت في كلارنتسا الامر الذي ارسله الملك وقرات الشهادات التي احضرها معه ، وبعد ان تناقشوا مطولا وتكلموا ودعوا الناس للشهادة نوهوا بالعمل الذي قام به امير كاريتانيا في الوقت الذي ثار فيه وذهب الى طيبة ، وقاتل وركب الى جانب الامير العظيم ضد الامير غوليوم ، الذي كان اميره الشرعي ، الذي حصل منه على قلعة كاريتانيا وكل اراضيها . واخل بالثقة مع سيده واصبح متمردا ، ونتيجة لذلك حرم هو وسلالته وعندئذ توسل كل رجال الامارة لدى الامير ليعيد له ارضه شريطة ان يعيظها له كمنحة جديدة تورث فقط لاولاده من صلبه اذا انجب ، وعليه فقد استدعوا هذا الفارس ، السير جيوفري فمثل امام القضاء ، والقي اسقف اولينا خطابا واخبره بتفصيل كبير بقرار المحكمة ، وعن الفعل الذي ارتكبه امير كاريتانيا وكيف حرم وكل سلالته بموجب الاعراف السائدة في كل الممالك : وكل من تبين انه ملحد وخائن

يحرم هؤلاء ومن بعده سلالته ، من اي ارض او مقاطعات يملكها ويحكمها » وعليه يا صديقنا الطبيب نقول الحق ، ان الحق ليس معك فيما تطالب به «

وبسماع انه تلقى قرارا مخالفا لتوقعاته عاد السير جيوفري دي برويير هذا الى معسكره وجلس وحده يبكي وينوح كما لو انه فقد مملكة فرنسا ، لو انها كانت له ، والان بعد يومين استغرق في التفكير وبعدما ثارت في ذهنه افكار حول ما يمكنه فعله لانه لو عاد الى فرنسا ولم يتدبر بطريقة ما البقاء في رومانيا ليبنى ثروة ، فان كل الناس وسيضحكون منه وسيؤيخونه بسبونه لانه عاد دون أن يحقق شيئا ودون أي كسب ولهذا السبب قال لنفسه انه من الأفضل أن يموت من أن يبقى دون أي انجاز أو كسب.

ووجد رجلاً من الأرض تصابق معه ، وطلب منه أن يعلمه بدقة عن القلاع التي كانت في سكورتا ، وعن أراكوفون (٤٥) وكيف قامت وأيضا عن (٨١٩١ - ٨٢٢٧) كارتيانيا وكيف بنيت ، وأي الاثنين كانت أقوى وأي قوات فيها ، ووصفهما له الآخر الذي عرف حالة القلعتين بالتفصيل وأعلمه بالنواحي التي تقشومان فيها وبالقوات التي كانت فيهما ، وعندما سمع هذه الأشياء وضع خطته وخرج من المورة وذهب الى زينوخوري (٤٦) ، وحالما وصل الى هناك ، قال إنه يشعر بالدوار وأن علة في معدته قد تملكته وتكلم مع الناس وسأل أين يمكن أن يجد مياه بئر ، لأن مثل هذه المياه قابضة وتوقف الزحار وأخبره شخص كان هناك وهو من أهل المكان بأن هناك ابارا جيدة في أراكوفون وتركه يرسل لهم ليعطوه بعضا من هذا الماء حتى يشفي من الدوخة . وعليه استدعى أحد الاسرجندية من اتباعه ، ممن كان لديه فكرة حسنة عنه ، وكان يثق به جدا في خطته السرية وقال له : « خذ قوارير واذهب الى القلعة القريبة من أراكوفون وأخبر أمر القلعة أنني اطلب منه أن يوجه بأن تعطى ماء من البئر ، إذ أنني احتاجه لعلاجي ، لأن الطبيب قد وصفه لي وقال انه مفيد لي ، وخذ ملاحظات دقيقة عندما تدخل القلعة ، عن كيفية

بنائها وكم عدد حراسها حتى يمكنك أن تخبرني بها عند عودتك وأن تشرحها كلها لي ، وإياك أن تجرؤ على أن تخبر أي شخص حي بذلك .»

وعليه ذهب السرجندي الى القلعة ، فوجد أمرها ، وحياه بلطف وسأله نيابة عن أميره ، أن يأمر بأن يعطى ماء من البئر ، وأعطى أمر القلعة على الفور الأذن له فدخل هو نفسه القلعة واستطلعها وعاد الى السير جيوفري واخبره بكل ما رأى ، واستمر نحو عشرة أيام على القول بأنه يشعر بالدوار وكان سرجندي يذهب بشكل متكرر الى القلعة ويحضر له الماء بشكل متكرر ، ليشربه ، ثم طلب من أمر القلعة متوسلا بالحاح أن يأتي (٨٢٢٨ - ٨٢٧٧) إليه بغية أن يتكلم معه ، وجاء أمر القلعة الى الفارس على الفور.

وعندما رآه السير جيوفري استقبله بلطف وتحدث اليه عن مرضه وطلب منه أن يستقبله في قلعة مع واحد من حبيته وأن يعطيه غرفة واحدة يرقد فيها حتى يستطيع شرب الماء المفيد من البئر وستكون بقية حاشيته في المدينة.

وقال له أمر القلعة على الفور وهو لا يتوقع منه أي خداع وأكد له انه سيستقبله في القلعة ، وبعد ذلك وفي اليوم التالي اخذ السير جيوفري خيمته وذهب الى القلعة ودخل القلعة وأعطى غرفة ؟ وكان فراشه معدا فرقد عليه وكان معه سرجندي واحد فقط وبقية حاشيته في المدينة وأمر باحضار ثيابه الى القلعة وكان بينها أيضا اسلحة وكان يرقد على الفراش كل الوقت ؛ وطلب أمر القلعة وتناول العشاء معه وكان يبدي الاحترام والانس نحوه حتى يثق به ويمكنه خداعه وحالما حاز على ثقته ووجد الفرصة ، استدعى سرجنديته الذين كانوا بمثابة تابعين له وقال انه سيكتب وصيته لان كان يخشى أن يموت من المرض الذي يعانيه ، وجعلهم يقسمون له سرا من غرفته بان يبقوا كل ما سيقوله لهم سرا وان يتعاونوا معه اذا فعل ماخطط له واراد تنفيذه ، وعندما اقساموا بدأ يقول لهم : يارفاقي واصدقائي

- ٤٩٢٤ -

واخوتي يامن جئتم معي الى اراضي رومانيا ، انتم تعرفون السبب الذي جعلني اسرع برهن ارضي لآتي بشرف بأمل وتوقع اخذ كاريتاينا مع الاراضي المحيطة بها التي اقامها اقاربي وبنوها والتي استولى عليها اقاربي بالسيف ، ولقد سمعتم ورايتم كيف حرمني الجلابون الموريون وابعدوني عنها وانا حزين وخجل واشعر بمرارة عظيمة وعليه فقد وضعت خطة بناء على ثقتي فيكم لو انكم ساعدتموني ، ولدي آمال بأنكم ستفعلون امورا عجيبة سنسمع بها انكم ترون هذه القلعة والقوة التي فيها ان عددا قليلا من الرجال يلزم لحمايتها طالما ان المؤن متوفرة فيها وهي محصنة وتقع في ارض سكورتا ونتحكم فيها فلنملكها لانفسنا لننتحكم فيها ولنقل باننا سنبيعها الى قائد امبراطور الروم ، واتوقع انه عندما يسمع نائب الملك (٨٢٧٨ - ٨٣٢٢) في المورة ذلك سيكون سعيدا جدا عندما يتوصل الى تفاهم معنا وسوف يعطني قلعة كاريتاينا مع ارض سكورتا وسيفضل ان احصل عليها من الملك بدلا من ان اعطي قلعة اراكوفون للروم لانه اذا اخذ الروم هذه القلعة الصغيرة ، فانهم سيربحون كلا من سكورتا وكل الامارة .

وعندما سمع سرجنديته هذا اتفقوا مع بعضهم بعضا وبدأوا يفكرون كيف يمكن تنفيذ ذلك وتحقيقه ؟ ثم رتب السير جيوفري الامر وقال لهم : « لقد سمعت أن هنا في الخارج حانة يباع فيها النبيذ وان أمر القلعة يخرج ويجلس هناك عدة مرات ليشرب مع الاخرين ويبدولي اننا يجب ان نفعل كما سأقول لكم :

وحيث أن لدينا خبز ويسكويت ونبيذ وماء واسلحة هنا بقدر ما نحتاج ، فاخرجوا للحديث معه هناك في الحانة ، اثنان أو ثلاثة منكم كما تفضلون وليكونوا من امهركم وادعوا أمر القلعة وحاكمها والسرجنديته معهم وكل العناصر القيادية ولديكم ديناري كثيرة فاعطوها لصاحب الحانة واشتروا كمية من النبيذ واشربوا معهم واعطوهم كثيرا جدا ليشربوا حتى يثملوا ولكن احرصوا على ان لاتشربوا كثيرا من النبيذ معهم حتى لايسكركم فنخسر ما نأمل في

إعداده ، وعندما تتأكدون من انهم مخمورون دعوا واحدا منكم قائدكم يتسلل بسرعة من هناك ويأتي مسرعا الى القلعة وبعد ذلك دعوا آخر يأتي أيضا ويمسكوا بحارس الباب ويلقوا به خارجا يأخذوا مفاتيحه ويفلقوا الباب ثم يصعدون بسرعة فوق اسوار الباب ليحرسوا الباب ، لئلا يشعلوا فيه النار ويحرقوه ويقتحمونه ويأسروننا ونخسر ما نأمل وما نخطط لتنفيذه.

وفعلت الحاشية والفرنجة تماما كما أمر السير جيوفري ولخص ، وقام الفرنجة واستولوا على القلعة ، ثم اطلق السير جيوفري سراح المساجين (من الحجز) ، وكان هناك اثنا عشر رجلا فيه ، من الفلاحين والروم. ودعا اثنين من الروم وأمر بكتابة الرسائل لهم ، وكان واحد أو اثنان ممن يعرفون الكتابة يقومون بذلك ، وأرسلها معهما الى قائد الامبراطور وكتب فيها معلنا أنه يجب أن يأتي مسرعا الى القلعة التي استولى عليها والتي تسمى اراكوفون (٨٣٢٣ - ٨٣٦١) وأنه قد يبيعها بالهيربورا ويسلمها له . وعندما سمع بهذا ابتهج : وجمع جيوشه كلها بسرعة وانطلق بأسرع ما يمكنه ، وسافر حتى وصل الى مخاضة في نهر الألفيوس عند نقطة من وادي الألفيوس تدعى أومبلوس (٤٧) ، وهناك نصبوا خيامهم وأوى الجيش الى الفراش.

والآن بعد الاستيلاء على اراكوفون بعث أمر القلعة فيلوكالوس (٤٨) ، وكان هذا اسمه بمبعوثين على الفور الى السير سيمون وهذا اسمه وكان لقبه دي فيدوني (٤٩) وكان في اراكوفا يسمى العظيم ، وكان مع قواته في سكورتا حيث كانوا يقومون بواجب الحماية في ذلك الوقت وشرحوا له الامر والخيانة التي ارتكبها السير جيوفري دي برويير ، والقي استولى فيها في الواقع على اراكوفون وكان سيبيعها لقائد الامبراطور ، الذي بعث له برسالة ليأتي ويعطيه الهيربورا ويأخذ القلعة .

وعند سماع هذا ركب السير سيمون خارجا مع كل الرجال الذين

- ٤٩٢٦ -

تصادف وجودهم معه هناك في ذلك الوقت . وبعث برسالة في كل مكان الى قواته لتأتي ووصل بسرعة الى قلعة اراكوفون ، واحاط بها كلها بالقوات التي معه واستولى على كل الممرات والطرق والشعاب حتى لا يتمكن احد من الدخول او الخروج من القلعة ليحمل ابي رسالة من او الى الروم ، والان عندما وصل السير سيمون الى اراكوفون مع القوات التي معه ، ارسل الرسل على الفور الى نائب الملك الى السير نيكولاس دي سانت اومر ، الذي كان في كلارنتسا ، وابلغه واعلمه بالحدث ، الذي جرى من ان السير جيوفري دي برويير قد استولى على قلعة اراكوفون وبعث برسالة الى قائد الامبراطور الرومي ليحضر له الهيربورا ليعطيه القلعة ، وانه جاء مسرعا مع كل جيوشه للمساعدة لئلا يعقدوا القلعة ، وقبل ان يأتي الروم ويحتلوها . (٨٣٦٢ - ٨٤٠٢) .

والان عندما سمع نائب الملك بهذا ، انطلق على الفور باي قوات تصادف وجودها معه ، وبعث برسالة الى كل مكان لتأتي الجيوش ، وعندما جاء الى اراكوفون ووجد الشحنة السير سيمون (يحاصر بقواته ويستولى على الطرق حتى لا يأتي احد من الروم ويدخل اراكوفون ويحضر لها رسالة) شكر نائب الملك الشحنة بحرارة .

وبدأت جيوش الفرنجة في الدخول من كل الجوانب واستولوا على كل درنفوس سكورتا وكانوا يحرسونها ، وجاءت رسائل جديدة بالثقة الى نائب الملك بان جيوش الروم وصلت الى رافد الالفوس عند نقطة تسمى اومبلوسي .

وعليه امر باستدعاء السير سيمون شحنة سكورتا وامره بان يأخذ قواته وقوات درنفوس سكورتا وقوات كلماتا وبيرغاردى وكالتمريتزا وايضا قوات فوستيتزا وان يذهب الى ايزوفا الى مخاضه بيتر على رافد الالفوس ليتخذ موقعا ويحميها حتى لا يمر الروم الى درنفوس سكورتا (٥٠)

- ٤٩٢٧ -

ثم تولى السير سيمون ، كنائب للملك القيادة ، وأخذ جيوشه وذهب الى هناك ووقف وجها لوجه مع الروم ، والآن فان نائب الملك الرجل الحصيف استجابة للمشورة التي تلقاها استدعى فارسين وأمرهما بأن يذهبا الى أراكوفون ليطلب القلعة من السير جيوفري وأن يعيدها الى سلطة الملك كما وجدها ، وسيعفى عنه لما فعله . « ولكنه اذا خطط بأي طريقة ليستولي على القلعة ليتملكها او ليعطيها لأي شخص آخر ، فأبلغه لعلمه أنه يجب أن يأخذ بصدق بأني سألقى الموت أولا وأنتم جميعا معي ولا أبرح هنا مع الجيوش التي معي قبل أن أدمر أسوار قلعة أراكوفون وسأحاصره بداخلها وأقتله » .

وعليه ذهب الفارسان واقتربا من القلعة وطلبا هدنة وناديا من مكان بعيد حتى لا يطلق عليهما السهام (٨٤٠٣ - ٨٤٤٧) بأن نائب الملك قد أرسلهما كرسولين لمناقشة أمر مع السير جيوفري من أجل خيره وشرفه لو فعله .

وبسماع هذا بات السير جيوفري بالغ السرور ووقف فوق الأسوار وسألهما ماذا يريدان فقالا له : « ان نائب الملك يبغلك ، وهو يحبك كصديق أنه قد صدم لأنك في وجه المجاملة والعناية البالغة التي لقيتها والتشريف الذي وجدته في قلعة الملك استوليت عليها وتمسكت بها وستبيعها لقائد الروم كما أبلغته ، وعليه فانه يتوسل اليك ونحن جميعا منضمون اليه أن لا تنخدع بتوقعات الشهرة العالمية الواسعة ، لأن الكل دهش مما فعلتم ، ولا ينبغي لك كرجل نبيل لهدف خياني أن تفكر في هذا أو تضعه موضع التنفيذ ، لأننا نحن الفرنجة فوق كل شيء قد خجلنا بسببك وأسفنا ، ونحن نعرف مع ذلك أنك فعلت هذا بدافع المرارة ، لأنك كنت تأمل وتتوقع الحصول على بارونية كاريتاينا في سكورتا وخاب أملك ، ونعلم حقا بأنك قد ندمت على ما فعلت ، وعليه نقول لك ونشير عليك بطيبة وشوق أن تعيد القلعة ، وستنال هبة وتشريفا عفوا ولكن اذا كنت تخطط بشيء على سبيل التحدي فاحترس لأنك لا تستطيع الوقوف ضد الكثير

- ٤٩٢٨ -

جدا ، لأن نائب الملك قد أرسل للنجارين ليحضروا ، والحرفيين
البنادقة ، وستحاصرون جميعا وتقتلون .

وعليه بدأ السير جيوفري يتحدث اليهما « أيها النبلاء لقد أخطأتم
في حقي بمنعني ممتلكاتي وحرمانني من ميراثي بذرائع وأعداء
جوفاء ، أيها الموريون ، وأنا من الأسى والأسف اللذان أشعر بهما
وقد فعلتم ما ترون ، ومن المرارة التي عندي فعلت ما فعلت ، وأنا
أعرف أن هذا لا يشرفني .

ومع ذلك طالما أنكم تخبروني وتنصحوني فاني سأعيد القلعة مع
التفاهم والاشتراط بأن توضع قضيتي أمام محكمة الملك وأيا كان
قرارها فاني أوافق على قبول سلطتها ، والآن طالما أنني جئت الى
أرض المورة ، فاني أصبحت أحبها وأريد أن أبقى معكم هنا ،
فأعطوني أرضا أملكها ولأجد فيها معيشتي ، لأنني أشعر بالحزن
والعار أن أذهب الى فرنسا لأقاربي وأصدقائي وجيراني ليضحكوا
مني لأنني ذهبت الى (٨٤٤٨ - ٨٤٧٠) رومانيا وتصرفت
كولك .

حسننا ولو أنني كتبت ما قال هذان الفارسان للسير جيوفري وما
قاله لهما (٥١) ، فمن الذي سيقراه؟ ولكني سأوضح لكم بأنني
سأكتب هذا لكم وأرويه بايجاز ، فقد توصل السير جيوفري الى
تفهم
وسلم القلعة وأعطوه كملك لا يورث اقطاعه مورايينا وهي موجودة في
سكورتا مع المدن الأخرى - كما زوجوه السيدة مرغريت ، التي
كانت ابنة عم أمير أكوفا وكانت تملك ملكا قابلا للتوريث اقطاعه
ليساريا (٥٢) . وبعد زواجهما واجتماعهما معا ، أعطاهما الرب ابنة
أسموها هيلين ، تزوجت فيما بعد السير فيلان دي أدفوي أمير
أركارديا (٥٣) ، وكان لهما بدورهما ولد وبنت ، وكان اسم الابن
ايرارد ، والابنة أغنسس ، وقد تزوجها السير اتيين ولقبه مور
فوضعت بدورها أبناء وبنات ، وبقي منهم وريث واحد وهو ايرارد

- ٤٩٢٩ -

أمير أركاديا (٥٤) واغتنى الايتام وسعدت الأرامل واقتنى الفقراء والمعوزون مالا كثيرا (٨٤٧٨ - ٨٥٠٧) في الزمن الذي اتحدث عنه وهو زمن أمير أركارديا .

فخلدوا ذكراه جميعا ، لأنه كان أميرا طيبا ، وعند هذه النقطة سأتوقف بعد ذلك لأتحدث عن السير جيوفري وميراثه وسأخبركم ، بأنني سأتكم وأكتب عن ايزابو المباركة (التي كانت ابنة الأمير غوليوم ، والتي كانت تخاطب وتسمى في تلك الأيام أميرة المورة) وكيف جاء بها الرب وعانت الى أملاكها وأصبحت أميرة أخيا . في الوقت الذي أخبركم عنه ، كانت الأميرة ايزابو في نابولي مع الملك شارل .

وكان الملك في الواقع يملك السيادة على المورة ، بفضل تلك الاتفاقات التي أبرمها الأمير غوليوم مع الملك شارل ، الأكبر ، والده ، وأيضا من خلال أخيه الأمير ، السير لويس ، زوج ايزابو . حسنا وفي حين أن الملك كان يملك السيادة على المورة ، كان هناك في ذلك الوقت فارسان من القادة . كان أحدهما يدعى خورون ، وكان الحاكم الكبير لامارة المورة وكان الآخر السير جيوفري ، دي تورناي (٥٥) وكان الملك يحبهما ويقدرهما عاليا ، وكان الحاكم في الحقيقة أميرالا عظيمًا لكل المملكة وبينما كان هذان الفارسان يمضيان جيئةً وذهابًا من والي بلاط ملك نابولي ، كان أخو الكونت دي هينوت هناك ، وهو الذي يدعي السير فلورنت دي هينوت (٥٦) .

وكان حاكما عاما على كل الامارة ، وكما هي العادة العامة للجنس البشري ، توصلوا الى اتفاقات مع بعضهما بعضا وعقدا صداقات ، وكان السير فلورنت (٨٥٠٨ - ٨٥٥٤) سعيدا بهذين الفارسين الموريين ، السير جان دي خورون ، وسير جيوفري وفي هذه الصداقة التي كانت بينهما قال السير فلورنت الرجل الحكيم لهما : أيها النبلاء الاخوة والاصدقاء اذا كان لي أن أكون لكم

صديقاً ورفيقاً في المورة فان علي أن أقسم لكم بأننا لن ننفصل ،
وسنكون كالأخوة ونعيش معا . اني أرى بعيني بأن الملك يحبكما
وأنه يعتمد عليكما كمرشدين وقادة في مجلسه ، حسنا فإذا كنتم
تكنون لي الحب كما أمل ، كلموه حول أخذي للسيده ايزابو ، زوجة
ويبنوا له الأسباب الحقيقية التي تجعل أرض المورة تجد نفسها في
حرب وفي خطر الضياع بفعل رجاله ، النواب الذين يرسلهم إلى
هناك ، أنهم مأجورون ويسعون دائما وراء مكاسبهم الخاصة
والأرض تتسرب دائما من بين أيدينا ، وتضيع وهي في خطر ويتحمل
الملك كل التكاليف ويأخذ الآخرون الربح ، وأنه حقاً لأمر شديد
بالنسبة له أن يبقي الوريثة هنا ، انها تعيش كسجينة تقريبا وهذا
ما يدهش العالم . سيفعل شيئاً لتحرير روحه ولجده بأن يزوج
السيده ايزابو من فارس ، من رجل نبيل من منزلتها ، سوف يشعر
بأرض المورة ويحميها قبل أن تفلت تماماً من أيدينا ويفقدنا
الفرجة ، ولماذا اذكر كل التفاصيل وشرحها لكم نقطة نقطة لهذا
عجلوا ايها الحكماء وكلموا الملك لانكم تؤثرون عليه ليستجيب
لرغبتكم ، لان عقلي يقول لي وفكري يدلني على انكم اذا كنتم
تريدون ذلك ، وانتم الرجال اصحاب الحكمة ، فان الامر سيتحقق
وستكتسبون الامارة لانفسكم وسأكون رجلكم . وسألقب بالأمير
وستكونون أمراء . وبسماع هذه الأشياء سر خودرون والسير
جيويفري جدا ، ووعده بأنهما سيحققان رغبته في انجاز هذا الامر
ورجوا من الرب أن يحققا نجاحا طيبا ، وعليه التمسا فرصة ليجدا
الملك في لحظة مزاج طيب ليكلماه . وعندما وجدا اللحظة كلمه
الاثنان ، فوجداه في مزاج حسن في غرفته ، وذكر له الأسباب وبيننا
له أسباب أن أرض المورة وامارة أخيا كانتا تتسربان ضائعتين وفي
خطر ، بسبب أن الأمير ، الذي كان دائما سيذا عليها لم يكن
موجودا . « انكم تبعثون الى المورة (٨٥٥٥ - ٨٥٩٤) نوابا
ومرتزقة يستعبدون الفقراء ، ويؤذون الأغنياء ويسعون فقط وراء
مكاسبهم ، والأرض تنزلق من بين أيدينا ، فإذا لم تعينوا رجلا
يكون وريثا ليبقى بشكل دائم وليحكم الجميع ويضع في فكره وهدفه
أن يقدم مصالح الأرض فانكم ستفقدون الامارة ، حسنا يا سيدي

الامبراطور (٥٧) ، انكم تحتجزون ذلك الوريث ، وهو السيدة ايزابو ابنة الأمير ، فزوجوها من رجل عظيم ونبييل يأخذ بزمام الامارة من جلالكم ، وبذلك تفعلون شيئا لتحرير ذفسكم ولذفسكم العظيم وسيثنى عليكم كل من يسمع به .

لماذا أروي لكم كل التفاصيل ولماذا علي أن أكتبها ؟ لقد قال هؤلاء الفرسان للملك أشياء كثيرة جدا كلما أمكنهم التحدث اليه ، واستحدثوه كثيرا حتى رتب لأجراء الزواج ، وأن يتخذ السير فلورنت السيدة ايزابو زوجة له ، وأن يملك الامارة وأن تصبح ملكا موروثا له ، وكتبت الاتفاقيات والمواد بالتفصيل ، وما كان على الأمير ليقدمه الملك تجاه الأمير ، كل منهما نحو الآخر ، وكتبت مادة واحدة في هذا الامتياز ، كانت عملا خاطئا وخطأ عظيما ، وهي أنه اذا وصلت الامارة الى وريثة انثى ، الى امرأة تحرز السلطة ، فانها ليس لها أن تقدم على الزواج من أي رجل في العالم بدون علم وأمر من الملك أيا كان ، ولكن اذا تصادف أن فعلت ذلك ، فانها تحرم من أملاكها ومن السيادة على المورة وكل الامارة ، انظر الشر الذي وقع بسبب هذه الفقرة ، وجردت الأميرة ايزابو لأنها في الحقيقة تزوجت فيليب دي سافوا عندما ذهبت الى اليوبيل الفضي في الواقع ، وقتها في روما (٥٨)

والآن بعد كتابة هذه الاتفاقات ، أمر الملك على الفور بعقد الزواج ، وبناء عليه تزوج السيد فلورنت السيدة ايزابو ابنة الأمير غوليوم (٨٥٩٥ - ٨٦٤٣) وتم الزواج في أبهة كبيرة ، وفي بهجة واحتفالات ، تكلف نفقات طائلة وهناك في الكنيسة حيث زوجها مطران نابولي بنفسه ، منح الملك الأميرة مرغريت الامارة ، كملك شرعي موروث ، واستدعى بعد ذلك السير فلورنت بدوره ومنحه الوكالة وجعله وريثا أيضا وتوجه كأمر ليسمى أميرا .

وبعد انتهاء مراسم الزواج وزفاف الأمير ، بدأ يتخذ ترتيبات

الرحيل من أبوليا ليذهب الى المورة في تشريف وأبهة ، وانحنى أمام الملك واستأنن في الانصراف وودعا الكونتات والفرسان وزاد من مكانته واستأجر آخرين أيضا ، وحصل على مزيد من الفرسان الراكبة والمشاة من السرجندية في الحقيقة أكثر من مائة ، وثلاثمائة من حملة الأقواس القانفة . ووصل الى برنديزي فوجد سفنه وصعد اليها وذهب الى كلارنستا .

وكان نائب الملك في المورة في ذلك الوقت السير نيكولاس العجوز مصادفة في أندرافيدا ويسمعه للرواية ركب على الفور وذهب الى كلارنستا وقدم الولاء للأمير ومثله فعل كل من كانوا معه وأقام له الأمير استقبالا حسنا ، وحالما وصلت قواته الى الكنيسة حيث كان المينوريت معه ، أمر بأن يجتمع الكبير والصغير ، وعرض الأوامر والوثائق التي كان يحملها وقدم الى نائب الملك أمر الملك : لقد أمره الملك وكلفه كتابة أن يقدم الامارة ، امارة المورة ، والقلاع والولايات في كل الامارة . وبعد هذا سحب أمرا كلف به الملك في اعلان مكتوب الى الموريين ، والأساقفة وقادة الفرسان والفرسان ، والسرجندية وجميع البرجوازية سكان المدن وكل من هناك كبيرا وصغيرا أن يقبل السير فلورنت كأمير وسيد ، أما الولاء في الحقيقة والاخلاص التي كان يدين به كل الاقطاعات والأملاك التي ملكوها فليؤدوه له باستثناء القسم والاخلاص والولاء الذي يدينون به للملك . وعليه أمروا باحضار الانجيل المقدس ثم قالوا للأمير : « عليك أن تقسم لنا أولا أن تحميننا وأن تحكم بيننا بأعراف الأرض وأن لا تزعجنا في الاعفاءات التي لدينا من التكاليف ، وبعد ذلك فاننا بدورنا سنقدم لك الولاء ، لأن هذه هي العادة التي ورثناها عن آبائنا » (٨٦٤٤ - ٨٦٨٨) .

واقسم الأمير على الانجيل المقدس بأن يحكم كل أهل المورة وفق اعرافهم وأن يبقي على اعفاءاتهم وبعد ذلك تقدم قادة الفرسان أولا ثم الفرسان الآخرون فقدموا الاخلاص والولاء الذي يدين به كل منهم لقاء الاقطاعية التي يملكها طبعا باستثناء أداء قسم الملك

(٥٩) وبناء عليه سلمه نائب الملك الاقطاعية والقلاع والسيادة ،
ليأخذها عن الملك .

وبعد أن تقبل الأمير الولاءات . غير جميع المناصب ، أولا أمار
القلاع وكل السرجندية في القلاع وعين جماعته . فعين مسؤولا عن
تسجيل المنح الاقطاعية ، وخازنا أيضا ومسؤولا عن المؤن للقلاع
وكل أصحاب السلطة ، وهكذا بدأ بمشورة من السير نيكولاس
العجوز والسير جين دي خورديون الحاكم الكبير والسير جيوفري
دي تورناي وباقي الأتباع كبيرهم وصغيرهم ، في ترتيب الأمور
والمشكلات المتعلقة بالأرض ، والآن وجد الأمير الأرض في الإمارة
مخرّبة من قبل المرتزقة وسلطات الامبراطور التي عاثت فيها
فسادا ، وطلب مشورة الجميع حول كيفية العمل المتوجب ، وقال كل
الأكثر حكمة وأشاروا أنه إذا شن حربا مع امبراطور الروم فإن
الأرض ستذوب وتتبدد بشكل أسوأ حتى ، ولكنه إذا كان يريد أن
يحيي الأرض فلندعه يجري تسوية معه ، سلمية وقوية ، وأن يقسم
مع الامبراطور بأن السلم سيدوم كل الوقت ..

وبهذه الطريقة أعطيت المشورة وأيدها الجميع وبعث الأمير
برسولين الى القائد الأعلى للامبراطور الذي كان عندئذ في المورة في
تلك الأيام ، فقلنا انه جاء الى هنا كأمير سيد على المورة ، وعلى كل
ما يملك الفرنجة ، ووجد أن الأرض قد دمرت تماما ، وأنه علم
وأخبر بأن الأمر كان كذلك بسبب الحرب التي كان الامبراطور
يتابعها مع الإمارة ، لأن أعمال الحرب تعطي مثل هذه النتائج وحتى
في أفضل الأراضي التي في العالم ، إن الحرب في الحقيقة تضر
وتدمر تماما ، وعليه إذا أراد وسره أن تعقد هدنة فليرسل اليه
بجواب ليعرف رغبته .

وعندما سمع القائد هذا بدا له مقبولا ، وأثنى على الأمير كسيد
حكيم (٨٦٨٩ ، ٨٧٢٨) وكنييل جدا . وحصيف بمث بجواب
للأمير : بأن الفترة كانت قصيرة حتى يمكن استبداله ، وأن يأتي

قائد آخر ، وأن يذهب هو كما هي عادة الامبراطور ، الذي يغير في كل عام قائد المورة ، ولكن طالما أن الأمير كان يسره أن يعقد هدنة تكون ثابتة ومخلصة لأكبر عدد يلزم من السنوات ، فانه حبا له ومن أجل رخاء الأرض فانه سيعلمه لسيده الامبراطور لأن رجاءه في الرب انه هذا سيرضيه كثيرا . وهكذا أرسل القائد في حينه مبعوثا الى الامبراطور في القسطنطينية ، وبتفصيل كبير شرح له شفويا وكتابيا أن الأمير فلورنت الذي جاء الى المورة سعى لعمل هدنة معه ، حتى ينال رجاله من الفرنجة والروم فترة راحة ويعيشون في سلام .

وما أن سمع الملك هذا أقره بحماس وأكد أمام القائد الذي أرسله في حينه إلى المورة (٦٠) وكان رجلا عظيما موثوقا من القصر ، كان يدعى فيلانثروبينوس والذي كان من البيوت الاثني عشر (٦١) ، وأعطى له في الواقع الأوامر بأن يجيب السير فلورنت الأمير سيد المورة ، وعندما جاء فيلانثروبينوس هذا الى المورة ، أرسل مبعوثا للأمير ويحث اليه بجواب من الملك ، بأنه جاء في هذا الوقت كقائد للمورة وكان رهن الأوامر للقاء معه ليقاوض من أجل الهدنة التي كان الأمير يطلب ابرامها ، وأرسل له الأمير رسالة بواسطة الفارسين ، كتبت في صورة قسم (٦٢) . بأن يأتي الى أندرافيدا .

وبناء عليه أخذ القائد معه بعض أحكم النبلاء الذي كانوا عنده ، ومع رفقة مشرفة ذهب الى اندرافيدا ، حيث كان هناك الأمير مع قائده الذين كانوا في المورة في ذلك الوقت ، ومن أحكمهم ، والآن بعد أن التقى هو والأمير ، تفاوضا وأبرما هدنة كما أرادا كتابة في الحقيقة ، ووضعوا مواد الهدنة وأقسما عليها الأمير أولا (٨٧٢٩ - ٨٧٦٩) ثم قائد الامبراطور ، ثم قال الأمير للقائد : « أتوسل اليك يا صديقي أن لا تعكس على نفسك ما سأخبرك به وأكشفه لك ، إنك ترى أنني سيد وأمير في المورة ، أفعل ما أريد وسيكون ثابتا لايهتز على كل السنين والأزمنة التي سأملكها ولا أحتاج لأحد ، ولكن أنت ، ونبالتك يا أخي لك السلطة لفترة ولا يمكنك ولا تقدر على التوصل الى اتفاق يمكن أن يستمر أكثر من

زمانك ، حسنا ومثلي وأنا أمير وسيد في أرضي قد أقسمت على هذا ، وهكذا ان على الامبراطور شخصيا أن يقسم ، وأن نتوصل الى ميثاق يمكن أن أحفظه وأن أحافظ على هذه الأشياء كضمانات للهدنة ، تماما كما تعتبر رسالتي ، وهي تحمل خاتمي » .

وبناء عليه تكلم القائد وأجاب الأمير : « انه صحيح هكذا قال : « يا أميري يا صاحب السمو ، اني أقر وأشهد ، بأن ما قلته حق ، حسنا اذا شئت أن يحدث شيئا ما مثل ما أمرت ، وجه باثنين من فرسانك ليذهبا معي وسأجعل اثنين من النبلاء الشبان يذهبان معهما ، وسأكتب للامبراطور الى سيدي المقدس ، بالأمر والاقتراح كما عبرت عنه نبالتك ، بأن يأمر بأن تكتب اتفاقات الهدنة وتختتم بخاتمه الذهبي وبأن يقسم الامبراطور هذا القسم المكتوب في حضور الفرسان ، ميعوثيك » .

وعندما سمع الأمير هذا بدا له جيد جدا ، ووجه خوبرون الحاكم الكبير والسير جيوفري دي ادنوي ، أمير أركارديا بأن يذهب الاثنان الى الامبراطور هناك في بيزنطة ، في مدينة قسطنطين ، وذهب فيلانثروبينوس أيضا معهما وعند رؤيتهم ، استقبلهم الامبراطور جيدا ، وبدت تلك الهدنة (٦٢) وذلك السلام الذي سيكون له مع أمير المورة مقبولا بسبب نفقاته الباهظة على الجيوش التي كان يبعث بها الى المورة ، والتي شن بها الحرب على الفرنجة ، وأمر على الفور بأن تكتب شروط المعاهدة وأقسم قسما ، وختمها بخاتمه الذهبي (٨٧٧٠ - ٨٨١٠) وأقسم الامبراطور نفسه على هذا في حضور الفرسان ثم قدمها لهما ، فأقسما وذهبا الى المورة وسلماهما للأمير وقدماهما له ، فتسلمها الأمير وبدت له جيدة .

وبعد ترسيخ السلام والهدنة بين الامبراطور وأمير المورة ، بدأ الأمير كأمر حصيف يحكم أرضه ويزيد من الخدمات ، وتعامل بهدوء مع قوات الملك ، واغتنى كل الناس من الروم والفرنجة .

وعندما رأى الامبراطور ذلك وحالما أخبر بأنه قد حصل على هدنة

- ٤٩٣٦ -

طيبة مع الأمير رغب وأراد تجديد الحرب مع امبراطور أرتا السير
نقفور (٦٤) فاستأجر ستين من الشواني تعود للجنوبيين ووجهها
بالأبحار ، وعبروا البحر ، عن طريق مياه المورة لدخول الخليج ، وفي
زيرو ميرون ، هناك قرب أرتا (القوات التي حملوها) لاجتياح
ونهب كل المنطقة (٦٥) ومثل هذا أمر الجيوش (بأن تذهب) عن
طريق البر : ٠٠٠ ر ١٤ على خيولهم ، و ٠٠٠ ر ٣٠ من الجنود
المشاة وأحصى الكثير ، ونهبوا من رومانيا عبر والاشيا ، ووصلوا
الى يانينا ، وأمام القلعة الرائعة عسكروا هناك في حصار حولها .

وكانت القلعة رائعة وتقع في بحيرة لأن أوزيروس العظيمة تحيط
كلها بالقلعة ، (٦٦) ويدخل السكان الى القلعة بوساطة جسر
ويدخلون المؤن الى القلعة بمراكب شراعية صغيرة . وتعتبر الدنيا
كلها قلعة يانينا لا يمكن أن تؤخذ بالهجوم ، طالما أنها تستطيع
الحصول على التموين .

وهنا أقفل المناقشة عند هذه النقطة حول الملك وسأخبركم
بتصرفات الامبراطور ، فحالا سمع امبراطور أرتا وعرف أن
الامبراطور باليو لوغوس ، كان يستعد بالجيوش ليأتي لمواجهته
برا وبحرا ، استدعى قائده وأخذ مشورتهم وطلب منهم بأن يشيروا
عليه بدقة بأي طريقة يمكنه أن يحمي
أرضه (٨٨١١ - ٨٨٦٠) وعليه نصحه أحكمهم هكذا ، أن
يتوصل الى تفاهم مع أمير المورة ، مع فلورنت ، هذا بهدف أن
يأتي بجيوشه ليحارب في جانبه وعليه عندما أعطيت هذه النصيحة
أرسل مبعوثيه ، اثنين من النبلاء الحصين من الطليعة في
مجلسه ، وأصدر لهما الأوامر وأعطاهما تفويضه كتابة ، مزودا
إياهما بسلطة إبرام كل ما يمكنهما ، واستطاعا مع فلورنت أمير
المورة الذي تزوج من ابنة أخته وكانت تدعى ايزابو .

وخرج المبعوثان بعد ذلك من أرتا وعبرا الى المورة وذهبا الى
أندرافيدا ووجدا الأمير قد عقد مجلسا مع قائده للنظر في بعض

الشؤون التي لديه . فقدمنا الكتابات التي كانت معها . واعطياها للأمير وحيياه نيابة عن سيدهما الامبراطور وتحديثا اليه مفصلا ، شفاها حول السبب والهدف الذي جاء من أجله ، حسنا سوف استبعد التفاصيل حتى نصل الى الهدف ، لقد توصلنا الى هذا الاتفاق : يعطي الامبراطور للأمير كرهينة يحتفظ بها فقط ابنه السيد توماس ، حتى يتمكن الأمير من العودة الى أرض المورة بجيوشه ، بلا خيعة أو احتيال ويأتي الأمير بأكبر ما يمكنه من الجيوش التي يمكنه جمعها ويتلقى الأجر من الامبراطور .

وبعد أن رتبنا كل اتفاقاتهم عاد المبعوثان الى الامبراطور وأخبراه بأنهما قد رتبنا ليحضر الأمير فلورنت مع خمسمائة من الطليعة والأفضل في كل الامارة ، لمساعدة ونجدة عمه الامبراطور ، وعليه جهزوا السير توماس ابن الامبراطور من أجل رحلته بتشریف عظيم وأرسلوه الى المورة والى اندرافيدا ، وأعطوه للأمير ليفعل ما يريد به ، وأرسله الأمير الى قلعة خاوموتسي ليبقى رهينته بشرف في القلعة حتى يعود الأمير الى المورة ، وأحضروا أيضا للأمير أجور قواته ، ودفع لهم ثلاثة شهور فقط ، وخلال تلك السنوات والأزمة وفي تلك الايام ، عندما بدأ الملك باليولوجوس العظيم تلك الحرب الساخنة مع امبراطور أرتا ، انطلق ليدمره في كل من البر والبحر ، وعليه هضم بدوره عندما سمع (٨٨٦١ - ٨٩٠٢) الامبراطور بهذا ، وقرر بإرادة عظيمة أن يحمي نفسه منه بكل طريقة ووسيلة (٦٧) .

وتامما كما توصل الى تفاهم مع فلورنت ، أمير المورة الذي تزوج ابنة أخته ، فقد فعل مثله مع الكونت ريتشارد ، الذي كان أميرا وكونتا لسيفالونيا في تلك الوقت ، وأعطاه كرهينة ابنته الاولى ليحتجزها كضمان وكان عليه هو نفسه أن يأتي شخصيا بالفعل هو وكل جيشه الى الامبراطورية لمساعدته في الحرب التي بدأها الامبراطور معه ، وسيحصل أيضا على أجره هو وقواته عن الوقت الذي سيمضيه في الحرب ، (٦٨) وبعد أن توصلوا الى التفاهم ،

قام الكونت بالعبور مع مائة من الخيالة ، من الجنود الحقيقيين ، كلهم من خيرة الرجال والجنود المسلحين (٦٩) وبطريقة مماثلة عبر أمير المورة من باتراس ومضى الى ارتا ، وعندما علم الامبراطور في حينه وسمع أن الأمير قادم ، خرج للقاءه وتقابلا في لسيانا (٧٠) وأقاما احتفالا كبيرا خاطبه به : « مرحبا أيها الأمير مرحبا يا ابن أخي ، إنني أرى الآن وأدرك مدى تعاطف الأقارب » وعندما شبعوا من القبل الرومية ، انطلقوا وذهبوا رأسا الى ارتا وجاء كونت سيفالونيا من الاتجاه الآخر .

من الذي يمكن أن يكتب لكم بالتفصيل حول السرور الذي شعر به ؟ عندما رأى الامبراطور الفرنجة الذين جاءوا في ذلك الوقت ، وبدا له انه قد قهر كل رومانيا ، واتخذ الأمير مراكز في منازل الامبراطور ، الذي ذهب في الواقع الى القلعة ثم أعطى القادة أولا مراكز مشرفة تليق بكل منهم ، ثم الفرسان والسرجنديّة من النبلاء ، وبعد أن استراحوا ذلك اليوم ، ذهب الامبراطور في الصباح التالي مع قائده وكل النبلاء رأسا الى الأمير ، حيث كان يسكن ، فوجده جالسا مع الكونت ريتشارد ، والمارشال دي سانت اومر وأيضا مع قادة الفرسان وكل الفرسان وكانوا يتناقشون فيما بينهم ويتشاورون حول أي تصرف يمكن أن يقوموا به فيما يتعلق (٨٩.٣ - ٨٩٥١) بالحرب التي جاءوا لمساعدة الامبراطور فيها ، وعندما رأوا الامبراطور نفسه قد جاء ، قاموا على الفور لتحيته وأجلسوا بعضهم بعضا ، وبدا جيد جدا للامبراطور في ذلك الوقت عندما وجد الأمير مع مجلسه يجلس للتشاور حول كيفية التصرف في الحرب التي جاءوا لمساعدته فيها . والآن بعد أن أجلسوا بعضهم بعضا كما سمعت بدأ الامبراطور بنفسه في الكلام وقال للأمير ثم للكونت وأيضا لمارشال المورة ثم لقادة الفرسان وللفرسان أيضا أنه يشكرهم كأصدقاء وأخوة ، للتعاطف الذي أبدوه والمحبة الخالصة فقد جاءوا بلهفة لمساعدته في الحرب التي يشنها الملك ضده . وعليه طلب منهم وتوسل اليهم كجنود ورجال

نبلاء وحكماء أن يشيروا عليه ، حتى يقوموا بعمل حكيم ويتصرفوا كجنود ويحصلون على الحمد ، كما يحصلون على المجد » حيث أنه إذا شاء الرب أن ننتصر فلا يفكر أحد منكم أو يتصور أن الحمد سيكون لي من قبل الفرنجة أو الرومان ، لأن المهمة لي ، وهذه الحرب حرب الامبراطور ، لا إن الشرف والثناء سيكون لكم لأن كل الناس في رومانيا يعرفون أنه ليس أفضل في كل الطرق الحربية من فرنجة المورة ، كما تعرف كل الدنيا ، لأن لديكم الحكمة والمؤهلات العسكرية من أعلى نموذج »

والآن بعد أن أتم الامبراطور ماكان يقوله ، بدأ الأمير يجيبه هكذا : « ياسيدي وامبراطوري وعمي الحبيب ، أشكرك على كلماتك وعلى الثناء الذي عبرت عنه لهؤلاء الجنود النبلاء الذين معي اليوم هنا في صحبتي ، فلتعلم هذا ولتأخذه كحقيقة ، أنه حبالك وتلبية لدعوتك ، جاء هؤلاء الرجال الى هنا من أجل شرفهم ، ولاتفكر لدقيقة أنهم قد جاءوا كمرتزقة لخدمتك من أجل الحاجة الى الأجر حتى ترسلهم الى المورة ، لأن الأجر الذي تلقوه كان يكفيهم فقط ليدفعوا من أجل الأسلحة والخيول التي اشتروها ليأتوا هنا بشرف عند حاجتك ، لأنني أتكلم عن نفسي وأخذه كحقيقة ، أنه من منطلق محبتكم ولقرابتنا ، ولأننا جيران ، وينبغي علينا أن يساعد أحدا الآخر في كل ما يحتاج اليه ؛ وأيضا (٨٩٥٢ - ٨٩٩٦) وبسبب عادة الفرنجة دائما ، أن يهرعوا بالسلح الى حيثما يسمعون أن هناك حاجة للحرب أو القتال ، لأنهم جنود وعليهم أن يبينوا ويظهروا أنهم جنود ، وهم يفضلون أن يكون لهم الشرف وثناء الدنيا ، على أن يعطوا الغنائم أو الأموال أو الأجر ، وبهذا التسويغ بالواقع جئنا اليكم وصدقوا ياعمي العزيز ، وأنا أقول لكم الصدق : لو أن هؤلاء كانوا قادرين ، إن معظم هؤلاء الذين جاءوا الى هنا كما رأيتم ، هؤلاء المحاربين النبلاء كانوا سيدفعون كل نفقاتهم من أموالهم ، ولم يكونوا ليأخذوا حتى إبرة منكم ، فقد جاءوا كأصدقاء لكم ومحاربين نبلاء لخدموكم فيما تحتاجون اليه وعليه أننا نعدكم هم وأنا معهم أننا لن نرحل من هنا ، من

الامبراطورية ، قبل أن نحارب تلك الجيوش التي جاءت ، وتقف في
أراضيكم ، جنود الامبراطور سواء ذقنا الموت أو أن يموتوا هم بدلا
منا »

وعليه أجاب الامبراطور الأمير ، فشكره بحرارة هو ونبلاءه ،
على كل ما قاله كرجل نبيل ، ثم تشاوروا حول كيف يجب أن
يتصرفوا ، وكانت الكلمات كثيرة تلك التي قالوها ، ولكنهم في
النهاية أعلنوا بأنهم سيعيدون الجيوش ، ويفادرون أرتا في وقت
مبكر جدا في الصباح التالي ، وأن يذهبوا رأسا الى يانينا ، لأنهم
علموا أن الجيوش كانت هناك ، (٧١) فإذا بقي الرومان من جماعة
الامبراطور فانهم سيقاتلون ولتكن مشيئة الرب .

وأعطى مارشال المورة الأوامر ، وأعلنت على الفور باسم
الامبراطور ، والأمير باسمه وباسم مارشالة ، أن تكون السرايا
على استعداد ، فرنجة وروم ليتبعوا طلائع سانت أومر مارشال
المورة ، حيثما تذهب ، ثم في الصباح التالي انطلقت سرايا الجيش
ونذهبت الى يانينا

والآن ذهب المستق الكبير ، الذي كان القائد الأعلى على
جيوش الامبراطور ، ذهب وأبلغه أن أمير المورة وكونت سيفالونيا
قد جاءا بكل جيوشهما وقد وصلا الى أرتا بأجر من الامبراطور
وأنهما كانا قادمين رأسا لملاقاته ومحاربته فدعا قائده والصفوة من
مجلسه (٨٩٩٧ - ٩٠٤١) وتشاوروا معا حول كيف
يتصرفون ، وكان الكلام الذي تبادلوه كثيرا ، وفي النهاية على أي
حال قرروا وأعلنوا وأكدوا أنهم لو انطلقوا من القلعة التي كانوا
يحاصرونها ، بسبب الشائعات والروايات ، فأنهم يفعلون شيئا
يستحق اللوم الكبير ، والآخرى بهم أن يبقوا هناك حتى يعرفوا
الحقيقة ،

وفيما بعد وصلتهم تقارير صحيحة بأن الفرنجة قد وصلوا الى

أرتا ، وانطلقوا منها قادمين رأسا الى يانينا ، وعندما سمع
الدمستق الكبير وكل جيوشه هذا ، وأن الفرنجة قد وصلوا وكانوا
في أرتا (٧٢) لم يتوانوا ولو قليلا في التشاور وقال المقسمون في
الجيش أن الامبراطور نفسه لو كان معهم فلن يجرؤ على البقاء
لمقابلة الفرنجة وأنه كان أشرف لهم أن يتركوا ، بدلا من أن يؤخذوا
بالغلبة ويقتلون ، وحالما سمعوا أن الفرنجة قد جاءوا الى أرتا لم
ينتظروا لحظة للتشاور بأي شكل وقوضوا خيامهم على الفور
وهدموا المعسكر وبمثل لمح البصر انطلقوا مغادرين ولم يرفعوا علما
أو يشكلوا سرايا ولكن كما لو أن الفرنجة كانوا يطاردونهم
برماحهم ، هكذا وأسوأ عمدوا للفرار من الطريق نفسه الذي جاءوا
منه من الاشيا .

وعندما رأهم الذين كانوا في القلعة من داخل يانينا ، عرفوا
وفهموا أن الروم كانوا يهربون ، وبعثوا بالرسل على الفور الى
الامبراطور : « اعلم ياسيدي الامبراطور ، أن الرومان
هربوا ، وعندما سمع الامبراطور وعرف أن الروم قد خرجوا من
قلعة يانينا ، غمره السرور ، وبسرعة ذهب بنفسه الى حيث كان
الأمير وأبلغه بالأخبار ، وبسماع هذا قال له الأمير : « لماذا
تنتظر ؟ » فدعا مارشال سانت أومر وأمره : « لتصدح كل أبواقنا
ولتوزع السرايا حتى تذهب بسرعة مباشرة الى يانينا ، حتى نجتاح
الروم قبل أن يبتعدوا كثيرا عنا ونقع في مزيد من المتاعب » وانطلقوا
مسافرين ووصلوا ذلك المساء الى يانينا الى معسكر الذين هربوا أي
جيوش الملك ، وأمر مارشال المورة
بأن (٩٠٤٢ - ٩٠٨٥) يوزعوا ، وفي معسكرات الروم اتخذ
الرومان مواقعهم ومضى الامبراطور وقادة الفرسان أيضا وقادة
الجيش الى خيمة الأمير وتشاوروا معا حول ماعليهم أن
يفعلوا ، وفي النهاية اتفقوا على أن يلاحقوا الذين هربوا ، على أمل
أن يلحقوا بهم ويقاتلهم وينتصروا وحتى لو لم يلحقوا بهم فانهم
سينهبون أرض الامبراطور هناك في رومانيا .

وعليه في الصباح التالي ، انطلقوا وذهبوا وسافروا. راسا في أثر أعدائهم ودعا الأمير وجاء الامبراطور ، وقال له إن عليه أن يوجه بعض قواته على أفراس خفيفة ليلحقوا بالروم وليخبروا المستق ، قائد الجيش نيابة عن الأمير ، وباسمه والامبراطور أيضا ، ويدعوهم لانتظارهم ليمضوا بعض الوقت معا في الميدان : لأنه لم يكن يوائم مثل هذا الجندي أن يأتي باحثا عن الاغارة بهدف القتال ، وبعد أن وجد المعركة مهيأة ، أن يهرب .

وعجل الذين أمروا بالذهاب الى الروم ولحقوا بهم في وقت قصير ، بينما كانوا يجتازون أرض الاشيا ، ونادوا عليهم من بعيد بأنهم كانوا رسلا وأن عليهم أن يستقبلوهم ليخبروهم بما أمروا به ، وأمر المستق الكبير بإعطائهم الأمان فاقربوا معه وقالوا له : « إن سيدي أمير المورة والامبراطور أيضا يبعثان بتحياتهما الى نبالتكم كصديق لهما وأخ ، لقد جئت من عند الامبراطور بالجيش التي معك تسعى لشن الحرب والقتال مع الآخرين ، والآن وقد وجبت ماتسعى اليه ، وماتبحث عنه فانهما يطلبان منك أن تبقى في المكان المناسب حتى يأتي بجيوشهما ، لخوض المعركة ، وكرجل ونبل ، انتبهوا لشرقكم لئلا يسود عليكم غيركم فتدخلوا عن شرقكم وتسقطوا في اللوم ويفضب الامبراطور .»

فأجاب وقال لهم : « اني أبعث بتحيات كثيرة الى أمير المورة ، والى الامبراطور أيضا كأخوة وأصدقاء لي ، وأخبرهما باسمي أنه اذا كانت قوات الملك التي عندي تحت تصرفي ، فسأفعل ما يريدان ، ولكن هنا يوجد أتراك وكومان لهم قانتهم (٩٠٨٦ - ٩١٢٩) وهم لا يلقون الي بالا »

وعند سماع الجواب انطلقوا عائدين ، وخلال عودتهم وجدوا رجالا كثيرين خيولهم منهكة وآخرين شردت خيولهم ، وأسلحة وخيام كثيرة أخرى تخطى عنها أصحابها وهم يهربون ، فأخذوا كل

ما أمكنهم ومضوا الى الجيش وسلموا جواب الدمشقي الكبير ، وعندما سمع الأمير والامبراطور أنهم ذاهبون ، وهم يولون الأدبار بقدر ما يمكنهم أعطوا الأوامر لجيوشهم ، وانطلقوا ينهبون وخرّبوا ودمروا أرض الامبراطور وغنموا كثيرا من الأسلاب وأسروا كثيرا من الرجال ، وكانت الأرض آمنة وتشجع الرجال بوجود الجيوش التي كانت تقف أمام قلعة يانينا ، وانقضوا عليهم انقضاضا وألقوا بهم ضرا عظيمًا .

والآن أن الغزوة والنهب الذي أحدث لكم عنهما لم يدوما طويلا ولا حتى يومين لأن التقارير وردت الى الامبراطور في ذلك الوقت أنه قد وصل الى خليج أرتا ستين من الشواني الجنوبية (والقوات التي تحملها) قد نزلت في بريفيسا (٧٢) ، وكانت تنهب المدن ، وكانت تستعد للذهاب رأسا الى أرتا ، وبسماع ومعرفة هذا كان الامبراطور خائفا جدا وأسف كثيرا ، لأنه شك مباشرة أن تكون الشواني هي نفسها التي استأجرها الامبراطور أي شواني الجنوبية ، لتأتي لقتاله وتدميره ، وعليه سأل على الفور : « أين الأمير ؟ وانطلق من سريته وذهب اليه وأخبره وروى له الروايات التي تقول بأن الشواني الجنوبية ، قد جاءت ونزلت منها القوات في بريفيسا ، وكانوا ينهبون المدن ، وكانوا يستعدون للذهاب رأسا الى أرتا ، وخوفي يفوق التقدير من أنهم قد يستولون على المدينة »

وعليه أجابه الأمير وقال : « اعلم أيها العم ، ويا امبراطوري ، حقا أقول لك أنني جئت لهذا السبب وتركت المورة ، لاساعدك في الحرب التي تخوضها حسنا ، وطالما أنني هنا في الامبراطورية فمر بما تحتاجه مني وسأفعله »

وعليه شكره الامبراطور بحرارة ، وأمر الأمير مارشاله على الفور ، فصححت الأبواق (٩١٣٠ - ٩١٧٠) بإشارة أن عليهم أن يعودوا (٧٤) . وبسماع هذا ، عانت سراياهم وهناك حيث كانوا يعسكرون توزعوا في ثلاث سرايا فيها ألف خيال ، وأمروا بأن

يذهبوا سريعا لنجدة أرتا « قبل وصول أسطول الشواني ، لأننا قادمون رأسا خلفكم » وعليه فقد انطلقوا وسافروا بلا توقف ولكن قوات الامبراطور التي كانت في السفن والشواني مع الجنوبيين نزلت الى الأرض وأسرت بعض الرجال وطلبوا منهم أن يخبروهم عن مكان وجود الامبراطور وعما اذا كانت معه اي قوات ، أي قوات أجنبية ، وأخبروهم وأعلموهم بأن الامير ، أمير المورة قد جاء ومعه كونت سيفالونيا ، مع كل جيوشهما ، وعلى الفور عند وصولهما الى هنا وسماعهما بالروايات بأن الدمستق الكبير قدم بجيوشه وقد ألقى الحصار على قلعة يانينا ، وأنهم استعدوا وتوجهوا رأسا اليهم ، واذ سمع الدمستق الكبير بذلك انطلق هاربا ، فذهبوا يلاحقونه ليدركوه ، والآن بالضبط ان بعض الناس قد خبرونا بأنهم قد قضوا عليه وعلى قواته وبأنهم عائدون مبهجين وسيصلون قريبا »

وبسماع هذا عاد قادة الشواني بسرعة مرة أخرى الى سفنهم وأعادوا المنجنقات والصلالم التي أفرغوها ليذهبوا لمهاجمة أرتا ، وعليه جاءتهم ايضا الروايات بأن الجيوش الفرنجية قد وصلت ، فأرسلوا من أجل القوات التي أرسلوها للنهب وكانت هذه قد اجتاحت المدن وأحرقت الأرض والأماكن في فاجينيتيا التي كانت قريبة من البحر (٧٥) لقد وقع بالأسر جميع الذين ذهبوا للنهب ، وقعوا بالحال بعد وصول اتباع الامبراطور ، أعني أولئك الرجال الألف من الخيالة ممن كانوا قد أرسلوا ، وكل من امكنهم أسره على الأرض ، من الروم والجنوبيين ، قضوا عليه كما وأسرنا أعدادا سواهم .

وعليه فكر أولئك الذين في الشواني وتشاوروا حول كيفية الاضرار بالامبراطور بطريقة ما ، وقال ذوو الخبرة البالغة والأكثر حكمة : « انكم تعرفون (٩١٧١ - ٩٢١٦) جيدا ويجب أن تتذكروا أمر الامبراطور بأنه قد وجه الدمستق الكبير ليذهب مع جيوشه ويغزو الامبراطورية من البر ونذهب نحن عن طريق البحر

(للفرز) لنساعدهم ويساعدونا ، طالما أن الوضع في البر موات ، حسنا وطالما أنه قد هرب دون قتال وأخذ جيوشه ، التي كان أملنا فيها - وترون أن الأمير والكونت معه قد جاءا بجيوشهما وهما مع الامبراطور - فكيف يمكننا نحن الجنود المشاة أن نلحق أي ضرر بالأرض ؟ لقد رأيت أننا قد فقدنا الجنود المشاة الذي اجتاحتهم قوات الامبراطور التي هي من الفرسان وعلى أي حال دعونا ننتظر حتى يأتي الامبراطور حتى يمكن أيضا أن نرى الأمير وأي جيوش لديه لأخذ هذه المعلومات الى الامبراطور المقدس »

وبينما كانوا يجرون هذه المشاورات وصل الامبراطور والأمير بجيوشهما ، وعندما سمعا وعلما أن الجنوبيين لم يدخلوا قلعة أرتا بالمرّة ، اعتبر الامبراطور نفسه ذلك جيد جدا ولم يلق بالآلى نهب المين بالمرّة عندما سمع أن الشواني بقيت في الميناء وعند سماع ذلك قال الأمير للامبراطور « طالما أن الشواني ماتزال راسية في الميناء علينا بعدم التمرجل ، بل دعونا نذهب الى هناك معا بجيوشنا ، وبالجنود المشاة والفرسان ولننصب خيامنا هناك قبالة الشواني لنحمي الأرض خشية أن ينزلوا الى البر ويلحقوا بعض الأضرار فيكون ذلك عارا علينا »

وكما وجه الأمير جرى ، فنفضوا أبواقهم وانطلق الجيش وذهب رأسا الى حيث كان الميناء ، حيث كانت ترسو الشواني شواني الجنوبيين ، وهناك نصبوا خيامهم واتخذوا مراكزهم ، واذ رأى الجنوبيون هذا ابتعدت الشواني وسحبت مراسيها وانطلقت الى المياه العميقة ،

والآن طلب الامبراطور المشورة من الأمير حول ماكان يعتقد انه سيحدث وماذا يفعلون ، وقال الأمير وهو الرجل الداهية للامبراطور : « يبدو لي ياعمي الطيب اننا يجب ان نتخذ مواقعنا هنا حيث تمركزنا لئلا يلجأوا الى البر سواء للحصول على الماء أو لايقاع الضرر ، ولنرسل الجيوش الى الأحواز لنحمي هذه الأرض

- ٤٩٤٦ -

أيضا لئلا يوقعوا بها ضررا « وكما أمر الأمير
جرى (٩٢١٧ - ٩٢٣٥) .

وعندما رأى الروم والجنوبيون الذين كانوا في شواني الامبراطور
هذا تحيروا بدرجة عظيمة من أين وجد الامبراطور مثل هذه القوات
الرائعة والجيوش التي كانت لديه ، وأثنوا على الأمير بدورهم جدا
وقالوا : ان الرجل الذي ضمن السند العسكري وسلوك الجيش
كان رجلا متمرسا في تدريب الفرنجة ومؤهلات الغرب ، وعليه فقد
تشاور الذين كانوا على ظهور الشواني أنه من حينه فصاعدا لن
يمكنهم ايقاع أي ضرر هناك حيث اتخذ الأمير والامبراطور
مواقعهم ، ولكن دعونا نتحول عن هنا ولنذهب إلى مكان آخر إلى
خارج رومانيا ، حيث ربما يمكننا بدون خوف ان نحدث بعض
الأضرار لأرض الامبراطور ونربح شيئا ما .

وبعدما اجتمعوا للتشاور نفذوا ، فرفعوا المراسي ، وحركوا
المجانيق ووصلوا في وقت قصير إلى أراضي فونوتزيا (٧٦) .

الهوامش والحواشي

حواشي تاريخ المورة

- ١ - قبل هـ مع ١ / ١٥٥ من ب ، الأوراق الثلاث الأولى من المخطوطة مفقودة .
وهذه وثقات أخرى في النص قد ملئت بالسطور المتعلقة من ب . من أجل المحافظة على استمرار الرواية - وكل من هذه الإضافات مذكورة . والأرقام بين حاصرتين عند رأس كل صفحة تدل على سطور النص المترجم فيما يلي .
- ٢ - إن خلق العالم حدث في ٥٥٠٨ قبل المسيح طبقا للترتيب الزمني البيزنطي وعليه فإن التاريخ المبين في النص سيكون بناء عليه ١١٠٤ للميلاد ، وقد حدثت الحملة الصليبية الأولى خلال أعوام ١٠٩٦ - ١٠٩٩ ، ومثل هذه الأخطاء ، تقع في ل .
- ٣ - زعم بطرس الناسك (١٠٥٠ - ١١١٥) أنه قد زار الأماكن المقدسة في ١١٠٩٢ أو ١٠٩٣ - ١٠٩٤ وهام بعد مجمع كلير مونت ١٠٩٥ عبر شمال شرق فرنسا ييشر بالحروب الصليبية ويدعو لها .
- ٤ - إن تفاصيل الحملة الصليبية الأولى كما هي معطاة في ٢ / ١٨ / ١٠٤ مأخوذة من رواية وليم الصوري .
- ٥ - أوربان الثاني الذي أقبل بالحملة الصليبية الأولى في مجمع كلير مونت .
- ٦ - العبارة في النص لاتعني الأناضول الحديثة بل آسيا اليونانية الصغرى . انظر فهرس س . للأسماء الجغرافية ص ٦٣١ .
- ٧ - اليكسيوس الأول كومينوس . كانت الرسم الهجائي لأسماء الأشخاص والأماكن المذكورة في الحولية مشكلة مستمرة ، خاصة حيث أن هناك نقصا في الترابط في كل عمل رجعت إليه . وقد اتبعت هذه القاعدة العامة :
إن الأسماء اليونانية ترجمتها عن اليونانية ، والأسماء الفرنسية معطاة بالفرنسية ، والإيطالية الخ ..
- ٨ - كلمة بازيلوس بالطبع هي الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة ملك .
يعطى فهرس ك هذه الكلمة معنى ميراث ويترجمها شمت على أنها (ممتلكات أسرة إقطاعية) .
- ٩ - استولى الفرنجة على نيقية في ٣٠ حزيران ١٠٩٧ وسلموها لاليكسيوس .
- ١٠ - تشير رومانيا للإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) في أوروبا في مقابل الأناضول التي تعني إمبراطورية آسيا الصغرى .
- ١١ - هذا اللفظ قديم مفرد للقب رجل نبيل أو موظف في البلاط ، والتعبير يستخدم كثيرا في الحولية للدلالة على النبالة اليونانية في المورة ولكنه يعطي أيضا معنى عاما وقد فصلت صيغة أرخون على أرخونت من أجل العذوبة .
- ١٢ - المقصود بأرمينية هنا ليس جغرافيا بل دولة أرمينية الصغرى التي قامت في كليكية أيام الحروب الصليبية .
- ١٣ - سقطت أنطاكية في أيدي الفرنجة بعد حصار طويل في ٣ حزيران ١٠٩٨ ، وهو صر المنتصرون أنفسهم بعدئذ في المدينة من قبل أمير الموصل كربوقا .
- ١٤ - يعتقد بوشون في كتابه (أبحاث تاريخية) ٢ / ٥ حاشية - أن هذا يشير إلى كتاب وليم الصوري (تاريخ أعمال أنجرت فيما وراء البحار) وهو يوجه أكثر بأن حولية المورة قد صيغت على غرار التاريخ الأقدم كنوع من السرد الموازي لتأثير الفرنجة ، وإذا كان الأمر كذلك فمن المهم أن

- ٤٩٤٩ -

يشار إلى كتاب وليم الصوري على أنه كتاب الاستيلاء ، وهو نفسه لم يسمه هكذا . والاستدلال هو أن مؤلف الرواية اليونانية للحولية ، ولديه علم بكتاب الفسزو ، الذي وضع كمواز لكتاب وليم الصوري ، وقد نقل العنوان معينا إياه إلى العمل الأقدم .

وتبدأ الترجمة الفرندسية بالقول : جاء في كتاب الاستيلاء على القسطنطينية ، وهنا يوهي بالإشارة نفسها إلى كتاب الاستيلاء وإنني أرى أن الرواية اليونانية والفرندسية أيضا قد استمدتا من هذا المجلد الأقدم . إن قانون رومانيا (مادة ٣) يلصق إلى بلدوين الثاني ويقول (كما روى بوضوح في كتاب الاستيلاء) . ثم يمضي ليكرر القصة المختلفة لزواج جيوفري الثاني دي فيلهارين من ابنة الامبراطور روبرت ، التفاصيل هي نفسها بالضبط المعطاة في الحولية في الأسباب التالية للبيت ٢٤٧٢ ، وكثيرا ما تكون الكلمات هي نفسها ولا مجال للتساؤل أن كتاب الاستيلاء المشار إليه في القانون هو إشارة إلى حولية المدورة ، مع أن هذه الحولية غير معروفة بهذا الاسم وبناء عليه يبدو أنه لا مفر من أن كتاب الاستيلاء ليس الرواية اليونانية ، ولا الفرندسية ، مع أنه يستعمل التعبير في عنوانه بل متأثرا بلا شك بتاريخ وليم الصوري .

١٤ - غود فري دي بوليون (١٠٥٨ - ١١٠٠) انتخب دوقا للورين الأدنى حاميا للضريح المقدس في ٢٥ تموز ١٠٩٩ .

١٥ - تبدأ هـ عند هذه النقطة .

١٦ - ١٢٠٨ م هذا التاريخ غير صحيح ، حيث أن التحضير القديم للحملة الصليبية الرابعة قد بدأ في ١١٩٩ .

١٧ - إن روايات الاستعدادات للحملة الصليبية الرابعة كما وردت في الحولية مشوشة والأكثر أنها غير صحيحة ، والمجلس الذي تتحدث عنه الحولية يحتمل أنه يشير إلى الدورة التي نظمها ثيودوث الثالث الشامبيني ١١٩٧ - ١٢٠١ في أكمي سور . على نهر الايسن في ٢٨ تشرين الثاني ١١٩٩ وفي تلك المناسبة انتهب كاهن نويلي على نهر المارن لينفذ المهمة التي خوله بها أنوسنت الثالث ووعظ بحملة صليبية ضد الكفار ، وبين الذين انضموا إلى الحملة في هذا الوقت ثيودوث الشامبيني وجيوفري دي فيلهارين ، ابن أخيه ، مارشال شامبين وفيما بعد أمير المدورة ، ولويس ، كونت بلوا ، وفيما بعد في ٢٣ شباط / ١٢٠٠ / انضم بـولودوين التاسع (١١٩٦ - ١٢٠٥) كونت فلاندرز إلى الصليبيين . وعقد اجتماع ل مناقشة الحملة في سواسون ، ولكن حيث لم يتقرر شيء ، عقد اجتماع ثان في شامبين ، حيث عينت لجنة لوضع الضلوط الضرورية ، وبين الذين عينوا كان جيوفري دي فيلهارين العم . واختارت المجموعة البندقية على اعتبارها أفضل نقطة تمرکز ووصلت إلى هناك في شباط ١٢٠١ لوضع الترتيبات مع الدوج . ووقعت معاهدة كان بمقتضاها على البندقية أن تعد بحلول نهاية حزيران ١٢٠٢ ، مراكب كافية لنقل ٤٥٠٠ فارس مع خيولهم و ٩٠٠٠ من حملة الدروع و ٢٠٠٠ ر ٢٠ من المشاة وإمدادات لأعالتهم لمدة عام كامل ، وفي مقابل هذا كان على الصليبيين أن يدفعوا ٨٥٠٠ ر ٨٥ ماركاً فضيا ، وقرروا أن تكون مصر غاية الحملة ، ولكن هذا أبقي سرا ، وعند عودتهم وجد المبعوثون كونت شامبين مريضا جدا ، وتوفي في ٢٤ أيار ١٢٠١ وكان قد اعتبر من قبل الجميع قائدا طبيعيا للحملة من جهة بسبب نسبه ، ومن جهة بسبب علاقات الصداقة بينه وبين الملك فيليب ملك فرنسا ، وكان موته تهديدا خطرا للانطلاق الناجح للحملة ، وعندما التقى الصليبيون في سواسون لانتخاب قائد ، رشع جيوفري فيلهارين بونيفيس مونفترات وبعد نقاش مطول أضفي عليه هذا الشرف .

١٨ - كان تصرف كونت طولوز في الواقع منافيا تماما للذوق بغيابه ، وكان في هذا الوقت مذنبلا بالكاثاري ، وكان الكونت الثالث هولويس بلوا .

اشتقت هذه الكلمة من واحدة أقدم تعني العلم أو الراية .

١٩ - منزلة أعلام الفرسان دون منزلة علم الكونت ولكن فوق منزلة أعلام الفرسان الآخرين .

٢٠ - جيوفري فيلهارين (١١٦٤ - نحو ١٢١٦) وهو المؤلف الرئيسي للنص الأدبي عن الحملة الصليبية الرابعة (الاستيلاء على القسطنطينية) .

- ٤٩٥٠ -

٢٩ - وكان المارشال الوراثي ، الذي قاد في المورة قذوات الأمير وكان الحاكم العسكري الأهل . انظر المؤسسات القطاعية ص ١٢٣ .
٢٢ - كنا بالأصل .

٢٣ - كان بونيفيس الأول مركيز مونتفرات من (١١٩٢ إلى ١٢٠٧) وملك سالونيك من (١٢٠٤ إلى ١٢٠٧) في نهر القمسين من عمره عندما أصبح قائدا للحملة .

٢٤ - خلص ليوبولدو أوسيفليو بعد تفكير جاد في المشكلة بشكل مقنع أن هذا يشير إلى كاستانيول بيل لانز وهي قلعة في جوار أشي في بيدمونت . انظر كتابه مركيز مونتفرات الأول : ١٧٩ / ٢ .

٢٥ - تقع جميع روايات الحولية في هذا الخطا نفسه ، وربما كان هذا نتيجة لتدشوش بين بونيفيس وشارل دي أنجو الذي كان أيضا وائضا عددا للويس التاسع ملك فرنسا حيث تزوج الاثنان من ابنتين لكونت بروفانس . وقد قام شارل بزيارة لأخيه طلبا للتصحيح والموافقة قبل القيام بهملته إلى إيطاليا بناء على أمر من البابا كليمنت الرابع .

٢٦ - هذه الفترة غامضة نوعا ما ويبدو أن المعنى هو أن الملك يفترض أن القيادة عرضت على بونيفيس كقريب لملك فرنسا القوي ، وبناء عليه فإن الحملة ستلقى مساعدة كبيرة من الملك ، وهذه السادة كلها بالطبع مختلفة .

٢٧ - سلطة المحدث باسمهم أو العمل من أجلهم .

٢٨ - أنريكو باندولو (١١٢٠ - ١٢٠٥) انتخب دوقا للبندقية في ١١٩٢ وحسب الأساطير ، بينما كان في بيمته سملت عينا بناء على أمر من الامبراطور ، إما بأشعة الشمس المكثفة بمرايا خاصة أو بالنحاس الساخن . وبسبب ذلك كان يضمم كراهية مريفة للأغريق ، وفي الواقع أن عماء كان نتيجة لمرض ، وباعته في حرف الحملة الصليبية عن غايتها الأصلية وهي مصر إلى زارا والاسطنطينية لم يكن بدرجة كبيرة لكراهيته للأغريق بقدر ما كان لتوسيع ممتلكات البندقية وتجارتها .

٢٩ - ترجمت هذه الكلمة بأنها الأسفن الجبيرة بالبحر علما أن هناك آراء أخرى مقابلة .
٣٠ - انطلق اسطول تحت قيادة جين دي نسل من فلاندرز بقصد الانضمام إلى الآخرين في البندقية ، ولكنه لم يصل مطلقا إليها . وأبحر لثرون من مرسيليا بينما ترك لثرون أيضا الطريق . نحو البندقية عند بياسنزا لينهبوا إلى أبوليا مع شوتير دي برين ، وليبجروا من برنديزي ، ونسب جيوفري دي فيليبا رمين ابن الاخ مع المجموعة الأخيرة . مع أن الحولية لا تذكر هذه الموافقة ، وليس هذا مدهشا إذ أن الحولية تلوم الذين لم ينهبوا إلى البندقية وبالكاد أمكنها أن تدرج واحدا من أبطالها في هذه المجموعة ، ويدهي ك . ص ٢٠ هاشية حول : ١ / ٣٩٥ ، أن كثيرا من الصليبيين رفضوا الإبحار من البندقية لأن سادتها قد جرفوا الحملة عن هدفها الحقيقي من أجل غاياتهم . وهذا يبدو غير محتمل ، حيث أن الهدف من حرف الحملة قد أصبح ظاهرا فقط عندما ظهر بالقرن نفسه أن ليس جميع الصليبيين سيصلون إلى البندقية .

٣١ - تتميز الرواية التالية للأحداث التي أتت إلى انصراف الحملة الصليبية إلى زارا والاسطنطينية بتميز قوي وعدم دقة ، وكان الدوق يعينا عن عدم الرضى عن النزاع ، وكان فقط سمينا جدا أن يتمسك به كفرصة ليؤدب مدينة زارا المسيحية بسبب طريقها الوحشة تجاه البندقية .
٣٢ - أبحر الاسطول من البندقية في تشرين أول ١٢٠٢ وبعد إخضاع تريستا وميفيا في الطريق واصلوا أمام زارا في ١٠ تشرين الثاني . وسقطت المدينة في خمسة أيام .

٣٣ - اسحق الثاني أنجيلوس امبراطورا من (١١٨٥ إلى ١١٩٥) ومرة أخرى في ١٢٠٣ - ١٢٠٤ مع ابنه الكسيوس الرابع .

٣٤ - اليكسيوس الثالث أنجيلوس حكم من (١١٩٥ - ١٢٠٣) وكان الاخ الأصغر لاسحق .

٣٥ - تزوج فيليب سوابيا ايرين ابنة اسحق وكان الابن اليكسيوس ابن حمى وليس ابن أخ فيليب . وقد اعتقل اليكسيوس الثالث اسحق وابنه اليكسيوس في ١١٩٥ وألقي بهما في السجن ، وهرب الابن وفر إلى ألمانيا في أواخر ١٢٠١ أو أوائل ١٢٠٢ وعليه كان في بلاط فيليب في الوقت الذي كانت فيه الترتيبات النهائية للحملة تتخذ . ومن الممكن جدا أن وجوده والظروف قد أثرت عليهم .

ومن المعروف على سبيل المثال أن بونيفيس مونيفرات قد زار فيليب قبل الذهاب إلى البندقية ، والامر غامض ، ولكن من المؤكد أن مصالح الكسيوس ومصالح فيليب الذي كان معجبا به والذي ربما كان أيضا لديه طموحات في الشرق ومصالح البندقية التي كانت بالتأكيد تأمل في التوسع هناك ، كلها بالتساوي ، قد أفلتت جيذا من انحراف الحملة الصليبية . وكان الكسيوس في الواقع سبق له أن بدأ المفاوضات مع الصليبيين عندما كانوا لا يزالون في البندقية بينما كانوا بدورهم قد أرسلوا الرسل إلى بلاط فيليب للوقوف على مزيد من التفاصيل . وتعد الأمر أكثر بسبب موقف البايبا ، الذي بصرف النظر عن كونه عارض بشدة نهج الأراضي المسيحية فإنه نظريا وعمليا مع ذلك قد أمكنه بالكاد أن يعارض بصلاية كبيرة فرصة راب الصدع بين الكنيسة الشرقية والغربية ، وعوضا لآخر في الحالة كان طبيعة الحملة الصليبية نفسها .

وقد انطلقت كمباراة مشتركة ، المباراة من أجل الرب ، وكان لها نكهة الرومانسية الأوروبية من البداية ، وكانت صورة أمير مطرود ، أخرج من ميراثه الشرعي ، يناشد الأمراء الفرسان في القرب المهونة لاسترداد ما هو حق شرعي له ، وطرد طاغية مفتصب بكل تأكيد تدورق أصحاب المراتب والألقاب في الجيش ، ومن المحتمل أن التفاصيل الكاملة لانحراف الحملة الصليبية لن تصرف مطلقا ، لكن على أي حال في أيار ١٢٠٣ لحق الكسيوس بالحجاج ووقع معاهدة معهم ، وفي مقابل مساعدتهم على أخذ الإسطمطينية وعد بدفع الأموال المستحقة للبندقية ، وأن يقدم المال والمؤن اللازمة لحملة غزو مصر ، وأن يرسل ١٠٠٠ ر ١٠ رجلا ليساعدوا في هزيمة المهمة ، وأن يهتفظ بضممات فارس لحرارة الأرض المقدسة . وفي النهاية بأن يحقق الوحدة الدينية مع روما ، ولا حاجة للقول بأن رواية هذا الأمر معرفة تماما في البداية .

٣٦ - يضيف ل (فقرة ٣٠) تفاصيل أن الملك انتزع قسما من الكسيوس ، وتذكر في ف (فقرة ٣٢) أن الكسيوس نفسه ذهب إلى روما .

٣٧ - هذه الرواية زائفة تماما فقد حرم أنوسنت الثالث في الواقع الصليبيين لاستيلائهم على زارا .

٣٨ - يشار إلى الإسطمطينية بمدينة قسطنطين أو الإسطمطينية أو بمجرد كلمة المدينة .
٣٩ - ترك الصليبيون كورفو بالمراكب في ٢٤ أيار ووصلوا أمام القسطنطينية في ٢٢ حزيران ١٢٠٣ . مندهشين من أن الناس لم يهملوا الولي العهد الشرعي الذي أعيد معهم إلى الوطن ، وقرر الفرنجة الاستيلاء على المدينة بهصار نموذجي للقرون الوسطى يليه هجوم . وطهروا الضواحي بسرعة وشدوا هجوما عاصفا على برج غاستالا ، وعسكروا في سكوتاري ، في حين اقتحم البنادقة السلسلة الممتدة عبر الميناء . وهجمت القوات المشتركة من البر والبحر في ١٧ تموز ١٢٠٣ وإنهارت بسرعة معنويات مفتصب العرش اليكسيوس الثالث الذي لم يكن أبدا واثقا من موافقه وهرب ، وأعيد أسحق إلى العرش وفي الأول من آب تزوج ابنه كامبراطور مساعد .

٤٠ - هذه فقرة غامضة جدا . والأسماء المستخدمة في البداية لاختلاف السفن في تلك الفترة تشكل مشكلة نائمة .

٤١ - وكان العمى قد جرد بحكم العادة اسحق من الاهلية لأن الامبراطور البيزنطي كان عليه أن يكون بلا شائبة . وكنتيجة كانت إزالة عينية أو اسنانه أشد الطرق فعالية للتخلص من منافس أو مدع العرش .

٤٢ - وبناء على الحاج البنادقة ، قرر الصليبيون تمضية الشتاء في ضواحي المدينة ولم يكن الكسيوس قادرا على مواجهة مطالبهم ، التي كانت تتزايد دائما ، ولا كان قادرا على إرضاء حزب

وطني برز في المدينة . وخلال الشتاء كان هناك توتر بين الاغريق والفرنجة ، مع أحداث عديدة ملتزمة ، لم يكن أقلها حريق أشعله اثنان من الثهابين القلمذك ، الذين ثاروا دون ضابط لمدة يومين ، وبداخل المدينة أدى الشغب وقاتل الشوارع في النهاية في شباط ١٢٠٤ إلى ثورة بقيادة البطل الشعبي الكسيوس (دوкас مورتزفولوس صهر الكسيوس الثالث) . وخذق الكسيوس في السجن واستولى مورتزفولوس على العرش وقرر الفرنجة أنه فقط بالاستيلاء على المدينة نفسها يمكنهم أن يحققوا آمالهم العظيمة ، وفي نيسان بدأ الهجوم .

٤٣ - تعني هذه الكلمة نفسها (رومانيا) ولكن الكتاب البيزنطيون قد استخدموها للدلالة على الرعايا الروم الشرقيين أو الامبراطورية البيزنطية التي كانت تابعة للكنيسة الارثوذكسية وكانوا يتكلمون الرومية وهكذا .

٤٤ - ولحماية جناحهم المواجه للضواحي الأوربية للمدينة .

٤٥ - تدل الكلمة على تجربة عسكرية صغيرة ولكن معناها وأصلها غامض . إن مناورة فصل السرايا هي المقدمة لكل معركة موصوفة في الهولية .

٤٦ - تقع أدنة على نهر مارتيسا في تراقية وهي على أقل من ١٥٠ ميلا من القسطنطينية ، وكان الكسيوس الثالث في هذا الوقت قد حشد قوة ما ، واستولى على أدنة .

٤٧ - يشبه شمت هذه بهرقلية بونتিকা في بيثينيا التي يحدد مكانها على ساحل البحر الاسود حوالي ٢٠٠ ميلا عن القسطنطينية ، مع أنه يبدو أكثر احتمالا أنه يشير الى هرقلية التي تقع على الساحل الشمالي لبحر مرمرة ، وهي على طريقهم نحو مصر ، ولا يمكنني أن أفهم لماذا أبحروا في البحر الاسود للوصول لمصر .

٤٨ - الكسيوس ف . دوкас صهر الكسيوس الثالث الموثوق ولقب مورتزفولوس فيه إشارة إلى حاجبيه السوداوين الكثيفين .

٤٩ - من القريب أن أخبار هذه الانفجارات المضاعفة للروم لم تسرد في ب . ل : ٧٦٦ / ٠٠ ، ٨٨١ ، ١٢٤٥ ، ٣٩٣٢ الخ ...

ومثلت ها بثرة في المجموعة الأخرى ، وحذفت سطور فربية حول العداء للروم والطبيعة المناهضة للارثوذكس أيضا . علاوة على أن هذه المحذوفات كلها تبدأ في وسط خطية مسهية عنيفة أو حتى جملة ، وهذا يبين أن ب . هـ من عمل كاتب متأخر رغب في أن يضيف من التحيز العنيف المناهض للروم في الهولية وأن هـ . من جانب آخر ، من الواضح أنها من عمل كاتب إما أن يكون من الفرنجة كما يفترض كالوماروسي (ك هـ ٣٤ حاشية ٧٥٤) أو فرانكو فيل . ويجب أن تبين أن الترجمة الفرنسية من الهولية تهوي قليلا من المشاعر المناهضة للروم في هـ .

٥٠ - يمكن أن يعني هذا السطر : أنهم يقولون بأنهم وحدهم يؤمنون بالمسيح .

٥١ - فقرة مشوهة والقراءة البديلة ، أنهم يجلسون كما لو كانوا يسيرين على الشوك ، أو أنهم يجلسون كأنما على الشوك ، أو أنهم يجلسون كما لو كانوا في المراهض .

٥٢ - كنا بالأصل .

٥٣ - هذا غامض وربما تقرا: لنبحث عما ليس لدينا .

٥٤ - المنجنيق آلة لاذق الأحجار على المدينة المحاصرة .

٥٥ - القوس والنشاب كان قوسا معقبا كثيرا ما يصنع من الصلب ويؤد بذراع أو وسيلة آلية أخرى لليد ويقوم الرامي عادة بتشغيل الآلية وهو مستقل على ظهره ويطلق السلاح وهو في هذا الوضع ومع أن لسهمه قوة اختراق عظيمة لأن عوائقه الواضحة كانت ثقلة وبطء معدل إطلاقه .

٥٦ - حدث الاستيلاء الأول على المدينة في ١٧ تموز ١٢٠٣ وليس في ٤ تشرين الثاني وحدث الثاني في ١٣ نيسان ١٢٠٤ والهولية بشكل ذي معنى لا تأتي على ذكر أي من المشاهد البربرية التي صاحبت الاستيلاء الثاني على المدينة ولا الأسلاب الهائلة التي جمعت .

٥٧ - هرب مورتزفولوس في البداية نحو الشمال إلى تراقية ، ثم بعد ذلك وبسبب خيانة حميه الكسيوس الثالث وبسبب المضايقة من قبل القوات الفرنجية هرب إلى آسيا الصغرى حيث هُام

مهجورا بأدسا مع حاشية صغيرة حتى أسر في النهاية من قبل الفرنجة في وقت ما من تشرين الثاني ١٢٠٤ .

٥٨ - إن ب . توجز في هذه النقطة .

٥٩ - إشارة إلى ليو السادس الحكيم (٨٨٠ - ٩١٢) .

٦٠ - فقرة مشدودة . ومن الواضح أن المؤلف أراد أن يذكر شيئين في وقت واحد : إن ليو كانت له نبوءات كثيرة - تحقق بعضها في وقتها في حين لم تتحقق الأخرى بعده وأنه قد أذسا أيضا كثيرا من النصب التذكارية في المدينة ، وكان أحدها العمود موضوع الكلام .

٦١ - ل . ع . ص ٦٩ يعرف هذا بأنه عمود (ثيوبيزيوس في ساحة ثيوبيزيوس الثاني - ساحة توري) .

٦٢ - يبدو أن هذه هي الطريقة التي لقي بها مور تزوفولس مصرعه فعلا ، حيث أن كل المصادر تصف المشهد . وانظر ما جاء عند روبرت كلاري حوله .

٦٣ - إن حسم مسألة الامبراطورية ، كان قد تم من قبل في معاهدة وقعت من قبل الصليبيين ورجال البندقية أن يتقاسموا الغنائم بالتساوي ، وكان على لجنة مشكلة من ستة من البنادقة وستة من الفرنسيين أن ينتخبوا الامبراطور والطرف الذي لا ينتخب الامبراطور منه يقدم البطريرك الذي سيشفل كنيسة سانت صوفيا . وكان للامبراطور أن يحصل على ربع الاراضي المستولى عليها . ومن الباقي ينهب نصف إلى البندقية ونصف للصليبيين . واشترطت البندقية علاوة على ذلك المحافظة على كل ترتيباتها التجارية في الشرق وأن تحصل على حصة الأسد من الغنائم بتأمين لما زال مستحقا لها مقابل مصاريفها في الحملة الصليبية .

٦٤ - هذا هو التعبير المستعمل للامبراطور في كل الهولية ، ولكن استخدمت كلمة امبراطور للدلالة على الفرنجة وأقيمت كلمة « بازيوس » الليونانيين وقد انتخب بلديون في ٩ ليار ١٢٠٤ وتزوج باهتفال بيزنطي كامل في ١٦ ليار في سانت صوفيا وأن رواية الهولية مفهومة بالهوية ولكنها مختلفة .

٦٥ - هذه محاولة لوصف المراسم البيزنطية للتتويج امبراطور جديد وكانت العبادة رمزا للملكية وكان الحثاف والتهليل والتعظيم في المراسم بينما كانت الجماهير ترجو لامبراطورها الصحة وطول العمر .

٦٦ - بعد الاحتفال بعيد الفصح الذي تصادف في ٢٥ نيسان ، اجتمع الصليبيون معا لاختيار الناخبين الستة . وبدا بسرعة أن بونيفيس وبلديون المتنافسان الرئيسيان على المنصب وأشياعهما قسما الجيش إلى فئتين ، وتم التوصل إلى تسوية بهما كان للذي لم ينتخب أن يعرض بأراض مناسية في آسيا الصغرى أو المورة ، واجتمع الناخبون أخيرا في ٩ ليار ١٢٠٤ .

ووصل التشاور الى طريق مسدود لبعض الوقت حتى ألقي البنادقة أخيرا بدعمهم وراء بلديون ، ربما لأنهم لم يكونوا يريدون أن يزيدوا من قوة جارهم الخفيف من قبل مركز مونتفرات ، وفي اليوم التالي للتتويج طلب بونيفيس ، أن يعطى مملكة سالونيك . التي فضلها على اراضي في آسيا الصغرى .

وكان لثوه قد تزوج أرملة اسحق اتجاوس الثاني ، ماري أو مارغريت أخت ملك هنغاريا ، واضطر بلديون الى الانعاز في النهاية .

٦٧ - لم يكن هناك كونت طولوز في ذلك الوقت ، وهذه هي المرة الثانية التي تدرج فيها الهولية كونت طولوز بين الصليبيين ، ويحتمل أن المقصود هو كونت بلوا .

٦٨ - في خريف ١٢٠٤ عينت لجنة من ٢٤ عضوا ، ١٢ من البنادقة و١٢ من الصليبيين لتوزيع اراضي الامبراطورية بعد استبعاد تلك التي أعطيت من قبل بونيفيس حسب المخطوط التي وضعت في اتفاقية أثار واعتبرت الامبراطورية بكل مكوناتها المختلفة ، تلك التي غزيت من قبل ، وتلك التي تنتظر الفوز وقسم كل جزء كما اشترطوا ، وعملت البندقية بالطبع على أن تحصل على الاراضي التي ستقوي مصالحها التجارية . وبالنتيجة ربحت أهم حصة إن لم يكن أكبرها في المنطقة بالفعل ،

واستخدمت أيضا حقها في انتخاب البطريرك وحافظت من خلاله على نفوذ قوي في شؤون المملكة اللاتينية ، وحصل الدوح على لقب رفيع احتفظ حتى ١٣٦١ .
٦٩ - والأشيا كانت ومازالت منطقة بلا حدود دقيقة في شمال وسط اليونان ، تضم معظم سيسالي وتمتد في اتجاه الشمال في أراضي غير يونانية وأرتا في الجنوب ويانيا وهي الاسم الشعبي لجوانينا في الشمال كانتا المنحنيين الرئيسيين في البيروس وكانت في ذلك الوقت أكبر بدرجة طفيفة منها الآن .

وكان هيلاس هو اسم منطقة وسط اليونان البيزنطي القديم الذي يضم بواقيا وانيكا وبوميا وأجزاء من أثينا ، ووضع في القرن الثالث عشر كثيرا من هذه المنطقة تحت سيطرة ميكايل كومنيوس دو كاس وخلفائه ولقد كان ميكايل ابن سيفا سستوكرا تور يوانس دو كاس ، الذي كان مرة حاكما صهييا للمنطقة ، وتخلط الصولية بين اسمه الذي توره مصصفا يوانس فساتاتزس وبين جوهها نيتزا الذي لقب نفسه قيصر اللاشيين والبلغار والذي يعرف باسم مختلف هو كالوجيون ، أوروما بوكودوس ، أو جون الأول ليس الخ . ، وقد حكم بلغاريا المستقلة من ١١٩٧ إلى ١٢٠٧ . وكان في البداية مصبا للإمبراطورية اللاتينية الجديدة ، وسرعان ما وجد اللاتين خصوما له ، وشحن مهورا بربريا على المناطق المحيطة بسالونيك وهزم اللاتين في معركة أدري (١٤ نيسان ١٢٠٥) وأسر بلدوين ، الذي اختفى بعد ذلك ، واغتيال جوهها نيتزا أخيرا أمام أسوار سالونيك من قبل القديس الراعي للمدينة ، القديس نيمتريوس نفسه طبقا للأول الشعبي في ذلك الوقت .
٧٠ - أرض الكومان ، وهم شعب شرس محارب كان يسكن المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود .

٧١ - شعب أسيوي من جيران الكومان كثيرا ما كانوا يتخذون كمرقزة من قبل الإباطرة البيزنطيين .

٧٢ - (الجريد) هو الرمح وهو عصا بطول ٢٦٠ سم ذات رأس حديدي وكانت تستخدم من قبل العرب والفرس .
٧٣ - عندما جاء الربيع .

٧٤ - إن الترتيب الزمني للصولية غير صحيح هنا ، وفي الواقع قتل بونيفيس من قبل البلغار في ٤ أيلول ١٢٠٧ بعد أكثر من عامين بعد معركة أدري .

٧٥ - نوع من السلاح التركي ، وربما كانت الكلمة تعني قضيبا شائكا ، وهي مشتقة من كلمة يونانية معناها يهز .

٧٦ - كان الدوح داند لو في الواقع ما يزال حيا ، في القسطنطينية في ذلك الوقت ، وتوفي بعد المعركة بأيام قلائل ودفن في سانت صوفيا ، وبقي قبره هناك حتى (١٤٥٧) حيث خربه الاتراك .

٧٧ - كان أخو بلدوين وخليفته هو هنري دعي هنيوت (١٢٠٦ - ١٢١٦) الذي لم يرد ذكره في الصولية ، وتزوجت أخته يولاند ببيير دي كورتناي ورزقت منه بابنه دعي أيضا يولاند ، تزوجت من أندرو الهنغاري ، وعندما توفي هنري لم يترك وريثا مباشرا وتولت الخلافة إلى أخته ، رغم التفكير في أندرو للمنصب ، ولكنه عرض على يولاند حتى القسطنطينية وتولت الحكم لصالح زوجها المقتل ، وبعد عامين مات . وفي ١٢١٩ عرض التساج على أكبر أولاد يولاند فيليب الذي تنازل لصالح أخيه الأصغر روبرت دي كورتناي ، وهو روبرت المذكور في الصولية .

٧٨ - نيمفيوم قرب أزمير سيمرنا في آسيا الصغرى .

٧٩ - بلدوين الثاني (١٢٢٨ - ٦١) كان أخا لروبرت ، وقد وصل إلى العرش في سن السابعة عشرة ، وكان جون بريين وصيا عليه حتى ١٢٣٧ .

٨٠ - الملك جيمس الثاني .

٨١ - انظر أثناءه ١١٧ الحاشية ٢٤ .

٨٢ - إن هذه الكلمة مستعملة في النص لتدل على إمارة البلبونييز بكاملها وناحية اليس المقصود هنا هو إيليس .

- ٤٩٥٥ -

٨٣ - جيوفري الثاني دي فيلها رين ١٢٢٨ أو (٣٠ - ٤٦) كان الأخ الأكبر لخليفته غوليوم (١٢٤٦ - ١٢٧٨) ومن أجل التفاصيل حول الزواج أنظر انناه ص (٢٦ / ٢٤٧٦) هاشية ٨٩ .

٨٤ - تبدأ الحولية عند هذه النقطة في البحث حول حكام امبراطورية نيقية ، ترو . تيودور الاول لاسكارس (١٢٠٦ - ١٢٢٢) من انا ابنة اليكسوس الثالث وليس اسحق انجيلوس . وكانت زوجته الثالثة ابنة الامبراطورة يولاند ماريا كورتناي وخلفه ابن من زوجته الثانية وهي اميرة ارمنية ، هو يوانس الثالث دوكاس فاتاتزس (١٢٢٢ - ١٢٥٤) وخلفه بدوره ابنه تيودورس الثاني لاسكارس وهو تيودورس الذي يشار إليه في الحولية ، وقد توفي في ١٢٥٨ مصابا في عقله وبينه وكان في السادسة والثلاثين من عمره تاركا ابنه ايوانس الرابع لاسكارس وكان بالكاد قد بلغ الثامنة من عمره ، وتحت عناية وهي لم يقبل به النبلاء واستبدلوه بميكائيل بالايولوجوي ، وهو سليل مباشر لانجيلي ، وسمي ميكائيل وصيا ثم أميرا وأخيرا امبراطورا شريكا في ١٢٥٩ وبقي ايوانس في الخلفية ، وعندما نخل ميكائيل القسطنطينية تحت اسم ميكائيل الثامن سملت عيناه والقي به في السجن .

٨٥ - كان اللان شمبا بدويا رحالا يعيش في منطقة القوقاز وكان الزخوي أو اليوزز يعيشون على شواطئ البحر الأسود .

٨٦ - وعندما قسمت الامبراطورية من قبل اللاتين بعد الاستيلاء على القسطنطينية ، خصصت نسب كبيرة من آسيا الصغرى للامبرطور بلدوين الاول الذي وهب بدوره إقطاعات كبيرة في هذه الاراضي لاتباعه ، وبين هذه كانت دوقية نيقية ، التي خصصت للكونت لويس بلوا ، ودوقية فيلادلفيا ، التي خصصت للكونت ستيفن بيرس ، ولم يضع أي من هؤلاء الدوقات يده مطلقا على هذه الاراضي ، وبعد محاولات متكررة من قبل الفرنجة لفرض سلطانهم على آسيا الصغرى ، وسقطت الاراضي في يد الامبراطور الرومي لنيقية ، ولم يحكم روبرت فلاندرز في فيلادلفيا ، مع أن هذا قد يكون اشارة لهنري ، أخو الامبرطور بلدوين ، الذي كان قاد حملة الى آسيا الصغرى في ١٢٠٤ - ١٢٠٥ وقد خلط بين روبرت وهنري في كل الحولية كما في ١ / ١٢٢١ أعلاه .

٨٧ - هذه الفقرة ٢ / ١٢٤٩ - ١٢٥٥ مذكورة في ب .

٨٨ - يشتق شميث معنى هذه الكلمة من كلمة لاتينية معناها يسكن أو يتخذ مراكز ، والكلمة مستعملة في الحولية في مكان آخر بمعنى (٢ / ٥٠٤٧ ، ٦٤٣٥) حيث تعني ليمون الاحياء ، وهنا تستخدم الكلمة إضافة أو عطا على كلمة معناها مدينة صغيرة أو كما هنا هي ومع ذلك فإنها تعني أحيانا (النزول إلى البر أو يرسى السفينة) وكثيرا ما كانت تعني النزول إلى البر في لاتينية القرن الرابع عشر . انظر أنتونينو ما نفو (العلاقات بين فريديريك الثالث صاحب هقليا وجيوفاني الاول صاحب نابولي باليرمو ١٩١٥ ل ص ١٦ و س .) والميناء المشار إليه في هذه الفقرة هو القرن الذهبي .

٨٩ - هذه الكلمة مع مكافئها اللاتيني دللت على ضريبة تجارية مفروضة كضريبة على المبيعات ، وكرسم جمركي ، ووقعت المعاهدة في نيمفيوم في ١٢ آذار ١٢٦١ وبموجبها تنقسل السيادة التجارية في الشرق من البندقية لجنوا .

٩٠ - يبدو أن معنى هذه الكلمة بشكل دقيق أجر الجندي والفعل منها استعجار مرتزقة .

٩١ - لجأ بلدوين أولا الى قصر بلاشيرين ثم عندما رأى المدينة تلتهب ، هرب من المدينة إلى القصر الكبير البوكوليون ، ومن مينائه الصغير أبحر في النهاية من المدينة .

٩٢ - نزل الفارون أولا في يوبوا ثم ذهبوا بعد ذلك إلى أثينا ثم أبحروا من بيرابوس ، ومونمافاسيا ، ثم غادروا أخيرا إلى أبوليا . وكان الأمير غوليوم خلال تلك الفترة سجيناً في أراضي ميكائيل الثامن .

٩٣ - كان ادسلان توسي أخا لفيليب وتوسي ، بابلي ، أي نائب الامبراطور بلدوين وكان لقب

- ٤٩٥٦ -

شخص عامة موهوبا من قبل البيزنطيين للأمراء الذين يحملون الدم الملكي ولكن يبدو أنه قد استعمل من قبل اللاتين لنواب القسطنطينية . واسر انسلان في بلاغونيا ، ولكن ميكائيل ، أطلق سراحه ، بأمل أن يستخدمه في هجومه على القسطنطينية ، ومن أجل مناقشة مطولة حول أسرته ، انظر ديوجينيا كويلوس أوراق دمبارتون أوكز . رقم ٧ (كميردج ١٩٥٣ الملق ب ص ١٣٧ - ١٤١ . ٩٤ - كان فيلان دي أونوي ابن عم غوليوم دي فيلها رين وثلاثي منه إقطاع أركانيا ، التي اقتطعت من مقاطعة الأمير ، وأركانيا هو اسم من العصور الوسطى أطلق على كيبارسيا القسيمة والهيئة ، وهي مدينة هامة على خليج بهذا الاسم .

٩٥ - انظر أناه .

٩٦ - في طبعة بونشون تنتهي المقدمة ب ١ / ٣٣٢ ، ولكن سميت يضيف ستة آيات كي ينهيها بالعبارة الدالة على النهاية ، والبيت ١٣٣٩ استخدم كعنوان للقسم الثاني والرئيسي من الهولية .

٩٧ - إن هذه الفقرة بكاملها غامضة ، ولا يمكنني على أي حال أن أفهم تفسير شمت (س ٣٧) . من أجل بيان أن مؤلف الهولية كان على صلة بالناس الذين كانوا أحياء خلال الفترة ، التي تغطيها الهولية ويعلن شمت أن ١ / ١٣٤٤ (لايشير كثيرا إلى روايات الفساة القدامي بقدر ما يشير إلى روايات المسنين من الناس الذين جاؤا معهم) ، الأمر الذي يمكن أيضا أن يفسر بيونانية العصور الوسطى نقلا عنهم ... وقد يكون هذا صحيحا جدا ، ولكن بصرف النظر عن كيف يلوى المره الجملة ، إنه لمن المستحيل إلى حد ما أرى أن استمد منها الأهمية التي وجدها شمت هناك . إن العبارة موضوع البحث تقرأ بسهولة فهي ليست معقدة كما وجدها .

٩٨ - شيبود الثالث انظر أعلاه ، لم يكن غوليوم أخاه بل قريبا بعيدا .

٩٩ - كان يودس لي شامبنوس دي شامبليت وأخاه غوليوم ابنان ليودس ابن هورغ صاحب شامبين والبيزايت بورغاندي ، وقد حصل على اسم شامبنوس من أهلها واسم شامبليين من المكان الذي هربت إليه اليزابيت عندما تهرأ منها زوجها ، والاسم سالون نقلا عن شمت هو تصحيف لشامبليين وورد في سائر روايات الهولية . ويجادل شمت بأن الترجمة الفرنسية يجب بناء عليه أن تكون مستمدة من اليونانية ، لأنه لو أن فرنسيا هو الذي كتب الهولية الأصلية لكان على معرفة اللفظة باسم شامبليين بينما يمكن أن لا يعرفه في صورته المصحفة ولكن هل يمكن أن نتأكد من أن سالوت وسالوس وسالوت هي حقا صور مصحفة من شامبليين ألم يكن هناك ربما اسم مثل ذلك كان يعرف به فقد بالنسبة لنا ؟

١ - كان وصول شامبليين إلى الدورية تحت ظروف مختلفة تماما . وكان غوليوم في الواقع قد ذهب إلى الشرق مع الحملة الصليبية الرابعة . وكان مع بونيفيس ملك سالونيك ، عندما ذهب إلى اليونان ليطالب بمملكته ويخضع شبه الجزيرة .

وفي خريف ١٢٠٤ ، وصلت فرقة من القوات إلى الشرق قادمة من الغرب ، ويحتمل أن المؤلف قد خلط بين هذا الوصول ووصول جيوفري دي فيلها رين ابن أخي المؤرخ الذي وصل مصادفة إلى الدورية في الوقت نفسه من وصول شامبليين وبونيفيس إلى أتيكا . وأصبح جيوفري منهممسا في الشؤون الدورية المحلية في خريف وشتاء ١٢٠٤ ، ورؤية فرصة عظيمة في الحالة غير المستقرة في المنطقة ، رغم اللقاء شامبليين ، الذي كان مشتركاً في حصار نوبليا في ذلك الوقت ، وليقتحمه بالهجرة معه ويقود غزو الدورية ووافق شامبليين ، وعاد مع جيوفري .

٢ - إن هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية بمعنى سلم ، ويصليها شمت أيضا معاني محنة وممر جبلي .

٣ - إن لخصا المشار إليها هنا هي كاتو - لخصا الحديثة التي تقع إلى الغرب من باتراس .

٤ - كانت أندرا فيدا المدينة الرئيسية لايليس وتقع في سهل الدورية المنطقة التي يجري عبرها نهر بيديوس في المرحلة الأدنى من رحلته ، وأصبحت المدينة الأخيرة لدى أمراء الدورية وعاصمتهم .

٥ - مازال أهل أندرا فيدا يدعون بهذا الاسم ويؤكد لوفنيون في كتابه / الاستيلاء على إمارة الدورية - تاريخ الدورية - ١٢٠٤ - ١٣٠٥ باريس ١٩١١ . من اسم أندرا فيدا سلافي ويعني مكان اللقاءات (مقابل الماء) وبسابل درا غوميس في هذا في كتابه / تاريخ الدورية / (أثينا ١٩٢١ ص ٦ الحاشية) .

٦ - لقد كانت هذه هي الطريقة البيزنطية المعتادة لتسمية السيد الأكبر ، ورهب شمع اليونان الذين كانوا مضطهدين من قبل السادة المحليين ومتهمين من حروبهم الصغيرة المستمرة بالفرنجة كمنافقين وكانت حالة الأمور في أتيكا في وقت وصول بونيفيس قد وصفت خطيا من قبل ميكائيل كونيايس اكوميناتوس في مذكرته إلى الكسيسوس الثالث . تحقيق سبب لامبروس اثينا ١٨٧٩ - ١٨٨٠ . وأخيه نيسيتوس كونياتس (اكومينا توس) مؤرخ الفترة ، ولا حظ بمرارة بأن بونيفيس استقبل من قبل الروم المحليين (الشخص يعمد إلى وطنه بعد غياب طويل) .

٧ - ترجمة هذه الكلمة بعيد أقوى من اللازم ، ويبدو أن الفعل منها في تلك الفترة كان الطروقة اليونانية للتعبير عن الخدمة القطاعية ووضع الرجل المرتبط بعهود الولاء للسيد القطاعي في حينه ، وربما تترجم بشكل أفضل (كاتباغ) .

٨ - فوستيتا ميناء على خليج كورنث شرق باتراس .

٩ - كان ليون سفورس طاغية صغير وكان يزعم المن في اليونان خلال الانفصارات التي صاحبت الحملة الصليبية الرابعة وكان أبوه نوعا من أنواع السادة القليلي الشأن وحاكما نظريا باسم الملك في مدينة نوباختوس ، وعندما خلفه ليون في السلطة .

استقل سقوط أثينا العاصمة فسمى إلى مد سلطانه إلى كورنث وأزغوس ، وصمد ميكائيل اكوميناتوس ، حاكم أثينا القوي هجماته على أثينا ، ثم تحرك ليستولي على طيبة .

وعندما بدأ بونيفيس سيرته في اليونان في ١٢٠٤ قرر ليون سفورس مقاومته في ترموييلي ، ولكن كما يقول تكستاس سافرا بنظرة واحدة إلى الفرنجة استنار وركض . وتراجع إلى قلعة كورنث حيث صمد حتى (١٢٠٨) عندما انتصر في ياس بأن قفز بهصانه من فوق أسوار القلعة .

١٠ - بدأ الهجوم على كورنث من قبل بونيفيس نفسه ، الذي بنى حصنا صغيرا أسماه مونت أسكوفيه ، وكان أن وصل جيوفري دي فيلها رين في الأيام الأولى من الحصار ليجلب مساعدة شامبليين .

١١ - تعني الكلمة في اليونانية القديمة (ندس) أو ملطخ بالجريمة ، والآخر منهما هو المعنى

الذي يعطيه شمت ، وهذا الانمكاس المفاجيء والقام في الراي حول سفورس الذي كان يدعى الرجل العظيم في ل ١٤٤٦ والامير الشرعي في ل ١٤٦٦ ، والذي يفكر في النساء .
١٢ - كانت دامالا وهي طروانة القبيمة ، قرب شبه جزيرة اغوليبيسب مقر أسقفيا هاما في المصور الوسطى وكانت هاغيون أوروس وتدهى الآن أجيرفورين تقسح الى الجنوب من كورنث حوالي منتصف الطريق إلى أرغوس .

١٣ - إن هذه الرواية كما نبه القارئ أكثر من مرة خليط من عدم الدقة .

١٤ - تستعمل هذه الكلمة خلال الحولية لتعني مدينة كبيرة أو مدينة صغيرة .

١٥ - هذا اللقب يعود تماما الى أصل من القرون الوسطى وليس له إشارة من أي نوع الى اليونان القديم ، والأصل التقليدي المفترض للقب كان على أي حال مفترضا من كل من دانتي وبروكاسيو الذي أطلقه على تيسوس البطل الاسطوري لاتيكا القبيمة .

١٦ - إن رواية « ثي » غير صحيحة . ولم يمنح بونيفيس أية أراضي شاميليت ، وفيما بعد في (١٢١٠ - ١٢١٢) فإن أوتون دي لاروش أمير أثينا (١٢٠٤ - ١٢٢٥) عاون جيوفري دي فيلها ردين في حملته لاضحاح منطقة كورنث - أرغوس ومنح في المقابل حكم أرغوس ونوبليون وبهنا يصبح تابعا لجيوفري ، وأصبحت بودونيسا وبوبيا تحت سلطة جيوفري الثاني بعد ذلك بوقت طويل في ١٢٣٦ .

١٧ - مع تقدم بونيفيس خلال اليونان في ١٢٠٤ ، وزع أراض وقلاع على اتباعه وأعطيت المنطقة حول مير تيرمو بيلي للمركز غويدو بالافيسني ، الذي احتفظ خلفائه بلقب مركز بـودو نتيذا وأعطيت أثينا وطيبة مع الأراضي المحيطة للنبييل البورغاندي أوتون دي لاروش الذي أخذ لقب ميغا سكير ومرتبة دوق . وأسست أرض بوبيا (يوريبوس ونيفروبونت) .

أسست من قبل بونيفيس بين ثلاثة نبلاء من فيرونا .

١٨ - تخطت الحولية هنا بين جيوفري المؤرخ وابن أخيه ، ويبدو أيضا أن هناك الماع في عبارة (يعتبر أميره الشرعي) الى شاميليت كمطالب بمقاطعة شامينين ، كما تدعوه الحولية خطأ في ١٣٧٩ - ١٣٨٠ .

١٩ - تقع كورون عند مدخل خليج مسين على الساحل الجنوبي للبلبونيز .

٢٠ - وبكلمات أخرى في مقابل أن يحافظوا على أوقافهم على نبلاء اليس في أن يؤثروا على نبلاء البلبونيز كي يقدموا البيعة للفرنجة .

٢١ - كنا بالأصل .

٢٢ - لاحظ أن الحولية تضع تحديا بين نبلاء اليس ونبلاء وسط البلبونيز ، وميزاريا اسم من المصور الوسطى لاركاليا .

٢٣ - تذكر ل أن التخمين والتوزيع قد عهد به لجيوفري دي فيلها ردين ولكثير من النبلاء الآخرين وأيضا لكهنة الروم ونبلائهم .

٢٤ - تدهى هذه القلعة المدمرة والتي تقع خارج ميناء كاتاكونا الحديث اليوم بونيكوكاسترو أو قلعة موز ، ويعطي المؤرخون الحديثون لتلك الفترة الاسم مئثما تفصل ل . دي . ف . (فقرة ١١) ويضيف هذا العمل الأخير معلومات بأن القلعة كانت قلعة قديمة مستصلحة من قبل الفرنجة وأعيد تسميتها بلفير أو بيوفوار وتدعوها ل . بيدفوار . (فقرة ٧٥ ، ١٧٨) .

٢٥ - انظر أعلاه .

٢٦ - انظر أعلاه .

٢٧ - تقع كالاماتا عند رأس خليج مسين ، وما زالت إحدى المدن الرئيسية في البلبونيز .

٢٨ - إن علامات الترقيم في هذه الفقرة كما هي لدى شمت ، وكالونا روس تجعلها غامضة وقد ترجمت المفرد على أنه أمكنه ، ومع ذلك فإن المعنى قد يكون لاخذ تلك القلاع التي لها موانئ في أي

وقت يناسبنا ونجده ملائما .

٢٩ - كنا بالأصل .

٣٠ - تقع بوذون وكثيرا ما تدعى مودون في نقطة جنوبية غربية من مسينا ، ويذكر فيلها ردين في تاريخه أنه عندما ترك شامبلت فيلها ردين الأدهر جيش بونيفيس قدما حتى ميذون التي وجدها في حالة خراب . فقاما باصلاحات فورية مرتجلة للأسوار ، لأن ميكائيل دوكاس الحاكم الأول لارتا قد جهد في الايقاع بهم ، وكان يحضر للهجوم ، والتقى الفرنجة بالروم بعد مسيره يوم واحد وهزمهم وجلبوا غنائم وفيرة معهم إلى ميذون ، ثم استولوا بعد ذلك على كورون بمساهمة ، وأخيرا على كالاماتا (الاستيلاء على القسطنطينية فقرة ٣٢٨ - ٣٣٠) .

٣١ - هذا التعبير غامض ، والكلمة على ما يبدو لاتحمل معناها المعتاد وهو كهف لاهنارلا في ٢ / ١٧٧٠ ، ١٧٧٣ ، ٢٨٠٤ و ٣٠٠٥ ، إنما تعني صخرة أو صخرة منحدرية السطح ، ولايعلق شمت على هذا في فهرسه ، ٣٢ - يذكر فيلها ردين في (الاستيلاء على القسطنطينية فقرة ٣٣٠) أن قلعة كالاماتا كانت قوية وفاخرة ، وأنه قد تم الاستيلاء عليها من قبل الفرنجة فقط بعد حصار صعب وطويل وكتبت كلمة كالاماتا كاليمينت من قبل فيلها ردين ، وكاليمين في ل . وبشكل مختلف كالوماتا .

٣٣ - نيكلي أو أميكوليون وتقع في اركانيا في سهل تيجيا القيمة ، وتبين هذه الفقرة أن المدينة تسبق الفزو الفرنجي في التاريخ ومع ذلك فإن دراغو ذهب ميست في تحليل مفقد إلى أنها مدينة بناها غوليوم الثاني فيلها ردين في (١٢٤٨ - ١٢٥٠) ويوهي بأنها كانت تقع قرب المدينة العالية ستينو شمال تريبولاست ، ودمرت في ١٢٩٦ (انظر ل دي في فقرة ٢٦٧ ، ٤٨٥) من قبل البيزنطيين واستبدلت بقلعتين في التلال إلى موكلر وسبيانا ، ويحدد دراغوس هذه بأنها تسبيانا غرب جبل أترميروس وبالايو - موكلي على السفح الشمالي لجبل بارتينوس . ويحدد لونيون موقع موكلي في بالايو - ايسكويي - المدينة ، ويحدد كالوناروس موقعها في بيالي ، وعلى أي حال فهي المناقشة المتممة جدا لدرا غوبيس مع ذلك ، يمكن تحديد موقع المدينة على نحو أفضل قرب تيجيا أو تريبوليس الحديثة .

٣٤ - فيليفوستي بالفرنسية طبقا لبحث بوشون (جزيرة المحرة الاغريقية) باريس ١٨٤٣ ص ٤٨٠ تقع فيليفوستي إلى الغرب من ليونداري وقرب مدينة سمار التي دعت في الحقيقة فيليفوستي منذ ١٢١٨ ، وقد تهرى درا غوميس هذا التحديد .

٣٥ - ليكييمونيا هي سبارطة العصور الوسطى .

٣٦ - إن المعنى الاصلي للكلمة هو (نير) ولكنها هنا تعني منحدر أو متن أو سلسلة . وكانت الميلنفز ، إحدى أهم قبائل السلاف في البلونيز ، وقد ذكروا في وقت مبكر يعود إلى القرن العاشر من قبل قسطنطينية السابع بورفير جينتوس (إدارة الامبراطورية ٣ / ٢٢٠) عندما كان يصف أحداثا من القرنين الثامن والتاسع . وتمتد الأرض التي سكنوها عبر النصف الشمالي من لاكونيا وأسفل جبال تايجيتوس من ميسترا إلى ياسافا ، ويبدو أن الهولية تتناول شبه جزيرة مين في أرضهم . ويخلط دوروثيوس - ومنقاسيا (-زيدود دوروثيوس) ب (مين) (البندقية ١٨١٤ - ص ٤٧٦) وبلا شك أن مين تشمل كامل شبه الجزيرة جنوب ميسترا في ذلك الوقت .

٣٧ - يقتبس شمت في فهرسه من بوشون ، الذي يعرف لأكوس بأنها إما واد في مسينا يمتد من ماكري - بلاجي إلى كالاماتا أو سهل واسع قرب ماكري بلاجي . ومن السياق هنا يبدو أن التعريف الأخير هو الصحيح ، ولم أكن قادرا على التعرف على كريسوريا ، مع أن الهولية ، تذكر هنا بأنها تقع في مكان ما بين قرى لأكوس وكابسكيا نوس ، وبستان زيت-ونها القريب يصعب تحديدهما بالضبط .

مع أنها طبقا للهولية ، تقع ضمن مسيرة يوم عن كالاماتا .

٣٨ - هذه كانت المعركة الضارية الوحيدة في الفوز الفرنسي ، وقد قررت مهسير المورة اليونانية ، وهزم الموريون اليونان بمساعدة حليفهم ميكائيل الأول حاكم أرتا بشكل حاسم . وذكر فيها ردين (انظر اعلاه) أن المعركة وقعت قبيل الاستيلاء على كوروف وكالاماتا ويهتمل أن الدولية محقة في وضع المعركة بعد هذه الأحداث .

٣٩ - الأكلوفون أو أوراكلوفون (قفص الجبل) تقع شمال كارتانيا ناهية سكورتا في بلاد جبيلية تقع بشكل رئيسي في غرب أركانيا وتقع ضمنها قلعتا كارتانيا ، وأكوفنا .

٤٠ - كومة أو مجموعة (باللاتينية) من الكلمة الجرمانية
٤١ - كانت الفودساراندز إحدى العائلات الكبيرة في المورة وكان من ممتلكاتها أراكوفون قبل الفوز . وأصبح دوكسا باتريس أحد أبطال المقاومة اليونانية ويذكر ل دي ف ، إنه كان الأقوى ويحمل أقوى الأسلحة ، والدروع وهرامة مربعة (فقرة ١١١) .

٤٢ - وتجنب الفرنجة قلعة أركانيا في مسيرتهم على طول الساحل (انظر ٢ / ١٢٧٩) وتذهب ل إلى أن أسوارها (عمل العمالة) (فقرة ١١٥)

٤٣ - توفي لويس دي شامبليت الأخ الأكبر لغوليوم في ١٢٠٩ ، ولم يكن كونت شامبين بل أمير شامبليت في بور غاندي .

٤٤ - القديس ٩

٤٥ - تبدو الدولية هنا مشوشة نوعا ما ، لأنها ذكرت من قبل أن الاراضي قد قسمت من قبل لجنة مكونة من ستة من الروم وستة من الفرنجة تحت توجيه فيلهاردن (انظر اعلاه : ١ / ١٦٤٩) .

٤٦ - هنا مرة أخرى التشويش في الدولية بين فيلهاردن المؤرخ والآخر وبين تيبولت كونت شامبين ، وأخ أكبر لغوليوم دي شامبليت .

٤٧ - يدعى فيلهاردن في تاريخه أن ابن أخيه قد أعطى كورون (فقرة ٣٣٠) ، ولكن كما يبين لوغزون (ل غ ص ٧٣ حاشية ٣) كانت كالاماتا واحدة بين الاثنين من الإقطاعيات الأكثر ملاءمة والتي يمكن بها مكافأة جيوفري على دوره الهام في الاستيلاء وهو يبين أيضا بانه إذا ما كان قول فيلهاردن مقبولا فإن علينا أن نفترض أنه بعد أن استولى البنادقة على كورون في حملة (١٢٠٦ - ١٢٠٧) أعطى إلى فيلهاردن كالاماتا ، لانهم بقوا سادة تلك الإقطاعية خلال الاحتلال الفرنسي (ل . ع ص ٧٣ ، ٩٠)

٤٨ - غادر غوليوم إلى فرنسا في وقت ما هو إلى ١٢٠٨ ، وتوفي بعد ذلك بوقت قصير وقبل مفادته عين كتائب له وسمى ابن أخيه هوغ دي شامبليت ، وليس فيلهاردن ، وعلى أي حال فقد توفي هوغ بعد ذلك بوقت قصير وأصبح جيوفري نائبا ، ويحتمل أنه قد انتخب من قبل البارونات المحليين ، ولم يعين من قبل شامبليت ، كما تجعلنا الدولية نعتقد .

٤٩ - وقد أصبح نائبا في وقت ما قبل أيار ١٢٠٩ ، لأنه ظهر في مجلس رافينكا كممثل عن المورة ، وهناك أكد الامبراطور هنري منصبه وإقطاعيته (انظر ل . غ ص ١١١)

٥٠ - ويتبع هنا سجل البارونات الكبيرة الأربع للمورة التي كثيرا ما يدعى سجل أراخي المورة ، وهناك اختلاف كبير بين الروايات المختلفة للدولية حول عدد الفرسان والأراضي المخصصة لكل إقطاعية .

٥١ - أكوفنا وكارتانيا كانتا القلعتين الرئيسيتين في سكورتا وأركانيا والأخيرة لم يبنها هوغ ولكن كما يروي بشكل صحيح في ١ / ٣١٥٥ أنه بناها ابن جيوفري ، وأطلق على أكوفنا اسم ميثفريدين (أي أولاف أو اقتل يونانيا) من قبل الفرنجة ، وتقع على نهر صفير اسمه لادون ومازال بالامكان رؤية بقاياها قرب قرية غالاتس العالية ، وتوجد دراسة عامة للقلاع الفرنسية في اليونان في كتاب ك . أندروز (قلاع المورة - برنستون ١٩٥٣) . وفي كتاب ١ . بون (قلاع العصور الوسطى - دورية الدراسات الهيلينية : ٦١ - ١٩٣٧) ١٣٦ - ٢٠٨ . وفي كتاب ر .

تراكوبيير (قلاع العصور الوسطى) وفي مسؤولية المدرسة البريطانية في أثينا المـ ١٢ (١٩٠٥ - ١٩٠٦) ص ٢٥٨ - ٣٧٦ والمكملة في المـ ١٣ (١٩٠٦ - ١٩٠٧) ص ٢٦٨ - ٢٨١ .

٥٠ - ماشيو دي د النكورت دي مونس اسمه الكامل .

٥١ - وكان هذا هو غوليوم دي مور لاي .

٥٢ - بنيت غير الي لامن قبل غي ، بل من قبل ابنه جان (انظر ١ / ٣٣٦٥ انهاء) وما زالت خرائطها باقية وتروي بعض الفروقات البيزنطية الجميلة وكانت تاسكونيا في حينه اكبر اتساعا بكثير من المنطقة في اركادي التي تسمى بهذا الاسم اليوم ، وكانت تمتد من جبال بارفون في اركاديا باتجاه الجنوب الى فاتيكا ، وهكذا تضم غيراكي ومونمفاسيا ، وكثيرا ما كان (اسم) تاسكونيا يستخدم كاسم للاكونيا في العصور الوسطى ، وكان التاسكونيون انفسهم شعبا مهيا للحرب من اهل مختلف عليه ، يظهر في المصادر من زمن قسطنطين بـورفيرو جيندتس ، وقد هلك تدريجيا وتعتبر ، وهم ممثلون اليوم بمجموعة صغيرة مازالت تشكلهم بلهجة تختلف عن كل لهجات اليونان ، وهم لم يكونوا من السلالة بالتاكيد ، وكانت لفتهم تسمى (الدويك الجديدة) (انظر م . ص ٤) .

٥٣ - فوستينا في لخيا على خليج كورنت شرق باتراس ، وتقع كالافرينا في شرق الفيا جنوب فوستيتزا ، واصبح مالوفا من قبل البارونات الكبار ان يسقطوا القايهم الفرنسية ويستبدلوا بالقاب ترتبط باملاكهم الجديدة في المورة .

٥٤ - من اجل وادي لاكوس انظر اعلاه ، وكانت غرتيسينا مبنية في مكان ما من الوادي ، ربما على المنحدرات الجنوبية من جبل تايفيتس ويدهي السير لون خطا كوكا في الترجمة الايطالية من المولية لوكادي سيربي .

٥٥ - باسافا او باسافانت كانت قلعة رائعة مبنية على ساحل خليج لاكونيا ، نحو منتصف الطريق بين مين وهيلوس . واسم باسافانت يفترض انه مشتق من كلمة تعارف قوات شامبين .

٥٦ - يعطى شمت اسمه اندبرت دي تريمو لاي . وكانت كالانديرتزا مبنية صغيرة جنوب باتراس مباشرة .

٥٧ - وكانت هذه بالطبع هي المنظمات الدينية الكبيرة للفرسان ، منظمة فرسان سانت جون الاسبتارية (فيما بعد مالطة) منظمة فرسان المعبد والمنظمة القبطية للفرسان .

٥٨ - كان هناك اربعة اقاليم كهفونية في اليونان الفرنجية : باتراس وكورنت في المورة واشينا وطيبة في اليونان القارية ، وكان لرئيس اساقفة باتراس ، ورئيس اساقفة المورة اربعة اساقفة مساعدين ، هم اساقفة اولينا الذين كانت مقراتهم في اندرا فيدا كورون ، ميتسون ، وكفالونيا ، وكان لرئيس اساقفة كورنت كمساعدين اساقفة ارغوس ، ليكييمونيا ، ومونمفاسيا التي كانت تحت سلطة الفرنجة .

وكان تحت رئاسة رئيس اساقفة اثينا ، اساقفة نيرموبيلي ، الذين كانت مقراتهم في يوننتيزا ، وسالونا ، وداقليا ، وفرد بونت ، وايچنيا واندرس . وتحت رئاسة اسقفية طيبيسة ، كان هناك اسقفان مساعدان فقط ، هما اسقف كاستوريا وزارا كوريا .

وبين الاربعة ، كان رئيس اساقفة باتراس بلا جدال الاقوى ، وفي الحقيقة في وقت ما حوالي منتصف القرن الثالث عشر حصل من غوليوم الالمان على بارونية باتراس ، الذي اضيفت حصصه الاربعة والعشرون الى الثمانية التي حصل عليها من قبل ، وقد جعلت هذه منه السيد الاقطاعي الرئيسي لكل المورة ، وهذه الحقيقة ظاهرة من كثرة ظهور اسمه في الوثائق في رأس قوائم النبالة المورية او كممثل لها وناطق باسمها (انظر لغ ص ٢٠٥ وز ٢ / ٢٧٠ - ٢٠٩) .

٥٩ - تعني كلمة سيرجند ، شخصا ما يلي مباشرة الفارس في المراتب الاقطاعية ، وقد ترجمنا الكلمة على انه سامل الدرع في كل الكس اب س وي

ي : ١ / ١٩٨٨ حيث حافظت على عبارة سرجنمية الاستيلاء حيث يبدو ان لها بعض الدلالة

كعضوان للحوالية (ل : ١ / ١٩٨٥ - ١٩٩٠) وفقرتان ٦٧ و ٨٩ من قوانين رومانيا (طبعة ريغورا ص ٢٠٩ - ٢٠٧ ، ٢١٩ ، تبين أن اثنين من حملة الدروع يعادلون فاساراً في تخمين الرسوم الاقطاعية ، وتبين صياغة الفقرة اعلاه (١ / ١٩٦٥) أن لكل من الفرسان إقطاعية عامة من حصص واحدة ، ولكن بعض السرجنية فقط طانوا يعطون ، والفقرات من القوانين المذكورة اعلاه تتحدث عن إقطاعات السرجنية المنفيين بالخدمة كسرجنية من المشاة أو حامل درع .

٦٠ - كنا بالأصل .
٦١ - إن هذا القسم من السنة يتعلق بالمادة ٧٠ من قوانين رومانيا ، حيث فيها يتعلق بالمشهور الأربعة الثالثة تذكر : وسيبقى لأربعة شهور في منزله أو في أي مكان يبدو له أنه أكثر ضرورة من أجل الوفاء بخدماته في الإمارة السابق ذكرها ، وتذكر ل . ف . إنه يمكن للتابع أن يترك الإمارة للصبح ، ولكنه مع ذلك يبقى عليه أن يمود خلال سنة ويوم واحد وإلا فقد نخل سنة واحدة أو خلال عامين ويومين أو يقد الإقطاعية تماماً (الفقرة ١٤٠) والقانون واضح تماماً حول غياب التسابع (مقاطع ٣٦ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ١٠١ ، ١١١) ويشكل عام لنا غادر التسابع بدون إذن ، وقدم وريثه في الإقطاعية نفسه للأمير خلال سنة ويوم واحد ، قد يستخدم الأمير الوريث ومع ذلك فالتابع له الحق في أن يطلب التخييب ، وينتظر عموماً من الأمير أن يعطى الآن ، وتحت هذه الظروف يكون لدى التابع عادة سنتان ويومان ليعود إلى إقطاعيته . ويجب أن يلاحظ أن التراجم المختلفة للحوالية لا تتفق في تعداد الإقطاعات واجبات الإقطاعيين . ل . ف . تعطي تفاصيل أكثر خاصة فيما يتعلق بوضع الهرم الكهنوتي والتنظيم الإقطاعي في الإمارة (فقرات ١١٧ - ١٤٠) .

٦٢ - مشتقة من الكلمة الإيطالية (خنزيرة) وهو اسم شائع للمثقب وغلافه الخشبي ، الذي كان يستخدم لزراعة الأسوار خلال الحصار انظر كتاب شارل أومان (تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى) نيويورك ١٩٢٣ / ١ / ١٣٣ .

٦٣ - هيلوس ناحية في لاكونيا حوالي مصب نهر اليوررتاس وتدف بخليج لاكونيا وفاتيكا هي قمة الجبل التي تمتد في رأس ماليا ، وتقع مونتفاسيا على الساحل الشرقي لهذه القمة ، وهو الشمال قليلاً ، وكانت مونتفاسيا إحدى أهم مدن المورة خلال العصور الوسطى ، ولم تبين قلعتها فقط فوق صخرة ضخمة في البحر ، وتتصل بالبر ببرزخ ضيق فقط اعتبر منيعاً ، بل إن ميناءها كان راثماً ، وكان الميناء الرئيس للدخول للتجارة البيزنطية في البلبوتيز ومونتفاسيا وهي من كل المدن المورية قد بذلت أكثر المقاومات بطولة وجاعة حتى خضعت فقط بعد حصار مدته ثلاث سنوات (انظر انباه ٢ / ٢٩٣٠) .

٦٤ - المعنى هنا أولئك الذين أقطعوا المدن بوساطة الجنود أو المدن للجنود .

٦٥ - مواقف متساهل من الفرنجة تجاه روم المورة ميز الغزو ، وقد سمح للأقطاعيين من اليونانيين بالاحتفاظ بأقطاعاتهم (٣ / ١٤٤٢ - ١٦٤٧) ومزاياهم ، وهنا أعلاه نعرف أنهم لم يزعجوا في عقيدتهم وعاداتهم وقوانينهم ، وينعكس هذا الموقف في مجموعة القوانين الرومانية (فقرات ٧١ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٩٤) حيث يتساوى الروم والفرنجة تقريباً في ظل القانون ، وإلى جانب هذا بالطبع كانت هناك التزامات متساوية وتجد اشارات مستمرة في الحولية إلى القوات اليونانية والنبلاء المغيرين مع الجيوش الفرنجية .

٦٦ - وهنا تتبع قصة رومانسية وإن كانت مسلية ، ترمي إلى الإحاطة بتسريح جيوفري إلى رتبة أمير مع تعليق مناسب ، ومن وجهة نظر الحقيقة كما وضعت أعلاه ترك غوليوم دي شامبلت أمين أخيه ككاتب له وليس جيوفري وتوفي هوغ بعد ذلك بوقت قصير ربما خلال ثلاثة أو أربعة شهور ، وأصبحت الإمارة بلا أمير ، وهذه الحقيقة معروفة من رسائل انوسنت الثالث .

(١٣ / ١٧٠ . ب . ل : ٣ / ٣٤٢) ، مع أن الأمر غير واضح ، وعلى ما يبدو أصبح جيوفري نائباً لورثة شامبلت بعد وفاة غوليوم وهوغ ، ومن المؤكد أنه كان يعمل كإقطاعي رئيس في المورة بحلول أيار (١٢٠٩) ، لأنه في تلك السنة ظهر في رافيشنيكا بهذه الصفة ، وهناك صدق الامبراطور منزلته الجنيحة واعترف هنري بملكية جيوفري الشرعية الإقطاعية المورة وأضاف إليها

منصب نائب أمير رومانيا ، وبذلك أصبح جيوفري التابع المباشر للإمبراطور ، علاوة على أنه في الشهر التالي حزيران (١٢٠٩) نقل جيوفري في معاهدة مع البندقية أو لغت القوتر الذي كان قائما بين الجمهورية والدورة منذ (١٢٠٤) ، وبشرط هذه المعاهدة اعترف جيوفري نظريا بأنه تسلم كل الدورة كقطاعية من البندقية ، وبكلمات أخرى أصبح تابعا للبندقية بالنسبة للإراشي نفسها ، التي تسلمها من قبل من الإمبراطور ، وحتى هذه النقطة لم يكن قد أخذ رسميا لقب أمير ليا ، ولهذا قد يفترض أنه كان ما يزال يعمل كممثل لورثة شامبلت وفي وقت ما من غريوف (١٢٠٩) في أيلول (١٢٠٩) طبقا لـ لوغنون ، (ص ١١٣) أو في وقت مبكر من (١٢١٠) أصبح أميرا بالاسم والواقع ، لأن الرسائل من أنوسنت الثالث المرسلة بين ٢٢ ليار و ٢٤ ليار (١٢١٠) موجهة إليه كأمير ليا (الرسائل ١٣ / ٢٣٠٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ب . ل : ٣ / ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢) ورسالة ٢٢ ليار معطاة أيضا في بوندسات وريجيسستا (برلين ١٨٧٤ - ١٨٧٥) حيث أعطيت رقم ٣٩٣٩ وهو نفسه يستعمل لللقب لأول مرة في وثيقة مسؤرخة في (١٢١٠) (مقتبسة من لوغنون ص ١١٥) وعلى ما يبدو جيوفري قد انتظر المهلة القانونية وهي سنة ويوم وعندما لم يظهر وريث ليطلب بالقطاعية ، فإنه إما تملكها أو أنه انتخب من قبل البارونات كأمير ، وليس محتملا بالمرة أن الإمبراطور قد صدق مثل هذه الحيلة المفضوحة ، كما تصفها الهولية ، ولا كان للبندقية أن تدخل في معاهدة مع رجل كانت مطالبته باللقب تقوم على مثل هذا الفصل غير الشرعي الواضح ، ومع ذلك فإن جزءا من الحقيقة يلوح في القصة ويعلق فيليب دي ايلين في قوانين القدس على الإجراءات التي يمكن النصح باتباعها خلال سن قصور الورثة ، بسبب الخطر الذي قد يهيق بهم (مجموعة راشت لتاريخ الحروب الصليبية ، تحقيق بيغونت ، لويس : ٢ / ٤٠١) . كما وقع فعلا في الدورة لأطفال الشامي من السيرهيوفري دي فيلغار ، التي بقيت في يديه ، وقد يدل هذا على أن وريثا خاصا قد طرد ، أو ربما يكون ببساطة تعليقا على حقيقة أن ورثة غوليوم كانوا همفارا جدا على تسلم الممتلكات في وقت وفاته ، وإن جيوفري أخذ اللقب واحتفظ به (من أجل مناقشة كاملة انظر لـ : ص ١١١ - ١١٥) ٦٧ - إن كونت شامبلين هنا بالطبع هو غوليوم دي شامبلت .

٦٨ - هناك نصف سطر مفقود في ها . عند هذه النقطة ، وإن عبارة التي أعياها كثيرا مأخوذة من ت .

٦٩ - عيد الحصاد أو أسبوع العنصرة وهو يوم الأحد السابع بعد عيد الفصح وكان عندما اعتاد الملك على جمع أتباعه في كور بلييز .

٧٠ - ك (صفحة ٩٢ هاشية على : ١ / ٢١٥٨) ذوي بأن غوليوم قد تدو في رحلته نحو الوطن أو بعد وصوله بوقت قصير ، وأرسلت أرملة أهدم كممثل عنها في الدورة وربما كان روبرت دي مونتايير ومن ثم كان ظهور اسم روبرت في الهولية .

٧١ - ويترجم شمت هذه في فهرسه مالك سفينة ، ومع ذلك أنها تعني ببساطة قبطان سفينة ومقابلاتها .

٧٢ - كنا بالأصل .

٧٣ - كانت كليرننسا وغلارننسا الميناء البحري لاندرا فيدا ، وتقع على الساحل الايلي ناحية كيلين القديمة ، وقد بناها جيوفري الاول فيلغار رين ، وأصبحت الميناء الرئيسي للتجارة مع أوروبا ، وربما يقصد بسانت رخارياس كنيسة مهجورة أو دير كان يقع على الشاطئ على مقربة من المكان حيث كانت تقوم المدينة .

٧٤ - كنا بالأصل .

٧٥ - ل . ه تضيف أن أحد أصدقاء الشاميني قد نصحوا روبرت في حينه سرا أن يتقدم الى أمر قلعة اندرا قيدا في حضور كثير من الشهود ليسجل علنا وكتابه حقيقة وصوله الى الدورة قبل انتهاء الأجل المشترك وهو بالفعل ما نقله روبرت (فقرتا ١٦٦ - ١٦٧) .

٧٦ - كانت فيليزييري طبقا ل (١ / ٥٢٤٨) على مسافة أقل من مسيرة يوم من اندرا فيدا ،

وقد وقع في الجنوب الشرقي وكانت على مسافة قصيرة من الشمال الشرقي لبينيكوس . انظر (أبناه
١ / ٢٤٨٤) وتقول لنا ل إنها أصبحت المتجمع الصيفي المفضل ومكان الاستجمام لأمراء لافيا
(الفقرات : ٨٣٦ - ٨٣٧ ، ٩٥٧) .

٧٧ - وثلاثي ل مع الروم في طريق أنه يفترض أن روبرت جاء معهم وعلى أي حال تختلف
ل ٠ ف نوعا . وتذكر منا أخرى توقف فيها ، وتذكر انهما تلاقيا في ليكيميونيا بعد ثمانية أيام من
لمبة القطر والفار (ل . ف الفقرات : ١٦٨ - ١٧١)

٧٨ - كنا بالأصل .

٧٩ - كنا بالأصل .

٨٠ - هذه هي أولى المناسبات الكثيرة التي ينتهزها المؤرخ ليعطي تفاصيل مطولة للأجرامات
القضائية ، ول يظهر إعجابه الكبيرة ببلاغة قاعات المحاكم ومعرفة الوثيقة بالاعراف القانونية
وتوحي بأنه هو نفسه كان متمرسا في القانون أو أنه على الأقل قد اكتسب معرفة وثيقة به ككاتب
قضائي ، وقد تبين أيضا عند هذه النقطة أن أسلوبه يقسم بدرجة كبيرة في هذه الفقرات ، وخاصة
في الاحاديث التي يقدمها كافتباسات مباشرة وفي كل الحولية في الواقع يجد المرء أن كل الاحاديث
فيها حيوية دراماتيكية مقبولة تماما في الفقرات الوصفية الصرفة التي تتعلق بالامكان والاحداث
ويبدو أن المؤرخ كان لديه اهتمام شديد بالشخصيات بصرف النظر عن الاجراء القانوني ، لأنه من
المؤكد أنه كان لديه ميل أكبر بكثير لوصف الشخصية منه بالتاريخ .

٨١ - تقرا طبعنا كل من شمت وكالوناروس عند هذه النقطة (اتوسل وأقسم) ولكن هذا
لا معنى له ، واعتقد أنها يجب أن تقرا : (اتوسل وأمر) وهي مقبولة ، وسواء شمت (لأنه بشكل
عام فإن كالوناروس اتبع طبعه شمت بالضبط) أو كانت أقدم منه قد أخطأ بأخذ الواحسة بدل
الآخرى .

٨٢ - ان هذه العبارة الأخيرة مقبولة في ها ٠ وماؤونة من ب .

٨٣ - تذكر ل و أن روبرت وصل متأخرا ما يزيد على أسبوع ، ولكن بعضهم كان يعتقد أنه قد
وصل في الوقت المناسب لاستلام السلطة ومع ذلك فإن اللجنة حكمت ضده لأن الاتفاقات تأخذ
بالإجراءات قبل القانون انظر : ل . فقرة ١٦٧ وتصيف ل . ف تفاصيل أكثر ، تشمل الرواية
المشهورة لوصوله والتي رسمها روبرت لأمير قلعة اندرافيدا (ل د ر ف فقرة ١٧٠
و ١٧٧ - ١٨١) انظر اعلاه ص ١٣٨ هاشية ٧٥ .

٨٤ - حفلة في الهواء الطلق ، حيث كان يجري تناول المشروبات ، أو ندوة .

٨٥ - إن هذا الحق في بيان مكتوب ومختوم للقرار المحكمة مع نسخة من الأدلة المقدمة أثناء
عرض الدعوى - مذكور بوضوح في المواد ١٦٨ و ١٩١ من قوانين رومانيا .

٨٦ - غامضة نوعا ما ، ولكن يهتمل أنها مجرد عبارات مهذبة للانصراف .

٨٧ - كانت الاقطاعات الاصلية التي وزعت فورا بعد الاستيلاء دائمة في زمرة خاصة وكان
المالكون على سبيل المثال قادرين على أن يورثوها كما يريدون ، في حين أن الاقطاعات الاخيرة ،
كانت خاضعة لشروط المنح الفردي ، وبعد أن أصبح جيوفري أميراً بوقت قصير ، أرسل في طلب
زوجته ايزابو وابنه المراهق جيوفري ، الذي كان بقي في فرنسا ، ووصلا في وقت ما في أوائل
(١٢١٠) لأنها مذكورة في وثيقة في تلك السنة (ل . خ . ص ١١٥) ويذكر ل . فان الابن الثاني
(فوليوم) ولد في كالاماتا (فقرتا ١٨٧ - ١٨٨) وتقوم ب في : ١ / ٢٤٤٩ بإعطاء التأكيد
نفسه ، وقد ولد في (١٢١١)

٨٨ - إن التاريخ التقليدي المعطى لموت جيوفري هو / ١٢١٨ / ومع ذلك يتمسك لوغنون بأن
جيوفري الذي تورط في الصراع مع الكنيسة خلال أعوام / ١٢١٩ - ١٢٢٣ / انظر انباه
(٢ / ٢٦٥٦ - ٢٦٨٠) كان جيوفري الاول وليس ابنه ، جيوفري الثاني ، وهو يلخص كثيرا ،
حتى أنه يقول في كتابه :

« مشاكل تاريخية لامارة المدورة ، مجلة دي سوانت (١٩٤٦) ص (١٥٧ - ١٥٩) ولا جدال

أن هناك تشويش كبير في الهولية ، جيوفري الثاني فعلا ، يذكر أنه حضر الاجتماع الثاني في راينكا في حين أن من الواضح أن هذا كان جيوفري الاول وأنه توفي في نحو الوقت نفسه مع غي ، أمير اثينا العظيم ، وكانت هذه الرواية دائما تتمتع زائفة على أساس : أولا أن الأمير العظيم - موضوع البحث - لم يكن غي ، بل همه أوثرين ، وثانيا أن أوثرين توفي في فرنسا في ١٢٣٤ / بينما توفي جيوفري في ١٢١٨ / فإذا كان لوثيرون مع ذلك مصيبا ، فسان الرواية ليست بعينة الاحتمال ، كما كان يدعى بشكل عام ، وقد غادر أوثرين اثينا في وقت ما خلال ١٢٢٥ / سوتوي في ١٢٣٤ /

ولنا كان جيوفري قد توفي بين ١٢٢٨ و ١٢٣٠ / فإنهما يكونان قد توفيا في نحو الوقت نفسه ، والخطا الخطير الوحيد في الرواية هو الخلط بين اسمي غي و أوثرين .

٨٩ - لاصحة هذه القصة الفريبة التي سلف الالمح إليها في ٢ / ١١٨٦ من أي نوع تقريبا ، والسيدة موضوع البحث غير المسماة في الهولية هي أغنس دي كورتناي ، ابنة بيير دي كورتناي وألفت روبرت التي لم تكن لديه ابنة ، وحول رحلتهم النهائية من برندينزي الى القسطنطينية في ١٢١٧ / ، توفيت أغنس وأمها يولاند ، في مونريكو ، حيث تم تكريمهما بلباقة وذوق حسن ، من قبل جيوفري الاول ، وإذ تأثرت يولاند تماما بما رأت ، وافقت على طلب جيوفري بذابتها لابنه ، وتزوج الاثنان قبل أن تغادر الام القسطنطينية ، وكان ملك ارغون في ذلك الوقت جيمس الثاني الذي كان في ١٢١٧ / في التاسعة من عمره ، وتشير ل . ف إلى أغنس أحيانا على أنها أخت وأحيانا على أنها ابنة الامبراطور ، ولكنها لا تسمى الامبراطور (القديرات ١٩٣ - ٢٠٠) مادة ٣ من القوانين الرومانية تحوي القصة نفسها مع تفاصيل مماثلة .

٩٠ - المقصود هو اليس .

٩١ - انظر أعلاه وربما كان مقر هذه الاسقفية في الاصل في اولفيا وهي مسيحية في شمال شرق بيرثوس في إيليس ، ولكن في زمن الفرنجة انتقلت الى اندرافيدا ، التي كان اسقفها يحتفظ بالاسم في لقبه .

٩٢ - ان هذا النمط من العلاقة كان له دائما أهمية أكثر جلالات في الشرق منه في الغرب ، وبموجب الميثاق فإن كل أعضاء أسرة العريس يصبحون مرتبطين مع كل أعضاء أسرة العروس ، ويمتد هذا بعيدا فيتمتع الأسرة المباشرة الى الاعمام وابناء الاعمام ومن في حكمهم ، من اقارب الدرجة الثانية ... الخ . وعلاقة أخرى مماثلة كانت تدعى في الهولية ، وهي بالضبط النوع نفسه من الرابطة بين اسرتين ، إلا أنها تقوم على تمديد الطفل ، وهي علاقة أقوى بكثير من قرابتنا عن طريق الام بالتعميد .

٩٣ - لاشك في أن هذا الاجتماع اشارة الى البرلمانات المعقوبة في راينكا من قبل الامبراطور هنري في ١٢٠٩ و ١٢١٠ / وقد سار هنري متوغلا في شمال اليونان ليعزز النفوذ الامبراطوري على النبلاء الثائرين ، وبدجة كبيرة لومبارد سيالي وتراقية ، وقد وجد أن حملة واسعة النطاق كانت تتكون ، فدعا لمعاونته نبلاء وسط وشمال اليونان ، وكان جيوفري دي فيلهاردين وأوثرين دي لاروش مشتبكين في حصار كورنت عندما تلقيا الاستدعاء ، الذي استجابا له على الفور ، وكان في مقابل ولائه أن هنري اعترف بـجيوفري كامير على الدورية ، وعينه نائبا للامبراطورية .

وكانت الاجتماعات ذات أهمية رئيسة للامبراطور لأنه كان قادرا على تأكيد النفوذ الامبراطوري على بارونات اليونان ، وكانت مهمة لـجيوفري في أن ادعاه في الدورية كان معترفا به رسميا وأنه قد عين في احد أعلى المناصب الامبراطورية ، ومن الاجتماعات خرج ميثاق وقع عليه علاوة على ذلك في أيار / ١٢١٠ / وكان قد رتب لحماية مصالح الكنيسة في الامبراطورية ، وبشر وطه كان على البارونات أن يهيئوا الى الكنيسة أية ممتلكات كنسية استولوا عليها بصورة غير مشروعة ، ووافق الكهنة بدورهم على ان يحتفظوا بتلك الممتلكات كقطاعات خاضعة للضرائب ، وأن يرفعوا عنها ضريبة الارض ... الخ .

ولم تقرر السلطة على سيكلوس (وتسمى في الهولية الدوبيكاينز : في هذه الاجتماعات ،

- ٤٩٦٦ -

ولكنها أعطيت لجيوفري الثاني في وقت متأخر جدا في / ١٢٣٦ / من قبل بلدوين الثاني في مقابل تقديم خدمات محددة .

وحق ضرب العملة منح أيضا في وقت متأخر جدا في / ١٢٥٠ / من قبل لويس التاسع ملك فرنسا لفولويوم الثاني في المورة ولم أكن قادرا على تحديد موقع قلعة لاريسوس ، وقد احتل هنري السلطنة في لاميا (زيوتون) والتي كانت تابعة لفرسان المعبد ، وكان في وقت سابق قد هاجم حصن لاريسا ، وعلى ما يبدو أن المؤرخ قد خلط بين هذه الاسماء .

واعتقد أن لارسا كانت الاولى في نهنه لأنه كلما استعملت الكلمة في الحولية فإن لاريسوس التي تنتهي بنهاية تدل على المذكر تظهر دائما باداة تانيث .

٩٤ - تعني هذه الكلمة ضابطا حربييا في البلاط الامبراطوري وهي في الحولية تعادل نائب امير وكان لثورتوا النمرزج الذي صالح عليه غوليوم عمله ووضع دار السكة في قلعة كلومندسو التي أصبحت فيما بعد تعرف بقلعة كوريفز الاسم الايطالي للتوردوا وعلى ما يبدو أن اليز الفردي هو مرادف للتوردوا .

٩٥ - الاعراف المشار اليها هنا هي القوانين الرومانية ، في حين ان اعراف القدس تشير الى قوانين القدس ، وتدعى المادة الثانية من القوانين الرومانية أن بلدوين ومستشاريه أرسلوا الى الملك وبطرك القدس من أجل أعرافهم وقوانينهم لتساعدهم في حكم الامبراطورية الجنية ، امبراطورية رومانيا ، وهذه القصة مشكوك فيها جدا .

٩٦ - إن جيوفري الاول كوريت وأغوس ، ونوبليون قد أخذها خلال السنوات / ١٢١٠ - ١٢١٢ / كانت مونفاسيا القلعة الوحيدة الباقية في أيدي اليونانيين عندما أصبح جيوفري الثاني اميرا .

٩٨ - المقصود بالمورة هنا إليس وتقع كلومودسي أو كليرمونت على الساحل جنوب كلارينقسا .

(ويذكر شمت بشكل غير صحيح أنها قد بنيت من قبل جيوفري الثاني انظر الفهرس) لقد بنيت

دون شك كحصن ضد قوات الامبراطور البيزنطي في أبيروس مباشرة عبر الخليج من المورة ، وكانت أجمل حصن في الامارة ، وأصبحت مقر إقامة الامير ، ومن أجل كلومودسي انظر ابوشون

٩٩ - لغة هذه الفقرة من بقايا طقوس الروم الارثوذكس ، وقد يفترض المرء تقريبا أن المؤرخ كان في نهنه الكهنة والمرتلين .

١ - توفي جيوفري الثاني في / ١٢٤٦ / وكان غوليوم في نحو الخامسة والثلاثين من عمره عندما أصبح أميرا ، والكثيرة والبير موضوع البحث هي كنيسة سانت جاكوب (سانت جيمس) في اندرايدا التي دفن في سردابها آل فيلهارين الثلاثة فعلا ، وأعطت هفريات المنطقة في ١٨٩٠ آثارا طليقة للكنيسة ويضع عظمات وانظر ل . ص ٣١٥ الحاشية على ١ / ٧٧٩٠ .

٢ - ومرة أخرى يجب ملاحظة أنه في هذا الوقت بقيت موندافسيا فقط في أيدي اليونانيين ، وبنقاش المؤرخ أحداث حكم جيوفري الاول ، وينسبها الى فترة تالية .

٣ - معنى هذه الكلمة المؤن التي كانت تقدم للقوات لاعتلتها أثناء الحملة ، ويبدو أن المعنى هنا أن عليه اطعام الرجال ، ولكنه لن يدفع لهم أي أجور نقدية وكانت كورون وفيسشون في أيدي البنادقة ، من / ١٢٠٦ - ١٢٠٩ / ، وخلال تلك السنوات طرد البنادقة حامية الفرنجة الصغيرة التي تركت هناك منذ الغزو الاول لشبه الجزيرة ويحتمل أن الرواية التي في الحدودية تدل على أن غوليوم قد تخلى عن كل مطالبه في هذه الاماكن واعترف من جديد بمطالب البندقية في مقابل الشواني .

٤ - تحت شروط التأسيس الاصلية للامبراطورية اليونانية ، تلقت البندقية لقباً عن كل الجزر الايجية ، ومع ذلك لعدم الرغبة في جلب ذلقة احتلالها تركت الجمهورية هذه المهمة لواطنتيها المقدامين الخاصين ، وطبقا لذلك فإن مجموعة بقيادة ماركوسانودور أبصرت بين الجزر وبحلول / ١٢٠٧ / أخضعت على الأقل سبع عشرة منها واحتفظ ماركو بناكسوس لنفسه ، ووزع البقية بين اقاربه والاتباع الآخرين ، أما يوبوا التي أخذت في الاصل من قبل جساك دي انفسس في / ١٢٠٥ / فقد قسمت بعد موته الى ثلاث ، إقطاعيات ، ومنهما يونيفلمي . دي مونتفرات لثلاثة نهلاء من فيرونا ، التريزي أو الترياركس ، وبعد ذلك بوقت قصير مع ذلك بقي واحد من الثلاثة هو رافانو دال كار سيدي الامير الوحيد وعلاوة على ذلك في / ١٢٠٩ / اعترف بسيادة البندقية على اقطاعاته ، وبعد موته في / ١٢١٦ / أصبحت البندقية حاكمة للجزيرة نظريا ان لم يكن في الواقع ، وحصار كورنث الموصوف في هذه الفقرة هو بالطبع حصار / ١٢١٠ / الذي قام به جيوفري الاول .

٥ - عند لوغنون (ص ٧٩) تسمى هذه القلعة صونت اسكو فيه مونت نيدويه ويعطى شمت (فهرس ص ٦٣٨) الصورة اليونانية ويقول ان الاسم متصل بالاسم المجرد مونت اسكيو أو اسكيوه وهو أيضا يقترح ان هناك صلة بين الاسم والكلمة القريبة (الفطرسة) التي تظهر في ٧٩٠٧ من الحدودية ويسمى أو . ميللر (ص ٣٦٠) القلعة مونتسكيو ، ويحدث دراغوميس . في فترة طويلة شأن هذه القلعة مطولا .

وقال اشتق الاسم من كلمة فرنسية قديمة كانت تعني الفطرسة والازدراء والاسم الحديث بنتسكوف أو بنتو سكوفيا وهو متأثر تحريف للاسم الفرنسي ، وهو بكلمة متأثر بكلمة ايطالية وتعني القلائد الخمسة .

٦ - كورون وميئون غير متباعدين جغرافيا ، عادة معا في الوثائق وفي هذه الفقرة يبدو أنهما عوملتا كإقطاعية واحدة .

٧ - تم الاستيلاء على نوبليوم وأرغوس في / ١٢١٠ - ١٢١٢ / من قبل جيوفري الاول ولم يقدم فقط هاتين الإقطاعيتين لأوتوندي لاروش بل أيضا جمالة سنوية فوق مكوس كورنت (انظر م . ص ٦٢)

٨ - كانت سيفالونيا قد وقعت من اليونانيين سابقا قبل عشرين سنة من الاستيلاء الفرنسي أو عندما غزا النورمانديون شبه الجزيرة من هقلية احتل أميرا لهم مدرغيتون ، صاحب برنديزي سيفالونيا وزانت وايتاكا وفي أيام الحملة الصليبية الرابعة كانت هذه في حدود ما ليو (ماتيرو) أورسيني وهو عضو في الأسرة الرومانية ، ولكن هو نفسه يحتمل أن يكون من أبوليا ، وقد حكم هو وابنه روبرت الذي خلف والده الجزر الايونية خلال القرن الثالث عشر .

٩ - تتفق كل المصادر على ما يبدو على أن الحصار دام ثلاث سنوات وان القلعة سقطت في / ١٢٤٨ / ومع ذلك فإن زكيشيدوس في كتابه (ص ٢١) يعطى السنوات (١٢٤٥ - ١٢٤٨)

- ٤٩٦٨ -

ولوغزون (ص ٢١٧) يقول : إن غوليوم بدأ الحصار بعد أن أصبح أميرا في / ١٢٤٦ / واستولى على القلعة في / ١٢٤٨ / ويلاحظ (ص ١٢٢ - الهاشمية على ١ / ٢٩٢٣) ويعطي التاريخ على أنه / ١٢٤٨ - ١٢٥٠ / وتاريخ كميردج للعصور الوسطى (المجلد الرابع ٤٤٠) ويعطي التاريخ على أنه مجرد ثلاث سنوات بعد أن أصبح غوليوم أميرا ، وهناك أدبيات واسعة حول موضوعها وسلاسلها .

وأضافة الى البحوث التي سلف ذكرها انظر ادامايندوس وكالوناروس . (اثينا ، ١٩٣٦)
ص . ٥ - ٥٧ .

١٠ - هناك ثغرة في ل . تتعلق بالآبيات ٢٠ / ٢٩٣٢ - ٣٠٢٣ من الهولية اليونانية (الفترة ٢٠٥ .

١١ - هذه الكلمة مشتقة من كلمة لاتينية ويناقيش شمت في فهرسه (ص ٦٠٥) الكلمة مطولا ويعطي معناها على انه إعفاء ، أو تمتع بالحصانة أو حقوق خاصة معينة تمنح كمزايا ، وكان المؤرخنا سون ميينين فقط بالخدمة بمراكبهم ومن أجل هذه الخدمة علاوة على ذلك كان لهم أن يأخذوا أجرا وهبات كما لو أنهم كانوا مستأجرين كمترقة ، ومن أجل الأجور والهبات انظر أعلاه .

١٢ - كانت هذه العائلات الكبيرة الثلاثة بارزة في الشؤون المورية في كل الفترة الفرنجية وما بعدها - وعائلة ماموناس في الواقع ماتزال باقية في اليونان ، واسم سوليانوس اسم عائلة شائع نوعا ما ، وتاريخ عائلة ماموناس من / ١٢٤٨ / إلى حوالي / ١٩٠٠ / كتبه أنتوني ميليا راكس في كتاب نشره في (اثينا ١٩٠٢)

١٣ - انظر أعلاه ص ١٣١ حاشية ٦٣ .

١٤ - المصدر نفسه .

١٥ - انظر أعلاه ، وكانت هذه جولات طويلة لأن المدن كانت مبعثرة من عشرين الى اربعين ميلا عن نيكوميونيا .

١٦ - بنيت سيزثيسراس أو ميسترا كما تسمى عادة فوق نقوء تاجيتيوس ، على بعد نحو ثلاثة أميال من اسبارطة ، وكان الهدف منها السيطرة على الممرات الى شعاب المينغز ، وضرواتهم موصوفة بشكل غريب في حولية دور يثوس مونغناسيا (ص ٤٧٦)

واشتقاق الاسم كان موضع اهتمام الدارسين ، فاعتبره من أصل سلافي (مقتبس من م . ص ١٠٠) ، مع أن أي دارس يوناني لم يتفق معه ، والتفسير المعتاد للكلمة انها مشتقة من صلالة اغريقية معناها صنف من اجبن مايزال رائج بين اليونانيين ، ويميل شمت (فهرس ص ٦٣٨) ولوغزون (ص ٢٩٨) وميلر (ص ١٠٠) الى الاتفاق مع هذا التفسير ، ويعطون إشارات الى الأدبيات التي حول الموضوع ، ويوافق كالوناروس أيضا ويضيف الرأي ، بأن الاسم قد اطلق على الناحية حتى قبل بناء القلعة (ص ١٢٥ ، الحاشية على / ٢٩٩٠)

وفي هذه الحاشية التالية يضيف مراجع ثلاثة أخرى من المراجع المطولة حول ميسترا .

١٧ - من الصعب تماما تعيين موقع قلعة مين بالضبط ومع أنه يحتمل أنها اذشئت في وقت مبكر يعود الى زمن جستينان وأول ظهور للحصن البيزنطي في المصادر كان في كتاب كوندستانتين بورفير وجنتوس (إدارة الامبراطورية) تحقيق غي مورا فديسك مع ترجمة انكليزية من قبل ر . ج . هـ جنكتز . (بودابست ١٩٤٩) ص ٢٣٦ - ٧) حيث يعطي بعض اشارات غامضة الى مواقع القلعة ، والطبيعة الشرسة للسكان ، وهي سمعة احتفظوا بها باستمرار حتى اليوم الراهن . ويقوم على هذه الفقرة مقال ل . ب . أفوركيس وهو يضمنها على شبه جزيرة تيفني (هكذا سميت لشكلها الذي يشبه القلعة) ، قرب ميناء ميفابون والى الحد الذي يمكنني تأكيده ، أن هذا يضمنها غير بعيد الى الشمال من رأس ماتايان وعلى الساحل الغربي من شبه الجزيرة (ويهددها شمت في فهرسه أيضا في الزاوية الجنوبية الغربية من مين) .

ومع ذلك فإن لوغزون وميلر يضمنانها في خرائطهما على الساحل الشرقي ، انظر زاكثيسدوس ص

٢٢ - ٢٢ ، وحاشيته نيلية طويلة جدا في كالوناروس ص ١٢٦ ، حاشية على ١ / ٣٠٠٤ وانظر ايضا ميلر ص ١٠٠ ورقم ٢ .

١٨ - تحدث كوندستانتينس بروفيرو جنتوس (إدارة الامبراطورية ٢ / ٢٢٤ عن سكان الدرونفوس من المبلنفرز . وعليه فان أهل مين كانوا ايطاليين لهم باستمرار عاداتهم المألوفة تحت الابرار البيزنطية .

١٩ - قام شمت باتياع بوشون وفيليبسون بتعيين موقع غيسترنا خطا قرب راس ماتابان (انظر فهرسه تمت غيسترنا وليفتو ص ٦٣٤ و ٦٣٧) ، ويقتبس كالوناروس ، في حاشية نيلية طويلة (ص ١٢٨) من كل المصادر ، ويعطي الموقع الصحيح ويبين كيف نشأ الخطأ في الاصل ، وغيسترنا (الكيسترنا البيزنطية) كانت تقع في شمال غرب لاكونيا ، حدودها الغربية على طول ساحل شبه الجزيرة ، جنوب كالامات ليفترو (كانت تسمى بوفرت بالفرنسية) كانت تقع على الساحل قرب كيفكرو جنوب كالاماتا ، وهي ممثلة بشكل صحيح على خريطة لونغون (ص ٢٠٠ - ٢٠١) مع الموضع حول موقعها في نصه (ص ٢١٨) وتذكره ل . أن ليفترو تقع على الساحل بين كالاماتا وغراند ماغن (فقرة ٢٠٧) وعليه فان ليفترو تقع على الساحل الغربي ، شمال غراندمين ، التي كانت بدورها شمال ماتابان .

٢٠ - إن اصطلاحات « مين القديمة » و« غراندمين » كلاهما مستعمل في السولية ويبين كالوناروس (ص ١٢٩ ، حاشية) ان الاصطلاحان مترادفين ولا يدلان كما اعتقد بعض الدارسين على مئتين مئتين وتستخدم ل « اصطلاحا واحدا فقط باستمرار هو غراند مين وورد اصطلاحا « غراندمين » وه « مين » القديمة « لتميز مين ليس عن مدينة أخرى بالاسم ذاته بل عن مدينة ميكرومين في ميسينيا (انظر اناه ٢ / ٨٠٦٩ و ٨٠٩٤) .

٢١ - هذا المقطع غامض ... ربما ينبغي ان يقرأ : « سار وفق المواطن الطيبة لجميع الامارة ، كما لو »

٢٢ - وضعت هذه الاحداث في نهاية الفصل الثاني ١٢١٠ - ١٢٤٤ ، انظر ما تقدم حاشية ٨٤ وذلك من اجل التاريخ الصحيح والاسماء .

٢٣ - إن انجيلوس كالوانس كوترولس شخصية خيالية ، لان ايا من حكام ايبروس لم يحمل ايا من هذه الاسماء ، ويبدو ان المؤرخ يخلط مرة أخرى بين كالوانوس البلفار وامبر ايبروس (انظر اعلاه ص ٩٧ : ٢ / ١٠٣٠ وحاشية ٦٩)

إن انشاء خط كومينوس دوكاس في ايبريس هو موضوع مقال ل : لوسن سبيترتون . في دورية الدراسات البيزنطية ، ١٧ (١٩٥٩) ص ٩٠ - ١٢٦ بعنوان « أصل إمارة ايبروس » حيث يبين ان الهكام الأوائل كانوا امراء ، ولكن ليسوا أباطرة ، وتوبعت اعمال ميكائيل الاول بعد موته في ١٢١٤ / من قبل أخيه تيودروس الاول وبقسوة وسع ولاياته على حساب البلفار والفرنجة ، وفي النهاية وضع نهاية لملكة سالونيك في ١٢٢٤ / وأذ شعر ان دولته تضم الان تقريبا كل اليونان القارية واجزاء من بلغاريا ، ووالاشيا وراقية . وكانت تعادل في حجمها وقوتها امبراطورية ، قرر أن يدعى لقب امبراطور ، وقد عجل هذا في قيام منافسة قورية مرة مع امبراطور نيقية ، ومسع انه كان حقا في موقف قوي ، فان تيودروس كان مدفوعا بالطموح لمهاجمة قيصر بلغاريا جون آسن / ١٢٣٠ / وفي المعركة التي تلت هزم واخذ اسيرا ، واستولى اخوه مانويل على الامبراطورية ، ولكن في ١٢٤٠ / قاد تيودروس وقد تحرر من الاسر ثورة ضد أخيه واجلس ابنه ايوانس على العرش وكان هذا الابن الضعيف مكرسا ليكون راهبا ، ولكنه مع ذلك لم يكن يجاري القوة الهائلة لامبراطور نيقية ، وفي ١٢٤٦ / سقطت سالونيك في يد ايوانس فاتاترس الملك الثاني لنيقية ، وفي هذه الاثناء ثار في ايبروس ميكائيل الثاني ، الابن غير الشرعي لكن الوحيد لميكائيل الاول في ١٢٣٧ / ضد عمه في سالونيك وأقام امارة مستقلة ضمت ايبروس وكورفو وتساليا ، وتزوج تيودور بتر ليفالاس الرائعة التي محبت واعترف بها وانجب منها ابنة دفور وابنتين : هيلين التي

زوجت مانفريد صاحب صقلية وأنا التي تزوجت غوليوم الثاني دي فيلها ردين في / ١٢٥٩ / وانخل
خا التحالف المورة على الفور في خصومات يونانية ، عندما تفجرت الحرب في الشمال بين ميكائيل
الثاني وميكائيل باليو لوجوس ، وقاد غوليوم قوة مورية لمساعد جمعه الجديد ، وكانت *

نتائج المعركة التي وقعت في ميلا غونيا في / ١٢٥٩ / مدفوعة للمورة ، فقد حدثت هزيمته غوليوم
مع اسره نقطة التحول في تاريخ المورة ، وهي السبب الرئيسي لكل الفواجع التالية التي لحقت
بالفرنجة في البليونيز .

٢٤ - إن الترتيب الزمني هنا مشوش بالطبع ، لقد سقطت القسطنطينية في / ١٢٦١ / وشن
باليو لوجوس حملته في / ١٢٥٨ / وكما تبين في الملاحظة المتقدمة نهب غوليوم كحليف وليس
كمرتزق .

٢٥ - كيرايوانيس هذا هو في الحقيقة ميكائيل الثاني الذي توفي في / ١٢٧١ / وخلفه ابنه
الشرعي ندفور ، وصمكم في / ١٢٩٦ / وابنه غير الشرعي جـون (ايوانيس) والذي يدعى
ثيودوروس في الهولية حصل على لقب شياستوكرا تور وحكم الاشيا ونيوباترا من / ١٢٧١ / الى
/ ١٢٩٥ / .

وخلط الفرنجة باسعة كوفينوس دوكاس وأشاروا اليه على أنه دون نيوباتراس ، وقصة هذه
الحرب بين الاخوة وتدخل باليو لوجوس خرافية تماما .

٢٦ - تقع باتراس الجديدة (نيوباتراس ، هاييات المدينة) في تساليا على مسافة قصيرة
الى الغرب من لاميا .

٢٧ - يبدو أن سولفا ستوكرافور كان لقباً تشريفياً صيغ من الكلمات الغسسطس و
(امبراطور) . كتاب جيبون (الانحدار والسقوط) (طبعة مود ، ليب) ٢ / ٨٥٤ - ٨٥٥
اقتباساً من أنا كومينا التي ادعت أن اليكسيوس كومينوس ، قد اهدت اللقب ، واحتفظ به
للأمراء من السلالة ، ولم يكن اللقب يستتبع واجبات خاصة في البلاط ، وإنما كان يمنح كتشريف
عظيم للنoble الرفيعة .

٢٨ - كانت كلمة تعني العملة الذهبية المعيارية لبيزنطة ، وكانت سابقاً تدعى البيزنط ،
والسوليدوس ، وكان لها قيمة تعادل وزنها المجرد من الذهب ويعادل تقريباً باوندا انكليزيا .
٢٩ - سمى ميكائيل باليو لوجوس في الواقع لتجنب الصراع مع ميكائيل الثاني ولكن الأخير
بتشجيع من أحلافه الأخيرة مع مانفريد وغوليوم حيث لم يكن اشتهاؤه للتاج في إطار التسوية التي
في الفكر ، ونخل غوليوم هذا الحلف ليرضي رعاياه من اليونانيين ويحتمل أن يكون بسبب الطموح
الى احياء مملكة سالونيك ، وكانت لنا في كلمات الهولية دوروثيوس مونمفاسيا ، وبدون أن تكتفي
بأثواب سلاف أن زانت جمالها وفنتتها ، لأنها رائعة الجمال وساحرة في الرأس والجسم وكهيلين
ثانية لمينيلاس وقد اقترح أنها كانت مثال هيلين في فاوست غوته ، كما كان غوليوم لفاوست في
الجزء الثاني على الأقل .

وإن اسبارطة مينيلاس في الفصل الثالث هو وصف للامارة الفرنجية في العصور الوسطى ، في
المورة ، ومن أجل آراء مختلفة ، انظر شملت المقدمة ص ٥٨ - ٦٦ . كتاب بارون بيان دي
غولاندكرون حيث كان أول شرح لفاوست ، وكتابه غ . مورافسكي .

٣٠ - والان نتبع تكرار للمعلومات من السجل المعطى في ٢ / ١٩١١ - ١٩٥٠ . انظر اعلام
والسبب .

٣١ - أعطيت التفاصيل المشكوك في صحتها في الصراع بين غوليوم وغي دي لاروش وليس
غوايوم دي لاروش كما هو مذكور في : ١ / ٣١٧٧ ، والاميرين الأخيرين في وسط اليونان ، يمكن
أن يوجد بسبب نزاع حول ميراث ، وكانت الزوجة الثانية لغوليوم هي كارنتانا دال كارسبري
التي كانت تنتمي الى العائلة الكبيرة ليوروبوس ، والبارونات على الثلث الشمالي من الجزيرة ،
بحكم لقبها عندما توفيت في / ١٢٥٥ / وقد طالب غوليوم ببارونيتها كوريث ، وعارض البارونات

- ٤٩٧١ -

المحليون والبنادقة طلبه واعلنوا الحرب ، واتخذ غوليوم خطوات قوية ، ناهجة لهزيمتهم عندما انتشر الصراع الى الارض الرئيسية ، وضم غوليوم دي لاروش أخو غوي الامير العظيم لاينا مع انه تسابع لامير اخيا ، فدواته الى اليوريبين ، وهيمن على أخيه في رفض طلب فيلهار دين ، للمساعدة ولكونه تابعاً له من أجل ارغوس ودوبليون اضطر للاستجابة لدعوة سيده وشكل رفضه جريمة ، واصبح الصراع ثورة بارونية ضد مطامع امير اخيا ، وسويت القضية في / ١٢٥٨ / في معركة مونت كاردي ، التي انتصر فيها غوليوم فيلهار دين ، واسر غي دي لاروش ، واهبـه على العونة الى فرنسا ، ليحاكم أمام ملك فرنسا ، وبينما كان غي في فرنسا اسر غوليوم خلال معركة بيلاغونيا / ١٢٥٩ / وتغيرت الحالة في كل اليونان الفرنجية ، انظر م ص (١٠٢) .

٣٢ - تزوج جيوفري دي بروبييرس من ايزابو دي لاروش ، وهي ابنة (وليست أخت) غي دي لاروش ، وكانت امه أخت غوليوم دي فيلهار دين .

٣٣ - الطريق الذي يعبر البرنخ ويسير على طول ساحل خليج سالونيك ليؤ دي الى ميفسارا ومازال يدعى ، طريق الشر ، بسبب طبيعته الضيقة الصخرية ويقع ممر مونت كاربري (جبل الجوز) في نحو منتصف الطريق على الطريق من ميفسارا الى طيبة .

٣٤ - العبارة الافتتاحية في هذه الجملة قد تقرأ : وقتل هناك في المعركة قائد فرسان جدير يدعى وكانت مرغريت باسافا ابنة جين الثاني دي ذويلي ، من ابنته غوتبير الاول دي روزبير اكوا وكان زوجها الثالث هو جين دي سانت اومر وكان والده مرغريت مارشال المورة بالوراثة ، وانتقل اللقب عن طريق ابنته الى زوجها ، ثم الى ابنته نيكولاس الثالث دي سانت اومر امير طيبة .

٣٥ - في وقت ما بين / ١٢٣٠ و ١٢٤٠ / تزوج بيلادي سانت - اومر من بون ، أخت غي الاول دي لاروش . واحضرت كمهر لها نصف اقطاعية طيبة ، وفي النصف الاخر في يد اخيها وكان ابناً لـ نيكولاس الثاني ، الشريك في إقطاعية طيبة ، ونائب امير المورة / ١٢٨٧ - ١٢٨٠ / وكان أوتون الشريك الاخر فيها مع جين الذي أصبح مارشال المورة بزواجه من مرغريت باسافا .

٣٦ - أقيمت بارونية سالونا من قبل بونيفيس دي مونتفرات في / ١٢٠٠ / عند غزوة الاول لليونان ، ومنعها لاهد اتباعه ، توماس دي ستروموندكورت ، الذي بنى في سالونا ، الامفيز القديمة ، التي تقع عند السفح الغربي لبرناسوس القلعة العظيمة التي مازالت بقاياها المؤثرة باقية ، وامتدت البارونية وقت عظمتها تقريبا من سالونا في اتجاه الجنوب حتى ساحل خليج كورنث بين اتيا وغالاكسيدي في الشرق وذويكتوس . في الغرب ، وتخبرنا حولية غالاكسيدي الغربية التي وضعت في / ١٧٠٣ / ان الاسم امفيسا قد غير الى سالونا على شرف ابونيفيس ملك سالونيك والمؤسس الثاني للمدينة (حولية غالاكسين طيبة سانس (اثينا ١٩١٤) ص ٢٠٧) وتدعوه حولية المورة ببساطة امير في حين ان حولية غالاكسيدي كثيرا ما تدعوه كونت .

٣٧ - إن هذا الوصف من أداء الولاء يتفق مع الصورة الموصوفة في مجموعة القوانين الرومانية ، الفصل ٣ (ريكورا ص ١٥١ - ١٥٣)

٣٨ - كانت بالفعل المحكمة البارونية لغوليوم هي اتخنت هذا القرار ، واتخذ البارونات هذا القرار ، ربما تحت تأثير هاشية غوليوم وربما لا دراكهم الشك والرفض الذي دعاهم لمقاومة عدوانية غوليوم فقد اعلنوا بما انهم لم يكونوا معاديين له فهم بذلك كانوا غير قادرين على معاكمة غي وبناء عليه توجب ان يمثل في المحكمة امام لويس التاسع للمحاكمة ، وكان على غوليوم قبول هذا القرار انظر م . ص ١٠٦ .

٣٩ - تقول المادة ١٦٧ من القانون الروماني انه « عندما يتخلى شخص عن أميره في المعركة ويهرب قبل فة دان المعركة ، فإنه يستحق ان يحرم من أرضه يحكم قضاء أميره . (ريكورا ص ١٦٥)

٤٠ - منحت الاقطاعيات التي وزعت في الدورة في وقت الاستيلاء للمالكين الاولاء امراء

الاستيلاء ، مع كامل الحق في التوريث ، اعني انها يمكن ان تورث لاي وريث يسميه الامير في وصيته ، ومع ذلك فان الاقطاعيات التالية منحت بحدود ممدونة في التوريث ، اعني انها يمكن ان تورث فقط لوريث الدم ، وإن لم يكن هناك مثل هذا الورث تعاد الاقطاعيات الى الامير الذي منحها أو إلى وريثه ، وهكذا في هذه الحالة انتزع غوليوم اقطاعية جيوفري بسبب جريمته ثم اعادها اليه كاتقطاعية جديدة يملكها مدى حياته مع حق توريثها فقط لابن أو ابنة .

٤١ - تقول ل : أنه ما أن جاء الربيع حتى انطلق الامير العظيم مسافرتين كبيرتين من ريفا يسترون ثم ذهب الى برنديزي (٢٤٤) ل . ف تعلمنا أنه ترك اخاه (اوتون) ككاتب له في تيديس (فقرة ٢٢٤٥) وكانت ريفا تسترون ميناء طيبة خلال هذه الفترة ، واسمها الحديث ليفا دسترو وقع عند الطرف الشرقي لخليج كورنت على خليج ليفا دسترو ، والاكثر شيوعا هو انه يعرف ببحر الكيونيون .

٤٢ - حسب شمت (انظر فهرسه) فإن الكلمة مشتقة من الكلمة التركية داغ التي تعني جبل .

٤٣ - انظر اعلاه ص ١٣٤ الحاشية ٦٩ .

٤٤ - لم يكن لويس التاسع السيد الاعظم لالقوليوم دي فيلها ريه ولا للامير العظيم ، بالنسبة لاقطاعيتهما في اليونان ، وكان قرار إرسال الأخير إليه بناء على ذلك عملا من أعمال الجملة ، وتعبيرا عن الالهام اسمعة لويس كمحقق عظيم للعدل ، وجرى اجتماع للمهكمة العامة الفرنسية في ذلك الوقت (ربيع ١٢٥٩) ومع أن السبب الرئيسي هو تسوية الشؤون الشرقية بشكل عام ، ويهتم ان امور الامير العظيم قد سويت في هذه الجلسة ، ومن المعروف أيضا ان غي كان في فرنسا في هذه الاونة ، انظر بوشون - ابحاث تاريخية : ١ / ١١١٥ حاشية ١ و م : ١٠٦ - ١٠٧ .

٤٥ - كانت هذه القبة غطاء رأس يلبسه الجنسان ، وكان الاصطلاح يستعمل بشكل خاص للغطاء الذي يلبسه فارس بلباسه الكامل .

٤٦ - إن هذه التعابير ، بينظمية نموذجية موصولة في الاجراءات القضائية ، ويظهر هذان الاثنان في ل .

ويعلن شمت أنه حيث ان الاصطلاح الشائع لمخاطبة الملك بين القرنجة ببساطة : مولا في سان وجود مثل هذه الالفاظ الطنانة المعقدة الكثيرة الشيعور في اللغة اليونانية ، في تلك الايام في النص الفرنسي تدل على ان الفرنسية لا بد ان تكون ترجمة لنص يوناني اصلي ، ومع ذلك ففسي رأيي ان هذا ليس نتيجة بالضرورة ويكفي الاستنتاج ان مثل هذه الاصطلاحات قد اصبحت قيد الاستعمال العام بين القرنجة الموربيين من خلال تماسهم المباشر مع اليونانيين المحليين كما كان بالنسبة لكلمات اخرى عديدة وانظر مقدمة شمت ص ٣٣ و دامانتوس ص ٦١٠ .

٤٧ - إن الالامح لسابقة قديمة حول اللقب زائف فالكلمة اللاتينية هنا كثيرا ما كانت تستعمل من قبل البيزنطيين كمقابل لكلمة (جنرال) ولكن لم يكن هناك مطلقا في اثينا موظف يحمل هذا اللقب (انظر م . ص ١٠٧) وليس من المحتمل ان غي منح لقب دوق في تلك الجلسة من القضاء بل بعد عودته من فرنسا ، وربما يكون قد خوطب بلقب (سير) وربما أنه استعمل بشكل غير رسمي لقب دوق (انظر بوشون - ابحاث تاريخية ١ / ١١٦ حاشية ١ و ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٧) .

٤٨ - ل : ١ / ٣٠٥٠ - ٣١٣٧ اعلاه ، إن الامبراطور كوترولس وشيودور دوكاس هما ميكائيل الثاني وابنه الطيبمي ايوانس ، امير والاشيا ويلاحظ مرة اخرى ان هذه الرواية من الخيال بين ابيروس وولاشيا زائفة تماما ، انظر حولية غلاكسيرى ص : ١٤٢ - ٥٢ من المقدمة و ص ٢٠٩ - ١٠ من النص .

٤٩ - ايباكتوس اسم من العصور الوسطى لنوباكتوس وهي مدينة تقع على الشاطئ

الشمالي من خليج كورنت مقابل رأس دربانون وهذه الكلمة هي الصيغة العائدة للقرون الوسطى لدرامانون .

المضيق بين الدقطين ، وكل خليج كورنت أصبح يعرف ببحر باكتوس من الاسم (ايبسكتوس) انظر ما يلي ١ / ٣٦٢٦) وهو اليوم معنية عاملة تربط بين الدقطين .
٥٠ - تعني الاشيا هنا اراضي ايوانس دوكاس (المدعو ثيودوروس) والمعروفة ايضا باسم دوقية باتراس الجديدة .

٥١ - تذكر ل . (فقرة ٢٦٠) أن الامبراطور طلب ٤٠٠ فارسا راكبا من ابوليا ومن المؤكد ان ابن اخيه ما نفرد قد ارسل هذا العدد من الفرسان وهناك حتى ايهاء من المؤرخ غريغوراس بأن ما نفرد نفسه جاء معه . انظر م يزيهاص : الملك مانفرد صاحب صقلية ومعركة بيللا غنيا ، في ذكرى شارل نيهل (باريس ١٩٣٠) ١ / ٥٥ - ٦٠ وكتاب رنسمان : المشاء الصقلي ، (كمبريدج ١٩٥٨) ص ٢٩٩ حاشية ص ٤٧ حيث حذف هذا وقد اشارات للمعركة .

٥٢ - يضيف ل . ان غوليوم وجه اوثون دي لاروس ، نائب واهضا في الذي كان لا يزال في فرنسا ، واقطاعيه الاخرين ان يكونوا مستعدين لهمة الربيع (فقرة ٢٦٢) .

٥٣ - ترتبط هذه الاسماء بالاسر الحاكمة للاباطرة البيزنطيين للقرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ، ووصلت اسرة امير ابيروس اثنين منها ، إن حملة ميكائيل باليولوغوس ضد ميكائيل الثاني في ابيروس لم تكن بقية ابوايدس ابن الاخير . بل ابوايدس باليولوغوس أخو الملك .

٥٤ - كان ميكائيل الثامن في ١٢٣٤ / على هذا فقط في الخامسة والعشرين من عمره ، وقت معركة بيلاغونيا ، وفي الواقع ان إحدى النواحي النبيلة في ولايته هو السن المبكر الذي حقق فيه نجاحه ، ووصفه بأنه يمكن أن يعني فقط ان المؤرخ كان حيا خلال السنوات القتامية من حكمه ، وعليه فقد عرفه « كميكائيل المسن » أو ان مخبريه عرفوه هكذا ، وناقش شمت في ملاحظته للهولية مثل هذا التعبير والاماعات (ص ٣٩ - ٢٨) ولكن يبدو انه قد تجاوز عن هذا بشكل خاص .

٥٥ - تشير كلمة بيرغوس هذه الى ثباتوبيرغوس وهي مدينة قرب رأس دربانون .
٥٦ - سايدروپورت (البوابة الصينية) ، اوهرقلية القديمة ، وهي نقطة محصنة تقع في الجبال التي تفصل دوقيات اثينا ونيوباتراس ، قرب قرية الفيتروكوريون الحالية على الطريق العام اثينا - لاميا ، في إقليم فيثوتس وما تزال بقايا قلعة (سايدروكاسترو) التي كانت تسمى البقعة ظاهرة للعيان ويحتمل ان سهل سالاثينوس يقع قرب ليانوكلا دي الحالية ، وهي قرية قرب نهر هيلاس (سيرجنيس) بين لاميا . زيتوني) وهييات (نيوباتراس) انظر ل . ص ١٥٦ حاشية ١ / ٣٦٣٤

٥٧ - بلا شك ان نيوباتراس هي المعنية هنا ، وكانت زيتوني (بالفرنسية غريبتون او غيتون) اسما من المصور الوسطى للاميا ، ومن اجل زيتوني ونيوباتراس راجع فهرس م .

٥٨ - من الواضح ان هذه الفقرة بكاملها زائفة ، إذ ان أمير المدورة جاء إلى الاشيا كصديق وقريب وحليف .

٥٩ - كانت كاتا كولون نقطة محصنة ، وربما ممرا على الحدود بين تساليا ومقدونيا ، ويحتمل أنها لم تكن بعيدة عن مدينة سارانتو بوروس الحالية ، ويدين الاسم بأصله الى أرض مجاورة كانت مملوكة لأحد أعضاء الأسرة البيزنطية العظيمة كاتا كالوا ويحتمل أيضا أن هذا أصل كاتا كالون ايليس وانظر ك . ص ١٥٨ الحاشية على ١ / ٣٦٧٤ .

٦٠ - ما تزال خرائب هذه القلعة من الممكن مشاهدتها في سرفيا التي تقع على الغرب والى الشمال قليلا من أوليمبوس .

٦١ - هذه فقرة غامضة بشكل خاص ، ولكن هذه القراءة يبدو أنها معقولة أكثر .

٦٢ - بيللا غونيا ناحية في الشمال الغربي من مقدونيا ، والمدينة الرئيسية فيها هي مونا سستير وهي في الاصل حوض تملؤه بحيرة مثل اوكريدا وبرسبا وقد انصرفت مياهها في اعالي غابة شيرنا

تاركة منطقة من الحقول الواسعة ، وفي هذه الحقول عند نقطة قرب مدونا ستير وتدعى حاليا فوريللا . حدثت معركة بيلاغونيا في تشرين أول / ١٢٥٩ / وكانت مدونا ستير في العصور الوسطى مقرا للمطران الذي يحمل لقب بيللا غونيا ويبدو أن هذا اللقب قد أطلق فيما بعد على المنطقة ككل (انظر ك . ص ٥٩ الحاشية على ١ / ٣٦٩٤) . وقد تمت تغطية المعركة نفسها من قبل مؤرخين يونانيين معاصرين ومتأخرين ، بينهم أكروبوليت . وبأكيروس وغريغوراس واسفرائترس انظر أيضا م . ص ١١١ - ١١٢ ، ز ص ١٥ ، ١٩ ، ٤٢ ودراسة بنيناس (الملك مازفريد) وأفضل الاعمال الحديثة عن الموضوع هي اعمال بيدوخ ، جينا كويلوس ولاسيما كتابه الامبراطور ميكائيل باليولوجوس والغرب (كمبريدج ١٩٥٩) ص ٥٩ ويعطي رسمان صورة للمعركة في كتابه . العشاء الصقلي (ص ٣٩

٦٣ - قدم هذه الطرائق الاستراتيجية جورج أكروبوليفس في تاريخه (تاريخ ١٠ الاوبرا) طبعة هانزبرغ (لايبزغ ١٩٠٣) الفصول ١٦٥ - ١٧٠ .

٦٣ - هذه العبارة الأخيرة مأخوذة من ب .

٦٥ - تظهر هذه الرواية أيضا في ل . (الفقرات ٢٨٢ - ٢٨٤) وفي ل . ف (الفقرات ٢٦٣ - ٢٦٤) وتوجد القصة أيضا في كتاب غريغوراس (تاريخ بيزنطة ب ك ٣ - فصل ٥ - ٣٦) حيث تختلف التفاصيل تماما . وطبقا له هيم الجاسوس على ميكائيل حتى يتذكر حلفاءه في منتصف الليل ، بأن أخبره بأنه كان في خطر من هؤلاء الحلفاء أنفسهم .

٦٦ - إن القول إنهم كانوا أصحاب لسان واحد قول غريب ، لأن الحولية نفسها تبين أنه كان هناك يونان موريون في صفوف الفرنجة ولانقول شيئا عن القوات اليونانية من الامبراطورية ، وقد اقترح كالوناروس أن الرواية مفارقة تاريخية من جانب المؤرخ ، ومن الواضح أن هناك أدلة وأقرة على هذه ، ففي الزمن الذي كتبت فيه حولية المؤرخ أصبح الفرنجة ناطقين باليونانية ، وقد أسقط المؤرخ على الماضي ببساطة حالة كانت حقيقية في زمانه . إن هذا التفسير مقبول على ما اعتقد أكثر من اقتراح أنه في وقت مبكر يعود الى ١٢٥٩ كان يمكن القول إن الفرنجة واليونانيين كانوا يتكلمون بلسان واحد وهو أمر واضح السخف ولو كان كالوناروس مصيبا فإن الرواية مع ذلك تدل على تمثل سريع مذهش لدى الفرنجة ، ويمضي خطوة أخرى أيضا ليذكر أن حولية المؤرخ التي كتبت في الأصل بالفرنسية . كان لابد أن تترجم الى اليونانية حتى يتسنى للفرنجة فهمها إن كل هذا البيت من الحولية تضعفه حقيقة أنه في الفقرات التي تبدأ م ٢ / ٣٩٨٦ و ٤٧٢١ ، فإن أعداءهم يوصفون بأنهم متعذرون الالسن وغير متجانسين ، في حين أنهم يقولون عن أنفسهم بأنهم من عرق واحد وواضح أن هذا لا يشمل اليونانيين والفرنجة ، بصرف النظر عن مقدار التزاوج الكثير المتبادل الذي وقع ، وهذا يوحي بإمكانية أن هذه الأقوال راجعة الى انهيار المؤرخ الشديد للفرنجة الباني في كل حولية ، وقد يعني المؤرخ أنهم كانوا جميعا يتكلمون الفرنسية متفاهيا عن الفرق اليونانية في رغبة منه لتأكيد الاعمال الفرنجية . انظر ك . ص ١٦٥ الملاحظة على ١ / ٣٨٤٠ .

٦٧ - إن أسباب الارتداد المفاجيء لميكائيل عشية المعركة غامضة ، حيث أن المصادر ليست متفقة دائما والتفسير الأكثر اكتمالا يعطيه بأخيميرس الذي يتمسك بأن المتاعب نجعت عن نزاع بين ايوانيس الابن غير الشرعي لميكائيل وفيلهاردين وشكا ايوانيس من أن زوجته قد أهينت من قبل بعض فرسان الفرنجة وعندما تعرض لتلميحات مهينة حول مولده لجأ الى الاعداء ، وقد حذر أبوه مما كان يخططه ابنه ، وهرب الى اراضيه (بساخيميرس ١ / ٨٣) ويقبل ميلر (ص ١١١) هذا التفسير .

٦٨ - كالعادة إن هذا اللقد الساخر للروم قد حذف من ب . حيث إن / ٣٩٣١ و ٣٩٣٤ ٣٩٣٩ مفعولين ، ومن أجل أخوة الدم أو الأخوة بالتبني انظر س . كيرياكيدس في دائرة المعارف اليونانية الكبيرة ١ / ٥٦٩ - ٥٧٠ .

٦٩ - انظر ل (فقرة ٢٩٤) حيث قراءة مختلفة .

٧٠ - أشير الى دوق كارنثيا ثلاث مرات في الحولية : هنا كقائد للامان ، وفي ٢ / ٤٠٢١ حيث

توصف وفاته وفي ١ / ٧١٠٣ حيث يصور كواحد من رفاق كوفرايين في معركة تاجليا كوز . ويفترض شمت ان كل هذه الابيات تشير إلى الرجل نفسه مع أنه لا يفسر ظاهرة في تاجليا كوزو بعد موته بتسع سنوات في بيلاغونيا . ويعرفه بوشون في (ابحاث تاريخية : ١ / ١٣٥ حاشية ٣) على أنه أولريش الثالث صاحب كارنثيا ، ولكن كما يبين كالوناروس (ب ١٧ حاشية ١ / ٤٠٢١) من المعروف أن هذا الرجل كان حيا حتى ١٢٦٩ . ويضع كالوناروس في الحاشية نفسها تفسيره للقب « دوق كارنثيا » ويدعى أن دوق كارنثيا الذي حضر معركة بيلاغونيا لم يكن شخصا حقيقيا بالمرءة ، بل شخصية زائفة ، اصطنعها المؤلف كرمز للشجاعة الاستثنائية . ويبين أن اسم لورد كارتيانيا في ل . هو « سيد كارتيانيا » وفي الفقرة المتعلقة بالشخص موضوع البحث هنا (الفصل ٢٠٧ وما يليه) ، يوجد تشويش بين أمير كارتيانيا الذي يدعى سيد كارينا ، وهذا الدوق دوق كارنثيا ، الذي يدعى « دوق كارتيانيا » . إن دوق كارنثيا في نظره شخص خيالي ، وقد أعطى هذا اللقب تحت تأثير الاسم المؤلف أكثر كارتيانيا .

٧١ - هناك فاصل في ها . عقب ١ / ٤٠١٥ ، وهذه العبارة مأخوذة من ب . حيث تصل محصل ٢ / ٤٠١٦ - ٤٠١٨ ، وبعد الفاصل مباشرة في ها . عبارة منفصلة مع أنها لا معنى لها في ذاتها ، ويبدو أنها توازي المعنى في السطر المقابل من ب .

وقد حذف هذه العبارة . وقد يلاحظ القارئ مع ذلك أن معنى العبارة يدل على أن المؤرخ يقدم نفسه إلى إلى مستمعين من الفرنجة ، وليس من اليونانيين .

٧٢ - تظهر هذه العبارة التصويرية أيضا في ل . (فقرة ٢٩٧) ول دي ف (فقرة ٢٧٦) .
٧٣ - يفسر شمت (فهرس ، ص ٦١٧) هذه الكلمة « زخة من السهام » ويبين كالوناروس مع ذلك (ص ٢١٢ حاشية ١ / ٥٠٨٧) أن هذا غير صحيح .

٧٤ - تعطي المصادر اليونانية الرئيسية الثلاثة حول المعركة : اكربوليت (ص ١٧٠) باخيميريس (١ / ٨٦) وغريغوراس (١ / ٧٥) رواية أكثر تفصيلا عن استسلام غوليوم . وعندما رأى أن المعركة خاسرة عمل على انقاذ نفسه بالاختفاء في كومة قش أو في بعض الادغال الكثيفة ولكنه اكتشف وأسر من قبل بعض القوات اليونانية التي عرفته من سنة الامامية البارزة وكانت هذه سمة مميزة مشهورة له حتى إنه كان يسمى بني « السن الطويلة » وأسر آخرون من خيالة الفرنجة من منطقة بعيدة تصل الى بلاتامون وأماكن أخرى ، نقرأ : « وتحدث الأمير غوليوم بكل شجاعة وطلاقة وحكمة ... » (فقرة ٣٠٨)

٧٦ - يستمد سائس هذه الكلمة من جاككتاريوس « جندي من المشاة يحمل رمحا » وتأخذ الكلمة معنى بائس أو نفس .

٧٧ - إن ل ١ / ٤١٨٣ مأخوذة من ب .

٧٨ - من الواضح أنه خطأ من جانب المؤرخ لأن القسطنطينية في ذلك الوقت ١٢٥٩ كانت ماتزال في أيدي الفرنجة . ويعرض اكربوليتس معلومات أن الجرحى قد عولجوا في لامباسكوس على الدرنيل بحضور الملك .

٧٩ - بسبب التثبيط بفعل حياة سدرات السجن الثلاثة وسقوط القسطنطينية في ١٢٦١ صمم غوليوم في نهاية ١٢٦٢ أن يحصل على حريته بأي ثمن ، وفي هذا الوقت كان موقف ميكائيل قد لان نوعا ما على هذا أبرمت في تلك السنة معاهدة بينهما ، وكان تأثير المعاهدة الدائم على تاريخ المورة التالي موضع نقاش مفصل من قبل زاكيثينوس (ص ١٥٠ - ٢٥) وطبقا لشرطها سلم غوليوم مايلي : القلاع الثلاثة في مونفاسيا ، ومين الكبرى ، وميسترا ، وكما تذكر كل المصادر ، فإن كورنث التي تذكرها ل . ف قد وعد بها ، ولكنها لم تسلم (فقرة ٣٠٧) ، وغيرها . وجميع مناطق البند حول كنستزيا أضيف الى القائمة من قبل باخيميريس وعلاوة على ذلك أصبح غوليوم تابعا للإمبراطور ، وكان عليه أن يحمل لقب يدل على تبعيته . وفي مقابل كل هذا منح غوليوم حريته ومرتبة « مستق أو » المارشال العظيم « كما ذكر في ل دي ف (فقرة ٣٠٥) ، ويبدو أن اتفاقية أخرى قد أبرمت لتنظيم مستقبل العلاقات بين المورة والامبراطورية ، ومع القموض نوعا ما يبدو

أن شروطها قد وطلت سلطة الامبراطور على غوليوم والمورة ، وعززت المعاهدات بتوكيد الصداقة الابنية ، وجهل ميكائيل من غوليوم عرابا لابنه ، وهكذا حصل ميكائيل على مسوطة قدم في المورة لاعانة الفزو في النهاية لشبه الجزيرة من قبل اليونانيين . ملاحظة في ١ / ٤٣١٩ ذكر المدرس الفارنجي الذي يحتمل انه قد اعيد تأسيسه في نيقيا بعد ١٢٠٤ . انظر جيتا كوبرولوس (امبراطورية ميكائيل باليولوغوس ص ٤٣ وحاشية ٥٧)

٨٠ - لقد كان في الواقع ابن حميه ، انظر اعلاه ص ١٦٧ حاشية ٣٢ .

٨١ - وطبقا للوغزون (ص ٢٢٩) تدر ك غي دي لاروش لدى سماعه عن كارثة بيلا غونيا فرنسا على عجل ووصل الى اليونان في ربيع ١٢٦٠ وعاون الاميرة في المجلس الذي جمعته والذي كان « نوعا من انواع مجالس الحرب » ، وشخص ميلر مع ذلك الحالة بصورة مختلفة (ص ١١٤ - ١١٧) وبعد بيلاغونيا ، كتبت الاميرة اناكومينا دو كابنا الى غي وكان لا يزال في فرنسا وعرضت عليه منصب نائب اخيا الذي قبله ، وعندما سمع بأختيار اتفاقية غوليوم مع ميكائيل جمع برلمانا ، كما كان واجبه لمناقشة الامر . وفي كلتا الحالتين عقد برلمان في ١٢٦٢ على ما يبدو برئاسة الاميرة (ز . ص ٢٠) وكان مؤلفا مع استثناسين كله من النساء إن هذه الحقيقة الاخيرة مثال مذهل على غياب القانون السالي في المورة لأن السيدات كن هناك كوريثات أو ممثلات للامراء الذين قتلوا أو أسروا في بيلاغونيا ، ودونقت أهمية البرلمان النسائي في كل التواريخ حول تلك الفترة وبشكل أكثر تسليية في كتاب المركز تيريردي لوراي « برلمان السيدات في القرن الثالث عشر » اكانيمية العلوم والاداب والفنون الجميلة في بيسانكون (بيسانكون ١٨٨١) ص ٢٠٥ - ٢١١

٨٢ - كان ليوناردو اولف فيرولي مستشارا في المورة وخادما مجتهدا للاميرة . مثل غوليوم في مجلس شيربو في ١٢٦٧ وشهد المعاهدة ، واخذ دورا فعالا في القضية المشهورة لمرغريت باسافا ونظم معاهدة أورفيتو في ١٢٨١ ، وجمع ثروة كبيرة خلال فترة عمله في مهنته ، ومكتبة صغيرة ، مخزونها ليس قليل الأهمية (انظر م . ص ١٥٣) وكان بيبيردكاو (الذي سماه نيتيون فانت في فهرس طبعة من الدولية) رجلا محترما من الحاشية في المورة وحليفا وثيقا للامير . ويشار اليه دائما في الدولية بعبارة « الرجل الحكيم » أو الأكثر حكمة .

٨٣ - أخفق المؤرخ في ذكر السبب الحقيقي في أن شروط الفدية قبلت ، مما ألقى النساء على أزواجهن ، وتذكر ل دي ف أن النساء عندما سمعن أنه اذا لم تسلم القلاع فإن الامير ورجاله لن يطلق سراحهم أبدا ، وبدأت الاميرة وزوجات البارونات اللاتي كان أزواجهن في السجن بالصياح بهوت عال « قاتلات انهن يردين عوبة أزواجهن ، وإنهن يردين تسليم القلاع موضوع البحث للامبراطور » (فقرات ٢٩٨ - ٣٠٤) . ويدعى سانودو من جانب آخر ان غي ناضل لاقتناع السيدات بأن الامير سيفتدي بأي ثمن (انظر ز)

٨٤ - على ما يظهر ان هذه كانت نوعا من المذكرة التي كان عليه ان يبرزها لامري القلاع ، والتي تعطيه سلطة تسليم القلاع باسم الامير ، وبعد هذه الكلمة في « . يوجد انقطاع في المخطوط . وهناك صفحة مفقودة بكاملها ل ١ / ٤٤٦٩ - ٤٥٣٥ مأخوذة من ب . انظر ادناه ص ٢١٢ حاشية ١٢ .

ها

٨٥ - كانت مرغريت باسافا ابنة جان الثاني دي نويلي المارشال بالوراثة وبارون باسافا الذي تزوج ابنة لفوتيرير الاول دي روزييراكوا ، وكانت متورطة في القضية الشهيرة الموصوفة في ٧٣٠١ - ٧٧٥٢ . وكان جان دي خودرون أيضا ابن أخ الامير غوليوم .

٨٦ - تصنيف ل دي ف . أنه ذهب أولا إلى يوربيوس ، حيث استقبل بتشريف ثم الى طليبة حيث قدم له الامير حسن الوفادة وصحبة الى نيكلي (فقرة ٣٠٩) ، وبينما كان في طليبة وقع معاهدة مع البندقية (انظر م . ص ١١٧) .

٨٧ - هذا الكانتاكوزينوس كان ميكائيل كانتاكوزينوس وكثيرا ما يكتب « كانتاكوزين » وهو عضو في أسرة بيزنطية قديمة وهامة استوطنت في ميسينا في زمن الفزو الفرنجي ، والاكثر احتمالا

أنه جد الامبراطور فيما بعد جون كانتا كوزين (١٣٧٤ - ١٣٥٥) ويشار الى ميكائيل في هذه الفقرة على أنه الحاكم الامبراطوري ليسترا ويحتمل لمونمفاسيا في ١ / ٥٤٨ بينما في ١ / ٤٦٣٥ ، يذكر أنه أرسل إلى الدورية مع قوات بعد تفجر المشكلات . انظر أدناه ، ١ / ٤٦٢٩ والملاحظة في الحاشية .

٨٨ - بالنسبة للبواغث التي قادت غوليوم الى خرق معاهدته مع ميكائيل بسبب ردود فعل الامبراطور . انظر المناقشة الرائعة في ز . ص ٢٧ - حيث ربط موضوع الحرب بالحالة الدولية لتلك الفترة .

٨٩ - إن هذا هو الاسم المعطى للقائد العسكري اوكابتن وايضا للحاكم البيزنطي الامبراطوري في الدورية .

٩٠ - تذكر ل . والدولية اليونانية أنه قد أرسلت حملتان واحدة بقيادة ساكرينوس والثانية تحت قيادة كوستانتينوس باليولوغوس . ويذكر باخيميرس (١ / ٢٠٥ - ٢٠٦) أن الامبراطور قد أرسل على الفور حملة بقيادة أخيه كوستانتينوس بصحبة الباراكو مومنيوس ساكرينوس والاكسيوس فايليس ، ويقترح ملر (ص ١٢٢) ربما تحت تأثير جاء في الحدودية من روايات أن تعزيزات قد أرسلت في حملة ثانية تحت قيادة ميكائيل كانتا كوزينوس ، ويتبع زاكيثيوس « باخيميريس الذي يجد أن معلوماته أكثر احتمالا ، ويذكر فقط حملة واحدة ويضع كانتا كوزينوس حاكما في مونمفاسيا كل فترة تفجر الحرب (ص ٢٢ - ٢٣ وحاشية ٣ ص ٢٣) وطبقا لزاكيثيوس (المصدر نفسه حاشية ٢) ، احتلت عائلة ماركيزوس مركزا ذا أهمية كبيرة تحت اباطرة الباليولوغوس ، ومع أنه كان الباراكوا مومنيوس أو (الحاجب الكبير في البلاط) ، ويبدو أنه ليس هناك صدقة في رواية ان ساكرينوس كان ابن عم الامبراطور .

٩١ - درنفوس عرق كبير قد يشير إما إلى درنفوس سكورتا أو إلى درنفوس الميلنفز ، وفي هذه الحالة في رأيي إنها تشير إلى الأخيرة وعن موقع غادر اليفوس من قبل شمت (فهرس ص ٦٢٤) على أنه مكان في لاونيا شمال هاتيكا ومونمفاسيا وهيلوس ويذكر كالونارس (ص ١٩١ حاشية ١ / ٥٧٦) أن الاسم مستمد من الدراغاليفوس الحالية وهي مدينة في جوار تساكونيا وقرب هاغيوس بتروس .

٩٢ - انظر اعلاه ص ١٥٧ حاشية ١١ .

٩٣ - كانت التاريت نوعا من المراكب التجارية ، مراكب البضائع وتظهر الكلمة في اللاتينية تاريدا أو تاريتا في كتاب دوكانج التي يستمد من الكلمة العربية طريفة . ويصفها يوجين بيرن في كتابه « ملاحه الجنوبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (كمبريدج ١٩٣٠) ص ٥ على أنها سفن أثقل وأبطأ من الشواني مزودة بمجانيف وطاقم كامل من الأشرعة على صاريين ، ونقل الجيش في سفن جذوية ووصل إلى مونمفاسيا على التوالي مستهل ١٢٦٣ ، وفي الوقت نفسه احتل الاسطول البيزنطي تحت قيادة فيلانثروبينوس بعد نهب السيكلاك السواحل الجنوبية لالاونيا انظر ز . ص ٣٣ والملاحظات .

٩٤ - كانت هذه من القاب البلاط ، والآخر ربما مستمد من الكلمة التركية « شايوش » ، وذلك طبقا لكالونارس .

٩٥ - تقدم ل دي ف . عند هذه النقطة قصة غريبة لاتظهر في الروايات الاخرى ، وتذكر ان يونانيي كارتانيا بقوا مواليين لاميرهم الفرنسي وساعدوه في ايقاع شديد بالقوات الامبراطورية ، وكى يتمكن القائد اليوناني من إجبارهم على التخلي عن الفرنجة حرر بعض الرسائل المحرجة على صورة اجوبة على مراسلات متقدمة من يونانيي كارتانيا واسقط هذه الرسائل في غرفة قصر امير فرنجي ، كما لو كانت قد سقطت بالصدفة وكان الامير جيوفري على أي حال ناهية جواد شديد الثقة في ولاء تابعيه حتى لاينخدع بهذه الحيلة الفجة ، واستدعى اليونانيين واطلمهم على الرسائل ، فبدأوا بالبكاء وأخرجوا مناييلهم التي اعتادوا مسح وجوههم بها ، ووضعوها حول أعناقهم وأسموا على براءتهم ونصبوا معافها . وتظاهر الاتباع اليونانيون بالتفاوض مع القوات

- ٤٩٧٨ -

الامبراطورية وفي النهاية قادوهم الى كمين حيث قتل كثير منهم (فقرات ٣١٢ - ٣٣٠) ثم تتابع الهولية فتذكر ان جيوفري دي برويير وقع في هب زوجة تابعه جان دي كانافاس وهرب معها الى ايطاليا (فقرات ٣٣٢ - ٣٣٤) ، وبلا شك ان غيابه في تلك اللحظة الحرجة ، والثورة الناجمة للسلاف لصالح اليونانيين كانت ضربة خطيرة لامير الورة (انظر ابناءه ٢ / ٥٦٥٣ و ٥٧٣٩) .

٩٦ - يدعي سانودو (ص ١١٦) ان فرقة اثينية قد وصلت .

٩٧ - وكما ذكر اعلاه في كل الاحتمالات ارسالت حملة واحدة ، وهذه كانت تحسب بقيادة كونسنتيوس وتذكر دي ف . ان اليونانيين طلبوا المساعدة وان الامبراطور ارسل اخاه وكانت كوزينوس الذي كان صهر الامبراطور كانتا كوزينوس الذي يحكم اليوم (فقرة ٣٣٥) . وكان كانتا كوزينوس امبراطورا من ١٣٤٧ الى ١٣٥٥ .

٩٨ - عند هذه النقطة هناك انقطاع خطير في ل . حيث تخلف ست صفحات تتوافق مع ٢ / ٤٦٦٤ - ٥٠٤٥ من النص اليوناني .

٩٩ ، ان هذا ليس جبل هلموس في اسيا بل قمة اكثر انخفاضا في الجبال الواقعة بين

ايكيميونيا واركانيا وتقع قرب فيلادوسفي . وهي في اعالي نهر اليوروتاس حوالي منتصف الطريق على الطريق ما بين ايكيميونيا وكاريتانيا .

- ١ - تميز الهولية هنا بين القلعة والمدينة المحيطة أو القرية (الرض) انظر أعلاه : ١ / ١٦٨٧ والهاشية .
- ٢ - إن هذه إشارة إلى راهد نهر الفوس . ويذكر كالوناروس في هاشية مطولة ومفصلة جدا (هاشية ١ / ٤٦٦٧ ص ١٩٦) أنه بفضل نظام الصرف الممدد في المنطقة ، كان المؤرخ والسكان على ما يبدو في المنطقة أيضا ، عاجزين عن التمييز بين المجرى الرئيسي والروافد الصغيرة ، وكنيجة كان المجرى الرئيسي يسمى خطأ بالراهد كما هنا في ١ / ٤٦٦٨ في حين أن أكبر الروافد وهو اللادون كان يظن أنه المجرى الرئيسي ، واللادون هو ذلك الجزء من الالفوس الذي تهت موضع الاتصال وكان يدمى الروفيا في اليونانية العامية ، وهو تحريف لالفوس في حين أن اسمه الفردي كان شاربون وبكلمات أخرى كان اليونانيون يسمون المجرى الرئيسي للالفوس ، بينما يذكر المؤلف أنهم اتبعوا رادها من كاريثانيا إلى ليودورا (١ / ٤٦٦٩) النقطة التي يلتقي عندها اللادون بالالفوس . واسم ليودورا مستمد من لادون ويدل على بلدة ، والمنطقة المحيطة بها وهي تقع قرب ناحية هيرايا القديمة .
- ٣ - إن خرابث الدير اللاتيني لسيرة ايزوفا مازال باقية ، وتعرف على الالفوس قرب مدينة ميزماري الحالية .
- ٤ - إن هزيمة بيزنطة والتي وقعت في برنيتسا ليست موضع شك ، لأن كل روايات الهولية تذكرها ، وهي مؤيدة من قبل ساندو (ص ١١٨) ، ومع ذلك فإن التفاصيل كما هي واردة في الهولية اليونانية واضحة الاختلاف ، ولا تتفق الهوليات نفسها حول ما حدث بالضبط ، ويبقى بلا تفسير حتى اليوم كيف هزمت مثل هذه القوة المتفوقة المهيمنة على يد ٣٠٠ أو ٣١٢ فارسا .
- ٥ - لاد كان مرضه بلا شك السبب في هرب زوجته مع أمير كاريثانيا (انظر أعلاه ص ٢٠٥ الهاشية ٩٥) .
- ٦ - يحدد لييك (ديلوبونير ياركا ص ١٤٤ ، ١٥٥) هنا بأنه ممر ضيق في هوض نهر الالفوس بين كريسيتينا وبرنيتسا . ولا يضيف دار غوميس (ص ١٣٣ هاشية ١) شيئا أكثر تحديدا بالنسبة لموقعها .
- ٧ - يدخل كالونارس هذا البيت من ب . في ه . ويعطيه رقم ٧٣٧ ب . ولا يعطى تفسيراً ولا يشير شمت إلى أي فراغ مع أنه يشعر أنه من الضروري من أجل اكتمال معنى العبارة التي تليه .
- ٨ - قرية برنيتزا لم تعد موجودة ، وكانت تقع قرب مدينة فيليزا الحالية قرب أولمبيا .
- ٩ - إن شمت كما اعتد محق في بيان دلالة هذه العبارة . وهي تستعمل دائما مرتبطة مع اسم قريب أو شخص معروف جيدا ممن ماتوا في فترة حياة المتكلم أو قبله بوقت غير طويل . ملاحظة سي ٣٨ .
- ١٠ - هذه الكلمة لقب يوناني للسحاب تعني أهمق في متى ٥ / ٢٢ ، يهبط المسيح على أتباعه استعمله .
- ١١ - يدعي براغوميس الذي يحدد برنيتزا قرب مدينة بيرى الحالية (ص ١٣٦) إن ليفتزا تتعلق بمدينة فيرفيتزا قرب غورتيما في أليس وكابيل ناحية مشجرة في المنطقة نفسها .
- ١٢ - هذه عبارة مزعجة وقد فسرتها لتعني أنهم هربوا تجاه معسكر ذلك الجزء من الجيش ، الذي كان يحتفظ به كاحتياطي ، ولم يشترك في المعركة ، وهذه النقطة تعلم فراغا كبيرا أخرا في ها . ل ١ / ٤٨٥٤ - ٤٨٧٤ ، مأخوذ من ب ومع ذلك فإن فراغا يتبع ١ / ٤٨٧٤ ب . أيضا . وكنيجة مع أن السطر الأول في هـ . بعد انقطاع قد أعطى الرقم ٤٨٧٥ للإبقاء على تسوالي السطور فإن هناك شيئا ناقصا بعد السطر الأخير من ب قبل الفراغ الذي هناك ، والبيت الأول في ها ، بعد متابعة النص . ويلاحظ شمت في هاشية إن هذه الثغرات (ص ٣٢٠) تدل على أن صفتين كاملتين ناقصتان من المخطوط ، وهو يقترح أن هذا قد يدل على أن اليوناني الوطني ، وقد غلبه الغضب من الملاحظات المحطة بالأسر حول اليونانيين في هذه الفترات ، مزق الصفحتين في

- ٤٩٨ -

غضب ، ومع ذلك يبين كاثوناروس بوجاف نقاطه (ص ٢٠٤ حاشية ١ / ٤٨٥٣) أنه إذا كانت هذه هي الحالة فإن كل الروايات المرجوة للهولية باليونانية إما مدمرة أو مشوهة . ومن المهم أن انفردات تظهر في وصف معركة برينيتزا ليس فقط في النصوص الثلاث للرواية اليونانية بل في الروايات الفرنسية والإيطالية أيضا .

١٣ - مدينة في مكان ما بين برينيتزا وأندرفيدا (انظرا بغاه ص ٢٢٢) ومن أجل فليزييري انظر أعلاه ص ١٣٨ حاشية ٧٦ .

١٤ - إن هذا يعلم نهاية الفقرة المأخوذة من ب . واستثناء هـ . ومعنى العبارة الأخيرة غامض ، لأن بداية الجملة نالصة وعلى ما يظهر أن ما أهنن الأمير أن الدمسحق قد هرب ، وأنه عندما هزم ، كان حتما أكثر خطرا من قبل .

١٥ - يمحتمل أنها معادلة لـ « كل ما يزرعه الانسان ، يحصده أيضا » .

١٦ - إن سهل سييكوس هو سهل اسيا الاكبر ، وهناك كلمات طمعا لشميت (فيرس من ٦٣٩) وقد دل على منطقة مرزغية ، وهذا يشير إلى الأرض المرزغية المسماة فزانكو فمريزيو اليوم والتي تقع في وسط السهل الذي يدعى الآن ساويليكا دو المراعي الفتنة ومنايع الالفوس في هذا المستنقع (انظر ز . ص ٣٦ والحاشية . ك : ص ٢٠٩ حاشية ١ / ٥٠٢٢ روا غوميس ص ٦٨) .

١٧ - إن الإشارة هنا يبدو أنها إلى آلة حربية أو قوس كبيرة ، أو عرادة وماعها لأن القوس كان مثل هذه الآلة .

١٨ - من أجل سيرجيانا انظر انباء ص ٢٢٢ حاشية ٢٤ .

١٩ - يجب تذكر أن كلمات مثل سرايا وفيالق يقصد بها تعريب الاصطلاحات اليونانية الصعبة الترجمة بدقة . ومن أجل مناقشة هامة للجيش البيزنطي انظر كتاب أومان « تاريخ فن الحرب » وهو عمل مودوق في تنظيم الجيش البيزنطي .

٢٠ - قدسر ل دي ف . موت كانتا كوزينوس بصورة مختلفة فتذكر (فقرة ٣٤٢) أنه كان يقود قوات المدفعة وركب في الامام ليقيم بالاستطلاع ، وفي طريق عودته تعرض حصانه في حفرة رسقط ، فقفز الفرنجة عليه وقتلوه قبل أن يتم إنقاذه . وهذه الرواية للحادثة أكثر تمسها مع طبيعة شخصيته من القصة الواردة في الرواية اليونانية والفرنسية للهولية . ويجب أيضا ملاحظة أن ل دي ف تضع الحادثة في برجيانا قبل معركة برينيتزا . وتبرز (ص ٣٩ حاشية ٢) أن الترتيب الزمني في ل دي ف مشوش وأن الحادثة دون شك وقعت بعد معركة برينيتزا كما تذكر الهوليات الأخرى .

٢١ - تذكر ل دي ف أن الأمير تعقب اليونانيين حتى هربوا في الجبال (فقرة ٣٤٤) . وتذكر أيضا انه بعد هذا الانتصار بنى الأمير كنيسة سانت نيكولاس في موسيكي والكنائس الأخرى في أندرفيدا (فقرة ٣٤٦) .

٢٢ - لا تتفق الهوليات فيما يتعلق بثورة الترك الموصوفة في الفقرة التالية ، وتضخ ل دي ف المواجهة في ميسيكلي قبل معركة برينيتزا ، وتذكر أنه قبل معركة برينيتزا تخلى ملك ومعه ١٥٠٠ من الاتراك عن اليونانيين ونهضوا إلى غوليوم وتوطن هؤلاء بشكل رائع في المورة مع قسادهم الذي تزوج السيدة بافلينسا (فقرات ٣٥٩ - ٣٦٣) ويمطي ساندورا (ص ١١٨) الرواية نفسها للأحداث ، بما في ذلك القول بأنها وقعت قبل معركة برينيتزا ، وكما حدث من قبل إن المملوكات المصطاة من قبل ل دي ف قد تكون صحيحة ولكن الترتيب الزمني خاطيء . ومن المؤكد تماما على أي حال أنه بعد أن اندشق عنه الاتراك ، ترك كوندستانتينوس قيا لته بين ديي فيليس وساركينوس وعاد إلى القسطنطينية ، وصحيح إذا أنه لم يؤسر في معركة ماكوس - بلاجي التي قتل ، لأنه هرب كما تقول ل دي ف (فقرة ٣٧٢) بل لأنه لم يكن موجودا (انظر ز . ص ٣٩ - ٤٠ ، وم . ص ١٢٢ - ١٢٥) .

٢٣ - كنا بالأصل .

٢٤ - يبدو أن الطريق الذي اتبعه الاتراك كان واضحا نوعا ما ، ولكن الأماكن المسماة في هذه الفقرة صعبة التمديد بدقة ، وغادر الاتراك نيكلي وعبروا إلى كاريثانيا . ثم ساءروا الاطفيوس اهتماما حتى مصب الاريمانوس ، ثم اتجهوا شمالا عابرين بطريق فلينيري في اتجاه اندرافيدع ، ويبدو أن بيرفاريدي كانت تقع بين الفريوس وفلينيري . وعلى أي حال يقتصر « شملت » (الفهرس ص ٦٩٩) أن بيرفاردس ويونيكوس هما الشيء نفسه ولكن اقتباسا من بدوشون نجده لاد وضع بيرفاريدي قرب ناحية اليس القديمة على نهر البيذوس ، واعتقد أن ٢٠ / ٥٢٠٤ ... في النص أعلاه يوضح أنه لا شيء من هذه التعاريف صحيح ، وواضح أيضا أن سيرفيا تقع بين فلينيري واندافيدا ، مع أن موقعها الدقيق يصعب إيجاده . ويدهي شملت أنها قرب بيرنتزا ، وأن سيرجيانا هو اسم آخر للمدينة نفسها وهذا لا يمكن أن يكون لأن المدينة كانت تقع على مسافة أقل كثيرا من ركوب يوم من اندرافيدا . ويحتمل أنها تقع قرب بالايوبوليس ناحية اليس القديمة على البيذوس ، في المنطقة التي تسمى سيرجيانا في الصولية وكانت سيرجيانا في الواقع هي المنطقة التي تقع في الشرق والجنوب الشرقي من اندرافيدا ، وتنتشر مياهها إلى البيذوس . ويذكر النص (١ / ٥٠٤٦) أن اليونانيين ذهبوا إلى ميسيكلي التي كانت تماما شرق سيرجيانا . وتذكر ل دي ف (فقرة ٣٣٩) أنهم ذهبوا إلى بالايوبوليس التي كانت على الايذوس ، قرب ناحية اليس القديمة ولا مجال للتساؤل إذا أن ميسيكلي وبالايوبوليس كانتا كلاًهما قرب سيرجيانا والاولى منهما إلى الشرق . وسيرفيا أيضا لابد أنها كانت قريبة ، ويتبع إذا أن سيرجيانا ، وسرفيانا ، وسيرفيا لا يمكن أن تكون المكان نفسه كما يؤكد شملت لأنه يدعي أن ميسيكلي كانت مكانا قرب سيرفيانا (وليست بعيدة) عن اندرافيدا ، بينما يقول إن سيرجيانا وسيرفيا كانتا قرب بيرنتزا ، ومن الواضح أنه قد ضل بإصراره على أن سيرفيانا وسيرجيانا هما الكلمة نفسها) .

٢٥ - من أجل شؤون دخول دي تومي إلى قضايا المورة انظر ٢ / ١٣٠٨ أعلاه وتقول ملاحظة ل . (فقرة ٣٥٧) إنه قد اختلف لأنه ربي في الأسطونينية ، وكان يعرف عادات ولغة اليونانيين ، وحقيقة أنه كان يعرف التركية (انظر أدناه ١ / ٥٢٤٢) يحتمل أنها كانت عاملا مهما تقول ل دي ف أن ملك قد تصادف أنه عرف دي تومي في الأسطونينية وأنهما قد توصلا إلى تساهم في سلسلة من الرسائل (فقرتا ٣٦٠ - ٣٦١) .

٢٦ - إن نهر بنيذوس يدعى الياكوس لأنه يتدفق على اليس . ويحتمل أنهما التقيا في بالايوبوليس . وتسمى النهر ، نهر اندرافيدا « (فقرة ٣٥٩) .

٢٧ - ومن هذه النقطة وما بعدها إن الفقرة التالية ٢ / ٥٢٧٢ - ٥٢٨٠ غير مقروءة تقريبا في ه . وأي كلمات غير مضمومة تتماشى مع ذلك بأحكام تام في ب . وعليه لاد استعملت ب ، وحذفت الكلمات المستعربة والمعارات من تلك الفقرة في ه .

٢٨ - يذكر ل دي ف أنهم بعد أن عسكروا تلك الليلة أخذ ملك القائد التركي سهمين وأدى بهما بعض فزون السحر التي عرف منها أنه ستكون هناك معركة ينتصرون فيها (فقرة ٣٦٥) .

٢٩ - تتعلق كوبروننتزا بمدينة كويانتيزا الحالية ، قرب خرائب فيسالو القديمة وفي الغرب والجنوب قليلا تقع مدينة مونترا أو موندرا التي ما تزال تعمل اسمها الذي يعود إلى القرون الوسطى ، وتقع كلتا المدينتان على مسافة قصيرة في الشمال الشرقي من سيدروكاسترو .

٣٠ - عند هذه النقطة يبدأ فراغ طويل في ه . حيث أن صفحة كاملة مفقودة : ١ / ٥٣٢١ - ٥٣٥٤ مأخوذة « بناء عليه من ب .

٣١ - كما هو مبين أعلاه ، ترك كونستانينوس المورة قبل معركة ماكوس بلاجي . وكل ما جاءت روايته في الصولية بناء عليه حول وجوه في الحركة إلى الخ يجب أن يفهم بأنه يرتبط بفيليس ، وماكريذوس أو كان لاريوس ، ساو كافالاريسيس

٣٢ - إن كالامي أووا دي كالامي (وادي كالامي طبقا ل ل . فقرة ٣٦٧ ، ٧٣٦ ، ٧٤٣ ، ٨٣٠) كان اسم القسم الشمالي من سهل ميسين في العصور الوسطى . وكانت في هذه المنطقة

قرية لاكوس المذكورة في : ١ / ١٧١٩ (انظر أعلاه ص ١٧٠ ، وحاشية ٣٧) ويبدو أن هسله كانت تملكت حول مدينة لوترو (باللاتينية لوترا فترة ٧٣٦) . ولا تشير كالامي بالقطع الى مدينة بهذا الاسم قرب كالاماتا .

٣٣ - ماكري بلاجي (سلف قل عريض) هو الممر الاهم بين وسط البلبونيز ومسننا ويقع الشهب الضيق على مسيرة ساعة من مدينة كورتاغا ، قرب ميغالوبوليس . ويبدأ الممر نفسه عند شاطئ ماكري بلاجي وينتهي عند شاطئ تسكونا على بعد ساعة واحدة ، وفي الجوار توجد بالاوكاسترو ، نوكل او نوكلالا قرب مدينة بيريني الحالية ، وهذه تعتبر ناحية أوفيا القديمة ، وأيضا قلعة القرون الوسطى غاريكي ، وبين القرائب الكثيرة في الجوار بعض الكنائس البيزنطية .

٣٤ - ل . ٥٣٧٩ وهو ناقص في ه . وقد انفلت البيت المتعلق عن ب .

٣٥ - كنا بالأصل .

٣٦ - ل ١ / ٥٤١٢ - ٥٤١٤ منب .

٣٧ - كان فيليب دي قوس نائباً للإمبراطور في كثير من المناسبات بعد ١٢٤١ ، وكان لقبه فيليب (انظر أعلاه ص ١٠٥ حاشية ٩٣) . والمصدر الوحيد حول أسرته في القسطنطينية في زمن ماكري - بلاجي هو الصولية ، ولكن إذا كان هنا صهيحاً يبدو أنه قد استبدل بماكريفوس . ١٢٧١ عين فيليب أميراً عظيماً من قبل شارل أنجو وهو منصب تولاه حتى وفاته في ١٢٧٧ (انظر لغ ص ١٨٢ - ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٣٣٤ ، ٢٥٣ ، ز . ص ٤٢) .

٣٨ - لم تصكن من المثور على ذكر لهذا الرجل خارج هذه الإشارة إليه كمن جدد أو تابع فارس لانسرين دي تروسي .

٣٩ - من أجل قلعة غاريكي (غاريخي ل فترة ٣٧٥ ، ٨٣٠ وغاريكسكو . ل دي ف . فترة ٧١٤ - ٧٢٢) انظر دراغوميس ص ٢٢٧ رقم ٣٣ (ص ١٨٦ - ١٨٨ و ١٩٠ - ١٩٦) وبنافش مطولا الناحية المحتملة لغاريكي في علاقتها باليون والمذكورين في النص .

٤٠ - من المهم أن اسم نيلس مذكور هنا كما هو في هذه الفترة . ويميل هذا إلى تأكيد حقيقة أن نستانتيفوس . لم يكن في المعركة ، بل عاد إلى القسطنطينية وأنه ترك فيلبس بمسئلاً كبيراً وقالوا للجيش ل ١ / ٥٤٣٠ - ١٢ / ٥٤ التي تروي قصة ابن الكاثة اليونانيين ناقصة في ب . وهذا يبين مرة أخرى أنها قد نقلت في وقت ما من قبل كاتب موال اليونانيين .

٤١ - وكان الأسرى هم : فيلبس المستق الكبير ، الذي توفي بعد ذلك في قلعة كلوموتسي ، حيث سمجن (١ / ٥٥٨١) واليكسيوس كلا لايريس (ويدعى أيضاً كلا لايريس) الذي أطلق سراحه في وقت ما لأنه قد فيها بعد الجيش البيزنطي (يايميرس ١ / ٣٧٤) وبساراكيمومينوس ماكريفوس الذي يحتمل أنه قد استبدل فيليب دي تروسي والذي اتهم بالخيانة وسملت عيناه عند عودته إلى القسطنطينية ، وكل الاشارات إلى كونستانتيوس في هذا المجال زائفة ، بما في ذلك قصة أنه رها أسريه ، المروية في ل دي ف . (فترة ٣٧٢) والاعادة الفعلية كما أعطيت في الصولية هي بالطبع زائفة ، ولكن أن خسائر البيزنطيين كانت كبيرة لا يمكن إنكارها ، والمشكلة المعقدة للترتيب الزمني والحوادث الواقعية في معركة ماكري بلاجي نوقشت مطولا في ز . من ٤٠ - ٤٣ .

٤٢ - ل ٥٥١١ من ها .. يقرأ : إن هذه الامور التي رواها او قالها للمستق والبيت التالي مختلفي وعليه استعملت ٢ / ٥٥١١ و ٥٥١٣ من ب . مله الفراغ .

٤٣ - حدث هذا الاحتفال في ١٢٦٢ بعد تدمير غولوم من السمن . انظر جيانوكوبوليس ، ميكانيل باليولوغوس ص ١٥٥ والحاشية ٧٥ .

٤٤ - ل : ١ / ٥٥٩٥ - ٥٦٢٥ مأخوذين من ب . حيث أنهم غير موجودين في ها .

والترقيم الاصلي للأوراق مع ذلك لا يدل على أي فترة وقد أدى هذا بشمت . (ص ٣٦٤) إلى اقتراح أن ها . لم تكن كاملة عندما رقت ، أو أنها لم تهو مطلقاً الرواية الكاملة التي في المخطوطات الاصلية .

- ٤٥ - تذكر ل . خطأ أن جين دي سانت أوامر قد كلف بحصار ميسترا (فقرة ٣٨٩) .
إن هذه مفارقة تاريخية لأنه لم يدخل في الشؤون المورية من زواجه من مرغريت دي تويولي (باساها) أنظر ٢ / ٧٣٧٠ وز ص ٤١ - ابنه .
- ٤٦ - من أجل سكورتا أنظر أعلاه / ص ١٢١ حاشية ٣٩ ، لقد كانت الكلمة الرئيسية هي كاريثانيا وكانت هناك فلاح أقل شأنًا وهي اكولا وأراكورون (ميوسيليت) ومن أجل يونانيي كاريثانيا أنظر أعلاه ص ٢٠٥ حاشية ٩٥ .
- ٤٧ - من أجل مفامرة الأمير الجاهل لكاريثانيا أنظر ابنه .
- ٤٨ - المعنى بالدورة هنا إيليس .
- ٤٩ - يقترح كالوناروس إن هذه المدن تتعلق بالمدن الحالية فونارغون قرب ليتريينا ورتنتو قرب أولينا وكلاهما في إيليس . ويوهي أيضا إنه إذا كانت ل . ف . صحيحة في ذكر أن ملك بقي في الدورة (فقرة ٣٦٣) . ويحتمل أن مدينة ماليكي قد سميت باسمه وأفراد أسرة ملك هم سلالاته (أنظر ل . ص ٢٢٦ حاشية ١ / ٥٧٣٨) . وفي مواجهة ص ٢٠٩ من ك . صورة فوتوغرافية لهجر الأساس لجسر كان في المصور الوسطى فوق الالفوس قرب كاريثانيا . وفي الأهداء هناك إشارة إلى مانويل ملك على أنه المؤسس أو مالك جديد للإقطاع ، ربما إشارة إلى ملك الهولية أو واحد من سلالاته .
- ٥٠ - كانت كنائس سانت نيكولاس في بساري والتي كانت تضم جسم ذلك
الديس بعد ١٠٨٧ وكنيسة كبير الملائكة ميكايل على جبل غارغانو كانتا بعد ذلك التي كانت في روما أهم غايات الحج في إيطاليا المصور الوسطى ، وقد أسس مانهر مانفريدونيا في ١٢٦٣ التي تقع إلى الجنوب من جبل غارغانو على الخليج الذي يحمل الاسم نفسه .
- ٥١ - كان مانفريد (١٢٣٢ و ١٢٣٣) الابن الطبيعي للإمبراطور فريديريك الثاني وسبب شروط وصية أبيه كان ممثلًا في إيطاليا لأخيه غير الشقيق كونراد الرابع . وبعد ١٢٥٤ أصبح وصيا على العرش لكونراد بن ابن كونراد الطفل . وفي ١٠ آب ١٢٥٨ وبناء على إشاعة كاذبة بأن كونراد بن قد مات ، توج ملكا للصقليين . وبعد ذلك رفض التنازل عن العرش وبقي ملكا حتى وفاته في معركة بيدفنتو في شباط ١٢٦٦ ، أنظر أعلاه ص ١٧٥ - الحاشية ٥١ من أجل علاقاته السالفة مع قضايا الدورة .
- ٥٢ - ل . ١ / ٥٨٥١ - ٥٩٣٤ مذكورة من ب .
- ٥٣ - حول الجريمة السالفة لاميح كاريثانيا أنظر أعلاه ٢ / ٣٢٢٠ و ٣٢٤٨ ومن أجل الهبة الجديدة ، أنظر أعلاه ص ١٣١ حاشية ٤٠ ، وفي مناسبة محاكمته القديمة ، ليس جبل مشنقة حول عذقه ، وهنا ليس نطاقه . وأيضا أنظر أعلاه ص ٢٠٥ حاشية ٩٥ حيث وصف بونايونو كاريثانيا وهم يعلقون منديلهم حول أعناقهم ، إن تعليق جبل أو نير حول العنق كان بلا شك علامة على الضموع والمذلة ، ومن المهم ملاحظة أنه في مين وهي منطقة في اليونان كانت لها سمعة شبيهة بسمعة تلال كنتكي ، كانت هذه العلامة على الضموع تستعمل حتى وقت قريب نوعا ما من قبل الأعداء المهزومين في الصفائف الدموية التي ساءت سمعة المنطقة بسببها ، وعندما جاءوا في طلب الرحمة (أنظر ك ص ٢٤٢ حاشية ١ / ٨٩٢ وأمانتيوس (ص ٦٣٠ ، ٦٥٦ - ٦٥٧) وهناك أثر قديم في عانة المانويت هو استعمال كلمة مشابهة من أجل الهدنة أو توقف الحزبات الدموية وفي كل الهولية تستعمل هذه الكلمة مع المعنى نفسه كما في ١١ / ٦٨٨٢ .
- ٥٤ - كان ريموند - بيرنغار الرابع (١١٩٨ - ١٢٤٥) كونت بروفانس والفور كال كبير وليس أنجو كما تذكر الهولية خطأ ، وكان له أربعة بنات من زوجته بياتريس سافوي مرغريت التي تزوجت لويس التاسع ملك فرنسا في ١٢٢٤ ، واليانور التي تزوجت هنري الثالث ملك انكلترا في وسكاكنا التي تزوجت ريتشارد ، إيرل كورونول في ١٢٢٤ ، وبياتريس الصغرى . وعينت هذه الأخيرة وريثة له من قبل أبيها والقب كوتيسو في كانون الثاني ١٢٤٦ تزوجت أيضا لويس التاسع شارل دي أنجو وهكذا جعلت منه كونت بروفانس .

- ٤٩٨٤ -

٥٥ - هناك مصادر مرسمة حول حكم فريديريك الثاني (انظر تساربخ كمبدرج للعصور الوسطى ٦٠ ٨٦٩ - ٨٧٤) إن التفاصيل كما هي في الحولية كالعانة غير صحيحة ولكن فيها بعض الحقيقة ، وجرى حرمان فريديريك من قبل غريغوري التاسع في ٢٩ أيلول ١٢٢٧ للحنث بة اسمه بالذهاب في الحملة الصليبية ، وروجع الحرمان في يوم الخميس المقدس ٢٣ آذار ١٢٣٩ ووعظ غريغوري يوم اثنين عيد الفصح ضد فريديريك ولكن الرومان الفاضلين طردوه من كنيسة القديس بطرس ، وكان عليه أن يقادر روما لمدة عامين .

٥٦ - من أجل مازفرد إنظر أعلاه ص ٢٣٨ حاشية ٥١ .

٥٧ - ل ١ ٥٩٧٧ ، ٥٩٧٩ ، ٥٩٨٠ مةقوبة في ٥ . وقد أخذت الابيات المتعلقة من ب .

٥٨ - جرت محاولات متكررة من البابوات لاقحام شارل في الشؤون الإيطالية وتلك المحاولات جرت في ١٢٤٠ - ١٢٤١ من قبل غريغوري التاسع ، وفي ١٥٢٣ من قبل انوسنت الرابع كانت غير ناجحة بسبب معارضة لويس التاسع ، وفي ١٢٦٣ - ١٢٦٤ كسب البابا الفرنسي اوربان الرابع تأييد لويس التاسع وةفاقية مع شارل كانت مكتملة تقريبا عند وفاة البابا ، وأنجز خليفته وهو فرنسي آخر كليمت الرابع المعاهدة في النهاية مع شارل في نيسان ويمكن أيجاز شروط المعاهدة في تاريخ كمبدرج للعصور الوسطى : ٦ ١٨٣ - ١٨٤ .

٥٩ - بحلول منتصف القرن الثالث عشر أصبحت الاسماء التسكانية مثل غولفد وغيبيلين داخله في الاستعمال الشائع للدلالة على البابوية والامبراطورية في إيطاليا .

٦٠ - توجد هذه الحادثة في حوليات أخرى تغطي الفترة نفسها ، على سبيل المثال في الفصل ٣٢ من تاريخ مونتاييز (الترجمة الانكليزية من قبل الالبي هنريتا هورغريت غوبدوخ مجلدان ، لندن ١٩٢٠ - ١٩٢١ وفي الكتاب ٦ فصل ٩٠ من كتاب فيلاني تاريخ فلورنسة (تحقيق موراتوري المطبوعات الملكية الإيطالية : ١٣ - ميلان ١٧٢٨) والتفاصيل متماثلة تماما . وقد يكون هناك القليل من الحقيقة في القصة وعليه حتى مع أن شخصية شارل كانت بحيث لايتوقع أن يجد انه بشكل خاص متأثر بزوجه ولاسيما هذا الامر .

٦١ - انظر أعلاه ص ٢٤٢ حاشية ٥٤ .

٦٢ - تعني الكلمة بالاصل (شيء يطفو اوله اجنحة) متدبل أو كم طويل ؟

٦٣ - أبحر شارل في ١٥ ايار ١٢٦٥ ونزل إلى البر في ٢١ وبخل روما في ٢٤ .

٦٤ - كليمت الرابع الذي كان بابا من (١٢٦٥ - ١٢٦٨) .

٦٥ - في حلم ؟

٦٦ - ل ١ : ٦١٤٣ - ٦١٤٥ غير موجودة في ل . ويقترح شدمث (ص ٢٩٨ الحاشية)

بانها استيفاء في ب .

٦٧ - توج شارل أولا في اللاتيران في ٢٨ تموز ١٢٦٥ من قبل كرينالين ثم توج مرة أخرى مع زوجته في ٦ كانون الثاني ١٢٦٦ قبل بضعة أيام من معركة بينفدو .

٦٨ - جرت معركة بينفدو في يوم الجمعة ٢٦ شباط ١٢٦٦ . وكنتيجة لانتصاره الكاسح يقضي شارل سيدا بلا منازع في إيطاليا وأقام في نابولي كملك . وأعطى اسم بينفدو في الحولية بصيغة ترجمة مختلفة للاسم كما يلفظ بالفرنسية على هذا دلالة أخرى على أن الحولية اليونانية قد كتبت من قبل رجل فرنسي .

٦٩ - إن ل : ٦٢٥٠ . مأخوذة من ب .

٧٠ - إن الرواية التالية حول دخول الانجوليين الشؤون المورية ، وعن معركة تاجليا كوز وعن زواج ابن شارل من ابنة غوليهوم وعن معاهدة فيقربو ، مشوشة تماما وغير دقيقة ، ولا سيما في ترتيبها الزمني ، فعندما هزم شارل ما نفرد في بينفدو أصبح وريثا ليس فقط لأراضي هوهنشتوفن في إيطاليا ، بل أيضا لمصالح مانفرد في الشرق . وكانت خطوته الاولى هي المطالبة بجزر الايونيون

التي جعلتها هيلين ليبروس مورا لها . ويهلول أوائل ١٢٦٧ كانت هذه من ممتلكاته ، ويبدو أن مشروعه كان استعمال هذه لكل اليونان ، ثم إلى امبراطورية انجبيينة فخمة في الشرق وطبقا لذلك وفي وقت متأخر من ١٢٦٦ بدأ مفاوضات طويلة مع الامبراطور الخوارق بلدين الثاني امبراطور السلطانية وغوليوم دي فيلهارين ، وفي ١٧ شباط ١٢٦٧ أصدر جواز مرور لغوليوم الذي انطلق الى روما بعد ذلك التاريخ بوقت قصير وعندما وصل وجد البلاط الروماني في اضطراب بشأن الاسالة الشرقية ، وكان اسقف نيفروبيونت والاسقف المنتخب للبيكمونيا قد وصلا لتوهما الى روما وجاءا بمشككتيهما معها ، وكان ميموثون من ميكائيل باليولونوس يتفلساوضون على تسوية الكتيستين . ووصل بلدين الثاني ليقابل شارل بعد محاولة غير ناجحة لتجنيد الدعم الغربي لاهادة فزو السلطانية .

ويؤكد زاكينوس (ص ٤٦) أن غوليوم لم يشترك في تلك المناقشات وأنه لم يكن موجودا عندما وقعت اتفاقية فيتربو ويبين أنه لو كان هناك لوقعها وما كان ليحصل ليوناردو دي فيرولي يوقعها كممثل عنه ، ومن جانب اخر ، يجب المزم كيف أنه قد تمكن من المغادرة وسط مثل هذه المفاوضات الهامة التي كانت حيوية في الحقيقة بالنسبة لمستقبل المورة . ويذكر بوشون (ابحاث ومسائل : ١ / ١٩٣ ، وابحات جديدة : ١ / ٢٠١) أنه بقي وأنه كان حاضرا عندما وقعت الاتفاقية مع أنه لايفسر لماذا لم يوقع هو بنفسه ، وقد اعطى لوغنون افضل تفسير للاحداث (انظر الحاق إمارة المورة بمملكة صقلية في ٢٦٧) مجلة دي سوانت (١٩٤٢) ول . غ . ص ٢٣٦) .

وطبقا له وصل غوليوم الى روما في حوالي نهاية شباط ، ووصل شارل في نحو اخر نيسان . وكانت المفاوضات طويلة ومريرة ، وكان شارل مدركا تماما أن كلا من بلدين وغوليوم كانا في حاجة لمساعدته وكان مصمما على أن يحصل على أكثر ما يمكن في المقابل ، وتدهقت النتيجة الاولى في ١٨ أيار ففي ذلك اليوم تم انجاز معاهدة كان بموجبها على فيليب دي كورتناي الابن الأكبر لبلدين أن يتزوج بياتريس ابنة شارل ، ثم في ٢٤ أيار تم إبرام معاهدة بين شارل وغوليوم وكانت بنويها غريبة ففي مقابل وعد بالمساعدة من شارل يتغلى غوليوم بموافقة من سيده الأكبر بلدين عن إمارة المورة وتوابعها لشارل على هذه الشروط : أن يتزوج أحد أبناء الملك من إيزابو ابنة غوليوم ، ويبقى غوليوم أميرا طيلة حياته ، وعندما وفاته تنتقل المورة الى يد زوج إيزابو أو إنا توفي قبل غوليوم الى شارل نفسه ، وإنا ولد لغوليوم ابن - وكان في نحو الخامسة والخمسين وقت توقيع الاتفاقية - فإن لابن أن يرث القضاية تصل فقط الى خمس ممتلكات أبيه وإنا توفيت إيزابو دون عقب ، فإن آل فيلهارين يحددون تماما لصالح شارل أو ورثته .

وبعد ذلك بثلاثة أيام في ٢٧ أيار ١٢٦٧ ، تم إبرام معاهدة ثانية بين بلدين وشارل تخلي بموجبها بلدين عن كل ممتلكاته تقريبا بما فيها المورة لشارل الذي كان عليه أن يتعهد بإعادة الاستيلاء على الامبراطورية اللاتينية خلال ست أو سبع سنوات وأن يمنع بلدين ثلث كل ما سيسترد ، وكان رباط المعاهدة هو زواج أولاهما .

ولم يكن زاكينوس وميلار عارفين بالمعاهدة المبرمة في ١٢٦٧ بين شارل وغوليوم ، ولقد تكلموا عن معاهدة الزواج ويذكرا أنها قد أبرمت مباشرة بعد معركة تساغليا كوز (ز . ص ٤٧ ، م . ص ١٢٩) وتضع الحولية الزواج نفسه قبل المعركة ، وهذا غير دقيق بالمرة .

وبعد توقيع المعاهدات عاد غوليوم الى المورة . ويذكر زاكينوس أن ميموثون جاءوا إليه في أوائل ١٢٦٨ من شارل ليتعامل مع الامير وأن يحصل على موافقة الاميرة والبارونات على ما يتم الاتفاق عليه (ص ٤٦ - ٤٧) . وقد أخطأ في هذا التاريخ ومع ذلك فإن لوغنون يضع هذه البعثة في حزيران ١٢٧٠ (ل غ ص ٢٤٠) . وفي آذار ١٢٦٨ عاد غوليوم الى ايطاليا ، واشترك في معركة تاغليا كوزو (٢٣ آب ١٢٦٨) وعليه يبدو أنه بقي في خدمة شارل على الاقل حتى آذار ١٢٦٩ . وخلال ما تبقى من ١٢٦٩ انشغل شارل بالثورة في جنوب ايطاليا ، ولكنه تدبر أمر إرسال بعض المساعدة الى المورة وفي حزيران ١٢٧٠ وصلت البعثة التي تحدثنا عنها الى المورة . وضغط الميموثون ايضا على غوليوم في أمر زواج إيزابو وبموجب شروط المعاهدة المبرمة قبل ذلك بثلاث

- ٤٩٨٦ -

صفوات كان لابد من أن ترسل الى البلاط النيابوليتاني على الفور ، ولكن بعد ذلك بثلاث سنوات كانت مازال في المورة . وتم الزواج في ٢٨ يناير ١٢٧١ .

٧١ - ل : ١ / ٦٢٨٧ - ٦٢٨٨ مأخوذة من ب .

٧٢ - إنظر اعلاه ص ٢٠٠ حاشية ٨٢ .

٧٣ - البيت ٦٣٧٥ من ب .

٧٤ - ل ٦٤٧٤ مفلوذة . والمحافظة على الاستمرار استخدمت ٢ / ٦٤٧٤ - ٦٤٧٧ من

ب .

٧٥ - كنا بالاصل (الفصول ، والنقاط الرئيسية ، والتفاصيل) .

٧٦ - ل : ٦٥١٩ من ب .

٧٧ - ل : ١ / ٦٥٢٥ - ٦٥٢٨ هم من ب .

٧٨ - يبدو ان زاكينديوس قد شوش الترتيب الزمني لهذه الاحداث . وهو يقبل رواية الحولية في ان غاليران دي ايفري قد أرسل ولكنه يدعى أنه أرسل ككاتب للملك وان هذا جرى في ١٢٦٨ (ص ٤٨ - ٤٩) . وبمعنى في القول انه قد استبدل بفلبي دي لاغونيز في السنة نفسها ، ثم يذكر (ص ٥١) أنه في ١٢٧٢ جاء دروغون دي بلمونت الى المورة ككاتب للملك على رأس القوات الخ . ويتبع كالوناروس بالطبع هذا التفسير (ص ٢٦٧) . ولوغون مع ذلك يمكن الاعتماد عليه أكثر ، وطبقا له فإن أول نائب للملك أرسل الى المورة من قبل شارل كان غاليران دي ايفري نائب امير صقلية ، وجرى التعيين في ٢٦ آب ١٢٧٨ بعد وفاة غوليوم دي فيلها رد ين (ص ٢٥٤) وهذا هو فقط التفسير الممكن لأنه لم يكن لديه حق في إرسال نائب ملك حتى أصبح اميرا على المورة .

٧٩ - هناك صفحة ناقصة في ل . عند هذه النقطة ويقابل السقط ٢ / ٦٥٤٣ - ٦٦٠٤ من الحولية . ومع ذلك في ١٢٧١ والسنوات التالية أرسل شارل قسائنا عاما الى المورة ، وكان أول هؤلاء دروغون دي بلمونت (انظر اعلاه) الذي جاء مع قوات في ١٢٧١ ، ولكنه لم يكن نائبا للملك ، وقد خلطت الحولية بين دروغون والنائب الاول ، ل : ١ / ٦٩٣٥ ثم تعاملت مع دروغون دي بلمونت وليس مع غاليران دي ايفري . (انظر ايضا م ، ص ١٣٠ حاشية) وهو يف ، تاريخ بلاد الاغريق ، (لايبزغ ، ١٨٦٧ - ١٨٦٨) ١ / ٢٩٢) إن التهمة اليونانية لاسم غاليران دي فري ، ويدعى شمت (ص ٦٢٤) بأن هذا برهان على أن الحولية الفرنسية تعتمد على اليونانية أولا لان اسقاط حرف من هذا النوع (أعني بين ايفري وفري) شائع في اليونانية ، ولكنه بالكاد ممكن في الفرنسية .

٨٠ - كريفه أو كريسايها كما يظهر في ب . ، لم يعد لها وجود . ويهتمل انها كانت تقع جنوب اندرافية على نهر بينيوس في مكان ما بين كفاستيل وبلايوبولس .

٨١ - ل : ١ / ٦٥٨٣ و ٦٥٨٥ من ب .

٨٢ - من أجل ايزوفا إنظر اعلاه ص ٢٠٣ حاشية ٣ .

٨٣ - من أجل الراشد إنظر اعلاه ص ٢٠٣ الحاشية ٢ .

٨٤ - غوتير الثاني دي روزيير .

٨٥ - يقترح زاكينديوس (ص ٥٢) إن ابن الاخ هذا الميكائيل الثامن ، كان اليكسيوس فيلا - نثروبيوس ، ووصلت القوات الامبراطورية الى المورة في وقت ما في ١٢٧٠ ولكنهم تعلموا درسهم في معارك أقدم مع الفرنجة ورفضوا القتال . وقوات الفرنجة من جانب آخر لم تكن قوية بدرجة كافية ، للمهم

حصار مستقرا . وقد نام هذا الموقف الهر - حتى شتاء ١٢٧١ عندما وصل دروغون وهذا القسم ، عدد أكثر الفقرات دشويشا وأقلها قابلية للأهم في الحولية ، كما هو مبين في حاشية مطولة من قبل زاكينديوس (ص ٥٣ حاشية ٤)

٨٦ - مورما هنا تعني اليس .

٨٧ - كان حامل هذا اللقب أحد أرفع الوزراء الرابع في البيروقراطية البيزنطية ، وتستهمل

- ٤٩٨٧ -

- الكلمة دائما في الهولوية للدلالة على الحاجب ، من اجل ليوناردو انظر اعلاه ص ٢٠٠ حاشية ٨٧ .
- ٨٨ - ل : ١ / ٦٧٧٤ - ٦٧٧٦ من ب . وهناك فراغ في ل يقابل ٢ / ٦٧٨٣ - ٦٩٠٤ من الهولوية (فقرة ٤٧٥) وكان كونراين بن كونراد وريث فريديك الثاني وابن اخ مانفرد . وعندما جاء كونراين الى ايطاليا كان في نحو السادسة عشرة من عمره ولكنه كان ياهي تأييدا حماسيا من طرف الهيلينيين ، وقد التقت قواته بقوات شارل دي انجو فربنا جاسيا كوزو في ٢٣ آب ١٣٦٨ واسر كونراين بعد المعركة وقطعت رأسه .
- ٨٩ - روبرت الثاني كونت ارتوا ، الذي كان حقا ابن اخ لويس التاسع وشارل وليس اخوهما .
- ٩٠ - لم يستدع غوليوم لانه كان صديقا بقدر ما استدعي لانه كان واجبه الاقطاعي ان يذهب طالما انه قد أصبح تابعا لشارل بحكم شروط معاهدة فيترو وقد صحبه جيوفري دي برويير ، امير كاريتانيا ، وغوتير دي روزيير امير اركوفا وجان شوبرون ، ابن اخيه والامير العظيم ، وجيوفري دي قرناي ، امير كالا فريتي .
- وكان في ابوليا بحلول اذار ١٣٦٨ بناء على رسالة من كليمنت الرابع الى ممثلة كتبت في هذا الشهر توصي بأن يوكل الى غوليوم القوات المتجمعة في لوفيا (ل . جوردان ، رسائل كليمنت الرابع - رقم ١٦٣٦ ص ٤٢٧) .
- ٩١ - التقى الاثنان في تغليا كوزو وليس في بينفتنو . والوصف الذي يتبع لدور غوليوم في المعركة شديد التحيز . إن ما تعزوه الهولوية اليه ينسب الى ايرارد دي فاليري من قبل دانتى .
- ٩٢ - كذا بالاصل .
- ٩٣ - يصف أومان معركة تاغليا كوزو في كتابه تاريخ فن الحرب : ١ / ٤٨٨ - ٤٩٨ وانظر أيضا ملاحظات ه . نيليس ، التكتيك في القرن الثالث عشر : ١ / ٤٥٤ - ٤٥٦ .
- ٩٤ - كذا بالاصل .
- ٩٥ - إن هنا أول ظهور لهذه الكلمة من الهولوية للدلالة على أن اسم اللان ومن الواضح أنه مشتق من الكلمة الإيطالية « تندي » .
- ٩٦ - حاول كونراين من البداية الاولى للمعركة ان يهرب مع صديقه فريديك صاحب النمسا . وعرف الاثنان اسرا بعد ذلك بوقت قصير وأحيلوا إلى شارل لقاء مكافأة (ل دي ف فقرات ٤٠٦ - ٤٠٩) . وقدمهما شارل للمحاكمة في نابولي وحكم عليهما بالاعدام .
- وقطع رأسهما معا في ٢٩ تشرين أول ١٣٦٨ ، وهو إعدام (بسبب شبابهما ونسبهما) . هدم أوروبا كلها .
- ٩٧ - إن هذا يشير بلا شك الى فريديك صاحب النمسا صديق كونراد وحليفه ، وهو ليس دوق كارنثيا المذكور في : ٢ / ٤٠٢١ .
- ٩٨ - في أعقاب الحملة غير الماسمة في ١٢٧١ (انظر اعلاه) استمرت الحرب مع اليونانيين بطريقة منقطعة . وتسلمت قوات ميكايل ببطء الى اراضي الفرنجة تسقولي عليها إقطاعية بعد إقطاعية وحدثت هذه الواقعة الموصوفة اعلاه في ٢ / ٧١٩٥ في ١٢٧٥ . وبعد فقدان الامير كاريتانيا المهيب أصبحت الإقطاعية بلا حول وسقطت في أيدي اليونانيين في ١٢٧٧ .
- ٩٩ - أركوفا العظيمة (ل فقرة ٤٩٥) هي مدينة أركوفا التي تقع تقريبا على الحدود بين أركانيا ولاكونيا على طريق تريبوليس - سبارطة . وكانت تدعى العظمى تمييزا لها عن خمسة أركوفات أخرى على الأقل في الدورة في ذلك الوقت .

- ٤٩٨٨ -

٦ - ومما يذكر انه بعد خيانة جيوفري دي بروير له وليوم خلال الحرب في يوليو أعيدت إقامته له كمنه جنيد مقصورة على وركته من صلبه (انظر أعلاه ٢ / ٣٣٦٣ ، ٥٩٠٤) وعند وفاته وحيث أنه لم يكن له وريثة مباشرون ألت الاقطاعية الى أمير المورة ، الذي احتفظ بنصفها لذاسه وأعطى النصف الآخر للارملة ايزابلا دي لاروش ، ابنة غي الاول أمير أثينا . ومن أجل نصيب الارملة الاقطاعي في المورة انظر كتاب توبنغ المؤسسات الاقطاعية ص ١٥٠ - ١٥٢ ، والمباراة الاخيرة في : ١ / ٧٢٣٩ أعلاه ، وكان مستحقا لها ، وربما كان الافضل ان تقرأ هكنا ، الذي كان لها .

٧ - في وقت موت جيوفري كان جين الاول دوق أثينا (١٢٦٣ - ١٢٨٠) وخلفه أخوه غوليوم (١٢٨٠ - ١٢٨٧) . وكانت ايزابيل أختا لهما وكانت عمة لغي الثاني (١٢٨٧ - ١٣٠٨) ابن غوليوم .

٣ - تزوجت ايزابيل هورغ دي بريين كونت ليكس في ١٢٧٧ ، وكان مقدرًا لابنهما غوتير دي بريين أن يخلع ابن عمه غي الثاني ويصبح آخر دوق لفرنسي لأثينا (١٣٠٨ - ١٣١١) وتوفيت ايزابيل بعد مولده بوقت قصير .

٤ - قبل ميلر (ص ٢٢٨) من جانب التفسير كما هو معطى في الصولية في ٢ / ٧٢٧٠ دخول نفول صعبة الكاتالان العظيم في شؤون اليونان الفرنجية . ومن أجل فترة الكاتالانيين انظر ك . م . سبتون ، هيمنة الكاتالانيين على أثينا (١٣١١ - ١٣٨٨) ، وأعمال روبسي دي أوس وهي أساسية في هذه المرحلة من تاريخ اليونان ، و س . س . بيرنز صعبة الكاتالانيين والقوى الأوروبية ١٣٠٥ - ١٣١١ - سيكلوم ٢٩ (١٩٥٤) ٧٥١ - ٧٧١ .

٥ - ما هوت دي هينون (١٢٩٣ - ١٣٢٥) ، كانت ابنة يزابوي فيلها رين من زوجها الثاني فلورنت دي هينوت ، وأدعت ماهوت بحقها في الامارة بعد وفاة والبتها ولكنها ألت الى فيليب تارنتو بن شارل الثاني صاحب أنجو انظر أعلاه ٢ / ٨٥٠٠) وتزوجت ماهوت أولا غي الثاني دي لاروش ثم لوييس دي هورغوني ، ثم هورغ دي لاليس ، وأخيرا تزوجت جون غرافينا .

٦ - بعد بداية دخول الكاتالانيين إلى اليونان وجدوا أنفسهم في وضع غير مستقر . وهم مطوقون تقريبا بشكل كامل باليونانيين المعادين ، فشقوا طريقهم نحو دوقية أثينا .

وفي (١٣٠٦ - ١٣٠٩) قاموا ببعض المناوشات ، وخاضوا معركة ضارية واحدة على الأقل . وفي تلك الأثناء أصبح غوتير أميراً على أثينا وبدأ حملة قوية ضد اليونانيين ، في ١٣١٠ استأجر الكاتالانيين كمرتزقة لفترة ستة أشهر . وبدأوا على الفور في نهب تساليا ، واستولوا على أكثر من ثلاثين قلعة بما فيها دوموكوس . وفي نهاية الشهر الست قرر غوتير التخلص منهم وطالب بمجرعة بالفلاح وحاول طرد معظمهم . وعندما رفضوا الذهاب قرر استعمال القوة . فاستجار بكل حلفائه . وجمع جيشاً ضخماً وفي آذار ١٣١١ تقدم نحو الكاتالانيين ، والتقوا في جدار سكريبر (أوركوميذوس) قرب مكان دخول نهر الكيفيزوس بعميرة كوبايس . وكانت المعركة التي تلت في السباح كارثة بالنسبة للفرنجة . والتاريخ البقيق للمعركة كان موضع تساؤل ، وتصلبه الصولية (٢ / ٧٢٩٩ - ٧٣٠٠) بالأشهر ١٥ آذار ١٣٠٩ وتحسّل (فترة ٥٠٠) السخة على أنها ١٣١٠ . وعلى كل فإن الوصية التي كتبها غوتير قبل المعركة بالضبط مؤرخة في ١٥ آذار ١٣١١ وحيث أن اليوم الخامس عشر كان يوم الاثنين في ١٣١١ فإن هذا يبدو أنه التاريخ (إنظر م . ص ٢٢٩ حاشية ٣) وتحسّد كل الحوليات المكان على أنه هلميروس . ولكن هذا يجب أن يدل ببساطة على مستنقع ملحي قرب كوبايس وليس على منية بهذا الاسم في تساليا .

٧ - إنظر أعلاه ٢ / ٤٥٠٢ - ٤٥١٢ .

٨ - يبدو أن هناك شيئاً مشوشاً حول تاريخ وفاته والمعركة المشروحة التي تلت . في ٢ / ٦٦٢١ أعلاه يذكر أنه اشترك في الأحداث التي حدثت في ١٢٧٠ أو بعدها ويضع لوغزون (ص ٣٤٧) تاريخ وفاته (بعد قليل) من وفاة جيوفري دي بروير ١٢٧٥ . وتولي غوليوم نفسه

في ١٢٧٨ ، وعليه فإن المحاكمة لابد أن تكون قد جرت في وقت ما بين التاريخين ويصنع في ١٢٧٦ . وهذا يعني أن مرغريت كانت رهينة من ١٢٦٢ إلى ١٢٧٦ ، وهو بالتأكيد وقت طويل ، علاوة على أنه من المعروف أن زوجها الأول غويبرت بن كورس توفي في ١٢٥٨ في معركة كاريدي (انظر أعلاه ١ / ٣٢٧١) ومن المعروف أنها أيضا تزوجت بعد ذلك غوغيلمو الثاني نال كارسيري فيرونا تارل (حاكم) نيفروبولنت الذي قتل في المعركة البحرية في بيميترياس في ١٢٧٥ . ومن الواضح إذا أنها قد تزوجت غوغيلمو في وقت ما بين ١٢٥٨ و ١٢٦٢ ونهبت كرهينة ولم يتزوجها بعد ذلك . وهناك تمهيد آخر هو أنه يجب أن نفترض من التاريخ أن غوليوم قد حقق إطلاق سراحها تقريبا مباشرة بعد وفاة عمها ، وهو بالكاد يبدو محقولا بالنظر لسابقة أنه بعد أن توفقه أربع عشرة سنة ليفصل ذلك ، فإنه قد فعله في النهاية فقط عندما كان قادرا على أن يأخذ أملاكها لنفسه ، وباهتصار إن كامل الترتيب الزمني يبدو خاطئا وتضلع ل دي ف . (فقرة ٢٨٤ - ٣٩٦) الصادرة بكاملها بعد هرب أمير كارتيايا وقبل سقوط شارل دي أنجو في الشؤون الإيطالية . ولكن هنا عكس الإشارة في الهولية إلى أن غوتبير روزبير كان حيا بعد ١٢٧٠ . ويبدو إلزاميا تقريبا افتراض زمن أكثر بين وفاته والجلسة النهائية للمحاكمة ولكن أيا من المصادر والوثائق التي عثت إليها لا يلقي مزيدا من الضوء على الامر .

٩ - كانت مرغريت باسافا ابنة جين الثاني دي نويلي المارشال الوريث وبارون باسافا الذي تزوج اختا لغوتبير الثاني دي روزبير بارون أكولسا وحيث أن قانون سالك لم يسد ، وحيث أن الاقطاعية كانت قابلة للذلل لكل الورثة . في حال غياب الوريث المباشر ، كانت مرغريت وريثة للاقطاعية كابتة أخ .

١٠ - في المادة ٣٦ من مجموعة القوانين الرومية (ريكورا ص ١٨٤) تذكر أن الوريث يجب أن يطالب بالاقطاعية خلال أربعين يوما أو يفقد حق الانتفاع لمدة سنة واحدة ؛ ويجب أن يطالب بالاقطاعية خلال سنة واحدة ويوم أو أنه يفقدها . حتى لو أن بعض المصاديق حالت بينه وبين ذلك ولو كانت مشروعة . وإذا كان الوريث خارج الامارة فأمامه سبختان ويومان للمطالبة بالاقطاعية . وقضية باسافا بشكل خاص مذكورة في هذه المادة . وكما بين - تونينغ ، (ص ٢٨ - الحاشية) أن فترة عامين ويومين ربما تكون قد أضيفت كنتيجة لهذه القضية بالنات . وأيضا فإن العبارة المقبوسة أعلاه تبدو كما لو كانت تشير بشكل خاص لما حدث لمرغريت .

١١ - للتفاصيل حول آل دي سانت أوغر ، انظر أعلاه ص ١٦٩ حاشية ٣٥ .

١٢ - ل ٧٣٩٧ مأخوذ من ب . فهل أسقط عن عمد من ه .

١٣ - تبحث المادة ٧٥ من مجموعة القوانين الرومانية (ريكورا ص ٢١٢) مذكور أن كل امرأة تملك اقطاعية عليها أن تقدم على الفور زوجها إلى أميرها كومي . مادة ١٠٢٩ المصدر نفسه ص ٢٤٢) تذكر أن الزوج الذي يتزوج امرأة تابعة يصبح تابعا . بحكم أرضها .

١٤ - قد تعني هذه الفقرة : وفي الحقيقة ، فور الوصول ، جاءت إلى حضرتكم .

١٥ - تقوم هذه القضية حصرا على المادة ٧٥ ، ١٢٩ من مجموعة القوانين الرومانية وأيضا المادة ٣٨ على أساس العائق المشروع .

١٦ - إنه يفترض أن مرغريت كانت غير قادرة على مواجهة المتطلبات التي تحتاج إلى براعة في متابعة إجراءات المحاكمة وأنها يجب أن تزود بمستشار هو الهامي : المادتان ١٤٥ و ١٤٦ من مجموعة القوانين الرومانية (ريكورا ص ٢٥١ - ٢٥٢) تعالج موضوع الهامي .

١٧ - المادة ٨ من مجموعة القوانين الرومانية (ريكورا ص ١٦٣ : تونينغ ص ٢٦ - ٢٧) تذكر بوضوح بأنه للأمير أن يولد أحد تابعيه مكانه عندما يكون متورطا في عمل قضائي مع أحد تابعيه . . ويطلب من الأمير أن ينهض ليعطي لموقفه العصا وأن يترك المجلس طبقا للعرف .

١٨ - من أجل ليوناردو دي فيرولي انظر أعلاه ص ٢٠٠ حاشية ٨٢ وص ٢٥٠ حاشية ٧٠ .

١٩ - مادة ٣ و ١٥ من القوانين الرومانية (ريكورا ص ١٥٥ - ١٥٩ ، ١٦٧ - ١٦٨) .

٢٠ - انظر أعلاه ص ١٢٥ والحواشي ٤٨ - ٥٩ .

- ٤٩٩٠ -

٢١ - هكنا أشير إلى الأمير شامبرلان كولينييت في ل . (فقرة ٥٢٦) ، ولكي نكت غير قادر على التعريف به أكثر ، وهو يسأل عن شيوخ أكوفا ليضروا لأنهم يمسرفون تاريخ البارونية والهدود ، والمحاضر المذكورة هي محاضر الحاكم البارونية وهي اللازمة لبيان الحالة الحقيقية للاقطاعات .

٢٢ - هذه التفاصيل واردة أيضا في ل . (فقرات ٥٢٥ - ٥٢٧) ومن أجل تهديد مكان الحصص الثمانية إنظر درا غوفيس ص ٢٣٣ - ٢٤٣ ، ومن أجل الهيئة الجنية إنظر أعلاه . ٢٣ - مرغريت دي فيلها رين ، (١٣٦٥ - ١٣١٥) واختها الأكبر ايزابو وكانتا من بنات غوليوم من انا انجيلا كومينا ، ابنة امبراطور ابيروس ، إنظر أعلاه ، وتزوجت مرغريت في أيلول ١٢٩٤ استارديي سابران .

وفي ١٢٩٩ تزوجت ريتشارد سيفالونيا ، ومن زوجها الأول انجبت ايزابو التي تزوجت فريماند امير مايوركا ، ويذكر كالوناروس بدين اصرار (ص ٣١٣ - حاشية ١ / ٧٧٤٩) إن زوح مرغريت الأول كان برتراندي بو .

٢٤ - هذا يشير إلى جين دي خودرين الامير العظيم السابق . جيوفري دي جودرون وأخو السيدة التي نهبت كرهينة ثانية مع مرغريت باسافا ، وكهفيفة واقعة ، لم يكن نائبا ، ولكن فقط ليصرف على أمور الامارة حتى وصل نائب الملك شارل ملك نابولي . وتذكر ل دي ف . (فقرة ٤١٨) أنه كان جيوفري الأب ولكن ل (فقرة ٥٣٣) تذكر أنه كان جين الابن .

٢٥ - إنظر أعلاه ٢ / ٢٤٦١ و ٢٧٥٥ من أجل كنيسة القديس يعقوب والقبر .

٢٦ - هذه كلمة يونانية تعني مقدس أو تعني رجلا مقدسا . وهي الكلمة التي تستعمل بشكل عام لتعني قسيسا ويمكن أن تعني كاهنا .

٢٧ - كنا بالأصل .

٢٨ - تتعارض الآراء في هذه السطور مباشرة مع كل ما نعرفه عن قانون الدورة . وهي بشكل واضح تعكس رأي الكاتب اليوناني الذي كتب ب .

٢٩ - يجب تذكر أنه بموجب اتفاقية ٢٤ ليار ١٢٦٧ كانت الدورة لا بد أن تنقل إلى ايزابو وزوجها ثم إلى وريثها ، وإذا لم يكن لها وريث أو إذا مات زوجها قبل غوليوم ، فإن الدورة تذهب إلى شارل دي انجو . وتولي فيليب دي انجو في الواقع قبل غوليوم في (١٢٧٧) في نابولي .

٣٠ - عين هورغ درو دي سلى في آب ١٢٧٩ وكبلا عاما في البانيا ولم يكن مطلقا نائبا في الدورة ، وكان نواب الامارة خلال الفترة ١٢٧٨ - ١٢٨٩ هم :

غارلان دي ايفري عين في ٢٦ آب ١٢٧٨ .

فيليب دي لاغوينس عين في آب ١٢٨٠ .

نارجوت دي توسي عين في تشرين أول ١٢٨٢ .

في دي تريمولاي عين في تشرين أول ١٢٨٢ .

غوليوم دي لاروس عين في ١٢٨٥ .

نيكولاس الثاني دي سانت أوم عين في ١٢٨٧ .

وتخطيء كل من ل . (ص ١٧ الحاشية) وز . (ص ٤٩) حول غارلان دي ايفري : حيث تضمنان بداية نيابته في ١٢٦٨ . ومن أجل القائمة أعلاه انظر ل غ ص ٢٥٤ - ١٢٦٣ وفي أماكن كثيرة .

٣١ - يظهر هنا البيان الواضح عن الحقوق التي ادعاها البارونات الموريون في كل الهوليات .

(ل . فقرات ٥٤٠ ، ٨٦١ - ٨٦٢ . و ل دي ف : فقرة ٥١١ وانظر أيضا أفضاء في ٢ / ٨٦٣٩

من الهولية .) إنظر المواد : ١ ، ٣ ، ١٣٦ الخ في مجموعة القوانين الرومانية ، وتروبنغ المؤسسات الاقطاعية ، ص ١٠٥ ..

- ٣٢ -

٣٣ - المقصود بلويس في الهولية لويس فيليب دي انجو الذي توفي قبل غوليوم بعام وليس بهس ، ومن المفارقة أن فيليب قد دفن في الكنيسة نفسها أي كاتدرائية قراني ، حيث جرى زواجه ، قبل ذلك بست سنوات فقط . وتركت آيزابو أرملة شابة في الرابعة عشر من عمرها (م . ص ١٤٧) . أو السادسة عشر في (ل . ص ٣٢١ حاشية ١ / ٢٩٤٧) أو الثامنة عشر (ل . غ ص ٢٤٩) .

٣٤ - كان الانجوسين شارل الاول ملك نابسولي (١٢٦٦ - ١٢٨٥) ، أمير المورة (١٢٧٨ - ١٢٨٥) وأبنائه ، شارل الثاني ملك نابسولي (١٢٨٥ - ١٣٠٩) ، أمير المورة (١٢٨٥ - ١٢٨٩) وفيليب (ت : ١٢٧٧) . وكان أبناء شارل الثاني : روبيرت ملك نابسولي (١٣٠٩ - ١٣٤٣) وفيليب الثاني تارنتو أمير المورة (١٣٠٧ - ١٣١٣) .

٣٥ - من أجل دوقات اثينا ، وهوغ دي بيرين ، إنظر أعلاه ص ٢٧٥ حاشية ، وكان أمير اثينا الذي نهب إلى لفسردسا في ١٢٦٠ في الاول دي لاروش (١٢٢٥ - ١٢٦٣) (إنظر أعلاه ٢ / ١٥٥٣ ، ١٥٥٥ ، ٣٣٠٢ ، ٣٣٧٥ ، ٣٣٩٢ و ٢٤٥٥) وترك ابنين أصبحا بدورهما دوقات لاثينا : جين الاول (١٢٦٣ - ١٢٨٠) وغوليوم (١٢٨٠ - ١٢٨٧) وتخلط الحولية بين جين الاول وابنه غوليوم (٣ / ٧٩٦٤) . وكان غوليوم قد تزوج هيلين ابنة جسون أمير ولاشيا الذي يخلط بينه في الهولية وبين فيودروس ، الابن غير الشرعي لميكائيل الثاني امبراطور ارتا (انظر ٢ / ٢٤٦٩ ، ٣٥٠٤ ، الهراشي) وكان ابن غوليوم من هيلين هوغي الثاني دي لاروش الذي تزوج ماهوتي ابنة ايزابودي فيلهاردين والامير فلورنت دي هينوت .

٣٦ - إنظر أعلاه ص ٢٩١ - الحاشية ٣٠ من أجل نواب الملك ، وتسمى ل دي هـ . بشكل مسحيح (فقرة ٤٢٠ - ٤٢٣) غوليوم نائباً أولاً للمورة وبيلال لجيوفري خودرون .

٣٧ - ل . (ص ٣٢٤ حاشية ١ / ٧٩٩٧) تكشف مناقشة طويلة لدروغوميس تعرف بسيتمرا (فقرة ٥٤٧) على أنها مدينة فيما نتر الحالية من ناحية دوربون اقليم تريفياليا .

٣٨ - (إنظر أعلاه ص ٢٧٦ حاشية ٣ و ص ٢٧٧ حاشية ٦ (ت : ١٢٨٧)

٣٩ - فقد هوغ دي بيرين زوجته الاولى ايزابودي لاروش ، وتزوج أرملة غوليوم دي لاروش ، هيلين ابنة جون لورد والاشيا وتزوجت منهما جين (ل فقرة : ٥٥) فيما بعد ، نيكولاس الاول سانودو دوق تاكسوس .

٤٠ - وتظهر هذه المعلومات أيضا في ل دي هـ (فقرة ٤٥٢) ولكنها تروى بعد قصة زواج ايزابودي فيلها رين وفلورنت دي هينوت .

٤١ - من أجل زواج غوليوم من أنا ابنة ميكائيل الثاني امبراطور ارتا ، وأخت كيرنة فور انظر أعلاه : ٢ / ٣١١١ والحواشي ، والمدن المذكورة التي كانت جزءا من مهرها تقع في شبه جزيرة بيلوس جنوب غرب كالاماتا ، والوحيدة من الثلاثة التي لا تزال باقية هي بسلاتادين ، وتقع قرب مدينة بيللا وهي في الشمال الشرقي قليلا من بيلوس ومانيا توخوري مذكورة في وثائق بندقية متاخرة على أنها مدينة رائعة في الجوار .

٤٢ - أذنا نيكولاس الثاني دي سانت اومر من الاموال التي أخذها من زواجه من مارييا صاحبة أنطاكية على الكادمية في طيبة قلعة سانت اومر الشهيرة التي دمرت فيما بعد من قبل الكاتالانيين وعندما تزوج نيكولاس الثاني . انادي فيلها رين في ١٢٨٠ هـصل على مهرها من كليرمونت ، وكالاماتا التي يادلها شارل دي انجو ببعض الاخطاعات من المورة وصقلية الليوناردو دي فيرولي الذي توفي في ١٢٨١ ، وبعد أن أصبح نائبا للملك في المورة ، تابع نيكولاس أعمال التحصين التي بدأها سلفه وبنى قلعة صغيرة في ماينا تدورفي والقلعة الشهيرة في نافارينو القديمة . وبنى ابن أخيه نيكولاس الثالث أيضا قلعة مازالت بقاياها ظاهرة في مدينة سانتا ميري ، شمال شرق اندافيدا . وبعد استيطان الكاتالانيين في وسط اليونان ، انتقل آل سانت اومر إلى أراضيهم في البلونيز .

٤٣ - إن الفقرة التي تضم ٢ / ٨١١٠ - ٨٤٧٣ في ب . كانت في وقت ما مأخوذة من مكانها الصحيح في الحولية وموضوعة في النهاية بعد ١ / ٩١٣٠ . ويبدو أنه ليس هناك تفسير لهذا ،

وأعادها شملت إلى مكانها الصحيح في هذه الطبعة (انظر س . ص ٥٢٧) .
٤٤ - حدثت هذه الواقعة في وقت مبكر من عام ١٢٧٥ . خلال نيابة غاليران دي ايلبري والت كاريثانيا إلى أمير كاريثانيا ، الذي كان يملك القطاعات « كمنحة جسيدي » وقد تسولي دون وريث مباشر . انظر ل . غ ص ٢٢٥ وحاشية ٣ ، حيث يقتبس لوغزون من وثيقة دمورت الآن مسن الارشيف النيويولتاني .

٤٥ - انظر أعلاه ص ١٢٥ حاشية ٣٩ . من أجل أراكوفون . ويناكش دراغومس نهاية هذه القلعة مطولا ويحدد مكانها شمال غرب مدينة بلاتيانا وأليفيرا وأولمبيا الحالية .
٤٦ - اكرنيوكورس (ساليكور . ل فقرة ٥٦٣) تتوضع قرب مدينة كزينوخورس الحالية قرب اندريهسينا .

٤٧ - كانت لوميلوس على الالفوس قرب مدينة أوميرا الحالية بجوار كرسيتانيا .
٤٨ - فيولكلانوس ، الأمر اليوناني لأراكوفون (فيلو كالو ، ل فقرة ٥٦٤) دراغوميس عائلته واتصالاته مع عائلة الفوقساراد ص ٢٦ و ٢٧ انظر أعلاه من ١٢١ - حاشية ٤٠ .
٤٩ - كنا بالاهل

٥٠ - من أجل بير غاردي انظر أعلاه ص ٢٢٢ حاشية ٢٤ ومن أجل كالندريتنا انظر أعلاه ص ١٢٧ والحاشية ٥٦ وأيضا دراغوميس ص ٨٨ ، وادامانتوس ص ٥٨٨ . إن غوستينا هسي المنياء الحالي لايجيون شرق باتراس على خليج كورنت . ومضاضة بتير كانت مضاضة عيسر الالفوس ، في مكان ما قرب ايزوفا ٥١ - ل ٨٤٥٠ هو من ب .

٥٢ - تزوج جيوفري من مرغريت دي كورس وريثة إقطاعة أبيها في ليساريا قرب كلاندرينا وأرملة باين دو ستيناي ، وكانت إقطاعه موراينا قرب اندريهسينا وقد جلبتها لزوجها الجديد ، ول ر . ج . ف . (فقرات ٤٢٨ - ٤٤٦) يعطي تفاصيل هذه القصة بصورة مختلفة تماما .

٥٣ - تزوج فيلين الثاني دي أونوب أمير أركانيا (كيبارسيا) هيلين دي بروير سيدة مورانيا ، وكان أبناهما : إيرارد الثاني الذي كان أمير أركانيا والذي توفي قبل ١٣٨٨ ، وأغوس التي تزوجت ايتين لومور أمير سانت سافير (فقرة ٥٨٥) .

٥٤ - إن هذا البيان الأخير والفراغ الذي يليه قد أثار خلافا كبيرا ومناقشات حول التاريخ الذي كتبت فيه الحولية . ويظهر أن الملاحظات المتعلقة بالنسب حول إيرارد الثالث أضيفت عندما نسخت ه . أو ترجمت أو على الأقل استعملت من نص أقدم .

ولم تكن أسرته لها مثل هذه الأهمية حتى تسوغ مثل هذه التفاصيل ما لم يكن لدى المؤلف سبب خاص لتأنيده هذا التفسير والاحلال له ، ويميل هنا إلى التبدل على أن إيرارد كان حيا عندما كتبت ها . وفي ١ / ٨٤٦٩ هناك دلالة (في رأيي طفيفة جدا) أن هذا كان كذلك فمن المعروف أن إيرارد الثالث توفي في ١٣٨٨ ، وهذا يعني أن ه . يعود تاريخها إلى ما قبل هذه السنة بعد ١ / ٨٤٦٩ هناك فراغ من أربعة أبيات ها ملأته بالآبيات المتعلقة من ب . وتبين هذه الآبيات بكل تأكيد أن إيرارد كان متوفيا عندما كتبت مما يثبت أن ب . كتبت بعد ١٣٨٨ . انظر ل . ٢٥٢ حاشية ١ / ٨٤٦٨ وادا ما نيتوس ص ٥٢١ ، طبعة لوغزون من ل . المقدمة ص ٥٣ - ٥٦ و س . ص ٦٢٤ ، تحت إيرارد الثالث .

٥٥ - كان هذان هما جين دي خوردين ، الأمير الكبير ، وجيوفري دي تورناي ابن لوتون الأول دي تورناي ، أمير كريستانيا ، والرواية التي تلي تعطي بصورة مختلفة تماما في ل دي ف . (فقرات ٤٤٧ - ٤٤٩) . وطبقا لهذه الرواية عندما تحرر شارل الثاني من أسرته ١٢٨٩ ، رغب عند عودته في مكافأة الوصي على عرشه روبرت دي اوتوا من أجل خدماته . ورفض الأخير أي مكافأة شخصيته ، ولكنه قدم نسيبه البعيد بالزواج فلورنت دي ميذوت كفارس ليس لديه أرض ولا مال ولكنه يستحق أن يكون فارسا وطلب من شارل أن يعطيه يد ايزابو ، وفي الواقع إن الروايتين ليستا بالضرورة متقاربتين ، وأنهما معا قد ترويان كامل القصة .

٤٩٩٣ -

- ٥٦ - كان فلورنت الأخ الأصغر لجين دي المنس ، كونت هينوت ١٢٨٠ - ١٣٠٤ . ولعدم رضى فلورنت ، يملكاته الصغيرة لجأ إلى المحكمة النيوبوليتانية ليطالب بشروته وكانت مكافاته الأولى جعله حاكما عاما لمملكة صقلية .
- ٥٧ - بالأصل استعمال غير واع لاصطلاح بيننطي في الخطاب .
- ٥٨ - يحتمل أن فلورنت قد توفي في ٢٣ كانون الثاني ١٢٩٧ . وكانت ايزابو في حينه فوق الأربعين واتخذت زوجا ثالثا لها فيليب دي سافوا وكان في الثانية والعشرين في وقتها ، وتم الزواج في اربعاء الرماد ، ١٢ شباط ١٣٠١ في روما . (اربعاء الرماد اول أيام الصوم الكبير) .
- ٥٩ - تذكر ل (فقرة ٥٩٥) رواية أخرى .
- ٦٠ - تتوقف ب عند هذه النقطة بعبارة ساخرة . ولكنهما لم يحققا شيئا لهذه الهندة كما ساهبركم فيما بعد وستسمعون ، ول ١ / ٨٧١٠ - ٨٨٠٤ مذكورة من ب .
- ٦١ - انظر اعلاه ص ٢٦١ حاشية ٨٥ البيوت الاثنى عشرة كانت عائلات قديمة بيننطية نبيلة . وفيلانثروبينوس على ما يبدو هو الشخص نفسه الذي قار فيما بعد وأعلن نفسه امبراطورا (م . ص ١٧٨) . وكان الامبراطور في ذلك الوقت بالطبع اندرونيكوس الثاني .
- ٦٢ - يبدو ان هذه العبارة الفجة تعني « امان ، أو « عهد امان » .
- ٦٣ - انظر ما تقدم حاشية ٥٣ في المجموعة المقدمة على هذه
- ٦٤ - إن هذا في الواقع كان السبب الرئيس لرغبة اندرونيكوس في الهندة في المورة وجرت الصلة في ١٢٩١ او ١٢٩٢ .
- ٦٥ - إن هذه الفقرة غامضة نوعا ما . والخليج بلا شك هو خليج أرتا على الساحل الغربي من ايتوليا - اكارنانيا . وزيرويدون أو زيرويدا ، هي المنطقة حول هذا الخليج وتحمل أرتا بالطبع الاسم نفسه اليوم .
- ٦٦ - كان اسم اوريزوس المظيمة اسما من القرون الوسطى لبحيرة بوانيا (بامبوتيس) .
- ٦٧ - من أجل تفاصيل الحرب انظر م . ص ١٧٨ ول غ ص ٢٦٨ .
- ٦٨ - بعد الحرب أعيد الابن ولكن الابنة لم تعد . فقد زوجها ريتشارد لابنة جون ، مما أغضب اباه (ل فقرات : ٦١٨ - ٦١٩ ، ٦٥٢ - ٦٥٥) .
- ٦٩ - هذه العبارة الأخيرة (١ / ٨٨٧٦) مأخوذة من ب .
- ٧٠ - لاتشير لسيانا إلى أي من المدن الأربعة التي تحمل الآن هذا الاسم ولكنني غير قادر على تحديدها أكثر .
- ٧٢ - هذه العبارة (١ / ٨٩٧٩) هي من ب .
- ٧٣ - تقع بريغيا عند مدخل خليج أرتا .
- ٧٤ - بعد ١ / ٩٠١٠ تصبح ب . مجزأة نوعا هتسى تتوقف في ١ / ١٩٣٠ عن الرواية كلها لتسجيل قصة جيوفري دي بريبير (٢٥ / ٨١١٠ - ٨٤٧٣)
- ٧٥ - تقع فاجنيتا قرب أرتا في جنوب ابيروس (ل : فقرات ٦٤٢ - ٦٥٨)
- ٧٦ - لونوتزيا هي في ايامنا فونتا ، وهي ميناء في خليج أرتا ، ولقد توقف المؤرخ لجاة هنا ولم يتابع .

اهم المصادر والمراجع

THE ITALIAN CHRONICLE

Istoria della Morea, ed. Charles Hopf. In his *Chroniques gréco-romanes inédites ou peu connues*. Berlin, 1873.

Byzantine Sources

Acropolites, Georges. *Historia*. In *Opera*, vol. I, ed. A. Heisenberg. Leipzig, 1903.

Chronicle of Galaxidi; *Χρονικὸν ἀνέκδοτον Γαλαξειδίου*, ed. K. N. Sathas. Athens, 1865.

Dorotheos of Monemvasia. *Βιβλίον ἱστορικὸν περιέχον ἐν συνόψει διαφορὰς καὶ ἐξόχους ἱστορίας*. Venice, 1814.

Gregoras, Nikephoros. *Byzantina historia*, ed. L. Schopen. 3 vols. Bonn, 1830-45.

Michael Choniates. *Τὰ Σωζόμενα*, ed. S. Lampros. 2 vols. Athens, 1879-80.

Niketas Choniates. *Historia*, ed. I. Bekker. Bonn, 1835.

Pachymeres, George. *De Michaelis et Andronico Palaeologis*, ed. I. Bekker. 2 vols. Bonn, 1835.

Sphrantzes, George. *Chronicon minus*, in Migne, *PG*, vol. 156, 1025-80. Bonn, 1838. On the longer version of this work, by the "Pseudo-Sphrantzes," see R. J. Loernertz, "Autour du Chronicon Maius attribué à Georges Phrantzes," *Studi e Testi*, CXXIII (Miscellanea G. Mercati, III), Città del Vaticano (1946), 273-311.

Western Sources

Assises de Jérusalem, ed. Comte de Beugnot. (*Recueil des historiens des croisades: Lois, I-II*). 2 vols. Paris, 1841-43.

Buchon, J. A., ed. *Chroniques étrangères relatives aux expéditions françaises pendant le XIII^e siècle*. Paris, 1875. Contains: 1. Anonyme grec; 2. Ramon Muntaner; 3. Bernard d'Esclot; 4. Anonyme sicilien.

— *Collection des chroniques nationales françaises*. 47 vols. Paris 1824-29. Vols. I and II are Ducange's *History of the Latin Empire of Constantinople*. Vol. IV is 1st edition of Codex Parisinus.

— *Recherches historiques sur la principauté française de Morée et ses hautes baronnies*. 2 vols. Paris, 1845. Vol. I is *Livre de la Conquête*; Vol. II is 1st edition of Codex Havniensis.

- Hopf, Charles. *Chroniques gréco-romanes inédites ou peu connues*. Berlin, 1873.
Contains: 1. Sanudo's *Istoria del Regno di Romania*; 2. Italian Chronicle of Morea.
- Innocent III. *Epistolae*. In Migne, *PL*, vols. 214-17.
- Jordan, E. *Les registres de Clément IV*. Paris, 1893-1945.
- Muntaner, Ramon. *Chronik des edlen en Ramon Muntaner*, ed. K. Lanz. Stuttgart, 1844.
- Potthast, A., ed. *Regesta pontificum romanorum (1198-1304)*. 2 vols. Berlin, 1874-75.
- Recoura, G. *Les Assises de Romanie*. Paris, 1930. For translation, see Topping, *Feudal Institutions*.
- Robert of Clari. *Conquest of Constantinople*, tr. E. H. McNeal. New York, 1936.
- Villani, Giovanni. *Historia universalis...*, ed. A. Muratori. In *Rerum Italicarum Scriptores*, vol. XIII, cols. 9-1002. Milan, 1728.
- Villehardouin, Geoffroy de. *La Conquête de Constantinople avec la continuation de Henri de Valenciennes*, ed. Natalis de Wailly. Paris, 1882.
- William, Archbishop of Tyre. *History of Deeds Done beyond the Sea*, trans. E. Babcock and A. C. Krey. New York, 1943.

Secondary Works

- Adamantiou, Ad. "Τὰ Χρονικά τοῦ Μορέως," *Δελτίον τῆς Ἱστορικῆς καὶ Ἐθνολογικῆς Ἑταιρείας τῆς Ἑλλάδος*, VI (1906), 453-675.
- Alexopoulos, N. K. *Μοραΐτον Ἱστορία τῆς Τεγέας*. Athéns, 1896.
- Amantos, C. "Τσακονία-Sclavonia," *Ἀφιέρωμα εἰς Γ. Χατζιδάκιν*. Athens, 1921.
- "Σαλώνα-Τσακωνες," *Ἑλληνικά*, X (1938), 210-12.
- Andrews, Kevin. *Castles of the Morea*. Princeton, 1953.
- Bees, Nikos A. "Zur Chronik von Morea," *Archiv für Kulturgeschichte*, XIII (1916), 122-24.
- Bon, A. "Forteresses médiévales de la grèce centrale," *Bulletin de correspondance Hellénique*, LXJ (1937), 136-208.
- *Le Péloponnèse byzantine jusqu'en 1204*. Paris, 1951.
- Buchon, J. *La Grèce continentale et la Morée*. Paris, 1843.
- *Histoire des conquêtes et de l'établissement des français dans les états de l'ancienne Grèce ...* Paris, 1846.

- *Nouvelles recherches historiques sur la principauté française de Morée et ses hautes baronnies*.... 2 vols. Paris, 1843-45.
- *Recherches et matériaux pour servir à une histoire de la domination française aux 13^e, 14^e, et 15^e siècles dans les provinces démembrées de l'Empire grec à la suite de la quatrième croisade*. 2 vols. Paris, 1840.
- Burns, R. I. "The Catalan Company and the European Powers, 1305-1311," *Speculum*, XXIX (1954), 751-71.
- Byrne, Eugene H. *Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth Centuries*. Cambridge, 1930.
- Cambridge Medieval History*, ed. J. R. Tanner, C. W. Previté-Orton, and Z. N. Brooke. Vol. IV: Eastern Roman Empire, 217-1453. Cambridge, 1936. Chapter XV, "Greece and the Aegean under Frank and Venetian Domination, 1204-1571" (pp. 432-77), was written by William Miller. See also extensive bibliography, pp. 852-86. (A completely new edition of this volume is now in press.)
- Cerone, Francesco. "La sovranità napoletana sulla Morea e sulle isole vicine." *Archivio storico per le province Napoletane*, XLI (Naples, 1916), 5-64, 193-266; XLII (1917), 5-67.
- Chapman, Conrad. *Michel Paléologue, restaurateur de l'empire byzantin (1261-1282)*. Paris, 1926.
- Delpech, H. *La Tactique du XIII^e siècle*. 2 vols. Montpellier, 1855.
- Dendias, M. "'Ελένη Ἀγγελίνα Δούκαινα Βασίλισσα." *Σικελίας καὶ Νεαπόλεως*. Ἡπειρωτικά Χρονικά, I (1926), 219-94.
- "Le roi Manfred de Sicile et la bataille de Pelagonie," *Mélanges Charles Diehl*, I, 55-60. Paris, 1930.
- Dölger, F. "Chronologisches und Prosopographisches zur byzantinischen Geschichte des 13. Jahrhunderts." *Byzantinische Zeitschrift*, XXVII (1927), 291 ff.
- "Die neuentdeckte Quelle zur Helenaszene in Goethes Faust. Die Prophyläen," *Beilage zur Münchner Zeitung*, XXVIII (1931), 289-90.
- Dragoumis, S. N. "Χρονικοῦ τοῦ Μορέως λέξεις," Ἀθηνᾶ, XXIII, 73-87; XXIII, 363-71; XXVI, 26-32, 223-28.
- *Χρονικῶν τοῦ Μορέως: Τοπωνυμικά, Τοπογραφικά, Ἱστορικά*. Athens, 1921.
- Gay, J. *L'Italie méridionale et l'empire byzantin (867-1071)*. Paris, 1904.
- Geanakoplos, Deno J. *Emperor Michael Palaeologus and the West*. Cambridge, 1959.
- Gregorovius, F. A. *Geschichte der Stadt Athen im Mittelalter*. 2 vols.

- Stuttgart, 1889. *Ἱστορία τῆς Πόλεως Ἀθηνῶν* is a modern Greek trans. and enlarged ed. by S. Lampros in 3 vols., the 3d consisting of new documents. Athens, 1904-6.
- Guilland, R. "Contributions à l'histoire administrative de l'empire byzantin: Le dragonaire et le grand dragonaire de la ville," *Byzantinische Zeitschrift*, XLIII (1950), 340-65.
- "Études de titulature et de Prosopographie Byzantines, Les Chefs de la Marine: Drongaire de la Flotte, Grand Drongaire de la Flotte, Duc de la Flotte, Megaduc," *Byzantinische Zeitschrift*, XLIV (1951), 212-40.
- Guldencrone, D. *L'Achaïe féodale*. Paris, 1886.
- Hatzidakis, G. *Einleitung in die neugriechische Grammatik*. Leipzig, 1892.
- *Γλωσσικαὶ Μελέται*. 3 vols. Cairo, 1904-06.
- *Μεσαιωνικά καὶ Νέα Ἑλληνικά*. 2 vols. Athens, 1905-07.
- "Περὶ τοῦ ἐτύμου τῆς λέξεως Μεσαρῆας," *Ἀθηνᾶ*, VI, 3-64.
- "The Chronicle of Morea by John Schmitt, 1904," *Ἀθηνᾶ*, XVI, 253-54.
- Hopf, Charles. *Geschichte Griechenlands vom Beginn des Mittelalters bis auf unsere Zeit*. 2 vols. Leipzig, 1867-68. Published as vols. 85-86 of Ersch and Gruber, *Allgemeine Enzyklopädie der Wissenschaften und Kunst*.
- Iliopoulos, K. *Τὸ Τοπωνυμικὸν τῆς Ἡλείας*. Athens, 1948.
- Iorga, N. *Histoire de la vie byzantine*, 3 vols. Bucharest, 1934.
- *Notes et extraits pour servir à l'histoire des croisades au X^e siècle*. Bucharest, 1915.
- Jal, A. *Archéologie navale*. Paris, 1840.
- Kalomenopoulos, S. N. *Ἡ Στρατιωτικὴ Ὁργάνωσις τῆς Ἑλληνικῆς Αὐτοκρατορίας τοῦ Βυζαντίου*. Athens, 1937.
- Kalonnaros, P. *Ἑθνογραφικὰ Μάνης*. Athens, 1935.
- *Δουλοῦδια τῆς Μονεμβασίας καὶ τοῦ Ταυγέτου (Εἰκόνες ἀπὸ τὴν Πατρίδα μας)*. Athens, 1936.
- Kandeloros, T. *Ἱστορία τῆς Γορτυνίας*. Athens, 1931.
- Kolias, C. *Ἱστορικὴ Γεωγραφία τοῦ Ἑλληνικοῦ Χῶρου*. Athens, 1948.
- "Σιδερονκάστρο," *Ἑπετηρὶς Ἑταιρείας Βυζαντινῶν Σπουδῶν*, X, 72-82.
- Kontoglos, Ph. *Ταξείδια*. Athens, 1938.
- Koukoules, Ph. *Βυζαντινῶν βίος καὶ Πολιτισμός*. 5 vols. in 8. Athens, 1948-52.
- Krumbacher, K. *Geschichte der byzantinischen Literatur*. Munich, 1897.

- Lampros, Sp. "Ἐκφρασις τῶν ξυλοκονταρίων τοῦ κραταίου ἡμῶν αὐθέντου καὶ βασιλέως," *Νέος Ἑλληνομνήμων*, V, 3-18.
- *Ἱστορία τῆς Ἑλλάδος*. 6 vols. Athens, 1886-1908. Volume VI deals with Frankish period.
- "John Schmitt, *The Chronicle of Morea*," *Νέος Ἑλληνομνήμων*, I, 245-50.
- Lane, F. C. *Venetian Ships and Shipbuilders of the Renaissance*. Baltimore, 1934.
- Laurent, V., "La croisade et la question d'orient sous le pontificat de Grégoire X," *Revue historique du sud-est européen*, XXII (1945), 106-37.
- "Grégoire X et le projet d'une ligue antiturque," *Échos d'Orient*, XXXVII (1938) 257-73.
- Lehman-Haupt, C. "Τζακωνες," *Εἰς μνήμην Σπυρίδωνος Λάμπρου* (Athens, 1935), pp. 353 ff.
- Lekos, M. *Περὶ Τσακῶνων καὶ τῆς Τσακωνικῆς Διαλέκτου*. Athens, 1920.
- Longnon, Jean. *L'Empire latin de Constantinople et la principauté de Morée*. Paris, 1949.
- *Les Français d'Outre-mer au moyen âge. Essai sur l'expansion française dans le bassin de la Méditerranée*. Paris, 1929.
- "Problèmes de l'histoire de la principauté de Morée," *Journal des Savants*, (1946) 77-93; 147-61.
- "Le rattachement de la principauté de Morée au royaume de Sicile en 1267," *Journal des Savants* (1942) 134 ff.
- *Recherches sur la vie de Geoffroy de Villehardouin suivies du catalogue des actes des Villehardouin*. Paris, 1939.
- Loray, Terrier de. "Un parlement de dames au XIII^e siècle," *Académie des Sciences, Belles-Lettres et Arts de Besançon*, 1880 (Besançon, 1881), pp. 205-11.
- D. Loukopoulos. *Ποιὰ Πατριγνίδια Παλίζουν τὰ Ἑλληνόπουλα . . .* Athens, 1926.
- Meliarakes, A. "Μεσαρέα," *Ἱστορικαὶ ἔρευναι περὶ τοῦ Ὀνόματος τούτου ὡς Γεωγραφικοῦ*. Athens, 1893.
- *Οἰκογένεια Μαμωνᾶ*. Athens, 1902.
- *Ἱστορία τοῦ Βασιλείου τῆς Νικαίας καὶ τοῦ Δεσποτάτου τῆς Ἡπείρου* (1204-61). Athens, 1898.
- Meyer, Ernst. *Peloponnesische Wanderungen; Reisen und Forschungen zur antiken und mittelalterlichen Topographie von Arkadien und Achaia*. Zurich and Leipzig, 1939.
- Miller, William. *Essays on the Latin Orient*. Cambridge, 1921.

- *The Latins in the Levant: A History of Frankish Greece (1204-1566)*. London, 1908.
- Millet, Gabriel. *Le monastère de Daphni*. Paris, 1899.
- Moravcsik, G. "Zur Quellenfrage der Helenaepisode in Goethes Faust." *Byzantinische-neugriechische Jahrbücher*, VIII (1931), 41-56.
- Nicol, D. "The Date of the Battle of Pelagonia," *Byzantinische Zeitschrift*, XLIX (1956), 68-71.
- *The Despotate of Epiros*. Oxford, 1957.
- Nouchakes, I. E. *Ἑλληνικὴ Χωρογραφία*. Athens, 1901.
- Oman, C. *A History of the Art of War in the Middle Ages*. 2 vols. New York, 1923.
- Orlandos, A. K. *Ἀρχαῖον τῶν Βυζαντινῶν Μνημείων τῆς Ἑλλάδος*. 4 vols. Athens, 1936-38.
- Ostrogorsky, G. "Agrarian Conditions in the Byzantine Empire in the Middle Ages," *Cambridge Economic History*, I (1941) 194-223.
- "Le système de la Pronoia à Byzance et en Serbie médiévale," *Comité français des études byzantines. Acts du VI^e Congrès International. École des Hautes Etudes, Sorbonne*, I (1950), 181 ff.
- *Pour l'histoire de la féodalité byzantine*, tr. H. Grégoire. Brussels, 1954.
- Paparegopoulos, K. *Ἱστορία τοῦ Ἑλληνικοῦ Ἔθνους*. New ed. in 8 vols. Athens, 1932.
- Petit, E. *Histoire des ducs de Bourgogne de la race Capétienne*. 9 vols. Dijon, 1885-1905.
- Phourikis, P. A. "Παρατηρήσεις εἰς τὰ τοπωνύμια τῶν Χρονικῶν τοῦ Μορέως . . .," *Ἀθηνᾶ*, XL (1928), 26-59.
- Polites, N. G. *Λαογραφικά Σύμμεκτα*. Athens, 1920.
- Rodd, Ren. *The Princes of Achaia and the Chronicles of Morea: a Study of Greece in the Middle Ages*. 2 vols. London, 1907.
- Romanos, I. A. *Περὶ τοῦ Δεσποτάτου τῆς Ἡπείρου*. Corfu, 1895.
- Sarres, I. "Τὰ τοπωνυμικά τῆς Ἀττικῆς," *Ἀθηνᾶ*, XL (1929), 129.
- Schlumberger, G. *L'expédition des "Almugavars,"...* Paris, 1902.
- *Récits de Byzance et des Croisades*. Paris, 1916.
- Schmitt, John. "La 'Théséide' de Boccace et la 'Théséide' Grecque," *Études de Philologie Néo-Grecque (Bibliothèque de l'École des Hautes Études, XCII)*. Paris, 1892.
- Setton, K. M. *Catalan Domination of Athens, 1311-1388*. Cambridge, Mass., 1948.
- Soyter, G. *Byzantinische Dichtung*. Heidelberg, 1929.

- *Byzantinische Geschichtschreiber und Chronisten*. Heidelberg, 1929. See especially pp. 18-28, 51.
- Stiernon, L. "Les origines du despotat d'Épire," *Revue des Études Byzantines*, XVII (1959), 90-126.
- Tarsoulis, A. *Κάστρα καὶ Πολιτεῖες τοῦ Μωριᾶ*. Athens, 1934.
- Topping, P. *Feudal Institutions*. Philadelphia, 1949. Includes a translation of Recoura's *Les Assises de Romanie*.
- Trauquair, R. "Medieval Fortresses," *The Annual of the British School of Athens*, XII (1905-6), 258-76; XIII (1906-7), 268-81.
- Usseglio, L. *I Marchesi di Monferrato in Italia ed in Oriente durante i Secoli XII e XIII*. Turin, 1926.
- Wolff, R. L. "The Organization of the Latin Patriarchate of Constantinople, 1204-1261. Social and Administrative Consequences of the Latin Conquest," *Traditio*, VI (1948), 33-60.
- "Politics in the Latin Patriarchate of Constantinople, 1204-1261," *Dumbarton Oaks Papers*, No. 8 (1954), pp. 223-303.
- Xanthoudides, S. "Διορθώσεις εἰς Χρονικὸν Μορέως . . .," *Ἀθηνᾶ*, XXXII, 205 ff.
- Zakynthinos, D. *Le Chrysobulle d'Alexis III Comnène*. Paris, 1932.
- *Le Despotat grec de Morée*. 2 vols. Paris, 1932-53.
- *Οἱ Σλάβοι ἐν Ἑλλάδι*. Athens, 1945.
- Zerientis, P. *Μηλιγγοὶ καὶ Ἐξέρχεται, Σλάβοι ἐν Πελοποννήσῳ*. Hermoupolis, 1922.
- *Τάξις ἱεραρχικὴ τῶν ἐν Πελοποννήσῳ ἀγίων τῶν θεῶν Ἐκκλησιῶν*. Hermoupolis, 1922.

المحتوى

١	١	١	١
٢	٢	٢	٢
٣	٣	٣	٣
٤	٤	٤	٤
٥	٥	٥	٥
٦	٦	٦	٦
٧	٧	٧	٧
٨	٨	٨	٨
٩	٩	٩	٩
١٠	١٠	١٠	١٠
١١	١١	١١	١١
١٢	١٢	١٢	١٢
١٣	١٣	١٣	١٣
١٤	١٤	١٤	١٤
١٥	١٥	١٥	١٥
١٦	١٦	١٦	١٦
١٧	١٧	١٧	١٧
١٨	١٨	١٨	١٨
١٩	١٩	١٩	١٩
٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
٢١	٢١	٢١	٢١
٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
٣١	٣١	٣١	٣١
٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
٤١	٤١	٤١	٤١
٤٢	٤٢	٤٢	٤٢
٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٥١	٥١	٥١	٥١
٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
٦١	٦١	٦١	٦١
٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
٧١	٧١	٧١	٧١
٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
٧٩	٧٩	٧٩	٧٩
٨٠	٨٠	٨٠	٨٠
٨١	٨١	٨١	٨١
٨٢	٨٢	٨٢	٨٢
٨٣	٨٣	٨٣	٨٣
٨٤	٨٤	٨٤	٨٤
٨٥	٨٥	٨٥	٨٥
٨٦	٨٦	٨٦	٨٦
٨٧	٨٧	٨٧	٨٧
٨٨	٨٨	٨٨	٨٨
٨٩	٨٩	٨٩	٨٩
٩٠	٩٠	٩٠	٩٠
٩١	٩١	٩١	٩١
٩٢	٩٢	٩٢	٩٢
٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
٩٥	٩٥	٩٥	٩٥
٩٦	٩٦	٩٦	٩٦
٩٧	٩٧	٩٧	٩٧
٩٨	٩٨	٩٨	٩٨
٩٩	٩٩	٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

- ٥٥٥ -

- ٧٥٩ - سلطان قونية يتهم بالفرنجة
- ٧٥٩ - العلاقات مع الامبراطور الجديد
- ٧٥٩ - اغتيال الامبراطور الكسيوس
- ٧٥٩ - العلاقات مع الكومان
- ٧٦١ - الحصار الثاني للقسطنطينية ووصف الفشام
- ٧٨٤ - اختيار امبراطور فرنجي للقسطنطينية
- ٧٩٠ - الامبراطور الجديد والماركين
- ٧٩٧ - الحرب ضد الكومان وققان الامبراطور
- ٣٠٣ - تاريخ المورة
- ٣٠٥ - روميز
- ٣٠٦ - مغل - مقتصر تاريخي
- ٣٢٩ - مخطوطات ومطبوعات تواريخ المورة
- ٣٤٥ - اصل الصولية
- ٣٥٧ - المؤلف وعمله
- ٣٦٤ - القيمة التاريخية
- ٣٦٥ - خلاصة
- ٣٦٧ - الترجمة الراهنة
- ٣٧٢ - تاريخ المورة - مجموع هافنيسيس
- ٣٧٥ - بطرس الناسك والهمة الاولى
- ٣٨٧ - الحملة الرابعة
- ٣٨٧ - حصار القسطنطينية والاستيلاء عليها
- ٣٩٩ - الحرب ضد الكومان
- ٤٠٦ - كيف ربح الفرنجة ارض المورة
- ٤١٢ - صراعات في المورة وهولها
- ٤٢٩ - مشاكل الحكم والاقطاعات
- ٤٤٠ - غليوم يلي المورة
- ٤٨٧ - هروب ضد جيوش بيزنطة
- ٤٩٧ - مرتزقة اترك في المورة
- ٥١١ - تقوية شارل ملكا على صقلية
- ٥١٥ - اوربا والمورة
- ٥٧١ - اوضاع المورة الفرنجية النهائية
- ٥٨٧ - هواشي تاريخ المورة
- ٦٣٤ - اهم المصادر والحواشي